

أعيان لعصر وأعيان لنصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حقّقهُ

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور محمود سالم محمد

الدكتور محمد موعد

الدكتور نبيل أبو عشة

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الثالث

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي: ١١٥٠,٠١١-٣

الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8

الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-497-2

الرقم الموضوعي: ٩١٠

الموضوع: التراجم والسير والأنساب

العنوان: أعيان العصر وأعوان النصر

التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،

د. محمد الموعد، د. محمود سام محمد

قدم له: مازن عبد القادر المبارك

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٧٣٠ ص

قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن

خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



الطبعة الأولى

1418 هـ = 1998 م

٩١١ - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام*

الشيخ الإمام العالم العلامة حجة العرب ، أفضل المتأخرين ، جمال الدين أبو محمد الأنصاري الحنبلي المصري .

شيخ النحو ، ومن قام في أمره بالإثبات والحو ، أظهر فيه الإبداع وصنف ، وقرط الأساع وشنف ، ونظر ودقق ، وتعمد لأن تعمق وحقق ، ورجح الأضعف ، لذهنه المتوقد وأوهى الأقوى من الأقوال ، وسهل المتعقد ، وكذ وكدح ، وصد عن الباطل ، وأطرب لما صدح ، وناقض شيخنا أثير الدين وحجّه ، وعدل بمذاهبه^(١) عن المحجة ، وكاد يمت ذكر أبي حيّان ، ويردي كل من جاء من جيّان ، فلو عاصره سيبويه لحاكم الكسائي إليه ، وفصل أمر المسألة الزنبورية بين يديه ، وفصل فصول كتابه وخلعها عليه ، أو الفارسي لأجلب عليه بخيله ورجله ، أو ابن جني لما كتم (سر الصناعة) من أجله ، أو ابن مالك لكان له مملوكاً ، وجعل به طريق (التسهيل) للناس مسلوفاً :

وأطلعـه الفهم بعد النّهـى على مشكلات كلام العرب

ولم يزل بالقاهرة يصنف ويفيد ، ويجود للطلبة بفوائده ويجيد ، إلى أن نزلت^(٢) به أمّ اللهم الأربى^(٣) ، وفجعت به النحاة والأدبا .

* وفيات ابن رافع : ٣٦٤/١ ل والدرر : ٣٠٨/٢ ، والذيل التام : ١٧٥ ، والبغية : ٦٨/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٣٦/١ ، والبدر الطالع : ٤٠٠/١ ، والشذرات : ١٩١/٦ ، وتذكرة النبیه : ٢٣٦/٣ .
(١) في الأصل : « بمواهبه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) في الأصل : « زلت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) أمّ اللهم : المنية ، والأربى : الداهية .

وتوفي رحمه الله تعالى عشية الخميس خامس ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً بعد العشرة وسبع مئة .

وكان في أول عمره قد تفقه للشافعي ، ثم انتقل أخيراً إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، وحضر مدارس الحنابلة ، وحفظ (مختصر أبي القاسم الخريقي) في دون الأربعة أشهر ، مع ملازمة المطالعة والاشتغال ، وروى (الشاطبية) عن قاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرها .

وصنف وأفاد وتخرج به جماعة من أهل الديار المصرية ، ومن أهل مكة لما جاور بها ، وأقرأ (كتاب) سيبويه مرّات ، وصنّف كتباً في العربية منها : (تعليقه على مشكل ألفية ابن مالك)^(١) ، ومنها : مقدّمة في النحو سمّاها (الإعراب عن قواعد الإعراب)^(٢) ، و (مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، وهو كتاب مفيد قد جَوّده وبَيّضه فسوّده^(٣) ، واشتهر في حياته في الشام ومصر ، واشتغل به أهل العصر .

٩١٢ - عبد الله بن أبي الوليد محمد *

ابن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد التجيبي بن الحاج القرطبي المالكي .

إمام محراب المالكية بجامع دمشق ، حدّث عن ابن الثمّنين^(٤) ، وكان مشهوراً بالصّلاح .

(١) ويعرف باسم : (التوضيح) ، أو : (أوضح المسالك) .

(٢) مطبوعة .

(٣) أي : جعله سيّداً ، وفي الأصل : وسوّده .

* البداية والنهاية : ٢٠٣/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٦٧/١ ، والدرر : ٢٨٦/٢ ، وذيل العبر : ٢٣٤ .

(٤) كذا ، ولم تقف على مراده .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة بظاهر دمشق .
وسياتي ذكر والده في المحمدين .

٩١٣ - عبد الله الفاتولة*

بالفاء والألف والتاء ثلاثة الحروف والواو واللام والهاء ، الحلبي الدمشقي .

شيخ قد أسنّ ، وبلي من الكبر فأشبهه الشنّ ، فقير حرفوش ، مكشوف الرأس
منفوش^(١) ، عليه دلق رقيق ، بالي الخرقه دقيق ، قد تمكّن منه الوسخ ، وثبت فيه
ورسخ ، قد جمعه من عدة رقا ، والتقطه من متباعد البقاع ، يعبث به الأطفال
فيزط ، وينهض لناوشتهم وينط ، له مجرة يستدفعى بنارها ، ويرتضي بعاها وعارها .

وكان عاقلا ، إلا أنه عن الصلاة لا يزال غافلا ، والناس مع ذلك يذكرون له
كرامات ، ويشهدون أنه يشاهد في الملكوت مقامات .

ولم يزل على حاله إلى أن انحلّ قتلّ الحبل من الفاتولة ، وأكلته أمّ دفر^(٢)
القاتولة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

وكان يجلس عند عقبة الكتّان بدمشق .

* الوافي : ٦٩٧/١٧ ، وعقد الجمان : ١٤٩/٤ ، وفيه « الفاتولة » بالنون .

(١) في الأصل : « مكفوش » ، ولم تذكرها المعاجم ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) من أسماء الدواهي ، وفي الأصل : « دفر » ، تصحيف .

أخبرني شيخنا الذهبي ، قال : كان الفاتولة جيّد^(١) العقل ، لا يقرب الصلاة ، ولا يسأل الناس شيئاً ، فقلت أنا في ذلك :

يامعشر المسلمين هذا إبراهيم في غايّة الضلال
ومن عجيب الزمان يبدو فاتولة العصر في انحلال

٩١٤ - عبد الله الحاجب *

الأمير جمال الدين الدمرداشي .

كان رأس الميسرة في الحُجبة بدمشق ، ركائباً^(٢) بخدمة^(٣) دمرداش بن جوبان المُقَدَّم ذكره ، وحُبِسَ بعده في قلعة دمشق مدّة مديدة ، ثم أطلق ، وتولّى شدّ المسابك^(٤) بدمشق ، ثم تولّى شدّ المواريث الحشريّة بدمشق في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، فيما أظنّ ، ثم إنه تولّى مدينة دمشق في أيام الأمير يُلْبغا ، وخدم الناس وأحسن إليهم ، ثم تولّى ولاية البرّ ، وجمع له بين [ولاية]^(٥) المدينة والبرّ زماناً ، ولم يهتك مسْتوراً ، ثم إنه تولّى القبليّة وهو على حاله في خدمة الناس [ثم إنه ولي إمرة الحجويّة في الميسرة إلى آخر وقت وهو على حاله في خدمة الناس]^(٦) ومسايستهم إلى سنة تسع وخمسين

(١) في (ق) ، (س) : « ثابت » .

* الدرر : ٣١١/٢ ، ويقال : التمرتاشي .

(٢) في (ق) ، (س) : « كان ركائباً » ، والركابي : من يستخدم لخدمة عدّة الخيل من سروج ولجم ونحوها .

(٣) في (س) : « لخدمة » .

(٤) وظيفة صغيرة يتولّى صاحبها الإشراف على المسابك من الحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) .

وسبع مئة ، فعُزل عن الحُجبة ، وأُخرج إلى طرابلس بطّالاً ، فأقام بها قليلاً ، ورُسم له ^(١) بَعُودَه إلى دمشق ، فأقام بها بطالاً إلى أن توفي في ثاني القعدة يوم الجمعة سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

وكان قد حجّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وكان يزعم أنه في ولاية المدينة دخل إليه [في الليل] ^(٢) شيخ من الجن واعترف عنده أنه شرب الخمر وسأله أن يحده ، وأنه فَعَلَ به ذلك ، وطَلَبَه فلم يحده ، سمعت ذلك من لفظه غير مرّة .

٩١٥ - عبد الأحد بن أبي القاسم *

ابن عبد الغني بن خطيب حرّان الشيخ العدل بقيّة الأخيار ، شرف الدين أبو البركات بن تيمية التاجر .

سمع من ابن اللّتي في الخامسة ، ومن ابن رواحة ومُرجى ^(٣) بن شُقيرة ، وعُلوّان بن جَمَيْع .

وكان له حانوت في البَرّ ^(٤) ، ثم انقطع ، وحدث زماناً .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة في رابع شعبان .

ومولده بحرّان سنة ثلاثين وست مئة .

(١) ليست في (ق) ، (س) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ٥/١٨ ، والدرر : ٣١٤/٢ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، وذيل العبر : ٧٠ .

(٣) هو المرجى بن حسن بن علي (ت ٦٥٦ هـ) ، والسير : ٣٢٩/٢٣ ، وفيه : « ابن شقيرا » . وكذلك في ذيل العبر .

(٤) في الوافي : « في البَرّ » .

٩١٦ - عبد الأحد بن سعد الله*

ابن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عبد الأحد بن عمر ، الفقيه شمس الدين أبو محمد الحرّاني الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً ، كثير التنقل ، يستحضر الكثير من المذهب ، وسمع الكثير ببغداد وبدمشق ، وحدث ، ومن شيوخه : ابن البخاري ، وابن شيبان^(١) ، ورُقَيْة بنت مَكِّي ، وابن الواسطي^(٢) ، والعماد بن العماد^(٣) ، والنفيس بن الكمال ، والشمس بن الزين بدمشق . ومن شيوخه ببغداد : الكمال الفويرة ، والرشد بن أبي القاسم ، ويوسف بن كرم ، وابن الطّبال ، وعبد الرحيم بن الزجاج^(٤) ، وابن الدّبّاب^(٥) ، وابن المريخ ، وعبد المنعم بن عرندا . وسمع أيضاً بحجة وحلب والإسكندرية .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرّجت له جزءاً عن البغداديين^(٦) وجزءاً عن الشاميين ، وحدث بها فيهما عن أكثر من مئة شيخ .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بحران سنة ثمان وستين وست مئة ، وكان يعرف بابن نجيح .

* الدرر : ٣١٤/٢ .

- (١) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥١/٥ .
- (٢) إبراهيم بن علي بن أحمد الصالحي ، ابن الواسطي ، توفي (٦٩٢ هـ) . العبر : ٣٧٥ .
- (٣) هو العماد أحمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٧/٥ ، ووقع في الأصل : « الكمال بن العماد » ، وهو سهو .
- (٤) عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس ، ابن الزجاج . (ت ٦٨٥ هـ) . العبر : ٣٥٣/٥ .
- (٥) محمد بن محمد بن علي البّابّري (ت ٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٣/٥ .
- (٦) في الأصل : « البغداديين » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

٩١٧ - عبد الأحد بن يوسف بن الرُّزَيْنِ*

تصغير رُزَّ .

خطيب جامع القاضي كريم الدين الكبير الذي بالقبيبات^(١) ظاهر دمشق ،
خطب فيه أول يوم فرغ من عمارته في شعبان سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ، وحضره
جماعة من القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، وقصد الناس الصلاة خلفه لبركته وحسن
خطابته .

٩١٨ - عبد الباري بن أبي علي الحسين**

ابن عبد الرحمن كمال الدين بن الأسعد الأرمُني ، بهمة مفتوحة ، وراء ساكنة ،
وميم مفتوحة ، ونون ساكنة ، وتاء ثلاثة الحروف ، القرشي البكري .
سمع من [ابن] النعمان^(٢) وغيره .

كان متورعاً زاهداً ، يقطع الليل هاجداً ، عنده وسواس في النجاسات ، وتخيّل
زائد في توهم القاذورات ، بحيث إنه زاد أمره ، وتغيّر مزاجه ، وكاد يخيب فيه طيبه^(٣)
وعلاجه ، وغلبت عليه السوداء ، وما يتبعها من فساد التخيّل والأدواء ، فطلع المنبر
بقوص بعد صلاة الجمعة ، وادعى الخلافة له في كل بقعه ، ثم إنه صلح حاله بعد ذلك
قليلاً ، وبقي في عقابيل ذلك نزىلاً .

* الدرر : ٣١٥/٢ .

(١) القبيبات : كانت قرية ظاهر دمشق من جهة الجنوب أصبحت الآن حي الميدان فوقاني بدمشق .

** الوافي : ١٢/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٨٣ ، والدرر : ٣١٥/٢ .

(٢) محمد بن موسى ، كان عارفاً بمذهب مالك (ت ٦٨٣ هـ) . العبر : ٣٤٦/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من

(ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٣) في الأصل : « وكان يجيب فيه ظنه » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وكان فقيهاً مالكياً ، ثم تحوّل شافعيًا ، وحفظ كتاب ابن الحاجب في الفروع ، و (التعجيز)^(١) أكمله حفظاً بعد الشروع .

ولم يزل على حاله إلى أن لسعه ثعبان فمات من سُمّه ، وعدم روح الحياة ولذّة شَمّه ، وذلك بقوص سنة ست أو سبع وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدقوي : ذكر لي جماعة من قوص أن قاضي القضاة أبا الفتح القُشيري قال له : اكتب على باب بلدك أنه ما خرج منها أفقه منك^(٢) .

وكان عنده قح قد انتقاه وغَسَلَه بالماء فيزرعه في أرض يختارها بنفسه يتولّى زرعهِ وحصاده وطحنه ، وعنده طين طاهر يعمل منه آنية ليأكل فيها ويشرب .

٩١٩ - عبد الباقي بن عبد الحميد*

ابن عبد الله بن أبي المعالي مَتَّى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف ، الشيخ تاج الدين اليمني الخزومي .

كان أَسَمَ اللون ، ظريف الكون ، شيخاً طُوالاً ، حَسَنَ العمّة ، بعيد الهَمّة ، يدّعي في الإنشاء أشياء لو صحت كانت معجزه ، أو لو أتى ببعضها كانت من الغرائب المَوْجَزَة ، لا يَحَقِّقُ شيئاً من العلوم ، ولا ممّا يتصف به ذوو الألباب والجلوم ، نعم كانت له قدرة على النظم والنثر ، وهو فيها كثير التردّي في الرديّ والعتث .

وكان يُقرئ في المقامات والعروض ، ويحسن ما يدعيه بالتقادير والفروض ، ونظمه أقرب إلى الجوّده ، ونثره يقال فيه كما قيل : قد عرفناك يا سؤدّه ، ويكتب

(١) التعجيز في مختصر الوجيز ، لابن يونس عبد الرحيم بن محمد الموصلي المتوفى سنة (٦٧١ هـ) .

(٢) الطالع السعيد : ٢٨٣ .

* الوافي : ٢٣/١٨ ، والفوات : ٢٤٦/٢ ، والدرر : ٣١٥/٢ ، والشذرات : ١٢٨/٦ ، وذيول العبر : ٢٣٣ ، وفيه : « عبد الباقي بن عبد الحميد » . وكذلك في النجوم الزاهرة : ١٠٤/١٠ .

خطاً نقشاً ، ويجيد منه سطرّاً رَقِشاً ، وعلى كل حال فكان من أشياخ الأدب ، وجرائمه التي تَقْصَدُ بالطلب .

وكان كثير الخطّ على القاضي الفاضل ، وهذا دليلي ^(١) على أنه لم يكن ممن ينظر أو يناضل ، وكَفَتَهُ هذه الخطّة ، وحبسه بها سيئة أكفأته في هذه الورطه .

وكان يرجّح كلام ابن الأثير ، وهذا كلام من هو بين أهل الكلام ^(٢) عثير ، وبينهما عند أرباب هذا الفن من الفَرْق ، مابين القدم والفَرْق ، وبينهما من البعد والبؤن مابين الفساد والكؤن ، أو الأبيض اليَقَق والأسود الجؤن ، علم ذلك مَنْ عِلِمَه ، أو جهله مَنْ جَهَلَه .

ولم يزل على حاله إلى أن فني عبد الباقي ، ورقد في البرزخ إلى يوم التلاقي .
وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ثلاث وأربعين ، أو أوائل سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده بمكة ثاني عشر شهر رجب سنة ثمانين وست مئة .

وكان قد ورد في أيام الأفرم إلى دمشق ، وعمل رسالة سمّاها : (قلائد الحُور في المفاخرة بين المنظوم والمنثور) ، وحكّم فيها القاضي محيي الدين بن فضل الله ، فتوسّط له عند الأفرم ، فرتب له على الجامع الأموي بدمشق في الشهر مئة درهم ، وقرأ عليه الطلبة في المقامات والعروض . ثم إنه توجه إلى الين ، وكتب الدرّج بالين ، وربما وَزَرَ ، ثم إنه لما توفي المؤيد صاحب الين صادره ولّده المجاهد ، وأخذ منه ما حصله ، فورد إلى مصر سنة ثلاثين ، وقدم إلى دمشق ، ورأيت به في سنة إحدى وثلاثين ، ثم عاد إلى مصر ، وبها اجتمعت به سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وقوّض إليه تدريس المشهد النفيسي ، وشهادة البيمارستان المنصوري .

(١) في (س) : « دليل » .

(٢) في (ق) ، (س) : « البيان » .

ثم إنه ورد إلى دمشق ، ورَّتب مصدرًا^(١) بالحرم في القدس ، فأقام به مدة وتردد إلى دمشق وحلب وطرابلس ، وعَمِلَ له راتب بطرابلس ، ثم^(٢) توجَّه إلى القاهرة وأباع وظائفه ، وبها توفي رحمه الله تعالى .

وكانت له قدرة على النظم والنثر ، إلا أنه لم يكن له فيها غَوْصٌ على المعاني .

وكان ظَنِينًا^(٣) بنفسه ، يدَّعي أنه يملِي على أربع كتاب ، أو قال : خمسة في مقاصد مختلفة نظمًا ونثرًا ، ويظن مع ذلك أن كلامه خير من كلام القاضي الفاضل ، وعارض الرسائل المختارة للفاضل ، مثل (الرسالة الذهبية) ، و (فتح القدس) ، وغيرها ، فكان كمن عارض الزواهر بالذِّبَالَة^(٤) ، والجواهر بالزبالة وكان كلامه متوسطاً ، وعمل تاريخاً للين^(٥) ، وتاريخاً للنحاة^(٦) ، وليس بشيء ، وذيل على تاريخ ابن خلكان بذييل قصير جداً^(٧) رأيتُه لم يبلغ به ثلاثين رجلاً^(٨) .

وكان يعظّم نفسه ، ويطربها^(٩) ، بل يطغيها ، ولكن لكلامه وقع في النفوس ، وديباجة إذا أطنب في وصف نفسه ، وتعيش بذلك زماناً ، وقر عقولاً أغماراً .

وأنشدني من كلامه المنظوم والمنثور كثيراً ، وكتب على^(١٠) أشياء وقف عليها من تصانيفي تقرّبطاً بالنظم والنثر ، فمن ذلك ما كتبه على كتابي (جنان الجناس) :

(١) أي : مدرّساً .

(٢) في (س) : « ثم إنه » .

(٣) في (ق) ، (س) ، والفوات : « ضنين » .

(٤) في الوافي : « بالزبالة » .

(٥) اسمٌ : بهجة الزمن في تاريخ الين ، مطبوع .

(٦) اسمٌ : إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، خ .

(٧) اسمٌ : لقطّة العجلان في مختصر وفيات الأعيان .

(٨) في الأعلام للزركلي : ٢٧٢/٣ : « زاد فيه تراجم اثنين وثلاثين شخصاً من أهل الين وغيرهم » . خ .

(٩) في الأصل : « ويطربها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(١٠) في الوافي : « على » .

يُعِينُ الْمُعَانِي فِيهِ جُلٌّ مَعَانٍ
طَرَائِقُ وَشِيٍّ أَوْ سَمُوطِ جُنَانٍ
قَدَامَةٌ قَدَمًا جَاءَهَا بَيَّانٌ^(١)
بِدَائِعُ فَضْلٍ مِنْ بَدِيعِ زَمَانٍ
رَقِيقٌ يُنَسِّنُنَا جَلِيلٌ حِسَانٌ^(٢)
تَقُولُ لَهُ أَقْصَرُ فَلَسْتُ بِدَانٍ^(٣)
وَمَا لَكَ فِي سَبْكِ النُّضَارِ يَدَانِ
فَرَائِدُ مَا جَاءَتْ لَهْنُ ثَوَانٍ
حَظِيرَةٌ بَانَ عِنْدَ حَضْرَةِ بَانَ
مَدَامَعُ شَأْنٍ فِي مُحَاجِرِ شَأْنٍ
رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانٍ
لِحُسْنِ بَيَّانٍ مِنْ يِرَاعٍ بَنَانٍ

جِنَانٌ جِنَاسٍ فَاقِ جِنْسَ جِنَانٍ
لَقَدْ نَوَّعَ الْأَجْنَاسَ فِيهِ مَوْءَفٌ
غَدَا نَاهِجًا فِيهِ مَنَاهِجٌ لَمْ يَكُنْ
مَقَاصِدُ مَا نَجَّلُ الْأَثِيرَ مَثِيرَهَا
مُحَرَّرَةٌ الْأَلْفَاظِ لَكِنَّ حُسْنَهَا
إِذَا ابْنُ فَتَى نَجَّلَ الْحَدِيدَ أَرَادَهَا
وَمَا أَنْتَ مَنْ يَسْبُكُ التَّبَرَّ نَاقِدًا
لَقَدْ أَطْرَبْتَ أَيْبَاتِهِ كُلَّ سَامِعٍ
تَفُوحُ بِأَرْوَاحِ الصَّبَا نَفَحَاتُهَا
لَقَدْ صَيَّرَ الْحَسَادَ تَذَرْفَ دَمْعِهَا
أَقُولُ لِنَظْمِي حِينَ حَاوَلَ شَأُوهَا
بَقِيَتْ صِلَاحُ الدِّينِ لِلْفَضْلِ صَالِحًا
فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ارْتِجَالًا :

وَتَرْجِيعِ (بَمْ) عِنْدَ خَفَقِ مَثَانٍ
فَا زَهْرُ رَوْضٍ مِنْ حُلَاةِ بَدَانٍ
يُصَرِّفُهُ يَوْمِيٌّ نَدَى وَيِيَانٍ
غَدَا النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ بِأَمَانٍ
فَذَلِكَ أَوَانٌ لَيْسَ فِيهِ بِوَانٍ
هَزَّ يِرَاعٍ أَوْ بِسَلِّ يَمَانٍ
بَشْعِرٍ وَلَكِنْ بِالْجَنَانِ حَبَانِي

لَا إِلِيَّ غَوَالٍ مِنْ خُلِيٍّ غَوَانٍ
أَمْ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ نَظَمَ شَعْرَهُ
إِمَامٌ زَمَامُ الْفَضْلِ أَضْحَى بِكَفِّهِ
وَزَيْرٌ بِتَسْدِيرِ الْمَالِكِ عَارِفٌ
إِذَا هُوَ جَارِي الْغَيْثِ يَوْمَ سَاحِهِ
يَشِيدُ مَبَانِي الْمَجْدِ فِي حَوْمَةِ الْعُلَى
فَأَقْسَمُ مَا أَثْنَى عَلَى مَا وَضَعْتَهُ

(١) قَدَامَةٌ بِنِ جَعْفَرٍ صَاحِبِ كِتَابِي تَقْدِ الشَّعْرِ وَنَقْدِ النَّثْرِ .

(٢) فِي الْوَاقِفِ : « حَلِيلٌ » .

(٣) ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ، شَارِحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ .

جناسٌ بديعٌ لو تقدّم عصره أبانٌ لنا في ذاك عَجَزَ أبان^(١)
فشكري ما وفى حقوقَ صنيعه وكيف بشامٍ شامَ برقَ يمانٍ
وأنشدني من لفظه لنفسه :

تَجَنَّبُ أَنْ تُذَمَّ بِكَ اللّياي وحاول أن يُذَمَّ لك الزمان
ولا تحفِـل إذا كَمَلْتَ ذاتاً أَصَبْتَ العِزَّ أَمْ حَصَلَ الهِوانُ
قلت : أخذ الأول من قول الأول ، وهو أحسن :

جَهْلُ الفتى عارٌ عليه لذاته وخوْلُهُ عارٌ على الأيّام
وأنشدني من لفظه لنفسه :

بَخِلْتُ لَوَاحِظٍ مَنْ رَأَيْنا مُقْبِلاً بِرُمُوزِها ورموزهنّ سلامٌ
فَعَذَرْتُ نَرْجِسَ مَقْلَتِيهِ لَأَنَّهُ يَخْشَى العِذارَ لَأَنَّهُ نَمَامٌ
قلت : أخذه من قول الأول ، وهو أحسن ، وأكمل :

لا فِتْـضَاحِي في عِوارِضِهِ سَبَبٌ والناسَ لِنِوَامٍ^(٢)
كَيْفَ يَخْفَى ما أَكْبَدُهُ والذّي أهْـواه نَمَامٌ
وأنشدني من لفظه لنفسه في حمار وحش :

حِمارٌ وحشٍ نَقَشَهُ مُعْجَبٌ فلا يُضَاهِي حُسْنَهُ في المِلاحِ
فُؤَدُ غِدا في حِـسْنِهِ أوْحِداً تشاركا فيهِ المَساءَ والصِّباحِ^(٣)

(١) أبان بن عبد الحميد اللاهطي ، شاعر عباسي ، نظم كتاب كلیلة ودمنة شعراً .

(٢) في الواقي : « نَوَام » .

(٣) في (ق) ، (س) ، والواقي ، والقوات : « في الدجى » .

قلت : فيه إضمار قبل الذكر ، ولا يجوز في الأفصح ، ولغة « أكلوني البراغيث »
مرذولة وأحسن من هذا قول القائل في فهد :

تنافس الليل فيه والنهار معاً فقمّصاهُ بِجِلْبَابٍ مِنَ الْمُقَلِّ^(١)
وأنشدني من لفظه لنفسه :

لا أعرف النوم في ليلي حفا ووفاً كأن جفني مطبوع من السُّهد
فليلة الوصل تمضي كلها سمرأً وليلة الهجر لا أغنى من الكمد

وأنشدني من لفظه لنفسه وقد زاد جمال الدين بن نباته الشاعر بدمشق ، فرأى في
بيته غملاً كثيراً :

مالي أرى منزل المولى الأديب به غلّ تجمّع في أرجائه زُمراً
فقال لا تعجباً من غلّ منزلنا فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا^(٢)

٩٢٠ - عبد الحافظ بن عبد المنعم *

ابن غازي بن عمر بن علي المقدسي ، الشيخ المحدث أبو محمد .

سمع الكثير على الحافظ ضياء الدين ومن بعده من الشيوخ ، ونسخ الكثير لنفسه
وللناس ، ثم إنه بعد ذلك كتب الشروط ، وارتزق بذلك في أيام الشيخ شمس الدين
ومن بعده من قضاة الحنابلة ، وكان يكتب خطأ حسناً . ومن شيوخه : المرسى ، ومكي
ابن علان ، وابن مسلمة ، وخطيب مردا ، والصدر البكري ، واليلداني ، وإسماعيل
العراقي ، وإبراهيم بن خليل ، والعماد بن النحاس . وسمع بجلب والقدس ، وكان يضبط
أسماء السامعين ، ويكتب الطباقي .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبع مئة .

(١) في الأصل : « تنافس فيه الليل » ، ولا يستقيم ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) في الوافي : « منزله » . وفي البيت تورية باسم سورة النمل والشعراء ، وهما متتابعتان .

* الدرر : ٣١٨/٢ ، ووقع في الأصل : « عبد الحفيظ » ، سهو .

٩٢١ - عبد الحافظ بن بدران*

ابن شَيْثَل بن طَرْخَانَ الزاهد القُدْوَة ، المسند الرحلة عماد الدين أبو محمد النابلسي المقدسي ، شيخ نابلس .

قدم دمشق في صباه ، وسمع الكثير من الشيخ موفق الدين ، وموسى بن عبد القادر ، وابن راجح^(١) ، وأحمد بن طاوس ، وزين الأمانة ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن الزبيدي ، وجماعة .

وأجاز له أبو القاسم بن الحَرَسَتَانِي ، وأبو البركات بن مُلَاعِب .

تفرّد بأشياء أسمعها ، واختص بمحاسن أجرى مياهاها وأنبعها ، قُصِدَ من البلاد للسمع والتبرك ، وطلب^(٢) لتسكين القلق والتحرك .

كان كثير الأوراد والتلاوة ، والاجتهاد في الانجماع على ذلك علاؤه ، ملازماً بيته إلى جانب مسجده ، مقبلاً على شأنه في تعبده ، بنى بنابلس مدرسة ، وجدد طهارتها ، وتحيل كثيراً إلى أن أتقن عمارتها ، إلا أن الكيمياء استحوذت على عقله ، ورمت فؤاده [منها]^(٣) بنبله ، فعالج لواعجها ، ونافح أكوارها ، ولا أقول : نوافجها ، ولم يصح له [فيها]^(٤) كغيره تدبير ، ولا علم فيها قبيلاً من دبير ، ثم إنه ترك هذا الهوس ، وقال له التوفيق : قد قصرت لما طوّلت فيها^(٥) النفس .

ولم يزل على حاله إلى أن ضاع عبد الحافظ ، وألقاه في حفرة اللافظ .

* الوافي : ٥٧/١٨ ، والعبر : ٣٨٨/٥ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ .

(١) أحمد بن محمد بن خلف (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٥/٢٣ .

(٢) في (ق) ، (س) : « طلباً » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « في فيها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وقد شارف التسعين .
وأول سماعه سنة خمس عشرة وست مئة ، رحل إليه ابن العطار وعلم الدين
البرزالي ، وسمع منه شمس الدين بن مُسلم ، وابن نعمة ، وجماعة ، وقرأ عليه الشيخ
شمس الدين الذهبي عشرة أجزاء .

٩٢٢ - عبد الحق بن محمد*

الشيخ الإمام المحدث مجد الدين أبو محمد .
سمع الكثير كأخيه من أصحاب ابن كليب ، واليُوصيري ، وحدث ، وهو أخو
تاج الدين عبد الغفار السَّعْدِي^(١) .
أجاز لي بخطه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وقد نيف على الثمانين .

٩٢٣ - عبد الحق بن أبي علي**

ابن عمرو بن محمد بن عمرو الصدر أمين الدين المعروف بالفارغ الجوي .
كان فاضلاً عاقلاً كثير الأدب ، جيد النظم والنثر ، حسن الترسل والإنشاء متفرداً
بجل المترجم .
توفي بالقاهرة في رابع عَشري المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .
وبعضهم قال فيه : عبد الخالق ، وسيأتي في مكانه .

* الوافي : ٦٧/١٨ ، والدرر : ٣١٩/٢ .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

** تالي وفيات الأعيان : ١٢٥ ، والدرر : ٣١٨/٢ ، وانظره بعد قليل باسم عبد الخالق .. وسيذكر
للؤلف أن وفاته سنة (٧١٢ هـ) ومولده سنة (٦٣٨ هـ) . وبينهما خلاف واضح .

٩٢٤ - عبد الحميد بن منصور*

ابن علي بن عبد الجبار الأنصاري .

سمع من علي بن عبد الواحد ، وإسماعيل بن أبي اليسر ، وغيرها .
وأجاز لي بخطه في السنة التي توفي بها رحمه الله تعالى ، وهي سنة تسع وعشرين
وسبع مئة في ذي القعدة .

ومولده في سنة ست وخمسين وست مئة .

٩٢٥ - عبد الحميد بن عبد الرحيم**

ابن أحمد بن حسان ، الشيخ المعمر الكبير تاج الدين أبو عبد الله الحريري
الدمشقي .

أصله من وادي التيم ، ذكر أنه يعرف الملك الأشرف والملك الكامل .

أُقْعِدَ في^(١) أواخر عمره سنين ، وكان مقبلاً عند القضاة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ظهر سماعه (لجزء ابن عرفة) على ابن
عبد الدائم ، وحَدَّث به غير مرة . قال : قرأته عليه قبل موته بقليل .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٩٢٦ - عبد الخالق بن عبد السلام***

ابن سعيد بن غُلّوان القاضي الإمام تاج الدين أبو محمد المعري ، الأصل ،
البلعبي ، الشافعي ، الأديب .

* الوافي : ٨٦/١٨ .

** لم تقف على ترجمة له .

(١) في (ق) ، (س) : « من » .

*** الوافي : ٩٢/١٨ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

حدّث عن الشيخ الموفق ، والبهاء عبد الرحمن ، والمجد القزويني ، والكاشغري ،
والعزّ بن رواحة ، والتقي أبي أحمد علي بن واصل البصري ، وأحمد بن هشام الليلي^(١) ،
والزكي أبي عبد الله البرزالي ، وجماعة .

وأجاز له الكندي ، وروى الكثير ، وتفرّد في وقته بالرحلة [إليه والمسير]^(٢) ،
وحدّث بدمشق (بسنن ابن ماجه) ، وكان الطلبة إليه في جدّ حاجة . وكان صاحب
أوراد وقيام في الدياجي وبكاء من خشية الله وخطاب وتناجي .

ودرس بالأمنية بدمشق ، وولي قضاء بعلبك ، وحُمدت أحكامه ، وشكرت
سيرته وأيامه .

ولم يزل على حاله إلى أن راح عبد الخالق إلى مَنْ خلّقه ، وأوضح له من صبح^(٣)
الهدى فلّقه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثلاث وست مئة . فأناف على التسعين .

وسمع شيخنا الذهبي منه (سنن ابن ماجه) وأكثر عنه ، وهو من أكبر شيوخه ،
وحدّث عنه أبو الحسين اليونيني والميزي .

ومن شعره ... (٤) .

(١) في الأصل والوافي : « الليلي » ، تصحيف ، وهو أحمد بن تميم بن هشام ، نسبة إلى لبله ، بلدة في
الأندلس ، (ت ٦٢٥هـ) ، الشذرات : ١١٦/٥ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « سبل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) كذا في الأصول والوافي .

٩٢٧ - عبد الخالق بن أبي علي *

ابن عمر بن محمد بن عمر الصدر الفاضل الكبير عفيف الدين أبو الفضائل بن الصدر علاء الدين بن زين الدين بن الفارغ الحموي الشافعي .

قال شيخنا البرزالي : رَوَى لنا عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز (جزء ابن عرفة) ، قرأه عليه في سنة خمس وخمسين وست مئة ، وعن ابن عبد الدائم والنجيب عبد^(١) اللطيف ، وسمع من الباذرائي وجماعة .

وكان موصوفاً بالبروءة والمكارم ، وقضاء الحقوق ، وهو ابن أخت قاضي القضاة تقي الدين بن رزين .

وكان تقدّم له اشتغال ، وحفظ (التنبيه) ، وقرأ الحديث ، ثم إنه خدم بعض الأمراء بالقاهرة ، وولي نظر الصدقات بدمشق مدة ، وسكن درب العجم .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سلخ رجب سنة ثمان وثلاثين وست مئة .

وقد تقدّم ذكر أخيه عبد الحميد في مكانه .

وبعضهم سمّاه عبد الحق ، وقد تقدّم في مكانه .

٩٢٨ - عبد الرحمن بن إبراهيم **

ابن عبد الله بن أبي عمر المقدسي ، الشيخ الإمام الفاضل الزاهد عز الدين

* التالي : ١٢٦ ، والدرر : ٣/٣٢٠ ، وسلف الحديث عنه قبل قليل باسم عبيد الحق بن أبي علي بن

عمرو بن محمد بن عمرو بن . وذكر وفاته هناك سنة (٧١١ هـ) . ومولده (٦٥١ هـ) .

(١) في (س) : « ابن عبد » سهو .

** الوافي : ٩٩/١٨ ، وترجمته فيه مبسرة ، والدرر : ٢/٣٢١ ، والشذرات : ١٠٠/٦ .

أبو الفرج بن الشيخ الإمام عز الدين بن الخطيب شرف الدين بن الشيخ الإمام القدوة أبي عمر محمد بن قدامة . سمع من ابن عبد الدائم ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وسمع من والده ، ومن عمّ والده الشيخ شمس الدين ، وعمّر الكرمانى ، وعبد الولي ابن جبارة ، وأحمد بن جميل^(١) ، وأبي بكر الهروي وجماعة .

وكان رجلاً صالحاً كثير الخير مواظباً على أفعال البرّ فقيهاً فاضلاً ، درباً مناضلاً ، يعرف الفرائض ، ويغوص في بحرها على الغوامض ، ويده فيها طولى ، ويورد فيها مذاهب عجيبة وتقولا .

واشتغل عليه خلق كثير ، وانتفع به جم غفير ، وخرّج له شمس الدين بن سعد^(٢) (مشيخة) قرأها عليه شيخنا علم الدين البرزالي .

ولم يزل على خير إلى أن لقي الله ربّه ، ووجد عنده ما أحبه .

وتوفي رحمه تعالى في ثامن شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تاسع جمادى الأولى سنة ست وخمسين وست مئة .

وحجّ مرّة مع الشيخ شمس الدين ، وكمل عليه كتاب (المقنع)^(٣) بالمدينة ، وحجّ بعد ذلك مرّات .

٩٢٩ - عبد الرحمن بن أحمد*

ابن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي ، الشيخ الفقيه الإمام الزاهد ناصر الدين بن المغيزل الحموي .

(١) في الأصل : « حنبلي » ! ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، ولم نهتد إلى ترجمته .

(٢) يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في فروع الحنبلية لعبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، الكشف : ١٨٠٩/٢ . وهو مطبوع .

* الدرر : ٣٢٥/٢ .

كان مدرّس العسرونية ، وكان فقيهاً صالحاً ، متواضعاً ديناً متعبداً .

توفي رحمه الله تعالى في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة سبع وسبع مئة بحجة .

٩٣٠ - عبد الرحمن بن أيوب *

تاج الدين مغسّل الموقى .

أقام يغسل الموقى نحواً من ثمانين سنة . وكان رحمه الله تعالى تعافه النفوس ، وتنفر منه للامزمة التغسيل والنزول في الرموس ، لأنه اتّصف بالقساوه ، وعدم المبالاة بأمر بينه وبين الحياة اتّصاداً وعداوه .

رسم في وقت الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بقتله بالمقارع فشفعوا فيه ، فنقل حانوته من طريقه ، وكان يمرّ عليه إذا توجّه إلى دار الذهب ، وكانت دكانهم في الكفّتين ، فنقلوا منها . وسئل قبل موته : كم غسلت من الأموات ؟ فقال : ستين ألف ميت ، وكان ذلك قبل موته بمدة .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الغاسل غسيلا ، وصبّحته نائبات المنايا وكان لها رسيلا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وكان من أبناء الثمانين .

٩٣١ - عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد **

ابن عمر بن أبي بكر [بن ^(١) عبد الله بن الشيخ الفقيه الفاضل تقي الدين أبو محمد المقدسي الحنبلي .

* لم نقف على ترجمة له .

** الدرر : ٣٢٦/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

كان فاضلاً في الفقه والحساب والفرائض والمساحة . وكان يوصف بالشجاعة والأمانة والهمة .

روى عن ابن عبد الدائم (جزء ابن الفرات)^(١) . قال شيخنا البرزالي : قرأته عليه بمسجد رسول الله ﷺ .

وتوفي في يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٩٣٢ - عبد الرحمن بن أبي بكر *

ابن [محمد بن] محمود القاضي كال الدين البسطامي الحلبي الحنفي .

ناب في الحكم بالقاهرة ، وكان إماماً بالقبة المنصورية ، ومدرّساً بالمدرسة الفارقانية .

كان قد عجز عن الحركة ولزم بيته . وكان قد سمع من النجيب عبد اللطيف^(٢) من الموافقات المخرّجة له ، وحدث عنه بأكثر (سنن أبي داود) . وكان يحفظ كتاب (الهداية) في الفقه .

ونزل عن الفارقانية ، والترتبة الأشرفية لولده الفقيه سراج الدين عمر^(٣) .

٩٣٣ - عبد الرحمن بن الحسن **

الفقيه الإمام القدوة الربّاني البركة نجم الدين اللخمي المصري القِبّابي ، بالقاف والباء الموحدة وبعدها ألف وباء ثانية الحروف . والقباب قرية بناحية دميّاط .

(١) أحمد بن الفرات البرازي ، أبو مسعود (ت ٢٥٨ هـ) ، السير : ٤٨١/١٢ ، والكشف : ٥٨٥ .

* الدرر : ٣٢٦/٢ ، وما بين حاصرتين من (ق) ، (س) ، والدرر .

(٢) توفي سنة (٧٢٨ هـ) ، كما في الدرر .

(٣) كذا في الدرر : ١٦٩/٣ أنه زين الدين (ت ٧٧١ هـ) .

** الوافي : ١٣٣/١٨ ، والدرر : ٣٢٧/٢ ، والشذرات : ١٠٧/٦ .

تفقّه للإمام أحمد ، وبرئ به طرف الزهد وكان أُرمد ، نزع من مصر بأهله ، ونزل في حمص برخله ، فانزوى بها ، وخيم بين قباها ، وفتح حانوت فاخوري^(١) لأجل البلاغ ، وتحصيل مال للعيال فيه مساع ، وكان ينبّه^(٢) المشتري على عيوب الآنية ، ويحتهد في إعلامه خوفاً من أن يُسقى من عين آنية^(٣) . ثم إنه تحوّل إلى حماة ، فعرف به صاحبها ، فأواه وحماه ، وأقبل عليه وكان يزوره ، ويعدّ أن ذلك خبره ، فاشتهر أمره ، وقصد بالزيارة مقرّه .

ولم يزل على حاله إلى أن لقي باب قبره القبائي مفتوحا ، وقال روحه الطيب للملكيه : رُوحا .

وتوفي رحمه الله تعالى بحمّة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وحمل على الرؤوس ، وقبره الآن بحمّة يزار .

حدّث بشيء يسير عن عيسى المطعم ، كان قد سمع منه (مسند) الدارمي ، وترك المدارس بمصر ، وتوجّه إلى حمص . وكانت له جنازة عظيمة إلى الغاية .

٩٣٤ - عبد الرحمن بن رواحة*

ابن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة ، الشيخ الجليل المسند زين الدين بن أبي صالح الأنصاري الحموي الشافعي نزيل مدينة سيوط .

(١) في الوافي : « ثم فتح له فاخورياً » .

(٢) في الوافي : « بنته » ، تصحيف .

(٣) في الأصل : « غير آنية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو يشير إلى قوله تعالى في حديث عن أهل النار : ﴿ تُسقى من عين آنية ﴾ الغاشية : ٥/٨٨ .

* الوافي : ١٤٥/١٨ ، والدرر : ٣٢٨/٢ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيول العبر : ١٢٦ ، والسلوك : ٣٣٩/١/٢ .

سمع من جدّه لأُمّه أبي القاسم بن رواحة عدة أجزاء منها : (القناعة) لابن مسروق^(١) ، وسمع من صفية بنت الحَبَقْ جزءاً من (معرفة الصحابة) لابن مندة وهو الثامن ، وللبغوي ، وله إجازة من ابن رُوْزْبَةِ والشيخ شهاب الدين السهروردي ، وطائفة .

وتفرد في زمانه ، وتأخر عن أقرانه ، واختفى ذكره مدّة ، ثم إنه تنبّه له من الطلبة عدّه ، وحدث في آخره عمره وخاتمة أمره .

ولم يزل على حاله إلى أن خرج روح ابن رواحه ، ولقي من الله جودّه وسماحه . وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان كاتباً في سَيُوط .

٩٣٥ - عبد الرحمن بن عبد الرحيم*

ابن عبد الرحمن بن إسماعيل بن رافع العثماني القوسي الكيزاني سديد الدين .

سمع من مجد الدين القُشَيْرِي ، ومن ابنه الشيخ تقي الدين^(٢) ، ومن عبد العظيم^(٣) ، ومن ابن بَرُطْلَةَ ، ومن ابن عبد السلام ، وغيرهم وحدث بقوص .

سمع منه شرف الدين النصيبي وغيره . وحدث بالقاهرة ، وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين .

(١) أبو العباس ، أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي (ت ٢٩٨ هـ) ، السير : ٤٩٤/١٣ ، ووقع في (س) : « مرزوق » ، تحريف .

* الوافي : ١٥٨/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٨٧ ، والدرر : ٣٣٠/٢ .

(٢) ابن دقيق العيد القشيري محمد بن علي بن وهب ، انظر : الطالع السعيد ٥٦٧ .

(٣) هو الزكي المنذري (ت ٦٥٦ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

وكان خفيف الروح مطبوعا ، سليم الصدر متبوعا ، إذا انشرح أضحك الثكلى ،
وتحقق السامع أنه لا يرى له شكلا ، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ينسب
معه ، ويهش له إذا سمعه ، وينشده ، ويبرّه ويرفده .
ولم يزل على حاله إلى أن وقع السديد في الكرب الشديد ، وراح إلى المبدى
المعيد^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس عشرة وسبع مئة .
ومولده بقوص سنة أربع وعشرين وست مئة .
وكان ابن دقيق العيد إذا رآه وخلا به أنشده :
بين السديد والسداد سدد كسدد ذي القرنين أو أشد^(٢)

٩٣٦ - عبد الرحمن بن عبد اللطيف *

ابن محمد بن عبد الله بن ورّيد^(٣) المكبر البزاز ، المعروف بالقويّرة ، الحنبلي المقرئ
المحدث .

كانت له إجازة من ابن طبرزد ، وابن سكينه ، وأحمد بن الحسن العاقولي^(٤) ،
والحسين بن شنيف^(٥) ، وعبد الملك بن مبارك قاضي الحريم ، ومحمد بن هبة الله بن
كامل الوكيل^(٦) ، وابن الأخضر^(٧) ، وأبي البقاء العكبري ، وسليمان بن الموصلي^(٨) ،

(١) في (س) : « والمعيد » .

(٢) الطالع السعيد : ٢٨٧ .

* الوافي : ١٥٩/١٨ ، وغاية النهاية : ٣٧٢/١ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ .

(٣) في الأصول : « وريدة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وقد ضبطه المؤلف هناك .

(٤) (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢/٥ .

(٥) هو الحسين بن سعيد بن شنيف (ت ٦١٠ هـ) ، الشذرات : ٤٢/٥ .

(٦) (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٣٠/٥ .

(٧) عبد العزيز بن محمود بن المبارك (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٣١/٢٢ .

(٨) هو سليمان بن محمد بن علي (ت ٦١٢ هـ) ، والشذرات : ٤٩/٥ .

وعبد الله بن المبارك بن أحمد بن سكيّنة وغيرهم . وسمع من ابن صرّما ومحمود بن مندة وعمر بن كرم^(١) ، ويعيش بن مالك بن ريجان^(٢) ، وأبي القاسم بن علي بن يوسف بن أبي الكرم الحامي ، ومحمد بن الحسن بن أسلم الفرغاني ، ومحمد بن أحمد بن صالح الجيلي ، وزيد بن يحيى بن هبة ، وأبي الحسن محمد [بن محمد] بن حرب النّزسي^(٣) .

وقرأ القراءات على الفخر الموصلي صاحب يحيى بن سعدون القرطبي^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى ببغداد في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان شيخ المستنصرية في عصره لعلو إسناده ، قارب المئة سنة .

قال شيخنا البرزالي : أجاز لي ولولدي محمد غير مرّة ، وهو آخر من روى بالإجازة عن ابن طبرزد ، وابن سكيّنة .

٩٣٧ - عبد الرحمن بن عبد المحسن *

ابن حسن بن ضرغام بن صمّام ، العدل الفقيه المعمر ، كمال الدين الكناني^(٥) المصري المنشاوي الحنبلي .

سمع من سبط السّلفي ، والصدر البكري ، وطائفة .

وسمع منه شيخنا الذهبي .

(١) الحامي (ت ٦٢٩ هـ) .. السير : ٣٢٥/٢٢ ، والشذرات : ١٣٢/٥ .

(٢) (ت ٦٢٢ هـ) ، الشذرات : ١٠٦/٥ .

(٣) في الأصل : « للرسي » ، تحريف ، (ت ٦٢٦ هـ) ، السير : ٩١/٢٢ .

(٤) (ت ٥٦٧ هـ) ، السير : ٥٤٦/٢٠ .

* الوافي : ١٧٥/١٨ ، والدرر : ٣٣٤/٢ ، وذيول المعبر : ١١٢ ، والسلوك : ٣١٣/١/٢ .

(٥) في الأصل : « ابن الكناني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والدرر .

كان يخطب بالمنشأة^(١) التي لقناطر الأهرام ، وصار عدلاً بالقاهرة دهرًا ، واختبل^(٢) قبل موته بنحو من أربعة أشهر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بالمنشأة سنة سبع وعشرين وست مئة .

٩٣٨ - عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر*

ابن شهاب ، الإمام المفتي الشيخ تقي الدين أبو الفرج الواسطي الشافعي ، محدث واسط .

قَدِمَ دمشق ، وحجَّ^(٣) مرَّات ، وسمع هو وشيخنا الذهبي ، وأخذ عن الخزومي^(٤) ، وبنت جوهر^(٥) ، والموجودين .

وكان ذا مروءة ، ومحاسن مخبوءة ، متواضعاً لمن يلقاه^(٦) ، إذا رأى شراً بصاحبه توقاه ، كيساً خيراً ، ذا باطن بالإخلاص نيراً .

قال شيخنا شمس الدين : حصل كثيراً من مروياته ، وحدَّثنا عنه ابن ثردة الواعظ ، وصحب الشيخ عز الدين الفاروئي .

(١) كذا في الأصل و (ق) و (س) . وفي الوافي : « لِلْمَنْشِئَةِ » ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان : ٢١٠/٥ .

(٢) في الأصل : « واختل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والدرر .

* الوافي : ١٧٦/١٨ ، ووفيات ابن رافع : ١٩٢/١ .

(٣) في الأصل : « وحدَّث » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) كذا في الأصل والوافي . وفي (ق) ، (س) : « الْمَخْرَمِي » ، ولعلها أصح ، والمخرمي ، هو : إبراهيم بن أبي الحسن بن صدقة ، سلفت ترجمته .

(٥) فاطمة بنت إبراهيم (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمتها في موضعها .

(٦) في (س) : « تَلَقَّاه » .

وتوفي رحمه الله تعالى [ببغداد]^(١) سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وسبعين وست مئة .

٩٣٩ - عبد الرحمن بن عبد المولى بن إبراهيم*

الشيخ المسند أبو محمد اليلداني الصحراوي .

سمع الكثير من جدّه تقي الدين ، والرّشيد^(٢) العراقي ، وابن خطيب القرافة ،
وشيوخ الشيوخ الأنصاري ، وأجاز له العَلَم السَّخَاوي ، والحافظ ضياء الدين ،
وآخرون .

وتقرّد بأشياء ، وسمع منه الأمير سيف الدين [تنكز]^(٣) نائب الشام رحمه الله
تعالى كتاب (الآثار) للطَّحَاوِي^(٤) ، ووَصَلَه ورَتَّب له مرتباً . وكان فقيراً ، ثم عمي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع
مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة ، وهو سبط اليلداني .

٩٤٠ - عبد الرحمن بن عبد العزيز**

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد ابن هلال ، فخر
الدين أبو محمد الأزدي الدمشقي .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٧٨/١٨ ، والدرر : ٣٣٤/٢ ، والشذرات : ٦٧/٦ .

(٢) في الوافي : « تقي الدين الرشيد » ، ولا يصح .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١) . انظر : الأعلام ٢٠٦/١ ، والكشف : ١٧٢٨/٢ ، واسم كتابه :

(مشكل الآثار) ، وهو مطبوع .

** الدرر : ٣٣٢/٢ .

كان عدلاً ابن عدل ابن عدل ، كان منقطعاً عن الناس ملازماً لبيته وعياله ، ليس له تعلق بغير ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في بستانه بالنيرب ظاهر دمشق ، في صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد روى شيئاً من الحديث عن ابن أبي اليسر ، وسمع من جماعة . وحجّ وحدث بطريق الحجاز .

ومولده في المحرم سنة ثلاث وستين وست مئة بدمشق .

٩٤١ - عبد الرحمن بن عبد الوهاب*

ابن علي بن أحمد بن عقيل ، الإمام الخطيب ضياء الدين بن الخطيب السلمي البعلبكي .

سمع من أبي المجد القزويني كتاب (شرح السنة)^(١) ، وكان خاتمة أصحابه ، وسمع من ابن اللّتي ، وابن الصّلاح .

وكان خيراً متواضعاً ، يخضب بالحمرة ، وبقي في الخطابة بضعا وخمسين سنة ، وسمع منه شيخنا الذهبي .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث صفر سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة أربع عشرة وست مئة .

* الوافي : ٦٨٣/١٨ ، والدرر : ٣٣٥/٢ ، والشذرات : ٩/٦ ، وذيول العبر : ٢٤ ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ .

(١) للبغوي ، حسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) . والكتاب مطبوع بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط .

٩٤٢ - عبد الرحمن بن علي *

ابن إسماعيل بن يحيى بن البارزي ، الصدر الكبير زين الدين بن علاء الدين المعروف بابن الولي الحموي .

كان متعياً في بلده ، وله مكانة عند الملك المؤيد ، وعند ولده الأفضل ، وكان وكيل بيت المال بحماة ^(١) ، وبنى بها جامعاً ، وصلى فيه .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ^(٢) وسبع مئة .

٩٤٣ - عبد الرحمن بن عمر **

الصدر الرئيس شرف الدين بن صاحب فخر الدين بن الخليلي .

كان قد ورد إلى دمشق متولياً نظير ديوان سلاّر عوضاً عن القاضي عماد الدين بن ريان .

وكان شاباً عاقلاً ، عنده سكون ومعرفة ، وفيه رياسة وحشمة .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع صفر سنة تسع وسبع مئة .

وكان قد حضر بعده على نظير الدواوين المذكورة ^(٣) عز الدين محمد بن كمال الدين عبد القادر بن منهال ، وسيأتي ذكره .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٩/٤ ، والدرر : ٣٣٧/٢ ، وفيه : « ابن يحيى بن إسماعيل » .

(١) في الأصل : « لبيت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وستين » ، سهو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، ومصادر ترجمته .

** الدرر : ٣٤٠/٢ .

(٣) في (ق) ، (س) : « الديوان للذكور » .

٩٤٤ - عبد الرحمن بن عمر بن علي *

الهاشمي الجعفري الشنشتري^(١) ، الطبيب نور الدين ، الحكيم الطبيب .

كان فاضلاً في علوم ، وكتب المنسوب الذي أحجل الذرّ المنظوم ، وبرع في الإنشاء والأدب وأيام الناس من العجم والعرب ، واتصل بعلاء الدين صاحب الديوان ، فأجله مع أصحابه في الإيوان ، وحصل بالطب أموالاً ، وتقدم في الدولة فما يدري أعادى الناس أم والى ، ثم إنه أقبل على التصوف ، ودخل في التصوّ^(٢) ورحل عن التشوف والتسوف ، وخاض تلك الغمرات ، وترنم بذكر البان وليالي السّمّرات ، وعمرّ خانقاه ، جعل نفسه شيخها المشار إليه ، وكبيرها الذي يفد الناس عليه ، وعظم شأنه عند خربندا ، وبقي دخله في العام سبعين ألفاً .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل النور من الأرض في ظلماتها ، وذكر الناس به أيام الفضل وطيب أوقاتها .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة [وقد أسنّ]^(٣) .

وكان قد قدم بغداد ، ونزل بالنظامية ، وتفقه ومهر في الطب ، وتخرّج^(٤) بابن الصباغ ، وابن القسيس ، ونوّه عز الدين الجعفري متولّي البصرة بذكره ، وهو والد الشيخ نظام الدين يحيى^(٥) الذي كان شيخ الربوة بدمشق ، وعاد إلى بغداد .

* الوافي : ٢٠٦/١٨ ، والدرر : ٣٣٩/٢ .

(١) في الدرر : « الجعفري التستري » .

(٢) كذا في الأصول .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، وعبرة الوافي : « وقد شاخ » .

(٤) في الأصل : « تخرّج » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

٩٤٥ - عبد الرحمن بن عمر بن صومع الدير قانوني*

الشيخ الصالح أبو محمد سبط الشيخ زين الدين بن عبد الدائم .

سمع من ابن اللّتي ، والهمذاني ، والحافظ ضياء الدين للقدسي ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت عليه (مسند) أبي بكر رضي الله عنه من أول (مسند ابن حميد) وغير ذلك .

ضرب التتار رقبتة بالصالحية ، ولم يتفق دفنه في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . وكان صائماً عدة أيام .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

٩٤٦ - عبد الرحمن بن عمر بن الحسن**

ابن علي كمال الدين التيمي الأرمني ، يعرف بالمُشارف .

كان جواداً كريماً ، رئيساً حليماً ، كثير المروءة ، غزير الفتوة ، شاعراً أديباً ، ماهراً في [فن]^(١) الكتابة أريباً ، تقلّب في الخدم الديوانية ، وتسلب ما في الجهات السلطانية .

ولم يزل على حاله إلى أن فارق الدنيا ، ونزح عن السفلى إلى العليا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره :

حَبَسْتُ جَفَنِي عَلَى الْأَرْقِ نَغَمَاتِ الْوُزُقِ فِي الْوُورِقِ

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٢٠٦/١٨ ، والدرر : ٣٣٨/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

وانعطاف الغصن صيرني واختلاف النور في نسق
هائلاً لم أدر ما فعلت يد هذا البين بالأفق

ومنه :

ألحظك فيه سحرّ أم حُسام وخدك فيه ورد أم ضرام^(١)
وثغرُك فيه درّ أم أقاح دما في فيك شهد أم مُدام
خطرت فكاد من فرط التثني يُغرّد فوق عطفيك الحمام
أيا من خص بالتعذيب قلبي أما في الوصل بعدك لي مرّام

قلت : شعر مقبول له ديباجة إلاّ أن في الأول فصلاً^(٢) بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله : صيرني ، وصيرني متعلّق بـ (هائم) ، ومثل هذا لا يجوز ، وقوله في الثاني : « خطرت » . أحسن منه قول أبي طاهر حيدر البغدادى :

خَطَرْتُ وكاد الورق يسجع فوقها إنّ الحمام لمُغرّم بالبان

٩٤٧ - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر*

الشيخ الفقيه المسند الأصيل مجد الدين ابن الشيخ المحدث مجد الدين بن الصّفّار الإسفرائيني .

سمع على كريمة ، وابن الصّلاح ، والقرطبي ، وإسماعيل بن ظفر ، وعتيق السلمي ، وشيخ الشيوخ ابن حموية ، وعمر بن البراذعي ، والصريفيني^(٣) ، وجماعة ، وحدث بدمشق والقاهرة .

(١) في الأصل و (ق) ، (س) : « ألفظك » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « فصل » ، وهو خطأ .

* الدرر : ٢٤٥/٢ .

(٣) إبراهيم بن محمد بن الأزهري (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٨٩/٢٣ ، والوافي : ١٤١/٦ .

وكان رجلاً جيداً ، قرأ كتاب (التعجيز) في الفقه وجود حفظه ، وقرأ غيره .
 وكان ملازماً للاشتغال ، طاهر اللسان ، حسن الأخلاق قنوعاً . وكان فقيهاً في
 المدارس ، وتولى مشيخة الخاتقاء الشهابية^(١) .
 وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة .
 ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

٩٤٨ - عبد الرحمن بن محمد *

الإمام القدوة العابد المتبع المذكر تاج الدين ابن الإمام أفضل الدين أبي حامد
 التبريزي الشافعي الواعظ ، أحد من قام بالإنكار على رشيد الدولة وزير التتار ،
 وطعن في نحلته وفلسفته ، فما أقدم الرشيد عليه ، وأعرض عنه لرفعة قدره في نفوس
 الناس من أهل بلد تبريز .

كان قوَّالاً بالحق ، قواماً بالصدق ، سلفي الاعتقاد ، ذا سكينه وإخلاص
 واجتهاد ، وعَظَّ ذَكَر ، وعَظَّ^(٢) بناجذ الصدق وفكر ، وكانت له في النفوس مهابة ،
 وعنده خشوع وإنابة . وقدم دمشق بنية الحج بأبيه وبنيه وجماعته وذويه ، وسار وحجَّ
 وعاد مع الركب العراقي ، وأعمل العملات طمعاً في التلاقي ، فأدركه أجله في بغداد ،
 فانقطع بذلك السير والإغذاذ .

وكانت وفاته سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وله ثمان وخمسون سنة .

٩٤٩ - عبد الرحمن بن محمد بن عسكر **

البغدادى المالكي ، الشيخ شهاب الدين مدرس المستنصرية ببغداد ، شيخ المالكية .

(١) داخل باب الفرج ، غربي العادلية الكبرى ، بناها علاء الدين الشهابي (ت ٦٥٠ هـ) المدارس :
 ١٢٦/٢ .

* الوافي : ٢٥٩/١٨ ، والدرر : ٣٤١/٢ ، والشذرات : ٤٩/٦ .

(٢) عظته الحرب كعظته .

** الوافي : ٢٦٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٤/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذبول العبر : ١٧٥ .

روى عن ذي الفقار محمد بن شرف العلوي (مُسْنَدُ الشافعي) بسماعه من ابن الحازن ، وسمع من علي بن محمد الأسد آبادي ، وعز الدين الفاروئي ، والعباد بن الطيال ، وسمع في الحجاز من زين الدين ابن المنير قصيدة .

وأخذ عنه الشرف بن الكازروني ، وأبو الخير الدهلي ^(١) ، وولده الفقيه شرف الدين أحمد الذي درّس بعده ، تخرّج به الأصحاب . وتلقّى لعظمته بالترحاب . وبَعْدَ صيته وسمعته . وأُوْقِدَتْ في المحافل شمعته .

وكان صاحب أخلاق ، ومواهب في الحال وإطلاق . وعنده تصوّر وتصديق وتصوّف ، وتطلّع إلى الواردات وتَشَوُّف . يَشْهَدُ السَّماع ، وَيَكْشِفُ القناع . ويتواجد لطفًا ، ويتعاهد ذلك ظُرفًا ، ولا يرعى ناموسًا [ولايراعي ملبوسًا] ^(٢) . دخل الين ، وفاز هناك بغلاء الثمن . وله مصنّفات في المذهب وفي الدعوات ، وله : (عمدة السالك والناسك) وله غير ذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن هُزم جيش ^(٣) ابن عسكر ، وأصبح فريداً في قبره كأن لم يُذكر .

وتُوفِّي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة .

٩٥٠ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن *

ابن يوسف البعلبكي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، الفقيه ، المُحَدِّثُ ، المفيد . فخر الدين أبو محمد .

(١) سعيد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) في (ق) ، (س) : « عيش » .

* الوافي : ٢٦٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٢/٢ ، والشذرات : ١٠١/٦ .

سمع من الفخر^(١) في الخامسة ، ومن ابن الواسطي ، وابن القوّاس ، ثم طَلَبَ بنفسه سنة خمسٍ وسبع مئة ، رَحَلَ وَكَتَبَ ، وَتَعَبَ وَذَأَبَ . وكان عَيْنَ الطَّلَبِ ، وَمُعِينَ السَّامِعِينَ عَلَى بُلُوغِ الْمَأْرَبَةِ . وكان يقرأ على الكراسي ، ويجلس في تلك المراسي . وفيه لِلْعَوَامِّ نَفْعٌ ، وبه في صَدْرِ الشَّيْطَانِ ضَرْبٌ وَدَفْعٌ . وَتَمَيَّزَ وَدَرَّسَ الفقه على مذهبه ، وَتَعَبَ على تحصيل منصبه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَلَّتْ به الداهية ، وأصبحت عينه شاخصةً ساهيه .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .
ومولده سنة خمس وثمانين وست مئة .

٩٥١ - عبد الرحمن بن محمد بن علي*

أبو زيد الأنصاري الأسدي القيرواني ، الْمَعْمَرُ ، صاحب (تاريخ القيروان)^(٢) .
أخذ عن عبد الرحمن بن طلحة ، وعبد السلام بن عبد الغالب الصوفي ، وطائفة ،
وأجاز له ابن رواج ، وابن الجُمَيْزِي ، وسبط السُّلْفِي ، وجماعة . وَخَرَّجَ له أربعين
تساعيات بالإجازة .

سمع منه محمد بن جابر الوادي أشي .
وكان مؤرِّخَ بلده ومحدثها ، ومانحَ فوائدها ومورثها . عمل هذا التاريخ المختص
ببلده ، وما رُئي مثل صبره على ذلك ولا جَلَدَه .

ولم يزل على حاله إلى أن أدركه مكتوبه ، وفرغ من عمره محسوبه .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة خمس وست مئة .

(١) ابن البخاري (ت ٦٩٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

* الوافي : ٢٦١/١٨ .

(٢) اسمه : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (مطبوع) ، انظر : الأعلام ١٢٩/٣ ، والكشف : ٣٠١/١ .

٩٥٢ - عبد الرحمن بن محمد بن علي*

الفقيه النبيه ، تاج الدين ابن الإمام العلامة فخر الدين المصري الشافعي ، وسوف يأتي ذكره والده في مكانه من حرف الميم .

حفظ (النهاج) للنووي ، و (منهاج) البيضاوي في الأصول ، وناب عن والده في تدريس العادلية^(١) الصغيرة وفي الرواحية . ونزل أبوه له عن تدريس الدؤولية^(٢) . وحج مع والده سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وجاور والدّه ، وقدم هو صُحبة الركب إلى دمشق .

وكانت فيه هشاشة ، وله بمن يلتقيه بشاشة . فيه تعصب مع الناس ، ومروءة توجب له الإيناس . وعنده كرم وجود ، واعتراف بالجميل من غير جحود . وفي كل قليل يعمل للفقهاء ولأصحابه^(٣) دعوه ، ويُرزق بالثناء عليه فيها حظوه .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى ينعه ، وغاض من الحياة نبهه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة [في طاعون دمشق]^(٤) .

ومولده في عشرين شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

كان في الحمّام ، فبصق دماً ، فخرج من الحمّام ، وقد أيقن بالهلاك ، ودار على أصحابه وودّعهم ، ويقول لكل واحد منهم : لا أوحش الله منكم ، قد بصقت ، وأنا ميّت . وتأسف الناس على فقده .

* الوافي : ٢٦١/١٨ ، والدرر : ٣٤٤/٢ .

(١) في الأصل : « الدؤولية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) مدرسة للشافعية بدمشق بجيرون قبلي المدرسة البادرانية ، أنشأها جمال الدين محمد الدولعي

(ت ٦٣٥ هـ) . الدارس : ١٨٢/١ .

(٣) في الأصل : « لأصحاب » ، وفي (ق) ، (س) : « وأصحابه » .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

ومما قلتُ أنا في ذلك الوقت :

يا رحمتا لدمشقٍ مِنْ طاعُونِها فالكلُّ مُغْتَبِقٌ به أو مُضْطَبِحٌ
كَمْ هَالِكٍ نَفَثَ الدِّمَاءَ مِنْ حَلْقِهِ أَوْ مَا تَرَاهُ بغيرِ سَكِينٍ ذُبِحُ

٩٥٣ - عبد الرحمن بن محمد بن علي*

ابن عبد الواحد الصِّدْرُ الفقيه ، القاضي تقي الدين ابن الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام كال الدين بن الزمكاكي الشافعي .

كان في حَلِّ الْمُتَرْجَمِ آيَه ، وفي حل الألغاز غايه . وماعدا ذلك فهو منه عَرِي ، ومما كان يعرفه والده بَرِي . وَخَطُّهُ لَا يَرْضَى به تَعْيُسُ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ ، وَذَهْنُهُ فِي غير ما ذَكَرْتُهُ لَا يَفْهَمُ به لَفْظُهُ . على أَنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ وَلَكِنْ خَرَزَا ، وَيَدْعُ الطَّرْسَ بِذَلِكَ مِنْ خَطِّهِ صَعِيداً جَزَزَا^(١) . وَلَكِنْ كَانَ سَلِيمَ الطَّبَاعِ ، جَيِّدَ الصَّحْبَةِ لَطِيفَ الْاجْتِمَاعِ . يَنْفَعِلُ لِأَصْحَابِهِ ، وَيُوافِقُ كُلَّ مَنْهُمْ عَلَى آرائِهِ . وَجُودُهُ مُتَدَقِّقٌ ، وَبَذْلُهُ لِمَا فِي يَدِهِ غَيْرٌ مَتَرَفٍّ وَلَا مُتَرَفِّقٌ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ فَارَقَ الْأَوْطَانَ ، وَنَزَحَ مِنْ^(٢) الْأَعْطَانِ .

وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ بِدِمَشْقَ .

وَطُلِبْتُ أَنَا مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكُزَ بَوْسَاطَةَ الْقَاضِي شَهَابِ الدِّينِ بْنِ الْقَيْسِرَانِي فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، وَلَمَّا جِئْتُ رَتَّبْتُ مَكَانَهُ فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ . وَكَانَ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ تَوَجَّهَ صَحْبَةً وَالِدَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَالِدُهُ فِي بُلْبُيسَ ، دَخَلَ هُوَ الْقَاهِرَةَ وَدَفَّنَ وَالِدَهُ عِنْدَ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* وفيات ابن رافع : ٧٠/١ ، والدرر : ٣٤٤/٢ ، والدارس : ٣٤٨/١ .

(١) أَرْضٌ جَزَزَ : لَا تَنْبِتُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرْزاً ﴾ . الْكَهْفُ : ٨/١٧ .

(٢) فِي (ق) ، (س) : « عَنْ » .

وكان والدّه قد عمل سيرة مليحة للسلطان الملك الناصر محمد ، فدخل وقدمّها ، وساعده الناس إكراماً لأبيه ، وعَضَدَه الأمير سيف الدين أَلْجَاي الدوادار ، فرَسِمَ له بتدريس المسرورية^(١) وبأن يكون في جملة كُتّاب الإنشاء بدمشق ، فدخل إليها وأهلُ دمشق إمّا أقاربهُ ، أو تلاميذُ والده ، وإمّا أصحابهُ ، فرَعَوُهُ لذلك .

وكان قاصراً في كل ما يعرفه والده ، إلّا في حلّ المترجم ، كان يحلّه بلافاصلة في أسرع ما يكون ، وكذلك الألغاز حتى إنني كنت أتعجب له في ذلك من جمود ذهنه في غير هذين ، وتوقد ذهنه فيها . فسبحان الله العظيم والده شيخ الإسلام وكل ما يعرفه كان فيه آية ، وهذا ولده هكذا ، فع ما تعب عليه والدّه واجتهد .

٩٥٤ - عبد الرحمن بن أبي مُحَمَّد*

ابن محمد بن سلطان القرامزي ، الشيخ الصالح ، بقيّة السلف ، أبو محمد الحنبلي .

كان شيخاً مشهوراً ، يلزم الجامع أعواماً وشهوراً ، كثير الصلوات ، غزير الخلوات ، له مريدون وأصحاب وخُدّام وأحباب . اشتغل بالعلم أولاً ، واقطع للعبادة والتلاوة ، جعل ذلك مَعْوِلاً ، وللناس فيه عقيدة ، ومَحَبَّةٌ عَتِيدَة .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق بالباري تعالى ، وتواترَ البُكا عليه وتوالى .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهلّ المُحَرَّم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة ببستانه بأرض المُصَيَّصَة ظاهر دمشق .

وصُلِّيَ عليه بجامع جَرّاح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير في تربةٍ له جوار القلندريّة .

(١) المدرسة المسرورية أنشأها الطواشي مسرور في العهد الفاطمي . (انظر الدارس) .

* الدرر : ٢٤٦/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ .

سمع من ابن أبي اليُسْر ، والنجم بن النُّشَي ، والشيخ حسن الصِّقْلِي^(١) ، والجمال البغدادي الحنبلي^(٢) ، والمجد بن عساكر^(٣) ، وابن هامل^(٤) ، والكنجي^(٥) ، وجماعة . وسمع بالقدس من الخطيب قطب الدين ، وبالحليل من^(٦) الشيخ عبد الدائم بن الزين بن عبد الدائم .

وَحَدَّثَ بدمشق والقاهرة ، [وكان]^(٧) تلا بالروايات على الشيخ حسن الصِّقْلِي .

٩٥٥ - عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل *

ابن محمد بن أحمد بن أبي الفتح ، الخطيب عفيف الدين أبو محمد ابن الشيخ الخطيب المَرَدَاوِيّ المَقْدِسِيّ خطيب مرदा .

وَرَدَ دمشق مع والده ، وقرأ الحديث بنفسه سنة ثلاث وخسين ، وسمع الكثير على والده وابن عبد الدائم . وخطب مدة طويلة بالقرية المذكورة ، وَحَدَّثَ قديماً .

سمع منه ابن الحَبَّاز سنة خمس وستين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه بدمشق وبمردا .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً بمَرَدَا سنة ثلاثين وست مئة .

(١) حسن بن أبي عبد الله بن صدقة الأزدي (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩١/٥ .

(٢) عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ .

(٣) محمد بن إسماعيل بن عثمان (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩٢/٥ .

(٤) محمد بن عبد المنعم بن عَمَّار (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٦/٥ .

(٥) محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) في الأصل : « والحليل ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٧) زيادة من (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٤١/٢ .

٩٥٦ - عبد الرحمن بن محمود*

مجد الدين بن قرطاس القوسي الأديب .

سمع الحديث بالقاهرة على أشياخ عصره ، وقرأ النحو على العلامة أثير الدين ، وتأدب على الطوفي الحنبلي والشيخ صدر الدين بن الوكيل والأمير مجير الدين عمر بن اللمطي^(١) . وتولى الخطابة بجامع الصّارم بقوص .

وكان يتصوّف ، ويجمع الدواوين وينتقي منها ويتصرّف . وعَلّق تعاليق ، وعمل منها مبتدآت وتعاليق . ووقف كتبه على المدرسة السّابِقيّة بقوص ، وعَلَّمَ الناسَ بذلك أنه صحيحٌ غير منقوص .

ولم يزل على حاله إلى أن خَرَقَ سهمُ المنية قرطاسه ، وأخذ الموتُ أنفاسه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ورثى مجير الدين بن اللمطي بقصيدة أولها :

كأسُ الحِمامِ على الأنعامِ يَدُورُ يُسْقَى بها ذوالصّحو والخمور^(٢)

منها :

يُزهى به النعشُ الَّذي هو فَوْقَهُ وكذاك يُزهى بالأمير سريّر

٩٥٧ - عبد الرحمن بن مخلوف**

ابن عبد الرحمن بن مخلوق بن جماعة بن رجاء الرّبعي الإسكندري المالكي ، الشيخ الإمام العالم العَدْلُ الحَيّرُ المعمرُ المُسنَدُ محيي الدين أبو القاسم .

* الوافي : ٢٦٤/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٩٦ ، والدرر : ٣٤٦/٢ .

(١) هو عمر بن عيسى ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الطالع : « يدور » .

** الوافي : ٢٦٥/١٨ ، والدرر : ٣٤٧/٢ ، وذيول العبر : ١٢٥ ، والسلوك : ٢٣٩/١/٢ .

سمع من جعفر الهمذاني ، وعليّ بن زيد التمارسي^(١) ، سمع عليه الثالث من (التَّقْفِيَّاتِ) وسمع (الدعاء) للمحاملي على جَعْفَر ، وسمع من ابن رواج .

وسمع منه الواني ، وشيخنا أبو الفتح بن سيّد الناس ، وابن ربيع المصغوني ، وسمع منه شيخنا الذهبي خَمْسَ مجالس [تعرف]^(٢) بالسَّامَاسِيَّة .

وكان له بَصَرٌ بالشروط ، وأمرُهُ في العدالة مضبوط ، وله فيها تقدّم وشُهْرُهُ ، وخبرة فيها قد جَمَل به دَهْرُهُ . وتفرد بأجزاء عاليه [سلفيّة]^(٣) رواها ، ومَلَك زمام أمرها وحوأها ، وشفى بروايتها^(٤) من النفوس جواها^(٥) .

ولم يزل على حاله إلى أن فَرَّغ من حياته وعأؤها ، وأجيب في منيته دعاؤها .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

٩٥٨ - عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد*

العلامة شيخ الحنابلة ، شمس الدين ابن قاضي القضاة ، سعد الدين الحارثي المصري الحنبلي .

سمع من العز الحَرَاني ، وغازي^(٦) ، وبدمشق من الفخر علي وجماعة . وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والأصول عن ابن دقيق العيد . وَحَجَّ غير مرة .

(١) (ت ٦٤٢ هـ) ، السير ٩٢/٢٣ ، وفي (ق) ، (س) : « السارسي » ، تحريف .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « براوينا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « دواها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٧٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٧/٢ ، والشذرات : ١٠١/٦ ، وذيل العبر : ١٧٦ .

(٦) غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلّابي (ت ٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

وكان يُدَرِّس بمدارس كبار ، وإذا جرى في حلبة المناظرة لا يعلق الريح له
بُعْبَار . مع الوقار الجميل ، والسمت الذي لبس له فيه عديل . وصدق اللهجة ، وعفاف
المهجة ، والديانة التي رَأَسَ بها وَتَصَدَّر ، والصيانة التي تَصَبَّبَ بها نُوءُ وَتَحَدَّر . ولم يزل
على حاله إلى أن نُبِش من الحارثي قَبْرُهُ ، وعُدم من صاحبه عليه صَبْرُهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سادس عشر^(١) ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين
وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

٩٥٩ - عبد الرحمن بن موسى *

هو المَلِكُ أَبُو تاشِفِين ، ابن الملك أَبِي حَمُو ، بالحاء المهملة والميم المشددة والواو ،
ابن الملك أَبِي عمرو عثمان ابن السلطان يَغْمَرَسِين بن عبد الواد الزَّناقي المغربي البربري
صاحب تِلْمُسان .

كان شجاعاً حازماً ، موقناً بالثَّرِّ جازماً ، جبروته زاد عن الحد حتى كَذَّبَهُ العقل
وأباه ، وناهيك بمن تجرأ وما اتجرى وقتل أباه .

وكان قد نظر في فنون العلم مُدَّة ، وأنفق فيها من عمره عِدَّة ، وَتَفَقَّه على ابْنَيْ
الإمام^(٢) ، وَقَدَّتْ سيرته ونسبَ وَرَدَ الحِمام .

ويُحكى عنه في دولته قبائح ، أما الراوي لها فكاتم وأما التاريخ لها فبائح .

قَصَدَهُ سلطان المغرب أبو الحسن المَرِينِي^(٣) وحاصره مدَّة طويلة وأنشأ في المنزلة

(١) في الأصل : « عشر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والشذرات .

* الوافي : ٢٩٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٨/٢ والشذرات : ١١٥/٨ ، وذيول العبر : ١٩٩ .

(٢) في الوافي : « أبيه الإمام » .

(٣) علي بن عثمان بن يعقوب ، ستأتي ترجمته في موضعها .

مدينة كبيرة ، وطال الأمر إلى شهر رمضان ، فبرز أبو تاشفين في أبطاله لكبسه ومكيدة يعملها فانعكست عليه ، وركب جيش أبي الحسن وحملوا حتى دخلوا من باب تلمسان وقتلوه على ظهر جواده في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة . وكان الحصار نحو سنتين وأكثر . وطُيِفَ برأسه في المغرب ، ثم ^(١) دُفِنَ مع جسده عند آبائه بتلمسان .

وكان جدُّ السلطان أبي الحسن قد نازل تلمسان أيضاً سنوات ومات وهو يحاصرها سنة بضع وسبع مئة .

٩٦٠ - عبد الرحمن بن موسى بن عمر*

تاج الدين الناسخ ، عَرِفَ بابن المناذلي ، ووالده بدر الدين بن أبي الفضل .

كان ينادي يوم الجمعة على الكتب ، ويأخذ رزقه فيها من بين الخَطِيَّة السلب ، ونسخ كثيراً من الدواوين الصغيرة الرائقة ، والأشعار التي بالغزل والنَّسِيب ^(٢) لائقه . وقُطِعَتْ في غير جنابة يمينه ، وبقي رحمة لا يجد من يعينه . وكتب بعد قليل بشماله ، وقاتل على ذلك لأن الخط كان رأس ماله . وكان يَعْتَذِر في آخر الكتاب أنه بيده اليسرى ، ليعذره من كان بذكره مُغْرَى . وكان خطّه أبهج من خميله ، وأرهج من الطلعة الجميله .

ولم يزل على حاله إلى أن غُصَّ بالشَّجَى ، ولم يجد من يد الموت مَخْرَجاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة . ووصل إلى السبعين .

وكان قد وصل ^(٣) إليه القَبَّاري واليعفوري ، وكتب لهما كتاباً ، وكان ذلك مرافعة

(١) في (س) : « حق » .

* الدرر : ٣٤٩/٢ .

(٢) في الأصل : « والنسب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في (ق) ، (س) : « جاء » .

في حق الأفرم ، فأمسكوا ، وأفتى الشيخ زين الدين الفارقي بقطع يده ، وتوسيط الآخرين ، فَقَطِعتُ يده . وقد تقدم ذكر هذه الواقعة في ترجمة الشيخ أحمد القباري في آخر الأحدين فتكشف من هناك . ولما قُطعت يده قال للأفرم : يا خوند قُطعت يدي لأجل درهمين ، هذان دفعا إليّ درهمين وقالوا : أكتب هذا الكتاب ، فَرَقَّ له الأفرم ، وأعطاه جُمْلَة دراهم ، وأظنه رَتَّبَ له شيئا ، وكان التاج^(١) المذكور مغرّى بكتابة (ديوان) ابن الفارض والحاجري وغيره من هذه الدواوين الصغار ، ويكتب كثيرا بكتاب (الدرة المضيئة في اللغة التركية) ، وهذه الكتب موجودة بين ظهرائي الناس ، وخطُّه معروف . وكان يقول : عمري ما وقع في أذني ألد^(٢) من قول الأفرم : وهذا اقطعوا يده ، لأنه رسم قبل ذلك بتوسيط القباري واليعفوري المذكورين .

و [كان]^(٣) قد أَسَنَّ ، ووقعت أسنانه ، وكان يمشي وفي جنبه جرن خشب ، ويدق ، حتى يدق الخيارة والقيثاء^(٤) والتفاحة والسفرجلة والكثري وغير ذلك . ووُجِدَ بعد موته سماعه (مشيخة) العفيف محمد بن زكريا بن رحمه .

٩٦١ - عبد الرحمن بن نصر *

ابن عبيد المفي الإمام زين الدين الفدمي السوادي الصالحي الحنفي .
سمع المرسي ، وسبط بن الجوزي ، وخطيب مردا ، وإبراهيم البطائحي ، والرشيد العراقي ، واليلداني ، وعدة .

كان له في الفقه بصر حديد^(٥) ، وفي الشروط نظر ما لخصه عنه محيد . شهد تحت

(١) في الأصل : « التاريخ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « الخيار والقيثاء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٩٣/١٨ ، والدرر : ٣٤٩/٢ .

(٥) أفاد من قوله تعالى : ﴿ فكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حديد ﴾ الحديد : ٢٥/٥٧ .

الساعات ، وأنفق عمره في الطاعات ، إلى أن عجز وانقطع ، ولع برق ضعفه وسطع .
 وكان يعبر الرؤيا ، ويأتي في كلامه بما هو الغاية العليا .
 ولم يزل إلى أن جفَّ عوده ، وزجرت بالنزاع رعوده .
 وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وله ست وثمانون سنة .
 وانقطع بمدرسة الأسديّة لما عجز عن التوجّه إلى مكان الشهود .

٩٦٢ - عبد الرحمن بن يوسف*

ابن محمد الشريف الخطيب الإمام العالم ، الزاهد الفاضل جمال الدين أبو البقاء
 الحراني ، خطيب المسجد الأقصى .
 كان صاحب فضائل وفنون ، وليّ الخطابة بالأقصى بعد^(١) قاضي القضاة ،
 بدر الدين بن جماعة .

توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبع مئة .

٩٦٣ - عبد الرحيم بن إبراهيم**

ابن إسماعيل بن أبي اليسر التنوخي ، تاج الدين أبو الفضل .
 سمع من جدّه أبي محمد كثيراً ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة
 بدمشق^(٢)

* الدرر : ٣٥١/٢ .

(١) كذا في الأصول ، وفي الدرر : « بعده » ، وقد يكون ما فيه أرجح ، لأن بدر الدين (ت ٧٣٣ هـ) .

** الوافي : ٣٢٠/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٥٩ ، والدرر : ٣٥١/٢ .

(٢) ووفاته (٧٤٩ هـ) ، كما ذكر ابن رافع .

٩٦٤ - عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله *

قاضي القضاة نجم الدين الجهني البارزي الشافعي الحنفي ، حفيد قاضي القضاة شيخ الإسلام شرف الدين ، الحاكم بحماة ، وسيأتي ذكر جده هبة الله في حرف الهاء في مكانه .

تولى القضاء نجم الدين هذا بحماة لما ترك قاضي القضاة جده المنصب وقد أضر . وقد كان إبراهيم والده توفي في حياة والده شرف الدين . ولم يكن في عصر نجم الدين هذا أحد من قضاة القضاة أقدم منه في هذا المنصب شاماً ومصرأ مدّة تزيد على الثلاثين سنة . وكان ساكناً خيراً قائماً بوظيفته على ما يجب . ورأيته بحماة غير مرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

٩٦٥ - عبد الرحيم بن أبي بكر **

مجد الدين الجزري الفقيه النحوي الصوفي .

كان قائماً بمعرفة النحو ، هائماً في ^(١) محبة أدته سكرتها إلى عدم الصحو .

وكانت له حلقة اشتغال ، يجلس إليه فيها من هو في محبته متغال . وفيه مع ذلك عشرة وانطباع زائد ، وكيس لا يحتاج معه في المحبة إلى رائد . ولكنه ابتلي بحب شاب شيب قوده ، وحسن إلى الهلاك قوده ، فكان إذا رآه ترعد فرائضه عشقاً وصبا به ، ويود لو نال من عظيم وصاله صبا به . فقويت عليه سوداؤه ، وتحكم منها فيه داؤه . فأغلق الخاتقاه الشهابية عليه ، وطلع إلى سطحها وألقى بنفسه إلى الطريق فمات ، وأنزل

* وفيات ابن رافع : ٢٨٠/١ ، والدرر : ٣٥٢/٢ ، واختلطت ترجمته مع ترجمة جده في بعض المصادر ، انظر : الوافي ٣١٧/١٨ ، وما في حاشيته ثمة .

** الوافي : ٣٢٤/١٨ ، والبغية : ٩١/٢ .

(١) في الأصل : « سبع وثمانون » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

بنفسه من أعاديه الشّمات . وكان يومَ جمعة ، وقت الصلاة ، ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وست مئة .

٩٦٦ - عبد الرحيم بن عبد الرحمن*

ابن نصر الموصلي ، الشيخ الإمام نجم الدين بن الشّحام الشافعي .

أكثر الأسفار ، ومطالعة الأسفار . واشتغل ببغداد وتيَّز ، وانزوى إلى سراي^(١) وتخيَّز . وأقام بها مدّة ، وأنفق فيها من العمر جدّه .

وقدِمَ دمشق سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ووليّ مشيخة القصر^(٢) . ودرّسَ بالجاروخية والظاهرية البرانية .

ولم يزل إلى أن ذاب بالأسقام شحمه ، وسبِكَ في القبر لحه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة . وله ثمان وسبعون^(٣) سنة .

وكان فقيهاً طبيباً . وكان قد وليّ تدريس الظاهرية البرانية ، ثم أضيف إليه تدريس الجاروخية ومشيخة^(٤) خانقاه القصر .

٩٦٧ - عبد الرحيم بن عبد العليم*

الدُّندري ، بدالٍ مهملةٍ أولى ودالٍ ثانية بينهما نون وبعد الدال الثانية راء ، المعروف بالفصيح .

* الوافي : ٢٢٧/١٨ ، وفيه : « ابن نصير » ، والدرر : ٣٥٦/٢ .

(١) في الوافي : « مدينة سراي » .

(٢) هي خانقاه القصر ، وتعرف أيضاً بالخانقاه النجيبية ، أو النجمية ، نسبة إلى النجيب ، جمال الدين

آقوش النجمي الصالح . الدارس : ١٣١/٢ ، ١٣٤ .

(٣) في الأصل : « سبع وثمانون » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، واللان .

(٤) في الأصل : « ومدرسة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

** الوافي : ٢٢٧/١٨ ، والطالع السعيد : ٣٠٣ ، والدرر : ٣٥٦/٢ .

مدح الأكابر ، واستجدى بشعره ، وسأحهم فيه بترخيص سعره .

وكان خفيف الروح ، قانعاً بما تيسّر من الفتوح .

ولم يزل على حاله إلى أن خرّس الفصيح ، وبكاه صاحبه بجفنه القريح .

قال الفاضل كال الدين الأذفوي : توفي سنة أربع وسبع مئة ظناً . وأورد له في

(تاريخ الصعيد) قصيدة مدح بها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، منها :

أَيَا سَيِّدًا فَاقْ كُلَّ الْبَشَرِ وَمَنْ عَلَّمَهُ فِي الْوُجُودِ انْتَشَرُ^(١)
وَيَا بَحْرَ عِلْمٍ غَدَاً فَيُضُّهُ لِوَارِدِهِ مِنْ نَفِيسِ الدُّرُرِ^(٢)
أَيَادِي نَدَى عَمَّنَا جُودَهَا كَأَمَّ فِي الْأَرْضِ جُودُ الْمَطَرِ
وَفِي رَوْضِ أَيَّامِكَ الْمَوْنَاتُ أَنْزَلَهُ طَرْفُ الْمُئَنَى بِالْأَنْظَرِ

٩٦٨ - عبد الرحيم بن عبد المنعم*

ابن عمر بن عثمان ، الإمام المقتي الزاهد ، جمال الدين ، أبو محمد الباجرقي ، بياء
موحدة وبعد الألف جيم وراء وباء أخرى وقاف^(٣) ، الموصلي الشافعي .

شيخ فقيه مُحَقِّق ، نبيه مُدَقِّق ، تَقَال ، عارف بالوجود والطرق والأقوال . له
حلقة اشتغال تحت قبة النسر إلى جانب البرّادّه ، كل^(٤) فاضل قد جعل إليها ترداده .

اشتغل بالموصل وأفاد ، وبدأ بالفضل في دمشق وأعاد .

(١) في الطالع : « اشتهر » .

(٢) في الطالع : « لوراده » .

* الوافي : ٣٣٠/١٨ ، والعبر : ٤٠٠/٥ ، وفيه : « جمال الدين عبد الله بن عمر بن عثمان الشيباني » .

(٣) نسبة إلى باجرقي ، من قرى بين النهرين ، بين البقعاء ونصيبين . معجم البلدان : ٣١٣/١ .

(٤) في الأصل : « كان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وكان طويلاً ، عليه مَهَابَةٌ ، ساكناً كثير الرجوع والإنابة ، كثير الصلاة والذكر ، والخشوع والفكر .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ عمره حَدَّهُ ، وجعل اللاحذُ على الأرض خَذَهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست ^(١) مئة في شوال .

وكان قد خطب بالجامع الأموي نيابة ، ودرّس بالقرائية نيابة . وولي تدريس الفتحية ^(٢) ، وحَدَّث به (جامع الأصول) لابن الأثير عن واحد عن المصنف . وله نظم ونثر ووعظ . وقد نظم كتاب (التعجيز) فعمله برموز . وهو والد الشيخ محمد الآتي ذكره في مكانه ، إن شاء الله تعالى ، صاحب تلك العجائب .

ومن شعره: ^(٣)

٩٦٩ - عبد الرحيم بن علي *

ابن هبة الله الأسنائي الصوفي .

كان من أصحاب الحسن ^(٤) بن الشيخ عبد الرحيم القنائي .

وكان نحويّاً شاعراً ، لغويّاً ماهراً . جَمَعَ في النحو كتاباً سَمَّاهَا (المفيد) ^(٥) ، وقال ﴿ هذا ما لديّ عنيد ﴾ ^(٦) .

(١) في الأصل : « سبع » ، سهو .

(٢) أنشأها الملك النغالب فتح الدين صاحب بارين ، حوالي سنة (٦٢٦ هـ) . الدارس ٣٢٥/١ .

(٣) كذا في الأصول والوافي .

* الوافي : ٣٨٦/١٨ ، والطالع السعيد : ٣٠٩ ، والدرر : ٢٥٩/٢ ، والبغية : ٩٣/٢ ، وقيل فيه : عبد الرحيم بن فخر بن هبة .

(٤) الحسن بن عبد الرحيم القنائي ، وتوفي سنة (٦٥٥ هـ) . الطالع السعيد : ٢٠٣ .

(٥) وهو على ما ذكر صاحب الكشف : ١٧٧٨/٢ ، منظومة .

(٦) سورة ق : ١٢/٥٠ .

ولم يزل إلى أن نَحَاهُ البلى ، وَجَرَ ذَيْلُهُ إِلَيْهِ مُسْبَلًا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره :

أَهَاجَكَ بَرَقٌ بِالْمَدِينَةِ يَلْمَعُ وَيُبَيِّضُ يَعَالِيلَ سَوَارٍ وَطَلَعُ^(١)
تَرَاهُنَّ يَهْمِينَ الْحَيَا فَكَأَنَّهُ عَلَى وَجَنَاتِ الْأَرْضِ دُرٌّ مَرَصَعُ^(٢)
كَأَنَّ عَرَاهَا عِنْدَمَا مَسَّهَا الْحَيَا سَحِيقَةُ مَسَكٍ نَشْرُهُ يَتَضَوُّعُ^(٣)
عَلَى جَنَبَاتِ الْغُدْرِ زَهْرٌ تَفْتَقَتْ لَهَا فِي شِعَاعِ الشَّمْسِ لَوْنٌ مُنَوِّعُ^(٤)

٩٧٠ - عبد الرحيم بن علي بن الحسن*

ابن الفرات عز الدين الحنفي .

اجتهد في مذهبه واشتغل ، ودخل في مضائقه وَوَعَلَ ، وبرع في الفقه وأفتى ،
وسلك طريقاً ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾^(٥) وانتهت إليه رياسة الإفتاء
والإشغال ، ودرَسَ وأعاد وأتى بكل نفيس غال .

وكان قد سمع من قاضي القضاة بدر الدين بن جمّاعه ، وأبي عبد الله بن القمّاح ،
وعبد الله الصنهاجي . وتفقه على محيي الدين الدمشقي ، وقاضي القضاة شمس الدين
الحريري ، والشيخ علاء الدين القونوي .

(١) اليعاليل : جمع يعلول ، السحاب الأبيض .

(٢) في الأصل و (ق) ، (س) والوافي : « يهيمين » بدل « يهيمين » ، وأثبتنا ما في الطالع ، وهو أشبه .

وفي (ق) ، (س) والوافي : « المَرَصَع » .

(٣) في الطالع : « كَأَنَّ ثَرَاهَا » .

(٤) في الطالع : « جَنَبَاتِ النَّهْرِ » .

* الدرر : ٣٥٨/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٦/٩ .

(٥) طه : ١٠٧/٢٠ .

ودُرِّس بالحسامية بالقاهرة وبترية الحريري بالقرافة ، وأعاد بالمدرسة المنصورية وغيرها ، وناب في الحكم بمصر .

وَبَطَّل ذاك إلى أن أصبح ابن الفرات رفاتا ، وأمسى شخصه تحت الأرض كِفَاتًا^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في المدرسة الصاحية بين القصرين سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبع مئة .

٩٧١ - عبد الرحيم بن محمد*

ابن يوسف السَّهْودِي ، الخطيب بسْمُهود^(٢) .

كان فقيهاً شافعيًا ، أديباً نحويًا .

رحل إلى دمشق ، واجتمع بحبي الدين النووي وحفظ (منهاجَه) ، وجعل إلى هذا الكتاب معاده ومعاجه . وكان لضيق رزقه . وما هو عليه من حَذَقِه يتَحَيَّل [على]^(٣) مَا يَتَقَوَّتُ بِهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحَيْل ، ويقول إذا جاء طوفان الحرمان : ﴿ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ ﴾^(٤) وكان يُقَرِّئ النحو والعروض والأدب بِسْمُهود ، ويأتي على ذلك بما هو من الشواهد مشهورٌ ومَشْهُود .

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ المرسلات : ٢٥/٧٧ .

* الوافي : ٣٩٢/١٨ ، والطالع السعيد : ٣١٣ ، والدرر : ٣٦٢/٢ ، والبغية : ٩٤/٢ ، وتذكرة النبیه : ١١١/٢ .

(٢) قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل بالصعيد . معجم البلدان : ٢٥٥/٣ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) هود : ٤٣/١١ .

ولم يزل على حاله إلى أن رقا الخطيب منبر نَعَشِهِ ، وفسد ولم يعط جنابة
أَرَشِهِ ^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى بسمهود سنة عشرين وسبع مئة .

وكان قد قرأ الفقه على الزكيّ عبد الله السيرناوي ^(٢) . وأقام بالقاهرة مدة .

قال الفاضل كال الدين الأذقوي : حكى لي رحمه الله أن كان بالقاهرة تحصل له
ضائقه ، وتُلجئه الحاجة والفاقة ، فيأخذ ورقاً ويكتب فيه قَلْفُطِير يات ^(٣) وَيُعْتَقَه
ويبيعه بشيء له صورة . قال : [وحكي] ^(٤) لي ذلك أيضاً شيخنا أثير الدين وكان
صاحبه . وكان ظريفاً لطيفاً ^(٥) جارياً على مذهب أهل الأدب في حَبِّ الشراب
[والشباب] ^(٦) والطرب ، وكان ضَيِّق الخُلُق ، قليل الرزق ، اجتمعت به كثيراً .

وله خُطْبٌ ورسائل ، ومن شعره :

يامالكي ذلّي لحسنك شافعي فاشفع هُدَيْتَ الحُسْنَ بالإحسان
من قَبْل أن يأتي ابنُ حنبلٍ آخذاً من وجنتيك شقائق النعمان ^(٧)

ومنه :

وافي نظامك فيه كلٌ بديعةٍ أخذتُ من الحُسْن البديع نصيباً

(١) الأرض : الدية .

(٢) في الوافي : « البهلوي » ، وفي الدرر : « السمرباوي » ، وفي البغية : « السمرباني » ، وفي الطالع :
« السمربائي » .

(٣) هي الطلسمات .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٥) في الطالع : « لطيفاً ظريفاً » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٧) الطالع السعيد ، وتذكرة النبيه .

فلقد مَلَكْتَ من البلاغة سِرَّها وَحَوَيْتَ من فن البديع غريباً^(١)
وَنَصَبْتَ مِنْ بِيض الطُّرُوسِ منابراً أَضْحَى يَرَاكَ فوقهنَّ خطيباً
تُبْدِي ضروبَ محاسنٍ لِسِنَا نرى بَيْنَ الْوَرَى يوماً لهنَّ ضريباً
ومنه :

وروضٍ حَلَلْنَا مِنْ حِمَاةٍ خَمَائلاً يَنْبُءُ مِنْهُ النَّشْرُ غيرَ نبيهِ^(٢)
تَغَنَّتْ لَنَا الْأَطْيَارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بُرَّ تَجَلَّ نَحْتَارُهُ وَبِدِيهِ
وَأَضْحَى لِسَانَ الزَّهْرِ فوقَ غُصُونِهَا يَجْبُرُ بِالسَّرِّ الَّذِي هُوَ فِيهِ
ومنه :

كَأَنَّهَا الْبَحْرُ إِذْ مَرَّ النِّسِيمُ بِهِ وَالْمَوْجُ يَصْعَدُ فِيهِ وَهُوَ مُتَحَدِّرُ
بِيضَاءً فِي أَرْزَقٍ تَمْشِي عَلَى عَجَلٍ وَطَيَّ أَعْكَانَهَا يَبْدُو وَيَسْتَرُ^(٣)
ومنه :

قَالَ لِي مَنْ هَوَيْتُ شَبَّهَ قَوَامِي وَقَدْ اهْتَزَّ بِالْجَمَالِ دَلَالَا
قُلْتُ : غَصَنٌ عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلٍ صَافَحَتْهُ النَّسِيمُ فَمَالَا^(٤)
ومنه قصيدةٌ يمدح بها المظفر صاحب الين :

هَمْ الْقَصْدُ إِِنْ حَلَّوْا بَنَعْمَانَ أَوْ سَارَوْا وَإِنْ عَدَلُوا فِي مُهْجَةِ الصَّبِّ أَوْ جَارَوْا^(٥)
تَعَشَّقَتْهُمْ لَا الْوَصْلَ أَرْجُو وَلَا الْجَفَا أَخَافُ وَأَهْلُ الْحُبِّ فِي الْحَبِّ أَطْوَارُ^(٦)

(١) في الطالع : « فن البيان » .

(٢) في (ق) والوافي : « منها » .

(٣) الطالع السعيد .

(٤) الطالع السعيد ، وتذكرة النبيه .

(٥) نَعْمَانُ : وادي عرفة ، دونها إلى منى ، وهو كثير الأراك . (معجم البلدان) .

(٦) في (س) : « أوطار » .

وَأَثَرْتَهُم بِالرُّوحِ وَهِيَ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ، وَفِي أَهْلِ الْحَبَّةِ إِثَارٌ
وَهَلْ سَحَرَ وَلَّى بَنَعْمَانَ عَائِد فَكُلُّ لِيَالِينَا بَنَعْمَانَ أُسْحَارٌ^(١)

٩٧٢ - عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم *

ابن علي تقي الدين البمباني - بالباء الموحدة ، وبعدها ميم ، وباء أخرى ، وألف
بعدها ، ونون - وبمباني قرية بأسوان^(٢) .

قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي^(٣) .

وكان فاضلاً أديباً ، نحوياً أريباً ، خفيفاً ظريفاً ، ممتعاً لطيفاً ، ينظم البلاليق ،
ويجيد الاختيارات والتعاليق .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ غايته ، ونكس الموت رايته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس أوست وسبع مئة .

ومن نظمته^(٤) يدح طَقْصَبَا والي قوص :

لِعُلَا جَنَابِكَ كُلِّ أَمْرٍ يُدْفَعُ وَإِلَيْكَ حَقًّا كُلِّ خَطْبٍ يُرْفَعُ^(٥)
ومنها :

ما كان يفعلهُ الشجاعِي سالفاً في مصر في أسوان جَهْرًا يُصْنَعُ^(٦)

(١) في الطالع : « وكل » .

* الوافي : ٣٩٤/١٨ ، والطالع السعيد : ٣١١ ، والدرر : ٣٦٢/٢ ، والبغية : ٩٤/٢ .

(٢) لم يذكرها ياقوت .

(٣) لم نهتد إلى ترجمته .

(٤) في (ق) ، (س) ، والوافي : « ومن شعره » .

(٥) في الطالع : « ... يرفع ... يرجع » .

(٦) في الطالع : « جهرا يصنع » .

وضاعت له سكينٌ فوجدها مع ابن المصّوص الأسنائي ، فقال فيه ^(١) :

إِنَّكَ قَدْ أَرَى فِي اللَّصُوصِ يابن المَصْصُوصِ ^(٢)

خُنْجَرِي كَانَ فِي الطَّبَقِ ^(٣)

وَمُنْتَصِرٌ فِي الْقَوْلِ صَدَقْ

وَأَنْتَ خَذْتَهُ بِالسَّبَقِ لِعَبِّ الْفَصْصِ ^(٤) وَص

٩٧٣ - عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن *

ابن عمر بن أحمد القزويني الأصل ، الدمشقيّ الدار ، تاج الدين ، خطيب الجامع الأموي ، ابن قاضي القضاة جلال الدين - تقدم ذكر أخيه جمال الدين عبد الله ، وسيأتي ذكر أخيه الخطيب ^(٥) بدر الدين محمد وذكر والده وذكر عمه ^(٦) وجماعة من بيتهم إن شاء الله تعالى .

كان أعلم ^(٧) ، وهو بمخارج الحروف من إخوته أعلم . فكنتُ أعجبُ من ألفاظه الفصيحة ، وخطابته المليحة . وكان يخطب بلحن ، ويورد خطبته بلا لحن . ويقرأ طبيباً في محرابه ، ويأتي من نعمة النعمة بما هو أخرى به . وكان يتعاجم في كلامه تشبهاً بأبيه ، دون إخوته وذويه . وكان العوامّ يحبونه ، ويؤثرونه على مَنْ سواه ويختارونه . وعُزل من الخطابة ، ثم أعيد إليها رحمةً له وإطابه .

(١) في الوافي : « فقال فيه بليقة » . وفي الطالع : « فنظم بليقة » . والبلايق : نوع من النظم الشعبي .

(٢) في الطالع : « قد أرى » .

(٣) في الطالع : « خنجري » .

(٤) في الوافي : « حزنه » . وفي الأصل : « اللصوص » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والطالع .

* الوافي : ٣٩٥/١٨ ، والبداية والنهاية : ٢٢٩/١٤ ، والدرر : ٣٦١/٢ .

(٥) ليست في (س) .

(٦) إمام الدين عمر بن عبد الرحمن ، كما في الوافي .

(٧) الأعم : المشقوق الشفة العليا .

ولم يزل على حاله إلى أن صُلِّيَ عليه ، وامتدت يد اليلَى إليه . وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء ، ثامن ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق ، بصق دماً على العادة . وخرج جنازته ومعها خمس جنائز من بيته فيما أظن أو أكثر ، لأنه مات منهم في جمعة جماعة .

لما مات أخوه الخطيب بدر الدين محمد ، وَلَّى الأمير علاء الدين أطنبغا الخطابة للعلامة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى ، وباشرا الخطابة إلى أن مَلَكَ الفخري دمشق ، فولى الخطابة لتاج الدين هذا .

وكتبتُ له توقيعاً من رأس القلم ارتجالاً ، جاء أوله :

« الحمد لله الذي رفع تاج الدين على رأس المنابر ، وأنطق بأوصافه ألسنة الأقلام في أفواه المحابر .. » .

ولما طُلِبَ قاضي القضاة إلى مصر في أيام الصالح إسماعيل تولى الخطابة من هناك ، وكان يطلع على المنبر ويجلس قبل الخطبة ويبكي ويقول : هذا السبكي قد أخذ الخطابة وقطع رزقنا ، فكان يَرِقُّ العوام له ، ويبكون معه .

ولما جاء قاضي القضاة إلى دمشق نزل له عنها ، فاستمرّ تاج الدين يخطب بالجامع الأموي من سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة إلى أن توفي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وكان خطيبَ جامع بَشْتَاك الذي على بركة الفيل ، وهو أول من خطب به ، وكان معه بدمشق تدريس المدرسة الشامية الجوانية وتصدير بالجامع الأموي .

وقرأ كثيراً من العربية على الشيخ الإمام بهاء الدين بن عقيل^(١) وكثيراً من الأصول على العلامة الشيخ شمس الدين الأصبهاني .

(١) عبد الله بن عبد الرحمن ، صاحب شرح الألفية (ت ٧٦٩ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٠/٢ ، والبغية :

ولم يكن له يدٌ في شيء من العلوم ، وتأسف الناس ^(١) لموته ، وكانت جنازته حافلة ^(٢) ، ولم يبلغ الأربعين .

٩٧٤ - عبد الرحيم بن علي *

ابن حُسَيْن بن مَنَاع المُعَمَّر الصالح زين الدين التكريتي الدمشقي التاجر .
حدَّث بالصحيح غَيْرَ مَرَّةٍ عن ابن عبد الدائم .
وكان مهيباً نبيلاً ، منوّر الشيبة ، كريم الأخلاق أقعد في أواخر عمره .
وتوفي رحمه الله تعالى بالصالحية في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .
ومولده في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وست مئة .

٩٧٥ - عبد الرحيم بن يحيى **

ابن عبد الرحيم بن المقرَّب بن المُسَلِّمة ، الأموي ، الشيخ الفقير أبو محمد بن المحدث
الدمشقي الكوفي .
حضر السخاوي ، وعتيقاً السلمي ، وعمر بن البراذعي ، وسمع كثيراً من عم أبيه
الرشيد بن مُسَلِّمة ، والسديد بن عَلَان ، وعدّة .
وحدَّث وكتب في الإجازات في أيام ابن أبي اليسر ، وحفظ القرآن . وكان يعمل
الكوفي ، ويقرأ على التَّرب .
وخرَّج له شيخنا علم الدين البرزالي (مشيخةً) سمعها منه شيخنا الذهبي والجماعة .

(١) في (ق) ، (س) ، والوافي : « العوام » .

(٢) في الوافي : « حفلة » .

* كذا سَمَّاهُ المؤلِّف ، والمشهور أنَّ اسمَه عبد الرحمن ، انظر : وفيات ابن رافع : ٢١٤/١ ، والدرر :
٣٣٥/٢ ، وذيول العبر : ٢٤٥ .

** الوافي : ٣٩٨/١٨ ، والدرر : ٢٦٢/٢ ، والشذرات : ٥١/٦ ، وذيول العبر : ١٠٦ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

٩٧٦ - عبد الرزاق بن أحمد*

ابن محمد بن أحمد بن الصابوني ، الشيخ الإمام المحدث المؤرخ الإخباري النسابة
الفيلسوف الأديب ، كال الدين الشيباني بن الفوطي البغدادي^(١) ، صاحب
التصانيف .

أفرد له شيخنا الذهبي ترجمةً تخصّه في جزء ، ذكر أنه من ولد معن بن زائدة
الأمير .

اشتغل في علوم الأوائل ، وحظي منها بكل طائل . وعبث بالنظم وبالنثر
وتأدّب ، وأتقن ذاك وتهذّب . ثم إنه صنّف التواريخ المفيدة ، وكانت له يدٌ في ترصيع
التراجم مجيده ، وذهنه في جميع ذلك سيّال ، وإلى كل فنّ ميّال . وأما خطّه فلم أر أقوى
منه ولا أبرع ، ولا أسرى ولا أسرع ، خطٌّ فائق ، رائع رائق ، بديعٌ إلى الغاية في
تعليقه ، لو أنه ريحٌ^(٢) لسابق الرياح في يومه إلى تخليقه^(٣) ، وكان يكتب في كل يوم
أربع كرايس ، ويأتي بها أنقش وأنفس من ذنب الطواويس . أخبرني من رآه قال :
ينام ويضع ظهره على الأرض ويكتب ويداه إلى جهة السقف . ولم أر له بعد هذا خطأ
إلا وهو عجب ، وقد أجاز لشيخنا الذهبي مروياته .

ولم ينزل على [على حاله]^(٤) إلى أن فرط أمر الفوطي ، ودّيس خده تحت^(٥)

الأرض ووطي .

* الوافي : ٤١٢/١٨ ، والدرر : ٣٦٤/٢ ، والشذرات : ٦٠/٧ .

(١) ليست في (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « نيل » .

(٣) التخليق : التطيب .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في (ق) ، (س) : « في » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

كان قد أُسِرَ في كائنة بغداد ، ثم إنه صار إلى النصير الطوسي سنة ستين ، واشتغل عليه بعلوم الأوائل ، وبأشرف كتب خزانة الرصد بمراغة أزيد من عشرة أعوام ، وهي على ما قيل أربع مئة ألف مصنف ، والأصح أن تكون أربع مئة ألف مجلد . ولَهَجَ بالتاريخ ، واطَّلَعَ على كتب نفيسة . ثم إنه تحوَّل إلى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية ، فأكَبَّ على التصنيف ، وسوَّدَ تاريخاً كبيراً جداً ، وآخر دونه ، سَمَّاهُ : (مجمع الآداب في معجم الأسماء على الألقاب) ، في خمسين مجلداً ، المجلد عشرون كراساً . وألَّفَ كتاب : (دُرَرُ الأصداف في غَرَرِ الأوصاف) مرتب على وضع الوجود من ^(١) المبدأ إلى المَعَاد ، يكون عشرين مجلداً ، وكتاب : (تلقيح ^(٢) الأفهام في المختلف والمؤتلف) مُجَدَّوْلاً ، و (التاريخ على الحوادث إلى خراب بغداد) . و (الدرر الناصع في شعر المئة السابعة) . قال : ومشايخي الذين أروني عنهم ينيفون على الخمس مئة شيخ ، منهم : الصَّاحِبُ محيي الدين بن الجوزي ^(٣) ، والأمير مبارك بن المستعصم بالله ^(٤) حدثنا عن أبيه بمراغة ، وخَلَفَ وَلَدَيْن . وله شعر كثير بالعربي وبالعجمي .

٩٧٧ - عبد الرزاق بن أحمد بن عبد الله*

ابن الزبير ، الخطيب ، تقي الدين ، ابن الشيخ العلامه شمس الدين أحمد الخابوري ، خطيب حلب وابن خطيبها .

(١) في الأصل : « في » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « تنقيح » ، تحريف .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٧٢/٢٣ .

(٤) أشار إليه الذهبي في ترجمة المستعصم ، آخر خلفاء بني العباس ، السير : ١٧٥/٢٣ .

* الدرر : ٣٦٤/٢ .

توفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وسبع مئة ، في أوائلها .

وَوَلِيَ الحُطابة بعد قاضي القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعي المعروف بالدمشقي^(١) .

٩٧٨ - عبد الرزاق بن علي *

ابن سليم بن ربيعة ، الفقيه ، المحصل جمال الدين بن القاضي ضياء الدين الشافعي .

كان اشتغل وتعب ، وحفظ (الوجيز) وحفظ كتابين في الطب ، وأقام مدةً بالبادرائية .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

٩٧٩ - عبد السلام بن محمد **

ابن مزروع بن أحمد ، الإمام المحدث القدوة ، عفيف الدين أبو^(٢) محمد البصري الحنبلي .

حدث عن المؤتمن ابن قَمَيْرة ، وفضل الله الجيلي ، وجاور بالمدينة^(٣) أكثر عمره ، خمسين سنة ، وَحَجَّ أربعين حجةً منها^(٤) متوالية . وكان من خيار الشيوخ .

سَمِعَ منه شيخنا علم الدين البرزالي ، وله نظمٌ .

(١) (ت ٧٠٥ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٣٦٧/٢ .

** الوافي : ٤٣٥/١٨ ، والشذرات : ٦٣٥/٥ .

(٢) في الأصل « ابن » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصل ومصادر ترجمته .

(٣) في (س) : « في قلّة » .

(٤) ليست في الوافي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته بالمدينة الشريفة .

وقرأ عليه علم الدين البرزالي (مشيخة) ابن شاذان الكبرى بدمشق [ثم ^(١) قرأها عليه بالحجاز في ربيع وخُلِص ^(٢)] ، وقرأ عليه بالمدينة ثلاثة أجزاء ، وهي : الخامس من حديث الحمّامي ، والثاني والثالث من حديث أبي الأحوص ^(٣) .

اللقب والنسب

☆ ابن عبد السلام : خطيب العقبية ناصر الدين أحمد بن يحيى .

☆ ومحيي الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز .

٩٨٠ - عبد السيد بن إسحاق بن يحيى *

الحكيم الفاضل بهاء الدين ابن المهذب ، الطبيب الكحال .

كان من قبل دَيَّان اليهود ، ثم إنه أُسْلِمَ وحَسَنَ إسلامه ، وتعلم القرآن وجالس العلماء . وكان طبيباً فاضلاً .

توفي رحمه الله تعالى في سادس جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) رابع : واد يقطعه الحاج بين الذواء والحجفة ، وخُلِص : حصن بين مكة والمدينة . (معجم البلدان) .

(٣) محمد بن الهيثم ، من ثقات حفاظ الحديث (ت ٢٧٩ هـ) . الأعلام : ١٣٢/٧ .

* الدرر : ٣٦٦/٢ .

٩٨١ - عبد الصّمد بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن محمد بن نصر الله ، الصّدر ، الرئيس ، الأصيل ، بهاء الدين أبو القاسم بن الشيخ الخطيب بدر الدين بن المغيرة الحموي .

كان رجلاً جيّداً ، له ثروة وتجارة ، وقد سمع على جماعه ، وحدث ببليده وبطريق الحجاز وولي الوزارة بحماة ، ثم تركها .

ولما مات أخوه الخطيب معين الدين ولي الخطابة بحماة مكانه ، فبقي سنة ومات في ثاني عشر ذي الحجة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

(١) اللقب والنسب

☆ ابن عبد الظاهر : كان الدين علي بن أحمد .

☆ والقاضي علاء الدين علي بن محمد .

٩٨٢ - عبد العزيز بن أحمد**

ابن عثمان ، الإمام البارع ، الرئيس عماد الدين ، أبو العزاهكاري المصري الشافعي قاضي الحلة ، ويُعرف بابن خطيب^(٢) الأشموني .

كان من الرؤساء النبلاء ، والفقهاء والعلماء ، له معرفة وفهم ، وحكمٌ ينفذ نفوذ السهم ، مع رياسة وسؤدد ، وتؤدة وقعدد . له اعتناء بالحديث واهتمام ، وله تصانيف مليحة الترتيب والنظام . وكان يتواضع مع رفعة ، ويتداني على سعة رُفَعته .

* الدرر: ٣٦٧ .

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

** الوافي : ٤٦٧/١٨ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، والدرر : ٣٦٨/٢ ، والشذرات : ٧٧/٦ .

(٢) في الأصل : « قاضي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

حجّ مرات ، وفاز بما شاء من مَبَرَّات . وذُكر لقضاء دمشق بعد ابن صَصْرَى ، ولم يرضَ بها لسكنه قَصْرًا .

ولم يزل على حاله إلى أن وليَ قاضي الحلة - محلة الأموات ، وأصبح وقد خَلَّتْ بأهله المَمَلَّات ^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان قد سمع من عبد الصمد بن عساكر ^(٢) ، وغيره .

وله تصانيف وأدبٌ وشعرٌ ، ومن تصانيفه الكلام على حديث الأعرابي الذي واقع أهله في شهر رمضان ، استنبط منه ألف حكمة .

٩٨٣ - عبد العزيز بن أحمد بن شيخ السَّلامِيَّة*

القاضي الرئيس فخر الدين .

بأشر الحسبة بدمشق في يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى تسع عشرة وسبع مئة عوضاً عن القاضي بدر الدين بن الحدّاد ^(٣) ، ووليَ ابن الحدّاد نظر الجامع الأموي ، ولَبَسَا تشريفيها ^(٤) .

٩٨٤ - عبد العزيز بن إدريس**

ابن محمد بن أبي الفرج المفرّج بن إدريس ، الشيخ عز الدين أبو محمد ، وأبو بكر

(١) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وَقد خَلَّتْ مِنْ قَبْلَهُمُ الْمَمَلَّات ﴾ الرعد : ٧١٣ ، والمَمَلَّات : العقوبات .

(٢) في الأصل : « ابن عبد الرحمن » ، سهو ، وهو عبد الصمد بن عبد الوهاب (ت ٦٨٦ هـ) ، الشذرات : ٣٩٥/٥ .

* الدرر : ٣٦٩/٢ .

(٣) محمد بن عثمان بن يوسف (ت ٧٢٤ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) في الأصل : « تشريفها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، ولم تذكر سنة وفاته .

** الدرر : ٣٦٩/٢ .

أيضاً ابن الشيخ الإمام المحدث تقي الدين بن مُزَيَّر التنوخي المحوي ، أخو الشيخ تاج الدين أحمد ، وقد تقدم ذكره في الأحمدين .

روى (جزء ابن عرفة) عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز ، وسمع بالقاهرة من إسماعيل بن عزّون عدّة أجزاء تفرّد ببعضها في الشام .

وتوفي رحمه الله تعالى سلخ الحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة بحماة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

ولما توفي صلى عليه أخوه الشيخ تاج الدين ، ودُفِنَ بمقبرة الباب القبلي ظاهر حماة .

٩٨٥ - عبد العزيز بن عبد الحق*

ابن شعبان بن علي بن الشّياح عز الدين أبو محمد الأنصاري الدمشقي .

روى عن ابن عبد الدائم ، وسمع من عبد الله الحشوعي .

توفي بقرية يبرود^(١) ، وحُمِلَ على الأعناق إلى تربة والده ، وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر^(٢) شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٩٨٦ - عبد العزيز بن سرايا**

ابن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزّ بن سرايا بن باقي بن

* الدرر : ٣٧٢/٢ .

(١) يبرود : من قرى ريف دمشق ، تبعد عنها نحو سبعين كيلاً .

(٢) في (ق) ، (س) : « عشرين » .

** الوافي : ٤٨١/١٨ ، وفوات الوفيات : ٣٣٥/٢ ، والدرر : ٣٦٩/٢ . والسلوك : ٧٩٤/٣/٢ (في وفيات سنة ٦٤٩) ، وكذلك في النجوم الزاهرة : ٣٣٨/١٠ . وله ديوان مطبوع ، وكتب عنه عدد من الأبحاث .

عبد الله بن العريض ، الإمام العلامة ، البليغ ، المَفَوِّه ، الفاضل ، الناظم ، الناصر ، شاعر عصرنا على الإطلاق ، صفى الدين الطائى السِّنْبِسي الحلبي .

شاعر أصبح به راجح الحلبي ^(١) ناقصا ، وكان سابقاً فأصبح على عقبه ناكصاً ^(٢) .
أجاد القصائد المَطْوَّلة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، فما قدَّر زهر الأرض في الربيع ؟ تطربك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعلولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة أوسيوف ^(٣) مسلولة . يغوص على المعاني ويستخرج جواهرها ، ويصعد بمخيلته الصحيحة إلى السماء ويلتقط زواهرها . كلامه السحر إلا أنه حلال ، ولفظه على القلب الظمان الذم من الماء الزلال . تلعب بالمعاني كما يتلعب النسيم بالأغصان اللدان ، وولّد بعضها من بعض كما يتولّد الضرج ^(٤) من الخجل في حدود الولدان ، مع بديع ماسم بمثله البديع ، وترصيع ما ألم به الصريع ^(٥) .

وشعره مع حلاوة الديباجه ، وطلاوة التركيب التي ما فرحت بها طلاء الدن ولا سلافة الزجاجه ، لا يخلو من نكت أدبية ترقص المناكب ، وفوائد ^(٦) علمية من كل فن ينقص الكواكب . عالماً بكل ما يقول ، عارفاً بغرائب النقول .

أجاد فنون النظم غير القريض ، وأتى في الجميع بما هو شفاء القلب المريض ، لأنه نظم القريض فبلغ فيه الغايه ، وحمل قدامه جماعة من فحول الأقدمين الرايه .

(١) هو راجح بن إسماعيل الأسدي الحلبي ، شاعر من أهل الحلة (ت ٦٢٧ هـ) ، الشنرات : ١٢٣/٥ . والأعلام : ١٠/٣ .

(٢) أفاد من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقُتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ الأنفال : ٢٨/٨ .

(٣) في الوافي : « وسيوف » .

(٤) في الأصل : « الفرع » ، تحريف .

(٥) البديع ، هو : بديع الزمان الهمداني ، والصريع هو صريع الغواني مسلم بن الوليد .

(٦) في (ق) ، (س) : « وقواعد » .

وكذلك هو في الموشحات والأزجال والمكفرات^(١) والبلاليق والقرقيات^(٢) ، والدُّوييت والمواليّا ، والكان وكان والقوما ، ليس له في كل ذلك نظير يُجاريه ، ولا يعارضه ولا يباريه .

وأما الشعرُ فجوّد فنونه ، وصادَ من برّه صَبّه ومن بجره نُؤنه ، لأنه أبدع في مديحه وهجّوه ، وراثته وأغزاله ، وأوصافه وتشبيهاته ، وطردياته وحاسته ، وحِكَمه وأمثاله ، لم ينحطّ في شيءٍ منها عن الذُرّوه ، ولم يخرج في مشاعرها عن الصّفا والمُرّوه .
وأما نثره فهو طبقة وسطى ، وترسله يحتاج في ترويجه إلى أن يعلّق في أذنه قرطاً . وعلى الجملة فإنه :

تَمَلَّلَ الشعرَ حتّى مالِذي أدبٍ في النَّاسِ شينٌ ولا عَيْنٌ ولا راء

وكان يسافر ويَتَجَرّ ، ويعفّ في بعض الأحيان عن الاجتداء ويزدجر . وكان منقطعاً إلى الملوك الأرتقية أصحاب ماردین ، وشهر مدائحهم^(٣) في الصّادرين والواردین . وكانت فيه شجاعة وإقدام ، وقوة جنان وثبوت أقدام .

ورد^(٤) إلى مصر وامتدح السلطان الملك الناصر ، وبرّ بمديحه كلّ متقدّم ومعاصر . وعاد إلى البلاد الشرقية ، إلّا أنه كان شيعياً ، وليس هذا الأمر في الحيلة بدعيّاً .

وكان يتردّد إلى حلب وحماة ودمشق ، ويعود إلى ماردین ، ويُعرّج على بغداد . ولم يزل على حاله إلى أن كدّر الموت على الصّفيّ عيشه ، وأنساه خرقه وطيشه . وتوفي رحمه الله تعالى تخميناً سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

(١) منظومات يكفر بها الشاعر عما يظن أنه فرط منه من غزل أو فحش .

(٢) الأزجال العابثة بما تتضمنه من هجاء ومجون . وانظر : العاطل الحالي والرخص الغالي للحلي ص ٢ ، وأدب الصناع د . محمود سالم عمده ٣٢٩ .

(٣) وعرفت مدائحه لهم بالأرتقيات .

(٤) في (ق) ، (س) : « وورد » .

ومولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وست مئة .
وقلت أنا فيه :

إِنَّ فَنَّ الشَّعْرِ نَادَى فِي جَمِيعِ الْأَدْبَاءِ
أَحْسَنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ عَزَائِي

وأنشدني من لفظه الشيخ جمال الدين محمد بن نباته^(١) :

يَا سَائِلِي عَنْ رُبَّةِ الْحَلِيِّ فِي نَظْمِ الْقَرِيضِ وَرَاضِيَا بِي أَحْكَمْ^(٢)
لِلشَّعْرِ حَلِيَّانِ ذَلِكَ رَاجِحٌ ذَهَبَ الزَّمَانُ بِهِ وَهَذَا قَيِّمٌ

وكان قد دخل إلى مصر في سنة ست وعشرين وسبع مئة تقريباً ، وأظنه وردها مرتين ، ومدح القاضي علاء الدين بن الأثير بعدة مدائح ، وأقبل عليه كثيراً ، ودخل به إلى السلطان الملك الناصر ، وقدم مديحه ، واجتمع بالشيخ فتح الدين ، وبأثير الدين ، وبمشايخ ذلك العصر ، ولما دخلت بعده ، وجدتهم يثنون عليه .

وأما الصدر المعظم شمس الدين عبد اللطيف الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، فكان يظنّ بل يعتقد أنه ما نظم الشعر أحد مثله لا في المتقدمين ولا في المتأخرين مطلقاً .

واجتمعت أنا به في الباب وبزاعة من بلاد حلب^(٣) في مستهل ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، كنّا في الصيّد مع الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، وأجاز لي بخطه جميع ماله^(٤) من نظم ونثر وتأليف مما سمعته منه ، وما لم أسمع ، وما لعله يتفق له بعد ذلك التاريخ على أحد الرائيين ، وما يجوز له أن يرويه سماعاً وإجازة ومناولة ووجادة بشرطه .

(١) انظر : ديوان ابن نباته ص : ٤٧٨ ،

(٢) في (س) : « يا سائلاً » . وفي النجوم الزاهرة : « راضياً » بلا واو .

(٣) انظر : معجم البلدان .

(٤) في الأصل : « جميع مالم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأنشدني من لفظه لنفسه في التاريخ والمكان: (١)

لِلتَّرْكِ مَالِي تَرَكُ مَادِينُ حَبِي شَرَكُ
حَوَاجِبٌ وَعِیُونَ لَهَا بَقْلِي فَتُكُ
كَالْقَوْسِ يُضْمِي وَهَذِي تُشْكِي الْمَحِبَّ وَيَشْكُو

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه :

وَإِذَا الْعُدَاةُ أَرْتُكَ قَرُ طَ مَذَلَّةٍ فِإِلَيْكَ عَنْهَا
وَإِذَا الذُّنُوبُ اسْتَنْعَجَتْ لَكَ مَرَّةً فَحَذَارِ مِنْهَا

وأنشدني من لفظه لنفسه : (٢)

لَا غَرَوَ أَنِّي يَصَلِّي الْفَوَادِ بِذِكْرِكُمْ نَارًا تَوَجَّهَهَا يَدُ التَّذْكَارِ (٣)
قَلْبِي إِذَا غِثْتُمْ ، يُصَوِّرُ شَخْصَكُمْ فِيهِ ، وَكُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ

وأنشدني من لفظه لنفسه : (٤)

يَقْبَلُ الْأَرْضَ عَبْدٌ تَحْتَ ظِلِّكُمْ عَلَيْكُمْ ، بَعْدَ فَضْلِ اللَّهِ ، يَغْتَمِدُ
مَا دَارَ مَيَّةٌ مِنْ أَسْنَى مَطَالِبِهِ يَوْمًا وَأَنْتُمْ لَهُ الْعِلْيَاءُ وَالسَّنْدُ (٥)

وأنشدني من لفظه لنفسه : (٦)

(١) ديوانه : ٤٣٠ .

(٢) ديوانه : ٣١٧ .

(٣) في الأصل : « نَار » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٤) ديوانه : ٣١٣ .

(٥) في الديوان : « من أقصى » . وفي (ق) ، (س) : « فالسند » . وفي البيت إشارة إلى قول النابغة الذبياني :

يَادَارُ مَيَّةٌ بِالْعِلْيَا فَالسَّنْدُ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ

(٦) ديوانه : ٢٦٧ .

وَأَغَرَّ تَبْرِيَّ الْإِهَابِ مُورَدٌ سَبَطِ الْأَدِيمِ مُحَجَّلِ بَيَاضِ^(١)
 أَخْشَى عَلَيْهِ بَأْنَ يُصَابَ بِأَسْهَمِي مِمَّا يَسَابِقُنِي إِلَى الْأَغْرَاضِ^(٢)
 وَأَنْشَدْنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ^(٣) :

وَأَذْهَمِي يَقَقِ التَّحْجِيلِ ذِي مَرَحٍ يَمِيسُ مِنْ عُجْبِهِ كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ^(٤)
 مَضْمَرٌ مَشْرِفُ الْأَذْنِينَ تَحْسِبُهُ مُوَكَّلًا بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنْ زُحَلِ^(٥)
 رَكِبْتُ مِنْهُ مَطَالِيلَ تَسِيرُ بِهِ كَوَاكِبُ تُلْحَقُ الْمُحْمُولَ بِالْحَمَلِ
 إِذَا رَمِيتُ سَهَامِي فَوْقَ صَهْوَتِهِ مَرَّتْ يَهَادِيهِ وَانْخَطَتْ عَنِ الْكِفْلِ^(٦)

قلت : ولم يَطْلُ^(٧) اجتماعنا به ، لأنه^(٨) كان قد قصد الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام رحمه الله ، لأنه كان قد سُرِقَتْ لَهُ عُمْلَةٌ بِمَارْدِينَ ، وبلغه أن اللص من أهل صيدنايا ، وسأل كُتَّابَهُ إِلَى مَتَوَلِي الْبَرِيدِ بِدَمَشَقِ بِأَمْسَاكِ غَرِيمِهِ .

وقوله : « كَالْقَوْسِ ... » الأبيات ، إشارةً إِلَى قول ابن الرومي^(٩) :

تَشْكِي الْحُبِّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ كَالْقَوْسِ تُصْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ مَرْنَانٌ^(١٠)

(١) ديوانه : « مُرَدَّد » .

(٢) فِي الْوَافِي : « بِأَسْهَم » .

(٣) ديوانه : ٢٦٦ .

(٤) يَقَقِ : شَدِيدُ الْبَيَاضِ نَاصِعَةٌ .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : « مَطْهَمٌ مَشْرِفٌ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « مَرَّتْ يَهَادِيدُ » ، تَصْحِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى . وَفِي دِيَوَانِهِ : « عَنِ الْكِفْلِ » .

(٧) عِبَارَةُ الْوَافِي : « وَلَمْ يَطْلُ مَجْلِسٌ .. » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « إِلَّا أَنَّهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (س) ، وَالْوَافِي .

(٩) دِيَوَانُهُ ص : ٣٤٢٢ .

(١٠) فِي الْوَافِي : « مَرِيَان » ، تَحْرِيفٌ .

وقوله : « وإذا الذئاب استنعتت ... » البيت ، يريد بذلك قول القائل :

وإذا الذئاب استنعتت لك مرةً فحذار منها أن تعود ذئابا
والذئب أخبث ما يكون إذا اكتسب من جلد أولاد النعاج ثيابا
(ديوانه) يدخل في مجلدين كبار أو ثلاثة صغار ، وكله منتخب .

وله قصيدة ميمية في مديح النبي ﷺ عارض بها (البردة) ، أتى فيها بما يزيد على المئة والأربعين نوعاً من البديع ، وشرحها وسمّاها : (نتائج الألفية في شرح الكافية البديعية) ^(١) . وجود في هذه القصيدة ما شاء .

وله مدائح ببني أرتق على حروف المعجم ، مجلّد . وله كتاب : (العاقل الحالي والمرخص الغالي) . وقال لي إنه وضع شيئاً في الجناس ، ولم أره إلى الآن . وقيل : إنه عمل (مقامات) يسيره .

والذي أقوله : إن الرجل كان أديباً كبيراً عالماً فاضلاً قادراً على النظم والإنشاء ، مهما أراد فعل .

وأنشدني له إجازة : ^(٢)

سوابقنا والنقع والسمر والطبي وأحسابنا والحلم والبأس والبر
هبوب الصبا والليل والبرق والقضا وشمس الضحى والطود والنار والبحر

وأنشدني إجازة ، وفيه استخدامان ^(٣) :

لئن لم أبرقع بالحيا وجة عفتي فلا أشبهته راحتي في التكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن في الوغى إذا [أنا] لم أغضه عن رأي محرم ^(٤)

(١) طبعت في مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الدكتور نسيب شاوي ، رحمه الله .

(٢) ديوانه : ٤٥ .

(٣) ديوانه : ٤٦ .

(٤) الزيادة سقطت من الأصل فقط .

قلتُ : استخدام « الحيا » في مفهوميه ، وهو : الحيا ، تقيض الوقاحة ، والحيا : المطر . واستخدم « الجفن » في مفهوميه ، أحدهما : جفن السيف وهو قرابه ، والجفن : غطاء العين ، وهو من غريب النظم .

وأنشدني له إجازة في مثله ^(١) :

لا يَسْمَعُ العُودَ مَنَّا غيرَ حاضنه من لَبَّةِ الشُّوسِ يومَ الرُّوعِ بالعلَقِ ^(٢)
ولا يعاطي كَيْثاً غيرَ مُصدِرِه يومَ الصَّدَامِ بلبِلِ العَطْفِ بالعرقِ
وأنشدني له إجازة في سبع تشبيهات ^(٣) :

وظَبِي بِقَفْرِ فَوْقَ طَرْفِ مَفْوِّقٍ بقَوْسٍ رَمَى فِي النَّقْعِ وَخَشاً بِأسْهُمٍ
كشمسٍ بِأُفْقٍ فَوْقَ بَرْقٍ بِكَفِه هلالٌ رَمَى فِي اللَّيْلِ جِنّاً بِأَنْجُمٍ
ونقلتُ من خطّه وهو مما يُقرأ مقلوباً : « كذُ ضَدِّكَ . كُنْ كَمَا أُمَكَّنَكَ . كَرَّمْ
عِلْمَكَ يَكْمُلُ عُمْرُكَ » .

ونقلتُ من خطّه رسالة طويلةً نظماً ونثراً ، كل كلمة منها تصحيف ما بعدها ،
تكون أربع مئة كلمة ، وهي :

« قَبْلَ قَبْلِ يَدَاكَ ثَرَاكَ عَبْدٌ عِنْدَ رَحَاكَ رَجَاكَ ، أَبِي أَبَى سُؤَالَ سِوَاكَ . أَمِلْ
أَمَّكَ رَجَاءَ رَحَاءٍ . فَالْقَى فَالْقَى جِدَّةَ خَدِّهِ بِأَغْتَابِكَ بِأَغْيَاكَ بِكَ شَرَفَا سَرَفَا . لَا ذَبِكَ
لَا ذَبِكَ مُقَدِّمًا مُقَدِّمًا أَمِلْ أَمِلْ يُزَجِّيهِ تَرْجِيهِ يُبَشِّرُهُ بِبُشْرِهِ وَجُودَكَ وَجُودَكَ . فاشْتاق
فاستاف . عَرَفَ عَرَفٍ [مِنْكَ مِثْلَ عَبِيرٍ عَنِيرٍ ، وَقَدِيمٍ وَقَدِيمٍ ، صَدَقَهُ صِدْقُهُ مَتَجَمِّلاً
مَتَجَمِّلاً] ^(٤) بِصَاعِهِ بِضَاعَةً تَبْثُرُ نَثْرًا .

(١) ديوانه : ٤٦ .

(٢) في الديوان : « خاضبه » .

(٣) ديوانه ٤٧٣ .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من الوافي .

سَيِّدٌ سَيِّدٌ حَلِيمٌ حَكِيمٌ فَاضِلٌ فَاضِلٌ مُجِيدٌ مُجِيدٌ
حَازِمٌ جَازِمٌ بَصِيرٌ نَصِيرٌ زَانَةٌ رَأِيَةٌ الشَّدِيدُ السَّدِيدُ
أُمَّةٌ أُمَّةٌ رَجَاءٌ رَخَاءٌ أَذْرَكْتُ إِذْ زَكْتُ نَقُودٌ نَقُودٌ^(١)
مَكْرَمَاتٌ مَكْرَمَاتٌ بَنَتْ يَدُ تَ عَلَاءٍ عَلَاءٍ بِجُودٍ بِجُودٍ

وهي طويلة ، ربما تزيد على الأربع مئة^(٢) . وقد أوردتها بمجموعها في كتاب :
(حَرَمُ الْمَرْحِ فِي تَهْذِيبِ لَمَحِ الْمَلَحِ) .

وأنشدني له إجازة^(٣) مضمناً .

تَزَوَّجَ جَارِيٌّ وَهُوَ شَيْخٌ صَبِيَّةٌ فَلَمْ يَسْتَطِعْ غَشِيَانَهَا حِينَ جَاءَهَا
وَلَوْ أَنِّي بَادَرْتُهَا لَتَرَكْتُهَا (يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا)^(٤)
وأنشدني له إجازة^(٥) :

لِيَهْنِكَ أَنْ لِي وَلَدًا وَعَبْدًا سَوَاءٌ فِي الْمَقَالِ وَفِي الْمَقَامِ
فَهَذَا سَابِقٌ مِنْ غَيْرِ سَيْنِ وَهَذَا عَاقِلٌ مِنْ غَيْرِ لَامِ
وأنشدني لنفسه إجازة^(٦) :

وَذَاتِ حِرٍّ جَادَتْ بِهِ فَصَدَّتْهَا وَقُلْتُ لَهَا : مَقْصُودِي الْعَجْزُ لَا الْفَرْجُ

(١) في الوافي : « نقود » .

(٢) عبارة الوافي : « أربع مئة كلمة أو أكثر » .

(٣) في الأصل : « أيضاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) هذا عجز بيت من أبيات لقيس بن الخطيم ، ديوانه ص : ٦ وما بعدها ، وقامه :

ملكته بها كفي فأنهت فتقها

(٥) الديوان : ٦٣٦ .

(٦) ليست في ديوانه .

فدارت ودارت سوءَ خلّقي بالرضا
إذا [ما] دفعتُ الأير فيها تجشّأت
وفي قلبها مما تكابدهُ وهَجُ^(١)
وذاك ضراطٌ لم يَمّ له نُصَجُ^(٢)
وأنشدني له إجازةً :^(٣)

خلّيانِي أَجْرُ فَضْلَ بَرُودي
كم بها من بديع زهر أنيق
راتعاً في رياض عَيْنِ البرُودِ
زنبق بين قُضْبِ آسٍ وِبانِ
كفصُوصٍ مَنْظُومَةٍ وَعُقُودِ^(٤)
كجبينٍ وعِيارِضٍ وَقَوامِ
وأنشدني له إجازةً :

ولي غلامٌ كالنَّجم طلعتُـه
تراه خلفي طول النهار فإنْ
أخدمُـهُ وهو بَعْضُ خُدّامي
جعلتُـه في الحُضُورِ مع سَفري
دجا لنا الليل صار قُدّامي
كفروة الحرث بن هَمّام
قلت : يريد قول الحريري : « فعمدت لفروة هي »^(٥) في النهار رياشي وفي الليل
فراشي .

وأنشدني لنفسه إجازةً :^(٦)

- (١) في الوافي : « وداوت سوء » . وفي (ق) ، (س) ، والوافي ، بيت بعد هذا ، وهو :
وظلت تغاشي من فعالي شدة
(٢) « ما » سقط من الأصل .
(٣) ديوانه : ٥٥٦ .
(٤) في الأصل : « وزرود » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٥) في الأصل : « وهي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٦) في (ق) ، (س) والوافي زيادة هنا ، وهي :
وأنشدني لنفسه إجازة :

ولم أنس إذ زار الحبيب بروضه وقد غفلت عنا وشاة ولوّام =

لما رأت غُليّاك أني كالذي أبدو فينقصني السقام الزائد^(١)
وافيتني ووفيت لي بكارم فنداك لي صلة وأنت العائد

قلتُ : أخذ هذا من واقعة شرف الدين بن عُنَيْن مع الملك المعظم لما كتب إليه وهو ضعيف :

انظر إليّ بعين مولى لم يزل يُؤلي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما أحتاجه فاغم ثنائي بالجميل الوافي

فحضر المعظم إليه وقال له : أنت « الذي » وأنا « العائد » وهذه « الصلة » ،
وأعطاه صرة فيها ثلاث مئة دينار . ولكن صفّي الدين زاد هنا النقص ، لأن
« الذي » عند النحاة اسم ناقص يحتاج إلى صلة وعائد .

وأشدني له إجازة^(٢) :

وعود به عاد السرور لأنّه حوى اللهو قدماً وهو ريان ناعم
يعرب في تغريده فكأنه يُعيد لنا ما لقنته الحمام

وأشدني له إجازة يطلب مشمأ^(٣) :

يا جواداً أكفّه في مجال الحر ب حتف وفي النوال غمّامه
جُد بتضعيف عكس مشطور تصحيف مثنى ترخيم مثل علامه

بقدمه للوسن الغض أعلام
إلينا وللنام حولي إلسام
علينا وحتى في الرياحين غمام

وقد فرش الورد الحدود ونشرت
أقول وطرف النرجس الغض شاخص
أيا رب حتى في الحدائق أعين

والأبيات في ديوانه : ٥٥٩ .

(١) في الوافي : « عيناك » . والأبيات ليست في ديوانه .

(٢) الديوان : ٣٦٩ .

(٣) ليسا في ديوانه .

قلتُ : مِثْلُ علامة : « سِة » ، فإذا رَحَّمَتِها كانت : « سِم » ، فإذا ثَنَيْتِها كانت : « سسم » ، فإذا صَحَّفَتِها كانت : « ششم » ، فإذا أَخَذَتَ شَطْرَها كان : « شم » ، فإذا عكستِها كانت : « مش » ، فإذا ضَعَفَتِها كانت : « مشمش » .

ومثل هذا قول القائل يطلب حبراً :

تَصَدَّقْ عَلَيَّ بِمَعْكُوسٍ ضِدِّ مَصْحَفٍ قَوْلِي خَبْتُ نَارَهُ

فتصحيف : « خبت ناره » : « خسارة » ، وضدها : « ربح » ، ومعكوسها : « حبر » . ولكنَّ الشيخ صفي الدين زادةً عملاً كثيراً .

وأنشدني إجازة لنفسه يستهدي راحاً^(١) :

جَادَ لَنَا الدَّهْرُ بَعْدَ مَا بَخَلَا وَمَجْلَسُ الْأَنْسِ قَدْ صَفَا وَحَلَا
وَنَحْنُ فِي مَجْلَسٍ يُزَيِّنُهُ رَشَفُ طِلْيَ بَيْنَنَا وَلَمْ طَلَى
فَاهِدٍ لَنَا لَا يَرِخْتُ ذَا نَعْمٍ مَاضٍ تَصْحِيفٍ عَكْسُهُ عَدَلَا

قلتُ : ضد « عدل » : « جَار » ، وتصحيفه : « حار » ، وعكسه : « راح » . والله أعلم .

وأنشدني له إجازة يطلب فلفلاً^(٢) :

أَعُوزَتْنَا إِحْدَى الْعَقَاقِيرِ فِي الدُّرِّ يَاقِ فَاتَحَفْ بِهَا تَكُنْ خَيْرُ تُحَفِّهِ
ضَعْفُ تَصْحِيفٍ ضِدِّ مَشْطُورٍ مِثْلٍ لَمَشْنِي مَعْكُوسٍ تَرْخِيمٍ دَفِّهِ^(٣)

قلتُ : ترخيم « دفه » : « دف » ، ومعكوسه : « فد » ، ومثناه : « فدغد » ، ومثله : « مَهْمَهُ » ، ومشطوره : « مَهْ » ، وضده : « قل » وتصحيفه : « فل » ، وتضعيفه : « فلفل » .

(١) ليست في ديوانه .

(٢) ليسا في ديوانه .

(٣) في الأصل : « مضعف » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .

وأنشدني لنفسه إجازةً :^(١)

بأبي قذارٍ منك وابن زَرارةٍ أدنيت حُتَفَ المستهام العاني
فلو أن كاسم أبي معاذ قلبه ما كان في البلوى أباً حَسَّانِ

قلتُ : المعنى : بسالف منك وحاجب أدنيت حتفي ، فلو أن قلبه جبل ما كان في البلوى ثابتاً ، لأن سالفاً أبوه قذار ، وحاجباً أبوه زَرارة^(٢) ، ومعاذاً أبوه جبل ، وحسان أبوه ثابت .

وأنشدني لنفسه أيضاً :^(٣)

ما كان ودك إذ عتَبْتُكَ في الجفا كابن الطُفَيْل ولا أبي حَسَّان^(٤)
وجهي أبو المقداد منك من الحَيَا والقلبُ منك حكى أبا سفيان

قلتُ : المعنى : ما كان ودك عامراً ولا ثابتاً ، وجهي منك أسود وقلبك صخر . لأن الطفيل ابنه عامر ، وحسان أبوه ثابت ، والمقداد أبوه الأسود ، وأبا سفيان كنيته صخر .

وأنشدني لنفسه أيضاً - رحمه الله تعالى - مَوالِياً^(٥) :

تقول بسك مني يا شقيق البدرِ لقول ضدك عني بالحنأ والغدرِ
وكان ظنك أني يا جليل القدرِ يكون ذلك فني عند ضيق الصدرِ

قلتُ : وهذان البيتان يُقرأ شطر كل قفل منها فيصير بيتي قريضٍ قائمة الوزن بذاتها ، وهما :

(١) ليسا في ديوانه .

(٢) من سادات العرب في الجاهلية ، كان رئيس تمم في عدة مواطن ، (ت نحو ٣ هـ) الأعلام : ١٥٢/٣ .

(٣) ليسا في ديوانه .

(٤) في الأصل : « في الهوى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) ليس في ديوانه .

تَقُولُ بَسَّكَ مِنِّي لَقُولِ ضَدَّكَ عَنِّي
وَكَانَ ظَنُّكَ أَنِّي يَكُونُ ذَلِكَ فَنِّي

وَإِذَا قَرَأْتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِالْهَجَاءِ حَرْفًا فَحَرْفًا ، خَرَجَ مِنْهُمَا بَيْتَا مُوَالِيَا قَائِمًا
الْوِزْنَ ، وَذَلِكَ :

تَاءٌ قَافٍ وَآوٌ لَامٌ بَاءٌ سَيْنٌ كَافٌ مِيمٌ نُونٌ يَا
لَامٌ قَافٍ وَآوٌ لَامٌ ضَادٌ دَالٌ كَافٌ عَيْنٌ نُونٌ يَا
وَآوٌ كَافٍ أَلْفٌ نُونٌ طَاءٌ نُونٌ كَافٌ أَلْفٌ نُونٌ يَا
يَاءٌ كَافٍ وَآوٌ نُونٌ ذَالٌ لَامٌ كَافٌ فَاءٌ نُونٌ يَا
وَهَذَا عَمَلٌ صَعْبٌ إِلَى الْغَايَةِ ، وَلَا يَتَأْتِي إِلَّا لِذِي الْقُدْرَةِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى النَّظْمِ . وَقَدْ
أَرَدْتُ أَنْ أَعْمَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَعَانَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَفَتَحَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ :

عَلِمْتُ أَنَّكَ حَبِيُّ يَارَشِيقَ الْقَدُّ وَقُلْتُ : وَدَّكَ طَبِّي يَاشَرِيقَ الْحَدُّ
فِرَاعٌ صَدَّكَ لَبِّي يَاسَعِيدَ الْجَدُّ عَسَى يَرَدُّكَ رَبِّي يَآمِدِيدَ الصَّدُّ
فَشَطَرَ كُلَّ نِصْفٍ أَوَّلُ يُقْرَأُ فَيَكُونُ قَرِيبًا وَهُوَ :

عَلِمْتُ أَنَّكَ حَبِيُّ وَقُلْتُ : وَدَّكَ طَبِّي
فِرَاعٌ صَدَّكَ لَبِّي عَسَى يَرَدُّكَ رَبِّي

وَإِذَا قَرَأْتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِالْهَجَاءِ حَرْفًا فَحَرْفًا ، كَانَا بَيْتَيْ مُوَالِيَا وَهَما :

عَيْنٌ لَامٌ مِيمٌ تَاءٌ أَلْفٌ نُونٌ كَافٌ حَاءٌ بَاءٌ يَا
وَآوٌ قَافٍ لَامٌ تَاءٌ وَآوٌ دَالٌ كَافٌ طَاءٌ بَاءٌ يَا
فَاءٌ رَاءٌ أَلْفٌ عَيْنٌ صَادٌ دَالٌ كَافٌ لَامٌ بَاءٌ يَا
عَيْنٌ سَيْنٌ أَلْفٌ يَاءٌ رَاءٌ دَالٌ كَافٌ رَاءٌ بَاءٌ يَا

وَأُنْشِدْنِي لَهُ إِجَازَةً^(١) :

وَعَدْتُ فِي الْخَمِيسِ وَضُلًّا وَلَكِنْ شَاهَدْتُ حَوْلَنَا الْعِدَا كَالْخَمِيسِ
أَخْلَفْتُ فِي الْخَمِيسِ وَعَدِي وَجَاءَتْ بَعْدَمَا قَبْلَ بَعْدَ [يَوْمِ] الْخَمِيسِ^(٢)

قلتُ : المعنى : أنها أوعده الزيادة في يوم الخميس فرأت العدا كالخيش ، فأخلفتُ الوعد في ذلك النهار ، وجاءت في يوم الجمعة ، وذلك لأنَّ البعد والقَبْل متكافئان فسقطا ، وفضل معه بعد والخميس بعده الجمعة . وهذا أخذه من قول القائل :

مَا يَقُولُ الْفَقِيهَ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَلَا زَالَ عَنْدَهُ الْإِحْسَانُ
فِي فَتَى عَلَّقَ الطَّلَاقَ بِشَهْرِ بَعْدَمَا قَبْلَ بَعْدَهُ رَمَضَانُ

وقد أوردتُ هذين البيتين في (شرح اللامية)^(٣) وتكلمتُ عليه وعلى تقديم القَبَلَاتِ والبُعْدَاتِ ، وهناك يظهر هذا أوضح من هنا .

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ مَا يَقْرَأُ مَقْلُوبًا^(٤) :

أَنْتَ ثَنَاءً نَاضِرًا لَكَ إِنَّهُ هَنَاءٌ كُلُّ أَرْضٍ إِنْ أَنْتَ ثَنَاءٌ
أَمْرٌ كَلَامًا أَلْفَتْهُ مَظَنَّهُ لَهُ نَظْمٌ هَتَفَ لَأَمِّ الْكَرَمَاءِ
أَهْبَ لَوْصَفٍ لَالْمَاهِبِ أَمَلٌ مَلَأَ بِهَا مَلَأَ الْفُصُولَ بِهَاءِ^(٥)
أَرْوَحُ أَطِيلُ الدَّابَّ أَبْرَمُ هَمَّةً مَرْبَى بِإِدْلَالٍ يَطَّاحُ وَرَاءَ^(٦)
أَرِقُّ فَلَاحِزُنْ يَنْمُ بِمَهْمَلٍ مَهْمٌ بَيْنَ يَنْزِحِ الْفُقَرَاءِ

(١) ليسا في ديوانه .

(٢) الزيادة من (ق) ، (س) .

(٣) انظر : الغيث المسجم في شرح لامية العجم : ١٧٥/١ .

(٤) ليس في ديوانه .

(٥) في (ق) ، (س) : « هباء » . ولا يستقيم العكس بها .

(٦) في الأصل : « يطوح » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

تهيض قلبي أن ينسال رخاء
لكتيبة توقيع أراه وفاء^(١)

أخراً لأني نائبٌ لقضيّة
أفوه أراعي قوّته بتكلفٍ
وأنشدني له إجازةً مما يُقرأ مقلوباً^(٢) :

لـوُضَنَ بِي لـِـذْ ذُلِّي
إِنْ سَاحَّ لِي لَمْ شَمْلِي

يَلـِـذْ ذُلِّي بِنُضْوِ
يَلَمْ شَمْلِي لِحُسْنِ
وأنشدني لنفسه إجازةً في الجناس^(٣) :

على رسوم للديار والدمن
لأتذكرُنا بهنّ من سكن^(٤)
إن هاجت الورق بها على فنن^(٥)
وفي الحشا قرحاً وفي القلب شجن^(٦)
فكم لها عندي أيادٍ ومنن
ومارأيتُ بعدها مرأى حسن
كلّ لقلب المُستَهام قد فنن
بل بعثهم رُوحِي بغير ما ثمن
فتمّق العيش بنضح ودّهن^(٧)
إن أغرب القول بعذلي أو لحن

كم قد أفضنا من دموعٍ ودماء
وكم قضيننا للبكاء منسكاً
معاهد تُحدث للصرّ فناً
تذكرها أحدث في القلب شجاً
لله أيامٌ لنا على منى
شربتُ فيها لذة العيش حساً
كم كان فيها من فتاةٍ وفقى
فا ارتكبنا بالوصال مأثماً
وعاذلٍ أضمر مكرراً ودهماً
لاح غداً يعرف للقلب لحاً

(١) في الأصل : « أذله وفاء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وبها يستقيم العكس .

(٢) ليسا في ديوانه .

(٣) ديوانه : ١٠٤ .

(٤) في الأصل : « تذكرت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والديوان .

(٥) في الديوان : « معاهداً » . « إن ناحت » .

(٦) في الديوان : « أحدث في الخلق » .

(٧) في الديوان : « فتمّق الغش » .

يزيدني بالزجر وجداً وأسى
سمتُ منه اللوم إذ طال مدى
بحسرة تشدد في السير قرى
لا تتشكى نصباً ولا وجى
حنتُ وأعطتُ في الشرى خير عطاً
وأصحتُ من بعد أين وعناً
ملكٌ غدا لسائر الناس أباً
الناصر المليك الذي فاض جداً
ملكٌ علا قدراً وجداً وسناً
لا جور في بلاده ولا عدى
كم بدرٍ أعطى الوفود ولهى
حنيتُ من إنعامه خير جنى
فما شكوتُ في حماء لغباً
دعوته بالمدح عن صدقٍ ولا
أنظمُ في كلِّ صباحٍ ومساءً
يامالكأ فاق الملوك ورعاً
أكسبني بالمجد مجدداً وعلاً

وكان ماءً الوُدُّ منه قد أسنُ
ولم أجبه بل بدوتُ إذا مدنُ
إذا لم تذلل بزمام وقرنُ^(١)
إذا دجا الليل على الركب وجنُ
إن حنَّ يوماً غيرُها إلى عطنُ^(٢)
للملك الناصر ضيقاً وعَنُ^(٣)
إن سار في كسبِ الثناء أو أبُنُ
فخلته ذا يزنَ وذا جَدُنُ
فجاء في طُرقِ العلا على سننُ
إن عُدَّ في العدل زبيدٌ وعدنُ
وكان يرضيهم كفافٌ ولهنُ^(٤)
وكنْتُ من قبلُ كميَّتٍ في جننُ
ولو أطاق الدهرُ غبني لغبنُ^(٥)
فلم يجب يوماً بلم ولا ولنُ
كأنه لصارمِ الفكرِ مسنُ^(٦)
إن شان أهلَ المُلْك طيشٌ ورَعنُ
فصغتُ فيك المدحَ سراً وعَلنُ^(٧)

(١) في الأصل : « بحسرة » ، تصحيف . والجسرة : الناقة القوية العظيمة .

(٢) في الديوان : « حنت » .

(٣) في الديوان : « وعيا » .

(٤) في الديوان : « كفافاً » . واللهن : جمع لهنة ، ما يهديه المسافر عند قدومه من سفره . والبدرة : كيس فيه دراهم .

(٥) في الديوان : « شكيت » .

(٦) في الديوان : « الصارم الدهر » ، والمسنُ : معروف .

(٧) في (ق) ، (س) والديوان : « أكسبتني » .

إِنْ أَوَّلِكَ الْمَدْحَ الْجَزِيلَ فَحَرَى
لَا زِلْتَ فِي مُلْكِكَ خِلْوًا مِنْ عَنَاءٍ
وَنِلْتَ فِيهِ مَا تَرُومُ مِنْ مَنَى
وَأَنْشَدَنِي إِجَازَةً لِنَفْسِهِ (١) :

وإن كبا فكرٍ سواي وحرن^(١)
وليس للهـم لـديـك من عـنـ^(٢)
وعشت في أمـنٍ وعـزٍّ ومـنن^(٣)

سَلْ سَلْسَلُ الرِّيقِ إِنْ لَمْ تَرَوْحَرَ ظَمًا
قَدْ قَدَّ قَدْ حَبِيبِي حَبْلُ مُصْطَبْرِي
مُذْ مَلَّ مَلَمَلٌ قَلْبِي فِي تَعَنَّتِهِ
بَلْ رَبُّ رَبِّ رَبِّ سَرَبٍ ثَغْرِهِ شَنْبِ
لَوْ قَابِلُ الشَّمْسِ لَأَلَّا لَأَوْهَا كُسِفَتْ
كَمْ هَدَّةٌ هُدَاهُدٌ وَاشِينَا بِنَاءً وَفَاءً
مَنْذَرٌ نَمْنَمٌ أَقْوَالًا شَقِيتَ بِهَا
[لَمْ لَمَلَمَ الْوَجْدُ عِنْدِي بَعْدَ مَصْرَفِهِ
مَذَلَجٌ لَجَلَجَ نَطْقِي عَنْ إِجَابَتِهِ
إِنْ كَانَ دَعْدَعٌ دَعَّ كَاسَ الْعَتَابِ وَقُلْ
إِنْ قِيلَ ضَعُضَعَ ضَعُ خَدَيْكَ مَعْتَذِرًا
أَوْ قِيلَ طَحْطَحَ طَحُّ بِالْحُبِّ مَلْتَجًا
سَبَّ سَبَّسَبَ الْحُبِّ وَاشْكُرْ مِنْ أَحْبَبْنَا
هُمْ هَمَّهُمْ حَفَظَهُمْ لِلْخَلِّ حَقَّ وَفَا
إِنْ قِيلَ أَحَّ أَحَاحَ الْغَدْرُ فَارْضَ بِهِمْ

بَلْ بَلْبَلُ الْقَلْبِ لَمَّا زَادَهُ أَلَمًا
إِنْ أَنْ أَنْ أُجْتَنِيَ جُرْمًا فَلَا جَرَمًا
لَوْ كَفَّ كَفَفًا دَمْعًا صَارَ فِيهِ دَمًا
لَوْ لَوْلُو رَامَ تَشْبِيهًا بِهِ ظَلَمًا
فَإِنْ يَقُلْ لِلدُّجَارِخِ زَرْخُ الظُّلَمَا
غَدَاةٌ عَنْعَنَ عَنْ أَعْدَائِنَا الْكَلَمَا
إِذَا زَلَّ زَلَزَلُ طُودِ الصَّبْرِ فَانْهَدَمَا
عَنِي وَجَمَّجَمَ جَمَّ الْغَيْثِ فَالْتَأَمَا (٤)
لَوْ رَقَّ رَقْرَقَ دَمْعًا ظَلَّ مَنْسَجَا (٥)
مَنْ مَهْمَةٌ الْعَشَقِ لَا يَطْوِيهِ مِنْ سَأَا
أَوْ قِيلَ قَلْقَلْ قُلْ أَرْضِي بِمَا حَكَا
أَوْ قِيلَ دَمْدَمَ دَمُّ بِالْوَدِّ مَلْتَرَمَا
لِكُلِّ مَنْ مَنْ مِنْ أَهْلِ الْوَفَا كَرَمَا
مِنْ حَيْثُ حَصْحَصَ حَصَّ الْهَمِّ مَنْتَقَمَا
أَوْ لَا فَنَفْسُكَ لَمْ لَمْ لَمْ تَقِضْ نَدَمَا

(١) في الديوان : « الجميل » .

(٢) في الديوان : « عز وبأس ومنن » .

(٣) ليست في الديوان ، والوافي .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « في إجابته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وأنشدني لنفسه إجازةً :^(١)

أنهضُ فهذا النّجمُ في الغُربِ سَقَطُ
والصبحُ قد مدَّ إلى نهر الدجى
وأهلبَ الإصباحُ أذيالَ الدجى
وضجَّتِ الأطيَّارُ في أوزاقها
وقام من فوقِ الجدار هاتِفُ
يخبِّرُ الراقِد أنَّ نومَه
والبدرُ قد صار هلالاً ناحلاً
كأنه قوسٌ لجَيْنٍ مُوتِرُ
وفي يَدَيْهِ للثريَّا نَدَبُ
فأيُّ عذرٍ للرماة والدجى
أما ترى الغيمَ الجديد مُقبلاً
كأن أيدي الرّيح في تلفيقه
يلسع ضوءَ البرق في حافاتِه
وأظهر الخريف من أزهاره
ولان عطفُ الرّيح في هبوبها

والشَّيبُ في فؤدِ الظلامِ قد وخطُ
يداً بها دُرُ النجومِ يُلْتَقَطُ^(٢)
بشمعةٍ من الشعاع لم تَقَطُ
لما رأت سيفَ الصّباح مُخترطُ^(٣)
متوجَّ القامةِ ذو قرع قَطَطُ^(٤)
عند انتباه جَدّه من الغلَطُ
في آخر الشهر وبالصّبح اختلطُ
والليل زنجيٌّ عليه قد ضَبَطُ
يزيدُ فرداً واحداً عن النَّمَطُ
قد عُدَّ في سلكِ الرّماة وانخرطُ^(٥)
قد مدَّ في الأفق رِداه وانبسطُ
قد لبّدت قطناً على ثوب شَمَطُ^(٦)
كأنَّ في الجوّ صفاحاً تُخترطُ
أضعافَ ما يخفي الرّبيع إذ شحطُ^(٧)
والظلُّ من بعد المهجير قد سَقَطُ^(٨)

(١) ديوانه : ٢٥٦ .

(٢) في الديوان : « نحر الدجى » ، وهي أشبه .

(٣) في الديوان : « وضجت الأوراق » .

(٤) في الأصل : « هاتفاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والديوان . والقطط : القصير .

(٥) في الأصل : « سلك الزمان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والديوان .

(٦) في الديوان : « الزنج » . بدل « الرّيح » .

(٧) في الديوان : « أخفى » .

(٨) في الديوان : « والطلّ » .

قَسَطُ النَّهَارِ بَعْدَمَا كَانَ قَسَطُ^(١)
 رُسُلًا صَبَا الْقَلْبُ إِلَيْهَا وَانْبَسَطُ
 تَقْدِيمِ وَالْبَعْضُ بِيَعُضٍ مُرْتَبَطُ
 رُكَّابٍ عَنْهَا الرِّحَالُ لَمْ تُحَاطُ
 مِثْلِي تَقَاضَاهُ الْغَرَامُ وَنَشَطُ
 إِنَّ الرِّضَا بتركه عَيْنُ السَّخَطُ^(٢)
 فَإِنَّا اللَّذَاتُ فِي الدَّهْرِ لَقَطُ
 لَا يَسْتَطِيعُ رَدُّهُ إِذَا قَرَطُ
 نَعَمَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَلَغَطُ
 مُوَاطِنًا قَدْ زَقَّ فِيهَا وَقَمَطُ^(٣)
 أَنَّ الرَّدَى قَرِينُهُ حَيْثُ سَقَطُ
 إِنْ الْجِيَادَ لِلْحُرُوبِ تُرْتَبَطُ
 جَعْدُ التَّلَاعِ مِنْهُ فِي الْكَعْبِ تَقَطُ^(٤)
 وَكُلُّ ذِي لَبٍّ لَهُ فِيهِ غَبَطُ
 بَلْ جَاوَزَ الْقَيْظُ وَالْفَصْلُ ضَبَطُ^(٥)
 وَتَمَّ تَمْوُزُ وَأَبَّ وَشَخَطُ
 فِي نَضْجِ تَعْدِيلِ الثَّارِ مَا قَرَطُ
 وَحَلَّ مِنْ ذَاكَ الْمَتَاعِ مَا رَبَطُ
 مُنْتَرِهٍ عَنِ الْفَسَادِ وَالْغَلَطُ^(٦)

والشمس في الميزان موزون بها
 وأرسلت جبالاً دُرْبُنْدَهَا
 من الكراكي الحُزْرِيَّاتِ التي
 كأنها إِذْ تَابَعَتْ صُفُوفَهَا
 إِذَا قَفَاهَا سَمْعُ ذِي صِبَابَةٍ
 فقمُ بِنَا نَرْفُلُ فِي ثَوْبِ الصَّبَا
 والتقطِ اللَّذَّةَ حَيْثُ أَمَكْنَتْ
 إِنْ الشَّبَابُ زَائِرٌ مُوَدَّعٌ
 أما ترى الكُرْكِيَّ فِي الْجَوِّ وَقَدْ
 أَنَسَاهُ حُبُّ دَجَلَةٍ وَطَيْبِهَا
 فجاء يَهْدِي نَفْسَهُ وَمَا دَرَى
 فابرز قِسِيَا مِنْ كَمَثْدَا نَاتِهَا
 مِنْ كُلِّ سَبَطٍ مِنْ هَدَايَا وَاسِطِ
 أَصْلَحَهُ صَالِحٌ بِاجْتِهَادِهِ
 وَمَا أَضَاعَ الْحَزَمَ عِنْدَ حَزْمِهَا
 حَتَّى إِذَا حَرُّ حُزَيْرَانَ خَبَا
 وَجَاءَ أَيْلُولُ بَحْرٍ فَاتِرٍ
 أَبْرَزَ مَا أَحْرَزَ مِنْ آلَاتِهِ
 وَمَدَّ لِلضَّعْفَةِ كَفًّا أَوْحَدٍ

(١) فِي الْأَصْلَ : « قَسَطُ الزَّمَانِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (س) ، وَالِدِيَوَانَ .

(٢) فِي (ق) : « فِي ذِيلٍ » .

(٣) فِي الدِّيَوَانَ : « وَلَقَطُ » .

(٤) فِي الدِّيَوَانَ : « جَعْدُ الْبِلَاغِ » .

(٥) فِي الدِّيَوَانَ : « عِنْدَ عَزْمِهَا » .

(٦) فِي الدِّيَوَانَ : « كَفًّا أَوْحَدًا مَنَزْهًا » .

وظلّ يستقري بلاغ عودها
 وجوّد التدقيق في لحامها
 ولم يزل ينقلها مرّاتٍ بآ
 فعندما أفضت إلى تطهيرها
 حتى إذا قُصّها بدّهنها
 كأنها النونات في تعريقها
 مثل السيور في يد الرامي فلو
 لو يقذف الم بها مالكها
 كأنما بُنْدَقها نيازك
 من كل غني الضلوع مُدْمَج
 كأنما لأم عليها ألف
 فاجل قذى عيؤنا ببرزة
 فما رأت من بعد هورٍ بابل
 ونحن من مروجِه في نشوة
 من كل مقبول المقال صادق
 يقدّمنا فيها قديم حاذق
 يحكم فينا حكم داود فلا
 لا يسبك الأسباق من جفته

فنبّر الأطراف واختار الوسط
 فأسقط الكرشات منه والسقط
 تلزم في صنعتِه وتشتط^(١)
 صَحّ دارات البيوت والنقط
 جاءت من الصّحة في أحلى نمط
 يعوجّ منها بُنْدَق مثل النقط^(٢)
 شاء طواها وحوّاه في سَفَط
 ما انتقض العود ولا الزور انكشط
 أو من بد الرامي إلى الطير خطط^(٣)
 ما وهب الباري بها ولا قرط^(٤)
 وقال قوم إنها اللام ففقط^(٥)
 تنفي عن القلب المموم والقنط
 ومائه التيار عيشاً يُعْتَبَط
 عند التحري في الوقوف للخطط
 قد قبض القوس وللنفس بسط
 لا كسل يشينُه ولا قنط
 تنظر منا خارجاً لما شرط^(٦)
 ولم يكن مثل القرلى في النمط^(٧)

(١) في الديوان : « يُبْلَغُها مرّاتٍ » .

(٢) في الديوان : « يعرج » .

(٣) في الديوان : « بُنْدَقُها تنازلاً » .

(٤) في (ق) ، (س) والديوان : « غني البيوت » . وفي الديوان : « ما أخطأ الباري » .

(٥) في (ق) والديوان : « كأنه » .

(٦) في (ق) ، (س) ، والديوان : « عمّا شرط » .

(٧) في (س) : « لا يشتكى » ، وفي الديوان : « لا يشتك » .

إذا رأى الشَّرَّ تعلَّى وإذا
 ما نغم المِزْهَر والِدَفْ إذا
 أطيَّب من تَدَفْدَفَ التَّمْ إذا
 والطير شق في نواحيه فَذَا
 وذاك يرمى في شواطيه وذا
 فمن جليل واجب تعاداة
 تعرج منا نحوه بنادق
 فمن كسير في العَبَاب عَائِمٌ
 لآخ له الخير تدلَّى وانخبطُ^(١)
 فصل أدوار الضُّرُوب وضَبَطُ
 دَقَّ على الفيض الجناح وخَبَطُ^(٢)
 قد اكتسى الريش وهذا قد شَطُ
 على الروابي قد تحصَّى ولَقَطُ
 ومن مراعى عَدُّها لا يُشْطَرُ
 لم ينج منها من تعلَّى واختَبَطُ
 ومن ذبيح بالذِّمَاء يُعْتَبَطُ^(٣)

وأنشدني له إجازة ، ومن خطه نقلتُ :^(٤)

كَيْفَ الضَّلَالُ وصبحَ وَجْهَكَ مُشْرِقَ
 يَا مَنْ إِذَا سَفَرَتْ مُحَاسِنُ وَجْهَهُ
 أَوْضَحَتْ عَذْرِي فِي هَوَاكَ بَوَاضِحِ
 فَإِذَا الْعَذُولُ رَأَى جَمَالَكَ قَالَ لِي
 يَا أَسْرَأَ قَلْبَ الْمُحِبِّ قَدْ مُعِيَ
 أَغْنَيْتَنِي بِالْفِكْرِ فَيْكَ عَنِ الْكَرَى
 وَصَحِبْتُ قَوْمًا لَسْتُ مِنْ نَظَرَائِهِمْ
 قَوْلًا لِمَنْ حَمَلَ السِّلَاحَ وَخَصْرَهُ
 وَشَذَاكَ فِي الْأَكْوَانِ مِسْكَ يَعْْبَقُ
 ظَلَّتْ بِهَا حَدَقُ الْخَلَائِقِ تُحْدِقُ^(٥)
 مَاءَ الْحَيَا بِأَدْيِيهِ يَتَرَفَّقُ
 عَجَبًا لِقَلْبِكَ كَيْفَ لَا يَتَمَزَّقُ
 وَالنُّومُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُطْلَقُ
 يَا أَسْرِي فَأَنَا الْغَنِيُّ الْمَمْلُوقُ
 فَكَأَنِّي فِي الطَّرْسِ سَطَرَ مُلَحَقُ
 مِنْ قَدْ ذَابِلُهُ أَرْقُ وَأَرْشَقُ^(٦)

(١) في (ق) : « وسقط » .

(٢) في الديوان : « على القبض » .

(٣) في الديوان : « يغتبط » .

(٤) ديوانه : ١٢٠ .

(٥) في الأصل : « الحدائق » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .

(٦) في (ق) ، (س) : « أرق وأشق » ، وفي الديوان والوافي : « أدق وأرشق » .

لَا تُؤْهِ جِسْمَكَ بِالسَّلَاحِ وَحَمْلِهِ
 ظَبْيٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ فَوْقَ خُدُودِهِ
 تَلْقَاهُ وَهُوَ مُزَرَّدٌ وَمُدَرَّعٌ
 لَمْ يَتْرَكِ الْأَتْرَاكِ بَعْدَ جَاهِلِهَا
 إِنْ نُوزِلُوا كَانُوا أَسْوَدَ عَرِيكَةِ
 قَوْمٍ إِذَا رَكَبُوا الْجِيَادَ رَأَيْتَهُمْ
 قَدْ خَلَقْتَ بَدَمَ الْقُلُوبِ خُدُودَهُمْ
 جَذَبُوا الْقِسْيَ إِلَى قِسْيٍ حَوَاجِبِ
 نَشَرُوا الشُّعُورَ فَكُلُّ قَدٍّ مِنْهُمْ
 لِي مِنْهُمْ رَشَاءٌ إِذَا قَسَابِلَتْهُ
 إِنْ شَاءَ يَلْقَانِي بِخُلُقٍ وَاسِعٍ
 لَمْ أُنْسَ لَيْلَةَ زَارِنِي وَرَقِيبِهِ
 حَتَّى إِذَا عَثَ الْكُرَى بِجَفُونِهِ
 عَانَقَتْهُ وَضَمَّتْهُ فَكَأَنَّهُ
 حَتَّى بَدَا فَلَاقَ الصَّبَاحَ فَرَاغَهُ
 وَأَنْشَدَنِي لَهُ إِجَازَةً يَمْدَحُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قِلَافُونَ^(١) :

أُسْبِلْنَ مِنْ فَوْقِ النُّحُورِ ذَوَائِبَا فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبَا^(٢)

(١) في الديوان : « وثقلة » .

(٢) في الأصل : « أسد » ، وفي الديوان والوافي : « ظننتهم أسداً » .

(٣) في الديوان : « الذوائب » .

(٤) في الديوان : « إذا غازلته » .

(٥) في الوافي : « طرق » .

(٦) ديوانه : ٩٥ ، والقصيدة معارضة لقصيدة المتنبي المشهورة ، وستأتي الإشارة إلى مطلعها .

(٧) في الديوان : « النهود » .

وَجَلَوْنَ مِنْ صَبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً
 بِيضٌ دَعَاهُنَّ الْغَبِيُّ كَوَاعِبًا
 وَرِبَائِبٌ فَإِذَا رَأَيْتَ نِفَارَهَا
 سَقَهْنَ رَأْيَ الْمَانَوِيَّةِ عِنْدَمَا
 وَسَفَرْنَ لِي فَرَأَيْنَ شَخْصًا حَاضِرًا
 أَشْرَقَ فِي حُلُلٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا
 وَغَرَبْنَ فِي كِلَلٍ فَقُلْتُ لِمُصَاحِبِي
 وَمُعَرِّبِ الْأَحْظَافِ يَثْنِي عِطْفُهُ
 حَلَوُ التَّعْتَبِ وَالِدَالِ يَرُوعُهُ
 عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجْتُ وَجَنَاتِهِ
 فَأَرَانِي الْخُدَّ الْكَلِيمَ وَطَرْفُهُ
 ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِمُحْسِنِهِ
 لَا غَرَوْا أَنْ وَهَبَ اللُّوَاحِظُ حَظُّوهُ
 كُمُوهَبِ السُّلْطَانِ قَدْ كَسَتْ الْوَرَى
 النَّاصِرُ الْمَلِكِ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ
 مَلِكٌ يَرَى تَعَبَ الْمَكَارِمِ رَاحَةً
 لَمْ تَخْلُ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ وَإِنْ خَلَتْ

غَادَرُونَ قَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
 وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبًا
 مِنْ بَسْطِ أَنْسِكَ خَلْتَهُنَّ رِبَارِبًا
 أُسْبَلْنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبًا
 شُدَّهَتْ بِصِيرَتِهِ وَقَلْبًا غَائِبًا
 شَفَقَ تَدَرَّعُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا^(١)
 (بَأْبِي الشُّمُوسِ الْجَانِخَاتِ غَوَارِبَا)^(٢)
 فَيُخَالُ مِنْ مَرَحِ الشَّبِيبَةِ شَارِبَا^(٣)
 عَتِي، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا
 وَازُورَ الْأَحْظَافَ وَقَطَّبَ حَاجِبَا
 ذُو النَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُغَاضِبَا^(٤)
 نِهْيَا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيُونَ مُوَاهِبَا
 مِنْ نَوْرِهِ وَدَعَاةَ قَلْبِي نَاهِبَا
 نِعْمًا وَتَدْعُوهُ الْقَسَاوِرُ سَالِبَا^(٥)
 صَيْدُ الْمُلُوكِ مُشَارِقًا وَمُغَارِبَا
 وَيَعْدُ رَاحَاتِ الْفَرَاغِ مُتَاعِبَا^(٦)
 مِنْ ذِكْرِهِ مَلُئْتُ قَنًا وَقَوَاضِبَا^(٧)

(١) في الديوان : « كَأَنَّ وَمِيضَهَا » . وفي الواقي : « جَلَابِيَا » .

(٢) ضمن مطلع قصيدة المتنبّي . وقام البيت :

اللابسات من الحرير جلابيا

(٣) في الأصول : « اللحظات » .

(٤) في الديوان : « فَأَذَابَنِي الْخُدَّ » . وفي الأصل : « ذَا » وأثبتنا ما في النسخ الأخرى وفي البيت إشارة إلى قصة النبي يونس عليه السلام .

(٥) في الديوان والواقي : « فُوهَب » .

(٦) في الديوان : « القراع » .

(٧) زيادة من النسخ الأخرى .

بِكَارِمٍ تَذَرُ السَّبَّاسِبَ أَبْحَرًا
تُرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيُخْشَى بَطْشُهُ
فَإِذَا سَطَا مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً
كَالْغَيْثِ يَسْفَحُ مِنْ عَطَائِهِ نَائِلًا
كَالْغَيْثِ يَحْمِي غَابَةً بِزَنْبِيرِهِ
كَالسِّيفِ يَبْذِي لِلنَّوَاطِرِ مَنْظَرًا
كَالسَّيْلِ يُحَمَّدُ مِنْهُ عَذَابًا وَاصِلًا
كَالْبَحْرِ يُهْدِي لِلنَّفُوسِ نَفَائِسًا
فَإِذَا نَظَرْتَ نَدَى يَدِيهِ وَرَأَيْتَهُ
أَبْقَى قَلَاوُونَ الْفَخَارَ لَوْلَدِهِ
قَوْمٌ إِذَا سُمُّوا الصَّوَّافِنَ صَيَّرُوا
عَشَقُوا الْحُرُوبَ تِينًا بَلَقَا الْعِدَا
وَكَأَنَّمَا ظَنُّوا السِّیُوفَ سَوَافَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ وَمَنْ لَهُ
أَصْلَحَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَهْمًا
وَوَهَبَتْهُمْ زَمَنَ الْأَمَانِ فَمَنْ رَأَى
فَرَأَوْا خَطَابًا كَانَ خَطْبًا فَادِحًا
وَحَرَسَتْ مُلْكَكَ مِنْ رَجِيمٍ مَارِدٍ
حَتَّى إِذَا خَطِفَ الْمَنَافِقَ خُطْفَةً

وَعِزَائِمٍ تَذَرُ الْبَحَارَ سَبَّاسِبًا
مِثْلَ الزَّمَانِ مَسَالِمًا وَمَحَارِبًا
وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْعَيُونَ مَوَاهِبًا
سَبْطًا وَيُرْسِلُ مِنْ سَطَاهِ حَاصِبًا^(١)
طَوْرًا وَيُنْشِبُ فِي الْقَنِيصِ مَخَالِبًا
طَلْقًا وَيُعْضِي فِي الْهِيَاجِ مُضَارِبًا^(٢)
وَيَعُدُّهُ قَوْمٌ عَذَابًا وَاصِبًا^(٣)
مِنْهُ وَيُذِي لِلْعَيُونَ عَجَائِبًا
لَمْ تُلَفِ إِلَّا صَيِّبًا أَوْ صَائِبًا^(٤)
إِرْثًا فَفَازُوا بِالشَّئَاءِ مَكَاسِبًا
لِلْمَجْدِ أَخْطَارَ الْأُمُورِ مَرَكَابًا
فَكَأَنَّهُمْ حَسَبُوا الْعِدَاةَ حَبَائِبًا
وَاللَّدُنَّ قَدًّا وَالْقِسِيَّ حَوَاجِبًا
شَرَفٌ يَجْرُ عَلَى النُّجُومِ ذَوَائِبًا
تَذَرُ الْأَجَانِبَ بِالْوَفُودِ أَقَارِبًا^(٥)
مَلَكًا يَكُونُ لَهُ الزَّمَانُ مَوَاهِبًا
لَهُمْ وَكُتُبًا كَنْ قَبْلُ كَتَائِبًا
بِعِزَائِمٍ إِنْ صُلَّتْ كَنْ قَوَاضِبًا
أَتَبَعْتَهُ مِنْهَا شَهَابًا ثَاقِبًا^(٦)

(١) في الديوان : « ويللا » .

(٢) في الأصل : « كالغيث » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .

(٣) في الأصل : « عذاباً وارداً » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .

(٤) في الديوان : « إلا صائبا » .

(٥) في الديوان : « أنفذ في الزمان » .

(٦) في الديوان : « خطف المكافح » .

لا ينفع التجريبُ خصمك بعدما
صَرَّمْتَ شَمْلَ المارقين بصارم
صافي الفِرْنَدِ حكي صباحاً جامداً
وكتيبة تدعُ الصهيل رواعداً
حتى إذا ريح الجلاد حَدَّتْ لها
بذوابيل مُلْدٍ يُخْلَنُ أَرَاقيماً
تطأُ الصدور من الصدور كَأَنَّا
فَأَقَمْتَ تُقْسِمُ للوحوش وظائفنا
وجعلت هاماتِ الكماة منابراً
ياراكب الخطر الجليل وقولُه
صَيَّرَتْ أَسْحَارَ السَماحِ بواكراً
وبذلت للمُدَّاحِ صَفْوَ خلائق
فَرَأَوْكَ في جنب النضار مفرطاً
إن يحرس الناسُ النضار بحاجبٍ
لم يملؤوا فيك البيوت رغائباً
أُولِيتَنِي قبل المديح عنايةً
ورفعت قَدْرِي في الأنام وقد رأوا
في مجلس ساوى الخلائق في الندى
وافيته في الفُلْكِ أسعى جالساً

أَفْنَيْتَ مَنْ أَفْنَى الزمان تجارباً^(١)
تُبْدِيهِ مَسْلُوباً فيرجع سالباً
أَبْدَى النجيعَ به شُعاءً ذائباً
والبیضَ برقاً والعجاج سخائباً
مَطَرْتُ وكان الوبل نبلاً صائباً^(٢)
وشوائِلَ جُرْدٍ يُخْلَنُ عقارباً^(٣)
تعتاض عن وطء التراب ترائباً
فيها وتصنعُ للنسور مآدباً
وأَقَمْتَ حَدَّ السَّيْفِ فيها خاطباً
فخرأً بمجدك لاعدمت الراكباً
وجعلت أيام الكفاح غياهباً^(٤)
لو أنها للبحر طاب مَشَارِباً
وعلى صلاتك والصلاة مواظباً
كان السَماحُ لعين مالك حاجباً
إِلَّا وَقَدْ مَلَأُوا البيوت غرائباً
وملأت عَيْني هيبَةً ومواهباً
مثلي لمثلِكَ خاطباً ومخاطباً
وترتبتُ فيه المُلُوكُ مراتباً
فخرأً على من قال أمشي راكباً^(٥)

(١) في الأصل : « لا يمنع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) في الوافي : « الويل » .

(٣) في الديوان : « بذوائب » . والملد : اللين .

(٤) زيادة من الوافي والديوان .

(٥) في الديوان : « من جاء يمشي راكباً » .

فَأَقَمْتُ أَنْفَذَ فِي الْأَنْثَامِ أَوَامراً
 وَسَقَمْتُ الدُّنْيَا غَدَاةً وَرَدَّتْهُ
 فَطَفَقْتُ أَمْلاً مِنْ ثَنَاكَ وَشُكْرِهِ
 أَتْنِي فَتَشِينِي صَفَاتُكَ مُظْهِراً
 لَوْ أَنَّ أَعْضَانَا جَمِيعاً أَلْسَنُ
 وَأَنْشِدُنِي إِجَازَةً ، وَمَنْ خَطَهُ تَقَلْتُ ،
 يَمْدَحُ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : (٣)

كَفَى الْبَدْرَ حُسْناً أَنْ يُقَالَ نَظِيرُهَا
 وَحَسْبُ غُصُونِ الْبَانَ أَنْ قَوَّامِهَا
 أَسِيرَةٌ جِجَلٌ مُطْلَقَاتٌ لِحَاطِهَا
 تَهَيَّمْ بِهَا الْعُشَّاقُ خَلْفَ حِجَابِهَا
 وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ غُرِزَتْ بِنَظَرَةٍ
 فَكَمْ نَظَرَةٌ قَادَتْ إِلَى الْقَلْبِ حَسْرَةً
 فَوَاعِجِبْ كَمْ نَسْلَبُ الْأَسَدَ فِي الْوَعَى
 فَتُورِ الطَّيْبُ عِنْدَ الْقِرَاعِ يَشِينِهَا
 وَجُدُوهُ حُسْنٌ فِي الْخُدُودِ لَهْيِهَا
 إِذَا أَنْسَتْهَا مُقْلَتِي خَرَّ صَاعِقاً
 وَسَرَبَ ظَبَاءٍ مَشْرِقَاتٍ شَمُوسُهُ
 فَيَزْهَى وَلَكِنَّا بِذَاكَ نَضِيرُهَا
 يُقَاسُ بِهِ مَيَّادُهَا وَنَضِيرُهَا
 قَضَى حُسْنُهَا أَنْ لَا يُفَكَّ أَسِيرُهَا
 فَكَيْفَ إِذَا مَا أَنْ مِنْهَا سُفُورُهَا (٤)
 إِلَيْهَا فَمِنْ شَأْنِ الْبُدُورِ غُرُورُهَا
 يَقْطَعُ أَنْفَاسَ الْحَيَاةِ زَفِيرُهَا
 وَيَسْلُبُنَا مِنْ أَعْيُنِ الْحُورِ حُورُهَا
 وَمَا يُرْهِفُ الْأَجْفَانَ إِلَّا فُتُورُهَا (٥)
 يَشَبُّ وَلَكِنْ فِي الْقُلُوبِ سَعِيرُهَا
 فَوَادِي وَقَالَ الْقَلْبُ لَا ذِكَّ طُورُهَا (٦)
 عَلَى حَلَّةٍ عِنْدَ النُّجُومِ بُدُورُهَا (٧)

(١) في الديوان : « أنفذ في الزمان » .

(٢) في الديوان : « ثناك ونشركه » .

(٣) ديوانه : ٧٣ .

(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٥) في الديوان : « يشينا » .

(٦) في الديوان : « جناني وقال » . وفي البيت إشارة إلى قصة موسى عليه السلام .

(٧) في (ق) ، (س) : « حلّه » ، وفي الوافي : « حلية » ، وفي الديوان : « جنة » .

وتَحْرُسُ مَا تَحْوِي الْقُصُورُ صَقُورُهَا
وَيَعْصَبُ مِنْ مَرِّ النِّسِيمِ عَيُورُهَا
تَوْهَّمُهُ فِي الْيَوْمِ ضَيْفًا يَزُورُهَا^(١)
وَلَدْنَا فَأَوْلَتْنَا النُّحُولُ خُصُورُهَا^(٢)
وَيُسَمِّعُ فِي غَابِ الرِّمَاحِ زَيْئُهَا
يَرَى غِمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا^(٣)
وَسَجَفُ الدِّيَاجِي مُسْبِلَاتُ سَتُورُهَا
وَنَمَتْ بِنَا الْأَعْدَاءُ حَتَّى عَبِيرُهَا^(٤)
خَطَا الصَّبْحَ لَكِنْ قَيْدَتَهُ ظَفُورُهَا^(٥)
وَإِنْ مَلَأْتُ حَقْدًا عَلَيَّ صَدُورُهَا
إِذَا شَانَهَا أَفْتَارُهَا وَقَتِيرُهَا
صَبُورًا عَلَى حَالٍ قَلِيلٍ صَبُورُهَا^(٦)
لَمَّا كَادَ يَحْوَ صِبْغَةَ اللَّيْلِ نَوْرُهَا
عَلَيَّ وَإِنَّمَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا
وَإِنْ تَكُنِ الْبُزْبَاءُ إِنِّي قَصِيرُهَا
عَلَيْهَا مِنَ الشَّوْشِ الْحِمَاةِ جَسُورُهَا^(٧)
فَمَا وَجِدْتُ إِلَّا وَشَخْصِي ضَمِيرُهَا

تَبَانَعُ عَمَا فِي الْكِنَاسِ أَسُودُهَا
تَغَارُ مِنَ الطِّيفِ الْمَلَمَّ حَمَاتُهَا
إِذَا مَا رَأَى فِي النَّوْمِ طَيْفًا يَرُودُهَا
نَظَرْنَا فَأَعْدَتْنَا السَّقَامُ جَفُونُهَا
وَزَرْنَا وَأُسْدُ الْحَيِّ تَذْكِي لِحَاطُهَا
فِيَا سَاعِدَ اللَّهِ الْمُحِبِّ فَإِنَّهُ
وَلَا أَلَمْتُ لِلزِّيَارَةِ خِلْسَةً
سَعَتْ بَيْنَنَا الْوَاشُونَ حَتَّى حَجُولُهَا
وَهَمَّتْ بِنَا لَوْلَا حَبَائِلُ شَعْرِهَا
لِيَالِي يُعْدِينِي زَمَانِي عَلَى الْعِدَا
وَيَسْعِدُنِي شَرْخَ الشَّبِيبَةِ وَالْغَنَى
وَمَذَّ قَلْبَ الدَّهْرِ الْمَجْنَّ أَصَابِنِي
فَلَوْ تَحْمَلُ الْأَيَّامُ مَا أَنَا حَامِلٌ
سَأَصْبِرُ إِمَّا أَنْ تَدُورَ صُرُوفُهَا
فَإِنْ تَكُنِ الْخُنْسَاءُ إِنِّي صَخْرُهَا
وَقَدْ أَرْتَدِي ثَوْبَ الظَّلَامِ بِجَسْرَةِ
كَأَنِّي بِأَحْشَاءِ السَّبَاسِبِ خَاطِرُ

(١) في الوافي والديوان : « طيفاً يزورها » .

(٢) في الوافي والديوان : « السقام عيونها » .

(٣) في الديوان : « لأنه » .

(٤) في الوافي : « سعى » و « ثمت » .

(٥) في الديوان : « لولا غدائر » .

(٦) في الأصل : « وقد مكب » ، تصحيف .

(٧) الجسرة : الناقة الضخمة القوية .

وصادية الأحشاء غصى بآلها
 ينوح بها الحزيت نذباً لنفسه
 إذا وطئتها الشمس سال لعاها
 وإن قامت الحرباء ترصد شمسها
 تجنب عنها للحذار جنوبها
 خبرت مرامي أرضها فقتلتها
 بخطوة مرقال أمون عثارها
 ألد من الأنعام رجع بعامها
 نساها شطر العيش عيساً سواها
 حروفاً كنونات الصحائف أصبحت
 إذا نظمت نظم القلائد في البرى
 طواها طواها فاغدت وبطونها
 يعبر عن فرط الحنين أنينها
 نسير بها نحو الحجاز وقصدها
 فلما ترامت عن زرود ورميلها
 وصدت يميناً عن شميطة وحاذرت
 وعاج بها عن رمل عاج دليلها

يعز على الشغرى العبور عبورها
 إذا اختلفت حصاؤها وصخورها
 وإن سلكتها الريح طال هريرها^(١)
 أصيلاً أذاب اللحظ منها هجيرها^(٢)
 وتذبر عنها في المبوب دبورها
 وما يقتل الأرضين إلا خيرها
 كثير على وفق الصواب عثورها
 وأطرب من سجع الهديل هديرها^(٣)
 لطول السرى لم يبق إلا شطورها^(٤)
 تخط على طرس الفيا في سطورها
 تقلدها خضر الربا وغورها^(٥)
 تجول عليها كالوشاح ظفورها
 ويعرب عما في الضير ضورها^(٦)
 ملاعب شعبي بابل وقصورها
 ولاحت لها أعلام نجد وقورها
 ربا قطن والشهب قد شف نورها^(٧)
 فقامت لعرفان المراد صدورها

(١) في الوافي والديوان : « هديرها » .

(٢) في الديوان :

وإن قامت الحرباء توسد شعرها أصيلاً أذاب الظرف منها هجيرها

(٣) في الديوان : « أطيب » .

(٤) في الوافي والديوان : « لفرط السرى » .

(٥) في الديوان : « خضر » .

(٦) في الأصل : « حنينها » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٧) في الوافي والديوان : « وجاوزت » .

إلى نحو خير المرسلين مَسِيرُهَا
 لديه وحيًا بالسَّلام بَعِيرُهَا^(١)
 إلى خير مَعْبُود دَعَاها بِشِيرُهَا
 مبشِّرُهَا عن إِذنه ونذِيرُهَا
 وزُلْزَلَ منها عَرْشُهَا وَسَرِيرُهَا
 وجاء به إِنْجِيلُهَا وَزُبُورُهَا
 وأُولُها في المجد وهو أَخِيرُهَا^(٢)
 على خَلْقِهِ أَخْفَى الظُّلَالِ ظُهُورُهَا
 إلى أُمَّةٍ لولاه دَامَ عُرُورُهَا
 إِذَا النَّارُ ضَمَّ الكَافِرِينَ حَصِيرُهَا
 لَهَا الجَنُّ وَاتَّقَادَتْ إِلَيْهِ أُمُورُهَا
 إِلَيْكَ خُطَاها واستمرَّ مَرِيرُهَا^(٣)
 بِتَرْبِكَ لَمَّا قَبَّلَتْهُ ثُغُورُهَا
 أَلَمْ تَرَ لِلتَّقْصِيرِ جُرَّتْ شَعُورُهَا^(٤)
 لَكَانَ عَلَى الْأَحْدَاقِ مِنْهَا مَسِيرُهَا
 تَجَلَّتْ فَجَلَى ظُلُمَةُ الشُّرْكِ نَوْرُهَا
 فَمِنْ غَيْرِ ذَاكَ الْبَابِ لَمْ يُؤْتَ سَوْرُهَا
 بُدُورُ لَكُمْ فِي الشَّرْقِ حَفَّتْ بِدُورُهَا^(٥)

غَدَتْ تَتَقَاضَانَا الْمَسِيرَ لِأَنَّهُمَا
 تَرْضَى الْحَصَى شَوْقًا لِمَنْ سَبَّحَ الْحَصَى
 إِلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ
 وَمَنْ بَشَّرَ اللَّهُ الْأَنَامَ بِأَنَّهُ
 وَمَنْ أُحْمِدَتْ مَعَ وَضْعِهِ نَارُ فَارِسٍ
 وَمَنْ نَطَقَتْ تَوْرَاةُ مُوسَى بِفَضْلِهِ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ بِأَسْرِهِمْ
 فَيَا آيَةَ اللَّهِ الَّتِي مُذْ تَبَلَّجَتْ
 عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
 عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ يَا خَيْرَ شَافِعٍ
 عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ يَا مَنْ تَعَبَّدَتْ
 تَشَرَّفَتْ الْأَقْدَامُ لَمَّا تَتَابَعَتْ
 وَفَاخَرَتْ الْأَفْوَاهُ نُورَ عَيُونِنَا
 فَضَائِلَ رَامَتْهَا الرُّؤُوسُ فَقَصَّرَتْ
 وَلَوْ وَفَتْ الْوَفَادُ قَدْرَكَ حَقَّهُ
 لِأَنَّكَ سَرُّ اللَّهِ وَالْآيَةُ الَّتِي
 مَدِينَةُ عِلْمٍ وَابْنُ عَمِّكَ بَابُهَا
 شَمْسٌ لَكُمْ فِي الْغَرْبِ مُدَّتْ شَمُوسُهَا

(١) الرض : الدق والجرش .

(٢) في الأصول الأخرى : « في الفضل » .

(٣) في الأصل : « تشرفت الأقدام » ، تحريف .

(٤) في البيت حسن التعليل لتقصير الشعر عند التحلل من الإحرام في الحج .

(٥) في الأصل : « في الغرب حفت » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى . وفي الديوان : « شقت

بدورها » .

جبالٌ إذا ما الهَضْبُ دَكَّتْ جبالُها
 فيسا آل خير الآل والعترة التي
 إذا جُولِسْتُ للبذل ذلٌّ نزارها
 وصحبك خير الصَّحب والغرر التي
 كمّاة حمّاة في القراع وفي القرى
 أيا صادق الوعد الأمين وعدتني
 بعثت الأمانى عاطلات لتبتغي
 وأرسلت أمالاً خيافاً بطونها
 إليك رسول الله أشكو جرائاً
 كبائر لو تبلى الجبال بحملها
 وغالب ظني بل يقيني أنها
 لأنني رأيت العُرب تخفر بالعصا
 فكيف بمن في كفه أورك العصا
 وبين يدي نجوى قدّمت مذحةً
 يروى غليل السامعين قطارها
 وأحسن شيء أني قد جَلَوْتُها
 تروم بها نفسي الجزاء فكن لها

بجور إذا ما الأرض غارت بجورها^(١)
 محبتها نغمى قليل شكورها^(٢)
 وإن سوجلت في الفضل عز نظيرها
 بهم أمنت من كل أرض ثغورها^(٣)
 إذا شطّ قاريها وطاش وقورها^(٤)
 ببشري فلا أخشى وأنت بشيرها
 نذاك فجاءت حالات نحورها^(٥)
 إليك فعادت مثقلات ظهورها
 يوازي الجبال الراسيات صغيرها
 لدكت ونادى بالثبور ثبيرها
 ستمحى وإن جلت وأنت سفيرها
 وتحمي إذا ما أمها مستجيرها^(٦)
 يضم بنو الآمال وهو خفيها^(٧)
 قضى خاطري أن لا يضيع خطيرها^(٨)
 ويجلو عيون الناظرين قطورها
 عليك وأملاك السماء حضورها
 مجيزاً بأن تمسي وأنت مجيرها

(١) في الوافي : « عادت » ، تحريف .

(٢) في الوافي والديوان : « فآلك خير » .

(٣) في الديوان : « بها » .

(٤) في الوافي : « قاريها » .

(٥) في الوافي : « باطلات » .

(٦) أسقط الناسخ عز هذا البيت وصدر البيت الذي يليه ، ولفق بينهما .

(٧) في الديوان : « تضام بي » .

(٨) في الوافي : « يخيب خطيرها » ، وفي الديوان : « نجيب » .

فلا بن زهير قد أجزت ببردة
أجرتني أجرتني واجزني أجر مدحتي
وقابل ثناها بالقبول فإنها
فإن زانها تطويلها واطرادها
إذا ما القواني لم تحط بصفاتكم
مدحك تمت حجتي وهي حجتي
أقص بشعري إثر فضلك واصفاً
وأسهر في نظم القواني ولم أقل
عليك فأثرى من ذويه فقيرها^(١)
ببرد إذا ما النار شب سعيها^(٢)
عرأس فكر والقبول مهورها
فقد شانها تقصيرها وقصورها
فسيان منها جمها ويسيرها
على غصبة يطغى علي فجورها^(٣)
غلاك إذا ما الناس قصت شعورها
خليلي هل من رقدة أستعيرها

٩٨٧ - عبد العزيز بن عبد الجليل *

الشيخ الإمام الفقيه عز الدين النراوي الشافعي .

كان من فقهاء القاهرة المشهورين . أفتى ودرس وصحب الأمير سيف الدين سلاّر مدّة ، وترقى بسببه .

توفي رحمه الله تعالى في تاسع ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة .

٩٨٨ - عبد العزيز بن عبد الغني **

ابن [أبي]^(٤) الأفراح سرور بن أبي الرجاء ، سلامة بن [أبي]^(٥) بن المين

(١) في البيت إشارة إلى البردة التي ألبسها النبي ﷺ كعب بن زهير عندما أعلن إسلامه .

(٢) في الأصل : « الناس شب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٣) في الأصل و (ق) و (س) : « وهو » ، وأثبتنا ما في الوافي والديوان .

* الدرر : ٣٧١/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ ، والسلوك ، ٩٤/١/٢ .

** الوافي : ٥٢٦/١٨ ، والدرر : ٣٧٢/٢ ، وعقد الجمان : ٧٣١/٤ ، وفيات (٧٠٣ هـ) ، وتذكرة النبیه :

٢٥٨/١ .

(٤) زيادة من الأصول ومصادر ترجمته .

(٥) زيادة من الأصول ومصادر ترجمته .

بركات بن أبي الحمد داود ، ويتصل بالحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الينبعي المحتد ، الإسكندراني المولد .

أخبرني العلامة أبو حيان قال : أنشدنا لنفسه بجامع عمرو بن العاص ، ثاني عشر شهر رجب ، ثمانين وست مئة :

وَجَدْتُ بَقَائِي عِنْدَ فَقْدِ وُجُودِي	فَلَمْ يَبْقَ حَدٌّ جَامِعٌ لِحُدُودِي
وَأَلْفَيْتُ سِرِّي عَنْ ضَمِيرِي مَلُوحاً	بِرِمَزِ إِشَارَاتِي وَفَكَ قِيُودِي
فَأَصْبَحْتُ مَنِي دَانِيّاً بِمَعَارِفِ	وَقَدْ كُنْتُ عَنِّي نَائِباً لِحُجُودِي
وَمَنْ عَيْنَ ذَاكَ الْأَمْرِ حُكْمٌ مَبِينٌ	لِتَحْقِيقِ مِيرَاتِي وَحِفْظِ عَهْدِي
فَمِنْ مَبْتَدَأِ فَرْقِي قَنُوتِي وَوَجْهِي	إِلَى مَتْنِهِ جَمْعِي يَكُونُ سَجُودِي ^(١)
وَعَاكُفٌ ذَاتِي مُطْلَقٌ غَيْرُ مُطَرِّقٍ	وَبَادِي صَفَاتِي قَدْ وَفَا بِعَقُودِي ^(٢)
وَإِنْ أَمَرْتَنِي نَشْأَتِي غَيْرَ نَسْبَتِي	فَصَالِحُ أَبَائِي نَذِيرُ ثَمُودِي
سَأَلْتَنِي عَصَايَ فِي رَحَابِ تَجَرُّدِي	لَتَأْتِي مِنْ نَحْوِ الْقَبُولِ وَفُودِي
وَأَخْلَدُ بِلَعَامِي إِلَى أَرْضِ طَبْعِهِ	لَتَرْفَعَنِي الْآيَاتُ حَالَ صَعُودِي ^(٤)
إِذَا وَرَدَتْ مِنْ مَاءِ مَدِينِ نَشُوتِي	لِطَيْفَةِ أَسْرَارِي بِطَيْبِ وَرُودِي
فَأَنْزَلْ مَنِي مَنْزَلاً بَعْدَ مَنْزِلِ	وَتَنْزَلْ شَمْسِي فِي بَرُوجِ سَعُودِي
فَلَا مِنْهَجٌ إِلَّا وَلِي فِيهِ مَسْلَكٌ	وَلَا مَوْطَنٌ إِلَّا فِيهِ شَعُودِي ^(٤)

قال العلامة أبو حيان : قال شيخنا الرضي الشاطبي : هذا يُعرف بالشيخ عبد العزيز المنوفي ، وهو من أتباع ابن العربي ، صاحب عنقاء مغرب .

- (١) في الأصل : « مبدا فوق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
- (٢) في الأصل : « وهو مطرق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
- (٣) في الوافي : « إلى أرض طيبة » ،
- (٤) في (س) والوافي : « إلا ومنه » .

قال الشيخ أثير الدين : وهو شيخُ عبد الغفار بن نوح القوصي ^(١) .

قلت : توفي هذا الشيخ ، أبو فارس المنوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وست مئة .

٩٨٩ - عبد العزيز بن عبد القادر *

ابن أبي الكرم بن أبي الذرّ الربيعي البغدادي ، الشيخ نجم الدين ، أحد أشياخي الذين سمعتُ عليهم بالقاهرة .

أجاز لي بخطه سنة [ثمان و] ^(٢) عشرين وسبع مئة ، وسمعتُ عليه (المقامات الجزرية) التي لابن الصيّقل ^(٣) ، كان يرويها عن المصنف ، قرأها عليه الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن العسجدي ^(٤) بالمدرسة القراسنقرية بالقاهرة في السنة المذكورة ونحن نسمع . وله رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيمية في إنكاره صحة الكيمياء ، وله مصنفاتٌ منها [كتاب] ^(٥) (نتائج الشيب من مدح وعيب) وهو كبير ، ملكته بخطه .

وكان شيخاً قد أنقى واستمسك من الزهد بالغرّة الوثقى ، صوفياً قد تجرد ، وانفرد عن الوظائف ومن فيها تمرّد ، طويلاً مهيباً ، دانياً من القلوب قريباً .

(١) عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد بن نوح ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٥٢٧/١٨ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٦/١ ، والدرر : ٣٧٥/٢ .

(٢) زياداً من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) وتعرف بالمقامات الزينية ، أنشأها شمس الدين أبو الندي ، معد بن أبي الفتح نصر الله بن رجب المعروف بابن الصيّقل الجزري (ت ٧٠١ هـ) ، وهي خمسون مقامة كالحريري . الكشف : ١٨٧٥/٢ .

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم العسجدي (ت ٧٥٨ هـ) ، والدرر : ٢٦٩/١ ، والشذرات : ١٨٤/٦ ، والذيل التام : ١٥٨ .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

لم يزل على حاله إلى أن ذرَّ على ابن أبي الذرِّ ترابَه ، وفارقه لِذَاتِه وأترابه .
وتوفِّي رحمه الله تعالى ..^(١) .

[ومولده]^(٢) ببغداد سنة اثنتين وستين وست مئة .

٩٩٠ - عبد العزيز بن أبي القاسم *

ابن عثمان ، الشيخ عزَّ الدين أبو محمد البَابُصْرِي البغدادِي الحنبلي الصوفي الأديب ،
من أعيان الشيمسَاطِيَّة .

سمع (مشيخة) الباقِرْحِي^(٣) على ابن الأجلِّ ، وسمع بدمشق من أصحاب ابن
طَبْرَزْد .

وكان بالفقه بصيرا ، وعلى الأدب لمن عاناه نصيرا ، وله حظٌّ من معرفة أيام
الناس ، وتراجم الأَطْهَار والأَدْناس ، وعلى ذهنه من الشَّعر جملة ، وعلى ظهر قلبه من
روايته حَمْلَه .

ولم يزل على حاله إلى أن شخص بصر البَابُصْرِي وبرق ، وغصَّ بها الحلقوم وشرَّق .
وتوفِّي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وخمس مئة^(٤) .

وسمع منه ابن البرزالي ، وابن الصَّيْرَفِي ، وضعفُ بصره أخيراً . وله شعرٌ منه

قوله : ...

(١) كذا بياض في الأصول والوافي . ووفاته كما في المصادر الأخرى (٧٤٨ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

* الوافي : ٥٢٨/١٨ ، وعقد الجمان : ٣٧٧/٣ ، وفيات (٦٩٦ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/١ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن إسحاق (ت ٥١٦ هـ) ، السير : ٣٨٤/١٩ .

(٤) وكذا وقع في الوافي ، وخطأه الحق بلاسند ، وجعل ولادته سنة (٦٣٤ هـ) . بينا ذكر صاحب

التذكرة ، وعقد الجمان أن ولادته سنة (٦٢٤ هـ) .

٩٩١ - عبد العزيز بن محمد*

ابن عبد الله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير ، الصدر عز الدين بن القيسراني ، كاتب الإنشاء بالقاهرة .

سمع من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ومن الشريف موسى^(١) وغيرها .
ودرّس بالفخرية وغيرها^(٢) على مذهب الشافعي .

وكان من بيت رياسه ، وجماعة وصدارة ونفاسه ، بزّته جميله ، ومنظره آنق من خيله ، وكفه يسح بالنوال ولا يشحّ عن السؤال ، ولطّفه كالنسيم ، وظرفه كطلعة الصبح البسيم .

ولم يزل على حاله إلى أن دوى رطيبا ، وركب أعواد النعش ولم يك خطيبا .
وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ولم يكمل الأربعين .

وكتب عنه شيخنا البرزالي وجماعة من المصريين . وله نظم ونثر ، ومن نظمه ماقاله في قاضي القضاة بدر الدين بن^(٣) جماعة وقد خطب بمصر :

تَصَوَّعَ نَشْرُ الْمِسْكَ مِنْ لَفْظِكَ الْعَذْبِ وَأَظْهَرْتَ مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مَا يُصْبِي^(٤)
وَشَنَّفْتَ أَسْمَاعَ الْأَنْامِ بِخُطْبَةٍ نَفَخَتْ بِهَا الْأَرْوَاحَ فِي مَيِّتِ الْقَلْبِ^(٥)

* الدرر : ٢٨٢/٢ ، وتذكرة النبیه : ٢٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨١/٢ .

(١) موسى بن علي بن أبي طالب ، ستأتي ترجمته .

(٢) ليست في (ق) ، (س) . وللمدرسة الفخرية بالقاهرة ، أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن قزل (ت ٦٢٩ هـ) .

(٣) في (ق) ، (س) : « محمد بن » .

(٤) في الأصل : « لفظ البلاغة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « وشَنَّفَ » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وقد عَجِبَ الرَّأُونُ مِنْ عَوْدِ مَنِيرٍ تَلَامِسُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُنْبِتَ الْعُشْبِ
ولكنَّهُ مِنْ حِينِ لَامَسَتْ عَوْدَهُ تَعَرَّفَ حَتَّى صَارَ مِنْ مُنْدَلٍ رَطْبِ

ومنه :

مَنْ طَلَبَ الْأَرْزَاقَ مِنْ عِنْدِ مَنْ يُطْعِمُهُ اللَّهُ وَيَسْقِيهِ
يَكُونُ قَدْ ضَلَّ سَبِيلَ الْهُدَى وَحَادَ عَنْ نَيْلِ أَمَانِيهِ
لَأَنَّ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ نَفْسِهِ يَعْجَزُ عَنْ إِرْزَاقِ رَاجِيهِ^(١)

٩٩٢ - عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق *

ابن شعبان بن علي ، عز الدين أبو محمد الشَّيَّاح - بالشين المعجمة والياء آخر الحروف وألف بعدها حاء مُهْمَلَةٌ - الأنصاري الدمشقي .

روى عن ابن عبد الدائم ، وسمع من عبد الله الخشوعي .

كان رجلاً حسناً ، لودعياً فظناً . تعانى الخدم والتجاره ، وكتب في الديوان طلباً للمعيشة وحسن الشاره . وتولى على عمارة الجامع السيفي بظاهر دمشق ، ولما فرغ ولي إشرافه ، واجتنى قطوفه وحاذر غيبتة عنه وانصرافه . ثم إنه تَوَجَّهَ للقدس وعاد فباشر مُشَارَفَةً يبرود ، وأقام بها إلى أن نشرت له من الموت مطويات البرود .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر^(٢) شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وحمل على الأعناق إلى تربة والده بسفح قاسيون .

(١) الأبيات في تذكرة النبيه .

* اسمه في الدرر : « عبد العزيز بن عبد الحق بن شعبان » ، الدرر : ٣٧٢/٢ .

(٢) في (س) : « عشرين » .

٩٩٣ - عبد العزيز بن محمد بن أحمد*

ابن هبة الله بن جرادة ، قاضي القضاة ، عز الدين أبو البركات بن الصّدر محي الدين الحنفي ، ابن العديم قاضي القضاة بحجة .

كان شيخاً فاضلاً في عدة فنون . وَلِيَ قضاء حماة مُدَّةً تقارب الأربعين سنةً . وكان مدرّساً بعدة مدارس ، وروى الحديث عن يوسف بن خليل الحافظ ، وسمع من أخويه ^(١) : يونس وإبراهيم ، ومن الضياء صقّر ، وهدية بنت المغربي ، وغيرهم .

وكان له اعتناء بـ (الكشاف) و (مفتاح السكّاي) وغير ذلك .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بتربتهم بعقبة تقيرين .

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

٩٩٤ - عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي**

ضياء الدين ، مدرس النجيبية ^(٢) ومعيد الباذرائية والناصريّة .

كان بصيراً بالفقه وأصوله ، خبيراً بمنتخبه ومحصوله . أفاد وأفقى ، وتميّز بحاسن شتى ، وصيف ^(٣) في العلم وطّلبه وشتّى ، وصنّف التصانيف البديعة حتّى ، ووضع شرحاً (للحاوي) وأعان به الطلبة على الفتاوي . وشرح (المختصر) لابن الحاجب ، وأتى فيه بكل مهمّ واجب .

* الدرر : ٣٨٢/٢ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٤١/٢ ، وإعلام النبلاء : ٤٩٩/٤ .

(١) أي : أخوي يوسف .

** المدارس : ٣٥٩/١ ، والشذرات : ١٤/٦ ، وعقد الجمان : ٤٣٧/٤ ، وفيات (٧٠٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ٤٢/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٥/٨ .

(٢) المدرسة النجيبية بدمشق لصق للمدرسة النورية ، أنشأها النجيني جمال الدين آقوش (الدارس) .

(٣) في الأصل : « وصنّف » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

ولم يزل على حاله إلى أن خرج من الحَمَام ، فدخل في الحِمَام ، ورثاه حتى سَاجَعَاتُ الحَمَام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر^(١) جمادى الأولى سنة ستّ وسبع مئة ، خرج من الحَمَام ومات ، رحمه الله تعالى .

٩٩٥ - عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق *

ابن خلف بن عبد الحق ، الفقيه الإمام العَدْل عَزَّ الدِّين الدَّمشقي الشَّافعي .
كان فاضلاً ، عنده فقهٌ وحديث ، وله معرفة بالشروط وكان من أعيان الشُّهود ،
ودرس بالمدرسة الأَسديّة ظاهر دمشق .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : روى لنا عن ابن الزَّبيدي ، وابن صَبَّاح ، والفخر
الإربلي ، وجعفر الهمداني ، وغيرهم . وله إجازة من ابن القطيعي ، وابن رُوزبة ،
وجماعة من بغداد .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع
وتسعين وستّ مئة .

ومولده في تاسع عشر شعبان سنة خمس وعشرين وستّ مئة .

٩٩٦ - عبد العزيز بن منصور **

الصَّدر عَزَّ الدِّين الكُولي التَّاجر .

(١) في النجوم والبداية : « تاسع عشرين » .

* النجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ .

** الوافي : ٥٦٣/١٨ ، وذيل العبر : ٧٥ ، والدرر : ٣٧٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٩/٩ ، وفيه وفاته سنة

(٧١٥ هـ) ، والسلوك : ١٣٢/١/٢ .

كان له أموال كالأمواء ، أو الكلمات التي تخرج أفواها من الأفواه ، لا يضبطها حساب ، ولا يُحصّل نظيرها اكتساب ، فانت العدّ ، وتعدّت الحدّ^(١) .

٩٩٧ - عبد العزيز بن يحيى بن محمد*

القاضي الرّئيس عماد الدين أبو محمد ابن قاضي القضاة محي الدين بن الزّكي القرشي الدّمّشقي الشّافعي مدرّس العزّيّة والتّقويّة .

وكان أحد من ولي نظر الجامع الأموي غيّر مرّه ، ونوّل أهله ومن له به علاقة كلّ مسرّه ، وكان شكله مليحاً ، ونطقه في المقاصد السّعيدة فصيحاً ، فيه حشمة ، وله همّة ، وعنده صداره ، وللرياسة عليه إحاطة وإداره . وكان قد عيّن للقضاء ، وقابله النّاس بالارتضاء .

ولم يزل على حاله إلى أن حانت وفاته ، ولانت للموت صفاته .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

[ومولده سنة أربع وخمسين وستّ مئة^(٢)] .

وقرأ عليه شيخنا البرزالي (مشيخة) أبي مسهر^(٣) بروايته حضوراً عن إبراهيم بن خليل .

٩٩٨ - عبد العزيز**

المغني المعروف بالفصيح .

(١) قال في الوافي : « توفي سنة ثلاث عشرة وسبع مئة » .

* الوافي : ٥٦٥/١٨ ، والشذرات : ٤٠٥/٥ ، والدارس : ١٦٧/١ ، وعقد الجمان : ٣١/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) عبد الأعلى بن مسهر (ت ٢١٨ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٠ ، وقد سلفت الإشارة إليه .

** الدرر : ٢٨٤/٢ .

كان مشهوراً بالإجادة في صناعته ، وأظنّه دخل الين - رحمه الله .

وتوفّي بالقاهرة في جُمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

وفيه يقول علاء الدين الوداعي - ومن خطّه نقلت - :

قُلْ لِلَّذِي عَشِقَ الْفَصِيحَ وَعِنْدَهُ : أَنْ الْعَيُونَ إِلَيْهِ لَمْ تَتَقَيَّظْ
يَا مَنْ تَحْفَظُ فِي هَوَاهُ عَنِ الْوَرَى : لَيْسَ (الْفَصِيحُ) (كِفَايَةُ الْمُتَحَفِّظِ) ^(١)
ونقلتُ منه له :

عُذِّلِي فِي هَوَى الْفَصِيحِ دَعُونِي : وَاسْمَعُوا الْعُذْرَ وَاضْحاً مَشْرُوحاً
خِفْتُ لِحْنًا فِي شَرْحِ مُجْمَلِ حَبِّي : فَلِهَذَا قَدْ حَفِظْتُ الْفَصِيحًا ^(٢)
ونقلتُ منه له :

لَحْنُ هَذَا الْفَصِيحِ أَحْسَنُ مِنْ إِغْ : رَابِ ذَاكَ الْفَصِيحِ فِي كُلِّ حَالِ
بَيْنَ هَذَيْنِ فِي الْفَصَاحَةِ بَوْنٌ : ذَاكَ مِنْ تَغْلِبِ وَذَا مِنْ غَزَالِ
ونقلتُ منه له :

وَلَيْلِيَةٌ مَالَهَا نَظِيرٌ : فِي الطَّيِّبِ لَوْ سَاعَفَتْ بِطُولِ ^(٣)
كَمْ نَوْبَةٌ لِلْفَصِيحِ فِيهَا : أَطْرَبَ مِنْ نَوْبَةِ الْخَلِيلِ

٩٩٩ - عبد العظيم بن عبد المؤمن *

الشيخ زكيّ الدين بن الشيخ شرف الدين الدميّاطي .

(١) في (ق) ، (س) : « من الورى » . والشاعر هنا يورّي بكتابي الفصيح لثعلب ، وهو مشهور ،

وكفاية المتحفّظ في اللغة لعبد الله بن محمد بن أحمد الخوئي (ت ٦٩٢ هـ) . الكشف : ١٥٠٠/٢ .

(٢) يورّي بالجميل ، وهو معجم في ألفاظ اللغة لابن فارس .

(٣) في الأصل : « ساعدت » ، تحريف م وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ١٧/١٩ .

[مات كهلاً سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وكان شيخ الظاهرية بالقاهرة] ^(١) .

١٠٠١ - عبد الغالب بن محمد *

ابن عبد القاهر بن محمد بن ثابت بن عبد الغالب الماكسيني .

سمع من إسماعيل بن أبي اليسر ، وأبي بكر محمد بن علي النشبي ، وإبراهيم بن إسماعيل بن الدرّجي ^(٢) ، وغيرهم .

أجاز لي بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ^(٣) .

١٠٠٢ - عبد الغفار بن محمد **

ابن عبد الكافي بن عوض السّعدي المصري القاضي المفتي المُنقِن المجيد تاج الدين الشافعي .

روى عن إسماعيل بن عزّون ، والنّجيب ، وابن علاّق ، وعدّة ، وجمع وصنّف وقطّع ورصّف ، ونسخ الكثير وجوّد ، وأفاد الطّلبة وعوّد ، وعمل (المعجم) و (التسايعات) ، وخرّج المُسلسلات ، وكان موصوفاً بالفقه والإتقان والدين والإيقان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح عبد الغفار عند الحفّار ، وتحدّث بأخباره السّفار .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين وسبع

مئة .

(١) زيادة من الوافي .

* الوافي : ٢١/١٩ ، وفيات ابن رافع : ٢٦٩/١ ، والدرر : ٣٨٥/٢ .

(٢) (ت ٦٨١ هـ) ، العبر : ٣٣٥/٥ .

(٣) وتوفي سنة (٧٤٩ هـ) .

** الوافي : ٢٦/١٩ ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، والدرر : ٢٨٦/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، والدارس :

٦٧/٢ ، وذبول العبر : ١٧١ .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

وكان شيخ الحديث بالمدرسة الصّاحبيّة بمصر^(١) ، وأخذ عنه تقي الدين بن رافع ، وشهاب الدّين أحمد بن أيّبك الدّميّاطي ، والوافي ، وابنه ، والسّروجي^(٢) . وأجاز لي بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ذُكر في شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة أنّه كتب بخطّه ما يزيد [على]^(٣) خمس مئة مجلّد ما بين فقه وحديث وغير ذلك .

وقرأ العريّسة على أمين الدّين المحلّي^(٤) ، وسمع منه ، ومن ابن عزّون ، وابن علاّق ، والنّجيب عبد اللطيف ، وأخيه ، والمعين بن القاضي الدّمّشقي^(٥) ، ومحمّد بن مهلهل الجُنبّي^(٦) وعبد الهادي القيسي^(٧) والشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، وأبي حامد بن الصّابوني ، وابن خطيب المزة ، وغازي الحلّوي^(٨) ، ومحمّد بن إبراهيم الكلبي الطّبيب ، وابن الخيمي الشّاعر ، والحافظ اليعموري ، والفضل بن رواحة ، وسمع بالإسكندرية من عثمان بن عوف^(٩) آخر أصحاب ابن موقا وابن الدّهان وابن الفرات وجماعة من أصحاب ابن النّبا وابن عماد ، وخرّج لنفسه (معجماً) في

(١) هي مدرسة الصّاحب بهاء الدين بن حنا ، الوزير المصري المشهور ، تقع في زقاق القناديل قرب جامع عمرو بن العاص ، النجوم : ١٧/٥ ، ح ٢ ، و ٢٤١/٧ ، ح ٣ .

(٢) في الأصل : « وابن السروجي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) محمد بن علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ) ، الوافي : ١٨٧/٤ .

(٥) هو المعين القرشي إبراهيم بن عمر (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٣/٥ .

(٦) في الأصل : « الحثي » ، تصحيف وهو محمد بن مهلهل بن بدران الأنصاري (ت ٦٧٤ هـ) ، العبر : ٣٠٢/٥ .

(٧) عبد الهادي بن عبد الكريم بن علي (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٥/٥ .

(٨) غازي الحلّوي أبو محمد بن الفضل بن عبد الوهاب الدّمّشقي ، توفي سنة (٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٦٩/٥ .

(٩) عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن (ت ٦٧٤ هـ) ، العبر : ٣٠٢/٥ .

ثلاث مجلّدات ، وأجازه من دمشق ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وجماعة من أصحاب الخشوعي وغيرهم .

وحدّث بالكثير ، واعتنى بهذا الشأن ، وكان ذاكراً لشيّوخه وسماعه ، حسن الخطّ ، جيّد الضبط ، عارفاً بهذا الشأن وناب في الحكم بمصر عن القاضي تقي الدين الحنبلي .

١٠٠٣ - عبد الغفّار بن أحمد*

ابن عبد المجيد بن عبد الحميد ، الذرّوي^(١) المحتد ، الأقصري المولد ، القوصي الدّار ، المعروف بابن نوح .

صحب [الشيخ]^(٢) أبا العبّاس أحمد المُلثّم ، والشيخ عبد العزيز المنوفي ، وقد تقدّم ذكره آنفاً ، وتجرّد زمانا ، وتفرّد بالمشيخة عيانا .

وكانت له قدرة على الكلام ، وفصاحة يشهد بها الأئمة الأعلام ، وله في السّماع حال ، وعنده قال مَنْ جعل له القال ، وبه نزل من رَقَق شعره في المحبّة والغزل ، وكان ينكر من المنكرات كثيرا ، ويأمرُ بالمعروف فيوقد به سراجاً منيرا ، وله قوة جنان ، وتصرف عَنان في البيان .

ولم يزل على حاله بالقاهرة ، بعدما جاء إليها من قوص إلى أن قامت النّوائج على ابن نوح ، وفارق جسده ما كان قد تعلّق به من الرّوح .

* الوافي : ٢٧/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٢٣ ، والدرر : ٢٨٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٠/٨ ، والسلوك : ٥٠/١٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٨٩/١ .

(١) في الوافي : « الدوري » وفي الطالع : « الدرّوي » . وفي التذكرة كما ها هنا ، والذرّوي : لعلّه نسبة إلى ذرّوة ، بلدة في اليمن . انظر : معجم البلدان ٥/٣ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) . والشيخ أحمد بن محمد أبو العبّاس المُلثّم له أمور مشهورة ، توفي سنة (٦٧٢ هـ) . انظر الطالع السعيد : ١٣١ .

وتوفي بمصر سنة ثمانٍ وسبع مئة [ومولده ...] ^(١) .

وكان قد تعبد سنين ، وسمع من الدمياطي بالقاهرة ، وحدث عنه بقوص ، وسمع بمكة من المحب الطبري ، وصنف كتاباً سماه (الوحيد) ^(٢) ، وله بظاهر قوص ، رباط حسن ، وله بقوص أحوال معروفة ، ومقالات مؤصوفة ، وينسب أصحابه إليه كرامات .

كان النصارى قد أحضروا مرسوماً بفتح الكنائس ، فقام شخص في السحر بجامع قوص ، وقرأ ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ^(٣) ، وقال : يا أصحابنا الصلاة في هدم الكنائس ، فلم يأت الظهر إلا وقد هدمت ثلاث عشرة ^(٤) كنيسة ، ونسب ذلك إلى أنه من جهة الشيخ [ابن] ^(٥) نوح ، ثم إن عز الدين الرشيدي أستاذ دار سلاّر حضر إلى قوص ، فتوجه إليه نصراني يدعى النشو ، كان يخدم عندهم ^(٦) ، وتكلم في القضية ، واجتمع العوام ، ورجعوا إلى أن وصل الرجم إلى حراقة الرشيدي ، فاتهم الشيخ بذلك ، ثم إنه بعد أيام حضر أمير ^(٧) إلى قوص وأمسك جماعة من الفقراء ، وضربهم ، وأخذ الشيخ معه إلى القاهرة ، ورسم له أن يقيم بمصر ، ولا يخرج منها ، فحصل بعد مدة لطيفة للرشيدي مرض ، وتهوس وتلاشت حاله ، واستمر في أنحس حال إلى أن توفي ، وتوفي الشيخ بعده بمدة في تاريخ وفاته ^(٨) .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، وكذا هي بياض في الدرر .

(٢) في (ق) ، (س) والوافي والطالع : « الوحيد في التوحيد » ، وسماه صاحب الكشف : ٢٠٥/٢ : الوحيد في سلوك أهل التوحيد ذكر أنه صنفه في ربيع الأول سنة (٧٠٨ هـ) بشعر الإسكندرية . وكذا وقعت تسميته في الدرر .

(٣) محمد : ٧/٤٧ .

(٤) في الأصل و (س) : « ثلاثة عشر » .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) . وفي الطالع : « الشيخ عبد الغفار » .

(٦) في الوافي : « عنده » .

(٧) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٨) انظر الخبر في الطالع السعيد .

ومن شعره ^(١) :

أَنَا أَقْتِي أَنْ تَرَكَ الْحُبَّ ذَنْبٌ آثَمٌ فِي مِثْلِهِ مَنْ لَا يَحِبُّ
ذُقْ عَلَى أَمْرِي مَرَارَاتِ الْهَوَى فَهُوَ عَذْبٌ وَعَذَابُ الْحُبِّ عَذْبٌ
كُلُّ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ سَاكِنٌ صَبْوَةٌ عَذْرِيَّةٌ مَا ذَاكَ قَلْبٌ

١٠٠٤ - عبد الغفار *

وقيل : عبد القاهر ، الشيخ العالم الفقيه نجم الدين المعروف بابن أبي السَّفَّاح الحلبى ، قاضي القضاة الشافعى بحلب .

توفي بحلب - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة خمسين وسبع مئة .

وقيل : اسمه عبد القاهر ، وهو الصحيح ^(٢) .

١٠٠٥ - عبد الغنى [بن يحيى] **

ابن محمد بن عبد الله الحرَّاني القاضي شرف الدين أبو محمد الحنبلى .

وَلِيَّ نَظَرِ الْخِزَانَةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ، ثُمَّ أَصِيفَ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْخَنَابِلَةِ .

كَانَ رَئِيسًا جَوَادًا ، نَفِيسًا لَا يَدْخُلُ الْغِلُّ لَهُ فَوَادًا ، فِيهِ لِمَنْ يَقْصِدُهُ تَعْصَبٌ ، وَقِيَامٌ

(١) في الطالع السعيد : « سمعت من شعره ما كتب به لجعفر المزموم ليلحن ، فلحنه وغناه له » . والأبيات في تذكرة النبىه أيضا .

* الدرر : ٣٩٣/٢ ، وأعلام النبلاء : ١٧/٥ ، وتذكرة النبىه : ١٤١/٣ .

(٢) وقع اسمه في الدرر هكذا : « عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف » . وكذلك في أعلام النبلاء ، والتذكرة .

** الوافى : ٣٥/١٩ ، وتاليا وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٢٨٩/٢ ، وتذكرة النبىه : ٢٧/١ ، والسلوك : ٨٤/١/٢ .

وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ومصادر ترجمته السالفة .

على من يعانده وتوثّب ، اشتهرت رئاسته ، وظهرت للناس نفاسته ، وشُكرت في القضاء أَيْامه ، وَحُمِدَتْ فِيهِ ^(١) أَحْكَامُهُ .

وَدَرَّسَ بِالصَّالِحِيَةِ إِلَى أَنْ فَارَقَ دُنْيَاهُ ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ .

وَتَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي أَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ .

ومولده بِجَرَّانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ . وَرَوَى (جُزْءُ ابْنِ عَرَفَةَ) عَنْ شَيْخِ الشُّيُوخِ شَرَفِ الدِّينِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الطَّلِبَةُ ، وَتَوَلَّى قَضَاءَ الْحَنَابِلَةِ بِمِصْرَ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرَ رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ عَوْضًا عَنْ الْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ [بَن] ^(٢) عَوْضَ .

١٠٠٦ - عبد الغني بن محمد بن عبد الواحد*

القاضي الفقيه تقي الدّين بن الشيخ شمس الدين المقدسي .

كان مدرّساً بالمنصوريّة بالقاهرة ، وعنده فضيلة ، وهو متعيّن في مذهبه .

توفي - رحمه الله تعالى - خامس جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالقرافة عند والده .

١٠٠٧ - عبد الغني بن منصور**

ابن منصور بن إبراهيم ، جمال الدين أبو عبادة الحرّاني المؤدّن .

(١) في (س) : « فيها » .

(٢) مابين حاصرتين زيادة من (س) ، والمعروف أنّ لقبه عز الدين ، وهو : عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي (ت ٦٩٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٣٨٨/٢ ، وفيه : « عبد الغني بن محمد بن إبراهيم » .

** الدرر : ٣٨٨/٢ .

روى عن عيسى بن الحِطَّاط الحَرَّانِي^(١) ، وسمع من مجد الدِّين بن تيمِّية ، وغيرها .
 وكان من أعيان المؤدِّنين ، طيِّب الصَّوْت ، فقيهاً فاضلاً مناظراً مشاركاً في العلوم ،
 وله نظم .

توفي - رحمه الله تعالى - بقرن الحارة^(٢) ، وحمل إلى دمشق ، وكانت جنازته
 حافلة في ثالث ربيع الآخر سنة خمس وسبع مئة .
 ومولده سنة خمس وثلاثين بحران .
 وحَدَّث بِعَرَفَةِ وَمِنَى .

١٠٠٨ - عبد الغني بن عروة*

ابن عبد الصمد بن عثمان ، جمال الدين أبو محمد بن الشيخ الصالح الرَّأس عيني .
 سمع بحلب سنة أربع وأربعين وست مئة على الشيخ عز الدين عبد الرزاق الرَّأس
 عيني المعروف بالمحدث^(٣) .

وكان جمال الدين هذا حسن الخلق خفيف الروح ، يتردد إلى الأعيان وغيرهم من
 الأفرم ومن دونه من جميع الطوائف ، ويحاضرهم ويلطفهم ويستجديهم ، وكان يخرج
 من بيته من بكرة ، ويدور على الناس دؤرة ، وما تجيء الثانية أو الثالثة حتى يحصل
 له العشرون درهماً فما دونها .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم السبت رابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة
 وسبع مئة ، وقد تجاوز الثمانين ، ودفن بمقابر الشيخ أرسلان .

(١) عيسى بن سلامة بن سالم الحراني (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٢) كذا . والحارة من قرى حوران ، نحو ستين كيلاً إلى الجنوب من دمشق .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٤ ، والدرر : ٣٨٨/٢ .

(٣) هو عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر ، (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٤/٥ .

وكان كثيراً ما يحكي ويتعشّش بوقائعهم مع الأمير علم الدين أرجواش نائب قلعة دمشق ، لأنّه كان به خصيصاً ، لا يكاد يصبر عنه . حضر إلى صفد في وقت ، وكان الأمير علم الدين سنجر السّاقى مشدّ الديوان^(١) بصفد ووالي الولاة ، وهو متزوج بابنة أرجواش فتركها في مخدع بحيث تشع ، وأحضر الشيخ عبد الغني واستحكه ، فأخذ يحكي عن أرجواش ، ومّا حكاه أنّه لما توفي الملك المنصور ، قال : يا عبد الغني ، أحضر لي مقرئين يقرؤون ختمه للسّطان ، قال : فأحضرت له جماعة ، وجلس أمامهم وإلى جانبه دبّوس ، وأخذ أولئك يقرؤون على العادة ، فقال : دعهم يقرؤون عالياً ، ليسع السّطان في قبره ، فقلت لهم : ارفعوا أصواتكم بالقراءة ، فقفّزوا^(٢) وما فرغوا منها إلى ربع اللّيل ، فقلت : يا خوند فرغوا ، فقال : دعهم ليقروّوا ختمه أخرى [فقال]^(٣) ، فقلت لهم : ابدؤوا في أخرى فشرعوا في الثّانية ، وما فرغوا منها إلى نصف اللّيل ، فقلت : يا خوند فرغوا بسعادتك ، فقال : لا ، السّموات ثلاثة ، والأرض ثلاثة ، والبحار ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، كل شيء في الدّنيا ثلاثة ثلاثة ، يقرؤون الأخرى تمة ثلاثة ، فقلت لهم : يامساكين اقرؤوا [أخرى]^(٤) ، واحمدوا الله واشكروه . كونه ما عرف أنّ السّموات سبع والأرض سبع ، فما فرغوا حتّى أشرفوا على الهلاك ، لأنّهم من المغرب إلى بكرة في عباط ، فقلت : يا خوند فرغوا ، فقال : رّم عليهم إلى بكرة ، فإذا تعالى النّهار ، اكتب عليهم حجة تحت السّاعات بالله وبالقيامة الشّريفة أن ثواب هذه الحجة لأستاذنا السّultan الملك المنصور ، وهات الحجة إليّ واعطهم مئة درهم . فما ملكت ابنة أرجواش نفسها ، بل فتحت الباب ، وخرجت إلى الشيخ عبد الغني وتنفّت دقّنه ، وخربت عمامته ، فخرج منها ، وهي تُشيخه وتسبّه ، وأمّا زوجها ؛ فقاسى منها شدة .

(١) في (س) : « الدواوين » .

(٢) كذا ، والظاهر أنهم صاروا يتركون قسماً وقرؤون آخر للإسراع في إنهاء الحجة .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، وفي (س) : « ثلاثة » .

وقال : جئت يوماً إلى باب القصر الأبلق ، فوجدت الملك الكامل ، والصاحب عز الدين بن القلانسي جالسين فدرّوزتهما^(١) ، فلم يعطيني شيئاً ، فلطفتُ القول ، وزدتُ فما رشّحالي بشيء ، فقلت : والله لأعزمنكما جملةً كثيرة على هذه العشرة دراهم ، وتركتهما ، ومضيت ، وشددتُ طبق فاكهة ، وحملتُه حملاً ، وغطيته بفوطة مليحة ، وجئتُ إلى باب الصاحب ، ودققتُ الباب ، فخرجتِ الجارية ، فدفعْتُ إليها الطبق ، وقلتُ لها : قولي لمولانا الصاحب ، الله يجعلها ساعة مباركة ، وتركتها حتى مشت خطوتين ، وقلتُ لها : يا ستي تعالي ، هذا بيته الجديد وإلا العتيق^(٢) ؟ ، فقالت : ولي^(٣) ! إيش يكون بيته الجديد ؟ فقلت : يا ستي هاقي الطبق ، أنا أحسبه الذي دخل فيه عروساً ، وأخذتُ الطبق ومضيت ، فدخلتُ إلى ستها ، وحكتُ لها الواقعة ، فما شكّت أن الصاحب تزوّج بغيرها ، فقعدت في حزن شديد ، ولما حضر الصاحب ؛ لم تقم إليه ، ولم تأخذ شاشه ، ولا فرجيته على العادة ، فقال : خير مالكم ؟ ! قالت : روح إلى عروسك الجديدة ، فضحك ، فصمت ، وصار كلما ضحك ؛ تَصم ، فحلف لها بالطلاق ، أن هذا ما جرى منه شيء ، فزادت في التّصميم ، فاغتاظ [منها]^(٤) ، وحلف بطلاقها ، وبانت منه [وبقيت]^(٥) مدّة إلى أن ترضاها وسألها عن الموجب لذلك ، فحكّت له الصّورة ، فعلم من أين أتى ؟ ، وحكى لها الصّورة ، فصدّقه ، فجدّد لها صداقاً ، وزاده ، وبذل لها شيئاً بجملة ، وغرّم في هذه الواقعة قريباً من خمسة آلاف درهم .

وأما الملك الكامل ؛ فإنه كان يوماً عند الأفرم يحكي له ، ويتلطف ، فحضر الملك الكامل ، فشكر الأفرم منه ، فقال عبد الغني : والله يا خوند ، ما في دمشق من يحبّ

(١) لم يستين معناه .

(٢) يريد : أم العتيق .

(٣) عامية ، تقال غالباً إذا حلّت مصيبة .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

مولانا ملك الأمراء مثله ، و [لقد ^(١)] بلغ المملوك أنه من أيام اشترى خمس مئة غرارة شعير ، ليحملها إلى اصطبل مولانا ملك الأمراء ، فالتفت إليه الأفرم ، وقال : يا ملك ليش تفعل هذا ؟ ، أنا أعرف بحالك ، والله ما تعود تفعل مثل هذا وأمثاله وأعود أقبل منك ، فقال : يا خوند الكل من صدقاتك ، وخرج فما أمكنه إلا حمل خمس مئة غرارة شعير إلى اصطبل الأفرم ، وكان الصّاحب عزّ الدّين بعد ذلك والملك الكامل إذا رأيا عبد الغني بادرا ^(٢) بالمكارمة ، وقالوا له : اكفنا شرك ، وله من هذا الضرب ألوان ، وأنواع يضيق عنها هذا المكان ، وهذا القدر كافي .

١٠٠٩ - عبد القادر بن عبد العزيز *

ابن السلطان الملك المعظم عيسى بن أبي بكر محمد العادل بن أيوب هو الملك أسد الدّين أبو محمد .

سمع من خطيب مرّدا (السيرة النبوية) وحدّث بها في مصر ، وروى عنه عدّة أجزاء ، وله إجازة من محمد بن عبد الهادي ^(٣) والصّدر البكري .

وله همّة وجلادة ، وقدم على دمشق ووفاده ، مليح الشّكل لمن يراه ، صبيح الوجه ، يشهد بالقدرة لمن يراه ، حسن الأخلاق من الرّياضة ، كثير البشّر لمن قصد اعتراضه ، شديد البنية والتركيب ، عتيد القوى في التّغيب والترهيب ، قيل : إنّه ماتزوّج ولا تسرى ، ولا تبرّم من ذلك ولا تبرّى .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أسدّ الدين مفترسا ، ورسب شخصه في القبر ورّسا .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « بادراه » .

* الوافي : ٣٧/١٩ ، والدرر : ٣٩٠/٢ ، والشذرات : ١١٥/٦ ، وذيول العبر : ١٩٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٩/١٤ .

(٣) توفي سنة (٦٥٨ هـ) . العبر : ٢٤٩/٥ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .
ومولده بالكرك سنة اثنتين وأربعين وست مئة ، وكانت وفاته بالرملة ، ونقل إلى
القدس .

وأجاز لي بالقاهرة بخطه سنة ثمان وعشرين^(١) وسبع مئة ، واجتمعت به غير مرة .

١٠١٠ - عبد القادر بن محمد*

ابن أبي الكرم عبد الرحمن بن علوي بن المَعْلَى بن علوي بن جعفر القاضي
تاج الدين بن القاضي عز الدين العقيلي البخاري الحنفي .

سمع (الصحيح) من ابن الزبيدي ، وسمع من الإمامين جمال الدين الحُصَيري^(٢) ،
وتقي الدين بن الصّلاح^(٣) ، وولي قضاء الحنفية بحلب ، ونظر الأوقاف والمدرسة
العصرونية . وعاد إلى دمشق ، وحَدَّث بها (بالمئة البخارية) ، وعاد^(٤) إلى حلب .

ولم يزل بها إلى أن حَلَّت به في حلب الداهية ، وأصبح ذا قوة^(٥) واهية .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بدمشق سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

١٠١١ - عبد القادر بن محمد بن تميم**

الفقيه المُحدِّث محيي الدين المُقريزي ، بالميم المفتوحة والقاف الساكنة والراء
المكسورة وبعدها زاي ، البعلبي الحنبلي .

(١) في (س) : « وأربعين » ، سهو .

* الوافي : ٤٢/١٩ .

(٢) محمود بن أحمد بن عبد السيد (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٥٣/٢٣ .

(٣) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٤٠/٢٣ .

(٤) في (ق) ، (س) : « ورجع » .

(٥) في الأصل : « قوّة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٤٢/١٩ ، والدرر : ٣٩١/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيل العبر : ١٧٢ ، والسلوك : ٣٦٥/٢/٢ ،

وفيه : « عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم » .

سمع ببلده من زينب بنت كِنْدِي ، وبدمشق من ابن عساكر ، وابن القَوَّاس^(١) ،
وبمصر من البهاء بن القيم^(٢) وسيط زيادة ، وبحلب والحرَمَيْن . ونسخ وحصل ، وجمع
وأصل ، وميَّز^(٣) وفصل ، وتقَّه ودأب ، وجدَّ واجتهد في الطَّلَب ، وصار شيخ دار
الحديث للبهاء بن عساكر ، وكان بها يُحاضر ويُذاكر .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل في الجَدث ، وأنسى أصحابه ماقدَّم بما^(٤) حدث .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، عن خمس وخمسين سنة
[أو نحوها]^(٥) .

١٠١٢ - عبد القادر بن أبي القاسم *

ابن علي الأسنائي ، القاضي ناصر الدين الشافعي .

كان كاتب الحكم العزيز الشافعي بالقاهرة .

كان فاضلاً ديناً ، عاقلاً صيناً ، عفيفاً ورعاً ، خبيراً حفظ عهد القضاء ورعاه ،
عَمَّ المدرسة الشَّهائِيَّة بميدان القمح ظاهر القاهرة ، وعَمَّ وقوفاً من ماله ، ثمَّ إنَّه استعاد
ذلك من ريع الوقف قليلاً قليلاً . وكان معيد الشافعيَّة بالمدرسة المنصوريَّة^(١) ، وشاهدَ
الحواصل بها وبالبيارستان ، ومعيد المدرسة القطبيَّة^(٢) ، وناب^(٣) في الحكم خارج باب

(١) عمر بن عبد المنعم ، ابن القواس الطائي الدمشقي . توفي (٦٩٨ هـ) . العبر : ٣٨٨/٥ .

(٢) علي بن عيسى بن سليمان (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « وميَّز » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « وما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي . وفي السلوك وفاته سنة (٧٣٣ هـ) .

* الدرر : ٣٩١/٢ .

(٦) مدرسة للشافعية بالقاهرة داخل باب المارستان المنصوري ، بناها الملك المنصور قلاوون سنة
(٦٨٤ هـ) ، النجوم : ٣٢٥/٧ .

(٧) مدرسة للشافعية بالقاهرة ، أنشأتها خاتون القطبية (ت ٦٩٣ هـ) ، النجوم : ٥٢/١٠ ، ح ١ .

(٨) في الأصل : « ونائب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

الفتوح عن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في بعض الأعمال ، وكان يحج كل سنة ويترك سنة ، وجاور بمكة مدة ، وكان يعيد بالسيفيّة .

وسمع من شهاب^(١) بن علي الحسيني وغيره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس عشر شهر رجب الفرد سنة ثلاثين وسبع مئة وقد جاوز السبعين ، وخلف مالا وثروة ، وتصدق في مرضه بنحو من خمسة عشر ألف درهم ، ودفن بالقرافة الصغرى .

١٠١٣ - عبد القادر بن بركات *

ابن أبي الفضل : الشيخ محي الدين الصوفي المعروف بابن قريشة أحد الأخوة ، تقدّم ذكر أخيه الشيخ إبراهيم ، وسيأتي ذكر أخيه الشيخ تقي الدين في حرف الميم .

أسنّ هذا محي الدين وكبر وعجز عن المشي ، وكان يركب حماراً ، وكانت له خصوصيّة بقاضي القضاة نجم الدين بن صصري ، وكان من ذلك الطراز الأول ، فبقي في آخر عمره غريباً . إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

١٠١٤ - عبد القادر بن يوسف **

ابن مظفر ، الصدر الجليل العدل المأمون أبو محمد شمس الدين بن الخطيري^(٢) الدمشقي الكاتب .

(١) في الأصل : « سها » ، تحريف ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

* وفيات ابن رافع : ٢٧٧/١ ، والدرر : ٣٧٩/٢ ، وفيه : « ابن أبي البركات » .

** الوافي : ٤٣/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٨ ، وفيه : « محمد بن عبد القادر » ، والدرر : ٣٩٣/٢ ،

والشذرات ، ٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٨٧ ، والسلوك : ١٦٧/١/٢ .

(٢) كذا في الأصول والتالي والإعلام للذهبي ٣٠١ ، والبداية والنهاية : ٧٦/١٤ ، وفي مصادر ترجمته

الأخرى : « الخطيري » .

سمع من عبد الوهّاب بن رواج ، وأجاز له أبو القاسم بن الصّفراوي ^(١) ؛ وعلي بن مختار ^(٢) ؛ وجماعة .

وسمع منه جماعة : الوافي ، والبرزالي ، وابن شيخنا الذّهبي ، ووليّ نظر الجامع الأموي ونظر الخزّانة .

وكان من الكتّاب العقلاء ، والرّؤساء النّبلاء ، تنقّل في المباحثات ، وقابل بالملكسات المكاشرات . وساس دهره إلى أن زار قبره .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - ثامن عشري جمادى الأولى سنة ستّ عشرة وسبع مئة . ومولده سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مئة ^(٣) .

١٠١٥ - عبد القادر بن أحمد*

الفقيه الجدليّ المناظر محي الدين حينئذٍ ، كان يكثر في بحوثه من [قول] ^(٤) « حينئذٍ » .

كان أصله من بغداد ، ومن سَمِعَهُ تحقّق أنّه أستاذ ، مليح السّمت عديم الصّمت ، له فضائل ، وعنده شُبّه ودلائل .

لم يزل إلى أن سقط عن سلّم فمّا تنفّس وكان من الحياة في طريق مستقيم حتّى تنكّس .

وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - سنة سبع مئة في سنّ الكهولة .

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن الصفراوي (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٦/٢٣ ، قال الذهبي ثَمّة : « وبالإجازة شمس الدين بن الخطيري » .

(٣) كذا في المصادر ، والظاهر أنّ ولادته قبل ذلك بدليل وفيات شيوخه .

* الوافي : ٤٣/١٩ .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

١٠١٦ - عبد القادر بن مذهب*

ابن جَعْفَر الأَدْفَوِي .

قال الفاضل كال الدّين جعفر الأَدْفَوِي : هو ابن عَمِّي ، كان ذكياً جواداً متواضعاً ، وصل^(١) إلى قوص للاشتغال بالفقه ، وحفظ أكثر (التّنبيه)^(٢) ولم ينتج فيه ، وكان إسماعيلي المذهب ، مشتغلاً بكتاب (الدّعائم)^(٣) تصنيف النّعمان بن أحمد^(٤) ، متفقهاً ، وكان فيلسوفاً ، يُقرئ^(٥) الفلسفة ، ويحفظ من كتاب (زجر النّفس) ، وكتاب (أثولوجيا) ، وكتاب (التّفاحة)^(٦) المنسوب لأرسطو كثيراً .

قال : وذكر لي بعض أصحابنا ، مَن لا أتهمه بكذب ، أنّه تعرّ عليه قفل باب ، فذكر أساء^(٧) وفتحها ، وأنّهم قصدوا حضور امرأة ، فهمم بشفتيه لحظة فحضرت فسألوها عن ذلك ، فقالت : إنّها حصل عندها قلق عظيم ، فلم تقدر على الإقامة . وكان مؤمناً بالنّبي ﷺ ، مُنزِلاً له مَنزِلَتَه ، ويعتقد وجوب أركان الإسلام ، غير أنّه يرى أنّها تسقط عن حصل له معرفة ربّه بالأدلة الّتي يعتقدها ، ومع ذلك ، فكان مواظباً على العبادة في الخلوة والجلوة ، والصّيام ، إلّا أنّه يصوم بما يقتضيه الحساب ، ويرى أنّ القيام بالتكاليف الشرعيّة يَقتضي زيادة الخير ، وإن حصلت المعرفة ، وكان يفكر طويلاً ، ويقوم ويرقص ويقول :

* الوافي : ٤٤/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٠ ، والدرر : ٣٩٢/٢ .

- (١) في الطالع : « رحل » .
- (٢) في فروع الشافعية لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) . (طـ) .
- (٣) هو دعائم الإسلام في معرفة الحلال والحرام والقضايا والأحكام (طـ) ، لأبي حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت ٣٦٣ هـ) قاضي القضاة وداعي الدعاة في الدولة الفاطمية . انظر ما كتبه محقق الوافي .
- (٤) كذا . وفي الطالع : « محمد » وهو الصحيح .
- (٥) في الطالع : « يقرأ » . وهو أشبه بالصواب .
- (٦) هذه الكتب نشرها عبد الرحمن بدوي في كتاب (أفلوطين عند العرب) و (الأفلاطونية المحدثة عند العرب) وانظر ما كتبه محقق الوافي . ومحقق الطالع .
- (٧) في الوافي والطالع : « أساء » .

يَا قُطُوعَ مَنْ أَفْنَى عُمُرُو فِي الْحُلُولِ فَاتُوا الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ ذَا الْبُهْلُولِ^(١)

قال : فرض فلم أصل إليه ، ومات فلم أصل عليه ، وسار إلى ساحة القبور ، وصار إلى من ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾^(٢) .

وأُظِنَّ وفاته في سنة خمس أو ست وعشرين وسبع مئة ، قال لي : جَمَاعَةٌ^(٣) سنة خمس لا غير .

١٠١٧ - عبد القاهر بن محمد *

ابن عبد الواحد بن موسى^(٤) القاضي الأديب الخطيب الشافعي جمال الدين أبو بكر البخاري ثم التبريزي .

كان ذا شكالة وعِمْه ، وحركات وهَمَه ، أبيضَ اللَّحْيَةِ تَقِيَّهَا ، أَحْمَرُ الْوَجْنَةِ وَرْدِيَّهَا ، عليه قبول ، وللنَّفْسِ إِلَيْهِ تَشَوُّقٌ وبه ذَهُولٌ ، مُغْرَى بِالْأَدَبِ ، مَوْفَرُ الْهَمَّةِ فِي تَحْصِيلِهِ وَالطَّلَبِ ، يَشْعُرُ مِثْلَ الصَّبَا إِذَا هَبَّتْ ، وَالْقَطَرِ إِذَا نَبَّتْ ، وَيَنْثُرُ الدَّرَّ مِنْ فِيهِ نَثْرًا ، وَيَكْتُبُ الرِّقْعَةَ كَأَنَّ صُغْرَى وَكَبْرَى^(٥) ، لم تُخْرَجْ تَبْرِيزٌ مِثْلَ كَلِمِهِ الْإِبْرِيْزِ .

تَوَلَّى الْقَضَاءَ بَسَلِيَّةً وَعَجَلُونَ ، وَقَضَاءَ الْقَضَاءِ بِصَفَدٍ ، وَخَتَمَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ دِمِيَاطٍ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَدْفَعُ بِالْأَعْلَاطِ^(٦) .

(١) في الطالع : « .. عمره فاته ... ذَا الْمُهْلُولِ » .

(٢) غافر ١٩/٤٠ .

(٣) في الأصل : « بَجَاة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والطالع .

* الوافي : ٥٤/١٩ ، وفوات الوفيات : ٣٦٧/٢ ، والدرر : ٣٩٤/٢ ، وتذكرة النبیه : ٣٢٠/٢ .

(٤) في التذكرة : « محمد » .

(٥) قطعة من بيت لأبي نواس ، تمامه :

كَأَنَّ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
انظر : شرح أبيات اللغني للبعنادي : ١٧٤/٦ .

(٦) كذا ، والأعلاط : النجوم ، ولعله يريد : أنه لا يقدر على ردة الموت ولو دفعه بالصعود إلى النجوم ، =

وتوفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة أربعين وسبع مئة .
ومولده بجران سنة ثمان وأربعين وست مئة .

واشتغل ونشأ بدمشق ، وتفقّه للشافعي ، وجاءنا قاضي القضاة إلى صفد في أيام قاضي القضاة جمال الدين الزرعي لما كان بدمشق ، ولم يزل تلك المدة ، إلى أن عزل وتولى القضاء جلال^(١) الدين القزويني ، فعزله من صفد ، ثم إنني رأيته بالقاهرة مرّات ، وولي قضاء دمياط مرّات ، وآخر عهدي به في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

قال شيخنا الذهبي : قال فيما ذاكرني به ، يعني القاضي جمال الدين التبريزي ، قال : ماتت أمي بنت عشرين سنة ، وكان أبي تاجراً ذا مال ، فقدم [بي]^(٢) إلى دمشق ، وأنا ابن ست سنين فمات ، وكفلني عمي عبد الخالق ، ورجع إلى حران ، وباع أملاكنا بثمانين ألفاً وردّ بي ، ثم قال لي يوماً : امض بنا ، فمضى بنا نحو ميدان الحسا ، وعرج بي فوثب عليّ وخنقني ، فغشيت ، فرماني في حفرة ، وطم عليّ المدر والحجارة ، فأبقى كذلك إلى أربعة أيام ، ثم رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ثلاثين سنة ، فبكّر يتلو ، ومرّ بجسر ابن شواش^(٣) ثم إلى القطائع ، فجلس يبول ، وكنت أحرّك^(٤) رجلي فرأى المدر يتحرّك ، فظنّه حيّة ، فقلّب حجراً ، فبدت رجلي في خفّ بلغاريّ ، فاستخرجني ، فقمّت أعدو إلى الماء فشربت من شدة عطشي ، ووجدت في خاصرتي قرراً من الحجارة ، وفي رأسي فتحة - قال الشيخ شمس الدين : ثم أراني القاضي أثر ذلك في كشّحه ، ووضع أصابعي على جورة في رأسه تسع باقلا - ودخلت البلد إلى

= وهو كقول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

(١) في الأصل : « إلى أن عزل قاضي القضاة جلال » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وكذا في الوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « سواس » .

(٤) في الوافي : « أحك » .

إنسان أعرفه ، فمَضَى بي إلى ابن عمِّ لنا ، وهو الصِّدْر الخنجدي ، وكان محتفياً بالصَّاحِيَّة ، وله غلامان ينسجان^(١) ويطعمانه ، اختفى لأموارٍ بدت منه أيَّام هولاكو ، وكتب معي ورقة إلى نسائه بالبلد ، وكانت بنته ستَّ البهاء التي تزوج بها الشيخ زين الدِّين بن المنجَّ ، وماتت معه ، هي أختي من الرِّضاعة ، فأقمتُ عندهنَّ مدَّة لا أخرج ، حتَّى بَلَغْتُ ، وحفظت القرآن بمسجد الزَّلَّاقَة ، فمررت^(٢) يوماً بالديعاس ، فإذا بعُمِّي ، فقال : ها جمال الدِّين^(٣) ، امش بنا إلى البيت ، فما كَلَّمْتَهُ ، وتغيَّرت^(٤) ومعِي رفيقان ، فقالا لي : مابك ، فسَكْتُ وأسْرَعْتُ ، ثمَّ رأيته مرَّةً أخرى بالجامع ، فأخذ أموالِي ، وذهب إليَّ اليَن ، وتقدَّم عند ملكها ، ووزر ، ومات عن أولاد .

وجوَّدتُ الحِثْمَة على الزَّواوي^(٥) ، وتفقَّهتُ على النِّجم الموعاني^(٦) ، وتردَّدتُ إلى الشيخ تاج الدِّين^(٧) ، وتفقَّهتُ بآبن جماعة ، وقرأتُ عليه (مقدمة) ابن الحاجب [وعلى الفزاري^(٨) ، ثمَّ وُلِّيت القضاء من جهة ابن الصَّائغ وغيره ، وَبُنْتُ يوماً بجامع دمشق عن ابن جماعة ، فقليل له : إنَّ دَاوَمَ هذا راحت الخطابة منك ، يعني لحسن أدائه وهيئته .

وجالستُهُ مرَّات ، وكان يروي عن الشيخ مجد الدِّين بن الظَّهير^(٩) قصيدته التي أولها :
كلَّ حيٍّ إلى الممات مآبُه^(١٠)

(١) في الوافي : « ينسخان » .

(٢) في الأصل : « فررنا » ، وأثبتنا .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « فما تكلمت ومعِي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) عبد السلام بن علي بن سيِّد الناس (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ٢٨٦/١ .

(٦) لم نقف على ترجمته .

(٧) السبكي .

(٨) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٩) محمد بن أحمد بن عمر الإربلي الحنفي (ت ٦٧٧ هـ) ، الوافي : ١٢٣/٢ .

(١٠) في الأصل : « ذهابه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وقام البيت :

ومدى عمره سريع ذهابه

انتهى ما ذكر الذهبي .

قلت : ولما كان بصدد ، قرأت عليه ديوان خطبه سماء (تحفة الألباء) وأجازني جميع ما يجوز له أن يرويه ، وفي هذه الخطب مواضع خارجة عن الصواب من اللحن الخفي ، فكتبت عليها طبقة ، وهي :

قرأت هذه الخطب المسرودة على حروف المعجم من أولها إلى آخرها على مصنفها وكتبها العبد الفقير إلى الله تعالى [القاضي] ^(١) جمال الدين عبد القاهر بن محمد التبريزي الحاكم بصدد المحروسة ، لازالت الطروس توشى وتوشع بكلامه وأقلامه ، وترصف وترصع بحكه وأحكامه ، وحاسن أيامه ولياليه تنشأ وتنشد ، ودورر نظمه ونثره تنظم وتنضد ، قراءة من غاص اللجة من ^(٢) بحر خبرها ، وعلم فيمة المنتقى والمُنتقد من دراريا ودرها ، واستشف معانيها المجلوة في جبر خبرها ، وصدق معجز آياتها ، وما شك في خبر خبرها ، واستجلى وجوه غربها وتوجيه إعرابها ، وتحقق أن القرائح مالها من طاقة على مثلها في بابها ، وتنزه في حدائقها التي ضربت عليها أوراق [الأوراق] ^(٣) ، واجتلى أبقارها الغر ، فكانت حقيقة فتنة العشاق ، فسرحت سوام الطرف فيما أرضاه من روضاتها ، ورشفت قطر البلاغة مما زهي من زهراتها :

وتشفت أذني بلؤلؤ لفظها	وتنزهت عيناى في جناتها
وتأملت أفهامنا فتمايلت	بترشف الصهباء من كاساتها ^(٤)
وكان همز سطورها بطروسها	ورق على الأغصان من ألفتها
وكانها وجنات غيد تقطها	خال على الأصدغ من جياتها
لله ما أطرى وأطرب ما أتى	في هذه الأوراق من سجعاتها
لا غرو أن عقدت لسان أولي النهى	عن مثلها بالسحر من كلماتها

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « في » .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « أفهامها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

فكتب هو إليّ :

شَرُفْتَ غَرَسَ الدِّينِ حِينَ قَرَأْتَ مَا
بِفَصَاحَةٍ لَوْ أَنَّ قُضًّا حَاضَرَ
يَا فخرَ دهرٍ أَنْتَ مِنْ بَلْغَائِهِ
خُطْبِي الَّتِي أَنْشَأْتَهَا مَا أَنْتَ مِنْ
عَظَمَتِهَا وَبَرَّرْتَهَا وَجَبَّرْتَهَا
فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ فَاضِلٍ لَمَّا بَدَتْ
فَاسْلَمْ وَدُمَ مَا رَنَحْتَ رِيحَ الصَّبَا
أَمَلَيْتُ مِنْ خُطْبٍ أَجَدْتُ شِيَاهَا
لِرَأْيِكَ تَسْبِقُهُ إِلَى غَايَاهَا
وَعَلَا لِيَالٍ أَنْتَ مِنْ سَادَاتِهَا
خُطَّابُهَا فَتَجَافَ عَنْ عِلَاتِهَا
وَعَفَّرْتَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ زَلَّاتِهَا
لَعَيْنَانِهِ عَطَى عَلَى عَوْرَاتِهَا
أَعْطَاكَ غَضْنَ الرُّوضِ فِي هَبَّاتِهَا

وأنشدني لنفسه في شبَّابة ، وقد وجدتها فيما بعد في (ديوان جويان القواس)
بخطه :

وَنَاطِقَةٍ بِأَفْوَاهٍ ثَمَانٍ
لِكُلِّ فَمٍ لِسَانٌ مُسْتَعَارٌ
تَخَاطَبُنَا بِلَفْظٍ لَا يَبْعِيهِ
فَضِيحَةٌ عَاشِقٍ وَنَدِيمٍ رَاعٍ
فَأَنْشَدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي مَلْغَزًا فِي الْكُنْجَا :
تَمِيلُ بِعَقْلِ ذِي اللَّبِّ الْعَفِيفِ^(١)
يُخَالِفُ بَيْنَ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ
سِوَى مَنْ كَانَ ذَا طَبْعٍ لَطِيفٍ
وَعِزَّةٍ مُوَكَّبٍ وَمَدَامٌ صُوفِي

مَا اسْمٌ إِذَا خِفْتُ هَمًّا
يَشُدُّوْا بِلَحْنٍ عَجِيبٍ
كَمْ قَدْ شَجَاكَ بِصَوْتٍ
إِنْ لَمْ يَجِئْ لَكَ طَوْعًا
فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَزَهْرَةٌ وَطَرِبَ .
رَأَيْتُ لِي فِيهِ مَنْجَا
حُرُوفُهُ مَا تَهَجَّى
مِنْ الْحَمَامِ أَشْجَى
فِي الْحَلِّ فَهُوَ كَنْ جَا

(١) في الأصل : « اللطيف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، قال : حضرت صحبة الملك الظاهر ببيرس حصار قلعة
صفد ، فصنعت هذه الأبيات :

إذا القلعة الشّماء باتت حصينةً وبات على أقطارها القوم رُصّداً^(١)
ترى منجنيقاً يذهبُ العقْلَ جسّه يُغادرهم بين الأسرة همّداً^(٢)
إذا ما أراها السهم منه ركوعه تحرّله أعلى الشّاريف سجّداً
وأنشدني لنفسه من لفظه كثيراً [من شعره]^(٣) فن ذلك قصيدة طويلة أولها :

أنت الممنوع والمُحجّب إلّا على من ليس يُحجّب
ومع البعاد فأنت من حبل الوريد إليّ أقرب
سرّ بسيطٌ ظاهراً يحتال في شبح مُركّب^(٤)

(١) في الأصل : « سجّداً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « حسّه » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) جاء في (ق) بعد هذا البيت مانصّه : « ومن نظمه ، وذكره ابن شاعر الكتبي في فوات الوفيات :

جاءت تهزّ اختيالاً قدّ القضيّب المنعم
تجرّ إثر خطاهها أذيل مِرط مسهم
قد أنجد الردف والخص ر غار لطفلاً وأتهم
يا ويح خصر شقيّ من جور رذفٍ منعم
وبات بدري بصدري حق إذا الصبح أنجم
ودعته وهو يبكي ويمزج الدمع بالدم
في موقف لو تراننا لكنّك ترثي وترحم

وهذه الأبيات أوردها المؤلف في الوافي ، وقدم لها بقوله : أنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان ، قال :
أنشدني المذكور لنفسه « اهـ .

لا يدخل من الغيظ في مخافة ولا مخاضه ، خفيف الروح إذا جالس ، ظريف الإشارة إذا خالس ، وكان محباً للسماع ، لا يؤثر عليه شيئاً في الانتفاع ، يكاد إذا سمع شجاعة يطير طرباً ، ولا يبلغ من اللذة أرباً ، وكان التزم أنه لا يبحث مع قاض ، ولا يجيبه عن تقارير ولا إقتاض .

ولم يزل على حاله إلى أن عَقر سَمْعُه وطُفي من نور الحياة شَمْعُه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بأسنا سنة ثمان وتسعين وست مئة .

قال الفاضل كال الدين الأذفوي : بلغني أنه وصى أن تخرج جنازته بالدفوف والشبابة ، وتمنع النائحات والباقيات عليه .

١٠٢٠ - عبد الكافي بن عثمان *

الشيخ جمال الدين المعروف بابن بَصَاقَة الحيسوب [كان ^(١) كاتباً متصرفاً ، يعرف صناعة الكتابة الديوانية ، وهو من قدماء الكتاب ، وعمر وضعف .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بقبابر الصوفية ، وصلي عليه في جامع الأمير سيف الدين تنكز .
وكان حسن الأخلاق .

١٠٢١ - عبد الكافي بن علي **

ابن تمام بن يوسف ، الشيخ الإمام القاضي زين الدين ، أبو محمد السبكي الشافعي ، والد ^(٢) قاضي القضاة شيخ الإمام تقي الدين السبكي .

* الدرر : ٣٩٦/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

** البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٣٩٦/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٦٤/٢ .

(٢) في البداية والنهاية : « ووالده » ، تحريف .

توفي - رحمه الله تعالى - تاسع شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود سنة تسع وخمسين وست مئة .

هو من أهل سُبُك العبيد من الديار المصرية . تفقّه بالقاهرة على السديد ، والظاهر ، وقرأ أصول الفقه على الشيخ شهاب الدين القرافي ، وناب في القضاء ببعض أعمال القاهرة عن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، وتولّى أخيراً قضاء المحلة الغربية ، وأقام بها إلى حين وفاته .

وسمع من ابن خطيب المزة وغيره ، وحدث .

وسمع منه ولده قاضي القضاة تقي الدين .

وخرّج له أقضى القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي^(١)

(مشيخة) .

وحدث بالقاهرة والمحلة ومكة والمدينة ، وسمع منه حفيده قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب^(٢) (جزء الغطريف)^(٣) [وقطعة]^(٤) من (سنن أبي داود) وشيئاً من نظمه ، وتوفي بالمحلة ، وتقلت من خطّه [له]^(٥) :

قطعنا الأخوة عن معشرٍ هم مَرَضٌ من كتاب الشفا^(٦)
فاتوا على دين رسطالس ومُتَنّا على مِلّة المصطفى

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) ابن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٤٢٥/٢ .

(٣) محمد بن أحمد بن الغطريف العبدى (ت ٢٧٧ هـ) ، السير : ٣٥٤/١٦ ، وفي الكشف ، ٥٨٨/١ : « جزء الغطريف من حديث القاضي أبي بكر الطبري » .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والبيتان في التذكرة .

(٦) في (س) : « من معشر » .

اللقب والنسب

☆ جمال الدين بن عبد الكافي : اسمه سليمان .

١٠٢٢ - عبد الكريم بن حسن*

الشيخ المسلك العارف كريم الدين الأملي ، بم بعد الألف الممدودة ، ينتمي إلى سعد الدين بن حموية شيخ خاتناه سعيد السعداء بالقاهرة .

كان إلى الأعيان محبباً ، ولم يكن حظّه منهم مخيباً ، له في النفوس صورة كبيرة ، وله أبهة في الصدور ، كأنّما ألبس منها حبيره ^(١) ، وعنده شيء يغطّي جراحات باطنه بجبيره ، وفيه [أمور] ^(٢) لا يدرّيا ولا يدرّيا إلاّ العقول الحبيره ، وهو من كبار القوم الذين خاضوا تلك الغمرات ، وعظّموا تلك المشاعر ورموا بها تلك ^(٣) الجمرات ، وقالوا في خلواتهم :

إذا لم يكن فيكنّ ظلّ ولا جنّ فأبعدكنّ الله من شجرات

وكانت له رياضات عديدة ، ومفاوضات للصوفيّة مديده .

وكان الشيخ تقّي الدين بن تيمّة كثير الخطّ عليه ، غزير النطّ - على رأي العوام - إليه .

حكى لي الشيخ شمس الدين محمّد بن إبراهيم بن ساعد الأكفاني ^(٤) ، قال : دخل

* الوافي : ٧٧/١٩ ، والدرر : ٣٩٧/٢ ، وفيه : « عبد الكريم بن الحسين » .

(١) المشهور : « جبير » ، وهو ضرب من البرد اللّوشى ، والثوب الجديد .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) ليست في (س) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

الشيخ كريم الدين مرة^(١) إلى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وتكلم زماناً طويلاً والشيخ ساكت ، فلما خرج من عنده ؛ قال للحاضرين : هل فيكم من فهم عنه تراكيب كلامه ، لأنني أنا ما فهمت غير مفرداته .

وقال شيخنا الذهبي : أثبت الصوفية فسقه من سنة^(٢) عشر وجهاً ، وأخرج من الخاتقاء ، ثم أعيد ، وتولى مكانه بعد موته قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

ولم يزل على حاله إلى أن خاب من الأملي أمّله ، ووافاه بالوفاة أجلة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة عشر وسبع مئة ، وتولى عوضه الشيخ علاء الدين القونوي .

١٠٢٣ - عبد الكريم بن يحيى *

ابن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز ، الشيخ الإمام القاضي تقي الدين أبو محمد بن قاضي القضاة يحيى الدين أبي الفضل بن قاضي القضاة يحيى الدين أبي المعالي^(٣) بن قاضي القضاة زكي^(٤) الدين أبي الحسن بن قاضي القضاة منتخب الدين أبي المعالي القرشي الأموي العثماني المصري ، ثم الدمشقي الشافعي .

ولد بمصر ليلة عرفة سنة أربع وستين وسبع مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

(١) ليست في (س) .

(٢) في (س) : « سبعة » .

* الدرر : ٤٠٤/٢ ، والشذرات : ١٥١/٦ ، والدارس : ١٢٤/٢ ، وذيول العبر : ٢٥٦ .

(٣) زاد في الأصل : « ابن أبي المعالي » ، وهو تكرار . وفي الدارس نقلاً عن الذهبي : يحيى الدين أبو المعالي محمد بن القاضي .

(٤) في (س) : « ركن » ، تحريف .

وقدم من مصر إلى دمشق ، وتفقّه بها ، وسمع من ابن البخاري وغيره ، وولي مشيخة الشيوخ ، ودرّس بأماكن^(١) ، وكان من رجال الدّهر عزماء وحزماً وسكوتاً ودهاءً وغوراً ومكارم وإفضال .

١٠٢٤ - عبد الكريم بن عبد الرحمن *

ابن عبد الواحد ، نجم الدّين بن صدقة الكاتب ، ابن عمّ النّفيس واقف النّفيسية^(٢) .

قال شيخنا الذهبي : خدم في جهات الظّلم ، وكان سمع من الرّشيد بن مسلمة^(٣) وابن عبد الدائم وطبقته ، وحفظ (التنبيه) .

قلت : وتوفي - رحمه الله تعالى - بصافيتا^(٤) سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

١٠٢٥ - عبد الكريم بن عبد النور **

ابن منير ، الشّيخ الإمام الحافظ مفيد الدّيار المصريّة ، قطب الدّين أبو علي الحلبي ، ثمّ المصريّ الشّافعي المعروف بابن أخت الشّيخ نصر^(٥) .

حفظ القرآن ، وتلا بالسّبع على أبي الطّاهر إسماعيل المليجي^(٦) صاحب

(١) منها للمدرسة المجاهدية ، كما في الدارس والدرر .

* الوافي : ٧٨/١٩ .

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني (ت ٦٩٦ هـ) الدارس : ٨٤/١ .

(٣) في (س) : « الرّشيد مسلمة » ، سهو ، وهو أبو العباس أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي (ت ٦٥٠ هـ) ، السير : ٢٨١/٢٣ .

(٤) من أعمال طرطوس على الساحل السوري .

** الوافي : ٨٠/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، وغاية النهاية : ٤٠٢/١ ، والدرر : ٣٩٨/٢ ، والنجوم : ٣٠٦/٩ ، والشذرات : ١١٠/٦ .

(٥) هو نصر بن سليمان بن عمر للمنجي (ت ٧١٩ هـ) . النجوم : ٢٤٤/٩ .

(٦) إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ١٦٩/١ .

أبي الجود ، وتلاه بالسَّبع على خاله الزَّاهد الشَّيخ نصر^(١) المنبجي ، وانتفع بصحبته ، وسمع من العزَّ الحُراني ، وغازي ، وابن خطيب المزة ، والقاضي شمس الدين بن العباد ، وطبقتهم بدمشق والحَرَمَيْن من طائفة .

وكتب العالي والنَّازل ، وسمع من السَّامي والسَّافل ، وخرَّج وجمع ، ونفع وانتفع ، وشرح من البخاري شَطْرُه^(٢) ، وأثبت في طِرْسِه سطره ، وعمل بمصر تاريخاً في عدَّة مجلِّدات^(٣) يَبُضُّ أوائله ، وما ضمَّ مسائله ، وله غير ذلك^(٤) ، مع بصريِّ بالرجال ، ومجالِّ بالفقه بعض مجال ، وحجَّ غير مرَّه ، وأحرز من الأجر كلَّ دَرَّه ، وروى الكثير ، وهو في جنب ما سمعه قليل ، وجالد وحدَّ عُمُرُه قليل .

ولم يزل على حاله إلى أن دارت رَحَا الموت على قُطْبِه ، ونزلت بأهله مصيبةً خَطْبُه .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في يوم الأحد سلخ شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وستين وست مئة .

علَّق في (تاريخه) عن شيخنا الذهبي ، وما عنده عنه إلَّا الإجازة ، وكان يحبُّه في الله .

وكان فيه تواضع زائد ، وحسن سيرة ، ولعلَّ أشياخه تبلغ الألف ، وخرَّج لنفسه (أربعين تساعيَّات) .

(١) في الأصل « أبي نصر » ، سهو ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) لم يتَّه ، وقال صاحب الكشف : ٥٤٦٧ : « وهو إلى نصفه في عشر مجلِّدات » .

(٣) ذكره صاحب الكشف : ٣٠١/١ باسم (تاريخ قطب الدين) ، ورتَّب على الأسماء ، وزاد ولده

تقي الدين في الحمدتين كثير .

(٤) في الأصل : « مع » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأخذ عنه المحدثون تقي الدين بن رافع ، وابن أبيك الدميّاطي ، وعمر بن العجمي ، وعلاء الدين مغلطاي ، والسروجي ^(١) ، وعدد كثير .
وأنا في شك هل سمعت منه أو لا ؟ ولكنّه أجاز لي ، وأجزت له ولأولاده ، واجتمعت به عند الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس غير مرّة .

١٠٢٦ - عبد الكريم بن علي الشهرزوري *

زين الدّين .

كان مقياً بقوص ، وحظّه من الدّنيا منقوص ، وكان يتطوّر أطواراً ، ويتدور مع القدر أدواراً ، تارة يلبس زيّ الفقراء ، وتارة يكون في شعار الرّؤساء . بينا هو في الرّبط والزّوايا إذا هو يخدم في الجهات الّتي فيها المكوس والطّوايا .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه الله وأخذه ، واجتذبه من الحياة وفلّذه .
وتوفّي - رحمه الله تعالى - بعد سنة خمس وسبع مئة بقوص ^(٢) .

عمل بعض الرّؤساء من جيرانه عرساً ، وفرّق أطعمة كثيرة ، وغفل عنه فلم يرسل إليه شيئاً ، فكتب إليه :

يا جيرة جرّثم على جاركم وعادة الجيران ألا تجور
ما كان في أمراقكم كلّها رطل خرا يشربها الشهرزور

وقال بهجو شهاب الدّين بن القاضي النّجيب القوصي :

وكرّشة مملوءة من الحرا مطنّب ^(٣)

(١) علي بن محمد بن أبيك ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ١٠٣/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٤ ، والدرر : ٤٠٠/٢ .

(٢) في الدرر أنّه توفي في حدود سنة (٧١٠ هـ) . وفي الطالع : وفاته « بعد السبع مئة » .

(٣) أي : مسترخية .

شَبَّهَتْهَا مَرْمِيَّةً بِدَمِهَا مَخْتَضِبَةً
قِيلَطَةَ الْقَاضِي الشَّهَّا بَ بِنِ النَّجِيبِ بْنِ هَبَّه^(١)

وكان ينظم الأزجال والبلاليق ، وطلب من بعض التجّار جوزة هندية ، فلم يبعث بها قال :

طلبت منك جوزة منعت مني قريبها^(٢)
وكم طلبت زوجه منك فلم تبخل بها

قلت : الباء الأولى في قوله « قربها » مفتوحة ، والثانية مكسورة ، وهي عيب في القافية^(٣) ، وكان ضامن الزكاة بقوص .

١٠٢٧ - عبد الكريم بن علي بن عمر*

الأنصاري الشيخ الإمام الفاضل علم الدين ، ابن بنت العراقي .

كان من علماء مصر في عدادهم ، وفضائله التي قضت بسدادهم ، وكانت له مشاركة في عدة فنون ، ومضت عليه في الإقراء سنون ، وله صبر على التعليم والإشغال وقدرة على الإكباب على نفع الطلبة وإيغال ، حتى إن معظم من في الديار المصرية قرأ عليه ، وأخذ عنه العلوم ، ومثل بين يديه .

وكان حسن المفاكهة ، مليح الملقى بالملق والمواجهه ، لا يسأم المذاكره ، ولا يملّ طول المحاضره ، كثير الحكايات والنوادر ، والإصابات في البوادر ، نفسه منبسطة ، وسيوف فوائده مخترطه ، إلا أنه أضرّ آخر عمره ، وعدم من الطروس والأقلام رؤية يبيضه وسمره .

(١) في الطالع : « قيلطة » .

(٢) في الطالع : « منعتني من » .

(٣) وعلى رواية الطالع لا عيب في القافية .

* الوافي : ٩٥/١٩ ، ونكت الهميان : ١٩٥ ، والدرر : ٣٩٩/٢ ، وذيل العبر : ٢٩ ، والسلوك : ١٣/١/٢ ، وعقد الجمان : ٣٧٠/٤ .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغت التراقي^(١) ، وذهب ابن بنت العراقي .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في سابع صفر سنة [أربع]^(٢) وسبع مئة .
ومولده بمصر سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

أخبرني شيخنا العلامة أبو حيّان قال : أصله من [وادي]^(٣) آش من الأندلس ،
وجدّه أبو أمّه ليس من العراق ، وإنما رحل إلى العراق ، ثم عاد إلى مصر وهي بلده ،
فسمي العراقي .

وكانت له مشاركة في الفقه وأصوله والأدب والتفسير ، وله اختصاص (بتفسير
الزّخشي) ، وصنّف مختصراً في أصول الفقه ، وردّاً^(٤) على القاضي ابن المنير المالكي في
ردّه على الزّخشي^(٥) . وكانت له معرفة بالحساب والكتابة ، وحظّ من النّظم والنثر ،
ودرس بالشّريفة وبالمشهد الفقه ، وأملّى كتاباً على تفسير القرآن مختصراً احتوى على
فوائد^(٦) ، وأنشدنا^(٧) قال : نظمت في النّوم في قاضي القضاة ابن رزين وكان معزولاً :

ياسالكا سُبُل السَّعَادَةِ مَنَهْجاً	ياموضِح الخُطْبِ البَهِيمِ إِذَا دَجَا
يا ابنَ الَّذِينَ رَسَتْ قَوَاعِدُ مَجْدِهِم	وَسَرَى ثَنَاهُمْ عَاطِراً فَتَارِجَا
لا تِيَأْسَنَّ مِنْ عَوْدِ مَا فَارَقْتَهُ	بَعْدَ السَّرَارِ تَرَى الْهَلَالَ تَبْلُجَا
وَابْشُرْ وَسِرْجُ نَاطِرٍ فَلَقَدْ تَرَى	عَمَّا قَلِيلٍ فِي الْعَدَى مُتَفَرِّجَا
وترى وليك ضاحكاً مستبشراً	قد نال من تدميرهم ما يُرتجى

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ القيامة : ٢٦/٧٥ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) في (س) : « وردة » .

(٥) واسم كتابه (الإنصاف في ماتضمنه الكشف من الاعتزال) ، طبع على حاشية الكشف .

(٦) في الأصل : « فرائد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٧) في الأصل : « وأنشدني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وكتب الشيخ علم الدين المذكور بخطه كتاب (الحاوي الكبير) للماوردي^(١) مرتين . وكان يوم^(٢) بمسجد الدرفيل .

قال شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله - : سمعتُ عمي - يعني أبا البقاء يحيى بن علي^(٣) - يقول : كنّا حاضرين في الدرس عند قاضي القضاة صدر الدين ابن بنت الأعز ، وهو يلقي في حديث « أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر »^(٤) فحضر الشيخ علم الدين العراقي ، فما استقرّ جالساً حتّى قال على وجه السؤال : لا يخلو إما أن تحصل الحياة بتلك الأرواح أم لا ؟ والأول عين ما تقوله التناسخية ، والثاني مجرّد حبس للأرواح وسجن . انتهى .

قلت : لأنّ سلم أنّها إذا كانت كذلك تكون في سجن وحبس ، لأنّه أقلّ أقسامها أن تكون في حواصل الطير ، كما كانت في أجسادها في هذه الدار ، وما قال أحد إنّ هذا عذاب لها ولا سجن ، ولا يُورد أنّ^(٥) الدنيا سجن المؤمن ، لأنّ هذا أمر نسبيّ ، وقد يجعل الله لها في الحواصل من السرور والابتهاج ما يحصل لبعض النفوس في هذه الدار من السرور الزائد والبهجة التامة .

١٠٢٨ - عبد الكريم بن أبي الفرج*

ابن الحكم الشيخ الزاهد القدوة الصدر شرف الدين بن الشيخ السيّد القدوة الزاهد نجم الدين الحموي الشافعي .

(١) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، وكتابه في عشر مجلدات كما في الكشف : ٦٢٨/١ .

(٢) في الأصل : « يوماً » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٣) ابن تمام بن يوسف ، ستأني ترجمته .

(٤) أخرج ابن مندة والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن جندب مُرسلاً قال : سئل النبي عليه السّلام عن أرواح المؤمنين ، فقال : في حواصل طير خضر تخرج في الجنة حيث شاءت . قالوا : يا رسول الله ! وأرواح الكفار ؟ قال : محبوسة في سجين .

انظر : شرح الصدور بشرح حال الموق والقبور للسيوطي : ٣٠٧ .

(٥) ليست في (س) .

* الدرر : ٤٠١/٢ .

بأش حسبة حماة مدّة ، وكان يعرف بالمحتسب في حياة والده وبعدها ، وتركها^(١) ، وكان له زاوية حسنة يقصدها الفقراء والزوّار ويجدون عنده الراحة والفضل والمكارم والأوقات الطيّبة والمكارم والساعات^(٢) والسّماعات .

ودرس بالمدرسة الحيرية بحماة ، ولم يزل بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في ثامن شوال سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بترتبه بعقبة نقيرين ، وصلي عليه غائباً وعلى الوزير فخر الدين بن الخليلي بالجامع الأموي بدمشق في وقت واحد .

١٠٢٩ - عبد الكريم بن محمد*

ابن محمد بن نصر الله الحموي الشيخ الفاضل الصدر الكبير أبو السّماح ، ابن المُغَيَّرِل ، وكيل بيت المال بحماة .

حدّث بمصر^(٣) والشّام ، وكان قد سمع من الكاشغري^(٤) ، وابن الخازن^(٥) ، وابن قميّرة^(٦) ، وسمع بحماة من العزّ بن رواحة .

وكان شيخاً حسن الخلق ، يلقي النّاس بوجه طلق ، يجتهد على قضاء الحوائج ، ويسلك في التّلفّ لهم أقرب المسالك وأنجح المناهج ، حسن التّوصّل إلى مقاصده ، لطيف التّوصّل في مصادره وموارده ، لا يخبأ^(٧) عمّن يقصده نفسه ولا ماله ، ولا يزال يسعى إلى أن يبلغه أماله .

(١) في (ق) ، (س) : « وبعده ثم تركها » .

(٢) في الأصل : « المكارم الساعات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الشذرات : ٤٣٨/٥ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/١ ، وعقد الجمان : ٣٨٠/٣ ، وأورده في وفيات سنة ٦٩٦ هـ .

(٣) في (ق) ، (س) : « بديار مصر » .

(٤) هو أحمد بن أسعد بن المطفر . (ت ٦٦٧ هـ) .

(٥) عبد العزيز بن دلف بن أبي طالب (ت ٦٣٧ هـ) . (الشذرات) .

(٦) هو يحيى بن نصر بن أبي القاسم (ت ٦٥٠ هـ) . (الشذرات) .

(٧) في (س) : « يخبئ » .

ولم يزل على حاله إلى أن نَحَلَّتْ^(١) حركاته ، وغاضت عَمَنَ يقصده بركاته .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع عشر المحرم سنة سبع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة ست عشرة وست مئة .

١٠٣٠ - عبد الكريم بن هبة الله *

ابن السديد المصري القاضي الجليل الكبير النبيل المدبر المشير الأثير^(٢) الأثيل ،
كريم الدين أبو الفضائل ، وكيل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وناظر خاصته
ومدبر دولته .

أحيا الكرم والجود في الوجود ، وسهر في طيب الثناء عليه والمدابير هجود ، صدق
أخبار البرامكة بل أحملهم ، وزاد في اقتراح المكارم فحملهم الخجل بل جملهم ، ابتدع في
الإحسان طرقاً خفيت على الأوائل ، وأبتدع جوداً لا يحسن الثناء عليه سبحانه وأئل ،
فكان كما قال أبو الطيب^(٣) :

تمشي الكرام على أثار غيرهم وأنت تخلق ماتأني وتبتدع

عمر ربوع الندى ، وغمر الناس بالجدي ، وعم بجوده وما خص ، وبَلَّ جناح
الشكر وما حصّ ، فدرجت حوله طيور الثناء وما طارت ، وعرجت في مراقي حمده
ودارت ، أجمع أهل عصره من غير مصره على سَمَاحِه ، ولم يخالف واحد على مبالغة
الجود في بطن راحه ، إلا أنه كرم ، كرمه عرش على الفقراء والأمرء ، وتعدى الغاية
فتأدى إلى الملوك والوزراء حتى أوجل بنيله النيل ، وفرت مياه الفرات ، وقالت :

(١) في (ق) ، (س) : « نَحَلَّتْ » .

* الوافي : ٩٧/١٩ ، وفوات الوفيات : ٣٧٧/٢ ، والبداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٤٠١/٢ ، وبدائع
الزهور : ٤٥٣/١ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، وتذكرة النبيه : ٩٠/٢ ، ١٣٣ ، والسلوك : ٢٥٩/١/٢ .

(٢) في الأصل : « الأثيل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) ديوان المتنبي : ٢٣١/٢ .

هذا من المستحيل ، وعلى الجملة فكان خُبْرُهُ أكبر^(١) من خَبَرِهِ ، وهو أبو دُلْفٍ زمانه الذي وَلَّت الدنيا على أثره^(٢) ، وقد تَمَكَّن من سلطانه تَمَكَّن الصَّبَابَةِ من بني عُدْرَةَ ، والشَّجَاعَةِ من آل أبي صُفْرَةَ ، وحلَّ منه محلَّ الإنسان من العين ، وأطاعه طاعة المفلس لربِّ الدِّينِ ، فهو له في القبول مثل الحب للواشين ، والغِرِّ للغاشين لا يكاد يخالفه ، ولا يرى هواء في شيء إلاَّ يميل إليه ويخالفه ، وكان به لذلك المُلْكُ نضارة ، ولذلك العصر غضارة :

جَمَالُ ذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ

ولم يزل نجمه في صعود ، وعزمه في صعود ، إلى أن عُدَّرَ به زمانه ، وخانه محبّوه وإخوانه ، وتبرأ منه من كان يجمعهم خَوَانُهُ [فقبض عليه]^(٣) ونظر بعد الرضا بعين السَّخَطِ إليه^(٤) وجهَّزَهُ إلى الشَّوْبِكِ ، ثمَّ إلى القدس ، ثمَّ إلى أسوان ، ومن هناك انتقل إلى رضوان ، وأدَّعي أَنَّهُ شَنَقَ^(٥) روحه ، واختار أن سكن^(٦) ضريحه ، وذلك في ثالث عشر شَوَّال سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وكان قد أسلم كهلاً أَيَّامَ الجاشنكير ، وكان كاتبه ، وكان لا يُصَرَّفُ على السَّلطَانِ شيء إلاَّ بقلمه ، ويقال : إِنَّهُ طَلَبَ يوماً إَوْزَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ كَرِيمُ الدِّينِ حَاضِراً ، فَعَتَدَر

(١) في الأصل : « أكرم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) يشير إلى أبيات علي بن جبلة في مدح أبي دُلْفٍ العجلي ، ومنها البيتان المشهوران :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ مَبِيدِهِ وَمَحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

انظر : الأغاني : ٢٥٤/٨ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) يشير إلى قول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليله ولكنَّ عينَ السُّوءِ تبدي المساويا

(٥) في الأصل : « شق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٦) في (س) : « يسكن » .

صَرَفُهَا إِلَيْهِ ، وَلَمَّا هَرَبَ الْمُظْفَرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ^(١) وَوَصَلَ السَّلْطَانُ إِلَى مِصْرَ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَأْبٌ فِي غَيْرِ تَطَلُّبِ كَرِيمِ الدِّينِ وَالتَّوَقُّعِ عَلَيْهِ وَالسَّوَالِ عَنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَافِظُ فَتَحُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَيِّدِ النَّاسِ ، قَالَ : جَاءَ كَرِيمُ الدِّينِ إِلَى الْأَمِيرِ عِلْمُ الدِّينِ الْجَاوِلِيِّ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : مَا فِي يَدِي لَكَ فَرَجٌ ، وَلَكِنْ الْيَوْمَ لِلْسَّلْطَانِ خَاصِيٌّ ، يَقَالُ لَهُ : الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُغْيَايَ الْكَبِيرُ وَهُوَ لَا يَخَالِفُهُ فَأَرِيدُ ^(٢) أَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ ، وَأَعْرِفُكَ مَا يَكُونُ ، ثُمَّ إِنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : أَحْضِرْهُ ، وَدَخَلَ طُغْيَايَ إِلَى السَّلْطَانِ ، وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ حَضَرَ كَرِيمُ الدِّينِ أَتَيْشُ تُعْطِينِي ؟ ، فَفَرَحَ ، وَقَالَ لَهُ : أَعِنْدَكَ هُوَ ؟ أَحْضِرْهُ ، فَفَرَجَ ، وَقَالَ لِلْجَاوِلِيِّ : أَحْضِرْهُ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَقَالَ طُغْيَايَ لِكَرِيمِ الدِّينِ : مَهْمَا قَالَ لَكَ السَّلْطَانُ ؛ قُلْ لَهُ : نَعَمْ ، وَلَا تَخَالِفْهُ ، وَدَعْنِي أَنَا أَدَبِّرُ أَمْرَكَ ، فَدَخَلَ بِهِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ اسْتَشَاطَ غَضَبًا ، وَقَالَ لَهُ : أَخْرَجَ السَّاعَةَ ، أَحْمَلْ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، وَخَرَجَ ، فَقَالَ : لَا كَثِيرَ ، أَحْمَلْ خَمْسَ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . فَقَالَ : لَا ، كَثِيرَ ، أَحْمَلْ ثَلَاثَ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، فَقَالَ : لَا ، كَثِيرَ ، أَحْمَلِ السَّاعَةَ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، فَفَرَجَ ، فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ : سَيْفُ الدِّينِ طُغْيَايَ : لَا تَسْقَعْ ذَنْقَكَ وَتُحْضِرَ الْجَمِيعَ الْآنَ ، وَلَكِنْ هَاتِ ^(٣) الْآنَ مِنْهَا عَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَدَخَلَ بِهَا إِلَى السَّلْطَانِ ، فَسَكَنَ غَيْظَهُ ، وَبَقِيَ كُلَّ يَوْمَيْنِ وَثَلَاثَةَ يَحْمِلُ خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمَرَّةً ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمَرَّةً أَلْفَيْنِ . وَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَالْقَاضِي فُخْرُ الدِّينِ نَاضِرَ الْجَيْشِ ؛ يُصْلِحَانِ أَمْرَهُ عِنْدَ السَّلْطَانِ إِلَى أَنْ رَضِيَ عَنْهُ وَسَاحَهُ بِمَا بَقِيَ عِنْدَهُ ^(٤) ، وَاسْتَعْدَمَهُ نَاضِرُ الْخَاصِّ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَاشَرَ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَوَّلًا ^(٥) ، ثُمَّ

(١) فِي الْوَاقِعِ وَالْفَوَاتِ : « وَأَخَذَ الْخَزَائِنَ مَعَهُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَيَأْتِي » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (س) ، وَالْوَاقِعِ وَالْفَوَاتِ .

(٣) فِي الْوَاقِعِ : « هَاتِ لِي » .

(٤) فِي (س) : « عَنْهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) لَيْسَتْ فِي (س) .

تقدّم عنده ، وأحبّه مَحَبَّةً زائدة عن الحدّ ، وكان يَخْلَعُ عليه أَطْلَسُ أبيض والفوقاني بطرّز ، والتّحتاني بطرّز ، والقبع زركش على ما استفاض .

وكانت الخزائن عنده جميعها في بيته ، وإذا أراد السلطان شيئاً نَزَلَ مملوكٌ إليه في بيته ، واستدعى منه ما يريده ، فيجهّزه إليه من بيته ، وكان يخلع على أمراء الطّبْلَخانات الكبار من عنده ، وقيل : إنّ السّلطان نزل يوماً من الصّيد ، فقال له : يا قاضي ! اعرض أنت صيود^(١) الأمراء ، فإنّ لي ضرورة ، ودخل الدّهليز ، ووقف القاضي كريم الدّين على باب الدّهليز ، فكان الأمراء يُحضرون صيودهم على طبقاتهم بين يديه ، وهو يخلع عليهم على طبقاتهم واحداً بعد واحدٍ .

وحجّ هو والخوندة الكبرى طغاي^(٢) ، واحتفل بأمرها ، وقد مضى ذكر حجّها في ترجمتها ، وكان يخدم كل واحد من الأمراء الكبار والمشايخ والخاصيّة الكبار ، وأرباب الوظائف والمجداريّة الصّغار ، وكلّ أحد حتّى الأوشاقيّة في الإصطبل وأرباب الوظائف ، وكان في أوّل أمره ما يخرج القاضي فخر الدّين لصلاة^(٣) الصّبح إلّا ويحدّ كريم الدّين راكباً وهو ينتظره ، ويطلع في خدمته إلى القلعة ، ودام الأمر هكذا ستّة أشهر أو ما حولها ، ثمّ إنّ فخر الدّين كان يركب ويحضر إلى بابه ، وينتظره ليطلع معه إلى القلعة ، وكان في كلّ يوم ثلاثاء ، يحضر إلى دار فخر الدّين ، ويتغذّى عنده ، ويحضر مَحْفِيَّتَيْنِ لا يعود إليه شيء من ماعونها^(٤) الصّيني أبداً ، وكان يركب في عدّة مماليك أتراك - يقال سبعين^(٥) مملوكاً أو أقلّ - بكنائش [عمل]^(٦) الدّار وطرّز

(١) في الأصل : « لصيود » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي والفوات .

(٢) امرأة السلطان ، كما في الوافي .

(٣) في الأصل : « صلاة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « ماعونها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) كنا في الأصل و (ق) ، (س) ، وفي الوافي : « سبعون » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

ذَهَبَ ، والأمراء تركب في خدمته . وبالجملّة مارأى أحدًا من المتعمّمين ما رآه القاضي كريم الدّين .

ولما ورد في صفر سنة ثمانى عشرة وسبع مئة أمر ببناء جامع في آخر القبيبات ^(١) بدمشق ، فعمره الصّاحب شمس الدّين غبريال ، وأخذ في العمل فيه بعد سفره .

قيل : إنّه طلبه السّلطان يوماً إلى الدّور فدخل ، وعادت [الخزندارة] ^(٢) تروح وتحيّء مرّات فيما تطلبه الخوندة طغاي ، فقال له السّلطان : يا قاضي ! أيش حاجه لهذا التّطويل بنتك ^(٣) ، ما تختبئ منك ، ادخل إليها ، وأبصر الّذي تريده أفعله ، فقام ، ودخل إليها وسيّر ^(٤) قال لها : أبوك هنا ، أبصري له ما يأكل ، فأخرجت له طعاماً ، وقام السّلطان إلى كرمه في الدّور ، وقطع منها عنباً ، وأحضره في يده ، وهو ينفخه من الغبار ، وغسله بماء بيده ، وقال : يا قاضي ، كلّ من عنب دُورنا ، وهذا أمرٌ مافرح به متعمّم .

وكان إذا أراد أن يعمل سوءاً ، ويراه قد أقبل يقول : جاء القاضي وما يدعنا نعمل شيئاً ممّا نريده ، فيحدّثه في إبطال ما كان قد همّ به من الشّرّ ، وفي مدّة حياة القاضي كريم الدّين لم يقع من السّلطان إلّا خير .

وأما مكارمه فحكى لي غير واحد بالقاهرة - جماعة لا يمكن تواطؤهم على نقل باطل - : أنّه حضرت إليه امرأة رفعت له قصّة تطلب فيها إزاراً ، فوقع في ظاهرها إلى الصّيرفي بصرف ^(٥) مبلغ ثمانى مئة درهم ، فلما رأى الصّيرفي ذلك ؛ أنكره ، وأوقفها ، وتوجّه إليه ، وقال : ياسيّدي ، هذه سألت إزاراً والإزار ماثنه هذا المبلغ ، فقال له :

(١) تذكرة النّبيه : ٩٠/٢ .

(٢) في الوافي : « وبقيت الخزندارة » . والزيادة منه ومن (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « بينك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الوافي والفوات : « وسيّر السلطان » .

(٥) في الأصل : « يصرف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

صدقت ، وأخذ القصّة ، وقال : الأولى متاع الله تعالى ، وزادها مبلغ ثمانين ، وقال : هذه متاعي وقال : أنا ما أردت إلا ثمانين ، ولكن الله أرادها^(١) ثمان مئة ، فوزن الصيرفي للمرأة ثمان مئة درهم وثمانين درهماً .

وقيل : إنه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن يسأله شيئاً ، وإن الصيرفي أحضر إليه مرّة وصولات ليست بخطّه فأنكرها ، فقال الصيرفي : هذا في كل وقت يحضر إليّ مثل هذه الوصولات ، فقال : إذا جاء أمسكه وأحضره ، فلمّا جاء على العادة أمسكه وأحضره إلى بابه فقيل : إن الصيرفي وقّع بالمزور ، فقال : سيبوه ، مالي وجه أراه ، ثم قال : أحضروه ، فلمّا مثل بين يديه قال : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ، فقال له : كلّما احتجت إلى شيء اكتب به خطّك على عادتك لهذا الصيرفي ، ولكن ارفق ، فإنّ علينا كلفاً كثيرة^(٢) ، وقال للصيرفي : كلّما جاءك شيء من خطّ هذا فاصرفه ، ولا تشاور عليه .

وحكي لي^(٣) أنّه قبل إمساكه ضيّع [بعض]^(٤) بابيّة^(٥) ممالك بكتر السّاقى حيّصة ذهب ، فقال صاحبها للأمير ، فقال الأمير : إن لم يحضر الحيّصة ، وإلاّ روحوا به للوالي ليقطع يده ، فزلوا بذلك البابا^(٦) ، فوجد القاضي كرم الدّين آخر النهار طالعا إلى القلعة ، فوقف وشكا حاله ، فقال : أخروا أمره إلى غدٍ ، فلمّا نزل إلى داره ؛ قال لبعض عبيده : خذ معك غداً حيّصة ذهب ، لنعطيهما لذلك البابا المسكين ، فلمّا أصبح وطلع إلى القلعة أمسك ، واشتغل النّاس بأمره ، ونسي أمر البابا ، ولمّا فرغ

(١) في (ق) ، (س) والوافي : « أراد » .

(٢) في (ق) : « كبيرة » .

(٣) ليست في (ق) ، (س) ، وهي ثابتة في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٥) البابيّة : جماعة العمال في الطشت خاناه الذين يقومون بغسل الملابس وصلفها ...

(٦) في الوافي : « البابي » ، وكذا في المواضع التي تكررت فيها .

النَّاسَ طَلَبَ البابا ، وجَهَّزَ إلى الوالي ، فقال له رفاقه^(١) : ما كان القاضي كريم الدِّين وعدك ، رُوحٌ إليه ، فقال : يا قوم ، إنسان قد أمسك وصور ، أروح إليه ! فراح إليه ، وكان قد أُمِرَ بالمقام في القِرافة ، فلمَّا دخل إليه ؛ شكَّ حاله ، فقال : يا بني ، جئتُ إليّ وأنا في هذه الحالة ، ثمَّ إنَّه رفع المقعد ، وقال له : خذ هذه الدِّراهم ، استعن بها ، كانت قريب الألفين ، فلمَّا أخذها وخرج ؛ قال لذلك العبد : ما كنت قد أعطيتك حياصة ذهب لهذا البابا ؟ فقال : نعم ، وهي^(٢) معي ، فقال : هاتِها ، فأخذها ، وطلب البابا ، ودفعها إليه ، وقال : هذه الحياصة أعطهم إيَّاهَا والدِّراهم أنفقها ، فطلع بالحياصة ، وأعطاهَا للمملوك ، فدخل بها المملوك للأمير سيف الدِّين بكثر السَّاقِ ، فطلب البابا ، وقال له : قل لي أمرٌ هذه الحياصة كيف هو ؟ فحكى له ما جرى له مع كريم الدِّين ، فقليل لي : إن بكثر السَّاقِ لطم وجهه ، وقال : يا مسلمين ! [مثلُ]^(٣) هذا يمسك أو يؤذى ؟ ! وما إمساك كريم الدِّين برضى بكثر .

وحكى لي القاضي شهاب الدِّين أحمد بن فضل الله أنَّه بلغه أنَّ القاضي علاء الدِّين بن عبد الظَّاهر والقاضي نجم الدِّين بن الأثير قعدا يوماً على باب القلَّة^(٤) وأُجري ذكر كريم الدِّين ومكارمه ، فقال علاء الدِّين بن عبد الظَّاهر : ما مكارمه إلَّا لمن يخافه ، فهو يُصانَعُ بذلك عن نفسه ، فما كان بعد يومين أو ثلاث إلَّا حتَّى احتاج نجم الدِّين بن الأثير إلى رصاص يستعمله في قدور حَمَام ، فكتب ورقة إلى كريم الدِّين يسأل فيها بيع جُمْلَةٍ من الرصاص بديوان الخاصِّ ، فحمل إليه جملة كبيرة ، فضل له منها عَمَّا احتاج إليه ثلاثون قنطاراً ، ولم يأخذ عن^(٥) ذلك ثمنًا ، وأمَّا علاء الدِّين بن عبد الظَّاهر ؛ فإنَّه تركه يوماً في بستانه ، وانحدر إليه في البحر ، فلم يدر به إلَّا وقد

(١) ليست في (س) ، وفي الوافي : « رفاقه » .

(٢) في (ق) ، (س) والوافي : « وهذه » ،

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي والفوات .

(٤) في الأصل : « القلعة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

أرست حرّاقته على زريّة^(١) علاء الدّين ، فنزل إليه ، وتلقّاه ، ودهش لقدومه ، فحلف أنّه ما يأكل ما يحضره إليه من خارج البستان ، ومهما كان طعام ذلك [النهار]^(٢) يحضره ، فأحضر له ما اتّفق حضوره ، وقال له : يا مولانا [أنا]^(٣) ما أعلمتك بمجيئي ، ولكن أنا مثل اليوم ضيفك ، ولكن لا التقي^(٤) هذه العمارة على هذه الصّورة ، وشرع ربّتها على ما أراد ، وخرج من عنده ، فلم يشعر علاء الدّين ذلك اليوم إلّا بالمراكب قد أرست على زريّته بأنواع الأخشاب والطّوب وأفلاق النّخل والجبس والمهندسين والصّناع والفعول ، وكلّ ما يحتاج إليه ، وأخذوا في هدم ذلك المكان ، وشرعوا في بنائه ، على ما قال لهم ، فلم يأت على ذلك خمسة أيّام أو ستّة إلّا وقد تكامل وزخّم وزخرف بالذهب واللّازورد ، وفرغ منه ، فلما كان قبل الميعاد بيوم جاء إليه مركب مؤسّوق^(٥) بأنواع الغنم والإوز والدّجاج الفائق وغيره ، والسّكر والأرز ، وجميع ما يطبخ حتّى الخافي والماعون الصّيني والجبن ومن يقلبه ، وعمل الطّعام الفائق المختلف ومُدّ السّباط العظيم ، ونزل القاضي كريم الدّين ومعه من يختاره وجاء إليه ، وجد^(٦) الدّار قد عمّرت على ما أراد ، والطّعام قد مُدّ سباطه ، فأكل هو و [من]^(٧) معه ، وأحضر أنواع الفواكه والحلوى والمشروب ، ولما فرغ من ذلك أحضر بُقجة كبيرة ، أخرج إليه منها ما يصلح للنّساء من القماش الإسكندري وغيره ، وما يصلح للمبوس علاء الدّين ، وقال : هذه خمسة آلاف درهم يَكْسُو بها مولانا عبيده وجواريه على

(١) الزريّة : كوخ جدرانته من جرائد النخل ، يتخذ المرء مأوى يرتاح فيه .

ووقع في الوافي : « زريّة » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « أكنفي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) أي : بمحلّ ، وفي (ق) ، (س) والوافي والفوات : « موسق » .

(٦) في (ق) ، (س) : « ووجد » .

(٧) زيادة من (ق) ، (س) .

ما يحبّه ويراه^(١) ، وهذا توقيع تصدّق به مولانا السلطان على مولانا [فيه]^(٢) زيادة معلوم دراهم وغلّة وكسوة ولحم وجراية ، ونزل يركب ، ونزل معه علاء الدّين ، فلما ركب وفارقه ، قال : يا مولانا علاء الدّين ! والله هذه الأشياء أنا أفعلها طباعاً^(٣) ، وأنا لا أرجوك ولا أخافك .

وقيل : إنّ مرّة شرب دواء ، فجُمع له كلّ ما دخل القاهرة ومصر من الورد ، وحُمِل إلى داره وبُسِط ذلك الورد إلى كراسي الطّهارة^(٤) ، وداس النّاس ماداسوه ، وأخذ ما فضّل أباعه^(٥) الغلمان للبيارستان بمبلغ ثلاثة آلاف درهم .

وكان السلطان قد قوّض إليه نظر البيارستان المنصوري ، فمت أجور أوقافه ، وعمرت [وعمر]^(٦) البيارستان ، وكان كلّما دخل فيه تصدّق بعشرة آلاف درهم ، ومات [مرّة]^(٧) من الزّحمة ثلاثة أنفس .

وبالمجملّة ، فما سمعت عنه بالديار المصريّة إلّا كلّ مكرمة غير الأخرى يُبتدع فعلها ولم نسمعها عن غيره . وهو الَّذي صدّق أخبار البرامكة ، ومن رئاسته الكاملة أنّه كان إذا قال : نعم ؛ كانت نعم ، وإذا قال : لا ؛ فهي لا ، وهذه الخلّة تمام الرّئاسة .

وكان في كلّ أوّل ثلاثة الشّهور رجب وما بعده من كلّ سنة يُخرج كلّ من كان في الحبوس من الولاية ، ومن حبّس الشّرع ، وما يدع في الحبوس أحداً ، إن كان عليه دين أوفاه ، أو على قضيّة معضلة أحضر الغريم ، وتوصّل إلى رضاه بكلّ طريق ، وعمر

(١) في (ق) ، (س) والوافي والفوات : « على ما يراه » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي ، والفوات .

(٣) في الوافي : « طبعاً » .

(٤) في الوافي : « كراسي بيت الماء » .

(٥) في الأصل : « أباحه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وفي الوافي : « وأباعه » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٧) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

بالزربية جامعاً وميضاًه ، وعمر في طرق الرّمل البيّارات ، وأصلح الطّرق ، وعمر في دمشق جامع القبيبات وجامع القابون ، ووقف عليهما الوقوف الجيدة .

وكان عاقلاً وقوراً داهية ، جنل الرأي بعيد الغور ، يحبّ العلماء والفضلاء ، ويبرّهم^(١) ويحسن إليهم أخبرني الشيخ شهاب الدّين العسجدي ، قال : كنت ليلة عيد مع الشيخ صدر الدّين ونحن متوجّهان إلى القرافة ، فعرض لنا فقير ، وقال للشيخ : ياسيّدي ، شيء لله ، فقال لي : كم معك ؟ قلت : مبلغ مئتي درهم ، فقال : ادفعها إلى هذا ، فقلت : ياسيّدي غداً العيد ! فقال : لا عليك ، توجّه إلى القاضي كريم الدّين ، وقُلْ له : الشيخ يسلم عليك ، ويهنئك بالعيد ، فتوجّهت إليه ، وقلت له ذلك ، فقال : كَأَنَّ الشيخ مفلس في هذا العيد ، ياططّاج - مملوكه - ادفع إلى رسول الشيخ ألفي درهم ، قال : فأخذتها ، وجئت بها إليه ، فقال الشيخ : صدق رسول الله ﷺ : الحسنة بعشرة .

قدم من [ثغر]^(٢) من الإسكندرية مرّة في نوبة الحريق الذي وقع بالقاهرة^(٣) ، فغوّت به الغوءاء ، ورجموه ، فغضب السّلطان ، وقطع أيدي أربعة ، ثمّ إنّه مرض في ذلك العام قبل الواقعة ، ولما عوفي زينت القاهرة ، وتزاحم الخلق ، واختنق واحد .

ولما انحرف عنه السّلطان أمر للأمير سيف الدّين أرغون النّائب بالقبض عليه ، فلما أراد بكرة النّهار الدّخول إلى السّلطان على العادة طلبه إلى بيته وأمسكه ، وأوقعت الحوطة على دوره وموجوده ، وأمسك ولده علم الدّين عبد الله ، وكان يوماً عظيماً ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين [وسبع مئة]^(٤) ، وبقي في بيته أيّاماً ، ثمّ إنّه رُسِمَ له بالنّزول إلى تربته بالقرافة ، فتوجّه إليها ، وأقام بها .

(١) في (ق) ، (س) : « ويقربهم » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) زاد في الوافي : « ونسب إلى النصارى » .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

وفي جمادى الآخرة رُسم بتسفيره إلى الشوبك ، فأقام به إلى أن رُسم له بالحضور إلى القدس ، فوصل إليه تاسع عشر شوال من السنة المذكورة ، فأقام به يُحسن إلى الفقراء والمجاورين والزوّار ، إلى أن رُسم له بالعودة^(١) إلى مصر ، فتوجّه من القدس في حادي عشر شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ولما وصل إليها أخذ ما كان من ذخائره وخواصله وموجوده ، ورُسم له بالتوجّه إلى أسوان ، فأقام بها إلى أن توجّه إليه الأمير ركن الدّين بيبرس الفارقاني ، وأصبح على ما قيل مشنوقاً بعمامته ، وقيل : إنّه لما أحسّ بقتله تَوْضاً ، وصلى ركعتين ، وقال : هاتوا ، عشنا سعداء ، ومتنا شهداء . وكان النَّاس يقولون : ما عمل أحدٌ مع أحدٍ ما عمله السّلطان مع كريم الدّين أعطاه الدّنيا والآخرة .

وكان قد طَلَبَ الحَجَّار وستّ الوزراء ، وسمع عليهما^(٢) (صحيح) البخاري بقراءة شيخنا ابن سيّد النَّاس ووصلهما ، ووصل الشيخ بجملة ، وكتب له بها نسخ وذُهِبَتْ وجُلِّدَتْ .

وكتب إليه شرف الدّين القدسي :

إِذَا مَا بَارَ فَضْلُكَ عِنْدَ قَوْمٍ قَصَدْتَهُمْ وَلَمْ تَظْفَرْ بِطَائِلِ
فَحْلَهُمْ خَلَكَ الذَّمُّ وَأَقْصَدُ كَرِيمَ الدِّينِ فَهُوَ أَبُو الْفَضَائِلِ

وأنشدني^(٣) إجازة شيخنا أبو الشّناء شهاب الدّين محمود ، ما كتب به إلى القاضي كريم الدّين يتقاضاه سكرأ له في الدّيوان :

أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي لَوْ تَجَارَى جُودُهُ وَالْحَيَا لَقَصَّرَ وَبُلُّهُ
وَالْكَرِيمُ الَّذِي تَفَرَّدَ فِي الْجُودِ دِ فَلَمْ يُلَفَّ فِي الْمَكَارِمِ مِثْلُهُ^(٤)

(١) في (ق) ، (س) : « بِالْعُودِ » .

(٢) في الأصل : « عليها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) الكلام من ههنا حتى آخره زاده المصنف على الوافي .

(٤) في (ق) ، (س) : « بِالْجُودِ » .

السَّاسِ مِنْ فَرْعِ نَائِلٍ فَهُوَ أَصْلُهُ
صَافٍ وَالْمَدْحُ وَالشَّنَاءُ فَهُوَ أَهْلُهُ
هـ ، وزادت عليها وامتدَّ فضله^(١)
كُلَّ يَوْمٍ إِنَّ تَأْتِيهِ فَاضَ فَضْلُهُ
لِ وَمَنْ لَمْ يَقْصِدْهُ وَافَاهُ بِذَلِكَ
رَ هَذَا أَوَانُهُ وَمَحَلُّهُ
أَدُهُ ثَقْلُهُ وَأَعْيَاهُ حَمْلُهُ
يَتَقَاضَاهُ عَقْدُهُ أَوْ حَلُّهُ
فَهُوَ آلُ النَّدَى وَيُصْبِيهِ فِعْلُهُ
جُودُ وَالْفَضْلُ وَالتَّطَوُّلُ كُلُّهُ
رَ وَحَلَّى مَعَاطِفَ الدَّوْحِ ظِلُّهُ^(٢)

وَالَّذِي كُلُّ مَا تَفَرَّقَ بَيْنَ النَّدَى
وَالَّذِي كُلُّ مَا يُقَالُ مِنَ الْأَوْدَانِ
عَمَّ مَعْرُوفُهُ وَتَمَّتْ أَيَادِيهِ
وَسَمَّا نَيْلُهُ عَلَى النَّيْلِ إِذْ فِي
وَهْمَى جُودُهُ فَلَوْ لَمْ يُسَلِّ سَأَلِي
لِي رَسَمَ عَلَى نَدَاكَ مِنَ السَّكَدِ
وَخُصُوصاً وَالْعَبْدُ مِنْ إِثْرِ ضَعْفٍ
لِي مَنِّي تَصْحِيفُهُ فِي نَظَامٍ
مِثْلَ مَوْلَايَ مَنْ يَرَى الشُّكْرَ أَوَّلَى
فَائِقٍ وَاسْتَلَمَ يُعْزَى إِلَيْكَ النَّدَى وَالْأَوْدَانِ
مَا تَغَنَّتْ وَرَقَاءُ فِي الْوَرَقِ النَّضْدِ

وَمَا رثى به الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم للقاضي كريم الدين - رحمه الله

تعالى - :

وَمَتَّ مِمَّاتَ كُلِّ فَقَى كَرِيمٍ
وَلَا إِثْمَ يُؤْتَمُّ لَلْأَثِمِ
بَلْوَغِكَ رَحْمَةً اللَّهُ الرَّحِيمِ
لَهُ تَشْتَاقُ جَنَّاتِ النَّعْرِ^(٣)
لَأَرْمِلُهُ وَشَيْخَ أَوْ يَتِيمٍ
لَأُثْرِي كُلَّ مُحْتَاجٍ عَدِيمٍ^(٤)

كَرِيمَ الدِّينِ عِشْتَ بِكُلِّ خَيْرٍ
شَهِيداً قَدْ دَرَجْتَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ
بَلَغْتَ جَمِيعَ مَا تَحْتَارُ حَتَّى
إِلَى جَنَّاتِ [عَدْنِ] صِرْتَ يَأْمَنُ
وَجَدْتَ بِمَا حَوَتْ كَفَاكَ فِينَا
وَلِلْأَمْرَاءِ وَالْفُقَرَاءِ حَتَّى

(١) في (ق) ، (س) : « عليائه وامتدَّ ظله » .

(٢) في الأصل : « ورق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « لا ترى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

ففي دُنياك فُزْتَ بِكُلِّ حَظٍّ
وقد خَلَفْتَ ما يَبْقَى إلى أن
من الذِّكْرِ الجَمِيلِ لِكُلِّ صُنْعٍ
مناقبُ خَصَّها الرَّحْمَنُ مِنْهُ
وبالْمَدْحِ الْمُضَنِّ كُلِّ حَمْدٍ
وما أَبْقَيْتَ في قَلْبِي جَواهِرَ
لقد جَرَعْتُ حينَ جَرَعْتُ كَأْسَ الـ
ففي الجَنّاتِ أَنْتَ بغيرِ شَكٍّ
ويُحَسَبُ مِنْ تَصَبُّرِهِ سَليماً
يَقْضِي ليلَـهُ بتعلُّلاتٍ
فلا تَبْعُدْ فَإِنَّ المَوْتَ آتٍ
وفي أَحرارِ بـالأَجْرِ العَظِيمِ
تَقُومُ قِيامَةُ العَظَمِ الرَمِيمِ^(١)
حديثُ مَنْكَ أوِ بَرٍّ قَدِيمٍ
بما قَدَّمَ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ
وَشُكْرِ ظَـاعِنٍ لثَناءٍ مُقِيمٍ
مُجَدِّدٍ لِلهُمُومِ وَلِلْغُـمُومِ
حِمَامِ فَتاكِ كاساتِ الحَمِيمِ
ومن خَلَفْتَ في نـارِ الجَحِيمِ
وكيفَ وَليلَـهُ ليلُ السَّليمِ^(٢)
ويخلو في دُجَاهِ بالهُمُومِ
على المَخْدُومِ مَنّا والخَدِيمِ

١٠٣١ - عبد اللطيف بن بلبان*

ابن عبد الله السَّعُودِي ، الشَّيْخُ الصَّالِحُ الفاضل سيف الدِّين أبو مُحَمَّد .
كان خليفة الشَّيْخِ عَمَرِ السَّعُودِي مدَّة ، ثُمَّ وَلِيَ المَشِيخَةَ وَلَدَ الشَّيْخِ عَمَر .
سَمِعَ مِنْ ابْنِ عَزَّوْنَ ، وَالْمُعِينِ ابْنِ القاضِي الدَّمَشْقِيِّ^(١) ، وَخَرَجَ لَهُ شَهابُ الدِّينِ
الدَّمِياطِي (جزءاً) . وَكانَ فِيهِ خَيْرٌ وَدِيانَةٌ ، وَلَهُ شِعْرٌ وَكلامٌ على طَريقَةِ القومِ .
تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في سابعِ عَشْرِ ربيعِ الآخرِ سَنَةِ سِتٍّ وَثلاثينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ ،
وَدُفِنَ بِالقَرافَةِ ، وَكُتِبَ في الإِجازاتِ .

(١) في الأصل : « العظم العظيم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) السليم : المملوغ .

* الوافي : ١٢٠/١٩ ، والدرر : ٤٠٦/٢ ، ويعرف أيضاً باسم بلبان بن عبد الله السَّعُودِي ، الدرر :

٤٩٢/١ ، وسيكرر المصنف الترجمة باسم : عبد اللطيف الشَّيْخِ سيف الدين .

(٣) هو المعين أحمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

١٠٣٢ - عبد اللطيف بن خليفة*

الصّدر المُعظّم الفاضل شمس الدّين العجمي أخو النّجيب كَحَال غازان وغيره .

كان النّجيب المذكور له صورة كبيرة ، ومحل زائد عند ملوك المُغل ، وكان أخوه [هذا] ^(١) شمس الدّين عبد اللّطيف قد تسمّى في تلك البلاد بالملك الصّالح ، وورّد إلى الديار المصريّة ، فأكرّم كثيراً إلى الغاية .

وكان أديباً فاضلاً ، لبيباً عاقلاً ، على ذهنه غوامض من العربيّة ، وعنده نكت ظريفة أدبيّة ، يترسّل بغير سجع ، وينبت ^(٢) في طروسه أزاهر بغير رَجْع ، لكن بعبارة فاضل ، بحاث ^(٣) مناضل ، يشتشهد على مقصوده بالآيات الكريمة ، والأحاديث القويمة والحكمة القديمة ، والأشعار ^(٤) الرّائعة ، والفقر الفائقه ، وخطّه قويّ إلى الغاية من [عادة] ^(٥) تعليق العجم ، وشبهه الزّهر الّذي أئِنع لما نجم ، وله مداخلات مع السّلطان وغيره من أرباب الدّولة ، ومَن له في الدّهر جوله ، يتحدّث بالتركي والعجمي فصيحاً ، ويذُر من ^(٦) يجادله في الوقت طريحا .

وكان له إقدام على الأكابر ، وجُرأة على أرباب السيّوف والمحابر ، ويحضر عند السّلطان في بعض الأحيان ، وينفع من يُريد ، ويضّر بكلّ لسان .

ولم يزل على حاله إلى أن مرضَ بفالج ، فكأبد منه ألماً يعالج من برّحه ما يعالج ، ثمّ إنّه بطلت حركات جوارحه ، وقيدت مُطلقات سوارحه .

* الوافي : ١٢١/١٩ ، والدرر : ٤٠٦٢ .

- (١) زيادة من (ق) ، (س) .
- (٢) في الأصل : « ويشب » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
- (٣) في الأصل : « نجاب » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
- (٤) في الأصل : « والأشغال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
- (٥) زيادة من (ق) ، (س) .
- (٦) في الأصل : « وغير من » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الاثنين سلخ المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ،
وجدّوه غريقاً في البركة ، ودفن في مقابر باب النصر .

وكان له من الرواتب في تلك الأيام ما يقارب الألفي درهم ، واجتهد بدهائه ، إلى
أن جعل ذلك في جملة رواتب الممالك السلطانية حتّى^(١) إن المستوفين لا يتعرّضون له
إذا عملوا استيئاراً ، وكان الأمير سيف الدين أرغون النائب إذا رآه في القلعة يقول :
ما أحسدُ إلّا هذا الشيخ الذي له في كلّ شهر ألفا درهم ، وهو دائر بطلّ بلا شغل .

وكان يحضر عند السلطان في سرياقوس ، ويتكلّم بين يديه بالنفع والضّرّ لمن
يريد ، لأنّه كان خبيراً بأخلاق الملوك ، ومخاطباتهم وسياساتهم . قال لي من لفظه : أنا
أتعيش بين الناس ، وأتجوّه^(٢) عندهم بكلّ جلسة أجلسها بسرياقوس عند السلطان عدّة
شهور .

وكانت له خصوصيّة بالقاضي فخر الدين ناظر الجيش^(٣) ، وبالقاضي
علاء الدين بن الأثير كاتب السرّ ، ونفع جماعة ، وهو كان أحد من ساعد الخطيب
جلال الدين القزويني على تولّيه قضاء القضاة بالشّام وعلى الحضور إلى قضاء الديار
المصريّة .

ودخل يوماً إلى القاضي مجد^(٤) الدين بن لقيّة ، وهو ناظر الدّولة ، يطالبه برتبته
والّح عليه ، وزاد في الإبرام ، فقال له : يامولانا كلّ شهر ألفا درهم ، ماتمهل علينا
بشهر واحد ؟ ، فقال : يامولانا هذه الألفان التي لي ماتكفي هذا عبدك الذي يحمل
دواتك أن يشرب بها نبينداً ، فلم يجبه بكلمة ، وصرف له ما أراد .

(١) في الأصل : « على » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) من الجاه .

(٣) في (ق) : « الجيوش » .

(٤) في الأصل : « نجم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وكان إذا حضر عند فخر الدّين ناظر الجيوش أخذ الورقة من يده ، وتنشها بعنف ، ورمى بها ، وقال^(١) : خلّنا من هذه ، وتحدّث بنا في شأننا .

وكان شيخاً تامّ القامة ، أعشى البصر قليلاً ، ذا عمّة [صغيرة]^(٢) كأنّها تخفيفة ، وكان لا يخاطبُ إلّا بملونا ، وكات يدّعي أنّه قرأ المنطق على الأثير الأبهري^(٣) .

وكانت له دار مليحة على بركة الفيل ، وله أموال وجواهر نفيسة ، رأيته يوماً وقد دخل إلى الأمير شرف الدّين حسين بن جندر بك ، وقد انقطع الأمير من وجع مفاصل كان يعتريه في رجله ، وكان قد غاب عنه مدّة ، فلما رآه مقبلاً ؛ قال له : يامولونا ! أين كنت في هذه الغيبة ؟ واويلاه من يدك ، فقال له شمس الدّين عاجلاً : واويلاه من رجلك .

وكان أصله بتلك البلاد يهودياً ثمّ أسلم ، ولما انفلج جاء إليّ الشيخ شمس الدّين محمّد [ابن]^(٤) الأكفاني ، وقال لي^(٥) : يامولونا الآن . كما^(٦) أسلم شمس الدّين العجمي ، فقلت له : كيف ذلك ، وهو قديم الإسلام ؟! فقال : لأنّ المسلمين سلموا من يده ولسانه ، يعني بالفالاج الذي حصل له .

أخبرني من لفظه العلامة شيخ الإسلام ، قاضي القضاة تقيّ الدّين السّبكي - رحمه الله تعالى - قال : اجتمع يوماً شمس الدّين ، والأمير ناصر الدّين بن البابا ، وشجاع الدّين التّرجمان ، ونجم الدّين بن قاسم بن سرداد ، فقال ناصر الدّين : أخبرني

(١) في (ق) ، (س) : « وقال له » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) هو أثير الدين الفضل بن عمر ، كما ذكر الصفيدي في الألقاب من الوافي : ١٨٧٦ ، وتوفي هذا المذكور سنة (٦٦٣ هـ) ، انظر : الأعلام ٢٧١/٧ .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « له » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٦) كذا وقع في الأصول ، وفي الوافي : « لما » ، وفي بعض أصوله : « كما » ، وسياق الكلام على إسقاطها .

هذا ، وأشار إلى أحد الاثنين ، فقال شمس الدين : من هو هذا ؟ ﴿ إِنَّ الْبَقَرَةَ شَابَةٌ عَلَيْنَا ﴾ ^(١) فقال شجاع الدين : [مولانا] ^(٢) ، من قال هذا الكلام . فقال شمس الدين : الذين قال الله في حقهم : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرْ نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، فقال شجاع الدين : مولانا ، حاشاك تقول مثل هذا ! ، وإننا قال الله في حقهم : ﴿ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ ﴾ الآية ^(٤) ، أو كما قال .

ولما دخلت القاهرة ^(٥) اجتمعت به في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فرأيت منه رجلاً داهية ، خبيراً بما يتكلم به ، يغلب عليه العقلیات ، ويستحضر من كلام الحكماء جملة وافرة ، وينقل كثيراً مما يذاكر به من فنون الأدب ووقائع الناس ، خصوصاً وقائع ملوك المغل ، وله ذوق جيد في الشعر ، وتفضل في حق كثيراً - رحمه الله - ونوه بذكري عند الأكابر وأثنى عليّ ثناء كثيراً انتفعت به ، شكوت إليه يوماً من بعض الكتاب ، فقال لي : مولانا القواهر العلوية دائماً الفيض ممنوعة الحجب تقتص من الظالم للمظلوم ، ومن الحاكم للمحكوم ^(٦) .

وكتبت أنا إليه في أول شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة :

يَا مَنْ بِحَبْلِ وَلَائِهِ أَمْسَكُ	وَبِذِكْرِهِ بَيْنَ الْوَرَى أَمْسَكُ
أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا غَدَتُ تَرَى فَا	تُدْرِي وَغَايَةَ شُكْرَهَا لَا تُدْرِكُ
وَأَفْدَتْنِي فَضْلًا بِكُلِّ نَفْسَةٍ	تُشْرِي فَجُودُكَ فِي الْوَرَى لَا يُشْرِكُ
أَنْتَ الْمَبُوءُ ذِرْوَةَ الْمَجْدِ الَّتِي	عَزَتْ فَالِإِسْوَاكِ فِيهَا مَسْلَكُ

(١) البقرة : ٧٠/٢ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) البقرة : ٤٧/٢ .

(٤) البقرة : ٦١/٢ .

(٥) في (ق) ، (س) : « إلى القاهرة » .

(٦) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

حُزْتَ السَّيَادَةُ فِي الْأَنَامِ وَأَنْتَ فِي
 كُلِّ يَنَامٍ عَنِ الْمَحَامِدِ وَالْعَلَا
 إِلَّا عَزَائِكَ الْعَلِيَّةُ كَمْ لَهَا
 وَتَجُودٌ مُبْتَدِئاً وَمَالِكٌ مَقْصَدٌ
 شِيمٌ مِنَ النَّفْسِ الْأَيُّوَّةِ أَشْرَقَتْ
 وَغَدَتْ مَرْنَحَةً بِأَتُولِي الْوَرَى
 هَذَّبْتُهَا بِعَارِفٍ قُدْسِيَّةٍ
 حَتَّى لَقَدْ خَلَصَتْ وَنُورَ ذَاتِهَا
 إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَكَيْفَ بَرَّرْتَنِي
 يَا شَمْسَ فَضْلٍ ظَلَّمَهُ الْمَسْوَطُ لِي
 سَطَّرْتُ مَا أَوْلَيْتَنِي ذَهَباً عَلَى
 فَهَنْ شَهراً قَدْ أَتَاكَ مَبْشَراً
 وَاسْلُمَ وَدُمٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَافِرٍ
 مَا بَاتَ ضَوْءُ الشَّمْسِ يَصْقُلُ جَدولاً
 أَهْلَ الْعُلُومِ عَلَى الْجَمِيعِ مُمْلِكُ
 وَإِذَا دُعِيَ لِفَضِيلَةٍ يَسْتَدْرِكُ
 فِي كَسْبِ ذَلِكَ بِاعِثٌ وَمُحَرِّكُ
 إِلَّا طِبَاعٌ فَقَيَّ غَدَا يَتَبَرَّمُكَ
 أَبْداً تُقَادُ إِلَى الْجَمِيلِ وَتُمْلِكُ
 صُنْعاً جَيْلاً شَأُوهُ لَا يُدْرِكُ
 فَتَبَيَّتُ تُصْقِلُ بِالْعُلُومِ وَتُسَبِّحُكَ
 عِرْفَانٌ مِنْ بَجْنَابِهِ تَتَمَسَّكَ
 وَجَعَلْتَ ثَغَرَ الدَّهْرِ نَحْوِي يَضْحَكُ^(١)
 أَنَا مِنْ سَنَاهِ فِي الْوَرَى أَتَبَرِّكُ
 وَجْهَ الزَّمَانِ وَذَا الْمَدِيحِ يُزَمِّمُكَ
 يَا خَيْرَ مَنْ بِصِيَامِهِ يَتَنَسَّكُ
 مِنْ حَيْثُ يَأْتِي لَا يُمَلُّ وَيُتْرَكُ^(٢)
 وَيَرْوَحُ مِنْ نَفْسِ الصَّبَا يَتَفَرِّكُ

١٠٣٣ - عبد اللطيف بن محمد بن سند*

سراج الدين التاجر الكارمي الإسكندراني .

كان من أعيان الكارم ، وذوي الجود والمكارم ، رئيساً وجيهاً ، فاضلاً نبيهاً ،
 وقف وقوفاً جيده ، وبنى مدرسة بالشعر للمحاسن متصيده ، وسمع وروى ، وأطنب في
 ذلك وما عوى ، وله (ديوان) كله أمداح نبويّه ، ومحامد على خير البريه .

(١) في الأصل : « الزهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « كل سعد » .

* في الوافي : ١٢٣/١٩ ، واسمه فيه : « عبد اللطيف بن الرشيد الربيعي التكريتي الكارمي » . والدرر :
 ٤١٠/٢ ، وتذكرة التنبيه : ٦٠/٢ .

ولم يزل على حاله إلى أن طَفِعَ سِرَاجُهُ ، وَكَمَلَ تَقْدُّ عُمُرِهِ وَخَرَجَهُ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد سمع من النّجيب ، وابن فارس ^(١) ، وغيرها ، وحدث وسمع منه الأعيان .

ومن شعره :

لي بالأجيرِ دونَ وادي المُنحني	قَلْبٌ تَقْلُبُهُ الصَّبَابَةُ والضنا ^(٢)
غاروا عليه بالغُويرِ ويَمُوا	نَجْدًا سَحِيرًا واستقلوا أَيْمَنَا
مَلَكُوهُ مِنِّي بِالْمَكَارِمِ والعُلا	وَحَمَّوهُ عَنِّي بِالصَّوَارِمِ والقَنَا
أَتَبِعْتَهُمْ يَوْمَ اسْتَقَلْتُ عَيْسَهُمْ	بُحْشَاشَةً أَلْفَتْ مَعَانَاةَ العَنَا
ونَثَرْتُ مِنْ جَفْنِي عَقِيقَ مَدَامِعِي	حِينَ التَّفَرَّقِي فَاسْتَحَالَتْ أَعْيُنَا ^(٣)
وَسَرْتُ بِي المَوْجُ البَوَازِلُ تَرْتَمِي	لَيْلًا وَلِذَلِكَ الفَنَاءُ عَلَى الفَنَا ^(٤)
حَتَّى إِذَا أَهَدْتُ لَنَا رِيحَ الصَّبَا	عَرُفَ الخُرَازِمِي زَالَ عَنْهَا مَا عَنِي
فَأَخَذْتُ نِضْوِي ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: قَفِي	مَهْلًا رَوَيْدِكَ فَالْمُعْرَسُ هَهْنَا

وأنشدني من لفظه العلامة أبو حيّان قال : ومن شعر سراج الدين المذكور :

مال للنياقِ عن العراقِ تَمِيلُ	تَهْوِي الحِجَازَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ ^(٥)
ذَكَرْتُ لِيَالِيهَا المَوَاضِي بِالْحِمَى	وَالوَجْدُ مِنْهَا سَائِقٌ وَذَلِيلُ ^(٦)

(١) هو إبراهيم بن أحمد (ت ٦٧٦ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) في الأصل : « والعنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر ، والتذكرة .

(٣) في الدرر : « مدلع » .

(٤) الأولى : ضرب من النبات تأكله الإبل ، والثانية : جبل بنجد .

(٥) في الواقي : « عن الفراق » ، تصحيف .

(٦) في الواقي : « سابق » .

واستنشقت عَرَفَ الخزام وشاقها
 عَجَباً لها تَهْوَى النَّسِيمَ تَعْلُلاً
 تَرَدُّ النَّقِيبَ وما تَبَلُّ به صدى
 لله ليلتها وَقَدْ لاحت لها
 وبدا لها شِعْبُ الثَّيِّبَةِ فَاثْنَتُ
 يَحْدُو لها حادي السرى مترناً
 ياسائق الوجناء عَرَجٌ بالغضا
 دارَ لَعَزَةٍ ما أَعَزَّ جِوَارَهَا
 للنوقِ مَرَعَاها البهيجِ وللعدى
 فإذا حَلَلْتَ فللظباء مراتع
 ظلٌّ بأكنافِ الغَوِيرِ ظليلٌ
 بنسيمِ رَامَةِ والنَّسِيمِ عليلٌ
 وتَوَدَّ لو أَنَّ العَذِيبَ بديلٌ
 أعلامٌ يثربَ واستبانَ غيلٌ
 تَهْتَرِّمُ مِنْ طَرَبٍ بِهِ وَتَمِيلُ
 ما بَعْدَ طَيِّبَةِ للركابِ مَقِيلٌ
 فَهَنَّاكَ عُرْبٌ بِالْأَرَاكِ نَزُولٌ^(١)
 وظِلَّالُهَا للوافدين نَزُولٌ
 نَقِمٌ تَهِيْجٌ وللجِيَادِ صَهِيلٌ
 وإذا رحلت فللحمَامِ هَدِيلٌ

١٠٣٤ - عبد اللطيف بن أحمد*

ابن محمود بن الإمام الفاضل التاجر ، سراج الدين بن الكوايك ، بكاف أولى مضمومة ، وبعدها واو مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وبعدها كاف أخرى .

كان فاضلاً جيّد العريّة ، والمقاصد الدقيقة الأدبيّة ، حسن الشّكّالة والمحيا ، لو حاول القمّر حُسْنَهُ ما تَمَّ له وما^(٢) تَهَيّا ، حسن النظم البارع ، جيّد الذّهن فيما يفهمه وإليه يُسارع .

سمع بقراءتي على شيخنا أثير الدين كثيرا ، وكان يُحِلّني من قلبه محلاً أثيرا .

(١) في الوافي : « بالغضا » ، تصحيف . وفي الأصل : « لاتزال نزول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٢٤/١٩ ، والدرر : ٤٠٥/٣ .

(٢) في (ق) ، (س) : « ولا » .

توجّه إلى التَّكْوُّر (١) بتجارة فلم يَكُر ، وحلَّ به من الموت هناك الأمر النُّكْر .

وتوفّي هناك - رحمه الله - سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

اجتمعت به غير مرّة ونحن نحضّر حلقة شيخنا أثير الدّين ، وسمع بقراءتي جملة (٢) ، وكان شافعيّ المذهب ، قدم دمشق سنة عشر وسبع مئة ، وسمع بنت البطائحي (٣) وإسحاق الأسدي وابن مکتوم .

وقفتُ على ثلاثة أبيات بخطّه كتبها على مصنّف لشيخنا العلامة شيخ الإسلام تقيّ الدّين السّبيكي سَمَاهُ (كلّ وما [عليه] تدلّ) وهي :

لله دُرٌّ مسائلٍ هَدَبَتْهَا ونفيت خُلفاً عُدَّ خُلفاً ثَقَلَهُ
وَحَلَّتْ إِذْ قَيَّدَتْ بِالشَّرْطَيْنِ مَا أَعْيَا عَلَى الْعِلْمَاءِ قَبْلَكَ حَلَّهُ
فَعَلَا عَلَى الشَّرْطَيْنِ قَدْرُكَ صَاعِداً أَوْجَعَ الْعُلُومَ وَفَوْقَ ذَاكَ مَحَلَّهُ

١٠٣٥ - عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

ابن عبد السّلام ، الفقيه محي الدّين بن الشّيخ عزّ الدّين السّلميّ الدّمّشقي الشّافعي .

روى عن ابن اللّتي ، وطلب الحديث بنفسه بالقاهرة وقرأ على الشّيوخ ، فكان أفضلَ الإخوة ، وهو من بينهم صاحب القريحة والهمة والنّخوة ، قرأ الفقه وتميّز ،

(١) قال ياقوت : « بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه النّاس بالزّنوج » . معجم البلدان : ٣٨٢/٢ .

(٢) عبارة الوافي : « وسمع بقراءتي جملو من شعر الشيخ أثير الدين » .

(٣) فاطمة بنت علي بن عساكر (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨٢/٥ .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ١١٩/١٩ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٠/١ .

وانزوى إلى زاوية العلماء وتخيّر ، وكان يعرف تصانيف والده جيّداً ، ولم يكن عن معرفة غيرها متحيّداً .

ولم يزل على حاله إلى أن لقي عبد السّلام من ربّه سَلاماً ، ولم يسمع مُحادثته منه كلاماً .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - سنة ستّ وتسعين وستّ مئة ، وقيل : سنة خمس^(١) .

١٠٣٦ - عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

الشيخ مجد الدّين بن تيمّية الحرّاني الحنبلي .

روى عن جدّه ، وعن عيسى بن سلامة ، وابن عبد الدّائم^(٢) . وخطب بحرّان سنوات ، وكان عدلاً خيراً .

توفّي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

١٠٣٧ - عبد اللّطيف بن محمد**

ابن الحسين العلّامة أبو البركات بدر الدّين بن^(٣) شيخ الشافعيّة القاضي تقيّ الدّين بن رزين الحَمْوي المصري الشّافعي .

كان إماماً تفنّن ، وعرف المذهب وتعيّن ، ودرّس وأفتى ، وحسّن وصفاً ونعتاً ، أعاد لأبيه ، وولي قضاء العسكر ، فلم يكن له فيه شبيه ، ودرّس بالظّاهريّة ، وخطب بالجامع الأزهر .

(١) وولادته كما في الوافي : سنة ثمان وعشرين وست مئة .

* الوافي : ١١٨/١٩ .

(٢) في الأصل : « وابن عبد السلام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

** الوافي : ١١٧/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٤٠٩/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ .

(٣) ليست في الوافي .

ولم يزل على حاله إلى أن خَفَّ ابن رزين على نعشه ، وبَلَّه وَبَلَّ الرَّدَى بِطَشِّهِ .
وتوفي - رحمه الله تعالى - ثامن عشري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة .
ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وست مئة .

وَحَدَّثَ عَنْ عَثَانَ خَطِيبِ الْقِرَافَةِ ، وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْخُشُوعِيِّ ، وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ قَدْ
حَفِظَ (الْمُحَرَّر) فِي الْفَقْهِ ^(١) .

وَكَانَ فَقِيهًا كَبِيرًا قَدْ تَوَلَّى الْإِعَادَةَ لَوَالِدِهِ ، وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَأَفْقَى ، وَنَابَ
فِي الْحُكْمِ بِالْقَاهِرَةِ وَقَلْيُوبَ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ الْعَسْكَرِ فِي حَيَاةِ وَالِدِهِ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى
أَنْ مَاتَ ، أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً .

وَدَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَالسَّيْفِيَّةِ وَالْأَشْرَفِيَّةِ ، وَخَطَبَ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَكَانَ
يَذْكُرُ الدَّرُوسَ مِنَ الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْأَصُولِ ، وَكَانَ لَهُ اعْتِنَاءٌ بِالْحَدِيثِ
وَالرَّوَايَةِ .

وَوَلِيَ قَضَاءَ الْعَسْكَرِ عَوْضَهُ جَمَالَ الدِّينِ الْأَذْرَعِي مِضَافًا إِلَى قَضَاءِ الْقَضَاةِ بِمِصْرَ .

١٠٣٨ - عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ*

الشَّيْخُ الْإِمَامُ النَّحْوِيُّ الْمُقَرَّرُ شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الْمَرْحَلِ الْحَرَّانِيِّ .

كَانَ فِي النَّحْوِ عَلَامَةً ، لَهُ فِيهِ أَمَارَاتٌ ^(٢) بَيِّنَةٌ وَعَلَامَةٌ ، لَوْ عَاصَرَهُ الْأُسْتَاذُ
ابْنُ عَصْفُورٍ لَكَانَ غَلَامَهُ ، مُثَبَّتًا ^(٣) فِيمَا يَقُولُهُ ، سَالِمَةً مِنَ الشَّكِّ تَقْوِيلُهُ ، يَكْتُبُ خَطًّا

(١) هُوَ الْمُحَرَّرُ فِي فُرُوعِ الشَّافِعِيَّةِ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّافِعِيِّ الْقَزْوِينِيِّ (ت ٦٢٢ هـ) ، الْكَشَفُ :
١٦١٢/٢ .

* الْوَاقِي : ١١٩/١٩ ، وَالْدَّرَرُ : ٤٠٦/٢ ، وَالشُّذْرَاتُ : ١٤٠/٦ ، وَالسُّلُوكُ : ٦٥٩/٣/٢ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّه :
٤٩/٣ .

(٢) فِي (س) : « أَمَارَةٌ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مُثَبَّتًا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

حسناً قويا ، ويأتي به في المنسوب سوياً . وكان يتردد من مصر إلى حلب ، ويتجر بالكتب فيها إذا جلب .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل رحلة لم يعد منها إلى هذه الدار ، ورثاه حتى الحمام الهدار .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة .

سمعت (صحيح) البخاري بقراءته في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بالظاهريّة بين القصرين على شيخنا أبي الفتح .

وكان فيه جمود يسير ، وما اعتقد ذاك الجمود عن بلادة ، ولكنه كان ذا تثبت^(١) في النقل .

أخبرني الشيخ شمس الدين محمد بن الحَبَّاز ، قال : سألته بحلب ، فقلت : ياسيدي ، « كشاجم » بكسر الكاف أو فتحها أو ضمها ؟ فأخذ يفكر زماناً ، ويقول : كشاجم بضم الكاف مثل « غلابط »^(٢) ، هذا وزن صحيح ، ثم التفت إليّ ، وقال : ياسيدنا ، لا تنقل عني في هذا شيئاً ما يحلّ لك .

قلتُ أنا : المعروف بين أهل الأدب أنّه كشاجم بفتح^(٣) الكاف لأنّه كما قيل في سبب تسميته بذلك أنّه كان كاتباً شاعراً أميراً جليساً منجماً ، فأخذوا له من كلّ وصفٍ حرفاً وركّبوا له هذا الاسم .

وكان الشيخ شهاب الدين^(٤) - رحمه الله تعالى - يعرف (ألفيّة ابن مالك) ، أقرأها جماعة بالقاهرة وحلب ، ومَن قرأها عليه بالقاهرة أخي إبراهيم .

(١) في (س) : « شديد التثبت » .

(٢) في الأصل و (س) : « علاط » ، تصحيف .

(٣) في الأصل : « بضم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الأصل : « شهاب الدين أحمد » ، سهو ، وأحد أخوه ، انظر : مقاله في الدرر .

وقد اجتمعت به - رحمه الله تعالى - غير مرة ، وأخذت من فوائده ، وكان يلزم سوق الكتب كثيراً لآثه كان يتجر فيها ، وينقلها إلى حلب .

١٠٣٩ - عبد اللطيف بن نصر*

ابن سعيد بن سعد بن محمد بن ناصر بن الشيخ أبي سعيد ^(١) الميهني الشيعي ^(٢) ، نجم الدين شيخ الشيوخ بالبلاد الحليّة بن الشيخ بهاء الدين أبو محمد .

سمع من جدّه لأمّه حامد بن أميري ، وعبد الحميد بن بليان ^(٣) ، ويحيى بن الدامغاني ^(٤) ، وابن رُوزبه ، وغيرهم .

أقام بحلب وحدث بها .

وغصّ بلقمة ، فمات - رحمه الله تعالى - في سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

ومولده [بجمص] ^(٥) سنة تسع وستّ مئة ، وكتب لشيخنا الذهبي بإجازة مروياته .

١٠٤٠ - عبد اللطيف**

الشيخ سيف الدين شيخ زاوية السّعوديّة بالقاهرة ، كان يعرف قبل ذلك ببليان الكرّجي ^(٦) .

* الوافي : ١١٨/١٩ ، وتذكرة النبیه : ٢٠٥/١ .

(١) في (ق) ، (س) : « سعد » .

(٢) في الأصل : « المنهني الشيخ » تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والتذكرة ، والميهني : نسبة إلى ميهنة من قرى فارس . (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « تيان » ، تحريف ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) هو يحيى بن جعفر بن عبد الله ، الدامغاني (ت ٦٣٠ هـ) . إعلام النبلاء : ٣٥٤/٤ .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

** سلف أن ترجم له المصنف باسم : عبد اللطيف بن بليان .

(٦) في الأصل : « الكرخي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

سمع من المعين أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي ^(١) ، وأبي إسحاق إبراهيم ابن عمر بن مضر ^(٢) ، غيرها . وخُرِجَتْ له (مشيخة) لطيفة ، وكتب خطأ حسناً متوسطاً .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكتب بخطه :

أَجَزْتُ لَهُمْ رَوَايَةَ كُلِّ مَالِي رَوَايَتِهِ سَمَاعاً أَوْ إِجَازَةً
وَمَالِي مِنْ مَقُولِ مُؤَلَّفَاتٍ حَوَتْ نَظْماً وَنَثْراً لِي مُجَازَةً
أَجَزْتَهُمْ وَأَرْجُو اللَّهَ رَبِّي يَنْيِلُهُمُ الْكَرَامَةَ وَالْعَازَاةَ

١٠٤١ - عبد المحسن بن حسن *

ابن سليمان البارنباري جمال الدين .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين قال : رأيته مراراً بالقاهرة ودمياط ، وبمصر ، وله نظم ، منه ما أنشدني لنفسه بدمياط وهو :

مَتَى يَا أَهْيَلَ الْحَيِّ أَحْظَى بِقُرْبِكُمْ وَيَبْلُغُ قَلْبِي مِنْ لِقَائِكُمُ الْقَصْدَا
وَتَرْجِعَ أَيَّامٌ تَقْضُتْ عَلَى الْحِمَى وَتَنْجِزُ لَيْلِي مِنْ تَوَاصُلِهَا الْوَعْدَا
قال : وله أيضاً :

مَنْهَجُ فَخْرِ الدِّينِ فِي حُكْمِهِ وَشَرْعِهِ أَقْوَمُ مِنْهَاجِ
قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِ فَالَهُ فِي الْخَلْقِ مِنْ هَاجِ

(١) (ت ٦٧٠ هـ) ، الوافي : ٢٤٠/٧ .

(٢) (ت ٦٦٤ هـ) ، المعبر : ٢٧٦/٥ .

* الوافي : ١٤١/١٩ ، والدرر : ٤١١/٢ .

١٠٤٢ - عبد المحسن بن أحمد*

ابن محمد بن علي ، الشيخ المسند أمين الدين أبو الفضائل بن شهاب الدين بن الحافظ جمال الدين أبي حامد^(١) بن الصّابوني .

أجاز لي بخطه المرتعش المِعْوَج بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة السبت سادس جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في سابع عشر ذي الحجة سنة سبع وخمسين وست مئة .

وسمع من أصحاب البوصيري ، وكان كثيراً . وحدّث وهو من رواية (جزء ابن عرفة) . وسمع ابن عزون ، وابن القاضي الدمشقي ، وابن علاّق^(٢) ، والنّجيب الحرّاني بالقاهرة ، وبدمشق من ابن أبي اليسر ، وابن عبد ، وشيوخ جمّة . وكان شاهداً بمصر ثمّ ضعف بصره .

١٠٤٣ - عبد المحسن بن عبد اللطيف**

ابن محمد بن الحسين بن رزين ، القاضي الإمام علاء الدين بن القاضي بدر الدين ابن قاضي القضاة تقيّ الدين بن رزين .

سمع من العزّ الحرّاني ، وغازي .

سمعت خطابته ودّرّسه بالطّاهرية غير مرّة ، وكان فصيحاً بليغاً ، ودّرّسه بسكون ، لا يتكلم فيه أحدٌ غيره .

* الوافي : ١٤٧/١٩ ، والدرر : ٤١١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٧٥/٢ .

(١) في الأصل : « المحامد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « علان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ١٤٧/١٩ ، والدرر : ٤١٢/٢ .

أجاز لي بخطّه في رابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - ليلة الاثنين عاشر شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبع

مئة .

وسمع من ابن خطيب المزة (سنن أبي داوود) بقراءة أبي حيّان .

وكان خطيباً بالجامع الأزهر .

١٠٤٤ - عبد المحمود بن عبد الرحمن *

ابن محمد بن [عمر بن محمد بن] عبد الله الشيخ الإمام القدوة والصّدر الكبير شهاب الدّين أبو القاسم بن أبي المكارم بن الشيخ عماد الدّين أبي جعفر بن الشيخ الإمام القدوة شهاب الدّين أبي حفص السّهروردي البغدادي .

كان شيخاً قدّره كبير ، له وقار يخفّ عنده تّبير ، صدّر العراق وقلّبه ، وعينه التي يطبق الدهر عليها هُدْبَه ، أمواله جزيله ، وحشتمه نبيله ، وكلمته كالسّهام النّافذه ، وعظّمته في النفوس تُرى وهي إلى الثّريّا أخذه . وكان يجلس للوعظ أحياناً ، ويموت سامعوه وجداً ، وهم يقولون : أحياناً .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح عبد المحمود على الأعناق محمولا ، وقطع من كلّ مَنْ كان يؤمّه مأمولا .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في أواخر شهر رجب سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد لبس الخرقه من جدّه أبي جعفر محمد ، وروى عنه (سداسيّات)

القاسم بن عساكر . ولشيخنا علم الدّين البرزالي منه إجازة .

* الوافي : ١٤٨/١٩ ، وترجمته مبسّرة ، والدرر : ٤١٣/٢ ، والشذرات : ٣٤/٦ ، وما بين حاصرتين زيادة

من الأصول الأخرى ، وانظر أيضاً : ذبول العبر : ٧٨ .

١٠٤٥ - عبد الحمود بن عبد السلام*

ابن حاتم بن أبي محمد بن علي البعلبكي الدمشقي الشافعي الشيخ الإمام العالم
مجد الدين أبو المحامد .

اشتغل وحفظ (التنبيه) وعرضه على المشايخ ، وقرأ على الشيخ محي الدين
النووي ، ولزم الشيخ برهان الدين الإسكندري وقرأ عليه القرآن و (التنبيه) . وسمع
الحديث من القاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي^(١) وحدث عنه .

وقال : كتبت الأسماء في مجالس الحديث ، وقرأت بنفسي على الكرجي^(٢)
والقاضي ابن الخويي^(٣) ، وأجلسني مع الشهود القاضي بهاء الدين بن الزكي^(٤) .
وكان يدعي أنه من ذرية أبي فراس بن حمدان .

توفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين عرقة تاسع ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع
مئة .

وقال : كنت رضيعاً عندما دخل هولاء البلاد .

١٠٤٦ - عبد الملك بن أحمد**

ابن عبد الملك الأنصاري ، تقي الدين الأرمني الشافعي .

* الدرر : ٤١٣/٢ .

(١) عبد الله بن محمد بن عطاء الأذري (ت ٦٧٣ هـ) ، العبر : ٣٠١/٥ .

(٢) عمر بن يحيى بن عمر (ت ٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٩/٥ ، ووقع في الدرر : « الكرخي » .

(٣) محمد بن أحمد بن الخليل (ت ٦٩٣ هـ) ، العبر : ٣٧٩/٥ .

(٤) يوسف بن يحيى (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٦/٥ .

** الوافي : ١٥٢/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٩ ، والدرر : ٤١٤/٢ .

سمع الحديث على شيخه مجد الدين القشيري ، وابنه الشيخ تقي الدين ^(١) ، وعلى عبد المحسن ابن إبراهيم المَكْتَب ^(٢) وغيرهم .

وحدث ، وكان فقيهاً مفتياً ، معيداً في فضله مبدياً وكان يُحسن إلى الفقهاء ، ويجود على الأدباء ^(٣) ويساعدهم على المناصب ، ويكف عنهم بفضل كل شر واصل واصب .

ولم يزل على حاله إلى أن أنشبت فيه المنية أظفارها ، وحكت فيه شفارها . وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة . ومولده بأرمنت سنة اثنتين وثلاثين وست مئة ^(٤) .

وكان قد أجازه الشيخ مجد الدين بالإفتاء ، وله أرجوزة في الحلى ، ورجز ^(٥) (تاريخ مكة) للأزرقى ^(٦) . وكان يكتب خطأ رديئاً لا يحسن أحد يستخرجه إلا الشاذ .

قال الفاضل كمال الدين الأدقوي : كان بعض قضاة قوص إذا جاءت إليه ورقة بخطه ، يقول لصاحبها : أحضره ليقرأها .

ومن شعره :

قَالَتْ لِي النَّفْسُ وَقَدْ شَاهَدَتْ حَالِي لَا تَصْلُحْ أَوْ تَسْتَقِمْ ^(٧)

(١) مجد الدين هو علي بن وهب بن دقيق العيد (ت ٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ ، والطالع السعيد : ٤٢٤ ، وابنه تقي الدين محمد بن علي ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) الطالع السعيد : ٣٣٥ . والمكتب : هو معلم الصبيان الخط والكتابة والأدب .

(٣) في الأصل : « إلى الأدباء » ، وفي (ز) ، (س) : « على الألباء » .

(٤) ومولده بأرمنت سنة (٦٣٢ هـ) . كما في الطالع .

(٥) في الوافي : « وموجز » ، تحريف .

(٦) محمد بن عبد الكريم الأزرقى (ت ٢٢٣ هـ) ، الكشف : ٣٠٦١ .

(٧) في الطالع : « لا يصلح » .

والحَاكِمُ الْعَدْلُ هُنَاكَ الْغَرِيمُ
يُنِيلُنِي مِنْهُ النِّعَمُ الْمَقِيمُ
حَقٌّ لَهُ يُصْلِيكَ نَارَ الْجَحِيمِ
بِنَارِهِ وَهُوَ بِحَالِي عَلِيمٌ
كَانَ بِتَكْفِيرِ ذَنْبِي زَعِيمٌ

بِأَيِّ وَجْهِ نَلْتَقِي رَبَّنَا
فَقُلْتُ : حَسْبِي حُسْنُ ظَنِّي بِهِ
قَالَتْ وَقَدْ جَاهَرْتَ حَقِّي لَقَدْ
قُلْتُ مَعَكُمْ أَاذَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِي
وَلَمْ أَفْهَ قَطُّ بِكَفْرِ وَقَدْ
وَقَالَ فِي لَزُومِ سَوْقِ الْوَرَاقَةِ :

يُسَمُّونَهُ سَوْقَ الْوَرَاقَةِ مَا يُجْدِي
عَلَى أَحَدٍ مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ مِنْ بَعْدِي ^(١)
وَخَسَّةٌ طَبِيعٌ فِي التَّقَاضِي مَعَ الْحَقْدِ ^(٢)
وَيُدْعَى عَلَى رَغَمٍ مِنَ الْقَرَبِ وَالْبُعْدِ
يَرَى مِنْهُمْ وَاللَّهُ كُلَّ الَّذِي يُرْدَى
بِأَرْبَعَةٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ بِلَا بُدٍّ ^(٣)
يُشْنُطُ بَيْنَ الرِّسْلِ فِي حَاجَةِ الْجَنْدِيِّ ^(٤)
فَهَذَا مَعَاشٍ لَيْسَ يَحْصُلُ لِلْفَرْدِ
وَعَانَيْتُ مَا يُغْنِيكَ عَنْهُ وَمَا يَجْدِي
فَصَابِرٌ عَلَيْهِ (لَا تَعِيدُ وَلَا تَبْدِي)

أَيَا سَائِلًا حَالِي بِسَوْقٍ لَزِمْتُهُ
خُذِ الْوَصْفُ مِنِّي ثُمَّ لَا تَلُوْ بَعْدَهُ
يُكْسِبُ سَوَاءَ الظَّنِّ بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ
وَيَنْقُصُ مَقْدَارَ الْفَقَى بَيْنَ قَوْمِهِ
وَإِنْ خَالَفَ الْحُكَّامُ فِي بَعْضِ أَمْرِهِمْ
وَلَا سِيَّيَا فِي الدَّهْرِ إِذْ رَسَمُوا لَنَا
وَيَكْفِيهِ تَعْيِيرُ النَّقِيبِ وَكَوْنُهُ
وَإِنْ قَالَ إِنِّي قَانَعٌ بِتَفَرُّدِي
فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
وَإِنْ كُنْتَ مَقْهُورًا عَلَيْهِ لِحَاجَةٍ

(١) في الوافي والطارح : « بعدها » .

(٢) في الأصل (و) ، (ز) ، (س) : « يكتب » ، وأثبتنا ما في الوافي والطارح .

(٣) في الطالع : « أن رسوا » .

(٤) معر وجهه : غيره غيظا .

١٠٤٧ - عبد الملك بن الأعز*

ابن عمران الثقفي ، تقي الدين الأسنائي .

كان بالتشيع مُتَّبِعًا ، وعلى التوالي مُتَّبِعًا . وكان في عداد الأدباء ، ومن جملة الشعراء . وكان قد قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي . ورد عليهم أسنا . وله (ديوان) شعر .

ولم يزل على حاله إلى أن جفّ من حياته الورق ، ورَقَّ خيطُ عمره ودَق .
وتوفي رحمه الله تعالى بأسنا سنة سبع وسبع مئة .

ومن شعره :

لا تَلَمْ مَنْ تُحِبُّ عَنْدَ سَراهِ	فغرامُ الحبيب قـــــــد أسراه
جَذَبَتْهُ يَدُ الْغَرامِ لَمِنْ هـ	واه فاعْذُرْهُ في الذي قد عراه
راح يطوي نشر الليالي من الشَّوْ	ق إليه وَوَجَدَهُ قَد بَرَّاه

ومنه :

جَفَوْنِي مَا تَنْتَامُ إِلَّا	لَعَلِّي أَنْ أَرَاكَ
فَزَرَّنِي قَد بَرَانِي الشَّو	ق يــــاغُضُّنَ الْأَرَاكَ
وطرفي ما رأى مثلك	وقلبي قـــــــد حــــواك
فهو لك لم يزل مسكن	فسبحان الذي أسكن
وما قصدي سواك	حبيبي آه مــــأحلى
فَخَلَّ الصَّدَّ وَالْهَجْرَانُ	ولا تسمع مــــلام

* الوافي : ١٥٥/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٤١ ، وفوات الوفيات : ٣٩٦/٢ ، والدرر : ٤١٥/٢ ، ووقع في الأصل : « الأعز » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والمصادر الأخرى . ووقع في الوافي والطالع : « التقي » موضع « الثقفي » .

وَصِّلْنِي يَا قَضِيبَ الْبَانِ فَفِي قَلْبِي ضَرَامِ
 وَجُدْ لِلْهَائِمِ الْوَلَهَانَ يَا بَابَ دَرِّ التَّامِ
 وَزُرْ يَا طَلْعَةَ الْبُدرِ وَدَعْ يَا قَاتِلِي هَجْرِي وَارْزُقْ قَدْ فِي عَمْرِي
 وَعِدْ أَيَّامَ وَفَاكِ وَاسْمَحْ ^(١) أَنْ أَقْبَلَ يَا مَلِيحَ بِاللَّهِ فَاكِ
 إِذَا مَا زَادَ بِي ^(٢) وَجَدِي وَلَا أَلْقَى مَعِينِ
 وَصَارَ مَعِيَ عَلَى خَدِي كَالْمَاءِ الْمَعِينِ ^(٣)
 أَفَكَّرَ التَّقِيَّكَ عَنِّي يَطِيبُ قَلْبِي الْحَزِينِ
 لَأَنَّكَ ^(٤) نَزْهَةَ النَّاطِرِ وَشَخْصُكَ فِي الْفُؤَادِ حَاضِرِ وَحُبِّي فِيكَ بِلَا آخِرِ
 وَقَوْلِي قَدْ كَفَاكَ فَجُدْ وَاعْدِلْ وَعِدْ وَاصِلُ وَصِلْ مَنْ رِضَاكَ ^(٥)
 جَبِينُكَ يُشْبِهُ الْإِصْبَاحَ بَنُورٍ وَقَدْ هَدَى ^(٦)
 وَرَيْقُكَ مِنْ رَحِيقِ الرَّاحِ بِهِ يُرَوَّى الصَّادِي
 وَخَدُّكَ يُبْهِرُ التَّفَاحَ مُكَلَّلَ بِالنَّدى ^(٧)
 سَبَانِي لَوْ نَهَ الْقَنَانِي فَخَلَانِي كَيْبَ عَانِي تَجَانِي النَّوْمَ أَجْفَانِي
 فَهَلْ عَيْنِي تَرَكَ فَذَاكَ الْيَوْمَ فِيهِ خَدِي أَغْفَرُ فِي ثَرَاكَ
 عَنِّي لَا تَطْلُ وَلَا قَصْرَ وَدَعْ صَبَّأَ كَيْبِ ^(٨)
 تَأْمَلْ مَنْ هُوَ يَتِ وَابْصُرْ إِلَى وَجْهِهِ الْحَبِيبِ

(١) فِي (س) : « وَاسْمَحْ لِي » .

(٢) فِي الْأَصْلَ : « زَادَ فِي » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ز) ، (س) وَالْوَافِي .

(٣) فِي الطَّالِعَ : « كَالْمَاءِ » .

(٤) فِي الْأَصْلَ : « لِأَنَّهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ز) ، (س) ، وَالْوَافِي وَالطَّالِعَ .

(٥) فِي الْوَافِي وَالطَّالِعَ :

فَجَدَ وَاعْدِلْ وَصِلْ وَوَاوَصِلْ رِضَايَ مِنْ رِضَاكَ

(٦) فِي الطَّالِعَ : « الْمَصْبَاحَ » .

(٧) فِي الطَّالِعَ : « وَخَدُّكَ يَشْبِهُ » .

(٨) فِي الْأَصْلَ : « لَا تَطِيلُ » . وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الطَّالِعَ .

وَكُنْ يَا صَاحِبَ مُسْتَبْصِرٍ تَرَى شَيْئًا عَجِيبًا
تَرَى مِنْ حُسْنِهِ مُبْدِعٍ كَبَدَّرَ التَّمَّ إِذْ يَطْلُعُ تَحِيرٌ^(١) لَمْ تَذُرْ مَا تَصْنَعُ
وَلَا تَعْرِفُ هَذَاكَ وَتَبْقَى مَفْتَكِرٌ حَيْرَانٌ إِلَّا إِنَّ هَذَاكَ

١٠٤٨ - عبد الملك بن عبد الرحمن *

ابن عبد الأحد بن عبد العزيز بن أبي نصر حمّاد بن صدقة الحرّاني العطار ، الشيخ
جمال الدين العطار ، عرف بابن الغنيقة .

قال شيخنا البرزالي : سمعت عليه الفوائد الملتقطة الحرّجة من مسموعات أبي الفتح
عبد الله بن أحمد بن أبي الفتح الحرّقي الأصبهاني^(٢) انتقاء محمد بن مكي الحنبلي^(٣) بسماعه
من الشيخ العدل أبي الفضل معالي^(٤) ، بسماعه من الحرّقي المذكور بأصبهان في
جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وست مئة ، بقراءة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قال :
ثم قرأت عليه عدة أجزاء .

توفي رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة سبع مئة في المحارة بعد الرحيل من
الصالحية إلى العباسية بدرب مصر في الجفل .

١٠٤٩ - عبد المؤمن بن خلف **

ابن أبي الحسن بن شرف ، الشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ البارع النسابة ،

(١) في الطالع : « تحار » .

* الشذرات : ٤٥٧/٥ .

(٢) (ت ٥٧٩ هـ) ، السير : ٩٠/٢١ .

(٣) (ت ٦١٠ هـ) ، الشذرات : ٤٢/٥ .

(٤) هو الفضل بن سهل الإسفراييني . وفي السير ، ٩١/٢١ : « لأبو الفضل بن سلامة العطار » ، ذكره في
تعداد من أخذ عن الحرّقي . وفي الدرر : « أبو المعالي العطار » .

** الوافي : ٢٣٩/١٩ ، وفوات الوفيات : ٤٠٩/٢ ، والبداية والنهاية : ٤٠/١٤ ، والدرر : ٤١٧/٢ ، وغاية
النهاية : ٤٧٢/١ ، والشذرات : ١٢/٦ .

المُجَوِّد الحجة ، علّم المحدثين ، عمدة النقاد ، شرف الدين أبو محمد وأبو أحمد الدميّاطي الشافعي .

قرأ القرآن وطلب الحديث بعدما^(١) تميّز في الفقه ، وقد صار له ثلاث وعشرون سنة ، فسمع بالإسكندرية في سنة ست وثلاثين^(٢) من أصحاب السلفي ، ثم قدم القاهرة وعُني بهذا الشأن روايةً ودرايةً ، ولازم الحافظ زكي الدين^(٣) حتى صار مُعِيده^(٤) .

وحج سنة ثلاث وأربعين وست مئة ، وسمع بالحرمين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين وست مئة .

وارتحل إلى الجزيرة والعراق مرّتين ، وكتب العالي والنازل ، وبالغ ، وصنف إذ ذاك وحدث ، وأملى في حياة كبار مشايخه .

وسمع من ابن المقيّر ، وعليّ بن مختار العامري ، ويوسف ابن عبد المعطي بن الحيّلي^(٥) ، والعلّم بن الصابوني^(٦) ، وإبراهيم بن الخير البغدادي ، وابن العليّ ، وأحمد ويحيى ابني قُمَيْزَة ، وموهوب بن الجواليقي ، وعبد العزيز بن الزبيدي^(٨) ، وهبة الله محمد بن مفرّج^(٩) ابن الواعظ ، وعلي بن زيد التّسارسي^(١٠) ، وظافر بن شحم

(١) في الأصل : « وبعدها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وثمانين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) محمد بن يوسف البرزالي (ت ٦٣٦ هـ) ، والشذرات ١٨٢/٥ .

(٤) في الأصل : « مفيدة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٥) (ت ٦٤٢ هـ) ، السير : ١١٦/٢٣ .

(٦) أبو الحسن علي بن محمود (ت ٦٨٤ هـ) ، العبر : ١٦٦/٥ .

(٧) في الأصل : « ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٨) عبد العزيز بن يحيى بن المبارك (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥١/٢٣ .

(٩) في الأصل : « مطرح » ، تحريف .

(١٠) (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٩٢/٢٣ ، والعبر : ١٦٩/٥ ، وفي الوافي : « البسارسي » .

المطرز^(١) ، وشعيب بن الزعفراني المجاور ، وصفية بنت عبد الوهاب^(٢) ، وحمزة بن أوس الغزالي^(٣) ، ومحمد بن محمد بن محارب القيسي ، ومحمد بن الجباب ، وابن عمه أبي الفضل بن الجباب ، وابن رواج ، وابن رواحة عبد الله ، وأبي الحسن محمد بن ياقوت^(٤) ، وابن الجُمَيْزِي ، وحسين ابن يوسُف الشاطبي ، وعبد العزيز بن النّقّار الكاتب ، ومظفر بن عبد الملك الغوّي ، وأبي علي منصور بن سند بن الدماغ^(٥) ، ويوسف بن محمود السّاوي ، وعبد الرحمن بن مكي السّبط ، ومحمد بن الحسن السفاقسي^(٦) ، خاتمة من سمع حضوراً من السّلفي .

وسمع بدمشق من عمر بن البراذعي ، والرّشيد بن مسلمة ، ومكي بن علّان ، وطبقتهم .

وبدمياط من خطيبها الجلال عبد الله .

وبجرّان من عيسى بن سلامة الحياط .

وبماردين من عبد الخالق بن أنجب النشتيري^(٧) .

وبحلب من ابن خليل فأكثر ، لعلّه سمع منه مئتي ألف حديث .

(١) ظافر بن طاهر بن ظافر بن شحم الأزدي (ت ٦٤٢ هـ) ، السير : ١١٦/٢٣ ، ووقع في الأصول :

« سجم » ، تصحيف ، صوابه ما في السير .

(٢) في الوافي : « ضيفة » ! ، وسلفت الإشارة إليها .

(٣) حمزة بن عمر بن عتيق بن أوس (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ١٢١/٢٣ ، وفيه : « الغزّال » .

(٤) محمد بن يحيى بن ياقوت الإسكندراني (ت ٦٤٦ هـ) ، العبر : ١٩١/٥ ، والشذرات : ٢٣٧/٥ .

(٥) في الوافي ، والعبر ، ١٩١/٥ : « سندان » ، وفي النجوم ، ٣٦١/٦ : « سند ابن الدباغ » (ت ٦٤٦ هـ) .

(٦) (ت ٦٥٤ هـ) ، العبر : ٢١٩/٥ ، والسير : ٢٩٥/٢٣ .

(٧) في الأصل : « التشتري » ، تصحيف ، وفي الوافي : « الشنتيري » ، تصحيف أيضاً ، والنشتيري نسبة إلى

نشتري ، قرية في نواحي بغداد ، في طريق خراسان . (ت ٦٤٩ هـ) ، العبر : ٢٠١/٥ ، والسير :

٢٣٩/٢٣ .

وبالموصل من أبي الخير إياس الشهرزوري^(١) صاحب خطيب الموصل^(٢) .

وبمصر من عبد الكريم بن عبد الرحمن الترابي ، حدثه عن خطيب الموصل ،
وعنده^(٣) عدة من أصحاب السلفي ، وشُهدة ، وابن عساكر ، وخلق من أصحاب ابن
شاطيل^(٤) ، والقزاز ، وابن بَرِّي النحوي^(٥) ، وإسماعيل بن عوف^(٦) ، ويحيى الثقفي ،
وابن كليب ، وأصحاب ابن طبرزد ، وحنبل ، والبوصيري ، والحشوعي . ونزل إلى
أصحاب الكندي^(٧) ، وابن ملاعب^(٨) ، والافتخار الهاشمي^(٩) .

وكتب عنه طائفة من رفقائه ومن هو أصغر منه ، وعدَدَ معجمه ألف ومئتان
وخمسون نفساً .

وأجاز له أبو المنجّابن اللَّتي ، وأبو نصر بن الشيرازي . ويروي بالإجازة العامة
عن المؤيّد الطوسي وجماعة .

وحدث عنه صاحب كمال الدين بن العديم ، والإمام أبو الحسين اليونيني ،
والقاضي علم الدين الأحنائي ، والشيخ علاء الدين القونوي ، والشيخ أثير الدين
أبو حيان ، والشيخ فتح الدين محمد بن سيّد الناس ، والحافظ المزي ، والعلامة قاضي

(١) في الوافي : « الشهرزوس » .

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٥٧٨ هـ) ، السير : ٧٨/٢١ .

(٣) في الوافي : « وعنه » .

(٤) عبد الله بن عبد الله بن محمد (ت ٥٨١ هـ) ، السير : ١١٧/٢١ .

(٥) عبد الله بن بري بن عبد الجبار (ت ٥٨٢ هـ) ، السير : ١٣٦/٢١ .

(٦) إسماعيل بن مكي بن إسماعيل (ت ٥٨١ هـ) ، السير : ١٢٢/٢١ .

(٧) أبو الين زيد بن الحسن بن زيد (ت ٦١٢ هـ) ، السير : ٣٤/٢٢ .

(٨) داود بن أحمد بن محمد الأرجي (ت ٦١٦ هـ) ، السير : ٩٠/٢٢ .

(٩) عبد للطلب بن الفضل العباسي (ت ٦١٦ هـ) ، السير : ٩٩/٢٢ .

القضاة تقي الدين السُّبكي ، وفخر الدين النويري ^(١) ، وخلق كثير من الرّحّالين ، وطال عمره ، وتفرد بأشياء .

قال المزي : ما رأيت أحفظ منه . وسمع (جزء ابن عرفة) من بضع وثمانين نفساً بالشام ومصر والعراق والجزيرة و (جزء ابن الأنصاري) ^(٢) من أكثر من مئة شيخ .

وكان قد أربى على من تقدمه في علم النسب ، لأنه طفا على من سواه ، وغيره رسا ورسب . وكان قد برع في علوم ، وآسى بعرفانه ^(٣) ما أعيانا من الكلوم ، وتفنن في فضائل ، وتفرد بأدلة ومسائل ، وصنف التصانيف المحرره ، والتواليف المحبّره ، ونحوه فيه غوامض ، ولغته فيها الروافع والخوافض ، إلى فصاحته المنتهى ، وقراءته هي رصد السمع والمشتهى ، سريع القراءة لا يعرف التثبث ولا الإناءة ، كأنه السيل إذا تحدر ، والبحر إذا اندفع بعدما تصدر . مليح الهيئه ، قريب العودة والفيئه ، حسن الأخلاق ، غنياً بعلمه لا يلتفت في الإملاء إلى الإملاق ، جيّد العبارة ، ظريف الإشاره ، صحيح الكتب كثيرها ، غزير المادة لمن يشيرها ، باسم الثغر في ملقاه ، طالب الزيادة والعُلُو في مرقاه ، حلو المذاكره ، زائد الإمتاع والتفنن في المحاضره ، حسن العقيدة ، كافاً عن الدخول في الكلام ، لا يفتح وصيده ، ينظم القريض ، ويأتي به كالإغريض .

وكان موسعاً عليه في رزقه ، ولم يك كما جرت العادة مثل من خمل مع حذقه ، له عند الناس حرمة وجلاله ، وأبّهة في النفوس تزين خلاله .

ولم يزل يسمع الحديث إلى أن مات فجاءه ، وكأنما كان ينتظر قدوم الموت فجاءه . وتوفي رحمه الله تعالى في نصف صفر سنة خمس وسبع مئة .

وقال شيخنا علم الدين البرزالي : في خامس عشر ذي القعدة من السنة المذكورة .

(١) في الأصل : « القنوي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) محمد بن عبد الله (ت ٢١٥ هـ) ، الأعلام : ٢٢١/٦ ، والكشف : ٥٨٦/١ .

(٣) في (س) : « بوفاته » ، تحريف .

ومولده بتونة ، قرية من أعمال تنيس^(١) في آخر عام سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وكان منشؤه بدمياط ، وسكن دمشق مدة ، وأفاد أهلها ، ثم تحول إلى الديار المصرية ونشر بها أعلام علومه ، وتولى مشيخة الظاهرية بين القصرين .

وتصانيفه كلها جيدة منقّحة مهذّبة ، تشهد له بالفهم وسعة العلم ، منها : كتاب (الصلاة الوسطى) مجلد لطيف^(٢) . كتاب (الخيل)^(٣) مجلّد وقد جوّده (قبائل الخزرج) مجلّد ، (العقد المثنّ فيمن اسمه عبد المؤمن) مجلد ، (الأربعون المتبانية الإسناد في حديث أهل بغداد) مجلد ، (مشيخة البغاددة) مجلد ، (السيرة النبوية)^(٤) مجلد ، (مشيخة) . وله غير ذلك .

قال الذهبي : سمعته يقول : سمعت ابن رواج يقول : قرأ عليّ السّراج بن شحانة^(٥) (تنف الإبط) فحركه بالكسر ، فقلت : لا تحركه يَفْح صُنانه .

وأخبرني شيخنا ابن سيّد الناس ، قال : دخل الشيخ على جماعة يقرؤون الحديث فسمعهم يقولون : عبد الله بن سلام^(٦) بتشديد اللام ، فقال : سلام عليكم سلام .

وحمل عن الصاغانى^(٧) عشرين مجلداً من تصانيفه في اللغة والحديث .

ومن شعره ...

(١) وتونة كما في معجم البلدان : جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية .

(٢) مطبوع ، كما في الأعلام : ١٦٧/٤ .

(٣) فضل الخيل ، (ط) .

(٤) اسمه : المختصر في سيرة سيّد البشر ، كما في الأعلام .

(٥) في الأصل : « سحابة » ، تصحيف ، واسمه : عبد الرحمن بن عمر بن بركات (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٤/٢٣ ، الشذرات : ٢٢٠/٥ .

(٦) (ت ٤٣ هـ) ، السير : ٤١٣/٢ .

(٧) الحسن بن محمد (ت ٦٥٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . وفي الوافي : « الصّغاني » ، ولعلّها مصحفة عن « الصّغاني » .

١٠٥٠ - عبد المؤمن بن عبد الحق *

ابن عبد الله بن علي ، الإمام العالم صفى الدين البغدادي الحنبلي ، من علماء العراق .

كانت له بالحديث عنايه ، وله تواليف بلغ فيها النهايه ، وعنده فنون ، مضى من عمره في جمعها سنون ، وكان فيه خير وفتوّه ، وديانة ومُروّه .

ولم يزل إلى أن تكدر عيش الصّفي ، وظهر أجلّه الذي كان في غضون الأيام وهو خفيّ .

وتوفي رحمه الله تعالى في صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وخرّج لنفسه ، وسمع من شيخنا الذهبي ، ومن الفرضي ^(١) .

١٠٥١ - عبد المؤمن بن عبد الرحمن **

الشيخ الإمام الكاتب المجوّد عز الدين بن العجمي .

كانت له فضائل ، وعنده فوائد ومسائل ، وهو شيخ كتابه ، ورب ذكاء ومهابه .

كان قد رحل إلى القاهرة ، وأهلها في ذلك العصر يفاخرون بالمكارم النجوم الزاهره ، فانقطع في بيت بحارة أرجوان ، وأرخصى على بابهِ ستارة أرجوان ، وتردد الناس إليه ، وأقبلوا بخواطرهم عليه ، فنفقت سوقه ، [ومشت وما وقفت سوقه] ^(٢) ،

* الوافي : ٢٤٥/١٩ ، والدرر : ٤١٨/٢ ، والشذرات : ١٢١/٦ ، وذيول العبر : ٢٠٤ .

(١) في الأصل : « سمع مع ... ومع » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والفرضي هو العلاء محمود بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٢٤٥/١٩ ، والدرر : ٤١٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٥٢٨/٤ ، والسلوك : ٥٥٢/٣/٢ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ز) ، (س) ، وسوق الثانية جمع ساق .

وراج وأذكى السراج ، وجبى ما وجب له من الإتاوة والحراج . وكان يجلس في كل سوق حيث تباع المجلدات والدفاتر التي فيها دواوين العلوم مغلّدت ، فيشتري منها القشّات^(١) وما يمتري ، ويقع له فيها مخاريم من (صحاح) الجوهري ، فيكملها بخطه ويناسب ، ويأخذ فيها مع ما يترجمه عليها ماشاء من المكاسب . وكان يشد الكتب أحمالاً أجمالا ، ويسير بها^(٢) إلى حلب أجمالا أحمالا ، وحصل من ذلك جملا ، وأوفر من فوائدها جملا .

ولم يزل على حاله إلى أن أخذه الموت في قشّه ، وجعل التراب قرشّه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان هو وأخوه الشيخ شمس الدين خطيب حلب الآتي ذكره ، إن شاء الله تعالى [في مكانه]^(٣) شيخني كتابة .

اجتمعت بالشيخ شمس الدين^(٤) هذا بالقاهرة غير مرة في بيته وفي سوق الكتب ، وكان من رجال الدنيا في بابهِ وإذا ذكر الرجال ما يكونون قطرة في حساب سحابه .

وكتب له شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله تعالى ، إجازة ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَاعِلِ عِلْمِ الْبَيَانِ عِلْمًا عَلَى الْإِعْجَازِ ، وَسَلَّمًا إِلَى ارْتِقَاءِ دُرُورَةِ
الْفَصَاحَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ عَلَى رُكْنِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ ، وَوَسِيلَةٍ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ
الْمُسْتَكْنَةِ فِي طَرْفِي الْإِطْنَابِ وَالْإِيْجَازِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أُوتِيَ

(١) يريد الكتب المستعملة أو البالية . والقش : الرّمَام واللقاطة .

(٢) في (س) ، (خ) : « ويسيرها » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، (ز) .

(٤) في (س) ، (خ) والوافي : « عز الدين » .

جوامع الكلم ، ولوامع الحكم ، التي يتضاءل لديها كل منشور ، [من كلام ^(١)] البشر ومنظم ، وعلى آله وصحبه الذين من زل ^(٢) عن سننهم ذل وهوى ، ومن تمسك بسننهم ^(٣) فاز وسلم .

فإني لما خلت في غيار طلبة الأدب رغبة في اقتباسه ، وطعماً في تحصيل بعضه بإدامة التماسه ، وحصلت كثيراً من كتبه رواية ودرايه ، وعرفت ما أجنب من تقائص المعاني والألفاظ التي لا تؤمن نكايتها في الأذهان السلية بالسرايه ^(٤) ، لم أزل أستضيء بنور أئمته ، وأهتدي بنار من بلغ الغاية فيه من علماء أئمته ، وأفنع من لحاق من برز في مضماره بروية غباره ، وأرضى من مآثر من صرفه على إثارة بمشاهدة آثاره ، فمت علي نفحات آدابهم ، ورقلت ^(٥) في فواضل ماتشبتت به من أهدابهم ، وكاتبوني فأجبت بعدم الرغبة في العتق في رقهم ، وجاروني فوافقتهم في المضار الأدبي ، مع الاعتراف بتقدمهم وسبقهم ، فقبلوا من كلامي مالولا حسن إغضائهم لم يقبل ، وأسبلوا علي ما اضطررتني إليه ^(٦) المباشرة ستر تجاوزهم ولولا جميل ^(٧) اعتنائهم لم يسبل .

ولما فزت بالاجتماع بالجناب العالي الشيخي العزي ، نفع الله به طارحته في فنون الأدب غير مرة ، فرأيت من مواده [بحرا] ^(٨) لا يرى العبر ^(٩) عائمه ، وشاهدت من بدائمه برقاً لا يقفد الري شائمه ، وفاوضت منه إماماً تقطر الفصاحة من أعطاف قلمه ،

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في (س) : « حاد » .

(٣) في (س) : « سننهم » .

(٤) في (خ) : « في السراية » .

(٥) في (خ) : « وقلت » .

(٦) ليست في (خ) .

(٧) في (س) : « جميع » .

(٨) زيادة من (خ) ، (س) .

(٩) الشط .

وتخطر البلاغة في أفواف^(١) كلمه ، وتنزل المعاني المتنعة من معاقل القرائح على حِكْمِه ، وتقف جياذ البدائ^(٢) حَسَرى دون التوسط في حلبة عِلْمِه ، إن وثى الطرسَ فرياض ، وإن أجرى النّفس^(٣) فحياض ، أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد ، لا يتجاسر المعنى المطروق أن يَلْمَ بفكره^(٤) ، ولا يُقَدِّمُ التخيّل المسبوق على المرور بذكره ، ولا يجوز زَيْفُ الكلام على ذهنه المنتقد ، ولا يثبت عناء النظام لدى خاطره المتقد^(٥) ، فسمعت منه مقامات في العرفان قد وثى الأدب حَبْرُها ، وحقق الطلب خَبْرُها ، وزان الصدق لهجتها ، وزاد الحقُّ بهجتها ، وحلّتها البلاغة برقومها ، وكلّلتها الفصاحة بشبهها ونجومها ، تُشْرِقُ القلوبُ بأضوائها ، وترتوي النفوسُ بأنوائها ، وتستضيء البصائر بأقمارها ، وتغتذي السرائر بما تجتني في رياض اليقين من يانع ثمارها ، ووقفت له على طرائق في التوحيد ، أوضحها علّمه لسالكها ، وهدى فكره الطائف بكعبتها إلى لطائف مشاعرها ومناسكها ، فَن أراد الصّفا في سلوكه سعى من مَرَوَةِ الإخلاص إليها ، ومن تعرّض لنفحات الفتح السذي^(٦) اقتصر في طُرُقِ تعبّده عليها ، مع بروزها في ألفاظ أرقّ مساغاً من الماء القراح ، وأدقّ مسلكاً في الجسوم من الأرواح ، وأجلى لليل الشك البهيم من صباحة محيا الصباح ، إلى غير ذلك من أحاديث تكلم على بلاغتها وبلاغها ، وأبان ما جهلته الأفهام الظامئة من أسباب مساغها ، ممّا لم يَبْغِ بذلك إلا إرشاد الطالب ، وتنبيه المُفْتَقِرِ إليها على ما أودع في أثنائها من الكنوز ، وأدّخر في أرجائها من المطالب .

ولما وقفت على تلك البدائع ، وفهمت ما تضمّنته من النكت الروائع ، وعلم مني

(١) في الأصل : « أفواه » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٢) في الأصل و (س) : « البداية » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) النفس : اللداد .

(٤) في الأصل : « بذكره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٥) في الأصل : « المتقد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٦) كذا ، ولعلّها (الندي) .

أني ممن يعرف الدر وإن لم يملكه ، وينتقد التبر وإن لم يسبكه ، ولذلك أتعوض فيما أعانيه من الكتابة عن الدر بالحرز ، وأكتفي عن أ بكر المعاني الجليلة من العون الميسنة بما هو سداد من عوز ، سامني مع ^(١) ارتفاع شأنه في هذه الصناعة ، وإثرائه دوني من نفائس هذه البضاعة ، أن أجيزه رواية نظمي الذي قدمت العذر في انتهاج ^(٢) طريقه ، ونثري الذي أوضحت السبب في مصاحبة فريقه ، ومكاتبتي التي أنشأتها بسبب الوقائع التي دعت إليها ، وتواقيعي التي ارتجلت غالبها لحفز الدواعي الباعثة عليها ، ولإلالي في قواعد ذلك من تأليف وتصنيف ، وانتخاب غني بشهرته عن التصريف ^(٣) ، فسألته الإعفاء من هذه الدرجة التي قدره أرفع منها ، ورغبت إليه في قبول [القول] ^(٤) بالموجب في إجازتي من فوائده التي هي أحق بأن يروى غريبها ويحدث عنها ، فلم يُعف من تلك الإشارة التي قصده بها الإحسان ، ومراده أن ينظم سبح نظمي في سلك ما يؤخذ عنه من درر بدائعه الحسان .

فامتثلت أمره - أعزه الله تعالى ونفع به - وأجزته رواية ما يجوز لي روايته من مسموعاتي ومقروءاتي واختياراتي ومنا ولاقي ، ومالي من نظم مختلف الأوضاع ، مستحق ، لولا ما يضوع فيه من المدائح النبوية ، أن يضاع ولا يذاع ، وإنشاء نوعته كثرة المباشرة ، وكثرة المحافظة على الوظيفة والمُتأبره ، ونفحة فوائده المطارحة والمذاكره ، إلى ما يندرج في سلك ذلك من تأليف حمل عليه التنقيب عن أسرار هاتين الصناعتين واختيار واختصار وانتقاء وانتقاد ، وانتخاب تكلمت على مافيه [من] ^(٥) معنى مُستملح وأدب مُستفاد ، ورغبت إليه في أن يُصلح من ذلك ما أغفله القلم ، وزلّ

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ابتهاج » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في (خ) ل (س) : « التعريف » .

(٤) زيادة من (خ) ، (س) .

(٥) زيادة من (ز) ، (س) .

فيه الفكر الذي عَثُرَتْهُ أبلغ من عَثْرَةِ القَدَم ، إذ هو المليُّ بالإحسان في ذلك ، الجدير بتوطئة ما تعذر سلوكه على السالك .

ومولدي مجلب في شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة ، وهي إذ ذاك للعلوم معالم ، ولوفود الفوائد مواسم ، وسمعت بها الكثير ولكن أين أصوله ؟ وقَفَدَ لي في الوقعة^(١) ثبت كبير ، ولكن كيف حصوله ؟ فإن وُجد من ذلك شيء في الأصول فهو أصل في هذه الإجازة ، وإن تعذر وجوده فكم سُلِبَت بضاعة فَضْلٍ في أثناء مفازه .

وكتب : محمود بن سلمان [في المحرم]^(٢) ، سنة ست عشرة وسبع مئة .

١٠٥٢ - عبد المؤمن .. *

كان مقداماً جريئاً ، شجاعاً من الخير بريئاً ، لا يهاب سيول السيوف إذا تحدّرت ، ولا يخاف من ورد الحتوف إذا تكدّرت ، بلا عقل بلادين يردّانه عن الرّدى ، بلا لبّ بلا ثبات يصدّانه^(٣) عما يوجب الصدى . قد ركب هوى نفسه ، ودّهل عن وجود حسّه . لا يخشى عاقبه ، ولا له من الله تعالى مراقبه ، يُقدِّم على الليث في غابه ، ويردُّ على المطلوب ولو أن فيه تمزيق إهابه .

ولم يزل في سَكْرِ جَنُونِهِ وسوء ما يتوهم في ظنونه ، إلى أن رَكِبَ الجمل مصلوباً ، وانعكس حسابه عليه فأصبح مقلوباً .

كان هذا المذكور قد ورد القاهرة في أيام القاضي شرف الدين النشوي ناظر الخاص ، وأخذ يتعلّق على خدمة الأميرين سيف الدين قوصون وسيف الدين بشتاك

(١) في (س) : « الوقعة بها » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

* كذا وهو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي كما في السلوك : ٦٠٤/٣٢ . وانظر فيه أخباره .

(٣) في الأصل : « يصداه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

بواسطة طاجار الدوادار ، ولم يكن في ذهن الناس منه شيء إلى ^(١) أن دخل مع الأمير قوصون وبشتاك على السلطان في معنى النشو ، على ماسيأتي في ترجمة النشو ، وخاف السلطان شره ، فأراد إبعاده ^(٢) ، وولاه قوص ، وتوفي السلطان الملك الناصر وهو في قوص . ولما خلع الأمير قوصون الملك المنصور أبا بكر بعث به إلى قوص ، وكأنه سير إليه في السر بقتله ، فقتله ، وأخذ مامعه من الجواهر ، ولما جاء السلطان أحمد من الكرك وطشتر والفخري طلبوه من قوص ، وسبروه على جمل ، وطافوا به شوارع القاهرة ، وشمّت به الناس وسبّوه ولعنوه ، واعترف وهو على الجمل مسرّ أنه هو الذي جرح القاضي شرف الدين النشو ، فقال : يا أهل مصر ، أنا ما أبالي بتسميري وقد قتلت ملك الكتاب وملك الترك في بلادكم ، فأنا الذي جرحت النشو ، وأنا الذي عمل عليه حتى أمسك وقتل ، وأنا قتلت المنصور أبا بكر سلطانكم وابن سلطانكم ، أو كما قال .

وكان تسميره في أواخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان المذكور رافضياً ، والله أعلم بحاله وبما صار إليه في مآله .

١٠٥٣ - عبد الواحد بن منصور*

ابن محمد بن المنير ، العلامة عزّ القضاة فخر الدين الجذامي الإسكندري صاحب التفسير ^(٣) .

سمع من السراج ابن فارس ^(٤) ، وتفقه بعمّه ناصر الدين ^(٥) ، وله نظم ونثر ، وعمل أرجوزة في السّبع .

(١) في الأصل : « إلّا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « بعهده » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

* الوافي : ٢٧٧/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٦٣/١٤ ، والدرر : ٤٢٢/٢ ، والبدائع : ٤٧٣/١/١ .

(٣) في ست مجلدات ، كما في البداية والنهاية ، وعشر مجلدات كما في الكشف : ٤٤٠/١ .

(٤) عبد الله بن أحمد بن إسماعيل التميمي الإسكندراني (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ ، والشذرات : ٣٩١/٥ .

(٥) أحمد بن محمد بن منصور (ت ٦٨٣ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة في يوم السبت رابع جمادى الأولى .
ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

١٠٥٤ - عبد الواحد بن عبد الحميد*

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد ابن المسلم بن الحسن بن هلال بن الحسن بن عبد الله بن محمد ، الشيخ الفقيه الفاضل الأصيل ، مخلص الدين أبو المكارم ، ابن الشيخ عز الدين بن فخر الدين .

سمع من جده فخر الدين في سنة ست وخمسين وست مئة ، وسمع من ابن أبي اليسر ، والنجم ابن النّسبي . وأجاز له إبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الحشوعي ، وعبد الحميد بن عبد الهادي وجاعة . حفظ (التنبيه) . وكان يكرّر عليه إلى آخر وقت ، واشتغل على الشيخ تاج الدين^(١) .

وكان له شعر وخدم في الجهات الدينية .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .
ومولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وست مئة .
وكان عنده تعفف وانقطاع .

١٠٥٥ - عبد الواحد [بن علي]**

ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد ، شمس الدين القرشي الحنبلي .
أخبرني من لفظه شيخنا أبو حيان ، قال : كان المذكور موصوفاً بالصلاح ،

* الدرر : ٤٢١/٢ .

(١) الفزاري ، كما في الدرر .

** الوافي : ٦٧/١٩ ، والدرر : ٤٢٢/٢ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول الأخرى ، ومصادر ترجمته .

ويذكر عنه أنه اجتمع ^(١) بالحضر عليه السلام لما سافر عن جبل لبنان واشتاق إليه ،
وأشدد ^(٢) لنفسه :

لعلك يانسيم صَبا زَرودِ تعودُ ، فقد ذوى للبينِ عُودي ^(٣)
ويانفحات أنفاس الخُزامى على للشتاق من لبنان عُودي
قال : وأسمع الحديث وسمعنا عليه بالحكر ، وكان فيه ^(٤) مقياً .

١٠٥٦ - عبد الواحد القيرواني *

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : كان عندنا بالقاهرة ، وله نظم حسن ،
ورحل إلى الحجاز ، واستوطن بمكة ^(٥) ، وصحب ملكها أبانمي الحسيني . وله فيه أشعار
حسنة ، أجاد فيها غاية ^(٦) ، ونظم بها نظماً كثيراً ، وتعرض في نظمه لأصحاب رسول
الله ﷺ ، فقتل بها أشنع قتل .

ومن شعره بالقاهرة مما أنشدنا [بعض أصحابنا] ^(٧) :

غليلٌ أَسَى لا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ عَزِيزٌ أَسَى لا يُرْتَجَى مِنْ سِقَامِهِ
خذوا إنْ قَضَى فِي الْحُبِّ عَمُداً بِشَارِهِ أخا البدر يبدو في غمام لثامه
ورَفُقاً بِهِ لَانَالِهِ مَا يَشِينُهُ وإنْ كَانَ أَسْقَى الصَّبِّ كَأْسَ حَمَامِهِ

(١) في الوافي : « يجتمع » .

(٢) في الوافي : « لما سافر ... أنشد » .

(٣) في الدرر : « ذوي بالسير » .

(٤) في (ز) ، (س) : « وفيه كان » .

* الوافي : ٢٨٣/١٩ ، والدرر : ٤٢٢/٢ .

(٥) في (ز) ، (س) والوافي : « مكة » .

(٦) في الوافي : « غاية الإجابة » .

(٧) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .

غَزَالَ تَضَاهِيهِ الْغَزَالَةُ فِي الضُّحَى وَتُشَبِّهُهُ فِي الْبَعْدِ عَنْ مُسْتَهَامِهِ ^(١)
يَمُوتُ جَنِيَّ السَّوْدِ غَمًّا بِجَدِّهِ أَلَمْ تَنْظُرُوهُ مُدْرَجًا فِي كِمَامِهِ

١٠٥٧ - عبد الوهاب بن عمر*

الإمام الزاهد النحوي ظهير الدين بن عمر بن عبد المنعم بن هبة الله ابن أمين الدولة الحلبي الحنفي الصوفي .

سمع من حَيِّية ^(٢) الْحَرَانِيَّة ، وأجاز له شعيب الْحَرَّانِي ، وابن الجُمَيْزِي .

وحدَّث ، وأخذ عنه محمد بن محمد بن طغريل ^(٣) وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة .

١٠٥٨ - عبد الوهاب بن عمر**

أخو الشيخ صدر الدين بن الوكيل .

كان أسود الجلد ، لأن أمه كانت حبشيّة . تفقّه وحضر المدارس ، ثم إنه انسَلَخَ من ذلك ، وتمفقر وتجرّد تجرّد العالم .

وتوفي رحمه الله تعالى شاباً ، سنة تسع وتسعين وست مئة .

(١) الغزالة : الشمس .

* الوافي : ٣١٧/١٩ ، وتذكرة النبيه : ١٥٧/٢ ، وإعلام النبلاء : ٥١١/٤ . والدرر : ٤٢٥/٢ ، وفيه : « عبد الوهاب بن عثمان بن عبد المنعم بن هبة الله » . وانظر : البغية : ١٢٤/٢ .

(٢) في البغية : « حبيبة » ، وكذلك في إعلام النبلاء .

(٣) الصيرفي ، وستأني ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٣١٧/١٩ .

١٠٥٩ - عبد الوهاب بن فضل الله*

القاضي الكبير الخبير ، الكاتب المُدبّر شرف الدين أبو مُحَمَّد ، كاتب السرّ ،
صاحب ديوان الإنشاء بمصر والشام .

كان كاتباً مترسلاً ، حسنَ المقاصد متوصلاً ، ما كتب بين يدي الأتراك مثله ،
ولا عرف مقاصدهم وأتاهم كما في نفوسهم مثلُ بنانه الذي فاض وبُله ، يتحِيل في
عبارته ، ويتجنّب مستثقل الألفاظ ، ويتحَيّد عن الألفاظ الغريبة التي تُهَجّر من
الأعراب ، فلا يخرج الكتاب من يده إلّا عذباً فصيح الألفاظ ، ظاهر المعاني ، لا يحتاج
إلى التنبيه والإيقاظ . يكتب خطّاً لو كان للحدائق يوماً ما احتاجت للأزهار ، أو
للغواني ما تحلّت بالجواهر ، متّع الله بحواسّه الخمس ، وكان يسمع البعيد ويسمع الهمس .
وكان مخاديمه يحترمونه ويعظّمونه ، ويتوخّون كبار الدرّ لأجل الثناء عليه
وينظمونه . وكان كاملاً في فنّه ، حاملاً أعباء ديوانه ، إذا انفرد لا^(١) تُثَنّهُ .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه بريءٌ حينه ، وحلّ عليه من الأجل وفاءً ذئنه .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع
مئة .

ومولده في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

وكان في أوّل أمره يلبس القماش الفاخر ، ويأكل الأطعمة المنوعة الشهية ، ويعمل
السماعات الطيبة ، ويعاشر الفضلاء مثل الشيخ بدر الدين بن مالك وغيره . ثمّ إنه
انسلخ من ذلك كلّهُ لما داخل الدولة وقتر على نفسه واختصر في ملبوسه ، وانجمع عن
الناس انجماً كلياً .

* الوافي : ٣١٧/١٩ ، وفوات الوفيات : ٤٢١/٢ ، والدرر : ٤٢٨/٢ ، والشذرات : ٤٦/٦ ، والنجوم :

٢٤٠/٩ ، وتذكرة النبيه : ٨٣/٢ .

(١) في (س) : « بلا » .

وكان قد سمع في الكهولة من ابن عبد الدائم ، وأجاز له ابن مسلمة وغيره .

وتنقل إلى أن صار صاحب ديوان الإنشاء بمصر مدة طويلة ، وما كتب قدام أحد إلا وعظمة واحترامه ، مثل حسام الدين لاجين ، والملوك الأشرف ، والملوك^(١) الناصر محمد بن قلاوون . والأمير سيف الدين تنكز كان يذكره كل قليل ، ويجعل أفعاله قواعد يمشي الناس عليها .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن القيسراني . قال : كنت يوماً أقرأ البريد على الأمير سيف الدين تنكز ، فتحرك على دائر المكان طائر ، فالتفت إليه يسيراً ورجع إليّ ، وقال : كنت يوماً بالمرج ، وشرف الدين بن فضل الله يقرأ عليّ بريداً جاء من السلطان ، والصبيان قد رموا جملة^(٢) على عصفور ، فاشتغلت بالنظر إليها ، فبطلت القراءة^(٣) وقال : ياخوند ، إذا قرأت عليك كتاب السلطان اجعل بالك كله مني ، ويكون كلك عندي ، ولا تشتغل بغيري أبداً ، وافهمه لفظة لفظة ، أو كما قال .

وما رأى أحد ما رآه هو من تعظيم الناس له ، رآه الملك الأشرف مرة ، وقد قام ومشى ، وتلقى أميراً ، فلما حضر عنده قال : رأيتك وقد قمت من مكانك وخطوت خطوات ! فقال : ياخوند ، كان الأمير سيف الدين يئذراً النائب قد جاء وسلم عليّ . فقال : لا تعد تقوم^(٤) لأحد أبداً . أنت تكون عندي قاعداً وذاك واقف .

ولما توفي القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر^(٥) بمصر ، وقام بعده عماد الدين بن الأثير مدة يسيرة طلب السلطان الملك الأشرف القاضي شرف الدين من دمشق ، ورتبه بعد عماد الدين بن الأثير في صحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية ،

(١) في الأصل : « والملوك الكامل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والواقي .

(٢) كذا في الأصول والواقي ، ولم نقف على مراده ، ولعلها بالخاء ، وهي دويبة من القردان .

(٣) عبارة الواقي : « فبطلت القراءة وأمسكني » .

(٤) في الواقي : « تقم » .

(٥) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩١ هـ) ، الواقي : ٣٦٦/٣ .

فأقام بها إلى أن جاء السلطان الملك الناصر من الكرك في سنة تسع وسبع مئة ، وكان قد وعد بالوظيفة للقاضي علاء الدين بن الأثير ، فأخرج القاضي شرف الدين إلى صحابة ديوان الإنشاء بدمشق عوضاً عن أخيه محيي الدين ، فوصل إلى دمشق يوم السبت تاسع عشر شهر الله المحرم سنة اثنى عشرة وسبع مئة ، ولم يزل بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، وهو يُنفذ^(١) بريداً إلى بعض النواحي .

ومتعه الله بجوارحه ، لم يتغير سمعه ولا بصره ، ولا تغيرت^(٢) كتابته ، وخلف نعمة طائلة من الأموال .

ولما مات بدمشق حضر شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود مكانه في صحابه ديوان الإنشاء بدمشق ، ورثاه بقصيدة طنانة ، وهي :

لِتَبْكِ الْمَعَالِي وَالنُّهَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى	وَتَبْكِ الْوَرَى الْإِحْسَانَ وَالْحِلْمَ وَالْفَضْلَ ^(٣)
وَتَتَجَبَّبِ الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ تَجِدْ لَهُ	وَأِنْ جَهَدَتْ فِي حُسْنِ أَوْصَافِهِ مَثَلًا
وَمَنْ أَتَعَبَ النَّاسَ اتِّبَاعَ طَرِيقِهِ	فَكَفَّوْا وَأَعَيْتَهُمْ طَرِيقَتَهُ الْمَثَلِ
لَقَدْ أَثْكَلَ الْأَيَّامَ حَقَّ تَجَهُّمَتِ	وَأِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ لَا تَعْرِفُ الثُّكُلَا
وَفَارَقَ مِنْهُ الدُّسْتُ صَدْرًا مُعْظَمًا	رَحِيبًا يَزِدُّ الْحَزْنَ تَدْبِيرُهُ سَهْلًا
فَكَمْ حَاطَ بِالرَّأْيِ الْمَالِكِ فَاكْتَفَتْ	بِهِ أَنْ تَعُدَّ الْخَيْلَ لِلصُّوْنِ وَالرَّجُلَا
وَكَمْ جَرَّدَتْ أَيْدِي الْعَدَى نَضْلَ كَيْدِهِمْ	فَرَدَّ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ذَلِكَ النَّصْلَا
وَكَمْ جَلَّ خُطْبَ لَا يَحُلُّ أَنْعِقَادَهُ	فَأَعْمَلَ فِيهِ صَائِبَ الرَّأْيِ فَاخْجَلَا
وَكَمْ جَاءَ أَمْرٌ لَا يُطَاقُ هَجُومُهُ	فَلَمَّا تَوَلَّى أَمْرَ تَدْبِيرِهِ وَلَّى
وَكَمْ كَفَّ عَذُورًا وَكَمْ فَكَّ عَانِيَا	وَكَمْ رَدَّ مَكْرُوهَا وَكَمْ قَدْ جَلَا جَلَى

(١) في الأصل : « ينفذ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « تغير » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « والحكم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

ومنها :

وَقَدْ كَانَ لِلْأَجِينَ ظِلًّا فَقَلَصَتْ
وَعَفَّ عَنْ الْأَعْرَاضِ مُغْضٍ عَنِ الْقَذَى
سَائِدِيهِ دَهْرِي وَأَرْتِيهِ جَاهِدًا
وَلَمْ لَا وَقَدْ صَاحَبْتُهُ جُلَّ مَدِّي
وَلَمْ يَرْنَا فِي طُولِ مُدَّتِنَا امْرُؤًا
وَكَمْ أَرْشَدْتَنِي فِي الْكِتَابَةِ كُتُبُهُ
وَكَمْ مُشْكَلَاتٍ لَمْ تَبْنُ لِمَحْدَقِي
فَمَنْ هَذِهِ حَالِي وَحَالَتُهُ مَعِي
وَعَهْدِي بِهِ لَا أَبْعَدَ اللَّهُ عَهْدَهُ
وَتَجْرِي بِمَا تَجْرِي الْمُلُوكُ مِنَ النَّدَى
لَقَدْ كَانَ لِي أُنْسٌ بِهِ وَهُوَ نَازِحٌ
وَقَدْ زَالَ ذَاكَ الْأُنْسُ وَاعْتَضَتْ بَعْدَهُ
فَلَا مَدْمَعِي الْهَامِي يَجْفُ وَلَا الْأَسَى
وَلَا حُرْقِي تَخْبُو وَإِنْ يُطْفَأَ وَقْدُهَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ صَحَبَ رُزْئَتَهُمْ
وَلَمْ يَتْرَكِ الْمَوْتَ الَّذِي حُمَّ مِنْهُمْ
وَعَمَّهُمْ دَاعِي الْحِمَامِ فَاسْرِعُوا

يَدُ الْمَوْتِ عَدُوًّا عَنْهُمْ ذَلِكَ الظِّلًّا
صُورَ عَلَيْهِ فِي الْوَرَى يَحْمِلُ الْكَلَّا^(١)
وَأَكْثَرُ فِيهِ مِنْ بُكَايٍ وَإِنْ قَلَّا^(٢)
أَرَاهُ أَبَا بَرًّا وَيَعْتَدِنِي نَجْلًا^(٣)
فِيحَسْبُنَا إِلَّا الْأَقَارِبَ وَالْأَهْلًا
وَلَوْ زَلَّ عَنْ إِرْشَادِهَا خَاطِرِي ضَلًّا
إِلَيْهَا جَلَاها فَأَنْجَلْتُ عِنْدَمَا أُمْلَى
أَيَحْسُنُ أَنْ أَبْكِي عَلَى فَقْدِهِ أَمْ لَا
وَأَقْلَامُهُ أَنَّى جَرَتْ نَشْرَتُهُ عَدَلًا^(٤)
بِهَا فَتَزِيلُ الْجَدْبَ وَالْمَحَلَّ وَالْأَزْلًا
كَأَنَّ التَّنَائِي لَمْ يُفَرِّقْ لَنَا شِمْلًا
دُمُوعًا إِذَا أَنْشَأَتْهَا أَنْسَتِ الْوَبْلًا^(٥)
يَخْفُ جَوَاهُ إِنْ أَقْلُ لَهَا مَهْلًا
بِمَاءِ دُمُوعِي صَارَ فِيهَا غَضًّا جَزَلًا
وَقَقْدُ ابْنِ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ عَدَلَ الْكَلَّا
حَمًّا وَلَا خَلَّى الرَّدَى مِنْهُمْ جَلًّا
جَمِيعًا وَأَلْفَى قَوْلَنَا مِنْهُمْ إِلَّا^(٦)

(١) في (ز) ، (س) : « على القذى » .

(٢) في الوافي : « بكائي » .

(٣) في الوافي : « كل مدتي » .

(٤) في الأصل : « إن جرت » تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٥) في الوافي : « أنشأت الوبلا ! » .

(٦) في الوافي : « وألفى » .

وكم يُرجئ السّاري الوفي عن رفاقه
أيطمع من قد جاز مُعْتَرَكَ الرّدى
ولاسيما من عاهد الدّاء جسّمه
عزّاءك محي الدين في الذاهب الذي
فتلك من يلقى الدّروس بكاهل
وفي الصّبر أجّر أنت تعرف قُدْره
وسلم لأمر الله وأرض بحكّمه
ولا زال صوب المزن والعفو دائماً

ورثاه الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن غانم ، أنشدنيها لنفسه إجازة :

ما كنت من حزني عليك بلاه
أصبحت ذا جلد لفقدك واهن
كم صنت سرّ الملّك منك بهمة
ولكم مهمّ مُشكِـل أمضيّته
من للمصالح والمهمّات التي
كم حاجة حصلت تجاهك وانقضت
من ذا يقوم مقام فضلك في العلا
مازلت عمرك مُحسناً حتى انتهى
كم قائل مازلت أنت ملاذه

لما فقدتُك يا بنَ فضلِ الله^(١)
حُزناً عليك وذا اصطباري وإه
وكفاية ماصانها إلّا هي
إذ أنت منه أميراً ونّاه
ما كنت عنها ساعة بالسّاهي
وكرهية فرجتها الله^(٢)
من سائر الأنظار والأشباه
ولكلّ عُمُرٍ في الزمان تنّاه
قد كنت عزي في الأنام وجاهي

(١) في الوافي : « يرتجي » .

(٢) في الوافي : عجز هذا البيت هو عجز البيت الآتي ، والعكس في البيت الآتي .

(٣) في الأصل : « عزاك » ، وفي الوافي : « عزاءك » .

(٤) في (ز) ، (س) والوافي : « يلقى الخطوب » .

(٥) في (ز) والوافي : « عن حزني » .

(٦) في (ز) ، (س) والوافي : « مجاهل وانقضت » ، تحريف .

ولكم سعيد مات بَعْدَكَ خَامِلاً بل كان يفخر دائماً وَيُباهي
 ما قَرَدُ داهيةٍ بَرَزْتُكَ قد دَهَتْ بل قد دَهِت لما فُقِدْتَ دَوَاهِ
 قَسَمًا لقد خَمِلَ الزَّمانُ وكنت لَمْ ما كنتَ فيه هو الزَّمانُ الزَّاهي^(١)
 اللَّهُ دَرُ معارفٍ قد حَزَّتْهَا مَنْ ذا يُجاري فَضْلَهَا وَيُباهي^(٢)
 أَنْطَقْتَ أفواهَ الزَّمانِ بمدحك الـ عالي لفضل دام منك وفاهي^(٣)
 أسفي على ما فات منك وأنت لم تَبْرَحْ بِقُرْبِي مُنْعِماً وتَجْـاهي
 أبكيك ما بقي البكاء بكاء مَحْ سزون على طُول المَدَى أَوَاهِ
 فَسَقَتْ ضريحَكَ رَحمةً فَيَاضَةً ترويه بالأنواء والأمواه

ولما طُلب في الأيام الأشرفية إلى مصر ، كتب إليه علاء الدين الوداعي ، ومن خطه نقلت :

وافقتُ رَبِّي في ثلاث بـأَنَّ تبقى وترقى وتنـالَ العُلَى^(٤)
 وقد رَأْتُ عَيْناي أُمْنِي والحمد لله تعالى عَلى
 والآن في مصر فلا بُدَّ [من] أن تخلفَ الفاضل والأفضلا^(٥)

وكتب إليه ، ونقلت من خطه :

لئن كان أصلي من دَوَابَّة كُنْدَةٍ أولي الحِكمَ الغراءَ والمُنطِقَ الفَصْل^(٦)
 فما زلتُ طُولَ الدَّهْرِ أَشْكُرُ فَضْلَكُمْ إلى أن دعوني في القبائل بالفضل

ومن إنشاء القاضي شرف الدين بن فضل الله كتابٌ بَشَرى بالنيل ، وهو :

- (١) في الوافي : « وكان لما » .
- (٢) في الأصل : « ذا يحازي » ، تصحيف .
- (٣) في الوافي : « الزَّفاق » .
- (٤) في الوافي : « من ثلاث » .
- (٥) زيادة من (ز) ، (س) والوافي .
- (٦) في الأصل : « بالغراء والمنطق الواصل » . وأثبتنا ما في باقي الأصول .

لا زالت البشائر تَسْتَمْتَعُ بِمُحَاوَرَتِهِ ، وَتَغْتَبِطُ بِمُجَاوَرَتِهِ ، وَتَوَدُّ لَوْ اسْتَقَرَّ بِذُرَاهِ قَرَارِهَا ، وَطَالَ مَعَهُ سِرَارُهَا ، وَهَذِهِ الْبَشْرَى ^(١) تَبَشِّرُهُ بِنِعْمَةٍ عَظُمَتْ مُوَاهِبُهَا ، وَعَذُبَتْ مُشَارِبُهَا ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْبَسِيطَةِ مَذَاهِبُهَا ، وَرَدَّتْ الْأَمَالَ الظَّمَاءُ ، وَضَاهَتْ الْأَرْضُ بِهَا السَّمَاءُ ، وَأَغْنَتْ عَنْ مَنَةِ الْغَمَامِ ، وَعَمَّتْ مِصْرَ بِالْهَنَاءِ حَتَّى فَاضَ إِلَى الشَّامِ ، وَهِيَ وَفَاءُ النِّيلِ الَّذِي وَفَى ، وَفِي وَفَائِهِ حَيَاةُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، وَشُكْرُ النِّعْمَةِ بِهِ مُتَعَيِّنٌ عَلَى الْحَاضِرِ وَالْبَادِ .

ومنه أيضاً :

ورد كتابه فتمتّع منه بعرائس أ بكر الأفكار ، وتلى منه بنفائس [من] ^(٢) أنفاس الأزهار ، وشاهد كل سطر منه أحسن من سطرى ، وكان ناظره صائماً عن النظر لبُعْدِهِ فَأَوْجِبَ عَلَيْهِ عِيدٌ ^(٣) قَدُومِهِ فِطْرًا ، وَرَدَّدَ فِكْرُهُ فِي بَدَائِعِهِ الرَّائِقَةِ الرَّائِعَةِ ، وَرَأَى التَّشْرِيفَ بِإِرْسَالِهِ مِنْ جَمَلَةِ صَنَائِعِهِ ^(٤) الْمُتَتَابِعَةِ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَسَّرَ بِدَنُوهِ وَإِيَابِهِ . وَشَكَرَ الْأَيَّامَ الَّتِي خَوَّلَتْهُ مِنْ اقْتِرَابِهِ مَا لَمْ تُطْمَعِهِ الْأَيَّامُ فِي تَمْثِيلِهِ وَلَمْ يَدْرُ فِي حِسَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْرَنَ الْيَمْنَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ ، وَيَجْعَلُهَا مَشْمُولَةً ^(٥) عَلَى السَّعَادَةِ مَخْصُوصَةً بِالْبَرَكَةِ .

ومنه نسخة كتاب كتبه عن نائب السلطنة بالشام لما قدم « المبارك » الذي ادعى أنه ابن المستنصر :

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ^(٦) .

(١) في الوافي : « الجملة » .

(٢) زيادة من الوافي .

(٣) في الوافي : « عند » .

(٤) في (س) : « رسائله » .

(٥) في (ز) ، (س) ، والوافي : « مشتملة » .

(٦) الزمر : ٧٣/٣٩ .

لِيَهْنَكَ النُّعْمَةُ الْمُخَضَّرُ جَانِبُهَا مِنْ بَعْدَمَا أَصْفَرَّ فِي أَرْجَائِهَا الْعُشْبُ

ضاعف الله جلال الجنب الكريم الشريف العالي المولوي السيدي النبوي ، وجعل قدومه كاسمه المبارك على الإسلام .

وَإِشْمُ شَقَقْتُ لَهُ مِنْ إِسْمِكَ فَآكُتْسِ شَرَفَ الْعُلُوبِ بِهِ وَقَضَّلَ الْعُنْصِرِ

وأورد ركابه الأرض الشامية ورود الغمام ، وبين أنوار الخلافة على جبين مجده فلا تضام النواظر في رؤيتها ولا الأفهام ، وأضاء بوجوده بيت الإمامة حتى يعود إلى عوائده الحسنى في سالف الأيام ، وسخر له العزائم والشكائم ، وجعل من شيمته السيوف والأقلام . ورد الكتاب الكريم تبدو البركات من صفحاته ، وتشري نسمات السعد من أنفاس كلمه الطيب ونفحاته ، وكان كالسحاب إذا سحّ وأبله ، وكالذكر المحفوظ إذا عمت ميامنه للإسلام وفواضله .

وَالْبَدْرُ وَافَتْهُ لَوْقَتِ^(١) سَعُودِهِ وَتَمَّ سَنَاءَهُ وَاسْتَقَلَّتْ مَنَازِلُهُ

فتلقاه حين ألقي إليه من سماء الشرف بالإعظام ، وحلّ الواردون [به]^(٢) من مواطن القبول محلّ ملائكة الوحي الكرام ، وتلا على ما قبله : يا بُشْرَايَ هَذَا سَيِّدٌ وَلَمْ يَقُلْ : هَذَا غُلَامٌ . فأى قلب لم يسرّ بمقدمه ، وأى طرف لم يستطلع أنوار مَطْلَعِهِ على الدنيا ومنجمه .

وَمِنْ شَعْرِهِ [يَدْحُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الْأَلْفِي]^(٣) :

تَهَبُ الْأُفُوفَ وَلَا تَهَابُ لَهُمْ
أَلْفٌ وَأَلْفٌ فِي نَدَى وَوَعَى
أَلْفًا إِذَا لَاقَيْتَ فِي الصَّفِّ
فَلَأَجُلِ ذَا سَمُوكَ بِالْأَلْفِي^(٤)

(١) في الوافي : « لوقتته » .

(٢) زيادة من الوافي .

(٣) زيادة من (س) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « وألف وألف » ، ولا يستقيم .

ومنه لما ختن الملك الناصر محمد :

لَمْ يَرُوقْ لَهُ الْخِتَانُ جَنَاناً قَدْ أَصَابَ الْحَدِيدُ مِنْهُ حَدِيداً
مَثَلًا تَنْقُصُ الْمَصَائِحُ بِالْقَطْ ط فَتَزْدَادُ فِي الضِّيَاءِ وَقُوداً

ومنه :

كَتَبْتُ وَالشَّوْقَ يُدْنِينِي إِلَى أَمَلٍ مِنْ اللَّقَاءِ وَيُقْصِينِي مِنَ الْبَدَارِ
وَالشَّوْقَ يُضْرِمُ [فِيَا] بَيْنَ ذَاكَ وَذَا تَيْنَ الْجَوَانِحِ أَجْزَاءً مِنَ النَّارِ^(١)

ومنه :

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ذَاكَ الرِّكْبُ إِنَّهُمْ سَارُوا وَفِيهِمْ حَيَاةُ الْمُغْرَمِ الدِّفْرِ
فَإِنْ أَعِشْ بَعْدَهُمْ فَرْدًا فَيَا عَجَبًا وَإِنْ أَمُتْ هَكَذَا وَجُدًا فَيَا أَسْفَى^(٢)

ومنه يهنئ القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر بنت :

أُمُولَايَ فَتَحَ الدِّينَ هُنَّيْ خِدْرُكُمْ بِقَرَّةِ عَيْنٍ لِلصَّيَّانَةِ وَالْمَجْدِ
وَمَتَّعْتُمْ مِنْهَا بِأَيِّمَنِ غَرَّةِ مَبَارَكَةٍ فِي الصَّالِحَاتِ مِنَ الْوُلْدِ^(٣)
وَصَيْنَ بَنِي سَعْدٍ حِمَاكُمْ وَعِشْتُمْ مَيَّامِينَ فُرْسَانَ الْبِرَاعَةِ وَالْحَمْدِ^(٤)
وَعَوَّذْتُمْ مِنْ عَيْنِ حَاسِدٍ فَضْلَكُمْ وَمَجَّدَكُمْ فِي الْمَجْدِ يَوْمًا وَفِي الْمَهْدِ^(٥)
فَأَوْلَادَكُمْ إِمَّا بِدَوْرِ فَضِيلَةٍ وَإِمَّا شَمُوسَ هَنْ أَخْبِيَّةِ السَّعْدِ
فَبُورِكَ فِيهَا طُلُوعَةٌ فَلَرَبِّمَا

(١) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « عجي » .

(٣) في الوافي : « فيها » .

(٤) في الوافي : « وحين بني » ، تحريف .

(٥) في (س) ، (ز) ، والوافي : « في الدست » .

١٠٦٠ - عبد الوهاب بن فضل الله*

القاضي الكبير الأثير المهيب شرف الدين النشو ناظر الخاص .

كان كالغُصْنِ قدَّهُ . أو السيفِ حدَّهُ ، أو البدرِ محيَّاهُ البَهيَّ ، أو الدُرِّ كلامه الشَّهيَّ . طويل القامة مُمتدِّها ، ظَريف الخطرة يحسبها الناظرُ خطرةً كاعبٍ ويعتدُّها . باشرَ نظرَ الخاصِّ فعَمَّ به إقبالُ الدولة ، وانتشرت له السُّمعةُ والصُّولة ، وسَدَّ مهمَّاتٍ لو جرى النيلُ ذهباً لأفناه الإنفاقُ ^(١) ، ولو نُثِرَت النُّجومُ دراهمَ لما ساعدها الإزفادُ ولا الإرفاقُ ، وبَرَّتْ أموالُ جماعةٍ وأرواحهم ، وركدَتْ بعدما هَبَّت بالسَّعادة أرواحهم ، وتمكَّن من السلطانِ فوصل وقطع ، ولمع بارقُ سعوده وسطع ، وخلا له العَصْرُ ، وجلا [السعد] ^(٢) له القصر ، وأنفرد بالتدبير ، وما خلا ذلك التثيُّرُ من التدمير ، وغرَّه مِثْلُ السلطانِ إليه وتقريبه ، وفاته منه ما يجري به تجريبه ، فعاند الناسَ جميعاً ، ولم يكن لأحدٍ من الخاصكية سميعاً ، وأراد يتعشَّى بأناس فتغدوا به قبل ، وفوقوا إليه من المصائب صائبات النُّبل ، فافتسته ليوثُ خوادِر ، وساعدت عليه المقادر ، وعجز السلطان عن خلاصه ، وغنوا الغفلة في افتراسه واقتراضه .

وجاءه شُبوبُ الشيوب ^(٣) ، واستخرج منه ومن أهله خبايا البيوت [قبل الجيوب] ^(٤) ، ففضى تحت العقاب نَحْبَه ، ولقي بما قدَّم ربَّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة أربعين وسبع مئة .

وفي ذلك قال القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب دواوين ^(٥) الإنشاء :

* الوافي : ٣٢٤/١٩ ، التالي : ١٨١ ، والدرر : ٤٢٩/٢ ، وذيل المعبر : ٢١٤ .

(١) في (س) : « النفاق » ، تحريف .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) كذا ، ولعلها (الشيوب) ، وهي مجاري المياه .

(٤) زيادة من (ز) ، (س) .

(٥) في (س) : « ديوان » .

في يوم الاثنين ثاني الشهر من صَفَرٍ نادى البشيرُ إلى أن أسمعَ الفلَكا^(١)
يا أهل مَصْرَ نجا مُوسى، وتيلكم وقى وفرعون وهو النشوق قد هلكا

وكان النشوق أولاً هو [ووالده]^(٢) وإخوته يخدمون عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، فلما انفصلوا من عنده أقاموا بطالين مدة في بيتهم ، ثم إن النشوق خدم عند الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور ، فأقام في خدمته تقدير ستة أشهر ، ثم إن السلطان طلب كتاب الأمراء ، فحضروا ، فرآه وهو واقف وراء الجميع ، وهو شاب طويل نصراني ، حلو الوجه ، فاستدعاه وقال له : إيش اسمك ؟ ، فقال : النشوق . قال : أنا أجعلك نشوي . ثم إنه رتبته مستوفياً في الجزية^(٣) ، وأقبلت سعادته فأرضاه فيما يندبه إليه ، وملاً عينه بالنهضة والكفاءة ، فنقله إلى استيفاء الدولة ، فباشر ذلك مدة ، وخدم الناس ، وأحسن معاملتهم فأحبوه .

ثم إن السلطان استسلمه على يد بكتمر الساقى وسمّاه عبد الوهاب^(٤) ، وسلم إليه ديوان ابنه آنوك ، فلاحظته السعادة ، ونام عنه طرف الزمان . ولما توفي^(٥) القاضي فخر الدين ناظر الجيش نقل السلطان القاضي شمس الدين موسى^(٦) من نظر الخاص إلى نظر الجيش ، وولّى النشوق ناظر الخاص مع كتابة ابنه ، وحج مع السلطان في تلك السنة ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « اثنين » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) في الأصل : « الخيرية » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٤) وكان اسمه نشوق الدولة ، كما في الوافي .

(٥) في الأصل : « تولى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٦) هو موسى بن إسحاق ، ويدعى عبد الوهاب بن عبد الكريم المصري القبطي ، شمس الدين ، وهو الذي عناه ابن فضل الله بقوله :

يا أهل مصر نجا موسى ...

ولما كان مستوفياً وهو نصراني كانت أخلاقه حسنة ، وفيه بشرٌ وطلاقة وجْهِ وتسرعٌ إلى قضاء حوائج الناس ، ولما تولى الخاصّ وكثر الطلبُ عليه من السلطان ، وزاد السلطان في الإنعامات والعمائر وبالع في أثمان الممالك وزوج بناته وتوجه إلى الحج واحتاج إلى الكلفِ العظيمة المُفرطة الخارجة عن الحد ساءت أخلاق النشو ، ولبسَ للناس جلد النر ، وأنكر من يعرفه ، وفُتحت أبواب المصادرات للكتاب ولمن معه مال ، وكان الناس يقعون معه ويقومون إلى أن جرح ، فازداد الشرُّ أضعافه ، وهلك أناسٌ كثيرون ، وسلبَ جماعةٌ نعمهم وذهبت أرواح ، وزاد الأمر إلى ^(١) أن دخل الأمير سيف الدين بشتاك والأمير سيف الدين قوصون وجماعة من الخاصكية ومعهم عبد المؤمن الذي تقدم ذكره إلى السلطان ، فلما حضروا أجلسهم ، وأخرج عبد المؤمن سكيناً عظيمة من غلافها ، فارتاع السلطان ، فقال عبد المؤمن : أنا الساعة أخرج إلى النشو وأضربه بهذه السكينة ، وأنت تشنقي وأريح الناس من هذا الظالم ، فقال السلطان : يا أمراء متى قُتل هذا بغتةً راح مالي ، ولكن اصبروا حتى نبرم أمراً ، فلما كان ليلة الاثنين ثاني صفر الشهر المذكور اجتمع السلطان به ، وقال له : غداً أريد فلاناً ^(٢) ، فاطلع أنت من سحر لتروح وتحتاط ^(٣) عليه ، وأحضر جماعتك ليتوجه كل واحد إلى جهة أعينها له . فلما كان من بكرة النهار طلع القلعة ودخل إليه واجتمع به وقرّر الأمر معه ، وقال له : اخرج حتى أخرج أنا وأعمل على إمساكه مع الأمراء ، فخرج وقعد على باب الخزانة ، وقال السلطان لبشتاك : اخرج إلي النشو وأمسه ، فخرج إليه وأمسه وأمسك أخاه مجد الدين رزق الله المذكور في حرف الرء ، وصهره ولي الدولة ، وأخاه الأكرم ، وجماعتهم ، وعبيدهم ، ولم يفت في ذلك الوقت إلا المحلّص أخوه الكبير ، فإنه كان في بعض الدّيرة ، فجهز إليه من أمسه وأحضره ، وسلم بشتاك النشو إلى الأمير

(١) في الأصل : « حتى » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٢) عبارة الوافي : « غداً نريد نفسك فلاناً » .

(٣) في الوافي : « لتروح تحتاط » .

سيف الدين برسغا الحاجب ، وعوقب هو وأخوه المخلص ووالدتها وعبيدهم . وماتت والدتها وأخوه المخلص تحت العقوبة في المعاصير والمقارع . ثم إن السلطان رقى على النشو ورفع عنه العقوبة ، ورتّب له الجراحيمة^(١) والفراريج والشراب فاستشعروا رضا السلطان عنه ، فأعيدت عليه العقوبة ومات تحتها رحمه الله تعالى .

وقيل : إن الذي تحصل من النشو ومن إخوته ومن أمه ومن عبيدهم وأخيه وصهره مبلغ ثلاث مئة ألف [دينار]^(٢) مصرية .

وأراني النشوق قبل خروجي من الديار المصرية في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، قال : هذه أوراق فيها ثمن المالك الذين اشترهم السلطان من أول مباشرتي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة إلى الآن ، وجملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار [وسبع مئة ألف دينار]^(٣) . وأما جراحته ، فإنه كان من عادته متى أذن الصبح ركب من بيته في الزربية^(٤) وتوجه إلى القلعة [فيجلس على باب القلعة]^(٥) إلى أن يفتتح ويدخل ، فلما كان في ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع أو ثمان وثلاثين وسبع مئة ركب على عادته ، فلما كان خلف الميدان عند أوله إلى جهة البحر ، لحقه فارس يطرد الفرس وييده سيف مشهور ، فقال له عبده من ورائه : ياسيدي جاءك ، فالتفت فرأى السيف مسلولاً ، قال لي : فرفست البغلة لأحيد عنه ، فأخذتني إليه ، فضربه على عضده اليسار وعلى^(٦) جنبه إلى مرتبط لباسه ، ثم تقدمه وضربه ضربة أخرى إلى خلف^(٧) ، فوقع شاشه إلى الأرض ، ولما ضربه هذه الثانية رفعت البغلة رأسها ، فجاء السيف في حجاج عينها

(١) الذين يداون الجراح .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (س) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « الزربية » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٥) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .

(٦) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٧) في الأصل : « أن خلف » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

[وبعض أذنّها] ^(١)، فلما وقع شاشه توهمه رأسه وساق وتركه ، فرجع النشو إلى البيت ، فقطب الجراحي يده بست إبر وقطب جنبه باثنتي عشرة إبرة ، ولو لم أر ذلك بعيني ما صدقت ، فإن الناس أجمعوا على أنه ادعى ذلك ليؤذي الناس عند السلطان .

وحكى لي القاضي شرف الدين النشو من لفظه غير مرّة لما تولى نظر الخاص قال : كنت أطلع مع والدي إلى القلعة بالحساب ، فيتقدمني هو بحماره القويّ وأنقطع أنا على الحمار الضعيف ، والحسابُ عليه ، فلا أزال أضربه بالعصا إلى أن تتكسّر ثم أضربه بفردة السرموزة إلى أن تتقطع ، وأطلع القلعة في أنحس حال .

وحكى لي أيضاً غير مرة قال : لما بطلنا من عند الأمير سيف الدين بكثر الحاجب أقننا نبيع من أطرافنا وننثيق عليننا ، إلى أن لم يبق لنا شيء ، فاحتجنا يوماً ولم نجد ما نبيعه ، فجمعنا السراميز العتق وسيرنا أبغناها بما أنفقناه علينا ، فقال لي والدي : هذا آخر الخمول ، وما بقي بعد هذا قطوع ، وقد قرب الفرج .

قال : وكان لي قميص إذا خرجت أنا لبسته ، وإذا خرج أخي المخلص لبسه ، فلما كان ثاني يوم نزل عبدنا ^(٢) إلى البحر ، فاصطاد لنا سمكة مليحة سمينة ، فقلولناها بما فيها من الدهن ، ولم يكن عندنا ما نشترى به سيرجاً ، فلما كان ثاني يوم لذلك اليوم جاءني من طلبني لأخدم عند أيدغمش أمير آخور ، فتوجهت وقدر الله باتصال القسمة وخلع علي ، فتوجهت بالتشريف إلى الشرايشين ^(٣) وأبعته واشتريت قاشاً من الشرب كثيراً وفصلناه قصانا لهما وجدناه من حرقة عدم القمصان .

(١) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي . والحجّاج : عظم الحاجب .

(٢) في الوافي : « عبد مفلح » .

(٣) الشرب : نسيج لطيف رقيق ، والشرايشي : بائه .

١٠٦١ - عبد الوهاب بن محمد*

ابن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي ، الشيخ الإمام العالم النحوي الفقيه كمال الدين ابن قاضي شهبة الشافعي .

سمع من ابن أبي الخير (سُبَاعِيَات) الصيدلاني ورواها عنه . سمع الكتب الكبار و (مسند) الإمام أحمد ، وله ثبت بخط الوجيه السُّبُتِي .

ومن شيوخه الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن علّان ، وابن البخاري ، والمجد بن الخليلي ، وإسماعيل بن العسقلاني^(١) ، والبرهان بن الدرجي ، والشرف بن القواس .

كان فقيهاً فاضلاً ، عارفاً بالمذهب ناقلاً ، له حلقة بالجامع الأموي خلف محراب الحنابلة ، قرأ عليه جماعة من الطلبة أولاد الأكابر ، ومن أرباب السيوف وذوي الحابر . وكان حريصاً على التعليم ، مجتهداً على التفهيم ، يعيد الدرس للطلاب مرات ، ويطالبه بإعادته كرات ، ويسمع على المشتغلين الماضي الذي تقدم ، ويقم بالذاكرة من ربوع العلم ما تهتم ، لو أمكنه صَوَّر الدرس للطلاب في الخارج ، ورقاه في فهمه على المعارج ، وانتفع عليه بذلك جماعه ، وأرخى على وجهه قناع القناعه ، وكان يعتكف في الجامع الأموي شهر رمضان بكامله ، ويستجلي من الخير بدور جماله .

ولم يزل على حاله إلى أن لم يكن في عُدْم ابن قاضي شهبة شُبّهه ، ودُسّ في التراب ذاك الوجّه والجبهه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

* الوافي : ٣٣٤/١٩ ، والبيدایة والنهاية : ١٢٦/١٤ ، والدرر : ٤٣١/٢ ، والبنية : ١٢٤/٢ .

(١) إسماعيل بن أبي عبد الله العسقلاني (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٥/٥ .

ومولده في ثاني عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وست مئة .
 وكان من أعيان أصحاب الشيخ تاج الدين في الفقه والأصول ، ومن أعيان
 أصحاب أخيه شرف الدين في العربية . لازمها وسلك طريقهما في الإشغال .

١٠٦٢ - عبد الوهاب بن أحمد*

ابن يحيى بن فضل الله ، القاضي الرئيس شرف الدين ابن القاضي شهاب الدين ابن
 القاضي محي الدين ، موقع الدست بدمشق .

كان شكلاً ظريفاً ، أبي النفس شريفاً ، فيه شجاعة^(١) وإقدام ، وفروسية ثابتة
 الأقدام ، يلعب الكرة بالصوالج ، ويصيد بالطير والحوامي ما هو في وكره^(٢) والج ،
 ويسوق في البريد فيكاد يسبق الرياح ، ويثبت على ظهور [الخيل]^(٣) من الليل إلى
 الليل إلى الصباح . وكتب الرقاع جيداً ، ووقع على القصص متأيداً
 وكان فيه مروءة وكرم ، وحدة في أخلاقه تتوقد بالضم .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى غصنه الناعم ، وأصبح وأعضاؤه للبلبل مطاعم .
 وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشرين شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ودفن في
 تربتهم بجبل قاسيون .

استخدمه السلطان بمصر بعد دخولهم إليها ، في سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين
 وسبع مئة ، وكتب في ديوان الإنشاء مع والده رحمه الله تعالى ، ومع عمه القاضي علاء
 الدين . وسمع بقراءتي على الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس وغيره^(٤) .

* الدرر : ٤٢٤/٢ ، والنجوم : ٢٩٥/١٠ ، والذيل التام : ١٣٧ .

(١) في الأصل : « شجاع » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ذكره » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) زيادة من (ز) ، (س) .

(٤) ليست في (س) .

ولما رَسِمَ لوالده بكتابة سرّ دمشق حضر معه ، وكان يدخل بالعلامة إلى الأمير علاء الدين الأتنبغا ويخرج ، ويقرأ البريد عليه ، وكان يؤثّره ويحبّه ، وكان يكتب عن والده أوراق البريد وأسماء الموقعين على القصص . ولما توفي والده رحمه الله تعالى تحدث له مع^(١) القاضي ناصر الدين كاتب السر وأدخله إلى الدّست موقعاً في أوائل سنة خمسين وسبع مئة أواخر أيام أرغون شاه .

اللقب والنسب

☆ ابن عبود : جمال الدين الحسين بن محمد .

١٠٦٣ - عبيد الله بن محمد*

الإمام العابد شيخ الحنفية ركن الدين أبو محمد البارساه ، بالبلاء الموحدة وبعدها ألف وراء وسين مهملة وبعدها ألف وهاء ، السمرقندي ، نزيل دمشق ، ومدرّس الظاهرية ، ومدرس النورية .

كان من كبار المذهب ، تَمَقَّصَ منه درعه المذهب ، وأصبح وحواصل علومه بيد التعليم تُنْهَب ، مكبّاً على التعليم والمطالعة والتفهم والمراجعة ، له ورْدٌ في اليوم واللييلة مئة ركعة ، يحرم جَفَنَه في الليل لئلاّذه الهَجَعُه^(٢) ، وله حلقة في الجامع للإفاده ، وللطلبة إلى حرمها في كل يوم وفاده .

ولم يزل البارساه إلى أن بار وجوده ، وطُفِي في الماء وقوده ، فأصبح في بركة الظاهرية ملقى غريقاً ، أصيلاً في الأموات غريقاً ، قتل شيء كان معه من الحطام ، وقيد إلى النية بخطام .

(١) ليست في (س) .

* الوافي : ٤١٢/١٩ ، والدرر : ٤٣٣/٢ ، والدارس : ٤١٩/١ .

(٢) في الأصل : « المحفة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

وذلك في ليلة الاثنين ثاني عشر صفر سنة إحدى وسبع مئة .

وكان قد أعطي تدريس النورية قبل وفاته بستة أيام ، وألقى فيها ستة ^(١) دروس لا غير ، وأمسك طي الحوراني ^(٢) قيم دار الحديث بالظاهرية ، وضرب ، فأقر بقتله ، فشنع على باب المدرسة .

١٠٦٤ - عبيد الله بن علم الدين *

ابن شراقي ، بفتح الشين المعجمة وبعدها راء وألف وقاف وياء آخر الحروف ، الكاتب .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين ، قال : رأيته بالقاهرة ، وكتب إليّ بآيات . ومن شعره ما كتب به إلى الخطيب مجد الدين ^(٣) بمدينة الفيوم من آيات :

خلائقك الحسنى أبرُّ وألطفُ	وأنت بأنواع المكارم أعرف ^(٤)
وتلك السجايَا الغُرُهي كروضة	مفوّة الأزهار تجنى وتقطفُ
طُبِعَتْ على فِعْلِ الجِلِ خلائقا	فأنت بما تأتيه لا تتكلف ^(٥)

فأجابه مجد الدين :

يميناً لأنت البحرُ للدرِّ تقذفُ	وذا عجبَ إذ أنت بالعذب توصفُ
وما الدرُّ في البحرِ الفراتِ وإنما	خصائصُ فضلِ حُرَّتِها بك تُعرفُ
فلا جيدٌ إلا وهو منها مطوّقٌ	ولا سمعٌ إلا وهو منها مُشَنَّفُ

(١) في (ز) ، (س) : « أربعة » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها من حرف الطاء .

* الوافي : ٤٢٢/١٩ ، وفيه : « عبيد الله بن شراق » .

(٣) أحمد بن أبي بكر بن ظافر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « المكارم ألطف » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٥) قوله : « خلائقا » ليست في الوافي .

منها :

لقد نالنا من طيب نَشْرِك نَشْوَةً فقلنا : أهذا الشَّعْرُ أم هو قَرْقَفٌ^(١)
فذاك هو السَّحْرُ الحلالُ حقيقةً كمر نسيم الرّوضِ بل هو أطف
وكتب علم الدين بن شراقي إلى زين الدين الأرميني^(٢) :

بِحَقِّ مَا حَزَّتْ مِنْ خِصَالِ عَطَّرَتِ الْأَكْوَانَ بِالْأَرِيحِ
شَفِّ بِنَظْمٍ كَنَظْمِ دُرٍّ ورونق اليانعة البهيج^(٣)
فَإِذْ قَطَعْتَ الْقَرِيضَ عَنِّي أُمْرِي فِي مَقْلَقٍ مَرِيحِ

فأجاب زين الدين المذكور :

سَأَلْتَ أَمْرًا وَبِي احتِياجُ لنظْمِكَ الباهر البهيج
تَطْلُبُ مِنِّي وَأَنْتَ أَوْلَى ما البحر يحتاج للخليج
نَظْمُكَ فِي حُسْنِهِ أَرَاهُ كالزَّهر في يانعة المروج
بِلاغَةً فِيهِ لَمْ يَنْلُهَا حبيبٌ أَوْسٍ وَلَا السُّرُوجِ

ومن شعر علم الدين شراقي :

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَفُوزَ بِنَظْرَةٍ من مالِكٍ تهوى المعالي وَصَفَهُ
لَمْ يَسْتَطِعْ نَظْرِي يَرَاهُ شَاكِيًا فبَعَثَهَا عَنِّي تَقَبَّلُ كَفَّهُ

اللقب والنسب

☆ ابن عبيد الله الموقع : شهاب الدين أحمد بن عبيد الله .

☆ صلاح الدين يوسف بن محمد .

(١) في الوافي : « طيب شعرك » .

(٢) الحسين بن الحسين ، سلفت ترجمته .

(٣) في الأصل : « شرف بنظم » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

١٠٦٥ - عتيق بن عبد الرحمن *

ابن أبي الفتح ، المحدث المُتقن الزاهد تقي الدين أبو بكر القرشي العمري المصري
الصوفي المالكي ، شيخ خانقاه ابن الخليلي .

سمع بمصر والشام والحجاز ، وحدث عن النجيب عبد اللطيف ، وعبد الله بن
علاق ، وكتب عنه الطلبة .

وجاور بمكة مدة ، وكان فيه تعبّد ، وعنده فَقْرٌ وَتَزَهُدٌ ، وتحرّ وتجرّد ، وله
فضيله ، يخرج بها من السّمة الرذّية الرذيله .

مرض مدّة بالفالج وعالج من آلامه ما كان يعالج .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

١٠٦٦ - عتيق بن محمد **

ابن سليمان الخزومي ، تاج الدين الدماميني ، بالبدال المهملة والميم والألف والميم
الثانية والياء آخر الحروف وبعدها نون .

قرأ الفقه بقوص ، وحفظ (التنبيه) ، واستوطن الإسكندرية ، وانتهت إليه
رئاستها .

وكان ذكياً كثير العطاء ، وله مشاركة في التاريخ والأدب ، وبنى مدرسة
بالمرجانيين بالشعر ووقف عليها أوقافاً كثيرة .

وحضر إلى مصر فتوفي بها في أواخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع
مئة .

* الوافي : ٤٦٠/١٩ ، والدرر : ٤٣٤/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٢/١ ، والشذرات : ٥٧/٦ .

** الوافي : ٤٦٠/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٥٩ ، والدرر : ٤٣٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٢٩/٢ .

١٠٦٧ - عثمان بن إبراهيم*

ابن أبي علي الحمصي المقرئ الصالح أبو عمرو الصالحي النسّاج ، إمام مسجد القرشيين .

سمع حضوراً نصف البخاري الأخير من ابن الزبيدي ، وسمع من ابن اللّتي ، لكنه كان يُحَرِّفُ كتابة الأسماء ، يكتب الحمصي المصري^(١) ، فذهب سماعه . وكان قد سمع كثيراً من الحافظ الضياء .

وسمع منه الواني ، وللمقاتلي ، والعلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والمحّب ، وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة .

وكان خيراً يتوّدّد إلى الناس ويتواضع ويَحَسُنُ بِشْرِهِ .

١٠٦٨ - عثمان بن إبراهيم**

ابن مصطفى ، الشيخ الإمام العالم فخر الدين المارديني المصري ، مفق الحنفية المعروف بابن التركاني .

كان فاضلاً في مذهبه ، عارفاً بدقائقه وتقّلبه ، شرح (الجامع الكبير)^(٢) وألقاه دروساً ، وجلاه للنواظر والبصائر عروساً .

* الوافي : ٤٦٤/١٩ ، والدرر : ٤٣٥/٢ ، والشذرات : ٢٣/٦ .

(١) في الوافي : « لكن يصحّف في كتابة الأسماء الحمصي بالمصري » .

** الوافي : ٤٦٥/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ ، والدرر : ٤٣٥/٢ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٩/١ ، وتذكرة النبيه : ٢١٣/٢ .

(٢) في الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي (ت ١٨٧ هـ) ، وذكر صاحب الكشف الشرح المذكور ، وقال : هو كبير في عدّة مجلدات . الكشف : ٥٦٩/١ .

كان جميل المحاضرة ، جليل المذاكرة ، أخلاقه لطيفه ، وتناديُّه ظريفه ، طُلُقَ المحيّا ، فصيح العبارة ، حسنَ العمّة ، كامل الشارح . وكان له ولدان ، كأنهما في سماء الفضل قَرَقَدَان .

ولم يزل على حاله إلى أن حَمَّ يومه العصب ، فأخذ من الموت بنصيب .
وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت حادي عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في عاشر جمادى الأولى سنة ستين وست مئة ، يوم توفي الشيخ عز الدين بن عبد السلام المنصوري .

وسمع من الأبرقوهي ، والدِّمياطي ، وغيرها . وشرح (الجامع الكبير) في مئة كراس ، وألقاه في المدرسة المنصورية . وله نظم . وتفقه به ولده الشيخ علاء الدين والشيخ تاج الدين ^(١) .

١٠٦٩ - عثمان بن أحمد *

ابن محمد ، المحدث ، فخر الدين أبو عمرو الحلبي ، ثم المصري ، ابن الظاهري .
حضر النجيب ، وابن علاّق ، وسمع من عامر القلعي ^(٢) والعزّ الحرائي ، ونسخ بعض الأجزاء وكتب الطباق .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : وله إلمامٌ ببعض هذا الشأن وكثرة مطالعه .

(١) علاء الدين هو علي ، ستأتي ترجمته في موضعها ، وتاج الدين هو : أحمد ، وقد سلفت ترجمته في موضعها ، وسها المصنف في الوافي فسمّاه : محمداً ، وقال : تقدّم ذكره في المحمدين .

* الوافي : ٤٦٦/١٩ ، والدرر : ٤٣٦/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٣/١ ، والشدرات : ٩٤/٦ ، وتذكرة النبیه : ٢٠٥/٢ .

(٢) (ت ٦٧٦ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٨٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

وكان له قبول ، وعنده مروءة ، وقرأ القرآن بروايات ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، وتعب عليه والده وأسمعه الكثير . قال شيخنا علم الدين البرزالي : شيوخه ست مئة شيخ ، وذلك في سنة خمس وثمانين وست مئة ، وازداد بعد هذا التاريخ خلقاً كثيراً .

وسمع منه الطلبة والرحالون .

١٠٧٠ - عثمان بن أحمد بن عمر*

ابن أحمد بن هرّماس بن نجا بن مشرف بن محمد بن ورقة ، القاضي الفقيه الإمام العالم فخر الدين أبو عمرو قاضي نابلس^(١) .

ولي القضاء بعدة أماكن بالشام . وكان حسن السيرة في القضاء عفيفاً ، يقال إنه أباع ملكاً بثلاثين ألفاً ، وأنفق عليه مدة الولاية . وكان كثير الاستحضار لمسائل المحاكمات .

قال البرزالي : كَتَبْنَا عَنْهُ مِنْ شَعْرِهِ بِنَابِلُس .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشر جمادى الأولى سنة [ثمان وسبع مئة ، ومولده سنة^(٢)] ثلاثين وست مئة بزَرَع .

* الدرر : ٤٣٦/٢ ، وفيه : « ابن عمرو » .

(١) في الدرر : « طرابلس » .

(٢) زيادة من (س) . وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٦٨ هـ) ، سهو .

١٠٧١ - عثمان بن أحمد بن عثمان*

ابن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي الشافعي ، المعروف بابن أبي الحوافر ،
الطبيب بالقاهرة .

له إجازة من ابن اللّتي ، وابن المقير ، وإبراهيم الحشوعي ، وغيرهم . وكان يُنعت
بجمال الدين .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة غرة صفر سنة إحدى وسبع مئة .
ومولده سنة تسع (١) وعشرين وست مئة .

١٠٧٢ - عثمان بن إدريس**

ابن عبد الله بن السلطان عبد الحق بن مجبو ، البطل الضرغام ، فارس الإسلام ،
مُقدّم الجيوش أبو سعيد بن أبي العلاء المريني .

قائد جيش غرناطة ، وهو الذي أبلى يوم الكائنة العظمى سنة تسع عشرة وسبع
مئة ، ونصر الله فيها الإسلام ، وأباد جيوش الفرنج .

وكان ذا دين متين ، وعقل صحيح مُبين ، فيه شرف وعنده سياده ، وله كبرياء
في الرئاسة ، وافرة الزيادة ، أبلى في الحروب ، وأملى دروساً في الجراح والضروب ،
يلقى الهجير بنَحْرِهِ ويُقدّم على الهول وهو قد جاء وطمّ ببحره ، لا يبالي بالكتائب إن
قلّت أو كثرت ، ولا يهمله أمر جياته ، إن كلّت أو عثرت ، أين من بأسه عنثرة أو
عامر بن الطفيل ؟! وأين من كرّه على الفوارس زَيْدُ الخيل ؟! كاد يَرُدُّ الموت من
الظما ، أو يخال سُرّة الرماح لمى ، أو يتخيل أن السيوف جداول فهو يخوضها ، أو
يتوهم أن المنايا ذات دلالٍ فهو يروضها .

* الدرر : ٤٣٦/٢ ، وعقد الجمان : ٢٠٢/٤ .

(٢) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي ، وعقد الجمان .

** الوافي : ٤٦٦/١٩ ، والدرر : ٤٣٧/٢ ، ونفع الطبيب : ١٠١/٥ .

ولم يزل على حاله إلى أن صالت عليه المنيا ، وجاءته بما في زواياها من الجنايا .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

قيل : إنه شهد مؤتي غزوة وأربعاً وثلاثين غزوة . أهلك الله ضده الوزير المحروق الذي أبعدته من الحضرة في سنة تسع وعشرين وسبع مئة لأن ولده إبراهيم بن عثمان كان قد شارك يحيى بن عمر بن راجو^(١) في قتلة السلطان أبي الوليد ، ثم عاد ابن أبي العلاء^(٢) إلى منصبه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة . نزل يوم الملحمة العظمى إلى الأرض ، وسجد وتضرّع إلى الله ثم ركب فرسه وقال لجيشه : احملوا ، وكانوا دون الألفين ، فحملوا على القلب وفيه « ذون بطرو » المقدم ذكره ، وهو في بضعة عشر ملكاً من الفرنج فقتلوا كلهم ، ثم لم يفلت منهم أحد ، ودام القتال إلى الليل ، فأقل ما قتل من الفرنج ستون ألفاً وقيل : ثمانون ألفاً ، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ، وغنم المسلمون غنية عظيمة إلى الغاية .

وتوفي رحمه الله تعالى وهو مرابط ، وكان من أبناء الثمانين .

١٠٧٣ - عثمان بن إسماعيل *

ابن عثمان ، الأمير صارم الدين .

كان أولاً حاجباً بصفد ، ثم نُقل إلى دمشق أميراً ثم أعيد إلى دمشق ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن توجه صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى إلى ملطية .
ولما عاد العسكر من ملطية توفي رحمه الله تعالى في الطريق في سابع عشرين شهر ربيع الأول بالمعرة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

(١) ترجم له صاحب الدرر : ٤٢٣/٤ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) في (س) : « العلاء » .

* الدرر : ٤٣٧/٢ .

وكان رجلاً جيداً ساكناً وقوراً . عُيِّنَ لشدة الدواوين بدمشق ، وكان يسكن بدرب الفراش^(١) ، وخلف أولاداً وذريةً ، وكان جدّه من ممالك الدوادار الرومي ، كذا قاله شيخنا البرزالي . وعاش ثمانياً وخمسين سنة .

وهو أخو الأمير ناصر الدين مشدّ الأوقاف بدمشق ، وناظر الحرمَيْن بالقدس والخليل عليه السلام . وكان يعرف في دمشق بحاجب صفد ، أعني الأمير صارم الدين .

١٠٧٤ - عثمان بن أيوب*

ابن مجاهد الفرّجوطي ، بالفاء والراء الساكنة والجيم والواو الساكنة والطاء المهملة .

كان ملازم التلاوة ، ويستعمل الصبر على ذلك علاوة ، قد التحف بالتحف من القناعة ، وجعل الشكر رداءه وقناعه ، يرضى بالقليل من العيش الشطيف ، ويتجلّد لما مضى ولا يأتف ، عديم الطلب من الناس ، سليم القلب في معاشرة الأخيار والأدناس .

ولم يزل على حاله إلى أن افترش تراباً لحده ، وألصق بالثرى ديباجة خده .

وتوفي في مستهل شوال سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وتوفي ببلده فرجوط .

ومن شعره :

ألا في سبيل الحبِّ ما الوجدُ صانعٌ بقلبٍ له من وشكّةِ البينِ صارعٌ^(٢)
يُكابِدُ من أجلِ البعادِ هلوّعه وإنّ قلى الأحبابِ للصبِّ هالِعُ

(١) في الأصل : « الفراس » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، وانظر : الدارس ٢٤١/٢ .

* الوافي : ٤٦٩/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٤٧ ، والدرر : ٤٣٧/٢ .

(٢) في الوافي والطالع : « صادع » .

وَيَقْلُقُهُ دَاعِي الْهَوَى وَيَقْمِيهِ
وَيَصْبُو فتنصبُ الدموعُ صباةً
إذا فاح مِنْ أكناف طَيِّبَةٍ طَيِّبُهَا
وإنْ ذَكَرْتُ نَجْدَ وَجُرْعَاءَ رَامَةٍ
هل الدَّهْرُ يوماً بعدَ تفريقِ شَمِلِنَا
وهل ماضٍ مِنْ عِشْنَا فِي رُبُوعِكُمْ
عِدُوا بِالتَّلَاقِ عِطْفَةً وَتَكْرُماً
وإنْ تَسْمَحُوا بِالْوَصْلِ يوماً لَعَبْدِكُمْ
أَهْيَلُ الْحِمَى هَلْ مِنْكُمْ لِي رَاحِمٌ
فهذا لسانُ الحالِ يرفعُ قِصَّتِي

فَيَقْعُدُهُ الْإِعْجَازُ وَالْعَجْزُ مَانِعٌ^(١)
وَلَا غَرَوُ إنْ صَبَّتْ لَذَاكَ الْمَدَامِعُ
تَحَرَّكُهُ شَوْقاً إِلَيْهَا الْمَطَامِعُ
وَلِلَّهِ كَمْ مِنْ لُوعَةٍ هُوَ جَارِعٌ^(٢)
بَذَاكَ الْحِمَى النَّجْدِيُّ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
وَطَيْبُ زَمَانٍ بِالتَّوَاصِلِ رَاجِعٌ^(٣)
عَلَيَّ فَإِنِّي بِالْمَوَاعِيدِ قَانِعُ
فَهَذَا أَوَانُ الْوَصْلِ أَنْ فَسَارِعُوا
وَهَلْ فِيكُمْ يَوْماً لِشَكَاوَى سَامِعٌ^(٤)
لِذِيكُمْ عَسَى مِنْكُمْ لِبِلَاوَى رَافِعُ

١٠٧٥ - عثمان بن أيوب *

ابن أبي الفتح ، فخر الدين أبو عمرو الأنصاري العسقلاني .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين ، قال : مولد المذكور ببيت زينون ، بالنون
لا بالتاء ، من عسقلان وغزة ، في خامس عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة .
وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

أَتَانِي كِتَابٌ خِلْتُ فِي طَيِّ نَشْرِهِ
إِلَى عِلْمٍ أَسْعَى بِهِ مِنْ سَمِيهِ
بَرِيقَ ضِيَاءٍ يُخْجِلُ الْقَمَرَيْنِ
فَنَلْتُ مَنَى بِالسَّعْيِ فِي الْعَمَلَيْنِ

(١) في الأصل : « ويقلمه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) في الطالع : « فله » .

(٣) في الطالع : « ربوعكم » .

(٤) في الأصل : « لي رحمة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي والطالع .

* الوافي : ٤٧٠/١٩ .

فأجابه نور الدين بن سعيد^(١) :

بَيْتٍ وَيَتٍ قَدْ سَبَقَتْ مُجْلِيًّا فَلَا زِلْتَ بِالْبَيْتَيْنِ ذَا سَبْقَيْنِ
وَأُنْجَحْتُ بِالْأَمْرِ الَّذِي قَدْ قَصَدْتَهُ بِسَعْيِكَ يَا ذَا الْفَضْلِ بِالْعَلَمَيْنِ
قال : وأنشدنا المذكور لنفسه :

من ريقها وردي ومن وجناتها وردي وخمري لحظها والساق
يا هُندُ عندك مُنيقي ومُنيتي بوعيد هَجْرٍ أَوْ بوعْدِ تَلَاقٍ^(٢)

١٠٧٦ - عثمان بن أبي بكر*

ابن محمد قاضي القضاة جلال الدين أبو عمرو^(٣) الحاكم بصفد . كان قاضيا من الأيام الظاهرية ، وكان نوابها يحبونه ويعزّونه ويكرمونه ، وهو والد قاضي القضاة شرف الدين محمد قاضي صفد وطرابلس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في الحمددين .
توفي رحمه الله تعالى يوم السبت رابع عَشْرِي المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .
وكان يعرف بالتهاندي بنون مفتوحة وهاء بعدها ألف وواو ونون ساكنة ودال مهملة .

١٠٧٧ - عثمان بن بلبان**

المحدث فخر الدين الرومي المقاتلي الدمشقي الكُفَي . سكن مصر سنوات ،

(١) في الوافي : « ... ابن سعيد المغربي » ، وهو : علي بن سعيد ، صاحب كتاب : المغرب في حُلَى المغرب .

(٢) علّق في الوافي على هذين البيتين بقوله : « قلت شعر جيد » .

* عقد الجمان : ٤٧٦/٣ في وفيات (٦٩٨ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢١٦/١ .

(٣) في (ز) ، (س) : « أبو عمر » .

** الوافي : ٤٧٢/١٩ ، والدرر : ٤٣٩/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٠/١ .

وداخل الرؤساء إلى أن صار مُعيداً في المنصورية للحديث . وكان خُلُو المذاكرة ^(١) ، يحفظ بعض القرآن .

سمع من ابن القوّاس ، ويوسف الغسولي ^(٢) ، وابن عساكر ومجلب من سنقر الزيني مملوك ابن الأستاذ ، وبصر من الدمياطي وطبقته ، وعني بالرواية ، ونسخ الأجزاء وحصل .

قال شيخنا الذهبي : كتبت عنه وكتب عني ، وكان في ورّعه نقص ، وغَيْرُهُ أَذَيْنُ منه ، وليس له محفوظ ، ولا حفظ القرآن يعني ختمه .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ثالث عشري شوال سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

١٠٧٨ - عثمان بن عبد الصمد*

ابن عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، الشيخ بدر الدين أبو عمرو بن الشيخ جمال الدين الخطيب قاضي القضاة بن قاضي القضاة جمال الدين الحرساني الدمشقي .

سمع حضوراً من جده سنة ست وخمسين وست مئة ، ومن عبد الله بن الحُشوعي ، وشرف الدين الحسين الإربلي ، وابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، والمجد بن النشي ، وغيرهم . واشتغل على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله المقدسي ^(٣) مدرس الشامية ^(٤) ، ورَتَّب بالمدارس ، وكان يجلس مع الشهود .

(١) في (س) : « المحاضرة » .

(٢) في الأصل : « الغسول » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي ، وهو يوسف بن أحمد بن أبي بكر

الصالح الغسولي . (ت ٧٠٠ هـ) . العبر : ٤١٢/٥ .

* الدرر : ٤٤٠/٢ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن نعمة (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤٠/٥ .

(٤) البرانية ، انظر : الدارس ٢٠٩/١ وما بعدها .

ومرض أواخر عمره بالفالج ، وعجز وانقطع إلى أن مات .
وتوفي رحمه الله تعالى ثامن ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٠٧٩ - عثمان بن علي *

الإمام العالم المفتي القاضي فخر الدين الأنصاري الشافعي المصري ابن بنت أبي

سعد .

كان فقيها كبيرا ، وحاكماً خبيراً ، فاضلاً في الأصول ، غزير المادة ^(١) والمَحْصُول ،
ويدري العربية ، وعنده جزء كبير من الأنواع الأدبية ، وكتب الخط البهج ، وأتى به
أبهى من الروض الأرج . وكان يشارك في علم الموسيقى ، وَيُطَبِّقُ الألحان على الكلام
تطبيقاً .

ولم يزل على حاله إلى أن تداول ^(٢) أصحابه نَعْيَهُ ، وتذاكروا اجتهاده وسعيه .
وتوفي رحمه الله تعالى رابع عشرين جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ^(٣) .
ومولده بدارياً من أرض دمشق .

وحدث عن الكمال الضريع ، والرضي بن البرهان ، وتقلب في الخدم الديوانية ،
ووقع عن قاضي القضاة ابن رزين ، وأفقى سنين وولي القضاء بقوص ، وتوفي رحمه الله
تعالى وله تسعون عاماً .

ومن شعره يصف بركة :

وجلا بياض النهر في مَخَضَرِهَا وكأنه إذ لآحَ للابصار
سَبْكُ اللُّجَيْنِ عَلَى بَسَاطِ زَمْرِدٍ والشَّمْسُ فِيهِ تَلَوُّحُ كالدينار

* الدرر : ٤٤٧٢ ، والشذرات : ١٢٢/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٧/٩ .

(١) في (س) : « المادة منه » .

(٢) في الأصل : « تدارك » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) في الدرر أنه توفي سنة (٧١٢ هـ) .

١٠٨٠ - عثمان بن علي بن إسماعيل*

ابن الشيخ الإمام العلامة صاحب الفنون ، قاضي القضاة ، فخر الدين أبو عمرو بن زين الدين الطائي الحلبي الشافعي ابن خطيب جبرين^(١) ، فقيه حلب ومقرئها وحاكمها .

كان فاضلاً إذا قلت فاضل ، وعالماً يقرُّ له كُلُّ مناظر ومناضل ، قادراً على حَلِّ كلام الناس في سائر الفنون ، مبادراً إلى شرح ما يُقرَأ عليه ويأتي من ذلك بالنكت والعيون ، لم أر له^(٢) في هذا الشأن نظيراً يقاربه ، ولا من يجاربه فيسأله أو يحاربه ، وكان في كل فن ماهراً ، وعلى كل علم ظاهراً ، كأن ابن الخطيب ابن خطيب الرِّي^(٣) وكلاهما فخر ، وكأنَّ هذا ذاك إلا أن الأول فينا يقطف من زهر وذاك يقطع من صخر ، يحل كلام كلِّ مُصنّف بغير كلفه ، ويتسرّع إلى فهمه ، كأن له دُرْبَة قديمة وألفه .

لقد كنت أعجب من شأنه وحقَّ لي العجب ، وأتفكر في بيانه الذي اطلع على [كل]^(٤) غائب وما احتجب ، وما كان إلا أعجوبة الزمان ، ونادرة الوجود في نوع الإنسان . لكنه تولَّى قضاء قضاة حلب فما حُمد في ذلك العقبي ، وضرب بينه وبين الراحة بسدِّ فما استطاع له تَقَبُّاً^(٥) ، وطُلب إلى مصر وأنكر السلطان ولايته وزَجَرَه ، فنزل من القلعة ، وكان ذلك مِنْ أمره نهايته :

* وفيات ابن رافع : ٦٧/١ ، والبداية والنهاية : ١٨٤/١٤ ، والدرر : ٤٤٣/٢ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والنجوم : ٣٢٠/٨ ، وغاية النهاية : ٥٠٧/١ ، وإعلام النبلاء : ٥٢٥/٤ ، وتذكرة النبيه : ٣٠٣/٢ .

(١) جبرين : من قرى حلب .

(٢) ليست في (س) .

(٣) هو الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) زيادة من (ز) ، (س) .

(٥) فيه إفادة من قوله تعالى في الحديث عن السد الذي بناه ذو القرنين : ﴿ فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له تقباً ﴾ ، الكهف : ٩٧/١٨ .

فإننا اليوم ولا للنهي من بعده إلا البكا والنحيب

وتوفي رحمه الله في القاهرة بالمنصورة سنة ثمان^(١) وثلاثين وسبع مئة .

ومؤلده سنة اثنتين وستين بالقاهرة ، كذا رأيته بخط بعض الفضلاء .

وكان رحمه الله قد تلا بالسبع على شمس الدين الخابوري^(٢) ، والبدر التاذفي^(٣) ،

وابن بهرام ، والكمال الغرناطي . وتفقه بقاضي حلب شمس الدين بن بهرام ، وقاضي حماة شرف الدين ، وأخذ عن ابن ملي علم الكلام .

وتصدر وأقرأ^(٤) ، وتخرج به الناس ، واشتهر اسمه ، وكان عاقلاً ذكياً غزير

المادة ، كثير الاطلاع . قرأت أنا عليه مجلب سنة^(٥) .. في (الأربعين)^(٦) للإمام فخر

الدين الرازي ، وفي (الشمسية)^(٧) مشروحة لابن المطهر^(٨) في المنطق . وحضرت

دروسه الجماعة الذين يقرؤون عليه ، فكنت أرى منه العجب ، لم يحضر إليه أحدٌ بأي

كتاب كان في أي علم كان في أي باب كان من ذلك الكتاب إلا وأقرأه فيه ، وحل كلام

ذلك المصنف ، ولم أر مثله في هذا الباب ولا رأيت^(٩) غيري إلا ما حكاه لنا الأشياخ عن

الشيخ كمال الدين بن يونس ، [فإنه]^(١٠) كان عجباً في هذا الباب .

(١) وقيل إنه توفي سنة (٧٣٩ هـ) ، نصّ على ذلك ابن كثير وابن رافع وابن العماد الحنبلي .

(٢) أحمد بن عبد الله بن الزبير (ت ٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٥/٥ .

(٣) محمد بن أيوب بن عبد القاهر (٦٩٥ هـ) ، غاية النهاية : ١٠٢/٢ ،

(٤) في الأصل : « قرأ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٥) كذا في الأصول .

(٦) الأربعين في أصول الدين ، الكشف : ٦٧/١ .

(٧) متن مختصر في المنطق لعلي بن عمر القزويني الكاتب (ت ٦٧٥ هـ) ، الكشف : ١٠٦٣/٢ ، وهو مطبوع .

(٨) الحسين بن يوسف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٩) في (س) : « رآه » .

(١٠) زيادة من (ز) ، (س) ، وهو موسى بن يونس بن محمد بن منعة (ت ٦٣٩ هـ) ، السير : ٨٥/٢٣ .

وكان يقرئ في (الشاطبية) وكتب القراءات ، وفي (الحاوي) ، وكتب الفروع ، وفي (المختصر) لابن الحاجب ، و (المحصل) للإمام فخر الدين ، وفي الفرائض ، والجبر ، والمقابلة ، وفي الحساب ، وعلم : الصواب ^(١) ، وكتاب التحت والميل ^(٢) ، وفي (الحاجبية) ، وفي (تصريف) ابن الحاجب ، وفي تمرين التصريف ، وفي كتب الحكمة مثل (الملخص) لفخر الدين ، وفي كتب الطب ، وفي كتب الهجاء ، وفي أشياء غير ذلك .

وكان يومئذ يتوب عن القاضي زين الدين الشافعي ، وعن القاضي ناصر الدين بن العديم الحنفي ، ومع ذلك كله يحكم بين الناس ، وإذا فرغ من الحكم سبّح ، وكذلك في التعليم إذا قرأ الطالب اشتغل بالسبحة .

وصنف (شرح الشامل الصغير) ^(٣) و (شرح التعجيز) و (شرح مختصر) ابن الحاجب و (شرح البديع) لابن الساعاتي ^(٤) . وله في الفرائض نظم ، وشرحه في مجلد . ومصنف في المناسك ، وفي اللغة ، و (شرح الحاوي) في الفقه فيما أظن . وتلا عليه بالسبع محتسب حلب نجم الدين بن السفاح الحلبي ^(٥) ، والشيخ علي السرميني ، وجمال الدين يوسف بن حسن التركاني ، وأحمد بن يعقوب ^(٦) ، ولم يكمل . وتولى قضاء قضاة حلب الشافعية في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

(١) في (س) : « الصواب من الخطأ بين » .

(٢) كذا ، ولم يستبن مراده .

(٣) الشامل لأبي نصير عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الشافعي (ت ٤٧٧ هـ) ، قال ابن خلكان : هو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلاً . الكشف : ١٠٢٥/٢ .

(٤) اسم الكتاب : بديع النظم ، ومؤلفه : أحمد بن علي البغدادي ، ويعرف بابن الساعاتي (ت ٦٩٤ هـ) ، الكشف : ٢٣٥/١ .

(٥) عمر بن يوسف ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) الصابوني ، سلفت ترجمته في موضعها .

ثم إن السلطان طلبه وطلب ولده إلى مصر ، فلما مثلاً بين يديه رَوَّعها الحضور
قدامه ، لكلام أغلظه لها ، فنزلاً مرعوبين ، ومرض بالبيارستان المنصوري بالقاهرة ،
ومات ولده قبله ، وتوفي هو رحمه الله بعده بيوم أو يومين ، مدة المرض دون الجمعة .
وكان قد ولي حلب عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب .

وكنيت قلت فيه :

غداً ابنُ خطيب الرِّي للناس آيةً فضائلةٌ منها البدور تمامٌ
وفي حلبٍ قاضي القضاة نظيره ففخرهما يسمو وليس يُسام
كما اشتركا في ابن الخطيب إضافة ولكنّ ذا قاضٍ وذاك إمام
ومن شعره في مقامة :

تأمل تر حالي بديعاً وقصّتي وأنعم - رعاك الله - فكرك في أمري
حويت الذي رزق الخلائق كلّهم وأحكمهم طول الزمان به تجري
ولو رمت مما في يد الناس حُبّه عجزت ولم أبلغ مرامي مدى عمري
ومنه في مروحة :

وخادم ما مثلها خادمٌ بكّل معنى حُسنٍ توصفُ
يروق من يبصرها حُسنها أخلاقها محبوبةٌ تؤلفُ^(١)
لباسها الوشي وفي حجرها عودٌ لها وهي به أعرفُ
يحرّك الأرواح ترويحها ويشفي المكروب إذ تطرفُ^(٢)
ومنه :^(٣)

(١) في الأصل : « يرزق من » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في (س) : « حين تحريكها » .

(٣) الأبيات الثلاثة الأولى في تذكرة النبيه .

وقائل ما الذي ترجوه حين ترى
وما الذي أنت يا مسكين قائله
فقلت : توحيد ربّ العرش مدخري
والقول فاسمّع رعاك الله قول فقي
أمسيت جارك يا من لا يضام له
ومنه في أسماء الولائم :

بوليمة سمّ كلّ دعوة مأكل
ولذي الختان قتلك إعدار وما
وسلامة الحبل من الطلق اجعلا
بنقيعة ووكيرة لعمارة
وسم اليتامى ما لها سبب بما
بتقييد لكنّ لغير أطلق
للطفل فهي عقيقة بتحقيق^(١)
خرساً لها ولأجل غائب انطق
ووضيعة لمصيبة بتصدق
دبة وخدّ يا صاح قول محقق^(٢)

قلت : لا بأس بتصحيح ألفاظ هذه الولائم خوفاً من التصحيف : فطعام الختان « إعدار » وهو بالعين المهملة والذال المعجمة والراء ، لأن العرب تقول تقول عذرت الغلام إذا خنته . وطعام المولود في اليوم السابع « عقيقة » ، بعين مهملة وقافين وهو مشهور . وطعام سلامة الحبل من الطلق « خرّس » ، بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها سين مهملة ، تقول العرب فيه : خرّسه .

وطعام الغائب إذا قدم من سفره « نقيعة » بنون مفتوحة وقاف مكسورة^(٣) وياء آخر الحروف ساكنة وعين مهملة مفتوحة .

(١) طمس في الأصل ، وأثبتناها عن (ز) ، (س) ، وأعلام النبلاء ، وفي الأخير « ولدى » بالذال المهملة .

(٢) كذا في الأصل . وفي أعلام النبلاء : « وسم اللتيا ماها .. » .

(٣) طمست في الأصل ، وأثبتناها عن (ز) ، (س) .

وطعام الدار إذا فرغت عمارتها « وكيرة » بفتح الواو بعدها كاف وياء آخر الحروف وراء بعدها هاء .

وطعام المصيبة^(١) « وضية » بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وبعدها ميم [وهاء]^(٢) .

والطعام بلا سبب « مأدبة » بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء على وزن « مأزبة » ، فإن كانت المأدبة عامة فهي « الجفلى » بفتح الجيم والفاء واللام وبعدها ألف مقصورة ، وإن كانت المأدبة خاصة لقوم بأعيانهم « النقرى » بفتح النون والقاف والراء وبعدها ألف مقصورة .

ومن شعر الشيخ فخر الدين في أسماء خيل الحلبة :

أسامي خيول الحلبة اعلم أنها لمن عدها عَشْرَ فخذٍ قولَ واصف
مَجَلٌّ مُصَلٌّ قُلُّ مُسَلٌّ لثالث ورابعها التالي وخمُسٌ بعاطف
وسَبْدَسٌ بمرتاح حظيٍّ مؤمِّل لطيم سَكَيْتِ فارِهِ غير خائف
وخَذَّهَا على الترتيب والفَسْكَال السذي يجيء أخيراً فاستمع قول عارف

قلت : لا بأس بتقييد أسماء خيل الحلبة ليؤمن فيها التصحيف :

الأول : « المجلى » ، بضم الميم وفتح الجيم وتشديد اللام .

والثاني : المُصَلِّي مثل اسم الفاعل من الصلاة .

والثالث : المُسَلِّي ، بضم الميم وفتح السين وتشديد اللام .

والرابع : « التالي » ، اسم فاعل من تلا يتلو .

والخامس : « العاطف » بالعين المهملة والألف والطاء المهملة والفاء .

(١) في (ز) ، (س) : « المأتم » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

والسادس : « المُرْتَا ح » ، بضم الميم وسكون الراء وبعدها تاء ثلاثة الحروف وألف وحاء مهملة .

والسابع : « الحَظِيّ » بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المعجمة وتشديد الياء آخر الحروف .

والثامن : « المؤمِّل » بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الميم وبعدها لام .
 والتاسع : « اللطيم » بفتح اللام وكسر الطاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ميم .

والعاشر : « السَكَيْتُ » تصغير ساكت ، بضم السين المهملة وفتح الكاف مخففة وبعضهم يشدها ، وسكون الياء آخر الحروف وبعدها تاء ثلاثة الحروف ، وبعض العرب تسميه « الفِسْكِل » بكسر الفاء وسكون السين المهملة وكسر الكاف وبعدها لام .

وقد طول الشيخ فخر الدين رحمه الله تعالى في عد هذه العشرة ، وقد نظمها بعض الأفاضل في بيتين وهما :

أَتَانَا الْمُجَلِّي وَالْمُصَلِّي بَعْدَهُ مُسَلٍّ وَتَالٍ بَعْدَهُ عَاطِفٌ يَجْرِي
 وَمُرْتَا حَهَا ثَمَ الحَظِيّ وَمُؤَمِّل وَجَاءَ اللَّطِيمِ وَالسَّكَيْتُ لَهُ يَبْرِي

١٠٨١ - عثمان بن عمرو*

ابن أبي بكر بن محمد ، الملك العزيز فخر الدين بن الملك المغيث فتح الدين بن الملك العادل سيف الدين بن الملك الكامل ناصر الدين بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن محمد بن أيوب .

أجاز لي بخطه في القاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

سمع من مؤسسة بنت العادل^(١) وجماعة .

* الوافي : ٤٨٩/١٩ ، والدرر : ٤٤٧/٢ .

(١) مؤسسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب (ت ٦٩٣ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٣٧/١٣ ، وفيه :

« مؤنس » .

وحدّث وجمع مجاميع بخطه الحسن . وكان ناظر البيارستان القديم بالقاهرة .
وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .
ومولده بقلعة الكرك سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

١٠٨٢ - عثمان بن محمد*

ابن منيع بن عثمان بن شادي ، شمس الدين بن البُشْطَارِي ، بضم الباء الموحدة
وسكون الشين المعجمة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف راء .
سمع من ابن رَواج ، والمُرسِي ، وسمع منه شيخنا الذهبي .
وكان طيب النعمة يعرف الموسيقى موصوفاً بذلك .
توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة . وعمل المؤذنون عزاءة بدمشق .
وكانت وفاته بقوص .
ومولده بعد الأربعين وست مئة .

١٠٨٣ - عثمان بن محمد بن عثمان**

ابن أبي بكر ، الشيخ المقرئ الفقيه الزاهد مفيد الديار المصرية ، فخر الدين أبو
عمرو المغربي التَّوْزَرِي^(١) ، بفتح التاء ثلاثة الحروف وسكون الواو وفتح الزاي وبعدها
راء ، المصري المالكي المجاور .
سمع من ابن الجَمَيزِي ، وسبط السِّلْفِي . ثم طلب بنفسه سنة نيّف وخمسين وست
مئة .

* الوافي : ٥٠٧/١٩ .

** الوافي : ٥٠٧/١٩ ، والدرر : ٤٤٩/٢ ، وغاية النهاية : ٥١٠/١ ، والشذرات : ٣٢/٦ ، وتذكرة النبیه : ٥٧/٢ .

(١) نسبة إلى تَوَزَر : مدينة في أقصى إفريقية . (معجم البلدان) .

وتلا بالسبع على أبي إسحاق بن وثيق^(١) ، والكمال بن شجاع . وقرأ (صحيح مسلم) على ابن البرهان . وأكثر عن المنذري ، والرشد بن عزّون ، وأصحاب البوصيري فن بعدهم . قرأ (مسند أحمد) و (المعجم الأكبر) للطبراني والدواوين الكبار ، وذكر أنه قرأ (صحيح البخاري) نحواً من ثلاثين مرة . وسمع بقراءته خلق كثير ، وشيوخه نحو الألف .

ثم إنّه أقبل على شانه ، وعرف عواقب زمانه ، فجاور بالبيت الحرام ، وغني هناك بالحطيم عن الحطام ، وتعبّد في مثل ذاك المقام ، وتجدّ فيه والناس ينام ، وحدث بالكثير ، وكان صاحب أصول وله فهم خطير ، ولديه محاضره ، وعنده مذاكرة ومسامره ، وخبرته بالقراءات متوسّطه ، ولكنها غير مُغلّطه .

ولم يزل على حاله إلى أن وصل بعد تسميعه إلى الفوت ، وحُسمت فوائده بمذّيّة الموت .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة .

وكانت له إجازة من ابن المقيّر . وقرأ عليه شيخنا الذهبي بمنى أجزاء ، وأخذ عنه الإمام عبد الله بن خليل^(٢) والناس .

١٠٨٤ - عثمان بن محمد *

ابن عبد الرحيم ، الإمام البارع قاضي القضاة فخر الدين أبو عمرو حفيد قاضي القضاة فخر الدين المحوي بن البارزي الشافعي .

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٥٤ هـ) ، السير : ٣٠٣/٢٣ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل المكي ، سلفت ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٥٠٨/١٩ ، والدرر : ٤٤٨/٢ ، والشذرات : ٩٤/٦ ، وذيل العبر : ١٦٥ ، وتذكرة النبیه :

لحق جده وأخذ عنه وعن عمّه قاضي^(١) القضاة شرف الدين .

وكان ذا دين وصرامه ، وسيرة مشكورة عند الخاصة والعامة ، وكان يحفظ (الحاوي) ويفهمه ، ويُتزل مسائله^(٢) على الرافي ويعلمه . وله إمام كثير بنحو ابن مالك ، وخوض كثير في تلك المسالك .

ولي قضاء حمص وما ساس نواحيها ، فما دخل معهم مدينة الحرمة ولا رأى بواحيها . لا جرم أن القرماني^(٣) ضربه ، ولولا الإنابة قرّمه^(٤) ، وألّهب جمر غضبه عليه وضرّمه . ثم إنه عاد إلى حمّاه ، وأوى منها إلى حمّاه ، وولي بها الخطابه ، وجمع بينها وبين النيايه . ثم إنه تولى قضاء القضاة بجلب ، وأماط عنها العدوان وسلّب .

ولم يزل بها إلى أن مرض مدة وأفاق غير ناصح ، ثم بعد مدّة مات فجأة فما صحّ إلا أنه ماصح^(٥) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وحج غير مرة ، وحدث (بمسند) الشافعي عن ابن النصيبي ، وتفقه به جماعة .

وكان قد مرض مدة وأفاق ، وتوضّأ بعد ذلك في يوم وجلس في مجلس حكمه ينتظر صلاة العصر فمات فجأة .

وكان بمحمص والأمير سيف الدين أرقطاي بها نائب ، فجرى بينهما يوماً كلام ،

(١) في الأصل : « وأخذ عنه عنه وعن قاضي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والواقي .

(٢) في (س) : « سائله » ، تحريف .

(٣) بدر الدين بكتوت ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) القرم : القشر ، والتقطع .

(٥) مصح : ذهب وانقطع .

فأساء الأدب على النائب ، فصبر له واحتمله ، ولما جاء القُرْماني إلى حمص نائباً جرى بينهما كلام ، فأساء الأدب^(١) ، فبطش به وضربه ، وقال الناس : إنما ضربه الحاج أرقطاي .

وكان توجهه إلى حلب قاضياً في أوائل الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٠٨٥ - عثمان بن محمد بن علي*

فخر الدين أبو عمرو البرّاز مفتي الثغر^(٢) .

١٠٨٦ - عثمان بن محمد بن عبد الملك**

ابن عيسى بن درباس ، فخر الدين الماراني القاهري .

سمع من أبيه ، وحَدَّث . وكان مقبول القول عند القضاة ، وإذا فتح فيه بالشعر قلت : هذا سيف قد انتضاه^(٣) . وهو من بيت حشمة وقضاء ، وقبول عند الناس وارتضاء .

لم يزل على حاله إلى أن سكن منه النَّفس ، وأصبح فيما بين ﴿ عمّ يتساءلون ﴾ و﴿ عبس ﴾^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

(١) ما بين « الأدب » و « الأدب » ، سقط من (س) منقطة عين .

* الوافي : ٥٠٨/١٩ ، والدرر : ٤٥٠/٢ ، وترجمته فيه أوفي مما ههنا .

(٢) (ت ٧١٤ هـ) .

** الدرر : ٤٤٩/٢ .

(٣) في (ز) ، (س) : « نضاه » .

(٤) ما بين السورتين سورة النازعات .

ومن شعره :

كيف المَقَامُ بدارٍ لأراكِ بها وأيُّ مَعْنَى لمغنى لم تكن فيه^(١)
يفديك بالروحِ صبُّ لو حصَّلتَ له وفاته كلُّ شيءٍ كان يكفيه

١٠٨٧ - عثمان بن محمد بن لؤلؤ*

الأمير فخر الدين بن الأمير شمس الدين لؤلؤ .

كان أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق ، جهَّزه الأمير سيف الدين تنكز إلى صفد مشدَّ الدواوين ووالي الولاية عوضاً عن الأمير علاء الدين بن المرواني ، فأقام بها سنتين فأكثر^(٢) ، وطلب الإقالة ، فتوجَّه إلى دمشق وأقام بها أميراً إلى أن توجه ابن المرواني إلى مصر ، فولَّاه تنكز مكانه في ولاية البرِّي في أول شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها مُدَّة إلى أن مرض^(٣) وطلب الإقالة فأقيل .

وتوفي رحمه الله تعالى بعد ذلك بعشرة أيام في رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة^(٤) .

وكان أميراً من خمس عشرة سنة . وكان خيراً ديناً عاقلاً وقوراً ، فيه حشمة وعقل وأدب ، وكان يقيم الثلاثة الأيام والأربعة ما يشرب فيها ماء ، ويعمل بيده عدَّة صنائع ويُزركش ويطرز ويعمل الكشاتوين .

١٠٨٨ - عثمان بن يعقوب**

ابن عبد الحق ، السلطان أبو سعيد المغربي المريني ، صاحب مراکش وفاس وغير ذلك .

(١) في الأصل : « لمغنى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

* الدرر : ٤٥٠/٢ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، وذيول العبر : ١٩٢ .

(٢) في (ز) ، (س) : « أو أكثر » .

(٣) قوله : « إلى أن مرض » ، ليس في (س) .

(٤) وكانت وفاته عن أربع وستين سنة ، كما في ذيول العبر .

** الوافي : ٥١٦/١٩ ، والدرر : ٤٥٢/٢ ، والشذرات : ٩٦/٦ ، وتذكرة النبيه : ٣٥/٢ ، ٢٢٦ .

كان ذا حِلْمٍ ، وركون إلى السِّلْمِ ، فأهمل أمور الجهاد ، فامتلت عليه بالوبال الرُّبا والوهاد ، وامتدت أفنان الفتن ، وجرى وَيْلُ الوبال وهَتَنَ . وعلا في أيامه أمر الغلاء ، وكادت سنوه تجري على الولاء . إلا أنه كان له نظر في العلوم ، واتصاف يَدْخُلُ [به] في ذوي الفهوم .

ولم يزل في إنكاد إلى أن كاد يفارقه الملك ، ويقع في ورطات ، يرمي بنفسه إلى الهُلْكَ ، إلى أن جاء الأمر الذي لا يُدْفَعُ ، ولا يردّه صاحب^(١) ولا يُمْنَعُ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وله بضع وستون سنة .

وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة ، وملك أخوه [يوسف]^(٢) قبله خساً وعشرين سنة ، لكن بينهما المِلْكَانَ عامر وسليمان ، وخالف على عثمان ابنه عمرو ، وملك سِجْلَمَاسَةَ^(٣) ، وجرت في ذلك أمور يطول شرحها .

وملك بعد عثمان ولده الفقيه العالم السلطان العادل أبو الحسن علي ، الآتي ذِكْرُهُ إن شاء الله تعالى في مكانه .

١٠٨٩ - عثمان بن يوسف*

ابن أبي بكر ، القاضي المحدث الفقيه الورع الصالح فخر الدين أبو محمد النويري^(٤) المالكي .

صحب والده القدوة الزاهد علم الدين ، وتفقّه به وبجماعة ، وأفتى ودرّس ، وكان كثير الحج والمجاورة والتأله والصدق والإخلاص .

(١) في (س) : « حاجب » ، ولها وجه .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) ، ويوسف هذا (ت ٧٠٦ هـ) ، الدرر : ٤٨٠/٤ .

(٣) في الأصل : « سلجاسة » ، تحريف ، وهي مدينة في جنوب المغرب (معجم البلدان) .

* الوافي : ٥٢٠/١٩ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣٤/١ ، والدرر : ٤٥٣/٢ ، والذيل التام : ١٤٧ .

(٤) نسبة إلى النويرية ، من أعمال بهنسة . (معجم البلدان) .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة^(١) .

١٠٩٠ - عثمان أبو عمرو*

الصعيدي ، الحلبي : بفتح الحاء المهملة ، وسكون اللام ، وضم [الباء]^(٢) الموحدة ، وبعدها واو ساكنة ، ونون ، الشيخ الصالح العابد .

كان فيه صدق وتأله ، وتؤثر عنه أحوال وتوجّه وتأثير . أقام مدة ببلدك ، ومدة ببرزة^(٣) .

وكان قانعاً متعافياً ، ترك أكل الخبز مدة سنين عديدة ، وقال إنه يتضرر بأكله .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر المحرم سنة ثمان وسبع مئة ، وطلع الأفرم والقضاة والناس إلى جنازته .

١٠٩١ - عثمان بن أبي النوق**

فخر الدين المغربي .

كان له قدرة على الارتجال ، والبديهة التي يعجز عنها رجاء الرجال ، يكاد أنه لا يتكلم في جميع محاوراته إلا بالشعر الموزون ، والنظم الذي يفرّج به الخزون ، ولما وُصف لي بذل هوئت أمّره ، وقُلت : يكون من يؤرد ثمرة وجمره^(٤) ، فما كان إلا أن

(١) ووفاته سنة (٧٥٦ هـ) ، وثمة اختلاف في سنة ولادته ، ففي بعض المصادر (٦٦٣ هـ) .

* الوافي : ٥٢٠/١٩ ، والبداية والنهاية : ٤٨/١٤ ، والدرر : ٤٤٢/٢ ، والملوك : ٥٠/١/٢ ، والشنرات : ١٧/٦ ، وذيول العبر : ٤٢ . وهو عثمان بن عبد الله .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) برزة : من أحياء دمشق اليوم .

** الوافي : ٥٢١/١٩ ، والدرر : ٤٥١/٢ .

(٤) الجمرة : الحصا .

رأيته بالجامع الأموي في ليلة نصف شعبان وهو واقف يُنَضِّضُ^(١) بلسانه مثل الشعبان والناس في ذلك الأمر المريج ، وكأنَّ صحنَ الجامع بذلك الوقيد أزهَر الروض البهيج ، فقلت له : يامولانا أنشدنا شيئاً من شعرك ، واقذف لنا قليلاً من لآلئ بحرك ، فأنشدني من وقته في الحالة الراهنة أبياتاً جملة^(٢) ، أتى بها سرّداً من أول وهله ، كأنما كان قد بيّتها لذلك ، أو سهر فيها لَيْلَةَ الحالك ، ومعناها تشبيه ذلك الوقيد والاشتعال ، ووصف ما للناس به من الاحتفال والاشتغال ، وتشبيه القومة^(٣) وحركاتهم ، وترقيهم في درجاتهم ، وانخطاطهم في دركاتهم ، بحيث لو وصف في ذلك لما صدقت ، ولا ارتقى بي الظن إلى ذلك ولا حلّقت ، فما كدت أقضي عجبى منه ، ووددت أنني لم أنفصل عنه . ثم إنني اجتمعت به بعد ذلك في جامع حلب ، وكان الأمر على ذلك الأنموذج الذي مضى وذهب .

وأخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : رأي مرة وبين يدي كتاب له فاتحة ذهب ، فأنشدني كأنه يتحدث :

أراك تنظر في شيء من الكتب وفي أوائله شيء من الذهب
لو شئتَ تصرّفتَ تقدماً من فواتحه صرّفتَ منه دنائراً بلا ريب
قال : فوهبته الكتاب ، وأنشدته :

خذه إليك بما يحوي من الذهب ففي ندي السحب لا يخشى من اللهب
واضمم يدك عليه لا تمزقه فإنه ذهب من معدن الأدب

(١) أي : يحرك .

(٢) عبارة الوافي : « فأنشدني في الحالة الراهنة من غير فكر ولا روية ثلاثة أبيات في الجامع ، والقناديل التي علقت به لأجل النصف وذكر القومة » .

(٣) القومة في الأصل حرسة القبور ، وكانت تفرق عليهم الحلوى في المولد النبوي الشريف ، والظاهر أن المصنف أراد هنا القائمين بالذكر في الاحتفالات الدينية .

قال : وكتب إليّ يتقاضاني عليقاً لفرسه ، وشيئاً يُنفقه :

دموع كُيتي على خـدّه من الجـوع يطلبُ مني العلفُ
وليس معي ذهبٌ حـاضِرٌ ولا فِضَّةٌ وعلَيَّ الكلفُ
ولي منك وَعْدٌ فعجّلْ به فَنَ أنجز الوعدَ حاز الشرفُ
ودُمّ وتَهَنّ بشهر الصيـا م بوجّهٍ هـلْ وكفّ تكفُّ

فبعثت إليه الشعر والنفقة ، وكتبْتُ إليه الجواب :

مسحتُ بكَيّ ثُمـوعَ الكميـت وقلت له قد أتاك العلفُ
ووافي إليك جديـدُ الشـعير لعلَّ يُداوي سقام العجفُ
وفي كُـم سائـقـه صـرّة تسرُّ لتخفيفِ ثقل الكلفُ
فإياك تحسبها للوفـا فإني بعثتُ بها لِسلفُ

وكان يقصُّ ما ينظمه في الورق قصّاً مليحاً محكماً جيداً بالنقط والضبط ، ولكن أوضاعه على عادة المغاربة في كتابتهم .

ونقلت من قصّة قوله :

إلى الحرّ الحسيب إلى عليّ علاء الدين ذي الحسب العليّ
إلى مَنْ جوّدَه عمّ البرايا وفاق مكارمها لكريم طي
إلى مَنْ قَدَّرَه فاق البرايا وزاد علأ على الأفق السّمي^(١)

وكان اجتماعي به في الجامع الأموي سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، أو في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، واجتماعي به في حلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، وتركته وهو يعمل مجلساً يفسر فيه القرآن ، وكان ذلك آخر عهدي به .

(١) في الوافي : « فاق الثّـا » .

١٠٩٢ - عثمان*

المعروف بالدُّكالي ، بضم الدال المهملة ، وكافٍ بعدها ألف ، ولام ، الصوفي ، من فقراء الشُّمِسَاطِيَّة .

كان يتردد إلى الناس ، ويجتمع بطائفة من العوام والأدناس ، فاستخفّ منهم جماعه ، وألقى إليهم من الكلام ما ذِكرُهُ للزَّمان أضاعه ، وسلك بهم شيئاً من الطرائق الباجر بقیّه ، فإنه كان عنده منها بقيّة غير نقيّة ولا تقيّة ، وقال لهم : أنا أدلكم على الطريق إلى الله عز وجل ، وخالف القواعد الشرعية فضلّ أو أضلّ ، وتبعه شُرذمة قليلة ، وطائفة أدّهانهم عن قبول الصواب كليله .

ولم يزل على حاله ، واستمراره على غيّه وضلاله ، إلى أن فصل السيف رأسه من بدنه ، وأراح الناس من فِتْنَتِهِ ، وذلك في حادي عَشْرِي القعدة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولما شاع أمره أمْسِكْ واعتَقِلْ ، وأحضر في دار العدل ثلاث مرات في أيام الأمير علاء الدين الطنبغا ، وأدّوا عليه شهادات عجيبة ، ولم يعترف بشيء ، ولما كان يوم الثلاثاء أُحْضِرَ في زنجير وبلاس شعر ، وحضر الشيخ جمال الدين المِرْزِي والشيخ شمس الدين الذهبي وجماعة ، وشهدوا عليه بالاستفاضة عنه أنه قال ما ادّعي عليه به ، فحكم قاضي القضاة شرف الدين المالكي بإراقة دمه ، فضربت رقبتَه في سوق الخيل ^(١) ، ولم يكن ذلك رأي النائب الطنبغا ولا رأي قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، ولكن أمر الله تعالى نفذ فيه .

حكى لي قاضي القضاة تقي الدين ، رحمه الله تعالى قال : قال لي الأمير

* الوافي : ٥٢١/١٩ ، والدرر : ٤٤١/٢ ، وفيه : « عثمان بن عبد الله » .

(١) انظر في تفصيل ذلك : البداية والنهاية : ١٨٩/١٤ .

علاء الدين الطنبغا : لما كانت ليلة الثلاثاء فكرت^(١) في أنهم يحضرون عثمان الصوفي وأبتلش بأمره ، وقصدت دفع أمره عني ، فقلت : غداً ما أعمل دار عدل ، وأركب بكرة وأروح ، فلما أصبحت أرسل الله عليّ النوم ، فمت إلى أن طلع النهار وتعالى ، فدخلوا إلي وقالوا : إن القضاة والحجّاب والجماعة حضروا وهم في انتظارك ، فالتزمت بعمل دار العدل ذلك النهار ، أو كما قال .

وحكى لي هو عن نفسه ، رحمه الله تعالى قال : أردت وأنا خارج من دار السعادة أن أقول لنقيب المتعممين أن يتوجّه إليهم ويقول لهم ألاّ يعجلوا في أمره ، فأنساني الله ذلك إلى أن فرط فيه الأمر ، أو كما قال .

ولم أر أنا أثبت جناناً منه ولا أملك لأمر نفسه ، لأنني كنت حاضر أمره في الثلاثة أيام .

١٠٩٣ - عثمان *

ابن الإمام العالم القاضي فخر الدين المعروف بابن علم .
كان شيخاً فقيهاً محدثاً ، له اشتغال بالقاهرة وتحصيل ، وولي قضاء الخليل مدة ، ثم تركه لولده وسكن الرملة ، وكان له بها ميعاد وحلقة إشغال ، وله معلوم على ذلك .
توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين سلخ المحرم سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .
وهو والد القاضي برهان الدين قاضي الخليل .
وكانت وفاة فخر الدين بالخليل ودفن بمقبرة البلد .

١٠٩٤ - عثمان **

الشيخ المنيني الصالح المعروف بالقريري ، بضم القاف وفتح الرّاء الأولى ، وبعدها ياء [آخر] الحروف ساكنة وراء ثانية مكسورة .

(١) في الوافي : « أفكرت » .

* الدرر : ٤٤٢/٢ .

** لم نقف على ترجمته .

كان رجلاً مباركاً صالحاً . لما اشتد الأمر بأهل بَعْلَبَكَ زمن غازان ، وكانت بعلبك مفتوحة الأبواب ، فلما نازلها « بولاي » ^(١) غلّقت أبوابها ، قال القاضي محيي الدين بن فضل الله : فتوجهنا لزيارته ، فوجدنا قطب الدين اليونيني خارجاً من عنده ، فقال لنا : دخلت على الشيخ فلم يكلمني ووجدته مفكراً ، فلم أجلس ، والرأي أن ترجعوا ، فإن هذا رجل له بادرة فقلنا : لا بد أن ندخل فدخلنا ، قال : فالتفت إلى وقال : يا محيي الدين ، لأي شيء غلّقت أبواب المدينة ؟ فقلت له : يا سيدي ، خوفاً من بولاي ، فإنه قد جاء ونزل عليها ^(٢) ، وربما أنه يريد أن يحاصرها ، قال : فغضب الشيخ غضباً شديداً ، واحمرّت عيناه ، وجثا على ركبتيه ، وطلعت الزبدة من فيه ، حتى ظنناه سبّعاً يريد أن يفترسنا ، وبقي على هذه الحالة هنيئة ، ثم قال : وعزة العزيز ، طَرَسْهُمْ رَجُلٌ طَرُشَةٌ بدّد شملهم . وفتح يديه يُمْنَةً ويسرة ثم سُرّي عنه . وقال : قل لهم يا محيي الدين أن يفتحوا الأبواب : قال : فقمنا وفعلنا ما قال ، فباكرنا الخبر في اليوم الثالث برحيل غازان عن دمشق في الساعة التي قال فيها الشيخ عثمان ماقال .

وتوفي الشيخ القريري في سنة ثمان وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

- ☆ ابن العجمي : [الخطيب] شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن . وأخوه الشيخ عز الدين عبد المؤمن . وشمس الدين أحمد بن محمد .
- ☆ شمس الدين العجمي : عبد اللطيف بن خليفة .

(١) هو بولاي النوين التتري ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

☆ وكان الدين بن العجمي : عمر بن محمد .

☆ وابن العجمي الحنفي المدرس بالإقبالية : محمد بن عثمان . وشهاب الدين بن محمد بن عبد الرحمن . وبهاء الدين يوسف بن أحمد . وتاج الدين يوسف بن إسماعيل .

١٠٩٥ - عدنان بن جعفر*

ابن محمد بن عدنان الشريف ، شرف الدين بن الشريف أمين الدين بن محيي الدين الحسيني بن أبي الجنّ تقيب الأشراف بدمشق .

تقدم ذكر والده وعمه ، وسيأتي ذكر جدّه في المُحمّدين إن شاء الله تعالى .

لبس تشریفه عوضاً عن والده بطرّحة في تاسع شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة وهو شاب ، فقُدّم على غيره لعقله وفهمه وأهليته لذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في عشية الأربعاء تاسع عشرين المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابرهم عند مسجد الذبان ظاهراً بدمشق^(١) وعمره اثنتان وأربعون سنة .

الأنساب والألقاب

☆ ابن عدنان : محمد بن أحمد .

☆ ابن العدّيّسة : محمد بن علي .

☆ ابن العديم : عبد العزيز بن محمد . وناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز .

☆ ابن عَرّام : بهاء الدين أحمد بن أبي بكر .

* الدرر : ٤٥٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٠/٢ .

(١) خارج باب الجاية ، الدارس : ١٨١/٢ .

- ☆ ابن بنت العراقي : عبد الكريم بن علي .
- ☆ العزّازي التاجر الشاعر : أحمد بن عبد الملك . وبدر الدين محمد بن عثمان .
 وولده فخر الدين عثمان بن أبي الوفاء .
- ☆ ابن العزّ الحنفي : محمد بن محمد ، وجمال الدين يوسف بن محمد .
- ☆ ابن العز عمر : بهاء الدين علي بن عمر .
- ☆ ابن العسّال : أمين الدين فرج الله بن أسعد . وصلاح الدين يوسف بن أسعد .
- ☆ بنو عساكر : جماعة منهم : شرف الدين أحمد بن هبة الله . وفخر الدين
 إسماعيل بن نصر الله . وبهاء الدين القاسم بن مظفر . وبدر الدين محمد بن الحسين .
- ☆ ابن عسكر المالكي : عبد الرحمن بن محمد .
- ☆ العسقلاني : بهاء الدين عبد الله بن محمد .
- ☆ العشاب المُحدّث : أحمد بن محمد .
- ☆ ابن عُصَيَّة قاضي بغداد : أحمد بن حامد .
- ☆ ابن أخت ابن عصفور : محمد بن أحمد .
- ☆ أبو عصيدة صاحب تونس : محمد بن يحيى .

١٠٩٦ - عَضْدُ*

بالعين المهملة المفتوحة ، والضاد المعجمة المضمومة ، والذال المهملة ، الشريف
 الخواجكي ، المعروف بابن قاضي يزدكان ، أحد خواجكية القان بوسعيد .
 أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني الخواجا مجد الدين

إسماعيل السلامي ، أن المذكور كان فيه تسلط على الوزير ومن حول السلطان ، ففكروا في إبعاده ، وحسّنوا لبوسعيد أن يجهزه رسولاً إلى الهند إلى السلطان محمد بن طغلق^(١) ، قال : فجهزه ، فلما وصل إليه أقبل عليه ، وكان يقربه ويُدنيه ويؤثر كلامه ويُسامره ، وأعطاه شيئاً كثيراً إلى الغاية ، ولما كان في بعض الأيام ، قال له : ادخل إلى الخزائن ، فدخلوا به إليها وعرضوها عليه . وقالوا : أمرنا السلطان أنك مهما أردت وأعجبك منها تأخذه ، فأخذ من جميع الخزائن مصحفاً ، فحكوا ذلك للسلطان ، فأحضره وأنكر عليه ذلك ، فقال : السلطان قد أغناني بإحسانه عن جميع ما رأيت ، ولم يكن لي غنى عن كلام الله تعالى ، فأعجبه ذلك منه ، وأمر له بألف ألف دينار فحملت إليه . ولما عاد وقارب البلاد بلغ الوزير الخبر ، فحسّنوا لبوسعيد أن يجعل أحمد^(٢) أميراً لكه - بفتح الهمزة واللام والكاف وبعدها هاء - ومعناه أن يكون له الحكم حيث حلّ من المملكة ، وأن يفعل ما أراد ، فتوجه المذكور إلى أطراف مملكة بوسعيد وتلقى الشريف عضد ، وأخذ منه مبلغ مائتي ألف دينار ، وضرب منها أواني ، وقدم بعضها لبوسعيد أو كما قال .

١٠٩٧ - عطاء الله بن علي *

ابن زيد بن جعفر ، الفقيه نور الدين بن الثقة الحميري الأسنائي .
كان فقيهاً فرضياً ، عدلاً مرضياً ، من كبار الصالحين ، والأولياء الناجحين ،
اقتطع ستين سنة في مكان ، لا يخرج منه إلا للصلاة إذا سمع الأذان ، ولا يملك شيئاً من الدنيا ، ولا يرغب إلا فيما في المنزلة العليا .
ولم يزل على حاله إلى أن خانت الليالي لابن الثقة ، وحانت من المنايا صعود العقبة الزلّقه .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) كذا ، وثمة بياض بمقدار كلمة أو كلمتين في النسخ .

* الطالع السعيد : ٣٦١ ، والدرر : ٤٥٥/٢ .

فتوفي رحمه الله تعالى بأسناني سنة ثمان عشرة وسبع مئة . ووقع يوم موته مطر عظيم .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأذفوي : أخبرت أنه قال : أنا أموت في هذا النهار ، فإن والدي أخبرني أنني ولدت في يوم مطر عظيم .

وقال : أخبرني جماعة أنه لما قدم نجم الدين بن مَلِي^(١) إلى أسنا اجتمع به وتكلم معه في الفرائض والجبر والمقابلة ، فقال : ما ظننت أحداً في كَيَّان^(٢) الصعيد بهذه المثابة .

وكان رحمه الله تعالى سليم الصدر جداً ، قال : قال لي صاحبنا علاء الدين الأصفوني^(٣) : قلت له مرة : يا سيدنا ، أبو بكر المؤذن طلق زوجته ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قلت له : لكن صارت بكراً كما كانت ، فضحك وقال : فتبول من أين ؟

وجمع دراهم ليحج بها ، وأقام سنين يجمعها فسرقت ، فقصد الوالي أن يمسك إنساناً بسببه فلم يوافق .

قال : وحكي لي عنه أنه كان يقول : الجنّ في الليل يسكون إصبعي ، ويقولون : هذا إصبع عطاء الله !

وأخذ علمه من الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي ، وأقام بالمدرسة الأفرميّة التي بأسنّا ستين سنة تقريباً [منقطعاً]^(٤) لا يخرج إلا للصلاة في مسجد له أو لضرورة ، وليس عنده إلا عمامة وفوقانية طاقية^(٥) وفروة وشملة .

(١) في الدرر : « مكي » ، وهو كذلك في ترجمته في الطالع السعيد : ١٢٥ ، هو أحمد بن محمد بن مكي القمولي .

(٢) في الدرر : « كتاب » .

(٣) في الطالع السعيد : « الأصفوني » .

(٤) زيادة من (ز) .

(٥) في الدرر : « طاق » . وفي الطالع : « طاق » .

الألقاب

☆ ابن العطار : جماعة منهم : شرف الدين إبراهيم بن أحمد . كمال الدين كاتب الإنشاء أحمد بن محمود . والشيخ علاء الدين بن العطار علي بن إبراهيم بن داود . وبدر الدين محمد بن أحمد .

☆ ابن عطاء السكندري : تاج الدين أحمد بن محمد .

☆ ابن عطايا : سعد الدين الوزير محمد بن محمد .

☆ الشريف عطوف : محمد بن علي .

☆ ابن عطية : عطية بن إسماعيل .

١٠٩٨ - عطية بن إسماعيل

ابن عبد الوهاب بن محمد بن عطية بن المسلم بن رجا اللخمي الإسكندراني المالكي ، العدل الكبير جمال الدين أبو الماضي بن مكين الدين .

سمع (كرامات الأولياء) من مظفر بن الفوّي ، وتفرد بذلك . وكان والده من أصحاب الصّفاوي^(١) وجده ، وروى عن الحافظ ابن المفضل^(٢) ، وجدّه عطية أخو أحمد يروي عن أبي بكر الطرطوشي^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وقد زاد على الثمانين شهراً .

* الدرر : ٤٥٦/٢ ، والسلوك : ١٤١/١/٢ ، وذيول العبر : ٨١ .

(١) عبد الرحمن بن عبد الحميد بن إسماعيل (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) علي بن المفضل بن علي اللخمي (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٦٦/٢٢ ، والشذرات : ٤٧/٥ .

(٣) في الأصول : « الطرطوسي » ، تحريف . وهو محمد بن الوليد بن خلف (ت ٥٢٠ هـ) ، السير : ٤٩٠/١٩ ، وطرطوش : بلدة في الأندلس .

الألقاب

☆ ابن العفيف : الكاتب محمد بن محمد .

☆ أولاد ابن عقبة : جماعة منهم : القاضي صدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عقبة .
وصدر الدين يعقوب بن إبراهيم .

☆ العقيمي : جمال الدين عمر بن إبراهيم .

١٠٩٩ - علي بن إبراهيم *

ابن الخطيب يحيى بن عبد الرزاق بن يحيى ، العدل المسند مؤيد الدين أبو الحسن الزبيدي بضم الزاي ، المَقْدُسي ، ثم الدمشقي ، ابن خطيب عقربا .

سمع من جدّه ، ومن الناصح ابن الحنبلي ، وابن غسان ، والإربلي ، وابن اللّتي ، والقاضي ابن الشيرازي ، وسالم بن مصري ، ومحمد بن نصر القرشي ، وحجّ قسّم بالمدينة من النجم بن سلام^(١) .

كان ديناً متواضعاً ، ولي مخزن الأيتام ، وناب في نظر الجامع وغير ذلك ، وشهد على القضاة .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة .

١١٠٠ - علي بن إبراهيم بن داود **

الشيخ الإمام المفتي الحدّث الصالح ، بقية السلف ، علاء الدين أبو الحسن بن

* العبر : ٤٠١/٥ ، والشذرات : ٤٥٠/٥ .

(١) هو الحسن بن سالم بن علي (ت ٦٤٢ هـ) ، الوافي : ٣٦/١٢ .

** البداية والنهاية : ١١٧/١٤ ، والدرر : ٥/٣ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، والدارس : ٥٢/١ ، وتذكرة النبيه : ١٤٧/٢ ، وذيول العبر : ١٣٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦١/٩ .

الموفق العطار بن الطبيب الشافعي ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس القوصية والعلمية^(١) .

حفظ القرآن ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعبد العزيز بن عبد^(٢) ، والجمال ابن الصيرفي^(٣) وابن أبي الخير ، والمجد محمد بن إسماعيل ابن عساكر ، والعماد محمد بن صصرى ، وابن مالك شيخ العربية ، والشمس ابن هامل ، وأبي بكر محمد بن النشبي ، وخطيب بيت الآبار ، ومحمد بن عمر ، والقطب ابن أبي عصرون ، وأحمد بن هبة الله الكهفي^(٤) ، والكمال بن فارس المقرئ ، والشيخ حسن الصقلّي ، والفقهاء زهير الزرعي ، والقاضي أبي محمد بن عطاء الأذري ، ومدللة بنت الشيرجي ، وإلياس بن علوان^(٥) المقرئ وغيره .

وسمع بمكة من يوسف بن إسحاق الطبري ، وأبي اليمّ بن عساكر . وبالمدينة من أحمد بن محمد النصيبي . وبالقدس من قطب الدين الزّهري^(٦) . وبنابلس من العماد عبد^(٧) الحافظ . وبالقاهرة من الأبرقوهي ، وابن دقيق العيد .

وعمل له شيخنا الذهبي (معجماً) بلغ أشياخه فيه مئتين وسبع وعشرين شيخاً .

وسمعه الشيخ كال الدين بن الزملكاني بقراءته سنة سبع وتسعين ، وابن الفخر ، وابن المجد ، والمجد الصيرفي ، والبرزالي ، والمقاتلي .

(١) شرقي جبل الصالحية ، بناها الأمير علم الدين سنجر . الدارس : ٤٢٩/١ .

(٢) عبد العزيز بن عبد المنعم بن الحضر ، ويعرف بالكمال بن عبد (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٢٩٩/٥ .

(٣) يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣٢١/٥ . ووقع في الأصل : « عبد العزيز بن عبد الجمال وابن الصيرفي » ، وهو خلط ، صوابه ما في (أ) ، (ز) .

(٤) أحمد بن هبة الله بن أحمد السلمي الكهفي (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٥/٥ ، والشذرات : ٣٣٤/٥ .

(٥) إلياس بن علوان بن ممدود الإربلي (ت ٦٧٣ هـ) ، غاية النهاية : ١٧١/١ ، ووقع في الأصل (و س) : « علوي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وغاية النهاية .

(٦) عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم (ت ٦٨٧ هـ) ، النجوم الزاهرة : ٣٧٨/٧ .

(٧) في الأصل : « ابن عبد » ، سهو .

وكان فقيهاً أفق ودرّس ، وركب الجادة في العلم وألج وعرّس ، وجمع وصنف ، ونسخ الأجزاء وآلف ، ودار مع الطلبة ووطّف^(١) . وكان فيه زهد ، وورع بلغ الجُهد ، وتعبّد وأمر بالمعروف على زعارة أخلاقه ، ومراة في مذاقه . وكان قد صحب الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ، واشتعل ذهنه عليه اشتعالا ، وتفقه عليه ، وحفظ (التنبيه) بين يديه . وكان له محبّون وأتباع ، وسوق نافقة^(٢) فيها تُطلب وتباع .

وأصيب رحمه الله تعالى بالفالج سنة إحدى وسبع مئة ، وكان يُحمل في مِحْفَه ، ويكون فيها جالسا مُرفّه ، ويُدار به كذلك إلى الجامع والمدارس ، ويمارس حامله ما يُمارس .

ولم يزل على حاله إلى أن التقى عمله ، وأعطاه الله من جوده^(٣) أمّله .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده يوم الفطر سنة أربع وخمسين وست مئة .

رأيته غير مرّة ولم أسمع منه ، لكن حصلت بركة رؤيته لا روايته .

وعقد يوماً مجلس بمشهد عثمان في أيام الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى فطلب العلماء والفقهاء ، وغصّ المجلس بالأعيان ، فما كان إلا أن جاء الشيخ علاء الدين بن العطار وقد حمله اثنان في محفته على عادته ، فلما رآه الشيخ كال الدين بن الزملكاني وقد دخلا به ، قال : أيش هذا ؟ من قال لكم تأتون بهذا ، وردّه تنكز إلى برا ، وجلس خارج الشباك ، إلا أن ابن الزملكاني لحق كلامه بأن قال : قلنا^(٤) لكم تحضرون العلماء ، ما قلنا لكم تحضرون الصلحاء .

(١) أصل الوطف : انهيار المطر ، والإكثار من الشيء .

(٢) في (أ) : « سوق نافقة بضائعه غير ضائعة .. » .

(٣) في الأصل : « جود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في (ز) : « نحن قلنا » .

قلت : على كل حال كَسَرَ خاطره .

وكان يكتب بيده اليسرى . وكان قد حج غير مرة ، وكان في شهر ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة في بعض الفتاوى الصادرة عن الشيخ علاء الدين بن العطار ، وأن فيها تخبيطا ومخالفة لمذهب الشافعي ، وأنه ينبغي للفقهاء والقضاة النظر في ذلك ، وتوجهوا إلى الحكام ، فحضر جماعة إلى ابن العطار وقالوا : إنهم قد هيئوا شهادات يشهدون بها عليك ، فبادر هو إلى القاضي الحنفي ، وصورت عليه دعوى ، فحكم بإسلامه وحقق دمه وبقاء جهاته عليه ، ونفذ حكم ذلك ، فلامه أصحابه على عجلته ، فأحال الأمر على مَنْ ثقل ذلك ^(١) فأنكروا ، ووصلت القضية إلى الأفرم فأنكر ذلك ، وغَضِبَ لحصول الفتن بين الفقهاء ، وأحضر ^(٢) ابن النقيب وجماعة ، ورسم عليهم بالقصر أربع ليال ، وأحضروا بدار العدل وسعدوا ، فأطلقوا بعد ذلك .

١١٠١ - علي بن إبراهيم التُّجاني البجلي*

أخبرني العلامة أثير الدين قال : المذكور أستاذ بتونس يُقرأ عليه النحو والأدب ، قدم علينا حاجاً ، وأنشدنا بالقاهرة لنفسه :

إن الذي يروي ولكنّه يجهل ما يروي وما يكتب
كصخرةٍ تنبعُ أمواهُها تسقي الأراضى وهي لا تشرب

قال : وأنشدنا وكان الممدوح قد وهبه مالا عوناً على الحج :

ياسيداً قامت لدهري به على الذي تُعْتَبِه الحُجَّة
جودك للناس ربيعٌ ولي منه ربيعان وذو الحُجَّة

(١) في (أ) : « ذلك إليه » .

(٢) في الأصل : « وأحضروا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

* لم تقف على ترجمة له .

١١٠٢ - علي بن إبراهيم بن عبد المحسن *

ابن قرناص علاء الدين الحَزَاعي الحُموي الشافعي ، ابن قرناص .
أخذ عن جماعة ، ونسخ ، وقرأ على الشيوخ ولم يكثر . سمع بمصر من ابن خطيب
المزة ، وبدمشق من شرف الدين بن عساكر .
وكان فصيح القراءة ، قليل الدربة بالرجال ، وله نظم .
توفي رحمه الله تعالى ثالث عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بدمشق .
ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .
ومن شعره ... (١)

١١٠٣ - علي بن إبراهيم بن علي **

ابن معتوق بن عبد المجيد بن وفا ، علاء الدين أبو الحسن الواسطي الأصل
البغدادى المنشأ ، الواعظ المعروف بابن الثردة ، بالثناء المثلثة والراء والدال .
قدم إلى دمشق مراتٍ ووعظ بها ، وأخذ من فضتها وزهبا ، ولكنه في المرة
الأخيرة تغيرت حاله ، وتغبت سماء عقله وغزَّأله (٢) ، فالتحق بعقلاء المجانين ، وسلك
من الهذر في أفانين ، وكان يثوب إليه عقله في بعض الأوقات ، وتكون مناديمته ألدَّ من
الأقوات ، فينشد الأشعار الرائقة له ولغيره (٣) ، ويبذر الحبَّ لسقوط طيِّره ، ثم يعاود
الاختلال والاختلاط ، وينخل (٤) ، إذ ينخل من الرباط . رأيتُه في هذه الحالة وهو

* الدرر : ٧/٣ ، وتذكرة النبيه : ٥١/٢ .

(١) كذا بياض في الأصل . وأورد صاحب التذكرة بعض شعره .

** فوات الوفيات : ٤٦٣/٢ ، والدرر : ٨/٣ ، وفيات ابن رافع : ٢٨٩/١ .

(٢) أي : وشمسه .

(٣) وقد أورد له صاحب الفوات طرفاً صالحاً من نظمه شعراً وموالياً وموشحات .

(٤) أي : يدعي .

يجاري القاضي شهاب الدين بن فضل الله بيتاً فبيتاً ، ويسبق إلى نظم البيت حتى إخاله كُميتاً .

وابتدأ بعمل كارة^(١) صغيرة يحملها تحت إبطه ، ويجهده عليها بكل جهده وضبطه . وهو يزيدُها في كل يوم مما يراه مُطرحاً في الطُّرُق ، إما خيطاً أو حبلاً ويديره عليها كالنُّطق ، وتلك في كل يوم تنو وتزيد ، وهو يقاسي من حملها العذاب الشديد ، حتى إنه يكون في الطهارة وهو يكابد حملها ، وما ينكر خَمْلُها^(٢) . ولما كان آخر وقت ضعف عن حملها فألقاها^(٣) ، وعجز عن ضمِّها ومعالجة شقاها .

وأصبح ابن الثُّردة طعامَ الدود ، وشخصه المنتصب وهو تحت الأرض ممدود .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالبيارستان النوري في أول شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة .

وسأله عن مولده ، فقال : في ثاني عَشري شعبان سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان في هذا الاختلاط يدَّعي أنه كانت له ببغداد كتبٌ تقدير الألفي مجلد^(٤) ، وأن جماعةً من التجار الذين قدموا إلى دمشق اغتصبوها وأخذوها منه ، ولم يلق مَنْ يساعدُه على ذلك .

وكان ذلك من مخيَّلة السوداء ، فساءت حاله وأضرَّت به ، وأخذَه الولع الزائد في هذه الكارة ، ويطلبها الناس منه فيقول : لو دُفع لي فيها ألف دينار ما أبعتها^(٥) . وكان قد أتى إلى بعض الحكَّام وادَّعى عنده ، وهو في هذه الحالة ، على التَّجار الذين

(١) الكارة : ما يصرَّ بها .

(٢) أي : ما يسببه حملها من آلام في المفاصل .

(٣) في (ز) : « فألقاها » ، تصحيف .

(٤) في (أ) ، والفوات : « ألفي مجلدة » .

(٥) في الفوات : « لو دفع لي فيها ملك مصر ما أبعتها » .

أخذوا كتبه ، فقال له القاضي : يا شيخ علاء الدين ، قولك دعوى ، ألك بينة تشهد بذلك ؟ فقال له : كيف يكون لي بينة ، وقد صفعوك منها بمئتي مجلد ، يعني دفعوها برطيلاً ، فضحك القاضي والحاضرون منه .

وعلق عني أشياء من نظمي ، وعلقت عنه . وقال لي يوماً : أنشدني هذين البيتين اللذين لك في الجنس ، وأنا قد حفظتهما ، ولكن أشتهي أسمعها منك لأرويهما بالسماع . فأنشدته لنفسه :

أتاني كتاب فيه أن محبتي تلاشت - كما قيل - أي تلاشي
فيا قبح ما قد ضم جانب طرسه فضائح واش في فضاء حواشي

وكان إذا دفع^(١) إليه أحد شيئاً من دراهم أو غيرها يقول : من أنت ؟ أظن عندك شيء^(٢) من كتي ، فأنت تبرطلني على ذلك . ولا يقبل لأحد شيئاً .

وكنت أراه فأتألم لحاله ، وأتوجع لما أصابه . وكنت أخضع له وأتذلل وأعطيه شيئاً قليلاً من الدراهم ، فيقول : يا مولانا ، والله لأأريد شيئاً من مالك . فأقسم عليه وأقول : لا بد من ذلك ، فأنا محبك وراوية شعرك . فيأخذ من عرض ذلك درهماً واحداً ، ولا يزيد على ذلك . فعلة مرات .

وكتب ، وهو في هذه الحالة ، قصة للأمير سيف الدين يلغا الحيوي نظماً ، نقلت ذلك من خطه ، وهي :

يانائب السلطان لاتك غافلاً عن قتل قوم للظواهر زوقوا
قوم لهم وقع وذكر في الوري ويرى عليهم في المهابة رونق^(٣)

(١) في الأصل : « رفع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والفوات .

(٢) في الأصل : « شيئاً » وهو غلط .

(٣) في (أ) : « للمهابة » .

وإذا رأوا شيئاً عليه تحيلوا
 ما هم تجار بل لصوص كلهم
 المئين دأبهم إذا ما حذثوا
 مرقوا من الدين الحنيف بأسرهم
 كم أستغيث ولم أضجج وأشتكي
 سدوا علي الطرُق بغياً منهم
 وأتوا بمالي من لامة طبعهم
 وأراك لا تجدي إليك شكاية
 ماذا جوابك حين تُسأل في غدٍ
 ما أنت راعٍ والأنام رعيّة
 كن منصف المظلوم من غرمائه
 واكشف ظلامه من شكا من خصمه
 لا تعف عن قوم سَعَوْا لفسادهم
 وانصب لهم شرك الردى إن أنجدوا
 لا تنبرق منهم وإن هم أسرجوا
 ومتى ظفرت بمفسد لا تبقيسه
 واكفف أكف الظالمين عن الورى
 لازلت سيفاً للأعادي قاطعاً
 وبقيت في مجدي رفيع لا يهي

في أخذه وتألوا وتملقوا
 فأمر بهم أن يقتلوا أو يشنقوا
 مافهم من في كلام يصدق^(١)
 كالسهم ظل من الرميّة يمرق
 منهم إليك وكم لقلي أحرقوا
 أنى اتجهت وللأعادي أذلّقوا^(٢)
 نحو الشام وبينهم قد مزقوا
 إلا أنك حائط لا ينطق
 عنهم ورأسك من حيائك مطرق
 وإذا ركبت ، لك الملوك تطرق ؟
 فالبغي مضرعة وفعل مؤبق
 فالحق حق واضح هو مشرق
 في الأرض بغياً منهم وتجوّقوا^(٣)
 أو أتهموا أو أشأموا أو أعرقوا
 أو أجموا أو أرعدوا أو أبرقوا^(٤)
 فبقاؤه للناس ضرّ مقلّق
 ليكف عنك الله شراً يطرق^(٥)
 ورؤوسهم مها حيت تحلّق
 وبؤود نصرك عاليات تحفّق

(١) المين : الكذب .

(٢) الذلق : الإطلاق .

(٣) تجوّقوا أي : اجتمعوا .

(٤) أي : لا تخف من وعيدهم ، وبرق الرجل تهدّد وتوعّد .

(٥) في الأصل : « الردى » بدل « الورى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

١١٠٤ - علي بن إبراهيم بن عبد الكريم*

تاج الدين الكاتب المصري .

كان رجلاً عاقلاً ، كثيرَ السكون ، فيه لُطْفٌ وتودّد إلى الناس . يُعرَفُ بكاتب قطلوبك ، لأنه كان كاتب الأمير سيف الدين قطلوبك الكبير .

ولم يزل في الخِدم الديوانية . وهو والد الشيخ الإمام العالم القاضي فخر الدين المصري الشافعي ، الآتي ذكره في المحمّدين - إن شاء الله تعالى - .

توفي في العشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين وسبع مئة بالعدليّة^(١) عند ولده المذكور ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ظاهر دمشق .

١١٠٥ - علي بن إبراهيم بن خالد**

الأمير علاء الدين بن جمال الدين .

كان قد باشر ولاية دمشق هو وأبوه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقرية من قرى حوران في سابع عشرين شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة .

قال شيخنا علم الدين : رأيت سماعه على القاضي شمس الدين بن عطا الحنفي في (سنن أبي داود) . ويُعرف بابن النحاس .

* البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٧/٣ ، والدارس : ٢٨٢/١ ، عن البداية .

(١) في الأصل : « بالعالية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، ومصادر ترجمته .

** الدرر : ٥/٣ .

١١٠٦ - علي بن أحمد بن عبد الدائم*

ابن نعمة بن أحمد ، الشيخ أبو الحسن المقدسي الصالحي ، قِيمَ جامع الجبل^(١) .

سمع من البهاء عبد الرحمن ، وابن صَبَّاح ، وابن الزبيدي ، وابن غسان ، ومُكْرَم^(٢) ، والإربلي^(٣) ، وأبي موسى الحافظ^(٤) ، وجماعة بدمشق ، ولزم جعفر الهمداني .

كان رجلاً عابداً ، فقيراً لأهوال هذه الدنيا مكابداً . ابتلي فَصَبْرٌ ، وثبت على البلاء لَمَّا اجتاز به وَعَبْرٌ ، واتقطع لَمَّا حصل له الزَّمانه ، وشكر الله وما ذمَّ زَمَانه .

وكان لا يبرح يتلو [في]^(٥) المصحف بين يديه ، ويتلو كل يوم خِمة يقدمها بين يديه . ودخل عليه التتار لَمَّا فتحوا الباب ، وَحَمَّوْا له سيخاً ووضعوه في فرجه فمات في العذاب .

وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة عن ثمانين سنة .

١١٠٧ - علي بن أحمد بن عبد المحسن**

ابن أحمد ، الإمام الفقيه ، العالم ، الْمُحَدِّث ، المسند ، بقية المشايخ ، تاج الدين

* العبر : ٤٠١/٥ ، والشذرات ٤٥١/٥ .

(١) هو الجامع للشهور بجامع الخنابلة وبالمظفري بسفح قاسيون ، الدارس : ٣٣٥/٢ .

(٢) مكرم بن محمد بن حمزة المعروف بابن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) هو فخر الدين محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي (ت ٦٣٣ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه . ووقع في

(أ) : « مكرم الإربلي » ، سهو .

(٤) جمال الدين عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي (ت ٦٢٩ هـ) . السير : ٣١٧/٢٢ .

(٥) زيادة من (أ) .

** الدرر : ١٧/٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٧/١ ، والنجوم : ٢١٤/٨ ، والشذرات : ١٠/٦ .

أبو الحسن العلوي [الحسيني]^(١) الغرّافي ، بالغين المعجمة والراء المشددة وبعد الألف فاء ، الإسكندري الشافعي ، المعدّل .

سمع في الخامسة من ابن عماد^(٢) وطائفة ، ويغداد من أبي الحسن القطيعي ، وابن بُهروز ، وابن القبيطي ، وجماعة .

وسمع منه شيخنا الذهبي جماعة أجزاء ، وانتقى عليه عوالي ، وخرّج لنفسه ولغيره ، وحمل عنه المغاربة والرحالون ، وحدثوا عنه في حياته .

وكان قد سمع من ظافر بن شحم^(٣) ، وابن حاتم^(٤) ، وعلي بن جُبارة .

كان له بالحديث أنس وعنايه ، ومعرفة بقوانين الرواية . وكان فقيهاً نبياً ، وفاضلاً في بلده وحيها . وكتابتُه حسنةً سريعة ، وإذا ألقى الطُّرسَ من يده تراه روضة مريعه .

ولم يزل على حاله إلى أن لبّى من دعاه ، وجاء إلى البلاد من نعا^(٥) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سابع ذي الحجة سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان شيخَ دار الحديث التي أنشأها نبيه الندين [بن]^(٦) الأبرزاري بثغر الإسكندرية^(٧) .

(١) زيادة من (أ) ومصادر ترجمته .

(٢) محمد بن عماد بن محمد الجزري الحرّاني (ت ٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٧٩/٢٢ .

(٣) في الأصل : « سحم » ، صوابه مافي (أ) ، وقد سلفت الإشارة إليه في ترجمة عبد المؤمن بن خلف ، ووقع في الشذرات والدرر : « نجم » ، تحريف .

(٤) هو مرتضى بن حاتم بن المسلم بن أبي العرب الحوفي (ت ٦٢٤ هـ) ، السير : ١١/٢٣ .

(٥) في الأصل : « بغاه » ، تصحيف ، صوابه مافي (أ) .

(٦) زيادة من (أ) .

(٧) وتعرف بدار الحديث النبوية ، سلفت الإشارة إليها .

١١٠٨ - علي بن أحمد بن جعفر*

ابن علي بن محمد بن عبد الظاهر بن عبد الولي بن الحسين بن عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن محمد بن أبي هاشم بن داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الشيخ كال الدين الهاشمي الجعفري القوسي ، نزيل إخم ، المعروف بابن عبد الظاهر .

سمع من الشيخ أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة^(١) ، ومن شيخه مجد الدين بن دقيق العيد ، وأجازه بالتدريس على مذهب الشافعي .

وصحب الشيخ علي الكردي ، وقدم عليهم قوص ، فاجتمع عليه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ جلال الدين الدشناوي^(٢) والشيخ كال الدين هذا ، وعبد الخالق بن الفقيه نصر^(٣) ، ولازموا الذكر بمسجد جلال^(٤) بقوص .

وكان الشيخ كال الدين هذا قد أصبح شيخَ دهره ، وأوحد عصره . قد جمع بين العلم والعمل ، وبلغ من الصلاح كُلَّ أَمَل . وظهر له من الكرامات ما أخجل الشمس إذا حَلَّت دارة الحَمَل . وانتشر ذِكْرُه ، وصدق خُبْرُه خَبْرُه^(٥) . وحكى الناس عنه أموراً في الصلاح لم تُحَكَّ عَمَّن سِوَاه من أهل ناحيته ، ولا رواها الرواة عن هو في دائرته . وكان يحضر السماع ، ويخلع فيه على الأغاني ما عليه من المتاع ، وله فيه أحوال عجيبة ، وإشارات مصيبة .

* الطالع السعيد : ٢٩٢ ، وفيه : « علي بن محمد » ، والدرر : ١١/٢ .

(١) اللخمي بن المجيزي (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢٣ .

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي (ت ٦٧٧ هـ) ، الطالع السعيد : ٨٠ .

(٣) عبد الخالق بن إبراهيم بن نصر القوسي ، الطالع السعيد : ٢٨٥ .

(٤) في (أ) : « الخلال » .

(٥) في الأصل : « خبره وخبره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن عبد الظاهر في باطن الأرض ، وأقام تحتها إلى يوم العرض .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبع مئة [ودُفن برباط إخم ، وقبره هناك يُزار . ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة ^(١)] بقوص .

وامتدحه الشيخ تاج الدين الدشناوي بأبيات منها :

مُحِبُّكَ هَذَا الْعَارِفُ الْعَازِفُ الَّذِي	تَبَدَّى بِوَجْهِهِ بِالضِيَاءِ مُكَلَّلِ ^(٢)
حَلِيفُ التَّقَى وَالشُّكْرِ وَالذِّكْرِ دَائِمًا	فَلِلَّهِ هَذَا الشَّاكِرُ الذَّاكِرُ الْوَلِيِّ
عِزَائِمُهُ الْعُلْيَا تَضَاهِي مَقَامَهُ	وَمِقْدَارُهُ وَالسَّرَّانُ اسْمُهُ عَلِي ^(٣)
أَلَا إِنَّ لِلَّهِ الْكَمَالَ جَمِيعَهُ	وَمَا لِسِوَاهِ مِنْهُ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ

ومن شعر الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر :

يَاعِينْ بِحَقِّ مَنْ تُحِبِّي نَامِي	نَامِي فَهَوَاهُ فِي فُؤَادِي نَامِ
وَاللَّهِ مَا قُلْتُ أَرْقُدِي عَنْ مَلَلٍ	إِلَّا لَعَسَى تَرِيئُهُ فِي الْأَحْلَامِ ^(٤)

قلت : فيها لحنان خفيفتان خفيتان ، ولو قال : « ياعين بمن سهرت فيه نامي » « إلا لعسى أراه في الأحلام » ، لخلص من ورطة اللحن .

وقال الفاضل كمال الدين الأدفوي : حكى لي القاضي نجم الدين القمُولي أن الشيخ كمال الدين رأى مرحاضاً قد أخرج مافيه ، ووضع بجانب المسجد ، فقال في نفسه : لا بد أن أحمل هذا ، فنازعته نفسه في ^(٥) ذلك ، لأنه من بيت رياسة وأصالة وسيادة

(١) زيادة من (أ) . وقريب منه في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « العارف الغارق » .

(٣) في الطالع : « والسر اسمه » .

(٤) في الدرر : « أراه » . والبیتان كذلك في الطالع .

(٥) في (أ) : « من » .

وعدالة ، فقال : لا بدّ من ذلك ، ثم استدرجها إلى أن حمله في النهار ، ومرّ به في حوانيت الشهود حتى تعجبوا منه ونسبوه إلى خبل في عقله . ثم إنه سافر إلى القاهرة^(١) ، واجتمع بإبراهيم الجعبري^(٢) ولازمه وانتفع به . ثم إنه استوطن إخم ، وظهرت بها كراماته وانتشرت بركاته .

وقال [حكى]^(٣) لي صاحبنا الفقيه علاء الدين العدل علي بن أحمد الأصفوني^(٤) - رحمه الله تعالى - وكان ثقة في نقله ، قال : كنت بأدفو أخذت في العبادة ، ولازمت الذكر مدة حتى خطر لي أنني تاهلت . قال : وكان أخي جلال الدين غائباً عنا مدة وانقطع خبره ، فحضر شخص وأخبرني أنه قدم من ألواح ونزل سيوط ، فسافرت إلى سيوط ، فلم أجده ، وصحبت شاباً نصرانياً ورافقته في الطريق إلى سوهاي^(٥) ، وصار يُنشدني طول الطريق شعراً ، وكان جميلاً ففارقته من سوهاي ، ووجدت ألماً كبيراً لمفارقته ، فدخلت إخم وعندي وجدّ بذلك النصراني ، فحضرت ميعاد الشيخ كال الدين بن عبد الظاهر ، فتكلم في الميعاد ، على عادته ، ونظر إليّ وقال : لا إله إلا الله ، ثم أناسٌ يعتقدون أنهم من الخواص ، وهم من عوام العوام ، قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾^(٦) ، والنّحاة يقولون : « من » للتبويض ، ومعنى التبويض ألا ترفع شيئاً من بصرك إلى شيء من المعاصي .

ثم قال : حكى لي فقير قال : كنت في خدمة شيخ ، فررنا بدار ، وإذا بامرأة جميلة ورأسها خارجة من الطاق تتطلّع إلى الشارع ، فوقف الشيخ زماناً يتطلع إليها ويتعجب من ذلك . ثم بعد ساعة والشيخ صاح صيحة عظيمة ، وإذا بالمرأة نزلت

(١) في الطالع : « من قوص إلى القاهرة » . وفي باقي الخبر اختلاف يسير عما هنا .

(٢) سلفت ترجمته .

(٣) زيادة من (أ) ، والطالع .

(٤) ستأتي ترجمته بعد قليل . ووقع في الأصل : « ابن العدل » ، سهو .

(٥) من قرى إخم . (معجم البلدان) ومشهورة اليوم أنها بالجيم (سوهاج) .

(٦) النور : ٣٠/٢٤ .

وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ^(١) ، فالتفت الشيخ إلى الفقير وقال : نظرت إلى هذا الجمال ، فقال : أتقذني من هذا الكفر ، فتوجهت إليه ، فالشيخ ما نظر إلى حُسن الصورة ، وإنما نظر إلى صورة الحسن ، فمن أراد ينظر إلى النصراي فليُنظر كذا .

قال الشيخ علاء الدين : فصرختُ ووقعتُ .

قال : وحكى لي صاحبنا محمد بن العجمي ، وهو من أصحاب أبي عبد الله الأسواني ^(٢) قال : عَمِلَ سماع في دار ابن أمين الحكم ، وحضر الشيخ ورؤوساء البلد وخلق كثير ، وكنت من جملة الحاضرين ، فحضر القوال ، وهو مظفر بالشبابات والدفوف ، وقالوا شيئاً ^(٣) ، ثم قال :

من بعد [ما] ^(٤) صدَّ حبيبي ومازَ جـا الـيوم وزار
أبصرت ما كان أبركو من نهار
جـاني حبيبي وبلغني ^(٥) المنى وزال عن قلبي الشقا والعنا
ودار كاس الأنس ما بيننا
ياما أحسن الكاسات علينا تدار في وسـط دار ^(٦)
أنا ومحبوبي نهاراً جهازاً

فقام الشيخ وقال : إي والله ، أنا ومحبوبي « نهاراً جهاز » . إي والله . وطاب وخلق جميع ما عليه ، وخلق الجماعة ما عليهم ، ولم يبق كل أحد إلا بلباسه ، ثم أرسلوا

(١) زاد في (أ) : « وكانت المرأة نصرانية » .

(٢) هو محمد بن يحيى بن أبي بكر . الطالع السعيد : ٦٤٠ .

(٣) عبارة الطالع : « وهو مظفر ، وكان يغني بالشبابات والدفوف ، وقال أشياء .. » .

(٤) زيادة من (أ) ، والطالع السعيد .

(٥) في (أ) والطالع : « وبلغت » .

(٦) في الطالع : « الدار » .

وأحضروا ثياباً ، فقال : يامظفر ، قال : لبيك ، قال : ثيابي وثياب الجماعة ، الجميع لك . فشدوا كارات . فقلت : يامظفر لولا رأس هذا المنسرمعك ما قشطت ثياب الجماعة ، فبلّغت الشيخ فضحك .

١١٠٩ - علي بن أحمد بن الحسين*

علاء الدين الأصفوني .

اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وتآدب على الغضنفر^(١) الأصفوني والجلال بن شواق^(٢) الأسنائي وغيرهما .

كان أدبياً ذكياً ، سري النفس زكياً . له مكارم لم تنلها الغنائم ، ومحاسن تسجع بأوصافها الحمايم^(٣) . وكان له شعر ألدّ من نغمت الأوتار ، وأطرب من تغريد القمر في الأسحار على الأشجار . وله يدٌ طويلة في صناعة الحساب ، ومباشرة في الحِدم السلطانية^(٤) جعلها من باب الارتزاق والاكتساب . وجلس بين الشهود بقوص وبالقاهرة ، وتقمّص تلك^(٥) الحلة الفاخرة .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه أمرٌ ما أطاق دفعه ، وأعمل الموت فيه خفْضة ورَفَعه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

* الطالع السعيد : ٣٦٥ ، والدرر : ١٣/٣ .

(١) في (أ) : « الغضنفر » ، وهو عبد القادر بن عبد الملك بن الغضنفر الأصفوني ، الطالع السعيد : ٣٢٨ .

(٢) هو الحسن بن منصور بن محمد . (ت ٧٠٦ هـ) . انظر الطالع السعيد : ٢١٠ .

(٣) في (أ) : « لم ينلها الغمام ... بأوصافها الحمايم » .

(٤) في (أ) : « الديوانية » .

(٥) في (أ) ، (ز) : « بتلك » .

أثنى عليه الفاضل كال الدين الأذقوي ، ووصفه بمكارم أخلاق .

قال : لما طلع داود الذي ادعى أنه [ابن] سليمان من نسل العاضد إلى الصعيد في سنة سبع وتسعين وست مئة ، وتحركت الشيعة ، بلغ علاء الدين هذا أنه قال لبعض أهل أصفون ، إنه يتحمل عنه الصلاة . فنظم علاء الدين .

ارجع ستلقى بعدها أهوالا لا عشت تبلغ عندنا الآمالا^(١)
يامن تجمع فيه كل تقيصة فلاضربن بسيرك الأمثالا
وزعمت أنك للتكالف حامل وكذا الحمار يحمل الأثقالا^(٢)

ولما ولي السفطي^(٤) قوص سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان بصره ضعيفاً جداً حتى قيل إنه لا يبصر به شيئاً . وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيش قد قام في ولايته . قال علاء الدين :

قالو: تولّى الصعيد أعمى فقلت: لا بل بألف عين
وبلغه شعر الشيخ عبد القادر الجيلي^(٥) ، وهو :

ما في المناهل منهّل يستعذب إلا ولي منه الألف الأطيب
أنا بلبل الأفراح أملاً دوحها طرباً وفي العلياء باز أشهب
فقال علاء الدين :

ما في الموارد مورد يستنكد إلا ولي فيه الأمر الأنكد
أنا قنبر الأحزان أملاً طلحها حزنأ وفي السفلى غراب أسود

(١) زيادة من (أ) ، (ز) ، والطالع .

(٢) في الطالع : « آمالا » .

(٣) في الطالع : « للتكلف » .

(٤) هو إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق . (ت ٧٣٩ هـ) . الطالع السعيد : ١٦٧ .

(٥) في الطالع : « الجيلاني » .

١١١٠ - علي بن أحمد بن يوسف بن الخضر*

الشيخ الإمام العالم زين الدين أبو الحسن الأمدي الحنبلي العابر .

كان شيخاً مهيباً ، يقظاً لبيباً ، فهِمّاً أريباً ، صالحاً صدوقاً ، ثقة إذا كان نطوقاً ، عابراً للرؤيا ، عارفاً بأحوال الدنيا ، أضّر في آخر عمره ، وكان إلى ذلك نهاية أمره .

وكانت تبدو منه عجائب مع عماء ، وصوائب من كل سَهْم رماه ، إلى أن قُتِنَ به القان غازان ، وأنعم عليه بما زاد^(١) وبما زان . وكانت له منامات غريبة الكَوْن ، تدلّ على أنه له من الله نِعَم العون .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ الأمدي إلى مداه ، وتجاوز عُمره ببلوغ رداه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وكانت له حكايات عجيبة تُحكى عنه ، منها أنه أهدى إليه بعض أصحابه نصفية حسنة ، فسُرقت ، فرأى في نومه شيخه الإمام مجد الدين عبد الصمد بن أحمد بن [أبي] الجيش المقرئ شيخ القراء ببغداد ، وهو يقول له : النّصفية أخذها فلان وأودعها عند فلان ، اذهب وخذها منه . فلما استيقظ قال في نفسه : الشيخ مجد الدين كان صدوقاً في حياته ، وكذلك هو بعد وفاته . فذهب إلى الرجل الذي ذكره ، فدقّ عليه الباب ، فخرج إليه ، فقال^(٢) : أعطني النّصفية التي أودعها فلان عندك ، فقال : نعم ، فدخل وأخرجها له ، فأخذها وذهب ، ولم يقل له شيئاً . وجاء السارق بعد ذلك

* نكت الهميان : ٢٠٦ ، والدرر : ٢١/٣ .

(١) في الأصل : « راد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) . وفيها : « ومازان » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) ، وابن أبي الجيش هذا (ت ٦٧٦ هـ) . غاية النهاية : ٣٨٧/١ ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) في (أ) : « فقال له » .

إلى المودع يطلب النصفية ، فقال له : جاء الشيخ زين الدين الآمدي ، وطلبها على لسانك ، فأعطيته إياها . فبهت السارق وبقي حائراً ، ولم يعتقه الشيخ ولا واخذه .

ومنها أنه قال : رأيت في المنام كأن شخصاً أطعمني دجاجة مطبوخة ، فأكلت منها ثم استيقظت وبقيتها^(١) في يدي . وهذا شيء عجيب .

وهذه الوقائع مشهورة عنه في تلك البلاد .

ولما دخل القان غازان بن أرغون بن أبغا بن هولكو بن جنكزخان بغداد في سنة ... (٢) وتسعين وست مئة ، ذكر له الشيخ زين الدين المذكور ، فقال : إذا جئتُ غدا المدرسة المستنصرية أجمع به ، فلما أتاها احتفل الناس له واجتمع بالمدرسة أعيان بغداد وأكبرها من القضاة والعلماء والعظماء ، وفيهم الشيخ زين الدين لتلقي غازان ، فأمر غازان أكبر أمرائه أن يدخلوا المدرسة قبله واحداً بعد واحد ، ويسلم كل منهم على زين الدين ، ويومه الذين معه أنه هو السلطان امتحاناً له ، فجعل الناس كلما قدم أمير يزهرهون له ويعظمونه ، ويأتون إلى زين الدين ليسلم عليه ، والشيخ زين الدين يرد عليه السلام من غير تحرك له ولا احتفال ، حتى جاء السلطان في دون من تقدمه من الأمراء في الحفل ، وسلم على الشيخ وصافحه ، فحين وضع يده في يده نهض له قائماً ، وقبل يده ، وأعظم مُلتقاه والاحتفال به ، وبالع في الدعاء له باللسان المُغليّ ثم بالتركي ثم بالفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي ، ورفع به صوته إعلماً للناس . فعجب غازان من فطنته وذكائه وحِدّة ذهنه مع ضرره . ثم إن السلطان خلع عليه في الحال ووهبه مالا ورسم له بمرتب في كل شهر ثلاث مئة درهم ، وحظي عنده وعند أمرائه ووزرائه وخواتينه .

(١) في الأصل : « ولقيتها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وعبارة الدرر : « وفي يدي منها » .

(٢) كذا يياض في الأول . وفي الدرر أنّه دخلها قبل السبع مئة .

وكان يتجَرَّف في الكتب ، وعنده كتب كثيرة جداً ، وإذا طلب منه إنسان كتاباً نهض إلى كتبه ، وأخرجه من بينها . وإن كان الكتاب عدّة مجلدات ، وطلب منه الأول مثلاً أو الثاني أو الثالث أو غيره^(١) أخرجه بعينه . وكان يمسّ الكتاب أولاً ، ثم يقول : يشتمل هذا المجلد على كذا كذا كراسة ، فيكون الأمر كما قال . وإذا مرّ بيده على الصفحة قال : عدد أسطرها كذا كذا سطرأ ، فيها بالقلم الغليظ هذا وهذا ، المواضع^(٢) كُتبت به ، وفيها بالأحمر هذا وهذا ، المواضع كُتبت به . وإن اتفق أنها كُتبت بخطين أو ثلاثة ، قال : اختلف الخط من هنا إلى هنا ، من غير إخلال بشيء منها مما يمتحن به .

وكان لا يفارق الإشغال والاشتغال في غالب أوقاته ، وللناس عليه إقبال عظيم لدينه وورعه .

ومن تصانيفه : (جواهر التبصير في علم التعبير) ، وله تعاليق كثيرة في الفقه والخلاف وغير ذلك . وانتفع به جماعة .

١١١١ - علي بن أحمد بن سعيد*

ابن محمد ابن الأثير ، القاضي الكبير الصدر علاء الدين أبو الحسن بن القاضي تاج الدين الحلبي الأصل ثم المصري ، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية أيام السلطان الملك الناصر محمد .

وكان السلطان لما توجه في المرّة الأخيرة إلى الكرك توجه القاضي علاء الدين معه فأقام عنده مدّة ، ووعدّه بالمنصب ، وأعادّه إلى القاهرة . ولما قدِمَ السلطان من الكرك أباغ القاضي علاء الدين إكديشا كان عنده بمئة وعشرين درهماً ، واشترى بذلك

(١) مطموسة في الأصل ، وأثبتناها عن (أ) ، (ز) .

(٢) في (أ) : « المواضع » .

* البداية والنهاية : ١٤٩/١٤ ، والدرر : ١٤/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٠/٢ ، والسلوك : ٣٢٧/٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٣/٩ .

حلولي ، وتوجه للقاء السلطان ، فلما استقر له الأمر ، قال السلطان للأمير الدوادار : اكتب إلى محيي الدين بن فضل الله ، وقل له يكتب إلى أخيه القاضي شرف الدين ليطلب مني دستوراً في التوجه إلى الشام ، وأنا أستحي أن أبدأه بالخروج من مصر . فكتب محيي الدين إلى أخيه بذلك فلم يلتفت إليه ، وقال : أنا ما أعيش بعقل محيي . ولما علم السلطان بذلك رسم للقاضي شرف الدين بن فضل الله في أوائل المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بأن يكون صاحب ديوان الإنشاء بدمشق عوضاً عن أخيه القاضي محيي الدين ، وتولى القاضي علاء الدين بن الأثير مكانه في كتابة السر بالديار المصرية في سابع عشر ذي الحجة يوم الثلاثاء سنة إحدى عشرة وسبع مئة^(١) .

وكان القاضي شرف الدين له على السلطان خدم كثيرة ، وإنما لما خرج إلى الكرك جهّز معه القاضي علاء الدين بن الأثير ، وكان في تلك الأيام صغيراً بين الجماعة ، فنقم السلطان ذلك ، ونسبه إلى شرف الدين ، ووعد القاضي علاء الدين بالمنصب .

ولما ولّاه عظمه وقربه وكرمه^(٢) وأنعم عليه وتوّه بقدره ، فبلغ منه في المكانة العالية ما لم يبلغه أحد . وكان يأمره السلطان بأشياء إلى نواب الشام ، ويقول له : اكتب إليهم بكذا وكذا عنك ، فيكتب إليهم بما أمره ، حتى إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فزادت عظمته في القلوب ووجاهته ، وكان يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك ، فيهم مائة عشرة ألف درهم وأكثر . وكان أخيراً يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان ساطين ولا يتكلم إلا بالتركي ، ومماليكه يقربون كلامه للناس .

وكان فيه ذكاء وعنده نباهه ، وحسن كتابة ، فيها للنواظر نراهه ، وتديير يعينه على التقدم والوجاهه ، وإحسان إلى من يعرفه ، وجود على من يحضر إليه من الشام ويصرفه . أنشأ جماعة وقدمهم في الدولة ، وجعل لهم بنظره إليهم أبهة في النفوس وصوله . واقتنى

(١) انظر البداية والنهاية : ٦٣/١٤ .

(٢) في (أ) ، (ز) : « وأكرمه » .

الممالك والأملاك ، وخضع [له]^(١) الأمراء والنواب والأملاك ، وحصلَ نعماً أثيرة ، وأصل في الديوان كلمات^(٢) كثيرة ، ودانت له الأقدار ، وصفت له أيامه من الأقدار .
وعلا علاء الدين بن الأثير ، إلى أن صار من دونه^(٣) الفلك الأثير ، ورقد في سعوده^(٤) على الفرش الوثير ، ورأى كلَّ مَنْ دونه قليلاً^(٥) وهو كثير ، وتقدم به أولاد أخيه ، وكتبوا معه في الدست ، فشَدَّتْ بهم قواعد الملك وثَبَّتْ أواخيه .

وأصبح ذِكْرُهُ في كل أرض يُدار به الغناء على العُقارِ

ولم تزل كواكبه في صعود ، ومراتبه في صعود ، إلى أن قلب الدهر له مجته ، وأظهر له ما كان أكنه ، وتيقظ له وكنا ما كان في أكنه ، ورُمي بفالج عدم معه الانتفاع بحواسه ، وبطلت حركة يده وطالما كان القلم فيها كأنما شُدَّ بأمراسه على أم راسه ، وعزَّ أمره وما نزل به على السلطان ، وطلب علاجه من النازحين والقُطَّان ، فما نجح فيه دواء مَنْ يُعالج ، ولا ظهر طريق مستقيم لطبِّ مابه من الفالج ، فنزل من ديوانه إلى البيت ، ورآه الناس وهو حيٌّ كأنه المَيِّت ، و :

ما زال يدفع كلَّ أمرٍ فادحٍ حتى أتى الأمر الذي لا يُدْفَعُ

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الأربعاء منتصف شهر الله المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن يوم الخميس بمقبرتهم بالقرافة ، ومات وهو في حدود الخمسين .

أصابه مبادي فالج ، فكأبر هو نفسه ، وصار^(٦) يدخل ويخرج إلى السلطان ويفهم السلطان عنه ذلك ، وما يقول له شيئاً ، فلما كان في بعض الأيام أراد أن يقوم من بين

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٢) في (أ) ، (ز) : « كَلِمَاتٌ » .

(٣) في الأصل : « دولة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في الأصل : « سعود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٥) في الأصل و (ز) : « قليل » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٦) في (أ) : « وبقي » .

يُدي السلطان ويحمل الدواة بيمينه ، فسقطت من يده فتألم له السلطان ، وقال للأمر سيف الدين ألجاي الدوادار : اكتب إلى نائب الشام ليجهّز لنا القاضي محيي الدين بن فضل الله ، وسير السلطان يقول له : يا علاء الدين ، انزل واضرب لك خاماً في جزيرة الروضة ، وعالج هذا الحادث ، وأنا أجهّز لك الأطباء ، فلم يفعل ، وبقي في الديوان مريضاً إلى أن جاء الخبر بوصول القاضي محيي الدين بن فضل الله إلى قطيا ، فقال لألجاي : مُرابن الأثير بالنزول إلى بيته . فجهّز يقول له : قد جاء صاحب الديوان ووصل ، وغداً يكون هنا ، فباسم الله انزل استريح في بيتك .

سبحان الله العظيم ، هم أولاً به عَزَلُوا ، وهو ثانياً بهم عَزَل .

فَذِي الدَّارِ أَخَذَ مِنْ مُوسَى وَأَمَرَ مِنْ كَيْفَةِ الْحَابِلِ^(١)

وكان نزول ابن الأثير إلى بيته في أوائل المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة^(٢) ، وأقام في بيته ، وتزايد به المرض ، وجهّز السلطان أخضر أمين الدين سليمان^(٣) رئيس الأطباء بدمشق ، وقال له لما وصل : انزل إلى القاضي علاء الدين بن الأثير ، وعالجه ، ووعدته ، فنزل إليه وعالجه فما أفاد وآل أمره إلى أنه لم يبق فيه شيء يتحرك غير جفونه فكان إذا أراد شيئاً علا صارخاً بصوته ، فيحضرون إليه ، ويدقون على الأرض دقات متوالية ، وهو يعد الحروف من أول المعجم ، فإذا وصلوا إلى أول حرف من مقصوده أطرق وأغض جفنه ، فيحفظون ذلك الحرف ، ثم يفعلون ذلك ، فإذا وصلوا إلى الحرف الثاني من مقصوده أغض جفنه . ولا يزالون كذلك حتى يفهموا عنه قصده . وكان الزمان يطول عليهم وعليه حتى يفهموا عنه لفظة أو لفظتين . نسأل الله - تعالى - العفو والعافية من آفات هذه الدار .

(١) هي حباله الصائد أو شبكته .

(٢) البداية والنهاية : ١٤٣/١٤ .

(٣) هو سليمان بن داود بن سليمان ، سلفت ترجمته في موضعها .

وكان يكتب خطأ قوياً منسوباً ، وله قدرة على إصلاح اللفظة وإبرازها من صورة إلى صورة ، وما [كان]^(١) يخرج كتاب عن الديوان حتى يتأمله ، ولا بد له أن يزيد فيه بقلمه شيئاً . وله إنشاء ، وهو الذي أنشأ توقيع الشيخ مجد الدين الأقصرائي^(٢) بمشيخة شيوخ الخانقاه بسرياقوس^(٣) لما فرغت عمارتها .

وعلى الجملة ، فإنه عمل كتابة السرّ جيّداً ، ونفّذ المهمات على أحسن ما تكون .

ومدحه شعراء عصره . ومّا كُتب إليه به ما أنشدناه لنفسه إجازةً شِخْناً العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود - رحمه الله تعالى - :

وذكرك لا يزال معي سميري	أما ومكانة لك في ضميري
إليك وإن قَعَدْتُ عن المسير	لقد سافرتُ بالأشواق أَسْعَى
لما ناب الكتابُ عن الحضور	ولو أدركتُ من زمني مُرادِي
بحظّي من نـُـوال ابن الأثير	ولم أوتر ولا لابني اختيـارَا
بنان يديه يكْمُل لي سروري	وكيف وليس إلا بالتثامي
أصالتُه على الفلك الأثير	كريم طاهرُ الأعراق تَعْلُو
كروض دَمَثته يدُ الغدير	له خُلُقٌ يَدْمُثه حياءٌ
حكي شمس الظهيرة في الظهور ^(٤)	وجُودٌ كلما أخفاه صوناً
طروس أراك نُوراً فوق نور ^(٥)	إذا وشّى بليّل النّفس صبح الـ
أمانِي أو منايَا في السطور	وأبدي للموالي والمُعادي

وله فيه أمداح كثيرة .

(١) زيادة من (أ) ، (س) .

(٢) موسى بن أحمد بن محمود (ت ٧٤٥ هـ) . وفيات ابن رافع : ١٠٥/١ .

(٣) وتعرف بالخانقاه السرياقوسية ، أنشأها السلطان الناصر محمد للصوفية .

(٤) في الأصل : « صون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وهي أشبه .

(٥) في الأصل : « النفس » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

وأنشدني من لفظه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة قصيدة ، مدحه بها^(١) ، أولها :

أصاب بجفنه عقل الأسير فيا ويل الصحيح من الكسير^(٢)
غزال كالفزالة في سناها تحجبه الملامة بالسفور^(٣)
منها :

يَلْذَّ تَغَزُلُ الأشعار فيه لذاذة مَدْحِها في ابن الأثير
أغر إذا احتبى وحباً العطايا رأيت السيل يُدفع من ثبير^(٤)
أخو يَوْمَيْنِ يوم ندى ضحوك ويوم ردئ عبوس قَمْطَرِير^(٥)
كأن حديثه في كل نادٍ حديث النار عن نفس العبير
له قلم سرى للنفع سارٍ يبيت على الممالك كالحفير^(٦)
تلم بالمداد لثام ليل فأسفرت عن سنا صُبْح منير^(٧)
عليّ الاسم والأوصاف يُزْهِي به الدهر العليّ على الدهور^(٨)
من القوم الذين لهم صعودٌ إلى العلياء أسرع من حدود
سما شعري وزاد على علام فلقبناه بالفلك الأثير^(٩)

(١) ديوان ابن نباتة : ٢١٢ .

(٢) صدر البيت في الديوان :

لقد عبثت لوحظه بعقلي

(٣) في الديوان : بالسفور .

(٤) في الأصل : « اجتبي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) وفي الديوان : اجتفى . وثبير : جبل .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَطْرِيرًا ﴾ الإنسان : ١٠/٧٦ .

(٦) في الديوان :

له قلم سريّ النفع

(٧) في (أ) ، (ز) : « بالرسالة » .

(٨) البيت ليس في ديوانه .

(٩) في الديوان :

وعاد على علام

أَنْدَى الْعَالَمِينَ يَدًا وَأَجْدَى عَلَى الْعَافِينَ فِي الزَّمَنِ الْعَسِيرِ^(١)
إِلَيْكَ سَعَى رَجَائِي وَطَافَ قَصْدِي فَدُمُ يَا كَعْبَةَ الْمُسْتَجِيرِ^(٢)

ولما دخلت أنا إلى القاهرة في سنة سبع وعشرين وسبع مئة وجدت بعض الناس قد لهج بالمقامة^(٣) للقاضي علاء الدين بن عبد الظاهر التي وسمها بـ (مراتع الغزلان) ، وكلفت أنا في ذلك بإنشاء رسالة في تلك المادة ، فأنشأت رسالتي التي وسمتها بـ (عبدة اللبيب^(٤) عبدة الكتيب) ، وكتبت في أولها أبياتاً تتعلق بمدحها ، وقد شدت الآن عني ، وحملتها إليه ، فوقف عليها . ولما جئته بذلك قال لي : الله يزيدك من فضله . وطوَّق عليّ ، فقلت له : والله يزيدك سعادة .

١١١٢ - علي بن أحمد بن عبد الواحد*

قاضي القضاة أبو الحسن عماد الدين بن محيي الدين أبي^(٥) العباس بن بهاء الدين أبي محمد الطرسوسي الدمشقي^(٦) الحنفي .

كان قاضياً سؤوساً ، عالماً في مذهبه رئيساً . كم ألقى دروساً ، وأطلع من ألفاظه غرُوساً ، حسنَ الشكل مديدَ القامة ظريفَ العِمامة ، كُنَّ وجهه الشمس تحت الغمامة .

(١) في الديوان :

أَنْدَى الْعَالَمِينَ نَدَى

(٢) صدره في الديوان :

أَتَيْتَكَ مُحَرِّمًا مِنْ كُلِّ صَنْعٍ

(٣) في (أ) ، (ز) : « بالرسالة » .

(٤) في الأصل : « الكتيب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، والرسالة مخطوطة .

* وفيات ابن رافع : ٢٥١/١ ، والدرر : ١٨/٣ ، والنجوم : ١٨١/١٠ ، والدارس : ٤٧٨/١ .

(٥) في الأصل : « ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والدارس .

(٦) ليست في (خ) .

لم يَنكُذْ عليه في منصبه ، ولا رأى فيه ما ارتاع بسببه . ماشياً فيه على السّداد ، سالكاً فيه سبل الرشاد . يُعَظِّمُه نواب السّلطنة بالشام ، ويشنون على مآله من القضايا والأحكام .

وكان لا يَلْ من قراءة^(١) القرآن ، ولا يَفْتَر لسانه عن^(٢) سرد آياته في كل زمان ومكان إلى أن سأل في النزول عن منصب القضاء لَوْلَدِهِ^(٣) ، وإشاره به لِمَا دار^(٤) في خَلَدِه . فأجابهُ السلطان إلى ما قصده وعجّل له الأمر الذي رصَدَه . فلأزم بيته آناء الليل وأطراف النهار^(٥) ، ويعمل على خلاصه في غد إذا وقف على شفا جُرْف هار^(٦) .

إلى أن حان مَضَرَعُه ، وأن من وُرِدَ المنية مَكْرَعُه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الاثنين ثامن عشري الحجة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ودفن بالمزة .

وكان الأمير تنكز - رحمه الله تعالى - قد ولّاه تدريس المدرسة القايمازية بعد وفاة الشيخ رضي الدين المنطقي^(٧) في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، فكتبت أنا توقيعه بذلك . ونسخته :

الحمد لله الذي جعل عماد الدين عَلِيّاً ، وأيدَ شَرْعَه المظهرَ بن رقي بعلمه سَمَوَا

(١) في (أ) : « تلاوة » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « من » .

(٣) إبراهيم ، كما في الدارس (ت ٧٥٨ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها ، وانظر : البداية والنهاية : ٢٢١/١٤ .

(٤) في الأصل : « ثار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى ﴿ ومن آناء الليل فستح أطراف النهار ﴾ طه : ١٣٠/٢٠ .

(٦) يشير إلى قوله تعالى ﴿ ألم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ﴾ التوبة : ١٠٩/٩ .

(٧) إبراهيم بن سليمان بن الآب كرمي (ت ٧٣٢ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

وأصبح للوصي سبيًا ، ورفع قَدْرَ مَنْ إذا كان في حفلِ هَمَى نَدَى وَحَمَى نَدِيًا ، وهدى الناسَ بأعلامِ علمه التي إذا خَفَقَتْ كم هزمت كميًا وقادت إلى الحق أيبًا .

نحمده على نِعَمه التي جعلت العلماء للأنبياء ورثة^(١) ، وأقامت بِهِم الحجة على من نكب عن^(٢) الحق أو نقض الميثاق ونكثه . ونَفَت بِهِم شُبّه الباطل عن الدين القيم كما ينفي الكير خَبْثَه . وجعلت كل حَبِيرٍ منهم إذا نطق في المحافل جاء بالسحر الحلال من فيه ونَفَثَه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندّخرها في المعاد خَيْرَ عُدّه ، ونأمن بها يوم الفَرَع الأكبر إذا ضاق على الناس خناقُ الشدّه ، ونجدها في الصخائف نوراً يضيء لنا إذا كانت وجوهُ الذين كذبوا على الله مسوّده^(٣) . وتجعل أيدينا على قطاف ثمار الرحمة وجنى غصونها ممتدّه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خَيْرُ مَنْ هدى الخلق ببرهانه ، وأشرف مَنْ قضى بين الناس بالحق وفرقانه ، وأعزَّ مَنْ دفع في صدور البلغاء بنان بيانه ، وأكرمَ مَنْ أطلق في ملكوت الله - عز وجل - عنان عيانه .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رَوَوْا لأوليائهم السُّنّه ، وروّوا من أعدائهم الأُسُنّه ، وأضحت طريقهم لطالب هديّة الهدى مطيّة المَظَنّه ، وأمُسّوا حرباً لحزب الشيطان الذين جعل الله في آذانهم وَقْراً وعلى قلوبهم أكنه^(٤) ، صلاة تطلق جياد الألسنة في ميدانها الأعنّه ، وتبلغهم أمانيتهم التي بايعهم عليها بأن لهم الجنة .

(١) يشير إلى قوله ﷺ : (.... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر) . رواه أبو داود والترمذي . انظر : رياض الصالحين : ٢٤٧ .

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وجوه مسوّدة » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ﴾ الأنعام : ٢٥/٦ . ووردت في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

وبعد ، فلما كان العلم الشريف هو للدين حافظ نظامه ، وضابط أحكامه في حلاله وحرامه ، بنشره يطيب نشر الإيمان وأرجه ، ويتسع من ^(١) صدر الجاهل بأحكام ربّه - تعالى - ضيقه وحرجه . والعلماء هم الذين يرعون سوامه ويراعون ، ويقدمون على منع من يتعدى حدود الله - تعالى - فإيهابون ولا يهانون ولا يراعون . وكفى بالعلماء فخراً أنهم للأمة أئمة الاقتداء ، وأن مدادهم جعله الله يازاء دم الشهداء .

وقد خلت في هذه الأيام المدرسة القايمازية ، أثناب الله واقفها ، ممن ينشر فيها أعلام العلم ، ويؤدي في مباحثه مع خصومه معنى الحرب في صورة السلم ، وينبت ^(٢) في رياض دروسها شقائق النعمان ، ويثبت في حياض غروسها دقائق النعمان .

تعيّن أن يقع الاختيار على من يُخيّر بدروسه مادّرس من مذهب الإمام ^(٣) أبي حنيفة النعمان ، رضي الله عنه ، ويجدّد بفضائله التي أتقن فنونها مارث من أقواله التي لا توجد إلا فيه ، ولا تؤخذ إلا منه .

وكان المجلس ^(٤) العالي القضائي العمادي أبو الحسن علي الطرسوسي ، أدام الله أيامه ، وأعزّ بالطاعة أحكامه ، هو الذي تفرّد بهذه المزايا ، وجمع هذه الخلال الحميدة والسجايا ، تضع الملائكة له إذا خطا في العلم الأجنحه ، ويتخذ الناس إذا اضطروا لدفع الأذى عنهم من صلاحه الأسلحه ، قد أراد الله به خيراً لما وفقه وفقّهه في الدين ، وأقامه حجة قاطعة ولكن في أعناق الملحدّين ، تنقاد المشكلات لذهنه الوقاد في أسلس قياد ، وتشد أفكاره الدقيقة للنعمان إمامة ما لاشادته من المجد للنعمان أشعار زياد ^(٥) ،

(١) في الأصل : « في » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « وبيت » . تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « الإمام الأعظم » .

(٤) في (خ) : « الجنب » .

(٥) يشير إلى اعتذاريات النابتة الذبياني للنعمان بن المنذر .

وتبيت النجوم الزهر ناظرة إلى محاسن مباحثه من^(١) طرفها الخفي ، وتَنَكَّفَ الألسنة الحداد من خصومه إذا جادلهم وتنكفي ، ويأتي بالأدلة التي هي جبال لا تنسفها مغالط النسفي^(٢) .

فلذلك رَسَمَ بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه تدريس المدرسة المذكورة . فليظهر عرائس فضله المجلوه ، ويبرز نفائس نقله المُخَبَّوه ، وليطرز دروسه بدقائقه التي بهرت ، ويَزِدِ المباحث رونقاً بعبارته التي سحرت الألباب وما شعرت ، إذ هو الحاكم الذي سيف قلمه إذا أمضاه كان في الدماء محكماً ، والخبر الذي لا يقاس به البحر وإن كان القياس في مذهبه مقدماً ، والعالم الذي إذا نهض بالإملاء فهو به مليّ ، والفاضل الذي إن كان العلم مدينة فبأبها علي^(٣) .

وليتعهد المشتغلين بالمدرسة بمطالبة محفوظهم ، والحث والحض على الأخذ بزيادة العلم ، فإن ذلك أسعد حظوظهم ، والحفظ والجدل جناحا العلم ويده ، وبها يتسلط الطالب على مقاربة المدى وإن كان العلم لا نهاية لمداه . فمن استحق رقيّاً على غيره فليرقه ، وليوفه حقه ؛ فإنه إذا نظر الحاكم في أمره وصل إلى حقه .

والتقوى هي ملاك الأمور وقوامها^(٤) ، وصلاح الأحوال ونظامها ، على أنه - أدام الله أيامه - هو الذي يشترع الوصايا لأربابها ، ويعلم المتأدب كيف يأتي البيوت من

(١) في (أ) : « في » .

(٢) المغالط ، ويقال المغالطة « قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق ، ويسمى سفسة ، أو شبهة بالمقدمات المشهورة ، ويسمى مشاغية » ، كليات أبي البقاء : ٢٦٣/٤ .

وأغلب الظن أن النسفي المراد هو محمد بن محمد بن محمد برهان الدين النسفي ، من علماء الأصول والجدل (ت ٦٨٦ هـ) من مصنفاته : القوادح الجدلية ، والمقدمة النسفية ، ومنشأ النظر في علم الخلاف انظر : الوافي : ١٨٥/١ ، وهدية العارفين : ١٣٥/٦ ، والأعلام : ٣١٧/٧ .

(٣) يشير إلى الحديث : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » . رواه العقيلي في الضعفاء ، وابن عدي في الكامل ، والطبراني في الكبير . انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٠٧١ .

(٤) في الأصل : « وقوامها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

أبوابها . وإنما أخذ القلم على العادة نصيبه ، وأتى بنكته ومن علم العوان الحرة^(١) كانت منه عجيبه .

والله يوفق أحكامه السديده ، ويمتّع الأيام بحاسنه ، فإنها في الناس باب القصد وبيت القصيده . والخط الكريم أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكان قد وصل تقليده من الديار المصرية بقضاء قضاة الحنفية بالشام عوضاً عن قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصري^(٢) في نصف شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وخُلع عليه ، وقُرئ تقليده يوم الجمعة بجامع دمشق^(٣) ، وولي الحكم مع تدريس المدرسة النورية ، واستناب في الحكم عنه القاضي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز الحنفي^(٤) .

وكان قاضي القضاة عماد الدين صاحب هذه الترجمة ينوب أولاً في الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين ، فلما توفي - رحمه الله تعالى - عيّن هو للمنصب لجودة أحكامه وحسن سيرته . وكان قد باشر النيابة بعد موت القاضي شمس الدين بن العز الحنفي^(٥) في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

(١) يشير إلى المثل المشهور : (إن العوان لا تعلم الحرة) ، أي : إن المرأة الحرة لا تعلم كيف تفعل .

(٢) علي بن أبي القاسم بن محمد (ت ٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته . وانظر تذكرة النبیه : ١٧٥/٢ .

(٣) انظر : البداية والنهاية : ٢٩٧/١٤ .

(٤) (ت ٧٨٢ هـ) ، الدرر : ٣٧٧/١ .

(٥) محمد بن محمد بن صالح بن أبي العز الحنفي (ت ٧٢٢ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

١١١٣ - علي بن أحمد بن زُفر*

ابن أحمد بن مَظْفَر الإربلي ، الدُّنْبَاوَندي ^(١) الأَصْل ، الشيخ الفاضل عز الدين أبو الحسن الصوفي .

كان فقيراً قانعاً ، خبيراً نافعا ، محفوظه كثير ، وملفوظه غزير ، حسن المجالسه ، كثير المؤانسه . رأى بلاداً عديده ، وأنفق فيها مدّة مديده ، ونظر في علوم كثيره . وحصل منها فوائد إذا ذكرها تُجَلُّ اللآلئ النثيره .

وكان ضبطه جيّداً ، ونقله مقيّداً ، وزكّي في الطب فلم يعالج تورّعا ، وفعل ذلك تبرّعا .

ولم يزل على حاله إلى أن أربدّ وجه الإربلي ، ومُحي أثره تحت الثرى وبلي . وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة ياربِل .

وكان قد سافر البلاد وأقام بتبريز وماردين وغيرها من المدن .

وكان قد رَتَّب بمدرسة الطب ، وزكّي ، وأذن له في العلاج . ولم ينتصب لذلك .

كان صوفيا بدوّيَرَة حَمَد ^(٢) ، وساكناً بها ، وكان قد اختار مقام دمشق إلى أن

مات .

* الدرر : ١٢/٢ . وقد اختلطت ترجمته مع ترجمة الحسن بن أحمد بن زفر الإربلي ، عز الدين . انظر : البداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ١١/٢ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، وقد سلفت ترجمة الحسن هذا في موضعها ، ولعلمها واحد .

(١) نسبة إلى دُنْبَاوَنَد ، من نواحي الري ، (معجم البلدان) .

(٢) دار بباب البريد بدمشق أوقفها حمد بن عبد الله المقرئ (ت ٤٠١ هـ) للمتصوّفة . انظر : الدارس :

١١١٤ - علي بن أحمد بن محمد*

ابن أبي بكر بن عمر بن الشيخ علي الحداد ، المؤذن بالجامع الأموي بدمشق .

كان له شعر ومدائح نبوية ، وكان يُنشد في المحافل والمجالس . وتعلّم صناعة الحدادة بالعقبة ، وأذن بالمرشدية ^(١) ، والصاحبية ^(٢) ، وجامع النيرب ^(٣) ، وبيروت . وحج غير مرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة خمس وخمسين تقريباً .

١١١٥ - علي بن أحمد بن عبد الرحمن**

ابن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، الإمام الخطيب فخر الدين أبو الحسن بن قاضي القضاة نجم الدين أبي العباس ابن الشيخ قاضي القضاة شمس الدين أبي محمد الخطيب بالجامع المظفري ^(٤) بسفح قاسيون .

* أعلام النبلاء : ٥١٦/٤ ، وفي نسبه اختلاف عما ههنا .

(١) بالصاحبية على نهر يزيد ، أنشأتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى سنة (٦٥٤ هـ) الدارس : ٤٤٣/١ .

(٢) بسفح قاسيون من الشرق ، أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب سنة (٥٤٣ هـ) ، الدارس : ٦٢/٢ .

(٣) سلفت الإشارة إليه . والنيرب من قرى غوطة دمشق .

** الدرر : ١٦٧٣ .

(٤) ويعرف بجامع الجبل ، سلفت الإشارة . والمظفري نسبة إلى الملك المظفر كوكبوري صاحب إربل ، وهو الذي أتم بناء فنسب إليه . انظر : الدارس : ٣٣٥/٢ .

توفي - رحمه الله تعالى - في ليلة الأحد حادي عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . وقد قارب الحسين .

سمع من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره .

وحدث ، وفوض أمر الخطابة إلى خاله الشيخ عز الدين محمد بن الشيخ [عز الدين إبراهيم بن الشيخ ^(١)] شرف الدين [ابن الشيخ ^(٢)] أبي عمر ، وإلى ابن أخته ^(٣) نجم الدين أحمد بن قاضي القضاة عز الدين محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة ^(٤) ، بينهما على الاشتراك .

١١١٦ - علي بن أحمد بن محمد*

الأمير السيد الشريف علاء الدين العباسي . أحد أمراء العشرات بدمشق .

أول ما عرفت من أمره أنه كان والياً بالقدس ، ثم إن الأمير سيف الدين ^(٥) أخذه وجعله أستاذ داره الكبير في بابه . ولما أمسك هو في جملة مباشري ديوانه ، ووزن شيئاً في تلك المرة ، ثم إنه تولى شدّ الأوقاف في أيام الأمير علاء الدين الطنبغا ، وتداول هو والأمير حسام الدين بن النجيب ^(٦) هذه ^(٧) الوظيفة مرات ، ثم إنه قوي عليه بانتمائه إلى الفخري ، ثم أعطي إمرة عشرة مع الوظيفة .

(١) زيادة من (أ) يقتضيها سياق نسبه ، وستأتي ترجمة محمد هذا في موضعها .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) في الأصل : « أخيه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) (ت ٧٥٥ هـ) ، الدرر : ٢٦٧/١ .

* وفیات ابن رافع : ٣٠٥/١ ، والدرر : ٢٠/٣ ، والذيل التام : ١٢٢ .

(٥) في (أ) ، (ز) : « سيف الدين تنكز » .

(٦) أبو بكر بن أبيك ، سلفت ترجمته .

(٧) في الأصل : « في هذه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في مستهل ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان شكلاً طويلاً ، تام الخلق نبيلاً ، له عبسَه وطول جلسه ، وصمت وإطراق وإعراض عن مخاطبه وإخراق . إلا أنه ليس فيه شر ، ولا عنده كَر إلى الفتن ولا فَر .

ولما كان الفخري بدمشق ، ويُس من مجيء السلطان أحمد الناصر من الكرك ، وبلغه ^(١) أنه توجه إلى مصر ، خطر له الخروج على المصريين ، وقال : هذا عندنا رجل شريف ^(٢) عباسي ، نُقيمه نحن خليفة ، ونبايعه ، وما نحتاج إلى أحد من المصريين . وكان الفخري قد عني هذا علاء الدين مشدّ الأوقاف .

١١١٧ - علي بن أحمد بن أسد*

القاضي علاء الدين بن الأطروش ، [ابن] ^(٣) أخي شمس الدين بن الأطروش ، كان يُعرف بالسكاكيني .

وسمع القاضي علاء الدين [هذا] ^(٤) الدارَقُطَني ^(٥) على الحافظ شرف الدين الدميّاطي . وكان شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - يقول : هو رفيقي في السماع على الدميّاطي .

(١) في الأصل : « وجعله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٢) في (أ) ، (ز) : « عندنا واحد شريف » .

* وفيات ابن رافع : ٣٤٣/١ ، والدرر : ٣/٣ ، والنجوم : ٣٢٧/١٠ ، والذيل التام : ١٥٩ ، وذيل العبر : ٣١٥ . وقد اختلف في اسم أبيه ، وما وقع هنها موافق لما في ذيل العبر . وفي وفيات ابن رافع والدرر والذيل : « ابن إبراهيم » ، وفي النجوم : « ابن محمد » . وانظر السلوك : ٧/٢ - ٨ ، ٢٨ .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) عبارة الدرر : « ومن الدميّاطي » ، وسمع عليه سنن الدارَقُطَني ، وهو علي بن عمر بن أحمد (ت ٢٨٥ هـ) ، السير : ٤٤٩/١٦ .

وحدث بدمشق ، وربما حدث بالديار المصرية .

ورد إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر متولياً نظر الحسبة ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين ، في أواخرها ، وباشرها مباشرة جيدة بصلف ومهابة . ولم يزل بها ، وهو يخدم الأمراء المصريين وغيرهم إلى أن سعى في طلبه مع الأمير سيف الدين أرغون العلوي والحجازي وغيرها ، فطلب إلى مصر في أواخر سنة خمس وأربعين ، فتوجه إلى القاهرة ، وباشر الحسبة [بها] ^(١) ثم إنه عزل منها ، وتولى حسبة دمشق مرة ثانية ، فورد إليها بعد وفاة الشيخ عز الدين بن المنجا المحتسب في سنة ست وأربعين وسبع مئة فيما أظن ، وتولى مع الحسبة نظر الأسرى بدمشق أيضاً ، فباشر ذلك مدة لطيفة ، وانفصل من الأسرى ، وبقي على وظيفة الحسبة بدمشق ، وهو مستمر على خدمة الأمراء المصريين ، يسعى في العود إلى القاهرة . فطلب إليها ثانياً من دمشق ^(٢) في سنة ... ^(٣) .

وأقام بها ، وتولى الحسبة بالقاهرة ونظر المارستان المنصوري مرات ، وعزل منها ثم أعيد إليهما ، وولي قضاء العساكر بالقاهرة أيضاً ، ولما تولى علم الدين بن زنبور الوزارة عزله من وظائفه ، ثم إنه أعيد إليها ، ثم عزل أخيراً من البيمارستان .

وبقي على الحسبة وقضاء العساكر إلى أن ورد الخبر إلى دمشق بوفاته - رحمه الله تعالى - وصلى عليه بالجامع الأموي صلاة الغائب يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة [سنة ثمان وخمسين وسبع مئة . وكانت وفاته بالقاهرة يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة] ^(٤) .

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في (أ) ، (خ) : « من دمشق إلى القاهرة » .

(٣) كذا في الأصول .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

وكان - رحمه الله - فيه خدمة للناس ، ورعاية لأصحابه ، ومكارم لمن يصحبه .

أول ما عرفت من أمره أنه تعلّق على صحبة الأمير علم الدين سنجر الجاوي ، وتمارض في وقت ، وسعى مع أصحابه في أن يعود الجاوي ، فجاء إليه وعاده ، فطار هذا الخبر في القاهرة ، فتشبه الناس بالجاوي ، وعاده الكبار من أرباب السيوف والطيايس .

ولم يزل بعد وفاة السلطان الملك الناصر يسعى مع أمراء الدولة إلى أن ولي حسبة دمشق ، كما تقدم . وكان من رجالات العالم في السعي ، وحفظ المودة والرّعي ، لا يملّ من المشاكلة للأكابر ، والتردد إليهم إن كانوا أرباب سيوف أو محابر ، والتودّد إلى مَنْ حولهم ، والتعهد إلى مَنْ يسمع قولهم ، ولا يزال يداخلهم بكلّ صنف يميلون إليه ، وينازلهم في كلّ مرّيع ينزلون عليه ، حتى يخلّب^(١) قلوبهم بخدّمه ، ويثبت لديهم رسوخ قدمه ، فحينئذ يقترح بعد التطفّل ، ويرفع بعد التّسفل .

له عزمة ما استبطأ الدهر نجحها ولا استعتب الأيام ورّي زنادها
إذا شوهدت بالرأي بان اختيارها وإن بان ذوالرأي اكتفت بانفرادها^(٢)

وكانت الدنيا تهون عليه في البذل ، ويستوي عنده في المكارمة ذو الوجاهة والنّذل ، لا يرى إلا قضاء مآربه ، وإضاءة الوجود بذكره في مشاركته ومغاربه .

ولما جاء إلى حسبة دمشق عبث بشمس الدين الشاعر [الخياط]^(٣) المنبوز بالصفدع ، وضربه واعتقله ، وهمّ بخلق ذقنه ، فقام في أمره القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وخلّصه ، فتسلّط على عرّضه ، وهجاه بقصائد ومقطعات كثيرة ، من ذلك قوله وقد ركب بغلة بزّار :

(١) في الأصل و (أ) : « يخلّب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في (خ) : « اختيارها » ، تصحيف .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) . وهو محمد بن يوسف .

رقى ابن الأطروش إلى رتبة باع لها الجنة بالنار
تنصرت بعلته تحته فقد غدت تمشي بزئار

١١١٨ - علي بن أرقطاي*

الأمير علاء الدين بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج أرقطاي نائب صفد وطرابلس وحمص وحلب والقاهرة ، تقدم ذكر والده في مكانه .

كان ذا وجه سبحان من أبدعه ، ومُحيّا كأن الله تعالى خلق الجمال له وأودعه .
حلوا الصورة ، كأن المحاسن عليها مقصوره ، أو صفات الجمال البارعة فيها محصوره ، أو
الفتنة تقابلها العيون من صورة منصوره ، إذا رأى الناظر عينيه يخال أن الكحل في
جفونها قد نفّض ، والسحر من الزمن القديم إلا من حركاتها قد رُفض ، بقوام من أين
للفصون الميادة حركاته ، أو للقلنا الذابل تحت الأسنة^(١) فتكاته ، وذؤابة أورك بها من
قده الغصن الرطيب ، وحكت مجنون ليلي إذا خطا ، فهي تخطّ على كتيب :

حلوا الشائل والمعاطف أهيف جمعت ملاحه كل حسن فيه
يختال معتدلا فإن عبث الصبا بقوامه متعرضا يثنيه

كان الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - يميل إليه ميلاً شديداً ، ويجد منه
غراماً جعل قلبه في هواه عميدا ، إلا أنه على عادته ، في هواه ، وقاعدة جواه ، لم ينل
منه إلا لذة نظره^(٢) ، واستجلاء قمر وجهه في دياجى شعره . طلبه وطلب أخاه
إبراهيم ، وكان الآخر بارع الجمال ، ولكن علي هو البدر في ليالي الكمال . وكتب إلى

* الدرر : ٢٣/٣ ، ووقع في الأصل و (ز) : « أقطاي » .

(١) في الأصل : « الأسده » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٢) في الأصل : « النظر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهو أنسب للسجعة . وفي قوله إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لاحظ لي منسه إلا لذة النظر

السلطان في معنهما ، وأمرهما عنده بدمشق ، لبسا تشاريفهما ، وأنزلهما عنده بدار السعادة ، وأقاما قريباً من شهر . وجعل علياً بطبلخاناه وإبراهيم بعشرة ، وأعادهما إلى أبيهما .

وتوجه أمير علي مع والده إلى الديار المصرية ، وأقام فيها مدة إلى أن هضرت يد الموت غصنه الرطب ، وأعظمت على أبيه الخطب ، وتوفي رحمه الله تعالى^(١) .

١١١٩ - علي بن إسحاق *

الشيخ المسند علاء الدين أبو الحسن بن الملك المجاهد صاحب الجزيرة بن السلطان بدر الدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل^(٢) .

سمع من الحراني (جزء ابن عرفة) و (المصاحفات) المخرجة له و (الثنائيات)^(٣) وغير ذلك ، وسمع من ابن علاق (الجمعة) للنسائي .

وكان من أعيان الجند بالقاهرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثامن شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

ومولده ثامن عشري المحرم سنة سبع وخمسين وست مئة بجزيرة ابن عمر^(٤) .

(١) بعد الحسين وسبع مئة ، كما في الدرر .

* الدرر : ٢٣/٣ .

(٢) (ت ٦٥٧ هـ) ، البداية والنهاية : ٢١٤/١٣ ، والشذرات : ٢٨٩/٥ .

(٣) وتعرف بـ ثنائيات النجيب ، وهو عبد اللطيف بن عبد النعم بن علي بن نصر الحراني (ت ٦٧٢ هـ) . الكشف : ٥٢٣/١ .

(٤) بلدة فوق الموصل ، تنسب إلى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي . (معجم البلدان) .

١١٢٠ - علي بن إسماعيل بن إبراهيم*

ابن كسيرات ، القاضي تاج الدين بن صاحب مجد الدين الخزومي ^(١) .

كان يخدم بطرابلس في وظائف الديوان من سنين .

وكان كاتباً ظريفاً شاباً ، لَين ^(٢) الشائل ، ظاهر الرئاسة ، له اشتغال ونظم .

سمع مع الشيخ علم الدين البرزالي كثيراً .

[وتوفي] ^(٣) رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده في مستهل الحجة سنة تسع وستين وست مئة .

١١٢١ - علي بن إسماعيل بن أبي العلاء**

ابن راشد بن محسن ، الشيخ الفاضل علاء الدين أبو الحسن الدمشقي القواس

الوتار .

سمع من ابن أبي اليُسّر والزين عليّ بن الأوحّد ، والبدر عمر بن محمد الكرمانيّ .

وحدّث .

وكان رجلاً جيّداً فاضلاً أديباً ، له نَظْمٌ ، وعنده طَرَفٌ من العربية واللغة ،

وذهنه جيد . وكان حسنَ المجالسة والمحاضرة ، ملازماً لسوق القواسين ، يقصده الناس في

دكانه ، ويصحح جماعةً عليه ما يقرؤونه عليه في المواعيد ^(٤) وعلى الكراسي .

* الدرر : ٢٤/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته . ووقع في الأصل : « علي بن إبراهيم بن إسماعيل » ، سهو . وعقد

الجمان : ٣٧٩/٣ ، وذكره في وفيات (٦٩٦ هـ) .

(١) (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٧٤/٩ .

(٢) في (أ) : « لبق » ، تحريف .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

** الدرر : ٢٩/٣ .

(٤) عبارة الدرر : « وكان الذين يقرؤون المواعيد يصحّون عليه » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

١١٢٢ - علي بن إسماعيل بن يوسف*

الإمام العالم العامل العلامة القدوة العارف المُسَلِّك ، ذو الفنون قاضي القضاة بدمشق الشافعي شيخ الشيوخ بالديار المصرية ، القنوي^(١) التبريزي .

سمع الحديث عن إبراهيم بن عنبر^(٢) المعروف بالمارداني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله اليونيني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الواحد الزمלקاني ، وأبي الفضل أحمد بن هبة الله^(٣) بن عساكر ، وإسماعيل بن عثمان بن المُعَلَّم^(٤) ، وأبي الخير سلامة بن سالم الجعبري ، وعبد الله بن محمد الرصافي^(٥) ، وأبي حفص عمر بن القواس .

وسمع بمصر من الأبرقوهي ، وابن الصّوّاف ، وابن القيم ، ومن الحافظ شرف الدين الدميّاطي ، وقاضي القضاة تقي الدين أبي الفتح بن دقيق العيد ، ولازمه زمناً طويلاً ، يحضر عنده بالليل ، وكتب له بخطه مع تحرّيه وضبطه على (مختصر ابن الحاجب) على النسخة التي هي مُلكه ، باحثتُ صاحب هذا الكتاب ، ونَقَّته^(٦) وقال : فوجدته يُطَلِّقُ اسم « الفاضل » عليه استحقاقاً . وحسبك هذا الثناء من الشيخ تقي الدين - رضي الله عنه - وعلى مَنْ كان يطلق هذه اللفظة ، أعني « الفاضل » .

* البداية والنهاية : ١٤/١٤٦ ، والدرر : ٣/٢٤ ، والشذرات : ٦/٩١ ، والدارس : ١/١٢٠ ، وتذكرة النبيه : ٢/١٧١ ، ١٩٢ .

- (١) نسبة إلى قونية ، مدينة في بلاد الروم ، وهي تركيا اليوم .
- (٢) في (أ) : « عنتر » ، تصحيف ، (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٥/٣٩٦ ، والشذرات : ٥/٤٤٥ ، وفيها : « المادريني » ، خلافاً لما ههنا .
- (٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، وقد سلفت الإشارة إليه .
- (٤) سلفت ترجمته في موضعها .
- (٥) (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٥/٤٣٠ .
- (٦) عبارة الدرر : « صاحب هذا الكتاب فلاناً » .

وكان الشيخ علاء الدين - رحمه الله تعالى - جبل علوم ، وطَوْدَ حلوم ، وبحر فضائل ومَسِيلَ مسائل ، فاضل الدهر وعالمه العلّامه ، ومَنْ إذا ذَكَرَ النَّاسُ غَيْرَهُ لم يقل الإنصاف له إلا « مَهْ » ، عرف التفسير وكَشَفَ سِرَّ (كشافه) ، وعلم ما يخاطب به منه وما يُشَافِه ، وخاض بحر الفقه فلو رآه الروياني ^(١) لأغرقه في بَحْرِهِ ، وحوى محاسن (الحاوي) ، فلو عاصره الماوردي ^(٢) لعجز عن ثنائه الطيّب وشُكْرِهِ ، ومخض زبد الكلام ، فلو تأمله السيف الأمدي ^(٣) لوقف فيه عند حدّه ، أو الإمام فخر الدين لتحقّق أن (محصّله) ^(٤) من عنده ، وحقّق أصول الفقه فلو تقدّم زمانه كان ابن الحاجب بين يديه تقيبا ، أو البيضاوي ^(٥) لتسوّد وجوه طروسه ولم يكن في (منهاجه) مصيبا .

وذاق لبّ العريّة فالفارسيّ يفتخر ^(٦) به ويقول أنا أبو علي ^(٧) ، وابن مالك يقول : مَنْ شافعي في هذا الفن إلى هذا الولي . وخاض في لُجّة المعاني والبيان ، فعبد

(١) عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الشافعي (ت ٥٠٢ هـ) ، واسم كتابه : « بحر للذهب » في الفروع . الكشف : ٢٢٦/١ .

(٢) علي بن عماد الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، واسم كتابه : « الحاوي الكبير » في الفروع . الكشف : ٦٢٨/١ .

(٣) علي بن محمد بن سالم التغلبي من علماء الكلام ، صاحب « منتهى السؤل » و « أباكار الأفكار » في علم الكلام ولباب الألباب (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٣٦٤/٢٢ ، والأعلام : ٣٢٢/٤ .

(٤) يشير إلى المحصّل للأمام الرازي ، واسمه : « محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين » ، الكشف : ١٦١٤/٢ .

(٥) عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، له تفسير البيضاوي ، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول ، الآتي ذكره ، الكشف : ١٨٧٨ / ٢ .

(٦) في (أ) : « يفخر » .

(٧) تورية بين اسم للترجم له ، وكنية الفارسي ، وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي سلفت الإشارة إليه .

القاهر عنده عبد مقهور ، وصاحب (المفتاح)^(١) لانسبة له إلى مَنْ عنده خزائن المنظوم والمنثور .

وبرع في المنطق فهو من الخونجي^(٢) أفضل ، ومن الكاتبي^(٣) أنبه ، ومن الأبهري^(٤) أبهر وأنبيل .

وجَدَ للجدل حتى وافقه العميدي^(٥) على الخلاف ، ونسف حبال النسفي وما تلافاه أحد من التلاف .

وهذَّب نفسه بالمعارف في التصوف ، وذاب في خلواته من التشوّق إلى حضرة القدّس والتشوّف ، فلو رآه الشبلي^(٦) لقال هذا الأسد ، أو معروف^(٧) لأنكر نفسه وقال : هذا الذي بلغ من الأشدّ الأشدّ .

هذا إلى صورة قد حسّنها الذي فطرها ، وشيبة يبيّضها الله ونورها ، وأخلاق ليس للنسيم لطفها ، ولا للرياض نُضرتها وظرفها .

أقام في القاهرة فلأها علما ، وجاء إلى دمشق فسرها^(٨) حكماً وحِلماً .

ولم يزل [فيها]^(٩) على حاله إلى أن غاض بحره العجّاج ، وطُفئ سراجُه الوهاج .

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، في علوم البلاغة العربية .

(٢) محمد بن ناماؤر بن عبد الملك (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٦/٥ .

(٣) علي بن عمر بن علي القزويني (ت ٦٧٥ هـ) ، هدية العارفين : ٧١٢/١ .

(٤) المفضل بن عمر بن المفضل (ت ٣٦٣ هـ) ، هدية العارفين : ٤٦٩/٢ .

(٥) محمد بن محمد بن محمد ، ركن الدين العميد ، (ت ٦١٥ هـ) الوافي : ٢٨٠/١ .

(٦) تَلَفَ بن جحدر الشبلي (ت ٣٣٤ هـ) ، السير : ٣٦٧/١٥ .

(٧) معروف بن فيروز الكرخي (ت ٢٠٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٣١/٥ .

(٨) في (أ) : « فسدها » ، ولعلها أشبه .

(٩) زيادة من (أ) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق رابع عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

ودفن بسفح قاسيون بترية اشترت له .

ومات بورم الدماغ ، بقي مريضاً أحد عشر يوماً . وكانت جنازته حافلة ، وتأسف الناس عليه .

خرجوا به ولكلِّ باك حَوْلَه صَعَقَاتِ مُوسَى يَوْمَ ذِكِّ الطُّورِ
حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كَانَ ضَرْحَه فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْحِدٍ مُحْفُورِ
تَبْكِي عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارَه فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورِ

وكان الشيخ علاء الدين - رحمه الله تعالى - قد قدم دمشق في أول سنة ثلاث وتسعين وست مئة ، فرتب صوفياً ، ثم إنه درّس بالإقبالية^(١) ، ثم إنه توجه إلى الديار المصرية ، وأقام بها ، وولي مشيخة سعيد السعداء ، وأقام ثلاثين سنة على قدم واحد ، إذا طلع الفجر خرج من مسكنه للصلاة بسكون ووقار ، وإذا فرغ منها أخذ في إشغال الطلبة في غير ما فن إلى أن يؤذن الظهر ، فيصلّي ، ويأكل شيئاً في بيته ، ثم إنه من الظهر إلى العصر يدور ، إما أن يزور أصحابه الأعزة ، أو يتوجه في شفاعية لأحد قصده ، أو يسلم على غائب أو يهنئ أو يعزي أو يعود مريضاً ، إلى أن يتوجه إلى وظيفة الخاتناه للذكر والعبادة . هكذا أبداً لا يتر له وقت في غير ذلك .

وكان قد ولي^(٢) تدريس الشريفة بالقاهرة ، وبها سكنه . وكان السلطان يعظمه ويثني عليه ، وكذلك الأمير سيف الدين أرغون النائب .

(١) داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما ، شمال الجامع الأموي ، أنشأها جمال الدولة إقبال . المدارس :

(٢) في (أ) : « تولى » .

أخبرني القاضي ناصر الدين بن الصاحب شرف الدين كاتب السر بدمشق ، قال : سمعت الأمير سيف الدين أرغون النائب يقول بحلب : ما رأيت رجلاً مثل الشيخ علاء الدين القونوي ولا ملأ عيني غيره .
وكان يعرف بالتركي وبالعجمي .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي الشيخ كال الدين محمد بن الزملكاني ببلييس ، وقد طلبه السلطان ليوليّه قضاء دمشق ، فحينئذ عيّن السلطان الشيخ علاء الدين لقضاء الشام ، فما خرج منها إلّا كارهاً . كان يقول لأصحابه الأعزّة عليه : أخلني السلطان كونه لم يولني قضاء الديار المصرية ، وليته كان عيّني لذلك في الظاهر ، وكنت أنا سألته الإعفاء من ذلك .

ولما خرج إلى الشام حمل كتبه معه على البريد ^(١) ، وأظنها كانت وقر خمسة عشر فرساً أو أكثر . وباشر منصب الحكم بدمشق أحسن مباشرة بصلف زائد وعفة مفرطة ^(٢) ، ولن يكن له تهمة في الأحكام ، بل رغبته وتطلعه إلى الإشغال والإفادة . وطلب الإقالة أولاً من السلطان ، فما أجابه ، ثم إنه لما جاء إلى الشام واستقر في دمشق ، كتب إلى شيخنا العلامة تقي الدين السبكي ليناقله إلى وظائفه بالقاهرة ، ويأخذ هو قضاء الشام ، فما وافقه ذاك .

وكان منصفاً في بحوثه ، ريضاً معظماً للآثار ، ولم يُغيّر عَمَتَه للتصوف . ولما جاء إلى دمشق ، بلغني أنه أحضر القاضي فخر الدين المصري والقاضي جمال الدين ابن جملة ، وحل من وسطه كيساً فيه ألف دينار ، وقال : هذه جاءت معي من الديار المصرية .

(١) في (أ) : « على خيل البريد » .

(٢) في (أ) : « زائدة مفرطة » .

وخرج له ابن طغريل والشيخ عماد الدين بن كثير^(١) (مشيخة) ، فوصلها
بجُمْلَة . وشرح (الحاوي)^(٢) في أربع مجلدات وجوّدَه ، واختصر (منهاج) الحلبي^(٣)
وسمّاه (الابتهاج) . وله (التصرف) ، شرح (التعرف في التصوف)^(٤) .

وكان قد أحكم العربية ، وله يد طولى في الأدب ، ويكتب خطأ قوياً إلى الغاية
مليحاً تعليقاً .

وكان له حظ وافر من صلاة وصيام وخير وحياء ، وكان مع مخالفته للشيخ
تقي الدين بن تيمية وتخطئته له في أشياء كثيرة ، يثني عليه ويعظمه ويدب عنه ، إلا
أنه لما توجه من مصر قال له السلطان : إذا وصلت إلى دمشق ، قل لنائب الشام يفرج
عن ابن تيمية . فقال : يا خوند ، على ماذا حبستوه ؟ قال : لأجل ما أفقي به في تلك
المسألة . فقال : إنّا حُبس للرجوع عنها ، فإن كان قد تاب ورجع أفرجنا عنه . وكان
ذلك سبب تأخيره في السجن إلى أن مات .

وكان له ميل إلى محي الدين بن عربي ، إلا أن له ردوداً على أهل الاتحاد . وكان
يتحدث على حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : « كنت سمعته الذي يسمع به »^(٥) ،
وشرحه شرحاً حسناً ، وبيّنه^(٦) بياناً شافياً .

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير ، صاحب البداية والنهاية (ت ٧٧٤ هـ) .

(٢) للقرظيني ، الكشف : ٦٢٥/١ .

(٣) حسين بن الحسن الحلبي الجرجاني (ت ٤٠٣ هـ) ، واسم كتابه : « منهاج الدين » ، الكشف :
١٨٧١/٢ .

(٤) للكلاباذي ، محمد بن إبراهيم البخاري (ت ٣٨٠ هـ) ، الكشف : ٤١٩/١ .

(٥) يشير إلى قوله ﷺ : (إن الله تعالى قال : مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي
بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني
أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري . انظر : رياض الصالحين : ٨٨ .

(٦) في (أ) : « ويشرحه ... وبيّنه » .

ورأيتَه يكتب بخطه على ما يقتنيه من الكتب التي تخالف السُّنة من اعتزال وغيره^(١) :

عرفت الشرَّ لا للشرِّ رلكنْ لتوقِّيهِ
ومَنْ لا يعرف الشرَّ رمن الخير يقع فيه

وكان يترسل جيداً من غير سجع ، ويستشهد بالآيات المناسبة والأحاديث والآيات اللاتقة بذلك المقام .

وكنْتُ أنا بصفد أكتب إليه وهو بمصر عن الأمير شرف الدين حسين بن جندر - رحمه الله تعالى - فتأتي أجوبته بخطه ، وهي في غاية الحسن ، وفيها السلام عليّ والثناء الكبير والتودّد من غير معرفة . ولما دخلت القاهرة واجتمعت به مرّات ، عاملني بكل جميل وطلب مني كتابي (جنان الجناس) . ووقف عليه ، وبقي عنده مدة^(٢) ، ثم أعاده إليّ ، وبلغني الثناء الزائد منه عليّ . ثم لما قدمت من مصر إلى دمشق متوجّهاً إلى الرحبة ، وهو بالشام قاض ، طلب ذاك المصنّف مني ، فحملته إليه ، وبقي عنده مديدة ، ثم أعاده ، وأخذ في الفضل^(٣) والشكر على عادة إحسانه ، جزاه الله عني الخير ، ورحمه ورضي عنه .

وكتب هو - رحمه الله - إلى ناصر الدين شافع ، وقد طلب منه شيئاً من شعره :

غَمَرْتُني المكارمَ الغرَّ منكم وتوالت عليّ منها فنون^(٤)
شرط إحسانكم تحقّق عندي ليت شعري الجزاء كيف يكون

يقبّل الباسطة الشريفة ، لازالت للمكرّمات مستديمه ، وفي سبيل الخيرات

مستقيمه .

(١) البيتان في الدرر .

(٢) في (أ) : « مديدة » .

(٣) في (أ) : « التفضّل » .

(٤) البيتان في الدرر .

ويُنهي أن بضاعة المملوك في كل الفنون مُرْجَاه ، ولا سيما في فن الأدب ، فإنه فيه في أدنى الدرجات . وقد وردت عليه إشارة مولانا - حرسه الله تعالى - في طلبه شيئاً من الشعر الذي ليس المملوك منه في غير ولا نفير ، ولا حظي منه بنقير ولا قِطْمِير^(١) ، سوى ما شذّ من الهذيان ، الذي لا يصلح لغير الكتبان ، ولا يُحفظ إلا للنسيان . والمسؤول من فضل مولانا وكرمه المبذول أن يَتِمَّ إحسانه إليه بالستر عليه ، فإنه وجميع ما لديه من سقط المتاع ، ولا يُعار لسقاطته لا^(٢) لنفاسته ولا يباع^(٣) ، والله يؤيد مولانا ويُسعده ويحرسه بالملائكة ويعضده .

وكتبت إليه وقد وقف على كتابه الذي سَمَّاه (مخالفة الرسوم في حلّ المنثور والمنظوم) :

مخالفة الرسوم وافقتُ المَنَى وحازت من الإحسان خَصْلَ المناضل
أثارت على نجل الأثير إثارة من العلم مفتونا بها كلّ فاضل
وشاعت بالشام صورة فتيا على لسان بعض اليهود ، وهي :

أيا علماء الدّين دَمِي دينكم تحير دَلَوهُ بأوضح حُجّة
إذا ما قضى ربّي بكفري بزعمكم ولم يَرْضَهُ مني فإوجه حيلتي
دعاني وسدّ الباب عني فهل إلى الـ دخول سبيل ؟ يَبْنُوا لي قصتي
قضى بضلا لي ثمّ قال ارضْ بالقضا فها أنا راضٍ بالذي فيه شقوتي
فإن كنتُ بالمقضيّ يا قوم راضيا فربّي لا يَرْضَى لشـموم بليّتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيّدي وقد حرّت دَلَوني على كشف حيرتي

(١) القطمير : القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة .

(٢) في الأصل : « إلا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) يشير إلى قول عبدة بن ربيعة في صفة فرسة .

نفيس لا يعار ولا يباع

أبيت ألعن إن سكاب علق

انظر : شرح الحماسة للتبريزي : ١١٢/١ .

إذا شاء ربّي الكُفْرَ مِنّي مشيئةً وهل لي اختيارٌ أن أخالفَ حكمه
فها أنا راضٍ باتباع المشيئة فبالله فاشفوا بالبراهين غلّتي

فكتب الشيخ علاء الدين - رحمه الله - الجواب :

حَمِدْتُ إلهي قَبْلَ كُلِّ مَقَالَةٍ
وَحَاوَلْتُ إِبْلَاجَ النَّصِيحَةِ مُنْصِيفاً
فَأَوَّلُ مَا يُلْقَى إِلَى كُلِّ طَالِبٍ
نَزْوَعُ الْفَقْهَ مِنْ كُلِّ عَقْدٍ وَشُبْهَةٍ
وَالْقَاءَ سَمِعَ وَاجْتَنَابَ تَعَنَّتْ
إِذَا صَحَّ عَنْكَ الْجَدُّ فِي كَشْفِ غَمَّةٍ
صَدَقْتُ ، قَضَى الرَّبُّ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَا
وَهَذَا إِذَا حَقَّقْتَهُ مَتَأَمِّلاً
لَأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَضَاءَهُ
يَجُوزُ وَلَا يَأْبَاهُ عَقْلٌ كَمَا تَرَى
كَالرِّيِّ بَعْدَ الشَّرْبِ وَالشَّبْعِ الَّذِي
فَلَيْسَ يَبْدَعُ أَنْ يَكُونَ مُعَلَّقاً
بِكُفْرِكَ مَهْمَا كُنْتَ بِالْبَغْيِ رَافِضاً
فَمِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ تَمَارُضَتَهُ
فَأَنْتَ كَمَنْ لَا يَأْكُلُ الدَّهْرَ قَائِلاً
وَصَلَّيْتُ تَعْظِيماً لِلرَّبِّ الْبَرِّيَّةَ
لَمْ أَنْ تَطْلُبِ الْإِيضَاحَ فِي كُلِّ شُبْهَةٍ
لِتَحْقِيقِ حَقٍّ وَاتِّبَاعِ حَقِيقَةٍ
تَصَدَّ عَنْ الْإِمْعَانِ فِي نَظْمِ حُجَّةٍ (١)
فَلَا خَيْرَ فِي الْمُسْتَحْمَقِ الْمُتَعَنِّتِ
بُلِيَّتِ بِهَا فَاسْمَعْ هُدَيْتَ لِرَشْدِي (٢)
يَكُونُ وَمَا قَدْ كَانَ فَوْقَ الْمَشْيِئَةِ (٣)
فَلَيْسَ يُسَدُّ الْبَابَ مِنْ بَعْدِ دَعْوَةٍ (٤)
بِأَمْرِ عَلَى تَعْلِيْقِهِ بِشَرِيطَةٍ
حَدُوثِ أُمُورٍ بَعْدَ أُخْرَى تَأَدَّتْ
يَكُونُ عَقِيبُ الْأَكْلِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
قَضَاءُ إِلَهِ الْخَلْقِ رَبِّ الْخَلِيقَةِ
تَعَاطَيْتُ أَسْبَابَ الْهُدَى مَعَ مَكْنَةٍ
مَعَ الْأَمْرِ وَالْإِمْكَانِ لَفْظُ الشَّهَادَةِ
أَمُوتُ بِمَجُوعٍ إِذْ قَضَى لِي بِمَجُوعَةٍ (٥)

(١) في الأصل : « ترع » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) : « منك » ، وهي أشبه .

(٣) في (أ) : « الرب الحكيم » .

(٤) في الأصل : « من غير » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٥) في (أ) : « بجرعة » ، تحريف .

فلو أنتم أقبلتم بضراعة
ووفيتم حسن التأمل حقّه
لكان الذي قد شاء الله من هدى
ألا تفحات الربّ في الدهر جمّة
ولا تتكّل وأعمل فكلّ ميسّر
ولو كنت أدري أن فهمك قابل
لأشيعت فيه القول بسطاً محققاً
ولكننا المقصود إقناع مثلكم
ولولا ورود النهي عن هذه التي
فها أنا أطوي بسط ما قد نشرته

إلى الله والدين القويم الطريقة
وأحسنتم الإيمان في كلّ نظرة
وليس خروج من قضاء بحالة^(١)
ولكن تعرّض كيّ تفوز بنفحة
لما هو مخلوق له دون ريبة
لفهم كلام ذي غموض ودقّة^(٢)
على نمطيّ علمي كلام وحكمة
فهاك قصيراً من فصول طويلة
سألت لصار الفلّك في وسط لجة
وأستغفر الله العظيم لزلّتي

ونظم الشيخ علاء الدين - رحمه الله - أبياتاً في الشّجاج^(٣) ، أنشدنيها عنه الإمام
قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلاقي المالكي^(٤) ،
قال : أنشدنا لنفسه ، وسمعتها منه غير مرة^(٥) :

إذا رمت إحصاء الشّجاج فهاكها
فحارصة إن شقت الجلد ثم ما
وباضعة ما تقطع اللحم والتي
وتلك لها وصفّ التلاحم ثابت

مفسّرة أسماؤها متواليه
أسال دماً وهي المُسمّاة داميّه
لها العوّص فيه للذي مرّ تاليه
وما بعدها السّمحاق فافهمه واعيه^(٦)

(١) في (أ) : « عن قضاء » .

(٢) في الأصل : « وهمك » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) انظر : فقه اللغة للثعالبي : ١٥٣ ، فصل في ترتيب الشجاج ، باختلاف عما سيأتي .

(٤) (ت ٧٧١ هـ) الدرر : ١١/٤ .

(٥) أورد معظمها صاحب الدرر .

(٦) وتسمّى : المتلاحمة .

تكون وراء اللحم للعظم غاشيه
 مُنْقَلَّةٌ ثُمَّ التي هي آتيه^(١)
 وهاشمة بالكسر للعظم باغيه
 وقد بقيت أخرى بها العشر وإفيه
 هي الأم كَيْسٌ للدماغ وحاويه^(٢)
 تُرْدُ ضبط حُكِّ الكَلِّ فاسمع مقالیه
 بإيضاح عمد فالقصاص وجانيه
 فلا عَشْرُ في استيفائها متكافيه^(٣)
 إلى المال عفواً فاقْدِرِ الأَرْضَ ثانيه
 فتلك لنصف العَشْرِ منها مساويه
 وزد بانضمامٍ للحساب مُراعيه
 يزيد عليه نصفه بك حاسيه^(٤)
 ودامغة مثلاً لها ومكافيه
 لتدقيقه كالحرز وهي ملافيه
 وعجمتي العجاء في النظم باديه

وقل ذاك ما أفضى إلى الجلدة التي
 ومن بعدها ما ينقل العظم واسمها
 ومُوضحة ما أوضح العظم باديا
 ومأمومة أمت من الرأس أُمّة
 فدامية تُسمى لخرق جليدة
 وهذا هو المشهور في عدّها وإن
 ففي الخمسة الأولى الحكومة ثم ما
 وخُصّت بهذا الموضحات لضبطها
 وإن حَصَلَتْ من غير عمد أو انتهت
 على ذمّة النفس التي أوضحت بها
 وذاك لأرض الهشم والنقل مفردا
 ففي اثنين منها العشر ثم لثالث
 ومأمومة فيها من النصف ثلثها
 وقيل بأن الدمغ ليس جراحة
 وقد نجز المقصود والعي واضح

١١٢٣ - علي بن إسماعيل بن إبراهيم*

ابن قريش ، المُسْنِدُ نور الدين أبو الحسن بن المحدث تاج الدين الخزومي
 المصري .

(١) في (أ) : « مثقلة » ، تصحيف .

(٢) في الأصل : « للأماغ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) في الأصل : « منا كافيه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) في (أ) : « حاشية » .

* الدرر : ٢٣/٣ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذبول العبر : ١٧٣ .

سمع الحافظَيْن المُنْذِرِي والعَطَّار ، وشيخ الشيوخ الحموي ، ومحمد بن أنجب ،
والكمال الضرير ، وابن البرهان ، وابن عبد السلام . وسمع حضوراً من عبد المحسن بن
مرتفع^(١) . وتفرّد بأشياء ، وكان صالحاً خيراً ، من الشهود .

أخذ [عنه]^(٢) شهاب الدين الدميّاطي ، والشيخ تقي الدين بن رافع ،
وشمس الدين السروجي ، وجماعة .

وسمعت أنا عليه الجزء الأول والثاني من عوالي (المعجم الكبير) لأبي القاسم
سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، بقراءة شيخنا الحافظ أبي الفتح ، في منزله بين
القصرين في عدّة مجالس ، آخرها في سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
وأجاز لنا جميع ما يرويه ، ورواها لنا بسماعه من الشيخ زين الدين أبي الطاهر
إسماعيل بن عبد القوي بن عزون^(٣) .

قال : أخبرتنا الشيخة فاطمة بنت الإمام أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل
الأنصاري ، قراءة عليها ، وأنا أسمع ، قالت : أخبرتنا الشيخة فاطمة بنت أحمد بن عبد
الله بن عقيل الجوزدانية^(٤) ، قراءة عليها ، وأنا حاضرة ، في الثالثة ، أخبرنا أبو بكر
محمد بن عبد الله بن ريدة الضبي^(٥) ، أخبرنا الطبراني .

وتوفي الشيخ نور الدين بن قريش المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

(١) لم تقف على ترجمته . وفي الشذرات ما يشير إلى أنه سمع عليه في الرابعة .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٣) (ت ٦٦٧ هـ) ، العبر : ٢٨٦/٥ ، والشذرات : ٢٢٤/٥ ، ووقع في (أ) : « عبد القوي بن أبي العزيز
عزّون » .

(٤) كذا ، وفي السير ، ٥٠٤/١٩ : « فاطمة بنت عبد الله بن أحمد (ت ٥٢٤ هـ) » .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم (ت ٤٤٠ هـ) ، السير : ٥٩٥/١٧ ، ووقع في الأصول :
« ريدة » ، تصحيف .

١١٢٤ - علي بن إسماعيل *

الشيخ الإمام نور الدين الصفدي .

ربي في حجر الشيخ زين الدين أبي بكر المقرئ إمام مسجد الشيرازي^(١) بصفد ومقرئها .

كان له قدرة على الحفظ ، وشُهرة بكثرة اللفظ ، ذكياً إلى الغاية ، زكياً في نفسه ليس لطلبه نهايه ، يحرص على أن يسلك طريق الشيخ تقي الدين بن تيميه ، ويأخذ نفسه بالدخول في كل بليته ، ويشتهي أن يحيط بالأشياء علماً ، وألا يدع علماً ولا غيره حتى يملكه فُهماً ، فلذلك ضيَّع الزمان ، وإن كان قد خرج عن الجهل بأمان ، لكنه ذو عريية جيده ، وروية لم تكن عن الصواب متحيده . وبرع في الحديث دوايه ، وشاكل فيه ببعض روايه . وشارك في الفقه فأخذ منه بنصيب ، وكابد من الفقر كل يوم عصيب .

ثم إنه دخل الين ، وتولى هناك تدريساً ، ولم يكشف الله لي بعد ذلك من أمره تلبيساً .

وأظنه توفي - رحمه الله تعالى - بعد الست والثلاثين وسبع مئة .

كان هذا نور الدين أعجوبة لمن يفكر في أمره ، كان شديد الحرص على أن يعرف^(٢) كل شيء ، وإذا سئل عن شيء ، يريد أن يجيب عنه بالقوة ، وإذا لم يوافق الصواب يتحيل على نُصرة ما يقوله بكل الطرق^(٣) .

* الدرر : ٢٩٨ .

(١) نسبة إلى شيرز ، من قرى سرخس . (معجم البلدان) .

(٢) في (أ) : « يعلم » .

(٣) في (أ) : « بكل طريق » .

وأعرف له يوماً وَصَّعْتُ قدامه قطع الشطرنج التي وَصَّفَهَا مشهور^(١) ، وهو أنها تُصَفَّ صفّاً مخصوصاً من القطع البيض والسود ، وإذا تكامل ذلك يُدَّعى أن مركباً كان فيه مسلمون ونصارى جالسين على هيئة مخصوصة ، وكان الرأئس مسلماً ، فهاج البحر عليهم وهم في وسط اللّجة ، فاحتاجوا إلى أن يرموا بعضهم في البحر^(٢) ليخف المركب فأرادوا يعملون القرعة ، وكان الرأئس ذكياً ، فنظر إليهم وقال : ما نحتاج إلى قرعة ، بل نعد من هنا ، وكل من جاء تاسعا ألقيناه إلى البحر ، فارتضوا جميعاً بذلك ، وأخذ الرأئس يعدّ ، وكلما جاء تاسع من النصارى رمى به إلى البحر إلى أن رمى بالنصارى جميعهم ، ولم يرم بأحد من المسلمين .

فلما صَنَعْتُ ذلك قدامه ، أعجبه ذلك وزهره ونحنح وبقي مفكراً في ذلك ، واشتغل بأله به عامّة نهاره . ثم إني فارقتّه وعدت إليه ، فوجدته يكرّر عليها ويقول : أربعة مسلمون وخمسة نصارى ، ومسلمان ونصراني وثلاثة مسلمون ونصراني ومسلم ، وهو يدرس ذلك ، ويكرّر عليه ، ويقع التخبيط عليه في سرد ذلك على الصحة ، فرحمته وقلت : يا مولانا هذا أمر يتعبك ولا ينضبط لك ، وقد تطلبه في وقت الحاجة ، فيشدّ الصواب فيه عنك . فقال لي : فكيف انضبط لك هذا ؟ قلت له : هذا ضابطه في بيت واحد من الشعر . فطار عقله ، وقال : هذا أعجب . ولم يصدّق . قلت : نعم ، بيت واحد ، حروفه المهملة مسلمون ، والمعجمة نصارى . فلما أنشدته ذلك ، وصفّ القطع على حكمه وعدّه وصحّ معه ، خرج من حبال عقله ، فقلت : وأزيدك أخرى ، إن أردت صففت لك ثمانية ثمانية وسبعة سبعة وستة ستة وخمسة وخمسة وأربعة أربعة وثلاثة ثلاثة . فقال : هذا بقاعدة أيضاً ؟ قلت : نعم . فقال : أريد تعلمني^(٣) ذلك ، فقلت : ما هو وقته . وقت وتركته . وحفظ مني بيت التسعة ، وهو :

(١) في (أ) : « صفتها مشهورة » .

(٢) في (أ) : « إلى البحر » .

(٣) في (أ) : « تعرفني » .

وَلَمَّا فُتِنْتُ بِلِحْظِهِ لَهُ عَذِلْتُ فَاخِفْتُ مِنْ شَامِتٍ^(١)

وفرّح به فرحاً عظيماً ، ثم إنه طالبنى في آخر وقت بمعرفة القاعدة في ذلك ، فما قلت له . وفرّق الدهر بيننا بعد ذلك .

1 ونور الدين هذا في عذرٍ ما ذهب ، لأنني وجدت الفاضل الأديب الكامل صفياً الدين الحلي قد جاء إلى شيء مثل هذا ، فأراد ضبط صفه ، وصنع له أبياتاً لِيَتَعَلَّقَ بِالذَّهْنِ ، فقال خمسة أبيات ، أولها :

جَيْشٌ مِنَ الزَّيْنِجِ وَالْإِفْرَنْجِ يَقْدِمُهُ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا زَوْجٌ مِنَ الْخِدْمِ

والضبط في هذا بيت واحد أخصر وأحسن وأسرع في العمل . ثم إنني بعد فراق نور الدين هذا بثلاثين سنة ، أردت ضابطاً لَعَدَّةِ سِتَّةٍ وَإِلْقَاءِ السَّابِعِ ، وأخذت نفسي به ، وتصورته ، وعملت لذلك بيتاً ، وهو :

فَدَيْتُكَ إِنْ صَدِيقِي مِنْ فَخَارٍ أَبَانَ بِنَاءَ سُرٍّ فِي دَعَائِي

ثم إنني فكّرت في رصّ مَهَارِكِ النَّرْدِ ، وهي ثلاثون مهركة ، وأردت أن توضع كذا دائرة ، وتعدّ : سِتَّةٌ وَيُلْقَى السَّابِعُ ، ففتح الله بذلك ، ووضعت له هذا البيت ، وهو :

قَدْ رَدَّ شَانِي بِكُلِّ شَيْءٍ عَدِمْتُ ذَا فِي صَلَاحِ جَبْرِي

ثم أردت أيضاً أعدّ قطع الشطرنج : أَرْبَعَةٌ وَيُحْذَفُ الْخَامِسُ ، ففتح الله به ، ونظمت لذلك بيتاً ، وهو :

عَبِمَ فَلَمْ أَنْدَفِعْ وَمَنْ ذَا يَدْفَعُ بِالسَّبِّ عَنْهُ ضَرّاً؟

ثم إنني أردت ذلك في قطع النَّرْدِ ، ففتح الله به ، ونظمت له بيتاً ، وهو :

(١) ووقع في هامش (أ) بيت آخر لضبط هذا الترتيب هو :

الله يقضي بكل يُشِيرُ ويرزق الضيف حيث كانا

لَا تَبْكُ إِنَّ هَبَّ رِيحٍ نَجْدٍ إِنَّكَ يَا بُسَّ مَا بَلَيْتَا^(١)

وكان قد نزل إلى دمشق ، وقرأ على الشيخ نجم الدين القحفازي نوحاً وعروضاً ،
ولما رآه الجماعة بهذه الخيلة عبثوا به ، ونظم فيه جمال الدين يوسف الصوفي^(٢) - رحمه
الله تعالى - .

وسائل يسأل مستفهما من أين ذا المولى علي^(٣) ورَدُّ
قلت له : من صفدٍ ، قال لي : ولا رأى أولى به من صفد

وشاع البيتان في دمشق واشتهرا ، فحصل له خيال ، وترك دمشق ، وتوجّه إلى
صفد ، وفتح له حانوت تجارة في البطّايين ، ثم إنه طُلب في بكرة نهار فلم يوجد له
خبر ، وغاب سنين ولم يظهر له أثر ، فعمل أهله عزاءه . ولما كان بعد مدة ظهر خبره
من مصر ، ثم إنه عاد إلى صفد ، فرأيته قد زاد الحال به ، وقد تعلّق بلعب الشطرنج ،
فكان يستغرق نهاره وليله ، ولا يأكل ولا يشرب إلا إذا لم يجد من يلعب معه ، وزاد في
ذلك ، فقلت له : يا مولانا ، هذا الشطرنج هو مثل الكتابة ، متى وصل الإنسان فيهما
إلى غاية لا يمكنه أن يتعدّاها ، وأنا قد نصحتك فما بقيت تقدر تزداد على هذه الغاية
التي وصلت إليها شيئاً . فقال : كيف أعمل ؟ أريد أكون فيها عالية مثل غيري .
قلت : هذا الذي فتح الله به عليك ، فلم يرجع عن غيّه ، ثم إنه لازم ذلك زمانا وعاد
إلى ما قلت له . ثم إنه نزل إلى دمشق ورأيته بها ، ثم إننا طلبناه فلم تقع له على خبر .
وبعد حين تقديره عشرة أعوام طلع خبره في^(٤) ألين ، وأنه هناك شيخ حديث^(٥) ،
وهذا آخر عهدي بخبره في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، وبين أنها من تمة الترجمة بأسلوب المصنّف نفسه .

(٢) يوسف بن سليمان بن أبي الحسن بن إبراهيم النابلسي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الدرر : « علينا » .

(٤) في (أ) : « من » .

(٥) في (أ) : « شيخ حديث في مدرسة » .

١١٢٥ - علي بن إسماعيل بن جعفر*

القاضي علاء الدين بن الآمدي .

كتب المنسوب الفائق ، وحقق ما فيه من الطرائق ، وأتقن أقلامه ^(١) السبعة ، مع ثبوت التأنق وعدم التأنّي والسرعة . تسابق البروق أقلامه ، وتفوق سطوره الدرّ إذا زانه نظّامه . كأنما همزاته الحمايم على ألفاته التي هي الأغصان ، وكأنما عطفات الجيمات وجنات ، وتقطّطها خيلان . كم كتب ختمة وكأنها للعيون روضة ورد ، وم حرّر ربعة فلم تحتج إلى ذهب ولا لازورد ، تسودت بعده أوراق التجويد ، وتحطمت أقلام الكتاب بعدما كانت أماليد :

وأكّبت الكتاب تبكي بعده بدماع بلّت بها أوراقها

بأشر جهات الديوان والأوقاف والدرّج ، وكان معدوداً في كُتّاب الحساب ، متفرداً بالضبط في الدّخل والخرج .

ولم يزل على حاله إلى أن قطع الآمديّ مدى الحياة ، وجعله الطاعون ملقى على قفاه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بعد عصر الخميس ليلة عيد رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة في طاعون دمشق ، وقد ناهز الخمس وسبعين ^(٢) .

وكان إماماً في صناعة الحساب ، ليس في كُتّاب المسلمين له نظير في عصره . كنت أقول له : كم جملة ما أقول لك ، وهو خمس مئة عشرون ألف وخمس مئة وثمانين ^(٣) وخمسة وعشرين وسبعة وثلاثون ومئة وسبعين . وأقول له من هذه التفاصيل جملة ، وهو يلتقط ذلك على أصابعه ، فإذا فرغت من الكلام ، قال على الفور : كذا وكذا .

* لم تقف على ترجمة له ، وقد خلّت (أ) من ترجمته أيضاً .

(١) في (ز) : « الأقلام » .

(٢) في (ز) : « وسبعين سنة » .

(٣) كذا في الأصل مع ما بعدها .

وكان قد باشر في ديوان الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - مستوفياً فيما أظن ، وأقام به مدة ، ثم إنه في أيام حمزة التركي صادره مع علاء الدين بن القلانسي وغيره ، وأخذ منه مبلغ ستين ألف درهم . ثم استخدمه في ديوان خاصّ داريا ودومة ، وخدم كاتباً عند الأمير سيف الدين قُرمُشي^(١) في أيام القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، دخل به ديوان الإنشاء في أيام الأمير علاء الدين الطنبغا ، وباشر في أيام طقزدمر في ديوان الأسرى .

وكان يشتري المُلْك بالدين ، ويجعل الأجرة في وفاء الدين ، فحصل من ذلك أملاكاً كثيرة من بساتين وقاعات ورباع .

وكتب ما يقارب المئة والاثنتي عشرة ختمة وربعة ، وأشعار (تاريخي الكبير) و (التذكرة) التي لي جميعها ، وانتخب من ذلك مجاميع عديدة .

وكان قد أودعه الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله - عشرة آلاف دينار ، ونسيها ، فلما صادره ، قال له : لك عندي وداعة . فقال : لا ، إن كان صحيحاً ، فهاته ، فأحضر الذهب بجملته ، وكان الناس يلومونه على ذلك ، وهو معذور لأنه لو ذكرها فيما بعد راحت روحه معه .

١١٢٦ - علي بن أسمع*

العلامة الزاهد أبو الحسن البعقوبي^(٢) الشافعي النحوي المعروف بالشيخ علي مَنَلا^(٣) ، بفتح الميم والثاء المثلثة وبعدها لام ألف .

(١) ابن قطوان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٢٩/٣ ، وبغية الوعاة : ١٤٨/٢ ، وذيل العبر : ٥٦ .

(٢) نسبة إلى (بعقوبا) ، قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان . (معجم البلدان) .

(٣) في الدرر : « منلا » ، وفي البغية : « ست » ، تحريف .

أخذه التتار من بَعْقُوبًا فأقام ببلغار عند التتار . وحفظ (المصاييح) للبغوي و (المفصل) و (المقامات) وغير ذلك .

وكان شديد الديانة عتيد الصيانه ، يلف رأسه بمئزر صغير ، وَيَغْنَى بقناعته عن الأمير والوزير . وكان مِّن يعبث بالشيخ^(١) تقي الدين بن تيمية ويؤذيه بلسانه ، ويستعمل في الخطّ ما عِلِمَهُ من معانيه وبيانه .

ولم يزل كذلك إلى أن توجّه للحج في سنة عشر وسبع مئة ، فأدركه باللجون حِيامه وحنّ من الحياة انصرافه وانصرامه .

وكان قد سكن الروم ، وولي مشيخة الحديث هناك ، وهو شاب ، وركب المغلة^(٢) ، ثم إنه بعد ذلك تزهد ، وفارق الروم ، وحضر إلى دمشق سنة بضع وثمانين وست مئة .

١١٢٧ - علي بن أغرلو*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أغرلو العادلي^(٣) .

كان والده مملوك الملك العادل كتبغا ، وكان والده ملك الأمراء بدمشق في أيام أستاذه ، وقد تقدم ذكره في مكانه من حرف الهمة .

وكان هذا الأمير علاء الدين من جملة أمراء الطيلخانة بدمشق .

توفي - رحمه الله تعالى - في أوائل جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة . في طاعون دمشق .

(١) في الأصل : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، وعبارة الدرر : « شديد الخطّ على ابن تيمية » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ز) وذيول العبر : « البغلة » ، وفي (أ) : « الناقلة » ، ولم نتبين مراده .

* الدرر : ٣٠٣ .

(٣) في الأصل : « العادل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) ، والدرر .

١١٢٨ - علي بن ألدمر*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أمير جاندار ، قد تقدم ذكر والده - رحمه الله تعالى - في مكانه .

ورد هذا الأمير علاء الدين [أمير ^(١)] علي إلى دمشق أميراً من مصر على طبلخانة في تاسع ذي القعدة سنة ستين وسبع مئة ، وجلس تحت الأمير ناصر الدين بن ألكك . وأقام على حاله بدمشق إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في العشر الأواخر من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

١١٢٩ - علي بن أبيبك**

الأمير علاء الدين بن الأمير عز الدين أبيبك الطويل ، وهو أخو الأمير صلاح الدين محمد بن أبيبك الطويل ، وسوف يأتي ذكره في مكانه من الحمددين .

وكان الأمير علاء الدين أولاً بدمشق في جملة أمراء الطبلخانات ، ثم إنه نقل إلى طرابلس على إمرة طبلخانة ، وأقام بها إلى أن عزل الأمير شهاب الدين أحمد بن القشمتري أمير حاجب من طرابلس ، ونقل إلى إمرة الحُجبة بدمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في سنة ستين أو في سنة إحدى وستين وسبع مئة ، فأعطي الأمير علاء الدين بن أبيبك الطويل مكانه .

وكان بطرابلس أمير حاجب إلى أن نقل منها إلى دمشق أميراً ، فحضر إلى دمشق ، وبقي بها أميراً ، وكان وصوله إلى دمشق في العشر الأول من شعبان سنة ثلاث وستين وسبع مئة . إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .

* الدرر : ٣٠/٣ ، وفيه : « أيدمر » .

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

** لم تقف على ترجمة له .

١١٣٠ - علي بن أيوب بن منصور*

الشيخ الإمام علاء الدين المقدسي الشافعي ، معيد المدرسة الباذرائية^(١) بدمشق .

كان أولاً يعرف بـ « عَلَيَّان »^(٢) ويكتب ذلك بخطه في أول أمره^(٣) .

سمع من الفخر بن البخاري ومن عبد الرحمن بن الزين .

وحدث بدمشق والقاهرة . وكان قد عُني بالحديث ، وطلب وقرأ بنفسه ، وحرّر الألفاظ وضبطها .

وكان يكتب خطأ فائقاً ، ويُبرِّز الصحف من يده تحكي روضاً بالأزاهر رائقاً [صحيحة الألفاظ مضبوطة ، سليمة من اللحن مشكولة منقوطة]^(٤) . ولما أبيعت كتبه في حياته ، تغالى الناس في أثنائها ، وبالغوا في قيمتها رغبة في صحتها وحسنها وإتقانها .

وكان قد درّس بالأسديّة ومجلقة صاحب حمص^(٥) . ثم إنه توجه إلى القدس وسكنه فاختلط ، وتلفظ بالصواب تارة ، وتارات بالغلط ، وأخذ في ادّعاء المستحيلات ، والقدرة على فعل ما هو خارج عن^(٦) الممكنات . وكابد مع ذلك فقراً شديداً ، وعيشاً من الهناء بعيداً .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل قبره ، وما يملك خيطاً في إثرة .

* الدرر : ٣/٣٠ ، والشذرات : ١٥٣/٦ ، وذيول العبر : ٣٦٥ .

(١) انظر : الدارس ١٥٤/١ .

(٢) بالتصغير ، نصّ على ذلك في الدرر .

(٣) في الأصل : « مرّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) وتعرف بدار الحديث الحمصية . الدارس : ٤٥/١ .

(٦) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بالقدس^(١).

وكان بدء اختلاطه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان يذكر الجن كثيراً في كلامه ، ويقول : قد وعدوني بأن يسوقوا إليّ نهراً من النيل ، ونهراً من زيت نابلس إلى داري هذه ، ويُعدّ لذلك أماكن يكون فيها الماء وأماكن يكون فيها الزيت ، وأشياء من هذه المستحيلات ، وكابد فقراً مراً مع هذه الحالة . نسأل الله تعالى العافية من كل بلاء .

١١٣١ - علي شاه بن أبي بكر *

التوريزي^(٢) ، الوزير الكبير .

خدم [القان]^(٣) بوسعيد ملك التتار ، وتمكّن منه عظيماً ، وجعل عقد وزارته نظماً . وهو الذي قام على الرشيد الوزير ، وأهلكه ، وساق إليه حتفه حتى أدركه .

وكان داهية ذاهبه ، غير مفكر في أمر دنياه الذاهبه . وكان محباً لأهل السنه ، قوي اليقين في ذاك والمته . صافي السلطان الملك الناصر ، وهاداه ، وكان إلباً على مَنْ خالفه وعاداه . ولم تزل رُسله ترد ، وسيل هداه إلى دمشق ومصر يجري ويطرّد ، وكلمته مقبولة وإشارته على العين محمولة .

وكان في أول أمره سمساراً ، فما زال يرقى إلى أن صار النجم له جاراً .

ولم يزل على حاله إلى أن حُمِلَ على شَرْجِهِ ، وعَزَّ على ذويه أوان مَرْجِعِهِ .

(١) ومولده سنة (٦٦٦ هـ) تقريباً ، كما في الدرر .

* البداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٣٤/٣ وتذكرة النبیه : ١٤٨/٢ ، والشذرات : ٦٢/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ . ووقع في الأصل : « علي بن شاه » ، سهو .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، (خ) ، (ز) ، ووقع في مصادر ترجمته الأخرى : « التبريزي » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بأرجان في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وهو والد الأمير ناصر الدين خليفة ، أحد أمراء دمشق ، المقدم ذكره في مكانه .
وكان قد أهدى إلى السلطان الملك الناصر ربعة ^(١) مليحة في قطع نصف البغدادي في ورق جيد ، وهي مكتوبة ، جميع أجزائها الثلاثين ، بليقة ذهب ، بقلم محقق كبير ، مزمكة ، في غاية الحسن . رأيتها في الخاتقاء بسرياقوس . وأهدى أخرى مثلها إلى الأمير سيف الدين تنكز ، أظنه جعلها في جامع .

١١٣٢ - علي بن أبي بكر بن محمد*

ابن محمود بن سلمان بن فهد ، القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين ، وقد تقدم في حرف الباء ، ابن القاضي شمس الدين ، وسيأتي ذكره في حرف الميم ، ابن العلامة شهاب الدين محمود ، وسيأتي ذكره .

كان قد شذا طرّفاً من الأدب ، وعُني بالإنشاء وكتب . ونظم ونثر ، وجرى إلى الغاية فما شارفها حتى عبّر .

وكان يتودّد إلى الناس ، ويخدمهم بما يقدر عليه من غير إلباس .
ولم يزل على حاله إلى أن كبا جواده في وسط الميدان ، وخلا منه صدر الدست وقلّب الديوان .

وتوفي - رحمه الله تعالى في نهار الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

(١) في الدرر : « رتعة » ، تصحيف .

* الدرر : ٣٢/٣ ، وذيول العبر : ٣٧٠ .

ومولده - فيما أظن - سنة ثلاثين وسبع مئة .

كان قد دخل إلى الديوان ، وكتب الإنشاء . ولما توفي أخوه القاضي شهاب الدين أحمد وكان يوقع في الدست ^(١) ، دخل هو بدل أخيه ، ووقع في الدست بدمشق المحروسة . وحج إلى بيت [الله] ^(٢) الحرام في سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان - رحمه الله تعالى - كثير الأسقام ، ضعيف التركيب ^(٣) .

وكان في وقت قد أهدى إليّ صحن حلوى مُشَبَّك ، وتحته قطائف ، فكتبت إليه :

ياسيدي إنّ الذي أهديتَه	عطفُ الموائد منْ حِلَاةِ مَائِدُ
وإني فأذكرني عهد مكارم	والخير منك كما يقال عَوَائِدُ
صَحْنُ لأنواع الحلاوة جامع	ذا راعٍ فيه وهذا ساجد
نُصِبَتْ بساحته شباك مُشَبَّكٍ	وقَطَا القطائفِ تحتهن رَوَاكِدُ
وبأفقه أقرص ليون بَدَتْ	فكواكب قد رُصِّعَتْ وفراقِدْ
والسُكَّرُ الْمَذْرُورُ فيه مَجَرَّةٌ	أو لا فِنْ فَوْقُ النُّحُورِ قِلَائِدْ
إن كنتُ قد فرغته أَكْلًا فَقَدْ	مَلَأْتُهُ مِنِّي فِي عِلَاكِ عَامِدْ
لا زلتُ تُهدي للموالي مِثْلَهُ	في كلِّ صومٍ فيه عيد عَائِدْ

١١٣٣ - علي بن أبي بكر *

علاء الدين بن البرقعدي الكحل .

مارأيت مثله في العمل بالحديد ، قطع عندي لإحدى بناقي شرانيق من عينها في

(١) في (أ) : « موقع الدست » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٣) هنا تنتهي ترجمته في (أ) .

* لم تقف على ترجمته .

دُفَعَة واحدة ، من أسرع ما يكون . فتَقَّ الجفن الأعلى ، واستخرج منه شيئاً شبيهاً بالشحم الأصفر ، ولم يعمل ما يعتمده غيره من تعليق الصنانير في الأجفان ، وحكَّ الشرائيق بالسُّكر النبات ، لأن ذلك أمر مطوّل [مؤلم]^(١) .

وكانت عنده مشاركة في الطب وغيره ، وكان كحّالاً بالبيارستان النوري بدمشق .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، وادّعاها أنه نظّمه في مشدّ الدواوين بدمشق :

مُشِدُّنَا فِي الشَّامِ قَدْ شَقِيَتْ مَّا تُقَاسِي مِنْ جَوْرِهِ الْأُمَمُ
يَذْبَحُ النَّاسُ^(٢) مَا يَرِيقُ لَهُمْ كَأَنَّا النَّاسَ عِنْدَهُ غَنَمُ

[وتوفي رحمه الله في حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مئة]^(٣) .

١١٣٤ - علي بن بكتمر*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أبو بكرى . أحد الأمراء أخيراً بمصر .

كان هو وإخوته^(٤) قد أخرجهم الملك الناصر محمد بعد موت أبيهم في حبس الإسكندرية إلى دمشق ، فأقاموا بها . وقد تقدّم ذِكْرُ أخيه الأمير شهاب الدين أحمد .

وطلب السلطان الملك الناصر حسن الأمير علاء الدين هذا ، وأخاه الأمير سيف الدين أسنبغا^(٥) إلى مصر ، وأقبل عليهما .

(١) زيادة من (أ) .

(٢) في (أ) : « الخلق » .

(٣) زيادة من (أ) .

* الدرر : ٣٢/٣ .

(٤) في الأصل : « وأخوه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٥) (ت ٧٧٧ هـ) ، الدرر : ٢٨٦/١ .

ولم يزل الأمير علاء الدين بمصر أميراً إلى أن جرى للملك الناصر حسن ما جرى ،
وتصافً هو والأمير سيف الدين يلغا ، وتناوشوا القتال ، فحصلت للأمير علاء الدين
جراحة في وجهه ، فمات منها بعد يَوْمَات ، على ما قيل ، ووصل الخبر بموته إلى
دمشق في أواخر جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ولما كان بالشام توجه إلى الرحبة نائباً مرتين ، وأنا شاكٌ في الثالثة . وكان من
أبناء الستين أو ما يزيد عليها .

وكان شكلاً تاماً ذا رَواء ، وهمة في الأمور واعتلاء . يكتب ويقرأ ، ويودّ لو أنشأ
نظماً ونثراً ، لأنه بمصر كان يجتمع بالأفاضل ، ويرامي الأقران بالجدال ويناضل . وله
ميل كثير إلى الأغاز ، ولم يكن كغيره يهواها ، وهو في العُمى ضائع العكاز .

ولما كنت بالقاهرة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، طلب مني لغزاً ، فكتبت
إليه :

أيا سيّداً حاز العَلا وَهُوَ يافع	فراوي الندى عنه كثير ونافع ^(١)
ومن حاز فضل السيف في مَعْرَك الزدى	فبارقَه في ظلمة النقع ساطع
وَمَنْ إن سألنا: مَنْ أولو الفضل والنهى	أشارت إليه عند ذاك الأصابع ^(٢)
وَمَنْ نَفَق الآداب بعد كسادها	وجلّى دجاها من محيّا لامع
ومن هو دُخْرٌ للعَفَاة وملجأ	إذا صَدَّهم حظٌّ من الدهر صاعد
أحاجيك ما اسم ، أعوز الناس قطرم	فلما دعا انجابت عيون هوامع
كتابته في الطُّرس لاشك أربع	وعدّته خمس وفي العكس سابع
وإن زال منه ثالث فقبيلة	لها في قراع الدارعين وقائع

(١) يورّي باسم القارئین : ابن كثير المكي ، ونافع المدني .

(٢) يشير إلى قول جرير :

إذا قيل أيّ الناس خير خليفة أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

وَعُدَّةٌ مَا يَبْقَى لِعَكْسٍ ثَلَاثَةٌ وَلَكِنَّهُ سَبْعٌ، فَفِيمَ التَّنَازَعِ^(١)
وَأِنْ تَمَّ مَعْكَوسًا وَصَحَّفَتْ لَفْظُهُ تَجِدُهُ مَنَى مَنْ قَدْ غَدَا وَهُوَ جَائِعٌ
وَأِنْ كَانَ لَمْ يَظْهَرْ لِفَضْلِكَ حَلَّةٌ وَحَاشَاكَ يَا مَنْ ذَهَبَ الْخَدُّ قَاطِعٌ
فَصَحَّفَهُ بَعْدَ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيهِ فَذَلِكَ فِي التَّصْحِيفِ وَالْقَلْبِ شَائِعٌ
أَبْنُ لِي مُعَمَّي الَّذِي قَدْ سَتَرْتَهُ فَغَيْرُكَ فِيهِ مِثْلُ أَشْعَبِ طَامِعٌ
وَدُمَّ وَارِقٌ فِي أَوْجِ الْمَفَاحِزِ وَالْعَلَا مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ بِأَيْكَ سَوَاجِعُ
فَحَلَّهُ فِي «عَبَّاسٍ» . وَلَمْ يَكْتُبِ الْجَوَابَ نَظْمًا .

وطلب الزيادة مني ، فكتبت إليه [أيضاً ملفزاً]^(٢) في أبيات ، منها :

تَقَدَّمَ لُغَزٌّ قَبْلَ ذَا وَحَلَّلْتُهُ فَمِنْ يَقْتَنِ الْعَلِيَا بِفَضْلِكَ يَقْتَدِ^(٣)
فَالِاسْمَ رُبَاعِيَّ الْحُرُوفِ وَإِنَّمَا تَرْكَّبَ مِنْ حَرْفَيْنِ مَنْ رَامَهَا هُدًى
رَسُولٌ إِلَى قَوْمٍ كَرِيمٍ كِتَابُهُ بِهِ خَاطَبَ الْقُرْآنَ كُلَّ مُوَحِّدٍ
وَيُقْتَلُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَعِنْدَ الْفَقِي النَّعْمَانَ وَالْحَبْرِ أَحْمَدٍ
لَهُ فِي أَعَالِي كُلِّ غَصْنٍ تِلَاوَةٌ بَلَحْنِ كَأَنَّ الدَّوْحَ مَعْبُدٌ مَعْبُدٍ
تَكَادُ قَوَافِي ذَا الْقَرِيضِ تَذِيْعُهُ فَقَدْ زُيِّنَتْ مِنْهُ بِحَرْفٍ مَرْدَّدٍ^(٤)
وَدُمَّ رَاقِيَا فِي أَفْقٍ كُلِّ سَعَادَةٍ بَنَى لَكَ مِنْهَا الدَّهْرُ أَشْرَفَ مَقْعَدٍ
[فَحَلَّهُ فِي «هُدْهُدٍ» ، وَهُوَ صَحِيحٌ]^(٥) .

(١) فِي (أ) ، (ز) : « بَعْسٌ » .

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ (أ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَقِينٌ » ، تَصْحِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ز) .

(٤) فِي (أ) : « ذِي » .

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ (أ) ، (ز) .

١١٣٥ - علي بن بَلْبَان

الأمير المفتي المُحدّث النحوي ، أبو الحسن علاء الدين الفارسي المصري الجندي الحنفي .

سمع من الحافظ شرف الدين الدميّاطي (جزء ابن ديزيل)^(١) ، وسمع من محمد بن علي [بن] ساعد^(٢) ، وبدمشق من البهاء بن عساكر وغيره .

وكان جيّد الفهم ، لا يردّ له عن إصابة الصواب سَهْم ، حَسَنَ المُذَاكِرَة ، كثير الفوائد في المحاضر . وله تقدّم في الدولة المظفرية ، ووجهة في الدولة الناصرية . وله شعر مُمَوّه بالبدیع ، يوهّم أنه مفيد ، وهو طعام من ضريع . إلا أنه مقبول غير مردود . وفيه دلالة على أنه برز من^(٣) خاطر مكدود . وكان مليح الشكّالة ، وافر الجلالة .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ الأجل كتابه ، وهيل عليه تُرابه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع شوال سنة تسع وثلاثين وسبع مئة في منزله بشاطئ النيل .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

وكان قد تفقّه بقاضي القضاة أبي العباس أحمد السروجي^(٤) ، وبفخر الدين عثمان بن التركّاني وبحيي الدين الدمشقي وغيرهم .

* وفيات ابن رافع : ٨٧/١ ، والدرر : ٣٢/٣ ، والبغية : ١٥٢/٢ ، والنجوم : ٣٢١/٩ ، وتذكرة النبيه : ٣١٠/٢ .

(١) في (أ) : « جزء لابن ديزيل » ، وجاء في الكشف ، ٥٨٣/١ : « جزء ابن ديزل : وهو إبراهيم بن حسين الكسائي ، فيه حديث الإفك » .

(٢) هو محمد بن علي بن ساعد بن إسماعيل بن سلم بن ساعد المحروسي الخالدي (ت ٧١٤ هـ) ، الدرر : ٦٤/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، والدرر .

(٣) في (أ) : « عن » .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي . (ت ٧١٠ هـ) . التذكرة : ٣١/٢ .

وقرأ المنطق والأصول على الشيخ علاء الدين القونوي ، والنحو على العلامة شيخنا أبي حيان ، وصحب الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وكان قد تقدّم في أيام المظفر .

وله تصانيف ، منها : (شرح كتاب « الجامع ») تصنيف صدر الدين الخلاطي^(١) . ورتّب (صحيح ابن حبان)^(٢) على أبواب الفقه ، وكذلك (معجم الطبراني الكبير)^(٣) بإعانة الشيخ قطب الدين عبد الكريم^(٤) .

وانتشا ولده جمال الدين ، فتفقّه لأبي حنيفة ، ثم تحوّل شافعيّاً ، فتألم والده لذلك .

وكان علاء الدين الفارسي يصلح للقضاء لسكونه وعلمه وتصوّنه .

ومن شعره :

سرت نسمة طابت بطيبة للذكر	فأرّجت الأرجاء من عَرْفِها العطر
وجاءت بها البشري فسرت بما سرت	وأحيّت بما حيّت إلى مطلع الفجر
فيا حُسْنها بخديّة زمزميّة	أضاء لها من ثغرها زاهر الدُرّ
تبسم منها كلُّ قلبٍ وقالبٍ	فتيقّ نسيق الشيخ والرنّد والزهر
تجلّت فجلّت بالشفّا كلّ غلّة	وحلّت فحلّت بالصفّا عَقْدَة المهجر ^(٥)
أباحَت حِباء من حبائل شعرها	تصيد به صيّد الصناديد عن قسر ^(٦)

(١) هو محمد بن عباد بن ملك (ت ٦٥٢ هـ) ، واسم كتابه : (تلخيص الجامع الكبير في الفروع) ، واسم الشرح الذي وضعه ابن بليان : (تحفة الحريص) ، قال صاحب الكشف ، ٤٧٢/١ : « شرح طويل أبدع فيه وأجاد » ، وفي الأعلام للزركلي : ٢٦٧/٤ ، أنه مخطوط .

(٢) في كتاب سناه : (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) ، الأعلام : ٢٧٨/٤ ، وذكره صاحب الكشف : ١٠٧٥/٢ ، ولم يُسمّه .

(٣) أشار إليه صاحب الكشف : ١٧٣٧/٢ ، وكلمة « الكبير » زيادة من (أ) ، (ز) لا بدّ منها .

(٤) ابن عبد النور الحلبي ، سلفت ترجمته .

(٥) في الأصل : « فحلّت بالشفّا » ، تصحيف .

(٦) في (أ) : « أتاحت » .

وغادرت الأسرى وأسرى بسرّها تُسرُّ بما لاقت وذاتت من الأسر
فأصبحتُ مشتاقاً إلى ساكن الحِمى ولم أستطع من بُعدُ شيئاً سوى الصبر
وهي طويّلة . وهذا القدر منها كاف^(١) ، إذ هو شعرٌ فاضل . أتى فيه بصناعةٍ
بديع يوم أن ذلك شعرٌ يُشعّ فيطرب ، وليس كذا « ما كل باسمه لبني » .

١١٣٦ - علي بن بلبان*

الأمير علاء الدين بن الأمير الكبير سيف الدين البديري^(٢) . تقدم ذكر والده في مكانه من حرف الباء الموحدة .

وكان الأمير علاء الدين أحد أمراء الطبلخانة بدمشق . كان حسن السياسة ، كثير الرياسة ، وافر الأمانة ، زائد الصيانة ، عفيفاً عن^(٣) أموال الرعيّة^(٤) ، سالك الطريق المرضية المرعية . قلّ من رأينا سلك^(٥) مسلكه القويم ، أو تولى أمر ناحية فسقى عدله أهلها كاساً ، مزاجها من تسنيم^(٦) . ما باشر جهة إلا وسدّ خللها^(٧) ، وأزاح عللها ، وشفى غللها وفصم جللها^(٨) ، ونشر خللها . لا جرم أنه وجد له ذلك مدخراً ، وجعل ذكره^(٩) الطيّب في الناس سَمَراً .

(١) في (أ) : « أغوذج كاف » .

* الدرر : ٣٢/٣ .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) .

(٤) في (خ) : « الناس والرعيّة » .

(٥) في (أ) : « من سلك » .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ المطففين : ٢٧/٨٣ ، والتسنيم : عين في الجنة .

(٧) الخلل : الفرجة بين الشيئين ، والجمع : خلال .

(٨) الجلل : الأمور العظام .

(٩) في الأصل : « ووجد ذكر » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) .

وراح إلى الله مغفواً عنه مغفوراً له خطأه ، ودخل في قوم ضرب مثلهم بزرع أخرج شطأه^(١) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في مستهل جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ولاه الأمير علاء الدين الطنبغا ولاية نابلس لما كان بدمشق ، فأجل فيها السيرة . ثم إنه تولّى ولاية الولاية بالصفقة القبلية ، فأجل سياستها ، وعفّ عن أموال الرعايا إلى الغاية ، ثم ولي نيابة الرحبة فحمدت سيرته بها ، ثم عزل منها وأقام في دمشق على إمرته ، ثم أعيد إلى نيابة الرحبة ، ثم إنه عزل منها^(٢) ، ثم تولّى القبلية ، فزداد في حسن المباشرة والعفة عن أموال الرعايا حتى إنه كان لا يعلّق الثّبن على خيله ، ولا يشرب الماء إلاّ بثمن من دراهمه ، ثم إنه استقال فأعفي من ذلك . ثم ورد مرسوم السلطان بإعادته إلى نيابة^(٣) الرحبة ، وكان قد حصل له مرض استرخاء ، فعاقه عن ذلك ، وطولع بأمره ، فورد مرسوم السلطان بأن يعفى من ذلك ، ويتوجه إليها الأمير ناصر الدين محمد بن الزبيق^(٤) . وبقي الأمير علاء الدين بعد ذلك قريباً من شهرين أو ثلاثة ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المقدّم .

١١٣٧ - علي بن بهادر آص *

الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير سيف الدين بهادر آص .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومثلهم في الإخيل كزرع أخرج شطأه ﴾ الفتح : ٢٧/٤٨ .

(٢) ما بين « منها » و « منها » سطر سقط من (خ) بنقله عين .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) هو محمد بن داود ، ستأتي ترجمته .

* انظر السلوك : ٦٢٠/٣/٢ .

كان أمير عشرة ، ولم يكن في دمشق من يلعب الكرة أحسن منه ، يقال إنه هو بهذا اللعب كان السبب في خلاص والده ، لأن تنكز كان يعظمه ، ولكنه ضيّع ماله وتضعع حاله .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في العُشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة أربع [وأربعين ^(١)] وسبع مئة .

١١٣٨ - علي بن بيبرس*

الأمير الفاضل الذي التحرير ، علاء الدين بن الأمير الكبير ركن الدين . تقدم ذكر والده في حرف الباء مكانه .

كان هذا علاء الدين له ألمعيه ، وعنده لَوَدَعِيّه ، يتوقّد ذكاء وفطنه ، ويتقلّب ما بين حالي منحة ومِحنه . عاشر الناس وصحب الفضلاء ، واجتمع بالأكابر الرؤساء والنبلاء . وطالع كتب الأدب ، وعلّق لنفسه واختار ودأب ، وحفظ من المنظوم والمنثور جملة وافيه ، وعلّق بذهنه من أخبار من تقدّم قطعة ^(٢) كفيه .

نشأ بمصر وأقام بدمشق وحلب ، وترسّل إلى سويس ، فلذلك كان إذا تحدّث ^(٣) حلب . وجلب إلى النفوس ^(٤) من محاسنه ما جلب . ولما عمل الحجوية ما كان يدع أحداً يسبقه إلى كلام ، وإذا قال شيئاً كان بريئاً من المؤاخذه والملام . فكأنما عناه أبو الطيب بقوله ^(٥) :

(١) زيادة من (أ) ، (ز) ، (خ) .

* الدرر : ٣٢/٣ ، وأعلام النبلاء : ٢١/٥ .

(٢) في (أ) : « وعلّق قطعاً » .

(٣) في (أ) : « حدّث » .

(٤) في (أ) : « النفس » .

(٥) ديوانه : ١٢٨/١ .

فِي رُتْبَةٍ حُجِبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَمَوَهُ عَلِيٌّ الْحَاجِبَا

ولي الحجووية بحلب ثم نقل منها إلى دمشق ، وكان [و] ^(١) هو حاجب عيْنَهَا ، وأصلح منها مافسد ، وسدّ مَيْنَهَا ، ثم عاد إلى حلب على الوظيفة ، وزاد غلواً في مراتبها المُنِيفَة .

ولم يزل بها على حاله إلى أن أطبق الموت أجفانه ، وأودعه تحت الأرض أكفانه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وخمسين وسبع مئة . وقد عدّى الخسین

بقليل .

وهو أكمل الإخوة وأسعدهم وأفضلهم ، سعى بنفسه إلى أن أخذ الإمرة من مصر ، وكان قد كتب على يده الأمير سيف الدين يلبغا كُتْباً ومطالعةً إلى السلطان ، فاتَّفَق تغييرُ الدولة ، فأقام هناك ، وأعطى إمرةً بدمشق ، فجاء وأرغون شاه بدمشق نائب ، فما مكّنه ، وتلقاه بوجه عابس ، وجّهه إلى حلب ، فأقام بها ^(٢) أميراً إلى أن حضر الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إليها نائباً ، فخدمه ، فولّاه بها شدّ الدواوين . ولم يزل إلى أن اتَّفقت للكاملية تلك الكائنة مع الحلبيين ، وهرب من عندهم ، وجاء إلى دمشق ، وتوجّه منها إلى مصر ، وأعيد إليها نائباً ، فأحسن إلى علاء الدين [بن] ^(٣) يبرس ، لأنه ماغفل عن خدمة بيته وأهله ، ولا خانه ، فرعى له ذلك . ولما قدم الكاملي إلى دمشق ، وطلب الأمير سيف الدين تُلْك ^(٤) الحاجب إلى مصر ، خلت الوظيفة ، فطلبها للأمير علاء الدين ، فجاء إلى دمشق حاجباً ، ولم يكن عنده غيره ، لأنه عارف خبير دَرِب ، عاشر الناس ورآهم في مصر والشام ، فما كان يتكلم في الدست غَيْرُهُ .

(١) زيادة من (ز) ، يقتضيها السياق .

(٢) في (أ) : « فيها » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٤) الأرغوني ، سلفت ترجمته .

ثم إنه توجه إلى لُد ، وجاء معه إلى دمشق ، وتوجه معه إلى حلب ، فكان معه ، فلما رُسم له بالإقامة هناك ، أقام عنده حاجبا ، ولما طُلب الكاملي^(١) إلى مصر لم يُمكنه إلا الإقامة في حلب ، وحضر الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائبا ، فراج عليه ونفق عنده بعدما كان قد أعرض عنه . ولم يزل إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ .

وكان يستحضر شعراً كثيراً للأقدمين والمتأخرين وأهل العصر ، وعلى ذهنه توارخ ووقائع من قديم^(٢) الإسلام وحديثه . وكان حُلُو العبارة ، فصيح اللسان ، يستحضر الواقعة في وقتها ، ويمثّل بالشعر النادر في كتبه .

وكان غريباً في أبناء جنسه . كتبت إليه بعدما توجه من دمشق لما أقام بحلب ارتجالاً من رأس القلم في شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة :

لقد أَوْحَشَتْ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبَتْ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ^(٣)

يقبَل الأرض ويشكو^(٤) حظّه من الأيام ، وما يجدّه لهذه الحادثة من الآلام ، وما يُجَرِّعُه^(٥) من الغصص لفراق مولانا الذي أنس مقامه حلب ، وأوحش فراقه الشام .

وإذا تَأَمَّلْتَ الْبَقَاعَ وَجَدْتَهَا تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَسْعَدُ^(٦)
نعم يا مولانا ، لقد شَقَّيْتُ دمشقَ ببعْدِكَ عنها ، وَسَعِدْتُ حلبَ بِقربِكَ منها . وما يقول المملوك إلا كَأَنَّ^(٧) الله تعالى كان قد كَمَّلَ محاسنها بجلولك ، وأطلع الأمن فيها

(١) في الأصل : « الفخري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٢) في الأصل : « قدم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في (أ) : أرض الشلم .

(٤) في (أ) : « ويشكر » .

(٥) في (أ) : « يتجرّعه » .

(٦) في (أ) : « وإن نظرت » .

(٧) في (أ) : « أن » .

بزلوك ، وكأثر أنهارها بما تجريه المكارم فيها من سيولك ، وفاخر أهلة ألقها بما تؤثره
في طرقها حوافر خيولك ، وفاصل أزاهرها النافحة بأثار جرّ ذيولك :

فتجمّلت وتكلّمت فأصابها عين الكال
ورمى الإله صفاتها إلحسنى بمحادثة الليالي
فعيوننا من ذا بواك في منازلها البوالي
وكأننا عرصاتنا سلك وأدمننا لآلي

ومولانا عزّ نصره ، فيجد أمثالنا كثيراً ، وأما نحن فوالله ما نجد مثله ، ولا من إذا
أصابنا ظمأ أفاض علينا بالجود وبّله وبّله . وقد حرّم المملوك على نفسه المرور على باب
دار مولانا الكريمة ، لأخلاقها الله تعالى من ^(١) المحيا الكريم ، والوجه الذي ينجل
البدر إذا أنار في الليل البهيم .

يا مولانا ، الله يمتّعنا بحياتك ، ما ينسى المملوك تلك الليلة التي مرّت ،
وماليكك بين يديك ، وكأنّ الأنس والسعد والفضل في قبة ضربت عليك ، والمسرة
والإقبال والهناء خدام وقفوا لديك . ودموع المملوك ما يملك ردّ عنايتها ، ولا يخبا عقود
دورها وجمانها ، ولا ينقطع لها خيط مزّن ، ولا يعلم الباعث لها ما هو ، أمّن سرور أو
حزن . نعم ، للنفس شعور بما يقع فيما بعد ، وإدراك بما سوف يتجدد من النّحس أو
السعد .

ولما عاد المملوك تلك الليلة ^(٢) من عند مولانا - أعزّ الله أنصاره - ودخل مسكنه
واستجنّ داره ، نظم المملوك :

تعجّب خلي من عبّرتي وقد هطلت كالخيا السّاكب
فقلت : دموعي تُحاكي ندى علي بن بيارس الحِـاجِب

(١) في (أ) : « من ذلك » .

(٢) في الأصل : « البلاد » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) .

وبالله يقسم المملوك أنّ دمشق بعد مولانا ما تُسكن ، والعمل على الخروج منها مُتَعَيِّنٌ إنْ أمكن . فلقد كان لها بمولانا ملكِ الأمراء جمالٌ وأيّ جمال ، وروث لا يملكه إلاّ البدور إذا كانت في ليالي الكمال ، وعزّ دائم لو أنّ ركابه الكريم فيها يحل ويرحل ، وظل ظليل لو أنّ مغناها^(١) ما أقفر منه ولا أحل .

ما العيشُ فيها طيّبٌ لِبَعَادِهِ عنها لا روض الحمى بنضير

وعلى الجملة ، فدمشق لها مدّة سنين في خمول ، الله يجعل هذا آخره ، ويرينا وَجْهَ مولانا على ما يسرّ من أوقات أنسه الفاخرة :

وَكُنَّا كما نهوى فيا دهرٌ قُلْ لنا أفي الوسع يوما أو نكون كما كُنَّا^(٢)
وألطاف الله تعالى خفيّة بعباده ، وقد يُرجع [الله]^(٣) الغريب إلى بلاده ، بمنّه وكرمه . أنهى ذلك إن شاء الله تعالى .

١١٣٩ - عليّ بن تنكز*

الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير الكبير المهيّب سيف الدين نائب الشام .

كان يحبّه والدّه محبة عظيمة ، وأظنه [من] زَوْجِهِ^(٤) بنت الأمير سيف الدين كوكاي^(٥) .

أمّره السلطان الملك الناصر ، ولبس التشريف والشربوش^(٦) ، ومشى الأمراء

(١) في الأصل : « مغناها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) : « أو نعود » .

(٣) زيادة من (أ) .

* الدرر : ٣٥/٣ .

(٤) في الأصل : « وأظنه زوجة » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) الشربوش : قلنسوة طويلة أعجمية ، كانت شارة للأمراء لا يلبسها غيرهم .

والْحَجَّابُ ووجوه الدولة من أرباب السيوف في خدمته من مدرسة نور الدين الشهيد إلى دار السعادة في يوم الخميس ثاني شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان لا يزال عليلاً كثير الأوجاع والأسقام ، فتتكدَّ عيش والده بذلك ..

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي - رحمه الله - في عَشِيَّة الاثنين عند المغرب ، العشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في أول الليل بتربة والده التي بجوار جامعهِ ، ظاهر دمشق .

ووجدَ عليه وَجْداً عظيماً والده ، وجَهَّزَ إليه السلطانُ أميراً كبيراً يعزِّيه ، وجَهَّزَ إليه ^(١) تشریفاً عظيماً ، فلبسه .

وكان قد جاء منه كتاب إلى الأمير سيف الدين بكتمر الساقى ، يوصي فيه بأخته ، زوج أمير أحمد بن بكتمر الساقى ، وكان اسمه فيه بخط يده ، لأنه كان صغيراً جداً أول ما كتب . فكتبت أنا الجواب عنه وأنا بالديار المصرية في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ونُسخته :

« أدام الله تعالى نعمة الجنب العالي الأميري العلاني ، وزاد العيونَ بآثاره كلَّ بَهْجَةٍ ، وسرَّ بأبكار معانيه ^(٢) كلَّ نفس وأقرَّ بها كل مهجه ، وشدَّ بيبأسه عضد والده حتى يطفئ به حرَّ الوغى ورَهْجَه ^(٣) .

صدرت هذه المكاتبة إلى الجنب العالي تَطَوَّى على ^(٤) سلام ، هو أصدق القول وأطربُه لَهْجَه ، وينشر عن ثناء جعل طَرِيقَه إلى الأسماع على الرياض ونَهْجَه ،

(١) في (أ) : « معه إليه » .

(٢) في الأصل و (ز) : « معاليه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) في (أ) « ووهجه » .

(٤) في (أ) : « كل » .

وتوضح^(١) لعلمه الكريم ورود^(٢) مكاتبته التي هي حقيقة المحاسن ومجازها ، وبرود الفضل التي أضحت ، وخط اسمه الكريم طرازها ، فوقف منها على الرياض رَقَمها الغمام بأبر قطره ، ودبَّح ثراها بملونات زهره ، لابل نظر منها إلى الأفق يلمع في ليل مداده صباح طرسه ، ووجد ألفاظه الدر ، لابل تعلو على الدر ، أن تكون من نوعه وجنسه ، وسر من الجنب العالي بذره ، أهذا أبوه وهو في الحقيقة بحرٌ وسمٌ واسمٌ ، وتغجب له من ماجد فاق البدور هلالاً وعلا الشمس نجماً^(٣) ، ورأى خط يده يطير جناحه بنجاح النجابه ، وعلم أنه لا بد وأن يغدو فارس الكتائب والكتابه .

فيا عزّ هذه الدولة الناصرية بآسه الماضي الشبا ، ويا بشرى المعالي منه بأماره نجيب قالت له الإمارة مرحبا ، والله يحمل بيدره هالات المواكب ، ويعلي قدره على أقدار السعود من الكواكب ، فإن الظن في الصدقات السلطانية مارق له غير أولي درجة ، ولا تحطى الأمل الصادق منعطفه ومنعرجه .

وأما الإشارات الكريمة إلى كريمته ، فهي أين كانت كريمة ، وحيث سارت وصارت سعودها مقيمة ، وما الجنب العالي وأهله إلا بمنزلة الولد بل أعزّ قدرا ، وإذا جاء أحدهم بحسنة واحدة نال بها^(٤) عشرة ، فهي درة أحرزها مودعها وشمس أشرق بالسعد واليمن مغربها ومطلعها .

فلتقر عينه من جهتها المصونة ، ولتطب نفسه بما تناله من العناية والمعونة ، إن شاء الله تعالى .

١١٤٠ - علي بن جابر بن علي بن موسى *

نور الدين الهاشمي البيني .

(١) في (أ) : « وتوضحه » .

(٢) في الأصل : « وضوح » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في الأصل : « فاق على البدر هلالاً وعلى السماء نجماً » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في (أ) : « بدلها » .

* الدرر : ٣٥/٣ ، والشذرات : ٦٨/٦ ، وذيول العبر : ١٤٠ ، وتذكرة النبیه : ١٥١/٢ .

شيخ^(١) الحديث بالمنصورية بالقاهرة . سمع بالين من الزكيّ البيلقاني^(٢) ، وبمصر من العزّ الحرائي وخلق ، وبدمشق من الفخر ، وجماعة .

كان فاضلاً محدّثاً أديباً ، رئيساً في نفسه أريباً ، أخلاقه سهّله ، وحركاته تقتضي التراخي والمهلّة ، متواضعاً في نفسه ، مقتصرأ في حاله ولُبّسه ، وكان للكتب جماعه^(٣) ، ونفسه إلى التّزّيد منها طمّاعه . وكان صوته جهّورياً ، وليس من الفصاحة عرياً ، وقراءته مليحه ، وكلماته صحيحه .

ولم يزل على حاله إلى أن هتّم الموت عظام الهاشمي ، وأتاه منه ما لم يَسَلَم منه النوع الآدمي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بمكة سنة سبع وأربعين وست مئة وقيل : سنة ثمان وأربعين ، في يوم عاشوراء ، كما ذكر .

قال الفاضل كال الدين الأذقوي : وأصحابنا ينسبونه إلى شيء من التساهل فيما يقوله ويدّعيه .

وكان الشيخ أبو عمرو بن سيّد الناس يذكر عنه أنه ذكر شيئاً وكتب بخطه ، ثم ادّعى غيره وأصلحه^(٤) .

وكانت فيه مكرمة ، وكان يوصف بحسن الجوار والمخالطة ، وتورّع في أنه هاشمي .

(١) في الأصل : « سمع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) . والتذكرة .

(٢) هو زكي بن الحسن البيلقاني ، نسبة إلى البيلقان ، مدينة بالدريند (ت ٦٧٦ هـ) الشنرات : ٣٥٢/٥ .

(٣) وفي الدرر أنه خلف ستة آلاف مجلدة . وكذلك في التذكرة .

(٤) وكذا نقل صاحب الدرر عن أبي عمرو أنه نسبة إلى التّزّيد . ولاله ترجمة في الطالع السعيد للأذقوي .

وقال شيخنا الذهبي : وكان مع علمه ليس متحريراً في النقل . قال أبو محمد النويري^(١) . أخذ عنه الطلبة .

وأخبرني من لفظه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - قال : استعرت من نور الدين المذكور مجلداً ، فوجدت فيه في مكان الأبيات الضادية التي للشافعي - رضي الله عنه - وفيها تخریجة إلى الحاشية تتصل بيتين ، الأول حفظته ، وهو :

قِفْ ثُمَّ نَادِ بِأَنِّي لِمُحَمَّدٍ وَوَصِيٍّ وَأَبْنَيْهِ لَسْتُ بِيَاغِضٍ^(٢)
ثم تأملت الخط ، فإذا هو خط نور الدين ، انتهى .

قلت : وقد اشتهر هذا البيت ، وأثبتته الفضلاء والحفاظ والناس من شعر الشافعي ، وهو^(٣) :

يَا رَاكِباً قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ
سَحَرَا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى فَيَضاً كُلَّتْ طِمْرُ الْفِرَاتِ الْفَائِضِ
إِنْ كَانَ رَفُضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقْلَانِ أَنِّي رَافِضِي

ولكن مَنْ له معرفة ودربة بقدر الشافعي - رضي الله عنه - يتحقق أن الشافعي ما يقول : « باغض » ، اسم فاعل من أبغض^(٤) .

(١) نقله صاحب الدرر ، ووقع في الأصل و (أ) : « أبو عمرو النويري » ، وهو سهو ، فالنويري هذا ، وسماه في الدرر الفخر النويري ، هو أبو محمد عثمان بن يوسف فخر الدين النويري ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) البيت وما يليه في الدرر .

(٣) ديوان الإمام الشافعي : ص ٥٥ .

(٤) هذا التعليق نقله صاحب الدرر عن تقي الدين السبكي .

وذكر الثقات عن الربيع^(١) أنه قال : حججنا مع الشافعي ، فما ارتقى نجداً ، ولا هبط وادياً ، إلّا وهو يبكي وينشد هذه الأبيات الثلاثة . فإذا زيد^(٢) رابع أو خامس ، أخرج ذلك أهل النقد .

وعن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ	وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ وَأَخْلَصُ
وَأَنَّ عُرَى الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُبَيَّنٌ	وَفِعَلَ زَيْدٌ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ أَحْمَدَ	وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْحَقِّ يَحْرُصُ ^(٣)
وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عَثَانَ فَاضِلٌ	وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصُ ^(٤)
أُمَّةٍ دِينَ يَقْتَدِي بِفِعَالِهِمْ	لِحَى اللَّهِ مِنْ إِيَّاهُمْ يَتَنَقَّصُ

وروى أبو سعد بن السمعاني^(٥) في (ذيله)^(٦) ، وبسنده إلى جعفر بن أحمد بن الحسن السراج^(٧) أنه أنشد ردّاً على مَنْ زعم أن في الشافعي تشيعاً :

لَا ذَرَّ ذُرٌّ مَعَاشِرٍ لَمْ يَحْفَظُوا	غَيْبَ الْأُتَمَّةِ عَاجِزٍ أَوْ نَاهِضُ ^(٨)
زَعَمُوا بِأَنَّ الشَّافِعِيَّ مُحَمَّدًا	جَادَتْ ثَرَاهُ بِمَصْرُ مُزْنَةٍ عَارِضُ ^(٩)
مُتَرَفِّضٌ إِذْ قَالَ فِي بَيْتٍ لَهُ	« فليشهد الثقلان أني رافضي »

(١) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار ، صاحب الإمام الشافعي (ت ٢٧٠ هـ) ، السير : ٥٨٧/١٢ .

(٢) في (أ) : « زيد فيها » .

(٣) في الديوان : « خليفة ربه .. على الخير .. » .

(٤) في (أ) : « يتخصص » .

(٥) في الأصل و (أ) : « أبو سعيد » ، تحريف ، وهو عبد الكريم محمد بن النصور (ت ٥٦٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٠٧/٣ .

(٦) على تاريخ بغداد ، كما في الكشف : ٢٨٨/١ .

(٧) (ت ٥٠٠ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٩ .

(٨) في الأصل : « عيب » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٩) في (أ) : « بمصر ثراه » .

ما قاله إلا بشرط واضح
 «إن كان رفضاً حب آل محمد
 وبه يقول المسلمون فهل ترى
 يامن رماه ببدعة في دينه
 لأولي النهى والدين ليس بغامض
 فليشهد الثقلان أني رافضي»
 عين لآل محمد من باغض
 لا زال جسمك حلف حمى نافض

رجع القول إلى ذكر نور الدين الهاشمي : الله أعلم بسريرته .

ومن شعره في أصحاب الطيالس :

قوم لهم سيرة سارت ببيغهم
 خفت رؤوسهم إذ خف عقلهم
 ومنه في أصحاب العذبات :

قوم إلى الثيران أقرب نسبة
 سترت عمائم شعوب قرونها
 ومنه :

يفخر زيّد بحسن عمته
 كمثل ثور يدور ملتھياً
 ومنه :

هو المجد لا زور الأماني الكواذب
 وما فاح نشر الروض إلا لأنه
 وما طاب ذكر الحمْد إلا لأنفس
 حناينك من عصي خلت منه سادة
 وليس الغلا إلا ابتذال الرغائب
 بذول لما أولاه قطر السحائب
 لها في اقتناء الحمْد أسنى المكاسب
 غياث لمستجد وغوث لراغب

(١) في الأصل : « الكفر والحق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في الدرر : « شعور » .

ومنه ^(١) :

نال من صَدَّهَا الفؤادُ سلَوا رَبَّ خير أتي بغير اعتاد
شِمة في الحِسان بغض المحب بين فلا تَرْجُونَ صَفْوَ الوداد

قلت : شعر جيد ، ومقاصد حسنة ، ولكنه هو ولد بمكة ، ورَبِّي بالين ، وأهل تلك البلاد المعهود عنهم ^(٢) اللطف ورقة الحاشية ، ولا سيما وقد أقام بالديار المصرية ، فكيف يقول :

نال من صَدَّهَا الفؤادُ سلَوا رَبَّ خير أتي بغير اعتاد
هذا فيه جفاء وغلظة طباع . وأين هذا من قول الأول :

عَلَّمَتْنِي يَهْجُرُهَا الصبرَ عنها فهي مشكورة على التقبيح
قال عَلَّمَتْنِي ، فنسب ذلك إليها ، وقال : الصبر ، وما قال : السَلَوُ . والنصف الثاني في غاية الحسن .

وكان الشيخ نور الدين المذكور يدَّعي أنه يحفظ (الوجيز) .

١١٤١ - علي بن الحسن بن أحمد*

الإمام الزاهد العابد ، عَلم الأولياء ، أبو الحسن الواسطي الشافعي .

صحب الشيخ عز الدين الفاروئي ، وسمع من أمين الدين بن عساكر وغيره . وقرأ

(١) البيتان في الدرر .

(٢) في (أ) : « منهم » .

* الدرر : ٣٧/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، وذيول العبر : ١٧٩ .

القرآن^(١) والفقه ، وأكثر من مطالعة العلم ، ولاذ بظل الصبر والحلم ، ولازم الحج^(٢) ستين عاماً ، وجاور في بعض ذلك مقاما .

وكان منجماً عن الناس ، منعزلاً عن الأدناس ، لا يقبل من كل أحد ، ولا له غير الصبر ملتحد . له كشف وحال ، وفضل وقال^(٣) . كثير التلاوة والقيام ، والذكر والصيام ، منقطع القرين ، متواصل الآلة والأنين .

توفي - رحمه الله تعالى - بيدر مُحَرِّماً ، وراح إلى الله مُكْرَماً ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

١١٤٢ - علي بن الحسن *

الإمام الخطيب ابن الجايي ، بالجيم والألف والباء الموحدة ، خطيب جامع جراح .

كان طيب النغم ، حسن الصوت إذا نغم ، جيد الأداء ، فصيح التلاوة يُشَوِّق إلى الاقتداء به والاهتداء . يوردُ خُطْباً طويلاً ، يطيل فيها جواباً وسؤالاً . وله عمل كثير^(٤) في الكيمياء ، ويزعم أنها صحت معه . والظاهر أنه ظفر [منها]^(٥) ببعض صبغ أطمعه .

ولم يزل في نَصْبِهِ وكَدِّهِ إلى أن حصل [في]^(٦) لحده .

(١) عبارة الدرر: « وقرأ القراءات » .

(٢) في الأصل و (ز) : « الصبر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، وعبارة الدرر: « حج ستين حجة » ، وفي الشذرات: « حج واعتبر أزيد من ألف مرة » .

(٣) أي قول .

* الدرر: ٣٩٣ ، وفيه: « بن الحسن بن عبد الله » . وعقد الجمان: ٢٠٢/٤ .

(٤) في الأصل: « كبير » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ز) .

(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٦) زيادة من (ز) تستقيم بها العبارة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى وسبع مئة^(١) .

وخطب بعده الشيخ شرف الدين الفزاري إلى أن نُقل إلى خطابة الجامع الأموي .

وكان هذا الخطيب ابن الجابي قد جمع نحو أربع مئة دينار ، وجاءت التتار ، فكابر وقعد في بيته في الجامع ، فدخلوا عليه ، فكلمهم بالتركي ، فأخذوا ثيابه وفرشه^(٢) ونحو ثلاثين قطرميزاً من زبيب^(٣) ومخلل وعسل . ثم جاءت فرقة أخرى ، وقالوا له : أين المال ، فتمسكن لهم ، فأروا هناك لازورداً ، فأرادوا أن يوجّروه^(٤) به ، فصاح وخرج^(٥) لهم عن ثلاث مئة دينار ، فأخذوا الذهب ، وعذبوه ، ثم إنه هرب وتسلّق من الباب الصغير ، فظفر به أناس آخرون ، وطالبوه مصادرةً ، وقاسى أهوالاً ووبالاً وفقراً^(٦) إلى أن توفي - رحمه الله - في تاريخه .

ولما أُبيعت كتبه ، جاء الشيخ تقي الدين^(٧) - رحمه الله تعالى - واشترى منها كتباً بألف درهم ، جميعها في الكيمياء ، ورمى بها في وقته في بركة ، وغسلها ، وقال : هذه كانت تُصلّ الناس وتُضيع أموالهم .

١١٤٣ - علي بن الحسن بن علي بن أبي نصر*

علاء^(٨) الدين بن عمرو .

(١) في سابع عشر ربيع الآخر ، كما في الدرر .

(٢) في (أ) : « وفرسه » .

(٣) في (أ) : « زيت » ، ولعلها أقرب .

(٤) وجَرَ الدواء إذا بلعه .

(٥) في (أ) ، (ز) : « وحفر » .

(٦) في الأصل : « وقفر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٧) ابن تيمية ، كما في الدرر .

* الدرر : ٣٧٣ ، وعقد الجمان : ٤٤٢/٤ .

(٨) في الأصل : « ابن علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

نشأ علاء الدين هذا ، وقد عدم ما كان لوالده من الدنيا الواسعة ، فاشتغل بالحساب^(١) ، وولي الزكاة ثم الوكالة وغيرها .
وكان من عقلاء الناس .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة ست وسبع مئة في خامس عشر شهر رجب .
وروى (سُداسيات الرازي) عن أحمد بن النحاس ، سمعها عليه^(٢) بالإسكندرية عن ابن موقا .

وكان والده من أرباب الأموال الجزيلة . وأقام بالإسكندرية وتوفي بها .

١١٤٤ - علي بن حسن**

الأمير نور الدين بن الأمير بدر الدين حسن بن الأفضل .

كان الأمير نور الدين هذا ابن أخي الملك المؤيد صاحب حماة . جاء إلى دمشق بعد الفخري أمير طبلخاناة ، وأقام بدمشق ، واشترى دار أيدغدي شقير التي عند مئذنة فيروز من الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب ، وهي دار عظيمة وبها بحرة متسعة ، لم يكن بداخل دمشق أكبر منها ، وعمرَ بها الأمير نور الدين قبة مليحة إلى الغاية .

وكانت له أملاك وسعادة بحمة وإقطاع جيد ، وعنده جوارى جُنكيّات^(٣) ودَقِيّات ، فاتقصف ، وأورث أهله الأسى والأسف .

(١) في (أ) ، (ز) : « بكتابة الحساب » .

(٢) في (أ) : عليهم » .

* الدرر : ٢٨٧٢ .

(٣) هن الجوارى اللاتي يعزفن على الجناك ، وهو من الآلات الوترية ، والجُنكي : هو الراقص في المنتديات والأفراح .

وكان موته في عاشر صفر سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وعمره تقدير أربع وعشرين سنة .

وكان يعرج قليلاً إلا [أن]^(١) وجهه حسن .

١١٤٥ - علي بن حسن *

الأمير علاء الدين بن المرواني .

كان في دمشق من خيار الناس ، وأعقلهم ممن يود أن^(٢) يعد أو يدخل في كَيْس الأكياس . ظريفاً مُندباً ، مَخْرَجاً مهذباً ، يخدم الناس ويتقرب بإحسانه ، ويحسن بيده وبلسانه ، إلى أن تولّى الصعيد بمصر ، فاكسب هناك الإثم ، وأصرّ على الإصر وسفك الدماء نهراً جهاراً ، وأجرى منه بجزّاته أنهاراً .

ثم إنه نُقل إلى ولاية القاهرة ، فأظهر فيها من الجبروت ما تحفّ^(٣) منه البحار الزاخرة ، ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى الآخرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ...^(٤)

أول ما علمت من أمره أنه جاء إلى صفد شاذّ الديوان ووالي الولاية عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الساقى ، جهّزه الأمير سيف الدين تنكز في سنة ثمانى عشرة أو تسع عشرة . ولم يزل بصفد إلى أن طلب إلى دمشق ، وتولّى ولاية البرّ بها في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة عوضاً عن سنجر الطرقي ، فأحبه تنكز والصاحب شمس الدين ، وقرباه وأدنياه وبالغا في إكرامه .

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

* الدرر : ٤٠/٣ .

(٢) في الأصل : « أو » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في الأصل و (أ) : « تحف » ، وأثبتنا ما في (ز) وهي أقرب .

(٤) كذا في الأصول . وفي الدرر أنه مات قبل الأربعين .

ولم يزل مُعظماً يحبه أهل دمشق ، ويُحسن هو إليهم إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وولاه الصعيد ، فدخل يوماً إلى ديوان الإنشاء بقلعة الجبل لإلفه بأهل دمشق ، وقعد عندنا يسيراً يتحدث ويذكر دمشق ، فجاء إليه إنسان من عند بعض الخاصكية يقول : هذا يكون في خدمتك ، يُصلي بك ويؤذن ويقرأ . يُشير إلى فقيهه ^(١) معه . فقال : سلم على الأمير ، وقل له : أنا ما أروح إلى الصعيد مُسلاً ، فضلاً عن أني أصلي . فأخذنا منه ذلك على عادة بسطه وتنديبه . فما كان إلا أن راح إلى الصعيد ، وحطّ يده والسيف . فوسّط وسَمّر وشنق ، وسفك الدماء ، إلى أن نُقل إلى ولاية القاهرة في سادس عشري جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكان الحال في هذه الولاية أشق . أول ولاية بالقاهرة ^(٢) قطع على ما قيل خمسين يدا غير الأرجل ، وزاد في ذلك ، ودخل مع القاضي شرف الدين النشو وأحبه [وأخذنا] ^(٣) أرواح جماعة من الكتّاب .

وولّى السلطان ابنه الأمير ناصر الدين محمداً مصر ، وأضاف الحسبة في الخبز إلى الأمير علاء الدين في أيام الغلاء ، لكنه ساس ذلك سياسة جيدة . وأظنه تولى القاهرة بعد سيف الدين بلبان الحسامي ، بعدما نُقل إلى نيابة دمياط .

١١٤٦ - علي بن الحسن بن علي*

الشيخ نور الدين أبو الحسن الأرموي الشافعي ، شيخ خانقاه القاضي كريم الدين .

سمع من الفخر بن البخاري وغيره .

(١) في (أ) : « ققير » .

(٢) في (ز) : « القاهرة » ، وهي أشبه .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) ، يقتضيهما السياق .

* الدرر : ٣٩٧/٣ .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .
ومولده بأقصر سنة اثنتين أو ثلاث وخسين وست مئة .

علي بن حسن بن أبي الفضل*

ابن جعفر بن محمد بن كثير الحلبي .

قدم دمشق وأقام بها سنوات ، ثم إنه في يوم شقّ الصفوف في الجامع الأموي ،
والناس في صلاة جنازة ، وجعل يقول : لعن الله من ظلم آل محمد . ومن هذا وشبهه ،
فنبّه الشيخ عماد الدين بن كثير عليه ^(١) ، وقال : أمسكوه ، فإن هذا يسبّ الصحابة ،
فأمسكوه وأحضروه إلى العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى فاستفهم
منه عما يقول ، فظهر له أنه يسبّ أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - فأمر باعتقاله .

ثم إن الناس قاموا في أمره ، ورفعوه إلى قاضي القضاة جمال الدين المسلاقي
المالكي ، فضربه ثلاثة أيام بالسياط ، ويأمره بالتوبة ، وهو مصرّ ، ثم إن الناس حملوه
إلى دار العدل بين يدي النائب ، فأمره بالتوبة هو والقضاة ، وهو مصرّ ، ثم إن نائب
القاضي المالكي حكم بضرب عنقه ، فتوجه الناس [به] إلى [سوق] ^(٢) الخيل ، وتوجه
بعض الناس يشاور عليه ، فجاء بعض الجند ، وضرب عنقه ، وأخذ رأسه ، ولعب
الجند به الكرة في سوق الخيل ، ثم إن العوام أحرقوا جسده بالنار ، وطيف برأسه بعد
ذلك في أسواق دمشق . وكان ذلك في يوم الخميس عشري جمادى الأولى سنة خمس
 وخسين وسبع مئة .

* البداية والنهاية : ٢٥٠/١٤ ، وفيه : « ابن حسين » ، والدرر : ٤٠/٣ ، وذيل العبر : ٢٩٥ ، وسماء :
« حسين بن عبد الله » .

(١) انظر في تفصيل ذلك ماورد عن ابن كثير في البداية والنهاية عند ترجمته .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ز) .

١١٤٨ - علي بن حسن بن صبح*

الأمير علاء الدين ، أحد الأمراء بدمشق .

صحب الأفرم وداخله ، ولما قفز [الأمراء وتركوا]^(١) الأفرم وحده ، ولم يبق عنده أحد من الأمراء إلا مَنْ هُوَ مَنْ خَواصّه ، ولا مَنْ هو بعيد عنه ، أخذه علاء الدين بن صبح ، وتوجّه به إلى الشقيف .

ولما دخل السلطان إلى دمشق كتب لها أماناً ، فحضر إليه ، ثم إنه أمسكه فيما بعد ، وأقام في سجن الإسكندرية إلى أن أفرج السلطان عنه ، ووصل إلى دمشق يوم عيد الأضحى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ولم يزل بدمشق مقيماً على إمرته إلى أن توجه إلى البقاع ، ومرض به . وتوفي هناك في يوم الأربعاء سابع عشرين شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وعمره سبع وأربعون سنة .

١١٤٩ - علي بن الحسن بن محمد بن الحسين**

القاضي الرئيس الشريف ، شرف الدين الحسيني الأرموي ثم المصري ، تقيب العلويين ووكيل بيت المال بالقاهرة ، وقاضي العساكر .

حدّث عن ست الوزراء ، ودرّس بمشهد الحسين بالقاهرة ، وكان من كتّاب الإنشاء . وهو ابن عم السيد الشريف شهاب الدين الحسين المقدّم ذكره .

وكان السيّد علاء الدين ظريف الشكل والمنظر ، دائم البشر بوجهٍ يخجل القمر إذا

* الدرر : ٢٨/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

** وفيات ابن رافع : ٣٣٥/١ ، والدرر : ٣٩/٣ ، والذيل التام : ١٥٣ ، وذبول العبر : ٣١٢ ، وفيه : « بن

علي بن الحسين » . والنجوم الزاهرة : ٣٢٢/١٠ ، وفيه : « علي بن الحسين بن محمد » .

ثم وأبدر . وله إنشاء جيد ، ونثر ما عرّج عن الحسن ولا حاد عنه ، فإنه بالبلاغة متأيد ، وبينه وبين الشيخ جمال الدين بن نباتة مكاتبات راقية صَدُرَها ووسطورها ، ولاق بالقلوب منظومها ومنثورها .

وكان قد حَصَلَتْ له وجاهة في أيام الملك الصالح إسماعيل من جهة أم السلطان ، وساد فيها ، وعبث به ابن عمه الشريف شهاب الدين بما كُتِبَ على الحيطان . ولم يزل على حاله إلى أن أصبح في أكفانه مُدْرِجاً ، وانقطع أملٌ مَنْ أَمَلْهُ ورجا . وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة سبع وخمسين وسبع مئة بالقاهرة .

١١٥٠ - علي بن الحسين بن قاسم بن منصور بن علي*

الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة المتبحر الْمُفَتِّنُ الأصولي الفقيه النحوي ، الكامل زين الدين أبو الحسن ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ زين الدين بن العَوِينَةِ الموصلي الشافعي .

كان حسن الشكّالهِ ، ظاهر الجلالهِ ، نيراً الحَيَا ، يُشَبِّهُه البدرُ لو تَمَّ له ذلك أو تَهَيَّأ ، أحمر الوجنهِ ، رؤْيَةُ البدر^(١) معها هُجْنُهُ ، نقيّ الشيب ، بريئاً من العيب ، طاهر الذيل عاطر الحبيب ، فكهِ المحاضرة مأمون الغيب ، خالياً من الشبهة والرّيب ، حالياً بمواهبِ الفوائد التي ما يذكر معها للغمام سَيِّب .

فقيه إذا قلت فقيه ، يبهّر علمه وبجته^(٢) كلّ مَنْ يلتفت فضله^(٣) أو يلتقيه ،

* الوافي : ٥٢/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٣٢٦/٨ ، والدرر : ٤٣/٣ ، والنجوم : ٩٧/١٠ ، والذيل التام : ١٤ ، والبغية : ١٦١/٢ ، والشذرات : ١٧٧/٦ .

(١) في (خ) : « الورد » .

(٢) في (خ) : « علمه وفضله وبجته » .

(٣) في (أ) : « لفظه » ، وهي أقرب .

أصولي مدّ أطناب الإطناب في شرح (المختصر) ، وقام بأعباء هذا العلم وجالد لما جادل وانتصر .

مفسّر غير مقصّر ، بليغ إذا تفوه ألهى ^(١) بعدوبة نطقه عن العذّيب ووادي مُحسّر ^(٢) .

نحوي حلّ ما في (التسهيل) من التعقيد ، وأوضح غوامضه فأغض ناظر الناظر فيه بعد ما كان يعالج التسهيد .

ورياضي أخذ جمل محاسنه بلا حساب ، وقرب بعيد هذا الفنّ وسهل الاكتساب .
وناطم أدار قوافيه كؤوساً ^(٣) على الألباب وأنسى المتيمين بأغزاله ذكرى المنازل والأحباب ^(٤) .

نبّه ^(٥) به جماعة من الأعيان ، وتخرج به طائفة من أولي الفهم والأذهان .

ولم يزل ينفيد ، ويبيدي البدائع في البدائة ^(٦) ويعيد إلى أن أتى سيل المنية على ابن شيخ العونية ، واستوفى أجله منه دئنه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالموصل ، وصلي عليه في مازدين غائباً في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

وسأله عن مولده ، فقال : بالموصل ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وست مئة .

(١) في الأصل : « ألهى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) موضع ما بين منى وعرفة ، وقيل : بين منى والمزدلفة ، (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « إذا دقوا كوسا » ، وفيها تحريف وسقط .

(٤) في الأصل : « والأحساب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (أ) ، (خ) : « تنبه » .

(٦) في (خ) : « ويبيدي البدائه في البدائع » .

اجتمعت به في دمشق بالمدرسة القليجية جوار دار الذهب في شهر شوال سنة خمسين وسبع مئة ، وقد ورد للحج إلى دمشق صحبة بنت صاحب ماردین ، فرأيت منه خبراً^(١) كامل الفوائد ، وبحراً لا تبخل أمواجه بإلقاء الفرائد . وكتبت إليه بعد ذلك سؤالاً نظمته قديماً^(٢) ، وهو :

ألا إنما القرآن أكبر معجز
ومن جملة الإعجاز كون اختصاره
ولكنني في (الكهف) أبصرت آية
وما ذاك إلا «استطعما أهلها» فقد
فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر
فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

سألت لماذا «استطعما أهلها» أتى^(٣)
وفيه اختصار ليس ثم ولم تقف
فهناك جواباً رافعاً لنقابيه
إذا ما استوى الحالان في الحكم رجح الضمير، وأما حين يختلفان
لرفعة شان أو حقارة جان^(٤)
وما نحن فيه، صرحوا بأمان^(٥)
وهذا على الإيجاز واللفظ جاء في

(١) في (خ) : « خيراً » ، تصحيف .

(٢) عبارة الوافي : « وكتبت إليه لما قدم إلى دمشق متوجّهاً إلى الحجاز سنة خمسين وسبع مئة سؤالاً كنت كُتِبته إلى الشيخ نجم الدين داود بن علي القحفازي » .

(٣) في الأصل : « إني » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « بأن كان ... كرفعة » .

(٥) في الوافي : « صوّحوا » .

فلا تمتحن بالنظم من بعد عالما فليس لكل بالقريض يـدان
وقد قيل إن الشعر يُزري بهم فلا تكاد ترى من سابق برهان
ولا تُنسني عند الدعاء فإنني سأبدي مزاياكم بكل مكان
وأستغفر الله العظيم لما طغى به قلبي أو طال فيه لساني

والجواب المبسوط بالنثر ، فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الفضلاء عن الحكمة في ﴿ استطعما أهلها ﴾ ^(١) دون « فاستطعماهم » مع أنه أخصر ؟

والجواب : قلت ، والله الموفق : إنه لما كانت الألفاظ تابعة للمعاني ، لم يتحتم الإضمار ، بل قد يكون التصريح أولى ، بل ربّما يكاد يصل إلى حدّ الوجوب ، كما سنبين إن شاء الله تعالى ، ويدل على الأوليّة قول أرباب علم البيان ما هذا ملخصه : لما كان للتصريح عمّل ليس للكناية ، كان لإعادة اللفظ من الحسن والبهجة والفخامة ما ليس لرجوع الضمير ، انتهى كلامهم .

فقد يُعدل إلى التصريح إما للتعظيم وإما للتحقير وإما للتشنيع والنداء بقبح الفعل ، وإما لغيرهم ، فمن التعظيم قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ☆ الله الصمد ﴾ ^(٢) دون « هو » . وقوله تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبحق نزل ﴾ ^(٣) ولم يقل « وبه » . وقوله : ﴿ الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ ^(٤) فقد كرّر لفظ الحج مرتين دون أن يقال : « فمن فرضه فيهن » ، الذي في التنزيل : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ [الكهف :

١٨/٧٧] .

(٢) الإخلاص : ١/١١٢ - ٢ .

(٣) الإسراء : ١٠٥/١٧ .

(٤) البقرة : ١٩٧/٢ .

ولا جدال فيه ، ، إعلاماً بعظمة قَدْرِ الْحِجِّ ، وعبادته ^(١) ، من حيث إنها فريضة العمر ، وفيها شبه عظيم بحال الموت والبعث ، فناسب حال تعظيمه في القلوب [التصريح] ^(٢) باسمه ثلاث مرّات .

ومنه قول الخليفة « أمير المؤمنين : يَرْسُمُ بِكَذَا » دون « أنا » ، إما لتعظيم ذلك الأمر أو لتقوية داعية المأمور أو نحوها .
وقول الشاعر : ^(٣)

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا
وقول أبي تمام :

قَدْ طَلَبْنَا فلم نجد لك في السَّؤِّ دد والمجد والمكارم مِثْلًا
[فَإِنْ إيقاع الطلب على المثل أوقع من إيقاعه على ضميره لو قال : طلبنا لك مِثْلًا فلم نجده] ^(٤) .

وقول بعض أهل العصر :

إِذَا بَرَقَتْ يَوْمًا أَسِرَّةٌ وَجْهُهُ عَلَى النَّاسِ قَالَ النَّاسُ جَلَّ الْمَنُورُ
وأما ما يكاد يصل إلى حد الوجوب ، فمثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا

(١) اضطربت عبارة المطبوع من الوافي وهنا .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٣) ويعمده :

وَعَلَّمَتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وعصام هو : عصام بن شهر حاسب النعمان بن المنذر .

انظر : مجمع الأمثال : ٣٣١/٢ ، واللسان (عصم) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

لك أزواجك ﴿ إلى قوله : ﴿ وامرأة مؤمنة إنْ وَهَبْتُ نفسها للنبي ، إن أراد النبي أن يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ ^(١) عدل ^(٢) عن الإضمار إلى التصريح ، وكرر اسمه - ﷺ - تنبيهاً على أن تخصيصه - ﷺ - بهذا الحكم - أعني النكاح بالهبة - عن سائر الناس ، لمكان النبوة ، وكرر اسمه - ﷺ - تنبيهاً على عظمة شأنه وجلالة قدره ، إشارة إلى علّة التخصيص وهي النبوة .

ومن التحقير : ﴿ قَبَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ ^(٣) ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ^(٤) ، دون : « عليهم » ، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ ^(٥) أضمر هنا ، ثم لما أراد ^(٦) المبالغة في ذمهم صرح في الآية الثانية والثالثة بكفره ف قيل ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٧) ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ^(٨) .

وأمثاله كثير ، فإذا تقرر هذا الأصل ، فنقول : لما كان أهل هذه القرية موصوفين بالشحّ الغالب واللؤم اللازب بدليل قوله - ﷺ - « كانوا أهل قرية لئاماً » ^(٩) وقد صدر منهم بحق هذين العبدین الكريمین علی الله ما صدر من المنع بعد السؤال ، كانوا حقيقين بالنداء ^(١٠) عليهم بسوء الصنع ، فناسب ذلك التصريح باسمهم ، لما في لفظ

(١) الأحزاب : ٥٠/٣٣ .

(٢) في الوافي : « إن عدل » ، ولا وجه لـ (إن) هنا .

(٣) الأعراف : ١٦٢/٧ .

(٤) البقرة : ١٥٩/٢ .

(٥) البقرة : ٨٨/٢ .

(٦) في الوافي : « أريد » .

(٧) البقرة : ٨٩/٢ .

(٨) البقرة : ٩٠/٢ .

(٩) مسند أحمد : ١٢١/٥ .

(١٠) قوله : « بالنداء » ، ليس في الوافي .

الأهل من الدلالة على الكثرة^(١) مع حرمان هذين الفقيرين من خيرهم^(٢) مع استطعامها إياهم ، ولما دلّ عليه حالهم من كَدَرِ قلوبهم وعمى بصائرهم ، حيث لم يتفرّسوا فيها ما تفرّسه صاحب السفينة في قوله : أرى وجوه الأنبياء .

هذا ما يتعلّق بالمعنى ، وأما ما يتعلّق باللفظ ، فلما في جمع الضميرين في كلمة واحدة من استثقال ، فلهذا كان قليلاً في القرآن المجيد . وأما قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾^(٣) وقوله : ﴿ أَنزَلْنَاهُكُمْوهَا ﴾^(٤) فإنه ليس من هذا القبيل ، لأنه عدول عن الانفصال إلى الاتصال الذي هو أخصر ، وعند فكّ الضمير لا يؤدي إلى التصريح باسم ظاهر ، بل يقال : « فسيفيك إياهم الله » ، و « أنلزمكم إياها » ، فكان الاتصال أولى ، لأنه أخصر ، ومؤداهما واحد ، بخلاف مسألتنا .

ثم هنا سؤالات^(٥) ، فالأول : ما الفرق بين الاستطعام والضيافة ؟ فإن قلت : إنها بمعنى ، قلت : فلم خصصهما بالاستطعام ، والأهل بالضيافة ؟

والثاني : فلم قيل ﴿ فَأَبُوا أَنْ ﴾ ، دون « فلم » ، مع أنه أخصر ؟

والثالث : لم قيل ﴿ أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ ، دون « أتيا قرية » ، وألغزُ بخلافه ؟ تقول : « أتيت الكوفة »^(٦) دون « أهل الكوفة » ، كما قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ ﴾^(٧) .

والجواب عن الأول : أن الاستطعام وظيفة السائل ، والضيافة وظيفة المسؤول

(١) في الوافي : « الكره » ، تحريف .

(٢) في الوافي : « خير لهم » .

(٣) البقرة : ١٣٧/٢ .

(٤) هود : ٢٨/١١ .

(٥) في الأصل : « سؤالان » ، تصحيف .

(٦) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « أتيت إلى الكوفة » .

(٧) يوسف : ٩٧/١٢ .

لأن العرف يقضي بذلك ، فيدعو المقيم إلى منزله القادم ، يسأله ويحمله إلى منزله .
وعن الثاني : أن في الإباء من قوة المنع مالميس في « فلم » ، لأنها تقلب المضارع إلى
الماضي وتنفيه ^(١) ، فلا يدلُّ على أنهم لم يضيّفوهم في الاستقبال ، بخلاف الإباء المقرون
« بأن » ، فإنه يدل على النفي مطلقاً ، وآيته : ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ ^(٢) أي
حالا واستقبالا .

وعن الثالث : أنه مبني على أن مسمى القرية ماذا ؟ أهو الجدران وأهلها معاً حال
كونهم فيها ؟ أم هي فقط ، أم هم فقط ؟ والظاهر عندي أنه لم يطلق عليها ^(٣) مع
قطع النظر إلى وجود أهلها وعدمهم بدليل قوله تعالى : ﴿ أو كالذي مرَّ على قرية
وهي خاوية على عروشها ﴾ ^(٤) سماها قرية ، ولأهل ولا جدار قائماً ، ولعدم تناول
لفظ ^(٥) القرية إيّاهم في البيع إذا كانت القرية وأهلها ملكاً للبائع ، وهم فيها ^(٦) حالة
البيع ، ولو كان الأهل داخلين في مسأها لدخلوا في البيع ، ولشُبوت المغايرة ^(٧) بين
المضاف والمضاف إليه ، وإنما ذكر الأهل لأنهم ^(٨) المقصود من سابق ^(٩) الكلام ، دون
الجدران ، لأنه بمعرض حكاية ما وقع منهم من اللؤم .

فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطّرت معيشتها ﴾ ^(١٠)
﴿ وكم من قرية أهلكناها ، فجاءها بأسنا يياتاً أو هم قائلون ﴾ ﴿ وضرب الله مثلاً

(١) في الوافي : « وسفيه » !

(٢) التوبة : ٣٢/٩ .

(٣) في الأصل : « عليهما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) البقرة : ٢٥٩/٢ .

(٥) في الأصل : « اللفظ » ، غلط ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) في الأصل : « ههنا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٧) في الوافي : « وليدت المعايير » ! .

(٨) في الوافي : « لأنّه هو » .

(٩) في الوافي : « سياق » .

(١٠) القصص : ٥٨/٢٨ .

قرية كانت آمنة ﴿^(١) إلى آخره ﴿ وأسأل القرية ﴾ فإن المراد في هذه الآيات [وأمثالها] ^(٢) الأهل والجدران ؟

قلت : هو من باب المجاز بالقرينة ، لأن الإهلاك ^(٣) إِنَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ دُونَهَا ، بدليل ﴿ أَوْهُمْ قَائِلُونَ ﴾ فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف وبطرت معيشتها ، ولاستحالة السؤال من غير الأهل . على أَنَا نقول : لو تُصَوِّر وقوعَ الهلاك على نفس القرية بالحسف والحريق والغريق ^(٤) ونحوه ، لم تتعين الحقيقة ، لما ذكرناه .

وهذه عجالة الوقت ، ونحن على جناح السفر .

هذا صورة ما كتب به إلى الشيخ [زين الدين رحمه الله تعالى ، وقد كنت كتبتُ هذا السؤال للشيخ] ^(٥) الإمام العلامة نجم الدين علي بن داود القحفازي وأجاب عنه بجواب يأتي إن شاء الله في ترجمته .

وأجاب عنه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - بجيء في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وقرأ الشيخ زين الدين القرآن ببغداد على الشيخ عبد الله الواسطي الضرير لعاصم ^(٦) من طريق أبي بكر ^(٧) . وَشَرَحَ (الشاطبية) على الشيخ شمس الدين بن الوراق الموصلي ^(٨) ، وحفظ (الحاوي الصغير) ، و (شرحه) على أقصى القضاة عز

(١) النحل : ١١٢/١٦ .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « الأهل » ، تحريف . وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في (خ) : « الفرق » .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) ابن بهدلة أبي النجود الكوفي (ت ١٢٧ هـ) ، غاية النهاية : ٣٤٦/٨ .

(٧) شعبة بن عياش بن سالم ، راوي عاصم (ت ١٩٣ هـ) ، غاية النهاية : ٣٢٥/١ .

(٨) محمد بن علي بن أبي القاسم (ت ٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

الدين أبي السعادات عبد العزيز بن عدي البلدي^(١) ، و (شرحه) أيضاً على السيد ركن الدين^(٢) . وقرأ (مختصرات ابن الحاجب) ، وشرحه على السيد ركن الدين أيضاً .

وقرأ أصول الدين والمعقولات على السيد ركن الدين أيضاً ، وقرأ (ألفية ابن مَعُط) على الشيخ شمس الدين المعيد المعروف بابن عائشة^(٣) .

وقرأ (اللع) أيضاً لابن جني ببغداد على مهذب الدين النحوي ، وعلى شمس الدين الحَجَرِي - بفتح الحاء والجيم -^(٤) التبريزي مدرّس العربية في المستنصرية .

وقرأ الحساب على القاضي^(٥) عز الدين المذكور آنفاً ، وقرأ عليه الطب أيضاً .

وأجاز له جماعة ، منهم الشيخ تاج الدين بن بُلْدَجِي الحنفي ، وسمع عليه بعض (جامع الأصول) لابن الأثير ، وكان يرويه عن ابن الحامض عن المصنّف ، وسمع أكثر (شرح^(٦) السنة) على الشيخ تاج الدين [عبد الله]^(٧) بن للعافي ، وأجاز له الشيخ شمس الدين بن الوراق الحنبلي .

وقدم إلى دمشق سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وسمع على الشيخ جمال^(٨) الدين المَزِّي (صحيح البخاري) والترمذي و (مسند الشافعي) ، وأجزاء كثيرة . وعلى

(١) لم تقف على ترجمته .

(٢) الحسن بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) لم تقف على ترجمته .

(٤) في الدرر : « بفتح الحاء وسكون الجيم » ، وسمّاه : « محمد بن فضل الله » .

(٥) في الأصل : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) في الأصل : « الشيوخ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي . وشرح السنة للبغوي ، وهو مطبوع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

(٧) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٨) في (أ) : « شمس » .

الشيخ شمس الدين السلاوي (صحيح مُسلم) ، وعلى الشيخ زين الدين بن تيمية^(١) [سنن]^(٢) النسائي ، وعلى الشيخ شمس الدين الذهبي (سنن ابن ماجه) ، وسمع على الشيخ شمس الدين بن النقيب قاضي حلب بعض (سنن الدارقطني) ، وأجازه الباقي . وسمع على الشيخ علم الدين البرزالي كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح^(٣) .

وأجازه الشيخ شمس الدين محمد بن شكاره المؤدب الموصلي (المقامات الحريية) .

وروى مصنفات الشيخ موفق الدين الكواشي عن الشيخ شمس الدين بن عائشة عن السيد ركن الدين عن المصنف - رحمه الله تعالى -

وله من المصنفات (تفسير بنج الحمد) ، وهو خمس سور من القرآن الكريم ، أول كل سورة : « الحمد » . و (شرح مختصر ابن الحاجب) في مجلد ، و (شرح البديع) لابن الساعاتي الحنفي^(٤) ، و (شرح مختصر المعالين)^(٥) للسيد ركن الدين ، وكتاب (تنفيح الأفهام في جملة الكلام) اختصار (مقاصد السؤل في علم الأصول) للسيد ركن الدين ، ونظم (الحاوي الصغير) في دون الخمسة آلاف بيت ، ونظم (شرح المنظومة الأسعدية في الحساب) و (شرح التسهيل) لابن مالك ، ولم يكمل ، وشرح قصيدة في الفرائض للشيخ عبد الله الجزري . وله كتاب (عُرْف العبير في عُرْف التعبير) .

هذه الترجمة أملاها عليّ من لفظه ، وسألته عن معنى هذه التسمية ، أعني شيخ العوينة ، فقال : الشيخ زين الدين الأعلى كان من أهل الثروة والسعادة بالموصل ،

(١) في الوافي : « زين الدين عمر بن تيمية التنوخي » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ) . انظر : الكشف ١١٦٢/٢ ، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور نور الدين العتر .

(٤) الكشف : ٢٣٥/١ .

(٥) هما : (المعالم في أصول الدين) ، و (المعالم في أصول الفقه) للإمام الرازي فخر الدين .

فآثر الانقطاع والعزلة ، فأوى إلى الجبانة بباب الميدان ظاهر الموصل ، ولا ماء لها^(١) هناك إلا من الآبار المحفورة ، طول البير خمسون ذراعاً وستون ذراعاً وأكثر وأقل فكان الشيخ زين الدين يتوجّه في كل يوم إلى الشط ، ويملاً إبريقين ، ويحملهما ، ويحيي بهما لأجل شربه ووضوئه . فمكث على ذلك مدة ، وهو يقاسي مشقةً لبعده المسافة ، فلما كان في ليلة ، رأى النبي - ﷺ - أو الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول له : احفر لي^(٢) عندك حفيرةً ، يظهر لك الماء ، فلما انتبه استبعد ذلك ، لأن الآبار هناك بعيدة الغور ، ولبت مدة ، فرأى تلك الرؤيا ، فاستبعد ذلك ، وقال : لو حفرت بعكاز^(٣) طلع لك الماء . فقصّ ذلك على بعض أصحابه ، وحفر في ذلك المكان تقدير ثلاثة أذرع أو أكثر ، فأجرى الله تعالى هناك عيناً ، وهي مشهورة هناك ، فمن ثم قيل له شيخ العوينة ، وكان من الصلحاء [الكبار]^(٤) . انتهى .

ولما بلغتني وفاة الشيخ زين^(٥) الدين المذكور ، قلت أنا في رثائه :

الشيخ لما توفي وقدّر الله حينه
سالت دموعي عيونا على ابن شيخ العوينه

وأنشدني الشيخ زين الدين - رحمه الله - من لفظه لنفسه . ما كتب به إلى الشيخ شمس الدين الحياي^(٦) :

سلام مثل أنفاس العبير على من حبّسه زاد المسير
ونّهج سبيله حرز الأماني ومصباح الهداية للبصير

(١) في (خ) : « له » ، وهذه الكلمة ليست في الوافي .

(٢) ليست في الوافي .

(٣) في الوافي : « بعكازك » .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « زكي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) محمد بن شريق بن محمد ، ستأقي ترجمته . وواضح في النص التورية بأسماء عدد من الكتب المشهورة .

عوارفه لأهل الكشف قوت
إشارته النجاة لمن وعاهها
تحية من ذريته إليه
وفي جمل الفصول له مثير
ولو واتاه تسيّر وفوز
وقابل سرّه وجه التهاني
سعى وزمى جمار البعد عنه
ولم يقنع بتحفة بنت فكر
وإحياء لعلمهم الغزير
ومنطقه شفاء للصدر
خلاصة نية وصفا ضمير
إلى المقصور في تلك القصور
بتكميل المقاصد والسرور
ولاح طوالع السعد المنير^(١)
وطاف بكعبة الحرم الخطير
ولا اعتاض السطور عن الحضور^(٢)

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح سيدنا رسول الله - ﷺ - بالحرم الشريف في سنة
ثمان وثلاثين وسبع مئة :

دعاهها تواصل سيرها بسرّها
ولا تخشيا منها كلالاً من السرى
فإن ملّ حاديها وحار دليلها
عسى ينقضي في مسجّد الخيف خوفها
وتجرّع من ماء الأجير شربة
مقّ ما تخللت النخيل يثرب
ولم يبق من أكوارها في ظهورها
إليك رسول الله سعي عصابة
ولا تردهاها فالغرام دعاهها
وحقك إن الكلال عداها
هداها إلى تلك القباب سناها
وتلقى منهاها في نزول منهاها
وتنقع من حرّ الذميل صداها
بها^(٣) عدمت تزيها وعناها
ظهور إذا ما بطن مرّ حواها^(٤)
تعدّ خطاها فيك مخو خطاها^(٥)

(١) في الوافي : « وقائل » .

(٢) في الأصل و (خ) : « بيت » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) بطن قر : من نواحي مكة . (معجم البلدان) .

(٥) في الأصل : « تجد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

أَتَتْ وَقَرَاهَا مُوقَّرَ بَذَنُوبِهَا فَأَحْسِنُ كِمَادَاتِ الْكَرَامِ قِرَاهَا
وَلَيْسَ لَهَا عِنْدَ الْإِلَهِ وَسِيلَةٌ سَوَاكَ إِذَا مَا النَّارُ شَبَّ لَظَاهَا^(١)

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ مَا كَتَبَهُ لَصَاحِبِ مَارْدِينَ ، يُوَدِّعُهُ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ لِلْحَجِّ سَنَةَ
خَمْسِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ :

وَدَّعْتَكُمْ وَتَرَكْتُ قَلْبِي عَنْكُمْ وَرَحَلْتُ بِالْخَلْقِ مِنْ صَلَّالٍ
فَالْقَلْبُ فِي الْفِرْدَوْسِ يَشْهَدُ حُسْنَكُمْ وَالْجَسْمُ فِي نَارِ التَّفَرُّقِ صَالٍ^(٢)

وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً يمدح صاحب ماردین :

إِلَهِي إِنَّ الصَّالِحَ الْمَصْلُوحَ الَّذِي بَدَأَ عِزَّهُ فِي آلِ أَرْتَقَ يُزْهِرُ^(٣)
وَأَلْبَسْتَهُ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ حِلَّةً تَكَادُ لِأَبْصَارِ الْخَلَائِقِ تَبْهَرُ
إِذَا بَرَقَتْ يَوْمَ أَسْرَةِ وَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ قَالَ النَّاسُ جَلَّ الْمُنُورُ
وَقَالُوا كَمَا قَالَتْ صَوَاحِبُ يُوسُفَ : أَذَا مَلَكَ أَمْ أَدْمَى مُصَوِّرُ
يُؤْمَلُ أَنْ يَدْعُوكَ ظَنًّا بِأَنْفِي لَدَيْكَ وَجِيهَةٌ مُسْتَجَابٌ مُوقَّرُ^(٤)
إِلَهِي فَلَا تَخْلَفْ بِي الظَّنَّ عِنْدَهُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا فَحُلْمُكَ يَسْتُرُ
وَهَذِي يَدِي مَرْفُوعَةً بِتَضَرُّعٍ فَيَسِّرْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا يَتَعَسَّرُ
وَأَمْنُهُ مِنْ خَوْفٍ فَقَدْ أَمِنَ الْوَرَى بِبَيْتِهِ مِمَّا يُخَافُ وَيُحْذَرُ
وَأَحْسَنُ لَهُ الْعَقَبَى وَبَلَّغَهُ بَيْتِكَ الْـ حَرَامَ عَلَى وَجْهِهِ يُحِبُّ وَيُؤَثَّرُ^(٥)
وَحُطِّ مُلْكُهُ حَتَّى يُوُوبَ مَسْلَمًا وَقَدْ حُطَّتِ الْأَوْزَارُ وَهُوَ مُطَهَّرُ
فَمَا فِي اعْتِقَادِي فِي السَّلَاطِينِ مِثْلُهُ وَأَنْتَ بِمَا يُخْفِي وَيُعْلَنُ أَخْبَرُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَبَّت » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) وَالْوَافِي .

(٢) فِي (خ) : « مِنْ نَارٍ » .

(٣) فِي (أ) ، (خ) : « غَزَّةُ تَزْهَرُ » ، وَفِي الْوَافِي : « عِزَّةُ تَزْهَرُ » .

(٤) فِي (أ) ، (خ) : « نُوْمَلُ ... نَدْعُوكَ » ، وَفِي الْوَافِي : « أَدْعُوكَ » .

(٥) فِي الْوَافِي : « تَحِبُّ وَتُؤَثَّرُ » .

فإن لم يكن فاجعله حيث ظننته فأنت على قلب الحقائق أقدر

١١٥١ - علي [بن] الحسين بن علي بن بشارة*

الفاضل علاء الدين أبو الحسن الشُّبلي ، بالشين المعجمة والباء الموحدة واللام ،
الدمشقي الحنفي .

سمع كثيراً من اليونيني ، وسمع بنفسه ، وكتب ، وأعاد ، وتأهل للإفتاء .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسعين وست مئة في غالب الظن .

وولي إعادة المدرسة الشبلية . قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمع معنا كثيراً ،
ورافقته^(١) في الحج - رحمه الله تعالى - .

١١٥٢ - علي بن الحسين بن محمد بن عدنان**

السيد الشريف علاء الدين بن الشريف زين الدين بن الشريف محي الدين بن
أبي الجن الحسيني .

كان أولاً خليعاً ، ظريفاً خريعاً ، فيه دماثة أخلاق ، وسعة صدرٍ في حالتي يسرٍ
وإملاق . قل أن يرى إلا وهو يضحك ، ولسلامة صدره يعتقد ودك ونضحك . وكان
الناس يتطفّلون على عشرته ، ويعتقدون ودّه لعدم شرته ، ولم يكن في باطنه حقد ،
وخيرّه دون شرّه نقد . إلا أنه لسلامة باطنه يتظاهر بمذهب الاعتزال ، وإذا أنكرنا
عليه حاله في الوقت زال . ومع ذلك فكان عامياً خالياً من العلم ، قد ملئ باطنه
وظاهره من الحلم .

* الوافي : ٦٢/٢١ ، والدرر : ٤١/٣ ، والدارس : ٤١٢/١ .

(١) في الأصل : « ورفقته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

** الدرر : ٤٦٣ ، وذيول العبر : ٢٥٧ .

ولم يزل على حاله إلى أن طُفِئَتْ شعلته ^(١) ، وراح إلى الله تعالى ومعه نِخلته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد ابتلي بحمى الربيع وطالت به مدة سنتين ، ثم إنه راح إلى الربوة ، وأكل سمكاً [ولبناً] ^(٢) ، وربما أنه نزل في النهر ، فمات - رحمه الله تعالى - .

وكان أولاً بيده شهادة المواريث الحشرية ، وله فيها أخبار ^(٣) .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنقابة الأشراف بدمشق في شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وهو :

الحمد لله الذي زان أشراف هذه الأمة بعليها ، وجعله من الذرية المنسوبة إلى نبيها ، ورفع شأنها إلى رتب تحف الملائكة بناديها والملوك بنديها ، وقمع من شأنها برفع لوائها في آفاق الفخار إلى غاية لا يترجل علوي عن علويها ، نحمده على نعمه التي لا تزال تجود وليها تجود وليها ، ومننه التي طاب عزف ربابها ^(٤) ، وطار عرفت ربابها ، وأياديه التي بلغت النفوس آمالها بآلياتها ^(٥) خيراً ومليها ، وعوارفه التي نأت عن لحاق الشكر فيما نجد عبارة ، وفيها حق وقبها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يلمع الإيمان من محيا المعية ، وتميس أعطاف قائلها تحت اللواء المعقود في حلاها وحليها ، وترد نفس معتقديها الحوض المورد ، فتبل غلتها بشهي كوثريها .

(١) في (خ) : « شترته » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « إشارة » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٤) في الأصل : « ربابها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) مخففة من « مآلها » .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده^(١) الذي ابتعثه من سادة لم يُلَوِّ المجد عن لُؤْيِّها ،
ولا أقصى الله المحامد عن قُصَيِّها ، ورسوله الذي انتخبه من أنجَابٍ كم انجاب الظلام بسنا
السنان من سميرها وحَفِيَّه الذي انتقاه من أَعْجَادٍ لم تستقم طرق النجابة حتى شَقَّها
سُنْبُكَ أَعُوْجِيَّها . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الذين هم خير جماعة ، رَكِبَتْ إلى
الشرف مطامطيَّها ، وأعزَّ فئته لم تُخْطِ غرض الصَّوَابِ سهام قِسيَّها ، وأفضل زمرة تَفَرَّقَ
الأبطال إذا انحسر فوق^(٢) كَمِيَّها ، وأشرف سادة عاد غنيَّها على فقيرها ، وعاد^(٣) فقيرها
بغنيَّها .

صلاة ترفل الأقلام من الطروس في سُنْدِسيَّها ، وتبسم شفاه الطروس اللُّغْس عن
جوهرِي كَلِمَها ولؤلؤيَّها ، وشَرَفَ ومجْدَ وكرم .

وبعد ، فإن أوْلَى النسب بأن ترعى له الأقلام حُدودا ، وترفعه إلى غاية تُعَقِّدْ له
على السَّمَاك أَلْوِيَّة [تخفق عذباتها]^(٤) وَبُنُودا ، وتُودِعْ في غابٍ متى دخله دعيّ
داخله^(٥) الخوف مما ملئ أساود^(٦) وأسودا ، وينتهي إلى مَحَلٍّ إذا سَرَحَتِ العيون في
أفئائه « لم تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا » :

نَسَبَ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودًا

فهو بيت النبوة الذي أذهب الله عنه الرَّجْسَ وطَهَّرَه ، وأعلاه على كل ذي شرف
بأذخ ، وأظْهره^(٧) ، وفرَّعه من شجرة أصلها ثابت من أبي القاسم ، كما حرَّره^(٨) النقل

(١) في الأصل و (خ) : « عبده ورسوله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وهو الصحيح بدليل ما سيأتي .

(٢) في الأصل : « فوق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٣) في الأصل و (أ) و (خ) : « عاد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « دخله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٦) في الأصل : « أساور » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٧) في الأصل : « أوظهره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٨) في (أ) : « حرَّرها » .

والنقد ، وحبَّره ، وفرعها في السماء^(١) ، تتشعب غصونه من البتول وحيَّدره ، ولم تنزل نقابة الطالبين تُسأهمُ الخلافة العباسية في المناصب ، وتزاجهم^(٢) في كواكب المواكب بالمناكب ، وتُشركهم في كل عقد وحلٍّ ، وتجاذبهم سقيا رياضهم بكل وابل وطلٍّ ، وقد قال الشريف الرضي للطائع ، وما استحيا : مهلاً أمير المؤمنين فإننا لم نتفرَّق في درجة العليا^(٣) .

ولما خلت الآن هذه الوظيفة السنيّة ، والرتبة العليّة العلويّة ، من النقيب عماد الدين موسى بن جعفر ، قدس الله روحه تطاول كلَّ عُرابة لتلقّي راية مجدها بيمينه^(٤) ، ونظر بعين صلفه ، وخطر بعطف شرفه ، وشم عرينه ، واحتاجت^(٥) العصبة الطاهرة ، والأُنجم^(٦) التي كلُّ منها تير فكلها بحمد الله تعالى زاهرة إلى مَنْ يَسُدُّ مَسَدَه ، ويبلغ أشدّه الذي لا يبلغ الوصف حدّه أجمعوا رأيهم على مَنْ عَقَدُوا عليه الخناصر ، وحكموا بأنه الأحقُّ لِمَا حواه من كرم الأصول ، وطيب العناصر ، واتفقت كلمتهم عليه بمجلس الحكم العزيز الشافعي زاده الله علواً ، وأفاد أحكامه رفعة وسمواً ، وقال لسان حاله لما ولي :

لا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ولا فُتَى إِلَّا عَلِيٌّ

ولما كان الجناح العالي الأميري العلاني أدام الله عزى شرفه ، ونفع ببركة سلفه هو الذي أسرَّ القلم ضميره ، وحكم الفكر فيه بصفاء السريرة ، وأشارت الصفات إليه ،

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ إبراهيم : ٢٤/١٤ .

(٢) في الأصل : « وتزاجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٣) أصله :

مهلاً أمير المؤمنين فإننا في دوحه العليا لا نتفرق

(٤) يشير إلى بيت الشاخ المشهور ، وقد سلف أن ضمن معناه غير مرّة .

(٥) في (خ) : « احتاجت » .

(٦) في الأصل : « والنجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وكادت سماته الصادقة تدلّ الرائد عليه . فلذلك رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ، ولا زال الشرف بأوامره المطاعة يزيد علاء ، ويفوق على مدى الأيام سنّاً وسنّاً أن يغوّص إليه نقابة الطالبين بدمشق المحروسة على عادة من تقدّمه بحكم رضى السادة الأشراف به ، لما حازه من مفاخرة التي تبتليجُ بها الوجوه الوضاء ، ومآثره التي يترنم بها الركبان على ذات الأضاء^(١) ، ومناقبه التي انسأقت إليه من الحسين إلى زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى عليّ الرضى ، إلى محمد الجواد ، وهلمّ جرّاً ، حتى انتهى صباح ذلك إليه فأُسْفِرَ^(٢) بمساعيه وأضاً ، ولأنه من بيت أحياء مُحْيِيهِ ، وزاده زينا ، وجعل رئاسته ، أعزه الله تعالى ، في ذمة الزمان إلى هذا الوقت دَيْناً ، وسماء عليّاً تفاؤلاً بعَلّوه ، ولذلك جعل أول اسميه عينا ، فليُفْخَرْ بهذا النسب الذي أضحى « على هامة الجوزاء مُرَخَى الذوائب » والبيت الذي علّت شرفات شرفه ، فكأنما « تحاول ثاراً عندَ بغض الكواكب » ، والمكارم التي شرح الجود بها التباس المذاهب ، وليجمع السادة الأشراف عليه بأحسانه ، ويودّع كبيرهم وصغيرهم من الخنوّ والرأفة سُرّادق أجفانه ، وينشر [عليهم]^(٣) ملاءة عارفته وعرفانه ، ويعاملهم بالبرّ والتقوى حتّى^(٤) يروا طرف الزمان الذي عمّه عمّة ، كيف منّ الله عليه بإنسانه ، وليحفظ عليهم أنسابهم المتصلة ، ويضبط ما تفرّع من أغصانه^(٥) المتهدّلة ، حتى لا تشدّ شذرة من مكانها ، ولا تتركب حبة مع غيرِ جنانها ، ولينزّههم عن مناكحة غيرهم من الأجانب ، ومخالطة من لا يعادله في الدّرج والمراتب ، فقيبج بالجواهر أن ينخرط الجزع^(٦) في أسلاكها ، وغير لائق بالدراري أن لا تدور في غير أفلاكها ، وليصنّهم عن التبذل في اكتساب المعاش ، والتظاهر بغير ما ألفوه من زينة اللباس والرياش ،

(١) اسم واد ، كما ذكر ياقوت .

(٢) في الأصل : « فاستقر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٤) في الأصل : « كما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) في (أ) ، (خ) ، (ز) : « غصونه » .

(٦) هو الخرز الياباني ، فيه سواد وبياض .

وَلْيَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَالْوُقُوفُ فِي التَّنَازُعِ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا يَدْعُهُمْ يَتَبَدَّلُونَ فَإِنَّهُمْ سَادَةٌ مَنْ فَاهُ أَوْ تَكَلَّمَ ، وَأَشْرَفُ مَنْ تَكَرَّمَ أَوْ تَحَلَّمَ ^(١) ، وَبَقِيَّةُ قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا غَضِبَةً مُضَرِّيَّةً ^(٢) قَطَرَ السِّيفُ دِمَاءً وَتَثَلَّمَ ، وَإِذَا أَعَارُوا دُزَى الْمَنَابِرِ سَيِّدًا صَلَّى عَلَيْهِمْ وَسَلَّم ^(٣) ، وَلِيَأْمُرَهُمْ بِالِاتِّضَاعِ لِمَنْ دُونَهُمْ فِي الْحَافِلِ وَالْمَجَامِعِ ، وَالِاتِّقِيَادِ فِي الْخَيْرِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَدْخُلُونَ مَعَهُمْ فِي النِّسَبِ الْوَاسِعِ ، وَلَيْسَتْ قُوتُ الْمُبَاشَرِينَ فِي تَحْصِيلِ مَا لَهُمْ وَصَرَفِهِ ، وَإِنْفَاقِهِ فِي طَبَقَاتِهِمْ حِينَ جَنَاهُ وَقُطِفِهِ ، وَلِيَحْذَرَهُمْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الْخَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، وَمَنِ الْقَوْلُ إِنَّهُ كَانَ الْخَطَأُ مَعَ هَذَا ، وَمَعَ ذَلِكَ الْإِصَابَةُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَالْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَكُلِّ مَنْهُمْ اجْتَهَدَ فِيمَا تَرَكَ وَأَخَذَ ، وَأَنْعَمَ النَّظَرُ فِيمَا تَنَاوَلَ وَتَبَدَّدَ ، وَالْجُتْهَدُ يَخْطِئُ تَارَةً وَيُصِيبُ ، وَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ نَصِيبٌ ، وَلَكِنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ كَيْفَ دَارَ ، وَيَسِيرُ مَعَ مَقَاصِدِهِ كَيْفَا سَارَ .

وَأَمَّا الْمَقَالَاتُ الْمُبْتَدَعَةُ ، وَالضَّلَالَاتُ الَّتِي خَابَ مَنْ شَامَ بَرْقِهَا وَانْتَجَعَهُ ^(٤) ، فَلْيَزَجِرْهُمْ عَنِ الْخَوْضِ فِي بَاطِلِهَا الَّذِي لَا يَعْلَمُ ، وَيَكُنْ عَلَيْهِمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ قَاسِيًا ، وَمَنْ كَانَ حَازِمًا فَلْيُقَسِّسْ أحيانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ ، فَقَدْ دَوَّنَ أَهْلُ الْبَاطِلِ مَقَالَاتٍ ابْتَدَعُوهَا ، وَزَخَارِفَ (لَا يَكْبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْعَقَائِدِ الَّتِي زَرَعُوهَا .

(١) فِي الْأَصْلِ وَ (ز) : « تَحَكَّمَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) ، وَهِيَ أَنْسَبُ لِلْسَّجْعَةِ .

(٢) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ بَشَّارَ :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِّيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تَقَطَّرَ الدِّمَاءُ
(٣) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا مَا أَعْرَنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذَرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
(٤) فِي الْأَصْلِ : « أَوْانْتَجَعَهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) عَنْ مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قَالَ .. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : ثَكَلْتُكَ أَمَّا ! وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ بِالنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . انْظُرْ : رِيَاضُ الصَّالِحِينَ ٢٦٩ .

أما أمر الخلافة فإنه ثابت الأساس ، واضح القياس ، مأمون الالتباس ، لقوله ﷺ فيما نهى وأمر : « اُقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » ^(١) ، وقد ماتا قبل عليّ ، فَلَوْ تَوَلَّى الخلافة قبلهما لما صَحَّ إخبارُ هذا الخبر ، ولا كان له من المعجزات أثر ، وقد بايع عليّ أبا بكر فيما بعد مجتهدا ، ولو كانت خلافته غَيْرَ صحيحة لما سَوَّغَ نكاح الحنفية حتى أولدها محمداً ، والحجج في هذا الباب كثيرة ، والأدلة فيها قاطعة عند أولي البصيرة . وأنت أيها السيد أعلى الله قَدْرَكَ أدرى بهذه الأمور ، لأنك جَهِينَةُ أخبارها ، وحقبة أسرارها التي توجد عند أخبارها دون أشرارها ^(٢) ، فبَصَرُهم الحجة ، ولَقْنَهُم الحجة ، وأقلُّ الأقسام الإمساك عما لا عاصروه ، ولا عاجلوا جرحه المؤلم ، ولا شاهدوا فتنه التي كانت كقطع الليل المظلم ^(٣) .

وأما العقائد فحذَّروهم من الخوض في أخطار لُجَّتِها ، والركوب على ظهر مِحْجَتِها ، كالقول بأنه الكِسْفُ الساقط ^(٤) ، أو أنه يأتي ﴿ في ظلل من الغمام ﴾ ^(٥) والرعد الضاغط ، ولهذا يسلِّمون على ما يزجر من السحاب ، ويخالون أن البرق سوطُه المتألق بالالتهاب ، أو أنه اشتبه بغيره اشتباه الغراب ، واعترفوا بهذا الباطل ودانوا ، وغلَّطوا جبريل في الوحي ، فقالوا عن الهدى وماتوا أو أنه الضوء ^(٦) من الضوء ، يعنون أنه لافرق إلا أن أحدهما أسبق ، فافتري القائل بهذا وحاد عن الحق ^(٧) ولم يلحق ، أو أن العصمة للأئمة والمعصية جائزة على الأنبياء ، فإن القائل بهذا من أكبر الضلال والأشقياء ، أو أن الإمام الظاهر حجته مستورة ، والمستور حجته ظاهره ، فإن ذلك

(١) انظر : الجامع الصغير ٥٧١ .

(٢) في الأصل : « أخبارها .. أسرارها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٣) يشير إلى حديث النبي عليه السلام في الفتن ، وهو حديث مشهور .

(٤) في التنزيل : ﴿ وإن يروا كِسْفًا من السماء ساقطاً ﴾ الطور : ٥٢/٤٤ .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ البقرة ٢١٠/٢ .

(٦) في (أ) ، (خ) : « كالضوء » .

(٧) في الأصل : « بهذا عن الحق » ، وما أثبتناه يوافق ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

جهل وضعف في الأذهان الفاتره ، أو أنّ الدين معرفة الإمام ، فإن هذا وأمثاله تحكم منهم والسلام ، إلى غير ذلك من المقالات التي خبطوا خبط العشواء فيها ، واستعملوا في القول بها من كان غمراً أو سفيهاً ، فما الدين القيم إلا ما كان النبي ﷺ عليه ، وأشار الخلفاء الراشدون إليه ، ولزم السلف الصالح منهاجته ، وقوى الكتاب والسنة والإجماع احتجاجه ، فاجهد على أن يركبوا الصراط المستقيم من ذلك ، واحرص على أن يسلكوا إلى [الحق] ^(١) أوضح المسالك ، وتقوى الله تعالى ملاك الوصايا ، وأنت إن شاء الله تعالى لا تزال خير خذنها ، وساكن عذنها ، وساحب رذنها ، وصاحب مذبذبتها ، فاجعلها نصب عينك ، وهذا فراق بين الوصايا وبينك ، والله تعالى يعين ولايتك ، ويوضح لأهل الحق بالسنة عنايتك ، والخط الكريم أعلاه حجة في العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١١٥٣ - علي بن داود*

ابن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جبارة بن محمد بن زكري ^(٢) بن كليب بن جميل بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، الشيخ الإمام العلامة الفريد الكامل الفقيه الأصولي النحوي الأديب نجم الدين أبو الحسن ابن القاضي عماد الدين القرشي الأسدي الزبيري القحطاني ، بالقاف والحاء المهملة ، وفاء بعدها ألف وراء .

قرأ القرآن الكريم على الشيخ علاء الدين بن المطرز ، وكان قد أخذ القراءات

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

* الوافي : ٨٣/٢٧ ، والبداية والنهاية : ٢١٤/١٤ ، وتاريخ أبي الفداء : ١٤٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢١٣/١ ، وفوات الوفيات : ٢٣/٣ ، والدرر : ٤٧/٣ ، والبقية : ١٦٧/٢ ، والشذرات : ١٤٢/٦ . والدارس : ٣٩٩/١ و ٣٢٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٧٤/٣ .
(٢) في الوافي والدرر : « زكرياء » .

السبع عن عماد الدين بن أبي زهران الموصلي^(١) ، قرأ عليه رواية أبي عمرو من طريقه الدوري والسوسي إفراداً وجمعاً .

وأخذ الفقه عن قاضي القضاة صدر الدين علي^(٢) مع الفرائض قبل أن يياشر الحكم ، وأصول الفقه على قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة لعنايته (بمختصر ابن الحاجب) ، وعن الشيخ جلال الدين الحنبلي^(٣) الحنفي .

وقرأ في أصول الدين عقيدة الطحاوي حفظاً ، واعتنى بجلها وبمطالعة كتب الأصول لأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وغيرهم ، وعلم العربية من الشيخ شرف الدين الفزاري ، ثم عن الشيخ مجد الدين التونسي . وعلم البلاغة عن الشيخ بدر الدين بن النحوية^(٤) المحوي حين جاء إلى دمشق سنة تسع وتسعين وست مئة مع الجفّال ، ونزل بالبادرائية ، قرأ عليه كتابه (ضوء المصباح) ، وشرحه (إسفار الصباح) .

والمنطق والجدل عن الشيخ سراج الدين الرومي مدرّس الفرخشاهية والسفينيّة^(٥) بالجامع الأموي .

وعلم المواقيت عن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في (مقدمته) التي صنفها

(١) في الأصل : « عماد الدين وقر بن الموصلي » ، وفي (أ) : « عماد الدين بن الموصلي » ، وفي (خ) : « عماد الدين ومن ابن الموصلي » ، وفي الوافي : « عماد الدين بن وهران الموصلي » ، وكلّه تحريف واضطراب ، والصواب ما أثبتناه .

وهو علي بن يعقوب بن أبي زهران الموصلي المقرئ (ت ٦٨٢ هـ) .
وغاية النهاية : ٥٨٤/١ ، والشذرات : ٣٧٩/٥ .

(٢) هو علي بن الصفي ، أبو قاسم البصري ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) هو عمر بن محمد بن عمرو الحنبلي (ت ٦٩١ هـ) ، الشذرات : ٤١٩/٥ .

(٤) محمد بن يعقوب ، ستأتي ترجمته . وفي الوافي : « ابن النحوي » .

(٥) في الأصل : « السفينة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي . وفي الدارس ، ٤٠٦/١ : أنها مدرسة للأصناف ، بجامع دمشق ، لم يعرف لها واقف .

[ثم عن الشيخ بدر الدين بن دانيال بمدينة الكرك حين جَفَلَ الأعيان إليها سنة سبع مئة في مقدمته التي صَنَّفَهَا] ^(١) في علم الإسطرلاب وهي مطوِّلة مفيدة .

وعلم العروض فَمَنْ الكتب الموضوعة في ذلك .

وحلَّ المترجم ، وَجَدَ ^(٢) في الكتب الموضوعة وقد تَكَلَّمَ [فيه] ^(٣) كلاماً غير شاف ، فأخذه بالقوة حتَّى ^(٤) كُتِبَ له فيه :

إِنَّ زَرْزُوراً وَوَزَّهُ زَوْدَا دَاوَدَ زَادَا

فحلَّه .

وسمع الحديث من الشيخ برهان الدين بن الدرجي ^(٥) فيما حول سنة ثمانين وست مئة . سمع عليه أجزاء كثيرة ، وسمع (موطأ) مالك من قاضي القضاة جمال الدين المالكي ، ومن الشيخ نجم الدين الشقراوي ^(٦) الحنبلي ، وسمع (مختصر الرعاية) ^(٧) للمحاسبي على قاضي القضاة شرف الدين البارزي لما قدم إلى دمشق حاجاً ، ومن غيرهم .

وكان الشيخ نجم الدين مجموعاً للفضائل ، ممنوعاً من الرذائل ، مطبوعاً على التنديب والتنديب الذي يَدُلُّ على لُطْفِ الشَّائِل ، كثير الحكايات المختصرة في دروسه ، والنوادر المضحكات في غصون فوائده وغروسه ، لا يُخَلِّ بذلك ، ولا يوجد في وقت إلَّا وَهُوَ عليه متهالك ، يُضْحِكُ الثَّكَالِي ، وينشط ^(٨) الكسالى ، مع الأصول التي أحكم

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) ، والوافي .

(٢) في (خ) : « وجده » .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « حيث » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) والوافي .

(٥) إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٣/٥ .

(٦) موسى بن إبراهيم بن يحيى ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) (الرعاية في التصوف) للشيخ حارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) ، الكشف : ٩٠٨/١ .

(٨) في الأصل : « ويبسط » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

قواعدها ، وكثر^(١) بروقها ورواعدها ، والفقه الذي تهدلت فروعه ، وتلأت منه ألفاويقه وضروعه ، والنحو الذي برز على أقرانه في إقرائه ، وظهر مذهبه الصحيح من إفرائه^(٢) ، قرأ عليه فيه من الأعيان جماعه ، واشتهر ذلك [عنه]^(٣) في عصره ، فما ينكر أحد سماعه ، لو عاصره صاحب (المِفْصَل) كان عليه مفضلاً ، أو صاحب (التكلّة) كان ناقصاً ، وهذا مُكْمَلًا^(٤) .

وكتب المنسوب القويّ ، وحرّر أصله السّوي ، وكان خطّه أنق من حواشي الأصداغ ، وأظرف من الحُلل التي رُقمت في أوان الصحة والفراغ . وله النظم الذي هو وسط ، لاهو الذي ارتفع ، ولا هو الذي سقط .

كان من محاسن دمشق التي يفخر بها الزمان ، وغرائبها التي قلّدت جيد الدهر قلائد الجمان ، وقلّ أن اتّفق مجموعُه في عصره لغيره من أهل مذهبه ، أو قارب^(٥) مداه من يُجاري إلى غاية مطلبه . وخطب بالجامع التنكزي قبل بالدموع الأردن ، وعلا المنبر فما دُكر معه سجّع [الحمايم على]^(٦) البان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصاب الموت قحف القحفازي ، واختطف روحه من المنية بازي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ونَقَلْتُ مَوْلده من خطه ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وست مئة .

(١) في (خ) : « وأكثر » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « أقرانه » ، تصحيف وتحريف وفري الشيء وأقره : شقه ، أراد من تكلمه فيه وتفتيق معانيه ، وبذلك لُقّب الفراء المعروف .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « مفضلاً » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « قارن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) .

حكى لي نور الدين علي بن إسماعيل الصفدي ، وقد تقدم ذكره ، قال : أنشد الشيخ نجم الدين يوماً لغزاً للجماعة وهم بين يديه في الحلقة يشتغلون عليه :^(١)

يَا أَيُّهَا الْحَبْرُ الَّذِي عِلْمُ الْعَرُوضِ بِهِ امْتَزَجُ
أَبْنُ لَنَا دَائِرَةً فِيهَا بَسِيطٌ وَهَزَجُ

فقال واحد منهم : هذه الساقية ، فقال له الشيخ : دَوَّرْتُ فِيهَا زَمَاناً حَتَّى ظَهَرْتُ لَكَ ، يريدُ أَنَّهُ تَوَرَّ يدورُ في الساقية .

وجئتُ أنا إليه في سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وسألتُه في أن أقرأ عليه (المقامات الحريرية) ، فقال : أنا والله قليلُ الأدب .

وسمعتُه يوماً يقول لمنصور الكتّبي رحمه الله : يا منصور^(٢) ! هذا أوانُ الحُجَّاجِ ، اشترِ لك منهم مئتي جراب ، وارمها خلف ظهرك إلى وقت مؤيِّمها تكسب فيها جملة ، فقال له : والله الذي يشتغل عليك في العلم يحفظ منك خُرافاً^(٣) قدره عشر مرات .

وقيل لي : إنه لما عمَّر الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى الجامع الذي له بظاهر دمشق كان قد عَيَّنوا له شخصاً من الحنفية يُلقب « الكشك » ليكون خطيباً ، فلما كان يوماً^(٤) وهو يمشي في الجامع المذكور ، أُجري^(٥) له ذِكر الشيخ نجم الدين ومجموع فضله^(٦) وأنه في الحنفية مثل الشيخ كال الدين الزملاكي في الشافعية ، فأحضره ، واجتمع به ، وتحدَّثا ، ثم قال له وهم في الجامع يمشون : أيش تقول في هذا الجامع ؟. فقال : مليح ، وصَحَنٌ مليح ، لكن ما يليق أن يكون فيه كشك ، فأعجب

(١) البيتان في الفوات .

(٢) في (أ) ، (خ) والوافي والفوات : « ياشيخ منصور » .

(٣) لفظة استخدمها أهل العصر للدلالة على ما هو خلاف المستقيم من الأمور .

(٤) في الوافي : « يوم » .

(٥) في الأصل : « وأجري » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « فضائله » .

ذلك الأمير سيف الدين تنكز ، وأمر له بخطابة الجامع ، وسمعت خطبته فيه أول يوم خطب به ، وذلك في يوم الجمعة عاشر شعبان سنة ثمانى عشرة وسبع مئة^(١) ، ثم إنه رُسم له بعد مدة بتدريس الركنية ، فوليها سابع عشري المحرم سنة تسع عشرة وسبع مئة ، فباشرها مدة^(٢) ، ثم نزل عنها ، وقال : لها شرطاً لأقوم به ، ومعلومها في الشهر جملة كثيرة^(٣) ، تركه تورعاً .

وكان إذا قال هذه التناديب يقولها سريعة رَشِقة^(٤) من غير فكر ولا رويّة ، ويقولها وهو يضحك وينبسط .

وكان يعرف الإسطرلاب ، ويحلّ التقويم ، ويشغل في (مختصر) ابن الحاجب و (الحاجبية) و (الألفية) لابن مالك ، و (المقرب) لابن عصفور ، وفي (ضوء المصباح) وغيره في المعاني والبيان .

وكان قد تولّى تدريس الركنية بجبل قاسيون عوضاً عن الشيخ محيي الدين أحمد بن عقبة الحنفي لما مات في المحرم سنة تسع عشرة^(٥) وسبع مئة . وتولّى الظاهرية عوضاً عن شمس الدين بن العزّ^(٦) في أول صفر سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكنّت قد كتبت إليه لما وُضعت (تاريخي الكبير) أطلب منه ما أستعين به على ترجمته على العادة في مثل ذلك ، ومنه :

(١) انظر : البداية والنهاية ٨٨١٤ .

(٢) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « مُدَيِّدة » .

(٣) في (أ) : « كبيرة » .

(٤) في (أ) : « صَيِّعة » ، وفي (خ) : « رشيقة » .

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عقبة ، وذكر صاحب الدرر أنه توفي سنة (٧١٨ هـ) الدرر : ٨١/١ .

وفي (أ) ، (خ) : سبع عشرة .

(٦) محمد بن محمد بن صالح ، ستأتي ترجمته في موضعها . وانظر : الدرر ٤٢١/١ .

يَا مُفِيدَ الْوَرَىٰ مَعَانِي الْمَعَالِي وَإِمَامَ الْأَنْامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
 إِنْ لِي مَعْجَمًا كَأَفْزَقِ فْسِيحٍ أَشْتَهِي أَنْ يُزَانَ مِنْكَ بِنَجْمٍ
 فَتَأَخَّرَ جَوَابُهُ عَنِّي ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا :

ظَفَرْتُ بِوَعْدٍ مِنْكَ بَلَّغَنِي الْمَنَى وَجُودُكَ نَجْمُ الدِّينِ لَيْسَ يَحُولُ
 وَقَدْ طَالَ لَيْلِي لِانْتِظَارِ وَرُودِهِ وَلَيْلٌ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ طَوِيلٌ ^(١)

وَكُتِبَتْ مَعَهُ السُّؤَالُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ^(٢) فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ شَيْخِ
 الْعَوِينَةِ أَنْفَاءً وَأَوَّلَهُ :

أَلَا إِنَّمَا الْقُرْآنُ أَكْبَرُ مَعْجَزٍ لِأَفْضَلٍ مِنْ يَهْدِي بِهِ الثَّقَلَانِ
 فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ ^(٣) :

يَا سَائِلِي عَنْ نَسْبِي وَمَوْلَدِي وَأَدَبِي
 وَمَا قَرَأْتُ فِي الْعُلُوِّ مِ مِنْ شَرِيفِ الْكُتُبِ
 وَمَنْ أَخَذَتْ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ شَيْخٍ مَذْهَبِي
 وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ حَوَى سِرَّ كَلَامِ الْعَرَبِ
 وَمَا الَّذِي سَمِعْتُهُ عَنْ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ ^(٤)
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَحْلُو لَكَ جَنَحَ غَيْهَبٍ
 وَذَكَرَ شَيْءَ صَغُتِهِ مِنْ شِعْرِي الْمُنْتَخَبِ ^(٥)

(١) اللَّعْنُ تَدَاوَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ . قَالَ النَّابِغَةُ :

تَطَاوَلُ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُضٍ وَلَيْسَ الَّذِي بَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبٍ

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فِي ذِكْرِهِ » ، سَهُوً ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) .

(٣) عِبَارَةُ الْوَافِي : « عَجِيبًا عَنْ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي » .

(٤) زِيَادَةٌ مِنَ الْوَافِي .

(٥) فِي الْوَافِي : « وَذَكَرْتُ شَيْئًا » .

وما الذي صنّفته من كُتُب وخطب
لولا وجوب حُرْمَةِ القصْد ورَغْيِ الرتب
ماقلت ذاك خشية من حاسد مؤنّب
يقول إنّي قلتّه مفتخراً بحسبي
لكنّا البخلُ بما سئلت لا يحسن بي
والمقتضى مني لـ وهو خليل في الرخا
وهُمّة في جمع شمّ وعُدّة في الكُرب
وماصلاح الدين إلا لـ الفضل لا في الشب^(١)
هو الذي أوجب لي في اقتناء القُرب
عن محّدي ومولدي يا صاح كشف الحُجب
فقلت غير آمن وفضلي المُحتجب
مختصراً مقتصداً من عائب مُنَدّب
ماستراه واضحاً معتزلاً من رَهَبِ^(٢)
مازلت للفضل حمى مرتسماً عن كُتب
تجمع شمل ذكّهم ولبنية كالأب^(٣)
مخلّداً في الكتب

وذكر نثراً ما ذكرته في صدر ترجمته هذه ، ثم إنه قال : وأمّا الرواية فياني لم أسمع لأحد بأن يروي عني مسموعاتي لصعوبة ما شرطه أصحابنا في الضبط بالحفظ من حين سمع إلى حين روى ، وأن الكتب التي سمعتها لم تكن محفوظة عندي ، فضلاً عن حفظ ما سمعته . وأمّا ما صنفته من الكتب فياني رغبت عن ذلك لمؤاخذتي للمصنفين ،

(١) في الأصول : « النسب » ، ولا وجه لها ، وما أثبتناه يتفق مع بعض أصول الوافي .

(٢) في الوافي : « مقتصراً » .

(٣) في (أ) ، (خ) والوافي : « لازلت » .

فكرهت أن أجعل نفسي غرضاً لمن يأخذ عليّ ، غير أني جمعت منسكاً للحج أفردت فيه أنواع الجنايات ، ومع كل نوع ما يجب من الجزاء على من وقع فيه ؛ ليكون أسهل في الكشف ومعرفته ، وكان ذلك بسؤال امرأة صالحة لأعلم في زماننا أعبد منها ، وانتفع بحسن القصد فيه وبركتها خلق كثير . وأما ما سمحت به [القريحة الجامدة]^(١) والفكرة الخامدة ، فمن ذلك ما كتبت^(٢) به إلى عماد الدين بن مزهر ، وقد كان يجتمع معنا في ليالي الشتاء عند بعض الأصحاب ، فلما مات عمّه تزوج جاريته ، وانقطع عنا ، فقلت :

إن يكن خَصَّكَ الزمان بخَوْدِ ذات قد لَدُنْ وخدَّ أسيل
فلقد فزت بالسعادة والرحب وفارقْتنا بوجه جميل
قلت : هو مأخوذ من قول ابن الخيمي^(٣) :

لو رأى وجهه حبيبي عاذلي لتفارقنا على وجه جميل^(٤)
وقال : وقلت متذكراً لزيارة الكعبة وزيارة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام :

ياربّة الستر هل لي نحو مغناك من عَوْدَةٍ أجتلي فيها مُحَيّاك^(٥)
أم هل سبيلٌ إلى لقياك ثانية لمغرم مأمّناء غير لقياك^(٦)

(١) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « كتب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٣) محمد بن عبد المنعم بن محمد اليمني (ت ٦٨٥ هـ) ، فوات الوفيات : ٤١٣/٣ .

(٤) من أبيات أوردها صاحب الفوات في ترجمة ابن الخيمي : ٤٢١/٣ . ووقع في الأصل و (أ) و (خ) : « لتفاصلنا » ، والظن أنها تحريف ، وأثبتنا ما في الفوات ، وهي مأخذ صاحب الترجمة .

(٥) كأنه يعارض الشريف الرضي في قصيدته المشهورة :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

(٦) في الأصل : « رؤياك » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

له نوازغ شوقٍ بات يُضرمُها
لم ينسَ طيبَ لياليك التي سلفتُ
يا ربّة الخال كم قد طيلَ فيك دم
أُسرتِ بالحسن ألباب الأنام فما
ماذا عساها تُرى تنأى الديار بنا
ولو تحجبتِ بالسُّمر الذوابل عن
ذلت لعزّك أعناق الملوك فما
تهتكتُ فيك أستار الهوى ولها
يا هل ترى يسمحُ الدهر المشتُّ بما
وأجتلي من محيّاك الجميل ضحى
من بعد حطّ رحالي في حمى أريج الأرجاء بالمصطفى الهادي الرضى الزاي (١)
خير الخلائق طُراً عند خالقه
سباق غايات أقصى الفضل والشرف الأعلى وراقي العلى من غير إدراك
مُهدي المعارف مُبدي كلّ غامضة
محمّد ذي المقال الصادق الحسن المصدق في القول مقصي كلّ أفاك
يا نفسُ إن بلغتُك العيس حُجرتَه
ونلت مأمولك الأقصى بلثم ثرى
وقمت بين يديه للسلام على
وقد مددت يد الإملاق طالبة
فقد بلغت المنى والسؤل فاجتهدي

بين الجوانح والأحشاء ذكراك
وكيف ينساك صبّ بات يهواك
فما أجلّ بعرض البيد قتلاك (٢)
أعزّ في ذلّ ذاك الأشر أسراك (٣)
لو كنت في مسقط الشّعري لجيناك
زوّار ربّيعك ياسرّاً لزرزناك
أعلاك يامنتهى سُؤلي وأغلاك
لما بدا من خلال السّتر مغناك
أرجوه من قُرب مغناك لمُضناك
مابات يحكيه لي من حُسنك الحاي
وخاتم الرُّسل ماحي كلّ إشراك
مُسدي العوارف مُردي كلّ فتاك
وصافحت بين ذاك الربع يُمنّاك
أعتابه وبلغتِ القصد من ذاك
أقدام ذلك تُذري الدمع عيناك
سؤاله لك عفواً عند مولاك
هناك واستنجدي لي طرفك الباكي

(١) في الأصل : « طال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي . وفي (خ) : « فأحلّ » ، ولعلّها أشبه .

(٢) في الأصول : « أرباب » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) اضطرب البيت في مطبوعة الوافي .

عساك أن ترزقي عطفاً عليك فإن رُزِقتَ ذاك فيا والله بُشراك^(١)
 وليهنك السعدُ إذ حطّت رحالك في ربيع به لم تنزل تُحْدِي مطاياك
 فثم أندى الورى كَفّاً وأعظمهم جاهاً وأرحبهم صدرًا للملّك
 وخيرهم لنزيلٍ في حمّاه وأو فاهم ذِمّاماً وأملاهمُ بجدّواك
 واحرّ قلباه من شوقي لرؤيته فقد تقادم عهدُ الشيق الشاكي
 بالله يا نفسُ كوني لي مساعِدةً حاشاك أن تخذليني اليوم حاشاك
 وجدّدي العزمُ في ذا العام واجتهدى عسى بذلك تحبّو ناراً حشاك
 فإن حُرِمْتَ لقاء تلك معذرة وإن ظفرت به يا حسن مسعاك^(٢)
 صلى عليه إله العرش ما قطعت كواكبُ الأفق ليلاً بُرجَ أفلاك

قال : وقلت عند قدوم الحج في بعض السنين أبياتاً أنشدت بدار الحديث
 الأشرفية :

يانياق الحجيح لا دُقْتُ سُهْداً بعدها لا ولا تجشمتِ وخُدا
 لافدينا سواك بالروح مِنّا أنتِ أولى مَنْ بات بالروح يُفْدَى^(٣)
 يابنات الذميل كيف تركتن شعاب الغضا وسلعاً ونجدا
 مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بوجوه زارت معالم سَعْدَى^(٤)

قال : ولم يحضرني باقيها .

ولما ظفر قازان في سنة تسع وتسعين ، ثم جاء في سنة اثنتين وسبع مئة ، فكسر ،
 وقيل لي : إن قازان عندهم اسم للقدّر ، قلت :

(١) في الأصل : « أن تدرّفي : ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « يأنجج مسعاك » .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « رأت » .

لَمَّا غَدَا قَازَانُ فَخَّاراً بَا قَد نَال بِالْأَمْسِ وَأَغْرَاهُ الْبَطَرُ
جَاءَ يُرَجِّي مِثْلَهَا ثَانِيَةً فَانْقَلَبَ الدَّسْتُ عَلَيْهِ فَاَنْكَسَرَ

قلت أنا : هذان البيتان في غاية الحسن في بادئ^(١) الرأي ، ولكن إذا حكمها النظر ونقدتها تبهرجا وتزيفا وذلك لأن القدر في اللغة التركية « قزن » ، هكذا بلا ألف ، وأولها قاف ، وقازان إنما هو : غازان ، بالغين المعجمة ، وإنما قال ذلك المتهم^(٢) به ، كما قالوا في بولاي : « بولييه ، وفي خُداي بُندا : خَرَبْنَا ، وفي قوله : « فانقلب الدست عليه ، فانكسر » فيه أيضاً ، نظر ، لأن المعنى الذي ورى به لا يصح له وبأذني تأمل [يظهر]^(٣) هذا لليبب ، ولولا أن هذا شعر مثل [هذا]^(٤) شيخ الأدب وفقهه ما واخذه ، فإنه قد مرّ ويمر في هذا التاريخ أشياء من هذا النوع فما أعرج على المأخذة .

قال الشيخ نجم الدين : ولما ذهب بدر الدين بن بَصْخَان^(٥) مع الجُفَّال إلى مصر وأقام هناك كتبت إليه :

يَا غَائِباً قَدْ كُنْتَ أَحْسِبُ قَلْبَهُ بِسُوءِ دَمَشْقٍ وَأَهْلِهَا لَا يَغْلِقُ
إِنْ كَانَ صَدِّكَ نَيْلُ مِصْرَ عَنْهُمْ لَا عَزْوٌ فَهَؤُلَاءِ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ

قلت : وقد ذكرت في (ألحان السواجع) ما جاء في هذه المادة .

قال الشيخ : ومن الخطب فاتحة خطبة رأس السنة :

« الحمد لله الذي لا تُدْرِكُ كُنْهَ عَظَمَتِهِ نَوَاقِبُ الْأَفْهَامِ ، ولا تحيط بمعارف عوارفه

(١) في الأصل : « نادي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « للتهم » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « نصحان » ، تصحيف ، وهو : محمد بن أحمد بن بَصْخَان . قال الصفدي : « بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد للمهمل ، وبعد الحاء للعجمة ألف ونون » . وستأتي ترجمته في موضعها .

خطرات الأوهام ، ولا تبلغ [مَدَى] ^(١) شكرِ نعمه مَخَامِدُ الأَنَامِ ، الذي طرّز بعسجد الشمس حواشي الأَيَّامِ ، ورصّع بجواهر النجوم حُلَّةَ الظَّلَامِ ، وفصّل بلجّين الأَهْلَةَ عقود الشهور والأعوام .

أحمده على نعمه الجلائلِ العظام ، ومِنَّه الشّوامل ^(٢) الجسام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريك له ، شهادة لا يُنْقَصُ لها تمام ، ولا يُخَفَّرُ لها ذِمَامٌ ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، أرسله وسوقَ الباطل قَدْ قام ، ومُحِبُّ الباطل ^(٣) قد هَام ، وطَرِفُ الرشد قد نام ، وأُفِقَ الحق قَدْ غَام ، فجرّد سيف العزم وشام ، وعنف على الغيّ ولاَم ، واقتاد الخليقة إلى السعادة بكل زِمَام ، صلى الله عليه وعلى آله الحَيِّرة الكِرَام ، صلاة لا انفصال لمتابعها ولا انفصام .

قال : وأمّا الجواب عن إعادة لفظ الأهل في قوله تعالى : ﴿ هـ حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُوا أَهْلَهَا ﴾ ^(٤) ، ولم يقل : (استطعمهم) ، والمحَلّ مَحَلّ إضمار ، وفيه ^(٥) الإيجاز ، فقد علم أن البلاغة لا تختص بالإيجاز ، وإنما هو نوعٌ من أنواعها ، وأنّ مدار حُسْنِ الكلام وارتفاع شأنه في القبول بإيراده مطابقاً لمقتضى الحال ، فإنّ [كان مقتضى الحال] ^(٦) خليقاً ببَسْطِ الكلام تعلقت البلاغة ببسطه ، وإن كان حقيقاً بالإيجاز كانت البلاغة في إيراده كذلك ، ثم [قد] ^(٧) يَغْرُضُ للبليغ أمور يحسن معها إيرادَ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فيتنزّل ^(٨) غير السائل منزلة من يسأل إذا كان قد لَوَّح له بما

(١) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « السوامل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « ومحبّ الضلال » .

(٤) الكهف : ٧٧/١٨ ، وانظر ما قيل في ترجمة ابن شيخ العويّنة .

(٥) كررها الناسخ في الأصل .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٧) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٨) في الوافي : « فينزل » .

يقتضي السؤال ، ويتنزل ^(١) غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهرت عليه مخايل الإنكار ، ويوقع المضر في موضع الظاهر ، والظاهر في موضع المضر إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم البلاغة . والذي حسن إيقاع الظاهر موقع المضر في الآية الكريمة أن الظاهر أدل على المعنى الذي وضع له اللفظ من المضر ؛ لأنه يدل عليه بنفسه ، والمضر يدل عليه بواسطة ما يفهمه ، وقصد المتكلم هنا الإخبار عن الذين طلب منهم الإطعام أنهم أهل القرية ؛ لأن من غشية الضيف في منزله [ولم يعتذر] ^(٢) بعذر عن إكرامه ؛ بل قابله بالمنع مع ظهور حاجته التي أوجبت له أن يسأل منه ذلك ؛ لأن المسألة آخر أسباب الكسب يُعلم بذلك أن الحامل له على الامتناع من إضافته ^(٣) لئوم الطبايع وآتباع مذموم البخل والشح المطاع ، كما قال الشاعر :

حريص على الدنيا مُضيّع لدينة وليس لما في بيته بمضيّع

حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كانوا أهل قرية لثاماً » ^(٤) ، ومن كانت هذه سجيته كان حريئاً بالإعراض عنه ، وعدم مقابلاته بالإحسان إليه ، فلما رأى موسى صلوات الله عليه إصلاح ^(٥) الخضر عليه السلام لجدار مشرف على السقوط في القرية التي هؤلاء أهلها من غير طلب أجر ذلك منهم مع الحاجة إلى ذلك عجب من ذلك وأنكره حتى كأنه نسي ما قدمه من وعده إياه بالصبر وبعدم المصاحبة إن سألته عن شيء بعد ذلك ، مع حرصه على صحبته والتعلم منه فكان في إعادة لفظ (الأهل) في الآية الكريمة إقامة لعذر موسى في الاعتراض ^(٦) في هذه الحالة ؛ لأنها حالة لا يصبر ^(٧) عن

(١) في الوافي : « وينزل » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « الضيافة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٢١/٥ .

(٥) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٦) في (أ) ، (خ) : « الإعراض » .

(٧) في الأصل : « لأنها حالة لأنه لا يصبر » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

الاعتراض فيها لأن حالهم يقتضي بذل الأجر في إصلاح أمر دينناوي لحرصهم وشحهم ، فترك طلب الأجرة على إصلاح ذلك مع الضرورة والحاجة وقع إحساناً إلى أهلها الذين قابلوها بالمنع عن الضيافة ، فكانت البلاغة متعلقة بلفظ (الأهل) التي هي الحاملة على الاعتراض ظاهراً ، فأطلعنا الخضر عليه السلام بأن الجدار إنما كان لِيَتَمَيَّنَ من أهلها ، واليتيم محل الرحمة^(١) ، وليس محلاً لأن يُطلب منه أجرة ، إمّا لعجزه ، أو لفقره وهو الظاهر ، أو لأنه لا يجوز تصرفه في ماله ، ولهذا قال : ﴿ رحمة من ربك ﴾^(٢) ، ولم يكن لأهلها الذين أبوا أن يضيفوها ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى ما نقلته من خط الشيخ رحمه الله تعالى .

قلت : جواب الشيخ رحمه الله تعالى في غاية الحسن ، وهو كلام عارف بهذا الفن ، جار على القواعد ، والذي قاله الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى في الجواب عن ذلك ملخصه : أنه إنما أعاد الأهل بلفظ الظاهر ، لأمرين . أحدهما : أن (استطعم) صفة لـ (قرية) ، فلو قال : استطعماها لكان مجازاً ، إذ القرية لا تُستطعم ، فلا بد من ذكر الضمير ، ولا يمكن ذكره وهو مضاف إليه : إلا بذكر المضاف ، ولا يمكن ذكر المضاف مضمراً ، فتعين ذكره مظهراً ، ولا يرد عليه أن « استطعما » جواب لـ (إذا) ، لا صفة لقرية ، لأننا نقول : [لقوله]^(٣) في القصة^(٤) الأخرى : ﴿ حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ﴾^(٥) ، فقال : ههنا جواب (إذا) متعين ، ولا يستقيم أن يكون « فقتله » جوابه [إذ]^(٦) الماضي الواقع في جواب ، « إذا » لا يكون

(١) في الوافي : « الرحمة » .

(٢) الكهف : ٨٢/١٨ .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في (خ) : « القضية » ، تصحيف .

(٥) الكهف : ٧٤/١٨ .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

بالفاء ، فتعيّن فيه . قال : والظاهر أن الجواب في القصة الأخرى هكذا لأنها في مساق واحد .

الثاني : أن « الأهل » لو أضمر لكان مدلوله مدلول الأول ، ومعلوم أنه جميع الأهل ، ألا ترى أنك إذا قلت : أتيت أهل قرية^(١) كذا ، إنما تعني : وصلت إليهم ، فلا خصوصية لبعضهم ، والاستطعام في العادة إنما يكون لمن يلي النازل بهم وهم بعضهم ، فوجب أن تقول^(٢) : استطعما أهلها لئلا يفهم أنهم استطعموا جميع الأهل ، وليس كذلك .

وقد أجابني عن هذا السؤال شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى بجواب طويل ، نظم ونثر ، وقد كتبه بخطي ، وقرأته عليه ، وهو مثبت في (التذكرة) التي لي . وقد تقدّم جواب الشيخ زين الدين علي بن الحسين بن شيخ العوينة في ترجمته أيضاً .

ومن شعر الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى ، قوله في مليحة اسمها : (قلوب) :

عائتني في حبكم عاذِلٌ يزعمُ نضحِي وهو فيه كَذُوبٌ
وقال : ما في قلبك اذكُرُهُ لي فقلت في قلبي^(٣) المَعْنَى قلوب
ومنه في مليح نحوي :

أضمرتُ في القلب هوى شادن مشتغلٍ في النحو لا يُنصَفُ^(٤)
وصفتُ ما أضمرتُ يوماً له فقال لي : المضر لا يوصف

(١) في الأصل : « القرية » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « يقال » .

(٣) في الأصل : « قلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الأصول : « لا يوصف » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات .

وأنشدني من لفظه لنفسه ما كتبه من أبيات إلى الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليميني .

بأبي بَكَرْ خَصِصْتُ بِهَا مِنْ أَخِي الْأَفْضَالِ وَالْمِنَّةِ
أَقْبَلْتُ تَحْتَالَ فِي حُلُلٍ وَشَيْهَهَا مِنْ صَنْعَةِ الْيَمِينِ
فَرَعَهَا يَمْلِي خَلَاخِلَهَا مَا يَقُولُ الْقَرْطُ فِي الْأَذْنِ

قلت : هو مأخوذ من قول صاحب جمال الدين عيسى بن مطروح :

إذا ما اشتهى الخللخال أخبار قرطها فيا طيب ما تلي عليه الظفائر
[ولكن قول الشيخ نجم الدين أخصر بكثير ، فهو أحق به ^(١) .

١١٥٤ - علي بن رزق الله بن منصور*

الشيخ نور الدين المقدسي .

سمع من ابن عبد الدائم ، وأبي حامد محمد بن الصابوني .
أجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

١١٥٥ - علي بن سالم بن عبد الناصر**

القاضي الرئيس الفاضل المنشي علاء الدين أبو الحسن الكناني الغزي الشافعي ،
أحد الإخوة .

كان حَسَنَ الشَّكْلِ وَالسَّمَتِ ، بَهِيَّ الْمُنْظَرِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الصَّمْتَ ، لَا يَكَادُ
يَسْكُتُ إِذَا تَكَلَّمَ ، وَلَا يَخْشَى عَلَى حَسَامٍ لَفْظِهِ أَنْ يَتَّكِلَ . تَامَّ الْقَامَهُ ، مَلِيحَ الْوَجْهِ

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

* الوافي : ١٠٥/٢١ ، والدرر : ٥٠/٣ .

** الوافي : ١٢٧/٢١ ، والدرر : ٥١/٣ .

والعبامة . وخطّه جيّد مابه باس ، وفضله ظاهر مابه إلباس ، له قُدْرَةٌ عَلَى مُدَاخَلَةِ
الأكابر ، والخوض معهم في اللجج والمعابر ، يتحدث بالتركي ، ويُرْمَى فِي (١) الإماج (٢)
والألّكي ؛ إِلَّا أَنَّ الْمَوْتَ هَضَرَ غُصْنَةَ الْيَانَعِ ، وَأَجْزَى عَلَيْهِ الْمَدَامِعَ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وسبع مئة فيما أظن .

باشر التوقيع بغزة بعد ابن منصور لما توجّه إلى طرابلس فيما أظن ، وتغيّر عليه
الأمير سيف الدين تنكر رحمه الله تعالى وعزله ، وأحضره إلى دمشق ، واعتقله . ولما
كان في أيام الأمير علاء الدين الطنبغا رسم له بالمدرسة الجراحية والمواعيد بالصخرة في
القدس الشريف .

وكتب إليّ أيام غضب تنكر عليه شعراً كثيراً ، من ذلك :

غدا حالي بِمَحْمَدِ اللَّهِ حالي	وبالي قَدْ تَخَلَّصَ مِنْ وَبَالي
وراحَ الْخَيْرِ مُنْخَلَّ الْعَزَالِي	عليّ وقبلَ ذا كانَ الْعَزَالِي (٣)
وحزّتْ الْعَزْمَ مَذْ يَمْتُ حَبْرًا	كبحر لا يَكْدُرُ بِالْقَلَالِ (٤)
فحيّاني وأحياني وأبدي	مكارم لم يَشْنُهَا بِالْقِلَالِي (٥)
وأرشفني على ظمًا زَلَالًا	فكانَ أَلَدٌ مِنْ بَنَتِ الدَّوَالِي
وشنّفَ مَسْمَعِي بِبَدِيعِ لَفْظِ	فقلتُ أَتَيْتَ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ
فزدني من قريضك يا خَلِيلِي	فإنَّ بليغَ لَفْظِكَ قَدْ حَلَا لي
أبثُّ لَدَيْكَ خَطْبًا قَدْ دَهَانِي	نَوَائِبَ أَذْهَبَتْ جَاهِي وَمَالِي
وقد فني اصْطِبَارِي واحتمالي	وقَدْ خَانَ الْمُنَاصِحَ وَالْمُوَالِي

(١) في الأصل : « من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) هو الهدف الذي يرمى فيه السهم ، وجمعه إماجات .

(٣) في الوافي : « وقيل ذا » ، تصحيف . والعزالي ، جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية .

(٤) في الوافي : « حيرا » ، تصحيف .

(٥) في الوافي : « يشبها » .

فَعَجَّلْ يَا أَخَا الْعَلِيَاءِ جَبْرِي
فَقَدْ ذُقْتُ الْمُنَايَا لَا الْمُنَى يَا
فَقَدْ قَدَّتْنِي الْأَحْزَانُ قَدْأً
وَأَنْبَنِي وَتَبَنِي زَمــــــــــــــــــــــــــــــــاني
وَأَنْتَ أَبَا الصَّفَاءِ تَقِيمُ عُذْرِي
أَيَا مَنْ عَلَّمَهُ عَمَّ الْبَرَايَا
فَبَلَّغْنِي وَلَا تُرْجِي رَجَائِي
رَجْوَتِكَ مِنْ قَدِيمٍ ثُمَّ لَمَّا
فَلَا حَظَنِي بَعِينَ الْجَبْرِ وَاعْطَفَ

وَعَامِلُنِي مَعَامِلَةَ الْمَوَالِي
إِمَاماً قَدْ تَفَرَّدَ بِالْمَعَالِي^(١)
بِوَحْزِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ الْعَوَالِي
وَصَيَّرَنِي عَلَى جَمْرِ الْمَقَالِي
وَتَغْضِي مِنْ عِيُوبٍ فِي مَقَالِي
وَحَشَى حِلْمِهِ فِي كُلِّ حَالٍ
فَسِيفُ الْغَمِّ يَا بِنَ الْعَمِّ خَالِي
عَلَّوْتَ مَكَانَةً زَادَ الرَّجَا لِي
حَمَاكَ اللَّهُ مِنْ غَلَبِ الرِّجَالِ

قلت : خاتمه « العوالي » و « المعالي » و « مالي » ، ما أتى لها بأخت ، وكان
يمكنه ذلك ، وتكررت معه : [لفظة]^(٢) : « لي » ، بلام الجر ، وياء المتكلم ، وهو
إيطاء ، وبعضهم سمح فيه^(٣) .

وكتب علي كتابي (جنان^(٤) الجناس) :

نَزَّهْتُ فِي رَوْضِ الْجَنَانِ النَّاضِرِ
خَطَرْتُ بِهِ وَالْحُسْنَ فِيهِ شَاهِدٌ
أَكْرَمَ بَجَنَاتِ الْجَنَاسِ وَزَهْرَهَا
نَمَتْ بِهَا لَمَّا نَمَتْ رِيحُ الصَّبَا
يَحْيَا الصَّرِيعَ بِهَا إِذَا مَا جَعَفَرُ

طَرَفًا يَفْدِيهِ بَنُورُ النَّاضِرِ
أَبْكَارُ أَفْكَارٍ بَدَتْ لِلْخَاطِرِ
مَعَ زَهْرَهَا الزَّاهِي الْبَهِيِّ الْبَاهِرِ^(٥)
فَغَدَتْ تَضَوُّعٌ بِالْعَبِيرِ الْعَاطِرِ
مِنْهَا أَتَتْ غَدْرَانَهُ بِغَدَائِرِ

(١) في الأصل : « المنايا والمُنَى » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٤) في الأصل : « جناس » ، تحريف .

(٥) في الأصل : « الجنان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

يأتي بفضل ربيعها للزائر
 في نقش قرطاس بنقش محابر
 فالناس فيه ناظم مع ناثر
 فاعجب لسباق أتي في الآخر
 إن خاض في بحر الخليل الزاخر
 كملت به من كل وافي وافر
 نظمتهما من كل زاهٍ زاهر
 أبرزت معنى ذاهباً باهر^(١)
 سة والرياسة من أقل مفاخر
 فني فروغ الفقه لست بشاعر
 فتخاء تحفل من صفيير الصافر^(٢)
 بل كان قلبي في جناحي طائر^(٣)
 واحرص بمجهدك أن تقيم معاذري
 وجلتتهما من بكر فكري ظاهر

ويصير في روض المحاسن خالداً
 فاعجب لروض زخرفته يراعه
 أضحي به ذر البلاغة زاهياً
 قد فاق منثنه به من قبله
 ما قدر سحبان وقدّر قدامة
 فلقد أتيت أبا الصفا بفصائل
 قلدت أجياد الزمان قللداً
 وسكنت معنى العز يا ابن الغر إذ
 فللك الفضاحة والسماحة والکیا
 قصرت في مدحيك فاعذر إنني
 أصبحت من جور الزمان نعماتي
 ونظمت هذا والهموم ضجيعتي
 فاغضض عن العي الذي في منطقي
 واسلم ودم لعرائس أبرزتها

فكتبت أنا الجواب أشكره على ذلك :

أسماء نظم قد زهت بزواهر أسماء نظم قد أخذت بزواهر^(٤)

(١) في (أ) : « يا ابن العز » .

(٢) الفتخاء : اللينة الجناح . والبيت مأخوذ من قول عمران بن حطان يخاطب الحجاج لما حاصرت غزاة مع زوجها شبيب :

(٣) في الأصل : « بل كان في قلبي جناحي » ، ولا تستقيم . والبيت أيضاً من تمة قول عمران بن حطان :
 هلا برزت إلى غزاة بالضحى بل كان قلبك في جناحي طائر

(٤) في (أ) : « بأزاهر » .

أُمُ غَادَةً أَهْدَيْتَهَا فِي جَيْبِهَا مِنْ شِعْرِكَ الْفَتَّانِ عَقْدُ جَوَاهِرِ
 بَكَرْتُ [إِلَى] فَبَاكَرْتَنِي نَشْوَةً مَا كَانَ يَخْطُرُ مِثْلُهَا فِي خَاطِرِي ^(١)
 فِي بَاطِنِي مِنْهَا بَوَاقِي سَكْرَةٍ يَبْدُو عَلَيَّ بِهَا الْهَنَا فِي ظَاهِرِي
 مَهْلًا عِلَاءَ الدِّينِ قَدْ حَمَلْتَنِي مِنْنَا تَفَوُّقٌ عَلَى الْغَمَامِ الْمَاطِرِ
 وَجَبَرْتُ تَصْنِيفِي الْكَسِيرَ فَقَدْ غَدَا يَرُوي الْإِجَازَةَ فِي الْوَرَى عَنْ جَابِرِ
 مَا هَذِهِ أُولَى يَدٍ أَوْلَيْتَنِي لَكَ يَا بَنَ سَالِمِ ابْنِ عَبْدِ النَّاصِرِ ^(٢)
 زَهْرٌ وَدَرَّ ذَاكَ مِنْ رَوْضِ زَهَا نَبْتًا وَهَذَا مِنْ خَضَمِ زَاخِرِ
 إِنْ كَانَ شَعْرٌ كُنْتَ أَفْقَاهُ عَالِمِ أَوْ كَانَ فَقَاهُ كُنْتَ أَبْدَعُ شَاعِرِ
 وَكُتِبَ إِلَيَّ كَثِيرًا وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ .

وَحَمَلَ إِلَيَّ (تَحْمِيسُ الْبُرْدَةِ) ؛ قَصِيدَةُ الْبُوصِيرِيِّ ، فَكُتِبَتْ أَنَا لَهُ عَلَيْهَا : « وَقَفْتُ
 عَلَى هَذَا التَّحْمِيسِ الَّذِي طَرَّزَ طَرِزُهُ ، وَسَقَى الْفَضْلَ غَرْسُهُ ، وَجَلَا لِلْعَيْنِ عِرْسُهُ ،
 وَنَوَّعَ فِي الْبَدِيعِ جَنْسَهُ ، وَنَوَّلَ أَهْلَ الْأَدَبِ أَنْسَهُ ، وَسَاقَ إِلَى طَيِّبَةِ بِأَحْمَالِ الْمَدَائِحِ
 غَنْسَهُ ^(٣) » ، فَرَأَيْتُ أَسْرَارَ الْبَلَاغَةِ فِيهِ فَاشِيَهُ ، وَأَبْكَارَ الْفَصَاحَةِ كَيْفَ غَدَتْ فِي خَدُورِ
 السُّطُورِ نَاشِيَهُ ، وَ (الْبُرْدَةُ) كَيْفَ اكْتَسَبَتْ بِهَذِهِ الزِّيَادَةُ رَقَّةَ الْحَاشِيَةِ :

لِلَّهِ مِنْ جَاءَ بِهِ أَوْلَا فَإِنَّهُ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ
 عَسَلُ ثَغْرِ الزَّهْرِ فِي رَوْضِهِ لَمَّا رَوَى الْإِبْدَاعَ عَنْ شَهْدِهِ
 وَكُلُّ سَطْرِ غَصْنٍ قَدْ غَدَا يَحْمِلُ مِنْ قَافِيَةٍ وَرْدَهُ
 أَقِيمَ مَا خَسَهَا نَاطِمًا لَكِنَّهُ قَدْ طَرَّزَ الْبُرْدَةَ

فِيَا لَهُ مِنْ سَهْرِ خَرَجَ مِنْ كَنَانِهِ ، وَشَهْمٌ لَا يُثْنِي الْإِحْجَامَ عِنَانِهِ ، وَذِي فَهْمٍ ثَقَفَ

(١) الزيادة من (أ) .

(٢) كَذَا أَثْبَتَ أَلْفُ الْوَصْلِ فِي (ابْنِ) ضَرُورَةٍ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « عَيْسَهُ » ، تَصْحِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) .

العَلَمَ رَمَحَ قَلَمَهُ ، وأَرْهَفَ سَنَانَهُ ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ غَزَّةٌ بِهِ ذَاتَ عَزَّةٍ ، وَأَمْسَى كَثِيرَ الْفَضَائِلِ وَفَوَائِدِهِ تَحْجُلُ مِنْهَا عَزَّةٌ ، يَقُولُ جَارُهُ الْبَحْرُ : مَا لِي عَجَائِبُهُ ، وَلَا لِي لَآئِيهِ ، وَيَعْجِزُ بَلَدِيَّهِ أَبُو إِسْحَاقَ ^(١) أَنْ يَكُونَ قَوِيٌّ [فِيهِ] ^(٢) لِقَوَافِيهِ ، وَيَرَى الْخِيَاطَ أَنْ الْبَرْدَةَ كَانَتْ قَبْلَ هَذَا التَّفْصِيلِ سَدَى ، وَيَعْتَرِفُ الرَّقَاءَ ^(٣) أَنْ إِبْرَةَ قَلَمِهِ قَدْ لَبَسَتْ مِنَ الْمَدَادِ الصَّدَا ، فَاللَّهُ يَدِيمُ لِبْنِي الْأَدَابِ هَذِهِ الْفَوَائِدَ ، وَيَمِيرُهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَادَبِ الَّتِي غَصُونُ أَقْلَامِهِمْ فِي امْتِدَاحِهِمْ ^(٤) فَوَائِدَ ، بَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

علي بن سعيد بن سالم*

عَلَاءُ الدِّينِ الصُّبَيْيُّ ، بَضَمَ الصَّادَ الْمَهْمَلَةَ ، وَبَعْدَهَا بَاءً مُوَحَّدَةً مَفْتُوحَةً ، وَبَاءً آخَرَ الْحُرُوفِ سَاكِنَةً ، وَبَاءً ثَانِيَةً نَسَبَةً إِلَى قَلْعَةِ الصُّبَيْيَّةِ وَهِيَ قَلْعَةٌ بَيْنَ صَفَدٍ وَدَمَشَقٍ ، [وَمَدِينَةٍ] ^(٥) هَذِهِ الْقَلْعَةُ بَلِيدَةٌ ^(٦) بَانِيَاَسَ ، الْخِيَاطُ ، الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ بِالشُّوشِ بِشَيْنَيْنِ مَعْجَمَتَيْنِ بَيْنَهُمَا وَآوَسَاكِنَةٌ وَالْأَوَّلَى مَضْمُونَةٌ .

كَانَ مِنْ أَعَاجِيبِ الْأَنَاسِي ، وَمِنْ غَدَتِ لَحِيَّتِهِ وَكَأَنَهَا حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِي ، وَوَقَفَتْ سَفْنُهُ فِي أَمْجَرٍ ^(٧) الْقَرِيضِ ، وَلَمْ تَجْرَ لِأَنَّهَا قَيَّدَتْ بِالْمَرَاسِي ، وَأَضْحَكَتْ ^(٨) الثَّكَالَى حَرَكَاتَهُ ، حَتَّى قَالَ الزَّمَانُ : لَقَدْ بَانَ يَاسِيٌّ مِنَ التَّعَجُّبِ بَعْدَ الْبَانِيَاَسِي ، مَا عَسَايَ أَنْ أَقُولَ فَيَمُنُّ

(١) إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي (ت ٥٢٤ هـ) ، الوافي : ٥١٦ .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) التورية ظاهرة باسمي الشاعرين : الخياط ، والسري الرفاء .

(٤) في (أ) : « امتداحها » .

* الدرر : ٥١٣ ، وفي (أ) : « علَاءُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدِ الصُّبَيْيِّ » .

(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٦) ليست في (أ) .

(٧) في الأصل : « بجر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٨) في الأصل : « وأضحك » ، وأثبتنا ما في (أ) .

يَزْعُمُ أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ عِنْدَهُ بِأَقْلٍ^(١) ، وَأَنَّ أَبَا تَمَامٍ لَمْ يَنْهَضْ مِنَ الْحُضِيِّضِ شَعْرَهُ الْمُتَشَاوِلَ ،
يَدْعِي مِثْلَ هَذَا بِتَصْمِيمٍ ، وَيَتَبَادَى وَمَا فِيهِ شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيمٍ .

وَلَمْ يَزَلْ فِي طَيْشِهِ ، وَتَقْتِيرِ عَيْشِهِ إِلَى أَنَّ دَبَّ سَوْسُ الْبَيْلَى فِي الشَّوْشِ ، وَفَتَحَ فَاهَا
لَهُ قَبْرَهُ الْمَرْفُوشَ^(٢) .

وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَجَاءَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ .

اجْتَمَعَتْ بِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ وَبِجَسْرِ اللَّبَادِينَ ، وَكَانَ يَنْشُدُنِي كَثِيراً^(٣) مِنْ
شَعْرِهِ فَأَسْمَعُ الْعَجَائِبَ وَالْغَرَائِبَ ، وَأَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَنْدِرُ لَهُ
الْبَيْتُ فِي الْقَصِيدَةِ وَنِصْفَ الْبَيْتِ .

وَقَالَ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ وَأَنَا وَهُوَ نَاشِي فِي صَحْنِ الْجَامِعِ بَعْدَ مَا يُدِيرُ وَجْهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ :
وَحَقٌّ هَذَا الْمَعْبُدُ وَمَا يُثَلَّى فِيهِ ، لَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ شَعْرِي
مَا أَتَوْا بِمِثْلِهِ^(٤) وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً^(٥) .

وَقَالَ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ : أَنَا وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، مَا لِي غَرَضٌ مَعَ الْمُتَنَبِّيِّ ، شَعْرِي
خَيْرٌ مِنْ شَعْرِهِ ، وَكَذَا يَقُولُ فِي أَبِي تَمَامٍ وَغَيْرِهِ .

وَلَقَدْ قَالَ لِي مَرَّةً وَأَنَا بِجَسْرِ اللَّبَادِينَ : يَا مَوْلَانَا ! مَا هَذَا الْحَاتَمِيُّ^(٦) إِلَّا كَانَ إِمَاماً

(١) هُوَ مَنْ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْعَيْ ، يُقَالُ : « أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ » .

(٢) فِي (أ) : « الْمَرْشُوشُ » .

(٣) فِي (أ) : « شَيْئاً » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « بِهِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (آ) ، (ز) .

(٥) اقْتَبَسَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ٨٨/١٧ : ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ .

(٦) مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمُظْفَرِ ، لَهُ رِسَالَةٌ سَمَّاها : « تَفْرِيعُ الْمُهْلَبِاجَةِ فِي مَعْرِفَةِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ » (ت)

٣٨٨ ، الْوَافِي : ٣٤٣/٢ .

عظيماً ، هَذَا يَسْمَى شعراء عُمُرُنَا مَا سَمِعْنَا بِهِمْ ^(١) ، مثل « الحَطَبَة » ، كَذَا قَالَ بالبَاءِ
الموحدة ، ومثل « الطُّرْمَاخ » كَذَا قَالَ ، بضم الطاء وسكون الراء ، وبعد الألف خاء
معجمة .

وَأُنْشِدُنِي فِي وَقْتِ قَصِيدَةٍ لَهُ ثَانِيَةٌ جَاءَ مِنْهَا :

والليل أسود كالزنجي حالكه والبرق سيف له فيه جراحات

فقلت له : يا شيخ علاء الدين : عابوا عليك هذا ، وقالوا : كأنك تقول : الليل
أسود أسود أسود ، فنفر في وقال : ما أراك أنت الآخر إلا قليل العقل مثلهم .

وقال لي مرة : يا مولانا هجاني واحد أبلغ ^(٢) ، قلت : ما قال ؟ قال : [قال] ^(٣) :

في الخواصين خياط قالوا إن اسمو الشوش
من جهلوصارلو فوق رأسوشربوش

ثم مرَّ بيده على رأسه في الهوى ، وراح وجاء مرات ، وقال : يا مولانا ! أين
الشربوش الذي على رأسي .

وقلت أنا فيه وقد تبرمت به :

كأني إذا أنشأ وأنشد شعره « لدى سمرات الحي ناقف حنظل » ^(٤)
فيرمي ولا يدري فؤادي ومسمعي « بجلمود صخر حطه السيل من عل »

وتقلت من خط شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : أنشدنا لنفسه موشعاً :

(١) في الدرر نقلاً عن الصفدي : « يأتي بأسماء شعراء عمرنا ما سمعنا بهم » .

(٢) الأبلغ : غليظ الشفتين .

(٣) زيادة من (أ) .

(٤) ضمن الشطر الثاني من معلقة امرئ القيس ، وكذلك البيت الثاني .

١١٥٧ - علي بن سليم بن ربيعة*

وكان منطبعاً بساماً عاقلاً .

(٣) في (أ) : « برحها » .

* الوافي : ١٤٠/٢١ ، والدرر : ٥٣/٣ ، والشذرات : ٩٦/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢١٢/٢ .

توفي رحمه الله تعالى بالرملة ثالث عشري شهر ربيع الأول^(١) سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وله أربع وثمانون سنة .

١١٥٨ - علي بن سليمان بن أحمد*

أبو الحسن الهادي بالله ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم .

كان أبوه المستكفي بالله قد عهد إليه بالخلافة بعده ، فتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشرين شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وعاش أقل من عشرين سنة ، ودفن في تربة جدّه بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وفجع به والده ، ووَجَدَ عليه وجداً عظيماً .

١١٥٩ - علي بن سنجر**

الإمام العالم تاج الدين بن قطب الدين أبي اليُمْن البغدادي [ابن]^(٢) السّباك ، بالسين المهملة وبالباء الموحدة المشددة ، وبعدها ألف وكاف ، الحنفي .

عالم بغداد ، وواحدها الذي يُطلق عليه أنه أستاذ ، انتهت إليه رئاسة المذهب بالمستنصرية ، وتفرّد [هناك]^(٣) بالعلوم الأدبيّة .

وكان قيّماً بعرفانه ، ذكياً قد مضى فضله برفعة شأنه . وخطّه رياض مؤتقّه ، وآفاقَ بالشموس مُشرّقه ، ما يرضى أن يكون ياقوت فصّاً في خاتمه ، ولا يرى أن جودَ هذه الصناعة يُنسبَ إليه ، لا إلى حاتمّه .

(١) في (أ) : « جمادى الأولى » ، سهو .

* الدرر : ٥٣/٣ .

** الوافي : ١٤٨/٢١ ، والدرر : ٥٤/٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٣) زيادة من (أ) .

ونظم شعراً تجاوز به الشعرى ، وظن من سمعه أن قوافيه وُضعت في أذنه ذراً .

ولم يزل على حاله إلى أن سبك ابن السبّاك في بؤتقة القبر ، وعدم الطلبة على المصيبة به ذخائر الصبر .

وتوفي رحمه الله ... ^(١) .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة ، أو في ستين ، في شعبان ، الشك منه .

وكان قد سمع وهو كهل (صحيح البخاري) عن [ابن] ^(٢) أبي القاسم ^(٣) ، و (أحكام) ابن تيمية ^(٤) منه ، و (إحياء علوم الدين) من كمال الدين محمد بن المبارك المخزومي ^(٥) ، و (مسند الدارمي) من ست الملوك ، وله إجازة من أبي الفضل بن الدّباب ^(٦) ، ومحمد بن المريح ^(٧) .

وأخذ السبع عن أمين الدين مبارك بن عبد الله الموصلی ، والمنتجب التكريتي ^(٨) .

وتفقّه على ظهير الدين محمد بن عمّار البخاري ، وعلى مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب بن الساعاتي صاحب (مجمع البحرين) ^(٩) .

(١) كذا في (أ) ، والوافي ، وفي الدرر أن توفي (٧٥٠) .

(٢) زيادة من (أ) والوافي .

(٣) عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ) ، الشذرات : ٣١٤/٥ .

(٤) مجد الدين ، كما في الدرر .

(٥) في الدرر : « المخزومي » .

(٦) في الدرر : « الزيات » ، تصحيف ، وهو محمد بن محمد بن علي (ت ٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٣/٥ .

(٧) في الوافي : « المزيج » ، وفي (أ) : « المرئخ » .

(٨) هو الحسين بن حسن ، المنتجب ، أبو عبد الله التكريتي (ت ٦٨٨ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤٠/١ .

(٩) اسمه بتمامه : مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية . الكشف : ١٦٠٠/٢ ، ووقع في الأصول :

« تغلب » ، تصحيف .

وقرأ الفرائض على أبي العلاء محمود الكلاباذي ^(١) ، والأدب على حسين بن إياز ^(٢) ، وحفظ (اللمع) ، ثم (المفصل) و (البداية) و (أصول) ابن الحاجب ، وله أرجوزة في الفقه ، وشرح أكثر (الجامع الكبير) .

ومن شعره :

هل أرى للفراق آخر عهدٍ إنَّ عُمَرَ الفراق عُمُرٌ طویلُ
طال حتى كأننا ما اجتمعنا فكأنَّ التَّقاءَنا مستحيلُ

وأنشدني الإمام تقي الدين بن رافع ، قال : أنشدنا المَطَرِيُّ ، قال : أنشدنا ابن السَّبَّاك لنفسه :

الأمرُ أعظمُ ممَّا يَزْعُمُ البَشَرُ لا عقلَ يدركه كَلًّا ولا نَظَرُ
فانظر بعينك أَوْ فاعْمَضْ جفونك واحد زِدْ أن تقولَ عَسَى أن ينفعَ الحذرُ
فكلُّ قولٍ الوری فی جنب ما هو فی نفسِ الحقیقة إنَّهم فكروا هَذَرُ ^(٣)
فاستغفر الله قولاً قد نطقت به فيما مضى وهو فی الألواح مستطر

وأنشدني الحافظ نجم الدين أبو الخير سعيد الذهلي ، قال : أنشدنا ابن السَّبَّاك لنفسه :

يا نهارَ الهجيرِ نجمِ الدينِ قد طُلَّتْ بالصَّو م كما طالَ ليلُ هَجَرِ الحبيبِ
ذاك قَدْ طالَ بانتظارِ طلوعِ مثلَ ما طُلَّتْ بانتظارِ مغيبِ ^(٤)

(١) محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي (ت ٧٠٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) في (أ) : « أيار » .

(٣) في الوافي : « هذروا » .

(٤) في (أ) : « ما طال » .

ومن شعره :

يُخْفِي السَّلامَ عَلَيَّ خَوْفَ وُشَاتِهِ وَيَبِيتُ لِي حَقَّ الصَّبَاحِ نَدِيمًا
فَلَسَانُهُ حِينَ التَّقِينَا صَامِتٌ وَلِحَاضُهُ تُقْرِينُنِي التَّسْلِيمَا^(١)

قلت : هذه « تقريني » مستثقلة إلى الغاية لو أنها في النيل كدّرته ، أو في وجه الصباح جدّرته ، ولو قال : ولحاضه تهدي لي التسليما ؛ لكان أحسن وأعذب في السمع .

ومن شعره :

لَمَّا غَدَا وَالشَّهْدُ مِنْ رِيقِهِ وَدُونَهُ يُسْتَشْهَدُ الْمُسْتَهَامُ
ازدحم النمل على خُدّهِ وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ

وكان قد قرأ عليه جماعة منهم : القاضي حسام الدين الغوري قاضي قضاة مصره ، ولما ولي الغوري القضاء ببغداد دخل على شيخه ابن السباك بالخلعة ، وقال : الحمد لله الذي جعل من غلمانك قاضي القضاة .

ورأيت أنا بخطه نسخة (بالكشاف) في مجلدين صغيرين وهي كتابة عظيمة صحيحة مليحة إلى الغاية .

١١٦٠ - علي بن طرنطاي*

الأمير علاء بن الأمير الكبير حسام الدين طرنطاي المنصوري .

كان أصغر الأخوة ، وهو أمير عشرة بالديار المصرية ، مليح الشكل ، حسن الهيئة^(٢) .

توفي رحمه الله تعالى في حادي عشر شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وعمل عزاءه أياماً .

(١) في (أ) : « تسليما » .

* الدرر : ٥٦/٣ .

(٢) في الأصل : « الهيبة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

١١٦١ - علي بن طُغْريل*

الأمير علاء الدين أمير حاجب دمشق .

حضر من مصر إلى دمشق حاجباً في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة في أواخر أيام يَلْبُغا ، فما أقام إلا يَسيراً حَتَّى جَرى ليلبغا ماجرى ، على ماسيأتي في ترجمته ، وكانت الملطّفات قد جاءت من السلطان المظفر حاجي إليه وإلى الأمراء بدمشق يامسالك يلبغا ، فلما هرب يلبغا ساق الأمير علاء الدين خلفه وجاعةً من الأمراء ، ورَدَّ من رَدِّ منهم ، وبقي هو وراءه إلى أن اضطره إلى حماة .

حكى لي الأمير سيف الدين ترمهمندار أنه رأى هذا الأمير علاء الدين وقد جاءه اثنان من جماعة يلبغا ، وطعناه برمحيهما ، وأنه عطّل ذلك بقفا سيفه ، ولم يؤذِ أحداً منها ، وكان يحكي لي ذلك ، ويتعجب من فروسيته .

ولم يزل بدمشق على إمّرتة ووظيفته إلى أن وصل الأمير سيف الدين أرغون شاه ، فأقام يدخل عليه في كل خدمة ، ويطلب منه الإقالة من الشام والرجوع إلى مصر إلى أن كتب له إلى باب السلطان ، وجاء الجواب بالإجابة إلى ذلك ، فعاد إلى مصر في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحضر الأمير سيف الدين منجك عوضه حاجباً .

وأقام الأمير علاء الدين بالقاهرة بطالاً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١١٦٢ - علي بن طَيَدمَر كُكْزُ**

بضم الكافين ، وبعدها زاي ، الأمير علاء الدين أحد أمراء العشرات بدمشق ، والده من مماليك السلطان الملك الناصر محمد .

* الوافي : ١٥٧/٢١ ، والدرر : ٥٦/٣ ، والسلوك : ٥٨٤/٢/٢ ، ٦٩٢ ، ٧٠٥ ، ٧٠٩ ، ٧٢٨ ، ٧٣٨ ، ٧٩٥ .

** الوافي : ١٥٨/٢١ ، والدرر : ٥٧/٣ .

وكان هذا ظريف القدّ ، أسيل الحدّ ، وجفنه يُجَرَّد^(١) سَيْفًا ماضي الحدّ ، وخدّه
كأنما وَرَدَ الورْدَ وما رَدَ ، ظريف العمّة ، لبق الشائل ، يودّ الغصن لو ضمّه ، والبدر لو
وهبه كماله وتمّه . يتجمل به الموكب إذا كان في دارته ، والأفق إذا تخيل أنه في شارته .
ومع حسنه البارع فكان لطيفا ، إذا خطا رأيت الجبال^(٢) به مطيفا ، سهل الاتقياد ،
كثير الوداد ، ليس فيه شم ، ولا عنده عن طلب الميل صم .

ولم يزل إلى أن أذبل الموت ورْدَ خدّه ، وكفّ عن جفنه غَرْبَ حدّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ولم
يبقل^(٣) وجهه .

١١٦٣ - علي بن طنبغا قوين باشي*

علاء الدين ابن الأمير علاء الدين نائب حص ونائب غزة . تقدّم ذكر والده في
مكانه من حرف الطاء .

كان هذا عليّ ذا صورة جميله ، وطلعة كم جعلت القلوب من حسنها دمنة ،
والعيون كليله ، أشرق من الغصن إذا عطفت النسمات ، وأعدل من الرمح إلا أنّ هذا
الطف حركات ، كم فتن قلبا ، وجعل من الصبّ دمه صبا .

بينما هو بدرّ في ليالي كماله إذا به قد انخسف^(١) ، وبينما هو غصنّ يمسّ في اعتداله
إذا هو^(٢) قد انتصف ، وأنشد الناس قبره :

(١) في الأصل : « وسيفه مجرّد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في الأصل : « الحال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) بقل وجهه : نبت فيه الشعر .

* الدرر : ٥٦/٣ .

(٤) في (أ) : « إذا هو انخسف » .

(٥) في (أ) : « به » .

مَا أَنْتَ يَا قَبْرٌ لَا رَوْضَ وَلَا فَلَكَ مِنْ أَيْنَ جُمَعَ فِيكَ الْغَضُّ وَالْقَمَرُ

وتوفي رحمه الله تعالى بِكَرَّةِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ عَشْرِ شَهْرِ رِيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وَمَاتَ عَنْ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَصَلِيَ عَلَيْهِ بِسُوقِ الْخَيْلِ ، وَحَضَرَهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ وَالْأَمْرَاءُ .

وكانت جنازته حافلة ، وكان قد حجَّ مَرَّتَيْنِ ، وأثنى الناس عليه ، وتألّموا له ولوالده .

١١٦٤ - علي بن عُثْمَانَ*

ابن يعقوب بن عبد الحق السلطان أبو الحسن بن أبي سعيد بن أبي يوسف القريني ، صاحب مراكش وفاس وغيرهما ، المريني ، تقدّم ذكر والده في مكانه .

ملك أبو الحسن هذا ، رحمه الله تعالى ، بَعْدَ مَوْتِ والده سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة . وكان سلطاناً فاضلاً ، مناضراً للفقهاء ولأرباب السلاح مناضلاً .

قام بالجهاد مُدَّةً مُلْكِهِ ، وَنَظَّمَ كَثِيراً مِنْ الْبِلَادِ فِي سِلْكِهِ ، امْتَشَقَ الصَّوَارِمَ وَاعْتَقَلَ الْأَسْلَ ، وَاشْتَارَ الْعَسَلَ مِنْ غَزَوَاتِهِ وَمَا اخْتَارَ الْكَسَلَ ، وَبَاشَرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ ، وَأَقَامَ وَجْهَهُ لِلنَّبْلِ ^(١) مَقَامَ تَرْسِهِ ، وَوَجَدَ ضَرْبَ الْمَوَاضِي أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ ، وَجَادَ بِرُوحِهِ لِلْخُطُوبِ ^(٢) حَتَّى « كَأَنَّمَا لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَ » . يَكْرُؤُ عَلَى الْأَبْطَالِ ، وَالسَيْفُ مُصَلَّتٌ بِكَفِّهِ ، وَيُقَدِّمُ عَلَى الصَّفُوفِ بِاجْتِهَادٍ ، كَأَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يُطْعَنَ مِنْ خَلْفِهِ ، فَمَا حَمَلَ عَلَى جَيْشٍ إِلَّا أَبَادَهُ ، وَأَبَانَ لِلْمَلَائِكَةِ كَرَّهَ ، وَقَرَّهَ وَطِرَادَهُ ، وَأَجَالَ فِي حَوْمَاتِ ^(٣) الْوَعْيِ

* الدرر : ٨٥/٣ ، ونبات الزهور : ٥٨٦/١/١ ، وتذكرة النبيه : ١٤٩/٣ ، والذيل التام : ١٢٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥١/١٠ ، والسلوك : ٨٥٨/٢ .

(١) في الأصل و (خ) : « للنيل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) ، (خ) : « للحتوف » ، وهي أشبه .

(٣) في الأصل : « حومات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

جَيَّادَهُ ، وارتجل المنايا للأعادي وباده^(١) ، وعلى صَرح الإسلام وشاده ، وأصلح فسادَ الدهر وأهله فساده ، هذا مع فضائل بَحْرُها زَخَّار ، وعلوم نيرها سَيَّار .

ولم يزل في جهاد^(٢) مع الفرنج ، وحروب نصره الله فيها ، وقد ظنَّ أنه لم يَنْجُ ، إلى أن أدْبَرَ سَعْدُهُ ، وأخْلَفَ الزمانَ وَعْدَهُ ، وطالما صَدَقَ وَعْدُهُ ، وخانه حتَّى ابنُه ، وسَاعَدَهُ عليه حتى أدْبَرَتْ شجاعته وأقبل جُبْنُهُ ، وهذه قاعدة الأيام التي قلَّ ما انْخَرَمَتْ ، وطالما أصبحت جَمَرَاتُها رَمَاداً بعد ما اضطَرَمَتْ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة^(٣) .

وكان هذا السلطان أبو الحسن قد صادقَ سلطاننا الأعظم الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وهاداه ورأسله ، وجَهَّزَ إليه التحف والطُرف ، وجَهَّزَ إليه مرَّةً في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة خمسين فرساً بسرُوجها وَعَدَدَها المَغْرِبِيَّة صحبة الجهة التي حضرت للحجاز ، وتُدعى « الحرة » ، وحضر معها شيء كثير^(٤) من التحف النفائس .

قيل : إنها أخْضَرَتْ معها صورة كَرَمَةٍ تُحْمَلُ على رؤوس النساء ، عناقيدها الجواهر النفيسة ، وأحضرت مِنَ الثياب البيض الرِّفَاع جُمْلَةً وافرة . وكانت هذه السروج على كلِّ ركابٍ منها طلاءٌ ذهب ، ستَّة سبعةً دنانير ، وأمر السلطان لها بجميع^(٥) ما دعت حاجتها إليه من آلات الحجِّ وزاده وماعونٍ مائه لها ولن^(٦) حضر معها ، وكان

(١) من المبادهة .

(٢) في الأصل : « اجتهد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) وفاته في المصادر الأخرى سنة (٧٥٢) ، ويؤيد هذا التاريخ أن ابن تغري بردي قال : « وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة » . وقد استلم الحكم من أبيه سنة (٧٣١ هـ) .

(٤) في (خ) : « وأحضَر معها شيئاً كثيراً » .

(٥) في (أ) ، (خ) : « يجمع » .

(٦) في الأصل : « وما عونه ولن » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مَعَهَا فِيمَا أَظُنَّ خَمْسَ مِئَةِ نَفَرٍ ، وَلَمَّا عَادَتْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ مَعَهَا مِنْ تَحْفٍ مِصْرَ وَقَاشِ
إِسْكَندَرِيَّةَ ، وَقَاشَ الْعِرَاقَ شَيْئاً كَثِيراً .

وَكَانَ قَدْ جَهَّزَ إِلَى مَكَّةَ ، شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، خَتَمَةً بِخَطِّ يَدِهِ ، وَقُرَّ^(١) بِعَيرِ مَذْهَبَةِ
مَلِيحَةٍ فِي بَابِهَا ، وَإِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ خَتَمَةً أُخْرَى نَظِيرَهَا صَحْبَةُ ابْنِ فَرْقَاجَةَ ، وَجَهَّزَ
مَعَهُ مَبْلُغاً اشْتَرَى بِهِ مُلْكاً وَوَقَّفَهُ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ هُنَا وَهَنَا .

وَكَانَتْ الْمَكَاتِبَاتُ مَا تَنْقَطِعُ بَيْنَهُمَا كُلَّ^(٢) قَلِيلٍ . وَوَرَدَ مِنْهُ^(٣) كِتَابٌ عَلَى السُّلْطَانِ
الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِئَةِ عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ
ابْنِ أَبِي مِذْيَنٍ يُعَزِّي السُّلْطَانَ فِيهِ بِأَبِيهِ ، وَيَهْنِئُهُ بِالْجُلُوسِ عَلَى تَحْتِ الْمُلْكِ ، وَيَذْكُرُ
وَأَقْعَةً جَرَتْ لَهُ ، وَيَطْلُبُ الدِّعَاءَ ، وَيَسْتَنْجِدُ بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَنَسَخْتَهُ بَعْدَ الْحَمْدَةِ^(٤)
وَالصَّلَاةَ : « مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الْمَنْصُورِ
بِفَضْلِ اللَّهِ ، الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ ، الْمُعْتَمِدِ بِهِ جَمِيعُ^(٥) أُمُورِهِ مَا لَدَيْهِ ، سُلْطَانِ الْبَرِّينِ ، حَامِي
الْعَدَوَتَيْنِ ، مُؤَثِّرِ الْمُرَابِطَةِ وَالْمُتَاغِرَةِ ، مُؤَاوِزِ حَرْبِ الْإِسْلَامِ ، مَظَاهِرِ دِينَ الْمَلِكِ
الْعَلَامِ ، ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ^(٦) فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَخْرِ السُّلَاطِينِ ،
حَامِي حُوزَةِ الدِّينِ ، مَلِكِ الْبَرِّينِ ، إِمَامِ الْعَدَوَتَيْنِ ، مَهْمَدِ الْبِلَادِ ، مَبْدِدِ شَمْلِ الْأَعَادِ ،
مُجَنِّدِ الْجُنُودِ ، الْمَنْصُورِ الرَّايَاتِ [وَالْبُنُودِ]^(٧) ، مُحِطِّ الرِّحَالِ ، مُبَلِّغِ الْأَمَالِ ، أَبِي سَعِيدِ
ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَسَامِ الْإِسْلَامِ ،
أَبِي الْأَمْلَاكِ ، شَجَى أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْإِشْرَاكِ ، مَانِعِ الْبِلَادِ ، رَافِعِ عِلْمِ الْجِهَادِ ، مَدْوُخِ

(١) الوقف : الحمل .

(٢) فِي (أ) ، (خ) : « فِي كُلِّ » .

(٣) لَيْسَتْ فِي (خ) .

(٤) فِي (أ) ، (خ) : « الْبِسْمَلَةُ » .

(٥) فِي (أ) : « فِي جَمِيعِ » .

(٦) فِي (خ) : « الْمُجَاهِدِ » .

(٧) زِيَادَةٌ مِنْ (أ) ، (خ) .

أقطار الكفار ، مُصْرِخٌ مَنْ ناداه للاستنصار^(١) ، القائمُ لله بإعلاء دين الحق ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أخلصَ الله لوجهه جهاده ، ويسّر في قهرِ عدّة الدين مُرادَه .

إلى محلّ ولدنا الذي طلع في أفق العُلا بدراً ثَمّاً ، وصَدَعَ بأنوار^(٢) الفخار فجلى ظلاماً وظلّماً ، وجَمَعَ شَمْلَ المملكةِ الناصريّة ، فأعلى منها علماً ، وأحيا بها^(٣) رَسْماً ، حايطَ الحرمين ، القائمُ بحفظ القِبْلَتَيْنِ ، باسطِ الأمان ، قابضِ كفّ العدوّان ، الجزيلِ النوال ، الكفيلِ تأمينه بحياطة النفوس والآمال ، قُطْبِ المَجْدِ وسماكه ، حَسْبِ الحمد وملاكه : السلطان الجليل ، الرفيع الأصيل ، الحافل العادل ، الفاضل الكامل ، الشهير الخطير ، الأضخم الأفخم ، المعان المورث^(٤) المؤيّد المظفر ، الملكِ الصالح ، أبو الوليد إسماعيل ابن محلّ أحنينا الشهير علاؤه ، المستطير في الآفاق ثنائؤه ، زين الأيّام والليال ، كال عَيْنِ إنسان المَجْد ، وإنسان عَيْنِ الكمال ، وارث الدُّولِ ، النافث بصحيح رأيه^(٥) في عقود أهلِ الملل والنحل ، حامي القبلتين بعُدْلِهِ وحَسَامِهِ ، النامي في حِفْظِ الحرمين أجزاً اضطلاعَه بذلك وقيامه ، هازم أحزاب المُعَانِدِينَ وجيوشها ، هادم الكنائس والبيع ﴿فهي خاويةٌ على عروشها﴾^(٦) ، السلطان الأجلّ الهَمَامُ ، الأحقَلُ ، الأفخم ، الأضخم ، الفاضل العادل ، الشهير الكبير ، الرفيع الخطير ، المجاهد المرابط ، المُقْسِطُ عدْلُهُ في الجائر والقاسط ، المؤيّد المظفر المنعم المُقَدَّسُ المُطَهَّرُ ، زين السلاطين ، ناصر الدنيا والدين ، أبي المعالي محمد ابن الملك الأرضي الهمام^(٧)

(١) في (أ) ، (خ) : « للاستنصار » . وأصرّحه : أنجده ونصره .

(٢) في (خ) : « بأنواع » ، تحريف .

(٣) في (خ) : « لها » .

(٤) في الأصل : « المؤدب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (خ) : « بصحيح عَقْد رأيه » .

(٦) الحج : ٤٥/٢٢ .

(٧) في (خ) : « الهمامي » .

الأقضى ، والد السلاطين الأخيار ، عاقد لواء النصر في قهر الأزمَن والفرنَج والطرار^(١) ، مُخَيِّ رسوم الجهاد ، مُعَلِّي كلمة الإسلام في البلاد ، جمال الأيام ، ثمال الأعلام ، فاتح الأقاليم^(٢) ، صالح ملوك عصره المتقاديم ، الإمام المؤيد المنصور المُسَدِّد ، قسيم أمير المؤمنين فيما تَقَلَّد ، الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين قلاوون مَكَّن الله له تمكين أوليائه ، ونَمَى ذُوْلَتَه التي أطلعها السعدُ شمساً في سمائه ، وأحسن إبرازه للشكر أن جعله وارث آبائه .

سلامٌ كريم يفاح زَهْرَ الرُّبَا مسراه ، وينافح نسيم الصِّبَا مَجْراه ، يَصْحَبُهُ رضوانٌ يَدُوم مادامت ثقلَ الفلك حركته ، ويتولاه رُوحٌ وَرِيحَانٌ^(٣) تحييه به رحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مالك الملك ، جَاعِلِ^(٤) العاقبة للتقوى صدعاً باليقين ودفعاً للشك ، وخاذِلِ^(٥) من أسرَّ في النفاق النجوى ، فأصرَّ على الدَّخَنِ^(٦) والإفك . والصلاة والسلام على نبينا محمد ورسوله الذي محَا بأنوار الهدى ظُلُمَ الشَّرِك ، ونبَّه الذي ختم به الأنبياء ، وهو واسطة ذلك السُّلُك ، ودَحَا به حِجَّة الحق ، فادَّت بالكفرة محمولة الأفلاك ، وماجت بهم حاملة الفلك ، والرضا من آله وصحبه الذين ملكوا سبل^(٧) هُدَاه ، فَسَلَّك في قلوبهم أجمل السُّلُك ، وملكوا أعنة هواهم ، فلزموا مِنْ حِجَّة الصواب أَسْحَج^(٨) الُهلُك ، وصابروا في جهاد الأعداء ، فزاد خلوصهم مع الابتلاء ، والذهَبُ

(١) في الأصل : « الشطار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في (خ) : « الأقالم » .

(٣) اقتباس من قوله تعالى في سورة الواقعة ٨٩/٥٦ : ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ .

(٤) في الأصل : « فاعل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (خ) : « وجادل » .

(٦) الدخن : الحقد وسوء الخلق .

(٧) في (أ) ، (خ) : « سلكوا سبيل » .

(٨) الإسحاج : حسن العفو . ومنه : « ملكت فأسحج » .

يزيد خلوصاً على السَّبِّك ، والدعاء لأولياء الإسلام ، وحماته الأعلام بنصر لمضائه في العدا^(١) أعظم الفتك ، وَيَسَّرَ بقضائه ذرَّك آمال الظهور ، وأخفَلَ بذلك الذرَّك ، فكتبنا إليكم - كتب الله لكم رسوخ القدم ، وسبوغ النعم - من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه تُعرَّف مذاهب الألطاف ، وتكيف مواهب تلهج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ، وتصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكوَّنُ بَيِّن الكاف والنون ، ومكانكم العتيد سلطانه ، وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه ، وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال مِيدَانُهُ ، وإلى هذا زاد الله سلطانكم تمكيناً ، وأفاد مقامكم تحصيلاً وتحسيناً ، وسلك بكم من سنن^(٢) من خَلَقْتُمُوهُ سبيلاً مُبِيناً ، فلا خفاء بما كانت عَقْدَتُهُ أَيْدِي التقوى ومهْدَتُهُ الرسائل التي على الصِّفَاء تُطَوِّى بيننا وبين والدم - نعم الله روحه وقَدْسُهُ ، وبقربه مع الأبرار في عِلِّيْنِ آنسِه - من مؤاخاة أحكت منها العقود تالية الكتب والفتاح ، وحفظ عليها محكم الإخلاص معوذتها المحبة والنية الصالحة ، فانعقدت على التقوى والرِّضوان ، واعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازع الأبدان حتَّى استحكت وَصْلَةُ الولاء ، والتحمت كلحمة^(٣) النسب لحمة الإخاء ، فما كان إلّا وشيكاً من الزمان ، ولا عجبَ في قِصَرِ زَمَنِ الوُصْلَةِ أن يشكوه الخَلَّانُ وَرْدَ وارِدَ أوردَ رَنَقَ^(٤) المشارب ، وَحَقَّقَ قَوْلَ : « وَمَنْ يَسْأَلِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَائِبٍ » ، أنبأ باستئثار الله بنفسه الزكية وإكناز ذرَّته السنية ، واتقلا به إلى ما أعدَّ له من المنازل الرضوانية بجليل ما وَقَّرَ لَفَقْدِهِ في الصدور ، وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع^(٥) ذلك المقدور حناناً للإسلام بتلك الأقطار وإشفاقاً من أن يعثور قاصدي بيت الله الحرام من حرِّ الفتن عارض الأضرار ، ومساهمة في مصاب الملك الكريم ،

(١) في (أ) ، (خ) : « الأعداء » .

(٢) في (خ) : « سبيل » .

(٣) في الأصل : « كلمة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) الرنق : الكدر في الماء .

(٥) في الأصل : « لولوع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

والولي الحميم ، عَمِيَتِ الأخبار ، وطُويَت طَيِّ السَّجَلِ الآثار ، فلم تَرْمُخِبْراً صدقاً ولا مُعْلماً بن استقرَّ له ذلك المُلْكُ حقاً ، وفي أثناء ذلك أحفزنا الحركة عن ^(١) حضرتنا لاستصراخ أهل الأندلس وسلطانها وتواتر الأخبار بأنَّ النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ، ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبر الواردة من تلك البلدان عما أجلى عنه لَيْلُ الفتن بتلكم الأوطان .

فبعد لأيٍ وقعنا منها على الخير ، وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير ، وتعرفنا أنَّ المُلْكُ استقرَّ منكم في نصابه ، وتداركه الله منكم بفاتح الخير من أبوابه ، فأطفأ بكم نارَ الفتنة وأخمدها ، وأبرأ من أدواء النفاق ما أعلَّ البلادَ وأفسدها . فقام على سبيل الحجِّ سابلا ، وتعبَّد طريقه لمن جاء قاصداً أو قافلا ، ولَمَّا اجتمعَتْ بهذا الخبر القرائن ، وتواتر بنقله الحاضر له والمعاین ، أثار حفظ الاعتقاد البواعثُ ، والودَّ الصحيح تجربَه حقاً الموارث ، فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الأطوار ، الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء ثوبي الشَّعار والدُّثار ، ومثل ذلك المُلْكِ رضوانُ الله عليه منْ يَجِلُّ المصاب لفقدانه ، وتَحَلُّ عُرَا الاصطبار لموته ولات حين أوانه ، ولكن الصبر الجميل أجل ما ^(٢) ارتداه ذو عَقْلٍ حصين ، والأجر أولى ما اقتناه ذو دينٍ متين ، ومثلكم من لا يخفِّ وَقَارُه ، ولا يشفِّ عَنْ ظُهور الجَزَعِ للحادث ^(٣) اصطباره ومن خَلَّفكم فما مات ذكره ، ومن قَمَّ بأمره فما زال بل زاد فَخْرُه ، وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب ، وطاب بين مبتداه ومُختَصِرِه ^(٤) هنيئاً بما مِنَ الأجر اكتسب ،

(١) في (خ) : « من » .

(٢) في (أ) : « بما » .

(٣) في الأصل : « ولا يخفِّ من ظُهور الجَزَعِ الحادث » ، وفي (خ) : « ولا يشفِّ عن ظُهور الجَزَعِ الحادث » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أقرب .

(٤) لعله يشير إلى قول الشاعر :

وصار حميداً إلى خَيْرِ الْمُتَقَلِّبِ ، وَوَقَدَ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ عَلَى أَفْضَلِ مَا مَنَحَ مَوْقِناً وَوَهَبَ ،
فَقَدْ ارْتَضَاكَ اللَّهُ بَعْدَهُ ^(١) لِحَيَاظَةِ أَرْضِهِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَحِمَايَةِ زَوَارِ بَيْتِهِ مَقِيمَةٍ ^(٢) أَوْ مُعَرَّسِهِ ،
وَنَحْنُ بَعْدَ بَسْطِ هَذِهِ التَّعْزِيَةِ نَهْنُكُمْ بِمَا خَوْلَكُمْ اللَّهُ أَجَلَ التَّهْنِئَةِ ، وَفِي ذَاتِ اللَّهِ الْإِيرَادِ
وَالْإِصْدَارِ ، وَفِي مَرْضَاتِهِ سُبْحَانَهُ الْإِضْهَارَ وَالْإِظْهَارَ ، فَاسْتَقْبِلُوا دَوْلَةَ أَلْقَى الْعِزَّ عَلَيْهَا
رِوَاقَهُ ، وَعَقِدَ الظُّهُورَ عَلَيْهَا نِطَاقَهُ ، وَأَعْطَاهَا أَمَانَ الزَّمَانِ عَهْدَهُ ^(٣) وَمِيشَاقَهُ ، وَنَحْنُ
عَلَى مَا عَاهَدْنَا عَلَيْهِ الْمَلِكَ النَّاصِرَ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ عَهْدٍ مُوْتَقَّعٍ ، وَمَوَالَاةٍ مُحَقَّقَةٍ
وِثْنَاءً كَأَيْمَتِهِ عَنِ الزَّهْرِ غَبَّ الْقَطْرِ مَفْتَقَهُ ، وَلَمْ يَغِبْ [عَنْكُمْ] ^(٤) مَا كَانَ مِنْ بَعْثِنَا
الْمُصْحَفِينَ الْمَكْرَمِينَ ^(٥) الَّذِينَ خَطَّتْهُمَا مَنَا الْيَمِينَ ، وَأَوَّتْ ^(٦) بَيْنَهُمَا الرِّغْبَةَ مِنَ الْحَرَمِيِّينَ
الشَّرِيفِينَ إِلَى ﴿ قَرَارِ مَكِينٍ ﴾ ^(٧) ، وَأَنَّهُ كَانَ لَوَالِدِكَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ؛ تَوَلَاهُ اللَّهُ بِرِضْوَانِهِ
وَأَوْرَدَهُ مَوَارِدَ إِحْسَانِهِ ؛ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ ، وَالصَّنْعِ الْجَلِيلِ ، مَا نَاسَبَ مَكَانَهُ
الرَّفِيعِ ، وَشَاكَلَهُ فَضْلُهُ مِنَ الْبَرِّ ^(٨) الَّذِي لَا يَضِيعُ حَتَّى طَبَّقَ فِعْلُهُ الْآفَاقَ ذِكْرًا ، وَطَوَّقَ
أَعْنَاقَ الْوَرَادِ وَالْقَصَادِ بَرًّا ، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ مَا بِهِ تَحْفَى وَأَتَحَفَ ، وَأَعْظَمَ مَا يَعْرِفُهُ إِلَى
رِضَا الْمَلِكِ الْعَلَامِ فِي ذَلِكَ تَعَرَّفَ ، إِذْنَهُ لِلْمُتَوَجِّهِينَ إِذْ ذَاكَ فِي شَرَاءِ رِبَاعٍ ^(٩) تَوَقَّفَ عَلَى
الْمُصْحَفِينَ ، وَرَسَمَ الْمَرَامِ الْمُبَارَكَةَ بِتَحْرِيرِ ذَلِكَ الْوَقْفِ مَعَ اخْتِلَافِ الْجَدِيدِينَ ، فَجَرَّتْ
أَحْوَالُ الْقُرَاءِ فِيهَا بِذَلِكَ الْخَرَجِ الْمُسْتَفَادِ وَمَا يَصْلُهُمْ مِنْ خَرَجٍ مَا وَقَفْنَاهُ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ

(١) في الأصل : « لهذه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في (أ) ، (خ) : « مقيلة » .

(٣) في (خ) : « عقده » .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في (أ) : « الأكرمين » ، وفي (خ) : « الكرميين » .

(٦) في (أ) ، (خ) : « وأرت » .

(٧) المؤمنون : ١٣/٢٣ ، والمراسلات : ٢١/٧٧ .

(٨) في الأصل : « الرأي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٩) في الأصل : « أرباع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

البلاد ، على مارسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله ، واحترام في تلك الأوقاف فوائدها به مَوْفَرَةٌ ^(١) مُتَحَصِّلَةٌ .

وقد أمرنا مؤدّي هذه لِكَمَالِكُمْ ، ومَوْفِدها على جلالكم كَاتِبِنَا الأسنى الفقيه الأجل الأحظى الأكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الأجل الحاج الأتقى الأرضى الأفضّل الأحظى الأكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مَدين حفظ الله عليه رُتْبَتَهُ ^(٢) ، ويسّر في قصد البيت الحرام بُعْيَتِهِ ، بأن يتفقّد أحوال تلك الأوقاف ، ويتعرّف تصرف الناظر عليها ، وما فعله من سداد وإسراف . ويتخير لها من ^(٣) يرتضى لذلك ، ويُحَمَّد تصرفه فيما هنالك ، وخاطبنا سلطانكم في هذا الشأن جَزِيَا على الودّ الثابت الأركان ، وإعلاماً بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الأفعال الحِسَان ، وكألكم يقتضي تخليد ذلکم البرّ الجميل ، وتجديد [عمل] ^(٤) ذلکم الملك الجليل ، وتشديد ما اشتل عليه من الشكر الأصيل والأجر الجزيل ، والتقدّم بالإذن السلطاني في إعانة هذا الوافد بهذا الكتاب ، على ما يتوخاه في ذلك الشأن مِنْ طُرُق الصّواب ، وثناؤنا ^(٥) عليكم الثناء الذي يُفَاوِج زَهْرَ الرُّبَا ، ويطارح نَعَمَ حَمَامِ الأيك مُطرباً .

وبحسب المصافاة ومقتضى المُوَالاة نشرح لكم المتزيّيدات بهذه الجهات ، وننبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلکم الجنب ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا وصلنا من الأندلس الصريخ ، ونادى الجهاد منّا عزماً لمثل ندائه نصيخ ، أنبأنا أَنَّ الكفار قد جَمَعُوا أحزابهم من كل صوب ، وحتّم عليهم بآبَاهُمْ اللعين التناصر من كل أُوْب ، وأن تقصد طوائفهم البلاد الأندلسيّة بإيجافها ^(٦) ، وتُنقص بالمنازليّة ^(٧) أرضها من أطرافها ، لتمحو كلمة

(١) في (أ) ، (خ) : « متوفرة » .

(٢) في الأصل : « مدته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « وأن يتخير » . وفي الأصل : « ما يرضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « وثناؤه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) أي : بالاستيلاء عليها .

(٧) في (أ) ، (خ) : « بالمنازلة » .

الإسلام منها ، وتقلّص ظلّ الإيمان عنها ، فقدّمنا من يشتغل بالأساطيل من القوّاد ، وسرّنا على أثرهم إلى سبّة منتهى المغرب الأقصى وباب الجهاد .

فما وصلناها إلا وقد أخذ أخذَ العدوّ الكفور ، وسدّ اختطاف الطواغيت على التعاون مجاز العبور ، وأتوا من أجفالم^(١) بما لا يحصى عدداً وأرصدوها بجمع البحر حيث المجاز إلى دفع العدا ، وتقلصوا عن الانبساط في البلاد ، واجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء ، أعادها الله ، بكلّ مَنْ جمعه من الأعاد ، لكنّا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلك العمل الجميل ، حاولنا إمداد تلك البلاد بحسب الجهد ، وأصرخناهم بمن أمكننا من الجند ، وجهّزنا أجفاناً مختلسين فرصة الإجازة وتترّد على خطر مَنْ جهّز الجهاد جهازه ، وأمرنا لصاحب الأندلس مِنْ المال بما^(٢) يجهّز به حركته لمُدانة حِزْب الضلال ، وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهره ، وأرضخنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخرة ، وجعلتُ أجفاننا تترّد من يمشي السواحل ، ويلج أبواب الخوف العاجل ، لإحراز الأمن الآجل ، مشحونة بالعدد الموفوره ، والأبطال المشهوره ، والخيال المسوّمه ، والأقوات المُقوّمه ، فَمَنْ ناجح حارب دونه الأجل ، وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ، وما زالت الأجفان تترّد على ذلك الخطر ، حتى تَلَفَ منها سبع وستون قطعة غزويّة أجزها عند الله يدّخر^(٣) ، ثم لم تقنع بهذا العمل والإمداد ، فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم مُساهمة^(٤) لأهل تلك البلاد ، فلقى من هول البحر وارتجاجه ، وإلحاح العدوّ ولجاجة ، مابه الأمثال تُضرب وبمثله يتحدّث ويستغرب ، ولما خلاص لتلك العدوّة بمن أبقتهُ الشدائد نزل بإزاء الكافر الجاحد ، حتّى كان منه بفرسخين أو أدنى ، وقد صَرَب بطعنٍ يصاحب العدوّ ويماسيه بحرب بها يُمنى ، وقد كان

(١) ضرب من السفن ، وفي (أ) ، (خ) : « أجفالم » .

(٢) في الأصل : « بالمالية بل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « مُدّخر » .

(٤) في الأصل : « مشاهيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

من مَدَدِنَا بالجزيرة جيش شريت شرارته ، وقويت في الحرب إدارته ، يبلون البلاء الأصدق ، ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الأورق ، إلا أن المطاولة بحصرها^(١) في البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ، ومنازلتها في البر نحو عامين معقوداً عليها الصف بالصف ، أدى إلى فناء الأقوات بالبلد حتى لم يبق لأهله قوت نصف شهر مع انقطاع المَدَد ، وبه من الخلق ما يُربي على عشرة آلاف دون الحرم والولد .

فكتبَ إلينا سلطانُ الأندلس يرغب في الإذن له في عقد الصلح ، ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح .

فأذنّا فيه الإذن العام ، إذ في إصراخِه وإصراخ مَنْ في قُطره من المسلمين توخينا ذلك المرام ، هنالك دعا النصارى إلى السلم فاستجابوا لداعيهِ ، وقد كانوا عَلِمُوا فناء القوات^(٢) ، وما استرابوا الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها [من]^(٣) فرسان ورجال وأهل وبنين ، ولم يُرزؤوا مالأً ولا عُدّه ، ولا لقوا في خروجهم غير النزوع عن أول أرض مسّ الجلدة تراها شدّه ، ووصلوا إلينا فأجزلنا لهم العطاء ، وأسليناهم عما جرى بالحِباء ، فن خيل تزيد على الألف عتاقتها ، وخلع تُربي على عشرة آلاف أطواقها ، وأموالِ عَمَتِ الغنيّ والفقير ، ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير ، وكفى بالله ضَرّ الطواغيت عما عداها ، وما اتقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصمّ صداها^(٤) .

وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر أن قدّم لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر ، وهو المطلّ على هذه المدرة ، والفرصة منه فيها إن شاء الله ميسرة^(٥) ،

(١) ليست في (خ) .

(٢) في الأصل : « الموت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) إشارة إلى قول امرئ القيس :

صمّ صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

(٥) في (أ) ، (خ) : « متيسرة » .

حين يفترق^(١) عقد الكفار ، ويُفرد بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الدار^(٢) فلولاً إجلاهم من كلّ جانب ، وكونهم سدّوا مسلك العبور بما لجمعهم من الأجفان والمراكب ، لما بالينا بأضعافهم ، ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم . ولكن للموانع أحكام ، ولا رادّ لما جرت به الأقلام ، وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد ، وتخيّرنا له ولسائر تلك البلاد [من]^(٣) العدد والعدد ، وعدّنا لحضرتنا « فاس » لتستريح الجيوش من وعثاء السفر ، وتربط الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ، وتكون على أهبة الجهاد وعلى مرّقب الفرصة عند تمكّنها في الأعاد ، وعند عودنا من تلك المحاولة نسيّر الركب الحجاز موجهاً إلى هنالك رواحله ، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب إصدار الودّ^(٤) الخالص والحبّ اللباب ، وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء ، واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ، وما لكم من^(٥) غرض بهذه الأنحاء ، فموقى قصده على أكمل الأهواء موالى تّتميه على أجل الآراء ، والبلاد باتحاد الودّ متّحدة ، والقلوب والأيدي على ما فيه من مرضاة الله تعالى معتضده ، جعل الله ذلك خالصاً لربّ العباد ، مذخوراً ليوم التناد ، مسطوراً في الأعمال الصالحة يوم المعاد بمنّه وفضله ، وهو سبحانه يصل إليكم سعداً تتفاخر به سعود الكواكب ، وتتصفرّ على الاقياد له صدور المواكب ، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب ، والسلام الأتمّ يخصّكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته .

وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبع مئة ، صورة خط أبي الحسن المريني صاحب فارس .

وكتب في التاريخ المؤرخ .

(١) في (خ) : « تفرّق » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « الأقطار » .

(٣) زيادة من « أ » .

(٤) في الأصل : « اللب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وكنْتُ أنا إذ ذاك في القاهرة فَرَسِم لي بكتابة الجواب فكتبته بخطي من إنشائي ،
في سادس شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وسبع مئة بعد البسمة في قطع النصف
بقلم الثلث :

عبد الله ووليّه

صورة العلامة الشريفة

ولده إسماعيل بن محمد .

السلطان الملك الصالح السيّد العالم العادل المؤيّد المجاهد المُشَاغِر المظفر المنصور ،
عماد الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، مُنْصَف
المظلومين من الظالمين ، وارث المُلك ، ملك العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطار ،
واهب الممالك والأمصار ، إسكندر الزمان ، تَمَلَّك أصحاب المنابر والأسيرة والتخوت
والتيجان ، ظلُّ الله في أرضه ، القائم بسُنَّته وفَرَضِهِ ، مالِكُ البحرين ، خادِمُ الحَرَمَيْنِ
الشريفيْن ، سيّدُ الملوك والسلاطين ، جامعُ كلمة الموحّدين ، وليّ أمير المؤمنين ،
أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ،
أبي الفتح محمّد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ،
خَلَّدَ الله سلطانه ، وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه .

يخصّ المقام العالي الملك الأجلّ الكبير المجاهد المؤيّد المرباط المشاغر المعظم المظفر
المعمر الأصعد الأوحّد الأجمد الأنجد السنيّ السريّ ، المنصور أبا الحسن علي ابن أمير
المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أمده الله
بالظفر ، وقرن عزمه بالتأييد في الأصول والبكر ، بسلام وشّت البروق وشائعه ،
وآذخرت الكواكب ودائعه ، واستوعب^(١) الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه ، وثناء
أَتخذ المسك الأذفر طلائعَه ، ونَبّه للتغريد في الروض سواجعه ، وجَلّا في كَأْسِه من
الشفق الأحمر مداماً ومن النجوم فواقيعه .

(١) في (أ) : « واستودع » .

بعد حمد الله على نِعَمٍ أَدَّتْ لَنَا الأمانة في عَوْدِ سلطنة والدنا الموروثه ، وأجلستنا على سرير مملكة زرايئها بين النجوم مبثوثة^(١) ، وأحسنَت بنا الخَلْفَ عن سلفِ عهدِهِ في الأعناق غَيْرَ منكورة ولا منكوثه .

وصلاته على سَيِّدنا مُحَمَّد عبده ورسوله وعلى آلِهِ وصحبه الذين بلغ بجهادهم^(٢) في الكفرة غايةً أمله وسُوْلَهُ ، صلاةً تنحطّ بالرضوان سِيولها ، وتَجَرّ بالغفران ذُيولها ، ماترأسل أصحاب ، وتواصل أحباب وسلامه .

ونوضح لعلمكم^(٣) الكريم ورودَ كتابكم الكريم ، وخطابكم الفائق على الدَّر النظيم ، تفاخر الحمائل سَطوَرَهُ ، ويصنِّع خدود^(٤) الورد بالجلجل منشوره ، وتحكي الرياض اليانعة فالألفات غُصونهِ ، والهُمُزات عليها طيوره ، ويخلع على الآفاق حُللَ الأيام والليالي ، فالطِرس صباحه والنَّقس دِيَجُورُهُ ، لفظه يُطرب ، ومعناه يُعرب فيُعرب ، وبلاغته تدلّ على أَنَّهُ آيةٌ لأنَّ شمسَ بيانها طَلعت مِنَ المَغْرِب .

فاتخذنا سَطوره رِيحانا ، وَرَجَّعْنَا أَلْفاظه أَلحانا ، وَرَجَّعْنَا إلى الجِدِّ فشبَّهنا أَلفاته بظلال الرِّماح ، وَوَرَّقَهُ بِصِقَال الصِّفاح ، وحروفه المعرَّقة بأفواه الجراح ، وسَطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح ، وانتهينا إلى ما أَوْدَعْتوه من اللفظ المسجوع ، والمعنى الذي يُطربُ طائرُهُ المسموع ، والبلاغة التي فَضَحَ المتطبِّع [فيها]^(٥) بيانها المطبوع .

فأمَّا العزاء بأخيكم الوالد ، قدس الله روحه وسقى عَهْدَهُ ، وأحسنَ لسلفه خَلْفنا بَعْدَهُ ، فلنا برسول الله ﷺ أسوةٌ حَسَنَةٌ^(٦) .

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة [الغاشية ١٦/٨٨] : ﴿ وزراي مبثوثة ﴾ .

(٢) في (خ) : « بلغ بهم بجهادهم » .

(٣) في الأصل : « لعلمه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) في (أ) ، (خ) : « خذ » .

(٥) ما بينهما زيادة من (خ) .

(٦) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ ، [الأحزاب : ٢١/٣٣] .

ولولا الوثوق بأنّه في عدّة الشّهداء ما رأى القلب قرارة ولا رأى الطرف وسنّه .
عاش سعيداً يملك الأرض ، ومات شهيداً يفوز بالجنة يومّ العرض ، قد خلّد الله ذكره
يسير مسير الشمس في الآفاق ، ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الأحداق ، وورثنا
منه حسن الإخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمالك .

وأما الهناء بوراثه ملكه ، والانخراط مع الملوك في سلوكه ، فقد شكرنا لكم منحنى
هذه المنحة ، وقابلناها ببناء يعطر النسيم في كل نفحة ، ووقفنا عليها حداً جعل الود
علينا إيراداً ، وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه ، وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكرم
إخائكم الذي لا يبيد طود رسوخه ولا يميل .

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين [اللذين ^(١)] وفقتوها على الحرمين
الشريفين ، وأنكم جهّزتم كاتبكم الفقيه الأجل الأسنى الأسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد
الله بن أبي مدين ، أعزه الله تعالى ، لتفقد أحوالهما والنظر في أوقافهما فقد وصل المذكور
بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا نزلهم ، وسهلنا بالترحيب سبلهم ، وجمعنا على بذل
الإحسان إليهم شملهم ، وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه وسبعنا كلامه وخاطبناه ،
وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ، ورسنا لنوابنا في نواحي أوقافها بما
ذكرتم ، وهذا الوقف المبرور جارٍ على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها ، مرعي
الجوانب ، محمي المنازل والمضارب آمن من إزالة رسمه ، أو إدالة حكمه ، بذره أبداً في
مطالع تيمه ^(٢) ، وزهره دائماً يرّقص في كفه ، لا يزداد إلا تخليداً ، ولا إطلاق ثبوته إلا
تقييداً ولا عنق اجتهداه إلا تقليداً ، جرّياً على عادة أوقاف ممالكنا وقاعدة تصرفنا ^(٣)
في مسالكنا ، وله زيادة الرعايه ، وإفادة الحمايه ، ووفادة العناية .

وأما ما وصفتوه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ، ومني به من الكفار

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « تيمه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « تصرفاتنا » .

حَزَنُهَا وَسَهْلُهَا ، فَإِنَّهُ شَقَّ عَلَيْنَا سَمَاعَهُ الَّذِي أَنْكَى أَهْلَ الْإِيمَانِ وَعَدَّدَ بِهِ ذُنُوبَ الزَّمَانِ كُلِّ قَلْبٍ بِأَنَامِلِ الْخَفَقَانِ ، وَطَالَمَا فَزِمَ بِالظَّفَرِ ، وَرَزَقَمَ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، فَجَرَّ ذَيْلَ الْهَمْزِيَّةِ وَفَرَّ ، وَلَكِنَّ الْحُرُوبَ سَجَالًا ، وَكُلَّ زَمَانٍ لِدَائِهِ دَوْلَةٌ وَلِرَجَائِهِ رَجَالٌ ، وَلَوْ أَمَكُنْتَ الْمُسَاعَدَةَ لَطَارَتْ بِنَا إِلَيْكُمْ عُقْبَانُ الْحِيَادِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَسَالَتْ عَلَى عَدُوِّكُمْ أَبَاطِحُهُمْ بِقَسِينَا الْمَعُوجَةِ وَسَهَامِنَا الْمُقَوِّمَةِ ، وَكَحَلْنَا عَيُونَ النُّجُومِ بِمَرَاوِدِ الرَّمَاكِ ، وَجَعَلْنَا لَيْلَ الْعَجَاجِ مَمْزَقًا بِبُرُوقِ الصَّفَاحِ ، وَاتَّخَذْنَا رُؤُوسَهُمْ لَصَوَالِحِ الْقَوَائِمِ كُرَاتٍ ، وَفَرَجْنَا مَضَائِقَ الْحَرْبِ بِتَوَالِي الْكُرَاتِ ، وَعَظَفْنَا عَلَيْهِمُ الْأَعْنَةَ ، وَخَضْنَا جَدَاوِلَ السِّيُوفِ وَدُسْنَا شُوكَ الْأَسْنَةِ ، وَفَلَقْنَا الصَّخْرَاتِ ^(١) بِالصَّرَخَاتِ ، وَأَسْلَنَّا الْعَرِبَاتِ ^(٢) بِالرَّعِبَاتِ ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْغَايَةُ مِنْ هَذَا الْأَمْدَى الْمُتَطَاوِلِ ، وَأَيْنَ الثَّرِيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ ، وَمَالْنَا غَيْرَ إِمْدَادٍ بِجِيُوشِ الدُّعَاءِ الَّذِي نَرْفَعُهُ نَحْنُ لَهُ وَرَعَايَانَا ، وَالتَّوَجُّهُ الصَّادِقُ الَّذِي تَعْرِفُهُ مَلَائِكَةُ الْقَبُولِ فِي سَجَايَانَا .

وَأَمَّا مَا فَقَدْتُمُوهُ مِنَ الْأَجْفَانِ الَّتِي طَرَقَهَا طَيْفُ التَّلَافِ ^(٣) ، وَأَمَّ حَرَمَ فَنَائِهَا الْفَنَاءُ وَطَافَ بِهِ بَعْدَ الْإِلْطَافِ ، فَقَدْ رَوَّعَ هَذَا الْخَبَرَ قُلُوبَ الْإِسْلَامِ ، وَنَوَّعَ لَهُ الْحَزْنَ عَلَى اخْتِلَافِ الْإِصْبَاحِ وَالْإِظْلَامِ ، وَهَذِهِ الدَّارُ مَا يَخْلُو صَفْوَهَا مِنْ كَدَرِ الْقَدَرِ ، وَطَالَمَا أَنَامَتْ بِالْأَمْنِ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَخَاطَبَتْ بِالْخَطْبِ فِي السَّحَرِ ، وَلَكِنْ فِي بَقَائِكُمْ مِنْ خُطْبِ الْعَطَبِ وَمَعَ سَلَامَةِ نَفْسِكُمُ الْكَرِيمَةِ فَالْأَمْرُ هَيْئًا ، لِأَنَّ الدَّرَّ يُفْدَى بِالذَّهَبِ ، وَأَمَّا مَا رَأَيْتُمُوهُ مِنَ الصَّلَاحِ فَرَأَيْ عَقْدِهِ مُبَارَكًا ، وَعَقْدُهُ ^(٤) مَا فِيهِ فَارِطُ عِزِّكُمْ ، وَإِنْ كَانَ فَيُتَدَارَكُ .

وَالْأَمْرُ يَجِيءُ كَمَا يَجِبُ لَا كَمَا يَحِبُّ ، وَالْحُرُوبُ يَزُورُ نَصْرُهَا تَارَةً وَيَغِيبُ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدًا ، وَقَدْ يَزِدُّ اللَّهُ الرَّدَى ، وَيُعِيدُ الظَّفَرَ بِالْعِدَا .

(١) فِي (خ) : « الصَّخَرِ » .

(٢) فِي (أ) ، (خ) : « الْعَرِبَاتِ » ، وَلَهَا وَجْهٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « التَّلَاقُ » ، تَصْحِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) .

(٤) فِي (أ) ، (خ) : « وَرَأْيُهُ » .

وأما عودكم إلى فاس المحروسة طلباً لإراحة ما عندكم من الجنود ، وتجهيزاً لمن يصل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود ، فهذا أمر ضروري التدبير ، سروري التثبير ، لأن النفوس تملّ ويثير الجهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد ، وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب ، وتعرض عن دوام اللذة ، فكيف بمباشرة المنايا الممّعة ، وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم ، وساق هدى هديته إليكم ، لعله يكون سبباً إلى ارتجاع ما شرد ، وحسماً لهذا الطاغية الذي مرد ، ورداً لهذا النازل الذي قديم ورد الصبر لما ورد ، فعادة الألفاظ الإلهية بكم معروفة ، وعزوماتكم إلى جهات الجهاد مصروفة ، وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق . وجيل يعصم من سهم يمر من قسي الكفار ويمرق .

وأما ما منحتموه من الخيل العتاق والملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الأطواق ، والأموال التي زكت عند الله تعالى ونمت على الإنفاق ، فعلى الله عز وجل خلفها ، ولكم في منازل الدنيا والأخرى شرفها وشرفها ، وإليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها ، وإذا وصل وقدّم الحاج ، وأنار له ^(١) بوجه إقبالنا عليهم ليلهم الداج ، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا ، وشمول إسعافنا لهم وإنعامنا ، يتخولون تحفا أنتم سببها ، ويتناولون طرفاً في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حببها ، وإذا كان أوان الرحيل إلى الحج فسحنا لهم الطريق ، وسهلنا لهم الرفيق ، وبلغناهم بحول الله مناهم من منى ، وسؤلهم ممن إذا زاروا حجرته الشريفة [حازوا] ^(٢) الراحة من العنا ، وفازوا بالغنى ، وإذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ، ويخيّل إليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب ، وغمرناهم بالإحسان في العود إليكم ، وأمرناهم بما ينهونه شفاهاً لديكم ، وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم ، وتوفر لأخذ الشارحاتكم ، وتخصم بتأييد تنزلون روضة الأنضر ، وتجنون به ثمر النصير اليانع من ورق الجديد الأخضر ،

(١) في (أ) : « لهم » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

وَتَتَحَفَّكُم بِسَعْدٍ لَا يَبْلُغُ قَشِيهِ ، وَعَزَّ لَا يَمَحُوشَابَهُ مَشِيْبَهُ ، وَتَحِيَّتُهُ الْمُبَارَكَةُ تَغَادِيكُمْ وَتُزَاوِحَكُمْ ، وَتُنَافِحُكُمْ أَنْفَاسُهَا الْمَعْنَبَةُ ، وَتُنَافِحُكُمْ ، بِمَنْهُ وَكْرَمُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

١١٦٥ - علي بن عبد الله بن رِيَّان*

ابن حنظلة السَيْنَانِي ، بالسِّينِ المهملة [وِيَاءُ آخِرِ الْحُرُوفِ] ^(١) وَنُونٌ بَعْدَهَا أَلِفٌ وَنُونٌ ، نَوْرُ الدِّينِ الْخَضْرَمَوْتِي .

أَخْبَرَنِي الْعَلَمَةُ أَثِيرُ الدِّينِ قَالَ : وَلِدَ الْمَذْكُورَ بِدَمْريْطَ ، بِدَالٍ مَهْمَلَةٍ وَمِيمٍ سَاكِنَةٍ وَرَاءَ مَكْسُورَةٍ وَيَاءٍ آخِرِ الْحُرُوفِ سَاكِنَةٍ وَطَاءٍ مَهْمَلَةٍ ، قَرْيَةً مِنَ الشَّرْقِيَّةِ بِالْأُدْيَارِ الْمَصْرِيَّةِ .

تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِجِهَاتٍ مِنَ الشَّرْقِيَّةِ ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالنَّسَبِ وَمُشَارَكَةٌ فِي الْفَقْهِ . وَحَفِظَ جُمْلَةً مِنَ الْحَدِيثِ ، وَلَهُ أَدَبٌ وَنَظْمٌ عَلَى طَرِيقِ الْعَرَبِ . وَ« سَيْنَانٌ » الصَّحِيحُ أَنَّهَا مِنْ حَمِيرٍ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

لَقِيَ الْفَوَادَ مُذْنَأُوا تَلَهَّبَا	وَصَارَمَتُهُ الْغَيْدُ رَبَّاتُ الْحَبَا
نَارَ أَسَى تَضَرَّمُ فِي أَحْشَائِهِ	تُشَبُّ مِنْ وَقْدِ الْغَرَامِ مَا حَبَا
يَارَاكِبَ الْوَجْنَاءِ مِنْ خُرَاعَةٍ	يُرْقَلْهَا طَوْرًا وَطَوْرًا حَبَا
كَأَنَّهَا إِذَا انْبَرَتْ بَارِقَةٌ	تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَاحِدَا
حَيٍّ - أَثْبَتَ اللَّغْنَ - دَارَ ^(٢) زَيْنَبِ	إِنْ جُزْتُ بِالرَّبْعِ وَحَيٍّ زَيْنَبَا ^(٢)
مَا أَنْصَفَتْ زَيْنَبٌ لَمَّا أَنْ نَأَتْ	وَعَادَرْتَنِي دَنَقًا مَعْدَبَا
أَسَامِرُ النِّجْمِ إِذَا جَنَّ الدُّجَا	شَوْقًا إِلَى غَيْدٍ كَأَمْثَالِ الظُّبَا

* الوافي : ٢١٨/٢١ ، والدرر : ٧٤/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٢) في (أ) ، والوافي : « ربع » .

يُبِضُ حِسَانُ خُرْدٍ كَوَاعِبَ إِذَا رَنُوا عَجْبًا رَأَيْتَ الْعَجَبَا
يُسْفِرْنَ عَنْ مِثْلِ الشَّمْسِ أَوْجَهَا وَيَحْتَلِنُ^(١) الْقَانَتِ الْمَهْدَبَا^(١)
توفي رحمه الله تعالى ...^(٢)

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة^(٣).

١١٦٦ - علي بن عبد الله بن عمر*

نور الدين القصري .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : وَقَعَ المذكور لبعض القضاة . وله نظمٌ ونثرٌ
جَيِّدان^(٤) ، أنشدني له يصف فرساً :

لَمَّا جَرَى شَوْطًا بَعِيدَ الْمَدَى أَلْفَ بَيْنِ الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ
فَاتَ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ ثَمَ انْثَنَى يَهْزَأُ بِالرَّيْحِ وَبِالْبَرْقِ
قلتُ : أنا : اختصره مِنْ قَوْلِ ابْنِ حَجَّاجٍ مِنْ أَيْيَاتِ :

قَالَتْ لَهُ الْبَرْقُ وَقَالَتْ لَهُ الْـ رِيحُ جَمِيعًا وَهَامَاهَا
أَنْتَ تَجْرِي مَعَنَا قَالَا لَا إِنْ شِئْتَ أَضْحَكْتَكَا مِنْكَا
هَذَا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ قَدْ فُتَّهِ إِلَى الْمَدَى سَبَقَا فَمِنْ أَنْتَا

قلت : وأنشدني لنفسه في روضة مصر :

ذَاتُ وَجْهَيْنِ فِيهَا قَسَمُ الْحُسْنِ نُنْ فَاضْطَحَّتْ بِهَا الْقُلُوبُ تَهْمُ

(١) في الأصل : « ويحتلين » ، وفي الوافي : « يحتلين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) كذا في الأصول ، ولم يذكر صاحب الدرر سنة وفاته .

(٣) في الدرر : (سنة ٦٦٤) .

* لم تقف على ترجمة له .

(٤) في الأصل : « نظمٌ ونثران » سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

ذَا يَلِي مَضَرَ فَهُوَ مِضَرٌ وَهَذَا يَتَوَلَّى وَسِمَ فَهُوَ وَسِيمٌ
 قَدْ أَعَادَتْ عَصَرَ التَّصَايِ صِبَاهَا وَأَبَادَتْ فِيهَا الْغُومَ الْغُومَ
 قال الشيخ أثير الدين وزدت أنا بيتاً وهو :

فَبَلِّغِ الْبَحَّارَ يَسْبَحُ نُونٌ وَبَفِجِّ الْفِجَّارَ يَسْنَحُ رِيمٌ
 ومن نثره : « جفنٌ علّمه الغرامُ كيف يَكِفُ ، ودُمعٌ أبى حين وقف بالربع أن يَقِفَ » انتهى .

وقال كمال الدين الأذقوي : وكان فيه مروءة ومكرمة .

أخبرني بكتوت مؤلى قاضي القضاة معز الدين الحنفي : أن ابن الكيلج تحدّث له مع مولاه في العدالة ورسم بكتابة أسجال^(١) . قال بكتوت : فاستأذنته في أن يكتبه ابن القصري ، وأعطاني ابن الكيلج أربعة دنانير للكتاب ، فركبت وتوجّهت إليه ، ووضعت الدنانير بين يديه ، فقام وفتح صندوقه ، فأخرج منه ورقاً وكتبَ الأسجال ، وأخرج من عنده دينارين وأضافهما إلى الأربعة ، وقال : هؤلاء ضيافتك لدخولك إلى منزلي .

وتوفي نور الدين بالقاهرة سنة ست أو سبع وتسعين وست مئة .

١١٦٧ - علي بن عبد الله بن عمر*

ابن أبي القاسم البغدادي الحنبلي ، أخو الإمام رشيد الدين ، وهو الشيخ زين الدين أبو الحسن .

أجاز له ابن العلقم^(٢) وجماعة . وسمع من فضل الله الجيلي ثلاثة أجزاء

(١) الأسجال : هي الكتابة أو التسجيل .

* الوافي : ٢٢١/٢١ ، والدرر : ٧٥/٣ .

(٢) أبو نصر الأعز بن فضائل البغدادي (ت ٦٤٩ هـ) ، الشذرات : ٢٤٤/٥ .

أبي الأحوص^(١). ومن عليّ بن محمد بن خطّاب بن الخيمي (جزء) التراجم للنجاد^(٢) ،
ومن ابن تيمية أحكامه ، ومن محيي الدين بن الجوزي^(٣) كثيراً من تواليف أبيه .
وتفرّد في وقته ، وكتب في الإجازات ، لكنّه كان عامياً ، يتهاون في الدين ،
وكان أخوه يزجر عن السماع منه .

قال السراج القزويني : تركته لما فيه ممّا لا يليق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١١٦٨ - علي بن عبد الله بن أبي الحسن *

ابن أبي بكر الإمام ، العلامة ، المُفَتّن ، المفتي ، المتكلّم ، تاج الدين ، الأردبيلي
المولد ، التبريزي الدار ، الشافعي ، الصوفي . قال : سمعت من (جامع [الأصول]^(٤)
على القطب الشيرازي^(٥) ، وبعض (الوسيط) على شمس الدين بن المؤذن . وأخذت
النحو والفقه عن ركن الدين الحديثي^(٦) . وعلم البيان عن النظام الطوسي ، والحكمة
والمنطق عن السيّد برهان الدين عبّيد الله ، و (شَرَحَ الحاجيّة) عن السيّد
ركن الدين^(٧) المؤلف ، وأجازني شمس الدين العبّيدي^(٨) ، وعِلِمَ الخلاف عن
علاء الدين النعمان الخوارزمي ، وإقليدس وأوطاوقس وبادوسيوس ، والحساب والهيئة

(١) محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي (ت ٢٧٩ هـ) ، الأعلام : ١٣٢٧ .

(٢) أحمد بن سلمان بن الحسن (ت ٣٤٨ هـ) ، السير : ٥٠٢/١٥ .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن (ت ٦٥٦ هـ) ، الشنرات : ٢٨٦/٥ .

* الوافي : ٢١٨/٢١ ، وفيات ابن رافع : ٢٢٧/١ ، والدرر : ٧٢/٣ ، والشنرات : ١٤٨/٦ ، والبغية :

١٧١/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٤٥/٨ ، وتذكرة النبيه : ٨٩/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٥) محمود بن مسعود بن مُصلح (ت ٧١٠ هـ) ، وستأني ترجمته في موضعها .

(٦) هو الحسن بن محمد العلوي ، توفي بالموصل سنة (٧١٥ هـ) ، الكشف : ٣٧٧/٢ .

(٧) الأسترباذي ، حسن بن محمد ، وقد سلفت ترجمته .

(٨) عبد الكافي العبّيدي (ت ٧٠٧ هـ) ، ذيل العبر : ٣٩ .

عن فيلسوف الوقت كمال الدين حسن الشيرازي الأصبهاني ، و (الوجيز)^(١) في الفقه عن شيخ الزمان ، حمزة الأردبيلي^(٢) ، وعلم الجبر والمقابلة والمساحة والفرائض عن الصلاح موسى ، و (شرح السنة) و (المصاييح) عن فخر الدين جبار الله الجندَراني والبستي تاج الدين الملقَّب بالشيخ الزاهد عن الشيخ شمس الدين التبريزي عن الركن السجاسي^(٣) عن القطب الأبهري عن أبي النجيب السهروردي^(٤) عن أحمد الغزالي عن أبي [بكر] النيسابوري عن محمد النَّساج عن الشُّبلي [عن الجنيد]^(٥) .

وأدركت كمال الدين أحمد بن عَرَبشاه بأردبيل ، دَعَا لي ، ولَقِّنني الذكر عن أُوحد الدين الكرمانی ، وأدرکت شيخاً كبيراً أجاز لي ، أدرك الفخر الرازي . وأدرکت ناصر الدين البيضاوي ، وما أخذت عنه شيئاً ، وجالست ابن المطهر الحلي ، وما أخذت عنه لتشيّعه .

واشتغلت وأنا ابن عشرين إلى تسع وعشرين سَنَةً ، وأُفْتُتُ ولي ثلاثون سنة ، ووُلِّيت الخاقناه والتدريس وأنا ابن ثلاث وثلاثين ، وخرَّجت إلى بغداد بعد ست عشرة^(٦) وسبع مئة ، وأتيت المشهد والحلة والسلطانية ومراغة ، وحججت ، ثم دخلت مصر سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : هو عالم كبير شهير ، كثير التلامذة ، حسن الصيانة ، من مشايخ الصوفية ، كاتب ي غير مرّة ، وحصل نسخة بالميزان^(٧) ، وذكرني في تواليفه .

(١) في الوافي : « الوجيه » ، تحريف .

(٢) في (أ) : « سراج الدين حمزة ... » ، وفي الوافي : « تاج الدين حمزة » .

(٣) في الوافي : السجاسي .

(٤) عبد القاهر بن عبد الله بن محمد (ت ٥٦٣ هـ) ، السير : ٤٧٥/٢٠ .

(٥) الزيادة من الوافي .

(٦) في الوافي : « بعد سنة عشر » ، تحريف .

(٧) ميزان الاعتدال ، للذهبي .

وقال الشيخ تقي الدين بن رافع : قَدِمَ فسمع^(١) علي بن عمر الواني ، ويونس الدبايسي ويوسف الحُتّي ، وابن جماعة . وكتب الطباقي ، وحصل جملة من الكتب الحديثية ، وشغل في فنون ودرّس بالطرنطائية^(٢) ، وناظر ، وكثرت طلبته . وصنّف في التفسير والحديث والأصول ، وأقرأ (الحاوي) كلّه في نصف شهر ، رواه عن شرف الدين علي بن عثمان العتقي^(٣) عن مصنّفه ، انتهى .

قلت : كان الشيخ تاج الدين من أفراد زمانه ، وأنجابه عصره وأنجاده أوانه ، بحراً يتوّج علومه ، وحبراً يتأرجح طيباً بالفوائد مستديماً .

أخذ عنه جماعة وانتفعوا وترقّوا من حضيض الجهل وارتفعوا ، وأقرأ الناس المنقول والمعقول ، وتفرّد بفنونه ، فلو شاء لم يدع قائلاً يقول ، وحضرت دروسه للطلبة ، وسمعت عبارته إلا أنها في عجمتها تُورّد من الدرّ مخشّبه^(٤) ، واعترف المشايخ بفضلته ، وأصاب الأغراض والشواكل^(٥) بنبال نبّله .

ولم يزل بمصر على حاله إلى أن سكنت تلك العبارات ، وبطلت تلك الإشارات .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وتوجّهت إليه يوماً ، وهو بالمدرسة الطرنطائية ، ومعني كتاب (كشف الحقائق) لأثير الدين الأبهري^(٦) ، وطلبت الاشتغال فيه عليه فقال : ما عندي عليه

(١) في وفيات ابن رافع : « فسمع من » .

(٢) هي مدرسة حسام الدين طرنطاي ، كما في الدرر .

(٣) في الوافي : « العتقي » ، وفي الدرر : « العفيفي » .

(٤) كذا ، ولم تقف على مراده .

(٥) هي الطرق المنتشعة عن الطريق الأعظم .

(٦) (ت ٦٦٣ هـ) ، الكشف ١٤٨٩/٢ .

شرح ، وكلامه عَقِدَ ، وفارقتَه ، وسمعت ^(١) غير واحد من المصريين أَنَّهُ أقرأ (الحايي) من أوله إلى آخره في شهر واحد تسع مرات .

وكان يشغل في هذه العلوم التي ذكرها كلها ، وعلى الجملة ، فكان في عصره عديم النظر .

وقلت أنا فيه لما مات رحمه الله تعالى :

يقول تاجُ الدين لَمَّا قَضَى من ذا رأى مثلي بَثْرِيْـزِ
وأهل مصر بَاتَ إِجْمَاعُهُمْ يَقْضِي على الكلِّ بَثْرِيْـزِ

١١٦٩ - علي بن عبد الله بن عَبْدُ القوي*

ابن الحسن بن أبي المجد بن ناجي بن سليمان المدلجي ، الشافعي ، المعروف بالعصلوحي .

كان فقيهاً مدرّساً بمصر ، روى كتاب (الشهاب) للقضاعي ^(٢) عن الحافظ رشيد الدين العطار القرشي ^(٣) ، وسمع منه أمين الدين الواني وغيره . وناب في الحكم عن ابن دقيق العيد بمصر .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة ست وأربعين وست مئة .

(١) في (أ) : « وسمعت من » .

* الدرر : ٧٥/٣ .

(٢) في الأصل : « الشهادة للقضاعي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، واسم الكتاب : (شهاب الأخبار) ، ألّفه القاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ هـ) ، الوافي : ١١٦/٣ ، والكشف : ١٠٦٧/٢ .

(٣) محمد بن يحيى بن علي القرشي (ت ٦٨٦ هـ) ، الشذرات : ٣٩٩/٥ .

وكان يُنعت بالقاضي جلال الدين بن ^(١) أبي الحسن .

١١٧٠ - علي بن عبد الله بن مالك*

الشيخ الصالح الإمام الفاضل نور الدين أبو الحسن الدمديطي ، بضم الدال المهملة الأولى وبعدها ميم ساكنة ودال ثانية مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة وطاء مهملة ^(٢) ، الشافعي .

كان يُعرف قطعة صالحة من أنساب العرب ، ويذاكر بذلك ، وله شعر .
وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ، ودفن بمقابر الصوفيّة خارج باب النصر في آخر
صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١١٧١ - علي بن عبد الحميد بن محمد بن وفاء**

الفقيه الفاضل ، علاء الدين بن التراكيشي ، الحنبليّ .
كان من أعيان الحنابلة ، فاضلاً نبياً نبيلاً ، يبحث وينظر ويجادل .
توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في سابع عشرين شوال سنة تسع وسبع مئة ، ودفن
خارج باب النصر ، وكان قد سمع (جزء ابن عرفة) على ابن أبي الخير ^(٣) .

١١٧٢ - عليّ بن عبد الرحمن بن عبد المنعم***

ابن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي ، فخر الدين ، مفتي نابلس .

(١) ليست في (أ) .

* الدرر : ٧٥/٣ .

(٢) وفي الدرر : « الدمياطي » .

** الدرر : ٥٨/٣ .

(٣) أحمد بن أبي الخير سلافة بن إبراهيم الدمشقي (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣١٩/٥ .

*** الوافي : ٢٣١/٢١ ، والدرر : ٥٩/٣ ، والشذرات : ٥/٦ .

كان من العلماء الأتقياء ، أفق نَحْواً من أربعين سَنَةً ، وارتحل ، وسمع من ابن الجُمَيْزِي ، وسبط السَّلْفِي ، وابن رواج ، ومحيي الدين بن الجوزي .
وكتب شيخنا الذهبي عنه ، وهو والد عماد الدين مفقي نابلس .
وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل المحرم سنة اثنتين وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاثين وست مئة بنابلس .

واجتمع خلق كثير في جنازته ، وحضر أهل القرى من البرّ ، وكان شيخاً صالحاً ، كثير التواضع ، محبباً إلى الناس .

١١٧٣ - علي بن عبد الرحمن *

القاضي نور الدين بن الْمُغَيْرِل ، الحموي ، الكاتب .

كان بحجة له وجاهه ، وعنده أُبُوَّةٌ ونَزَاهَةٌ ، وَحَظِيٌّ عند المنصور بحماه ، ولأذ القاصدون لها بحماه ، وكتب الدَّرَجُ^(١) للمنصور ، وأصبح وممدودُ جاهِه عليه مَقْصُور^(٢) . وَبَعْدَهُ توجه إلى طرابلس صحبة أسدَمَر النَّائِب ، فلم تطل مُدَّتُهُ ، وحلّت به النوائب ففارق مَغْنَى العيش ، ولم يُغْنِ عَنْهُ ثباتٌ ولا طيش .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبع مئة . وهو من نسل بنات شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري .

حضر إلى دمشق أول سنة إحدى وسبع مئة ، وتوجه مع نائبها الأمير سيف الدين

* الوافي : ٢٣٢/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٣ ، والدرر : ٥٨/٣ .

(١) كتاب الدرج : هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٢٨٠) .

(٢) في الأصل : « منصور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

استُدمر كاتب دَرْج ، وتقدّم عنده ، وحظي لديه ، وأقام من بعض صَفَر إلى جمادى الآخرة ، وتوفي . وكان قد رَتَّبَه عِوض ابن رواحة^(١) ، فأعيدَ لموته ابنُ رواحة إلى مكانه .

١١٧٤ - عليّ بن عبد الرحمن بن أبي بكر الواني*

الأمير علاء الدين ، مقدّم البريديّة بدمشق المعروف بابن الفراء .

كان حظيّاً عند الأمير سيف الدين تنكز ، يسوق في المهمّات ، ويجهّزه إلى باب السلطان في المُعْضَلات ، إلا أنّه كان يَنْبَسِط معه بالفعل المؤذي والقول الفاحش ، وتارة يُدنيه كالحبوب ، وتارة يبعده كالوارش^(٢) .

أعطاه السلطان الملك الناصر طبلخاناه وحَضَرَ بها ، فأنكر ذلك عليه ، وحَبَسَهُ مرّة بسببها .

ولم يزل يقع [معه]^(٣) ويقوم ، ويسفّ تارة ويَحُوم إلى أن أُسِكَ فخلص ، وزاد من قَرَحِه ما كان تَقْصَ ، وأقام بعده مدّة إلى أن عَقِرَ سمعه ، وطفئ من الحياة شَمْعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة . في طاعون دمشق ، وولده شهاب الدين أحمد ، ولما مات كان أمير عشرة لا غير .

١١٧٥ - عليّ بن عبد الرحيم**

كال الدين بن الأثير الأرمني .

(١) نور الدين أحمد بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته .

* الدرر : ٦٠/٣٠ .

(٢) الوارش : من يتطفّل على طعام غيره .

(٣) زيادة من (أ) .

** الوافي : ٢٣٢/٢١ ، والطالع السعيد : ٢٨٩ ، والدرر : ٦١/٣ .

كان فقيهاً شافعيًا ، قاضياً بليغاً لا تجدُ فيه عيباً ، من بيت أصالة في الصَّعيد ،
ورئاسةٍ ذكَّرها باقي لا يبين ولا يبيد ، وكان أبوه حاكماً بأعمال قوص ، واسم سؤدده فيها
صحيحٌ غير منقوص .

وكان هذا كمال الدين قد تولى قضاء الشرقيَّة وأحاديثُ سيرته فيها نقيَّة ، وتولى
قضاء أشموم الرِّمان ، وذكره فيها باقٍ على مرِّ الزمان .

ولم يزل إلى أن طوَّحت به الطوائح ، وقامت عليه النوائح وتوفي رحمه الله تعالى
سنة ست وسبع مئة بمصر .

قال الفاضل كمال الدين الأذفوي : أخبرني القاضي أبو الطاهر إسماعيل بن
موسى بن عبد الخالق السَّفطي قاضي قوص قال : كان الشيخ تقي الدين بن دقيق
العيد قد عَزَلَ نفسه ، ثم أُعيد إلى القضاء فولَّني بُلْبُيس ، وقال لا تُعَلِّم أَحَدًا ، وتوجَّه
إليها عَجلاً ، فتوجهت ثاني يوم الولاية إليها ولم يشعر أحد ، فلما جلست للقضاء بَلَغَ
الكمال الأرمَني ، وكان قاضياً بها^(١) ، فأرسل إلى أصحاب الشيخ يسألهم ، فسألوا الشيخَ
هل عَزَلَه ، فقال : ما عزلته ، فكتبوا إليه فأخذ في الحديث في الحكم ، فلما بلغ الشيخ ،
قال : أنا ما عزلته وإنما انعزل بعزلي ولمْ أَوَّلَه .

١١٧٦ - عليّ بن عبد الرحيم بن مرَاجل*

الصَّدر علاء الدين الحَمَوي الأصل الكاتب .

كان والدُه شهاب الدين عبد الرحيم يَتَصَرَّف في جهات الديوان بحلب ودمشق .
وكان علاء الدين له إلمامٌ بالأدب ، وله فيه تحصيلٌ وطَلَب .

(١) زاد في الطالغ : « فلم يصدق » .

* الوافي : ٢٣٤/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٠٨ ، والدرر : ٦٠/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٦٢/١ ، وعقد
الجمان ٣٢٩/٤ .

وكان يَنْظُمُ وَيُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْظُمُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِلشَّرِّ يَتَسَرَّعُ ، وَيَقْلُدُ الْجَهْلَ فِي أُمُورِهِ وَلَا يَتَشَرَّعُ .

وَلَمْ يَزَلْ يُغَيِّرُ وَيَنْجِدُ فِي الْبِلَادِ ، وَيَتَقَلَّبُ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْعِبَادِ ، إِلَى أَنْ غَلَّتْ مَرَاجِلُ الْمَنِيَّةِ لَابِنِ مَرَاجِلُ ، وَعَجَّلَ أَجْلُهُ الْآجِلُ .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِدَمَشْقَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ .

وَكَانَ قَدْ بَاشَرَ عِدَّةَ جِهَاتٍ مِنْ مِشَارِفَةٍ وَنَظَرَ ، وَبَاشَرَ آخِرًا اسْتِيفَاءَ النَّظَرِ بِدَمَشْقَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ السَّبْعِ مِئَةٍ ، وَتَأَخَّرَ مَقَامُهُ بِهَا شَهْرًا^(١) فَقَالَ :

أَقُولُ فِي مِصْرَ إِذْ طَالَ الْمَقَامُ بِهَا	وَسَاءَ مِنْ سُوءٍ مَلَقَى أَهْلَهَا خُلِقِي ^(٢)
يَا أَهْلَ مِصْرَ أَجِيبُوا فِي السُّؤَالِ عَنِّي	يُسْكِنُ اللَّهُ مَا أَلْقَى مِنَ الْقَلْقِ ^(٣)
هَلْ فِيكُمْ مَنْ يُرْجَى لِلنَّوَالِ وَمَنْ	يَلْقَى لَوْفِدٍ بَوَاجِهِ ضَاحِكٍ طَلِقٍ
أَمْ عِنْدَكُمْ لَغَرِيبٍ فِي دِيَارِكُمْ	بَقِيَّةٌ مِنْ نَدَى أَوْ عَارِضٍ غَدِيقٍ ^(٤)
فَقِيلَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ نَعْرِفُهُ	وَإِنَّا سَفُنْنَا تَجْرِي عَلَى الْمَلَقِ ^(٥)

فَبَلَغَ ذَلِكَ الصَّاحِبَ تَاجَ الدِّينِ بْنِ حَنَّا ، فَأَرْسَلَ طَلَبَهَا مِنْهُ ، فَزَادَ فِيهَا عِلَاءَ الدِّينِ بْنِ مَرَاجِلَ :

لَكِنْ رَأَيْتُ بِهَا مَوْلَى خَلَاتُقِهِ	أَعَاذَهَا اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ
السَّيِّدُ الصَّاحِبُ الْمَوْلَى الْوَزِيرُ وَمَنْ	فَاقَ الْوَرَى كُلَّهُمْ بِالْخَلْقِ وَالْخَلْقِ
تَاجُ الْأَعْمَالِي وَتَاجُ الدِّينِ قَدْ جُمِعَتْ	فِيهِ الْمَكَارِمُ تَأْتِي مِنْهُ فِي نَسَقِ

(١) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « وَقَالَ وَهُوَ بِمِصْرَ لَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِ مِئَةٍ » .

(٢) فِي الْعَقْدِ : « سُوءُ خَلْقِي .. » . تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْعَقْدِ : « أَجِيبُونِي السُّؤَالَ ... مَا أَلْقَاهُ مِنْ قَلْقِي » .

(٤) فِي الْعَقْدِ : « مِنْ يَدٍ » .

(٥) فِي الْعَقْدِ : « فَقِيلَ لِي ذَلِكَ مِمَّا وَإِنَّا سَقُنَا فِيهَا عَلَى » . وَفِي الْوَاقِفِ وَالتَّالِي : « سَقِينَا يَجْرِي » .

سِتْرٌ^(١) على أهل مصر لم يزل أبداً مُغَطَّيًّا منهم للوَيْل والْحَمَق^(١)
فَالنَّيْل مِنْ جُود كفيه يفيض بها كَالسَّيْلِ لكنه يُنْجِي من الغرق^(٢)
فلما وقف عليها أَرْسَلَ له شيئاً له صُورَه .

١١٧٧ - علي بن عبد العزيز*

الخطيب الكبير عماد الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين بن السُّكْرِي .

كان فيه وجهة وصداقه ، وحِشْمَةٌ ترشَّحه^(٣) للوزاره . جُهِّزَ إلى التتر رسولاً وَبَلَغَ
برسالته مَآرَبَ وَسُولا ، وأحسن السفارة فيما توجَّه فيه ، ورغب أولئك القوم في تلافٍ
مَنْ عَانَدَه وتَلَاْفِيه ، وعاد إلى القاهره ، وصارت له بذلك ترجمة نادره .

ولم يزل على حاله إلى أن قالَ له داعي المَوْتِ حَيْهَلُ ، ونَهَلَ من حوض المنايا مَعَ
مَنْ نَهَلَ .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر صفر في السادس والعشرين منه سَحَرِ يوم الجمعة
سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده خامس عشري المُحَرَّم سنة خمس وثلاثين^(٤) وست مئة .

وكان يُدْرَسُ بمشهد الحسين بالقاهرة ، وبمدرسة منازل العزِّ بمصر . وكان خطيباً
بالجامع الحاكمي ، وولي إمامة مشهد السيدة نفيسة والنظر على أوقافه . وكان مشهوراً
بين رؤساء الديار المصرية ، وعنده عقلٌ وافر وديانة .

(١) في (أ) والوافي والتالي : « سترأ » ، وفي الأخيرتين : « اللوم » .

(٢) في الأصل : « فيض » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي . وفي التالي : « من فيض كفيه يجود بها » .

* الوافي : ٢٤٨/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٦ ، والدرر : ٦٢/٣ ، والشذرات : ٣٢/٦ .

(٣) في الأصل : « توشحه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) في (أ) : « ثمان وثمانين » ، وفي الدرر : « ثمان وثلاثين » .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن جَدِّه لأمه الشيخ بهاء الدين [بن]^(١) الجُمَيْرِي ، وَحَدَّثَ بالقاهرة وبدمشق ، وأظنَّه كان مفتي دار العدل .

١١٧٨ - علي بن عبد الغني*

الفقيه الْمُعَمَّر العَدْل علاء الدين بن تيمَّة ابن خطيب حران ومفتيها ، الشيخ مجد الدين .

كان هذا علاء الدين شروطياً بمصر .

روى عن الموفق عبد اللطيف وابن رُوْزْبِه ، وكان شاهداً عاقلاً عاقداً^(٢) مرضياً .

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده بجران سنة تسع عشرة وست مئة . حَمَلَ عنه المصريون .

١١٧٩ - علي بن عبد الكافي**

ابن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عَمْر بن عثمان بن علي بن مِسْوَار بن سَوَّار بن سَلِيم : الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع البارع ، العلامة شيخ الإسلام ، حَبْر الأُمَّة ، مفتي الفِرْق ، الْمُقَرَّر ، المحدث ، الرَّحْلَة ، الْمُفَسِّر ، الفقيه ، الْأَصُولِي ، البليغ ، الْأَدِيب ، المنطقي ، الْجَدَلِي ، النظَّار ،

(١) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٢٥١/٢١ ، والدرر : ٦٣/٣ .

(٢) في الوافي : « عاقلاً عدلاً » .

** الوافي : ٢٥٢/٢١ ، والبداية والنهاية : ٢٥٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، وغاية النهاية :

٥٥١/١ ، والدرر : ٦٣/٣ ، والنجوم : ٣١٨/١٠ ، والبغية : ١٧٦/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٢١/١ ،

والدارس : ١٠٠/١ ، والشذرات : ١٨٠/٦ .

جامع الفنون ، علامة الزمان ، قاضي القضاة أُوحد المجتهدين تقيّ الدين أبو الحسن الأنصاري الحزرجي السُّبكي^(١) الشافعي الأشعري .

يَسْعِدْ هَذَا الشَّافِعِيَّ الَّذِي بَلَغَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِضَاهُ
يَكْفِيهِ يَوْمَ الْحَشْرِ أَنْ عُدَّ فِي أَصْحَابِهِ السُّبْكِيُّ قَاضِي الْقَضَاةِ

أَمَّا التفسيرُ فِيا إمساك ابن عطية^(٢) ، ووقوع الرازي^(٣) معه في رزية .

وَأَمَّا الْقَرَاءَاتُ فِيا بُعْدَ الدَّانِي ، وَبُخْلَ السَّخَاوِي يَاتِقَانِ السَّعِ الثَّانِي .

وَأَمَّا الْحَدِيثُ فِيا هَزِيمَةِ ابْنِ عَسَاكِر ، وَعَيَّ الْخَطِيبُ^(٤) لَمَّا أَنْ يَذَاكِر .

وَأَمَّا الْأَصُولُ فِيا كِلَالَ حَدِّ السِّيفِ^(٥) ، وَعَظْمَةُ فَخْرِ الدِّينِ كَيْفَ تَحْيِفُهَا الْحَيْفُ .

وَأَمَّا الْفَقْهُ فِيا وَقُوعِ الْجُؤِينِي فِي أَوَّلِ مَهْلِكٍ مِنْ (نَهَايَةِ الْمُطْلَبِ) ، وَجَرَّ الرَّافِعِي^(٦) إِلَى الْكُشْرِ بَعْدَ انْتِصَابِ عِلْمِهِ الْمُذْهَبُ فِي الْمَذْهَبِ .

وَأَمَّا الْمُنْطَقُ فِيا إِدْبَارِ دَبِيرَانِ^(٧) وَقَدَى عَيْنُهُ ، وَانْبِهَارِ^(٨) الْأَبْهَرِيِّ وَغَطَاءِ كَشْفِهِ ،
بِمِئْنِهِ .

(١) نسبة إلى موطنه « سُبْكُ الْعَبِيد » كما في الدرر .

(٢) واسم كتابه في التفسير : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » . طبع معظمه .

(٣) يريد الفخر الرازي ، واسم تفسيره « مفاتيح الغيب » .

(٤) يعني الخطيب البغدادي .

(٥) هو السيف الأمدي .

(٦) عبد الكريم بن محمد أبو القاسم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) : أعلام الزركلي : ٥٥/٤ .

(٧) هو علي بن عمر بن علي الكاتبي القزويني ، يقال له : دبيران . (ت ٦٧٥ هـ) . أعلام الزركلي :

٣١٥/٤ .

(٨) في (أ) : « وابتهار » .

وأما الخلاف فيا نَسَفَ جِبَالَ النَّسْفِي ، وعمى العميدي ، فإنَّ إرشاده ^(١) خفي .
وأما النحو فالفارسي تَرَجَّلَ له يطلبُ إعظامه ، والزَّجَاجِي تكسَّرَ جَمْعُهُ ومَا فاز
بالسَّلامه .

وأما اللغة فالجوهري ما (لصاحبه) قيّه ، والأزهري أظلمت لِيَالِيهِ الْبَهِيّه .
وأما الأدبُ فصاحبُ (الذَّخِيْرَة) استعطى ، وواضعُ (الْيَتِيْمَة) تركها ، وذهب
إلى أهله يَتَمَطَّى ^(٢) .

وأما الحِفْظُ فما سَدَّ السَّلْفِي خَلَّةَ ثَغْرِهِ ، وكَسَّرَ قَلْبُ الْجُوزِي لَمَّا أَكَلَ الْحُزْنَ لَبَّةً
وخرج من قِشْرِهِ .

هذا إلى إتيان فنون يطولُ سرُّدُها ، ويشهد الامتحان أنَّه في المجموع قرَدَها ،
واطلاع على مَعَارِفَ آخَر ، وفوائد ^(٣) متى تكلم فيها قُلْتُ بِحَرِّ زَخَر ^(٤) ، وإذا مشى
الناس في رِقْرَاقِ عِلْمٍ كان هو خائضَ اللَّجَّة . وإذا خَبَطَ الْأَنَامُ عَشَوَاءَ سَارِهُو في بِيَاضِ
الْمِحَجَّة ^(٥) .

وأما الأخلاق فقلَّ أَنْ رَأَيْتَهَا في غيره ^(٦) مجموعه ، أو وَجِدَ في أَكْيَاسِ النَّاسِ دِينَارٍ
على سَكَّتِهَا المطبوعه ؛ فمِ بَسَام ، ووجهٌ بين الجمال والجلال قَسَام ، وَخُلِقَ كَأَنَّهُ نَفْسُ

(١) يعني الإرشاد في علم الخلاف والجدل لمصنّفه ركن الدين أبي حامد محمد بن محمد العميدي (ت ٥١٥ هـ) ، الكشف : ٦٩/١ .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾ ، القيامة : ٣٣/٧٥ .

(٣) في (خ) : « وفوائد » .

(٤) في الأصل : « زاهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « المحبة » ، تحريف .

(٦) في الأصل : « غير » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وعبارة (أ) : « في أصله مجموعة » .

السَّحَرِ عَلَى الزَّهْرِ نَسَام^(١) ، وَكَفَّ تَخَجَّلَ الْغَيْوُثُ مِنْ سَاجِهَا ، وَتَشْهَدُ الْبَرَامِكَةُ أَنَّ
نَفْسَ حَاتِمٍ فِي تَقَشُّ خَائِفَهَا ، وَحِلْمٌ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْأَخْفُفُ^(٢) ، وَلَا يُرَى الْمَأْمُونُ مَعَهُ إِلَّا
خَائِفًا عِنْدَ مَنْ رَوَى أَوْ صَنَّفَ ، وَلَا يُوَجَّدُ لَهُ فِيهِ نَظِيرٌ وَلَا فِي غَرَائِبِ أَبِي مُحَنَفٍ^(٣) ،
وَلَا يَحْمِلُ حِلْمَهُ جَبَلٌ ، فَإِنَّهُ جَاءَ بِالْكَيْلِ الْمَكْنُفِ^(٤) .

لَمْ أَرَهُ انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا شَمَتَ بَعْدَ وَهْزِمَ بَعْدَ النُّصْرَةِ ، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ
عَنْ أَجْرَمٍ ، وَيَتَأَلَّمُ لِمَنْ أَوْقَدَ الدَّهْرَ نَارَ حَرْبِهِ وَأَضْرَمَ ، وَرِعَايَةً وَدًّا لِمُصَاحِبِهِ الَّذِي قَدَّمَ
عَهْدَهُ ، وَتَذَكَّرَ لِحَاسِنِهِ الَّتِي كَادَ يَمْحُوهَا بَعْدَهُ ، وَطَهَارَةً لِسَانٍ لَمْ يُسَمَّعْ مِنْهُ فِي غَيْبَةِ بِنْتِ
شَقَّةٍ ، وَلَا تَسْفَ طَيُورُ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُ عَلَى سَفَةٍ . وَزَهْدٌ فِي الدُّنْيَا وَأَقْلَامُهُ تَتَصَرَّفُ فِي
الْأَقْوَالِ ، وَتَفْضُهَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَالْجَمْعِ وَالْأَشْهُرِ وَالْأَحْوَالِ ، وَاطَّرَاحَ لِلْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ ،
وَعَزُوفٍ عَنْ كُلِّ لَذَةٍ ، وَإِعْرَاضٍ عَنْ أَغْرَاضِ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ النُّفُوسَ إِلَيْهَا
مُعْذَةً .

وَهَذَا مَا رَأَاهُ عِيَانِي ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ جَنَانِي ، وَأَمَّا مَا وَصَفَ لِي مِنْ قِيَامِ الدَّجَى ،
وَالْوُقُوفِ فِي مَوْقِفٍ^(٥) الْخَوْفِ وَالرَّجَا ، فَأَمْرٌ أَجْزَمُ بِصِدْقِهِ ، وَأَشْهَدُ بِحَقِّهِ ، فَإِنَّ هَذَا
الظَّاهِرَ لَا يَكُونُ لَهُ بَاطِنٌ غَيْرُ هَذَا ، وَلَا يُرَى غَيْرُهُ حَتَّى الْمَعَادَ مَعَاذًا :

عَمَلُ الزَّمَانِ حِسَابٌ كُلُّ فَضِيلَةٍ بِجَمَاعَةٍ كَانَتْ لَتِلْكَ مُحَرَّكَه^(٦)
فَرَاهِمُ مُتَفَرِّقِينَ عَلَى الْمَلْـِـدَى فِي كُلِّ فَنٍّ وَاحِدًا قَدْ أَدْرَكَهُ
فَأَتَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ فَأَتَى بِمَا جَاءُوا بِهِ جَمْعًا فَكَانَ الْفَذْلُكَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ وَ (خ) : « نَسَام » ، تَصْحِيفٌ ، وَثَبَتْنَا مَا فِي (أ) .

(٢) الْأَخْفُفُ بِنِ قَيْسٍ ، مَشْهُورٌ بِحِلْمِهِ .

(٣) لُوطُ بْنُ يَحْيَى الْكُوفِيُّ ، رَاوِيَةٌ عَالِمٌ بِالسَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ . الْأَعْلَامُ : ٢٤٥/٥ ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ : « خَفِيفٌ » ،
تَصْحِيفٌ .

(٤) أَيُّ : الْمَتَلَى .

(٥) فِي (أ) ، (خ) : « مَقَامٌ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « حَمَلُ الزَّمَانِ » ، وَثَبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) وَالْوَاقِفِي .

وتصانيفه تشهدُ لي بما ادَّعيت ، وتؤيِّد ما أوتيتُ به وروَّيت ، فدونك وإياها ، وترشف^(١) كؤوس حَمَيَّاهَا ، وتناولُ نجومها إن وصلتْ إلى ثَرَيَّاهَا .

ولما توفي قاضي القضاة جلال الدين القزويني بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة طلبه^(٢) السلطان الأعظم الملك الناصر محمد ، وطلبَ الشيخ شمس الدين بن عدْلانَ بحضور قاضي القضاة عز^(٣) الدين بن جماعة ، وقال له : يا شيخ تقي الدين قد وليتكَ قضاء الشام^(٤) ، وألبسه تشريفاً عظيماً ، وخرج صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى . وكنت أنا في خدمته طول الطريق فالتقطتُ الفوائد ، وجمعتُ الفرائد التي ظلَّ في طلبها ألفُ رائد ، وسهَّلتُ بسؤاله ما كان عندي من الغوامض الشدائد ، ووددت أن النوى لم تُلَقَّ لها عصاً^(٥) ، وأن اليعملات في كلِّ هاجرة تنفي يداها الحَصَا^(٦) .

يودُ أن ظلام الليل دامَ لهُ وزيدَ فيه سوادُ القلب والبصر^(٧)

ودخل دمشق ، فَقُلَّ^(٨) في رَوْض حَيَّاهُ الغَمَام ، ومادت غُصُونُهُ بالطرب لما غنَّى عليها الحمام . أحيا الله به معالم علومها ، وأطلَّعَ في آفاقها للهُدى نِيراتُ نجومها ، وباشر

(١) في الوافي : « ورسف » .

(٢) في الأصل : « طلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) : « نجم » ، سهو .

(٤) عبارة الوافي : قضاء القضاة بالشام .

(٥) إشارة إلى البيت المشهور :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعنا بالإياب المسافر
والبيت ينسب إلى معمر بن حمار البارقى ، وغيره . انظر اللسان (عا) .

(٦) أخذ كلامه من قول الفرزدق :

تنفي يداها الحَصَا في كلِّ هاجرة نفي الدنانير تنقأ الصياريف

ديوانه : ٥٧٠ .

(٧) في (خ) : « سواد السمع » .

(٨) كذا في الأصول ، ولعلها : « فحل » .

قضاءها^(١) بصلفٍ زاد ، وسلوكٍ ماحالٍ عن جادة الحق ، ولا حاد ، منزه النفس عن الحطام منقاداً إلى الزهد الصادق بخطام ، مقبلاً على شأنه في العلم والعمل ، منصرفاً إلى تحصيل السعادة الأبدية فماله في غيرها أمل ، ناهيك به^(٢) من قاض حُكْمه في هذا الإقليم متصرف الأوامر ، وحديثه في العفة عن الأموال علالة المسامر^(٣) ، ليس في بابيه من يقول لحُضَم هات ، ولا من يجمجم الحق أو يمؤه بالترهات .

ومات الأمير سيف الدين تنكرز وهو يعظمه ، ويختار أكبر الجواهر^(٤) للثناء عليه وينظمه :

وعاجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولؤ سكتوا أثنت عليك الحقائق^(٥)

ولم يزل على حاله إلى أن حصل له من المرض ما حصل ، وتماثل من سقمه^(٦) ونصل ، ونزل عن منصبه لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، فتلفت الدولة ذلك منه بالترحاب ، وقالوا سمعاً لما قاله وكرامة ، وأهلاً بهذا النهر الذي غادرتَه تلك الغامة .

ولما استقر الأمر لولده وثبت ، ورأى غصنه الذي تفرع عن أصله ونبت توجه إلى الديار المصرية شوقاً لأرض أول مامس جلده تراها ، وأول ماضحه جناتها^(٧) واتسع له جنباتها ، فقال النيل : مرحباً بغمام الشام ، وقالت نجومها : أهلاً بهذا القمر التام ، فأقام بها ريثما بلّ صداه ، وردّ برؤية ربوعها رداه ، ونقله الله إلى حضرة قدسه ،

(١) في (خ) : « القضاء بها » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في (أ) ، (خ) والوافي : « السامر » .

(٤) في الوافي : « الجواهر » .

(٥) هولنصيب بن رباح في مدح سليمان بن عبد الملك . الأغاني : ٣٣٧/١ .

(٦) في الأصل : « وتمايل من سكره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٧) في الأصل : « جناها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

ومواطن رحمة وأنسه . فلبى المنادي ، وخلا من نداءه النادي ، وقام الناعي فأسمع ، وأوجد القلوب حزنها فأوجع .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده أول يوم من صفر سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

وتفقه في صغره على والده رحمه الله تعالى ، ثم على جماعة آخرهم فقيه العصر نجم الدين بن الرقعة ، ورأيته رحمه الله يثني عليه ثناء كثيراً ، ويعظمه تعظيماً زائداً .

وقرأ الفرائض على الشيخ عبد الله الغباري المالكي .

وقرأ الأصولين وسائر المعقولات على الشيخ الإمام النظّار علاء الدين الباجي ، وكان يعظمه ويصفه بالدين .

وقرأ المنطق والخلاف على الشيخ سيف الدين البغدادي .

وقرأ النحو على الشيخ أثير الدين أبي حيّان .

وقرأ التفسير على الشيخ علم الدين العراقي .

وقرأ القراءات على الشيخ تقي الدين بن^(١) الصائغ .

وتخرّج في الحديث على الحافظ شرف الدين الدميّاطي .

وصحّب في تصوّف الشيخ تاج الدين^(٢) .

(١) ليست في الوافي .

(٢) في الدرر : « ابن عطاء الله » ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الكريم عطاء الله الإسكندري تاج الدين في (ت ٧٠٩ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

ورحل في طلب الحديث إلى الإسكندرية والشام ، ومن مشاهير أسياخه ^(١) في الرواية ابن الصوّاف ، وابن جماعة ، والدمياطي ، وابن القيم ، وابن عبد المنعم ، وزينب ، هؤلاء بالإسكندرية وبمصر . والذين بالشام : ابن الموازني ، وابن مشرف ، والمُطعم ، وغيرهم .

والذين بالحجاز : رضيّ الدين ^(٢) إمام المقام ^(٣) ، وغيره .

وخرّج له شهاب الدين الدميّاطي ^(٤) (معجماً) لشيّوخه .

جلس بالكلّاسة جوار الجامع الأمويّ بدمشق ، وحدث به قراءةً عليه الإمام أفضى القضاة تقي الدين أبو الفتح السبكي ، وسمعه عليه خلائق منهم الحافظ الكبير جمال الدين المزّي ، والحافظ أبو عبد الله الذهبيّ ، وروى عنه شيخنا الذهبيّ في (معجمه) .

وتولّى بدمشق مع القضاء خطابة الجامع الأموي وبإشرافها مدّة ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، فقال شيخنا الحافظ شمس الدين الذهبي : ماصّد هذا المنبر بعد ابن [عبد] ^(٥) السلام أعظم منه ونظم في ذلك :

ليهن المنبر الأمويّ لـ علاه الحاكم البرّ التقيّ
شيّوخ العصر أحفظهم جميعاً وأخطبهم وأفضّهم عليّ

وتولّى بعد وفاة شيخنا المزّي رحمه الله تعالى مشيخة دار الحديث الأشرفيّة . فالذي تقول : إنّه ^(٦) ما دخلها أعلم منه ، ولا أحفظ في الرجال من المزّي ، ولا أروع من

(١) في الأصل : أصحابه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) الطبري ، كما في الدرر ، وهو إبراهيم بن محمد (ت ٧٢٢ هـ) ، سلفت ترجمته .

(٣) في الأصل : « القاهرة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) أحمد بن أبيك (ت ٧٤٩) ، سلفت ترجمته .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٦) في (خ) : « إنها » .

النووي وابن الصلاح ، ولا يُورَد زين الدين الفارقي فإنه أفقه منه رحم الله كلا .

وتولّى تدريس الشاميّة البرّانية بعد موت مدرّسها قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب رحمه الله في أوائل سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكتبتُ له [بذلك] ^(١) توقيعاً هو مذكورٌ في الجزء الخامس والعشرين من (التذكرة) التي لي .

ثمّ إنّه وليّ تدريس المَسْرُوريّة بعد الشيخ تاج الدين المراكشي ^(٢) ، وكتبتُ له توقيعاً بذلك هو في الجزء الثاني من (التذكرة) التي لي .

وكان قد طُلِبَ في نهار الجمعة بعد الصلاة سادس عَشْرِيّ جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة إلى الديار المصرية ، جاء البريد بطَلْبِهِ لِيَجْعَلَ قاضي القضاة بالديار المصريّة ، فتوجّه . ثمّ إنّ القضية فُتِرَت ، وأقام بها قليلاً وعاد إلى دمشق على منصبه .

ومن مسموعاته الحديثيّة :

الْكُتُبُ الستّة ، و (السيرة النبوية) ، و (سنن الدار قطني) ، و (معجم الطبراني) ، و (حُلِيّة الأولياء) ، و (مُسْنَدُ الطيالسي) ، و (مسند الحارث بن أبي أسامة) ، و (مسند الدارمي) ، و (مسند عبْد) ، و (مسند العدني) ^(٣) ، و (مُسْنَدُ الشافعي) رضي الله عنه ، و (سنن الشافعي) ، و (اختلاف الحديث) للشافعي ، و (رسالة الشافعي) ، و (معجم ابن المُقَرَّر) ^(٤) ، و (مختصر مُسْلِم) ، و (مسند أبي

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في (أ) : « ابن المراكشي » ، وهو محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي (ت ٧٥٢ هـ) وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « العدلي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى العدني (ت ٢٤٣ هـ) ، ويعرف مسنده أيضاً باسم مسند ابن أبي عمرو . الكشف : ١٦٧٨/٢ .

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن علي (ت ٢٨١ هـ) ، السير : ٣٩٧/١٦ ، والكشف : ١٧٣٤/٢ .

يَعْلَى) ، و (الشفاء) للقاضي عِيَّاض ، و (رسالة القشيري) ، و (معجم الإسماعيلي) ^(١) ، و (السيرة) للدمياطي ، و (موطأ) يحيى بن يحيى ^(٢) ، و (موطأ) القَعْنَبِي .

و (موطأ) ابن بكير ، و (الناسخ والمنسوخ) للحازمي ^(٣) ، و (أسباب النزول) للواحدي ، وأكثر (مسند أحمد) ، ومن الأجزاء شيء كثير .

ولقد كان عمره بالديار المصرية وجيهاً في الدولة الناصرية يعرفه السلطان الأعظم الملك الناصر ^(٤) ويولّيه المناصب الكبار ، مثل تدريس المنصورية وجامع الحاكم والكهاريّة ^(٥) . والأمير سيف الدين أرغون النائب يعظّمه ، والقاضي كريم الدين الكبير يقربّه ويقضي أشغاله ، والأمير سيف الدين قجليس . وأمّا الأمير سيف الدين ألجاي ^(٦) الدوادار فكان لا يفارقه ويبيت عنده في القلعة غالب الليالي ، ونائب الكرك والأمير بدر الدين جنكلي بن البابا والجاولي والخطيري وغيرهم جميعهم يعظّمونه ويحترمونه ويشفع عندهم ويقضي الأشغال للناس .

وجاء إلى الشام قاضي القضاة من سنة تسع وثلاثين إلى بعض ^(٧) سنة ست وخمسين ^(٨) هذه المدة كلها ، وجاء في أيامه الطاعون فلو شاء هو وولّدّه أقضى القضاة جمال الدين حسين أخذاً في إثبات الوصايا ودعاوى القربات وما يرث الناس بأسبابه

(١) هو معجم الشيوخ لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) ، الكشف : ١٧٣٥/٢ .

(٢) اللبثي (ت ٢٣٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٤٣/٦ ، والكشف : ١٩٠٨/٢ .

(٣) محمد بن موسى الحازمي الهمداني (ت ٥٨٤ هـ) ، الكشف : ١٩٢٠/٢ .

(٤) في (أ) : « الناصر محمد » .

(٥) مدرسة بالقاهرة كانت بالدرب المعروف بهذا الاسم ، وموقع هذا الدرب بجوار حارة الجودرية والقمامين . (عن حاشية السلوك : ١٧٠/٢) .

(٦) في الوافي : « الجاي » ، تصحيف .

(٧) ليست في (أ) .

(٨) في (أ) : « خمس وسبع مئة » .

ثلاث مئة ألف دينار وأضعافها ، وكان ينفرد هو رحمه الله تعالى بولايات الوظائف بنصف ذلك ، ولم يقدر أحد يقول إنه وزن ديناراً ولا درهماً ولا أقل ولا أكثر . وأما لبسه الذي يكون عليه في غير دور العدل والمحافل فما أظنه كان يساوي ثلاثين درهماً .

وإن كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السيف إلا غمدهُ والْحَبَائِلُ

وبعد هذا جميعه يموت فيوجد عليه دين مبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم ، ولو لم يكن له داران بمصر اشترى الواحدة ، وورث الأخرى مع مجلداته التي قناها في عمره ، أبيع الجميع فكمل ثلثي الدين ، والتزم ولداه مد الله في عمرهما بوفاء البقية ، « هكذا هكذا وإلا فلالا » ^(١) .

يُنسب إلى الشافعي أنه قال : مَنْ ولي القضاء ولم يفتقر فهو لَصٍّ ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، والذي استقر في ذهني منه أنه كان إذا أخذ أي مسألة كانت من أي باب كان ، من أي علم كان عمل عليها مجلداً أو مصنفاً لطيفاً ، أعني في علوم الإسلام من الفروع والأصلين والحديث والتفسير والنحو واللغاني والبيان . وأما العقليات فما كان في آخر وقته ^(٢) فيها مثله .

وأما فنُّ الأدب فما احتاج مع أسماء كتبه وتصانيفه إلى بيان ، هي تشهد له بأدبه وذوقه . وأما الهجاء وفن الكتابة فكان ما يلحق فيه . وأما صناعة الحساب فرأيت أئمتها يعترفون له فيها ، ولم أره في مدّة ولايته القضاء يستكثر ^(٣) على أحد شيئاً والعلة في ذلك إعراضه عن الدنيا وإلقاؤها وراء ظهره ، حتى لم تكن له بيال حتى إنني قلت فيه :

(١) هنا عجز بيت للمتنبي ، وهو مطلع قصيدة له يمدح سيف الدولة ، وصدره : « ذي العوالي فليعلون من تعالى » . (ديوانه بشرح العكبري : ١٣٤/٣) .

(٢) في (خ) : « وقت » .

(٣) في (خ) : « يستكبر » .

لم يَلْتَفْتُ يَوْمًا إِلَى زَهْرَةِ الدِّ نِيَا وَإِنْ كَانَتْ لَهُ زَاهِرُهُ
رِئَاسَةَ الْعِلْمِ الَّتِي حَازَهَا تَكْفِيهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

ولم نَرِ أَحَدًا مِنَ النُّوَابِ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا مُلُوكَ الشَّامِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ تَعَرَّضَ لَهُ فَأَفْلَحَ
بَعْدَهَا ، إِمَّا يَمُوتُ فَجَاءَةً أَوْ يُغْتَالُ أَوْ يُعْطَلُ وَيَسْتَمِرُّ فِي غُطْلَتِهِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، جَرَّبْنَا
هَذَا غَيْرَ مَرَّةٍ مَعَ غَيْرِ وَاحِدٍ ، وَهَذَا شَاعَ وَذَاعَ . وَلَقَدْ جِئْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا ، وَقُلْتُ لَهُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ قِصَّةُ حَدِيثٍ^(١) ، بِاللَّهِ دَعَا أَمْرَهَا فَإِنَّكَ قَدْ أَبْلَغْتَ^(٢) فِيهَا عُذْرًا ، وَهَذَا
مُلْكُ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِ فِي نَاحِيَةِ وَهْمٍ بِمَعْزَلٍ ، وَأَخْشَى يَحْصُلُ بِسَبَبِهَا شَرٌّ ، فَمَا كَانَ جَوَابِي إِلَّا
أَنْ أُنْشَدَ :

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَيَبْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابٌ^(٣)
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا تَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ^(٤) لَوْمَةٌ لَا أَمَّ .

وَمِنْ حِينَ نَافَسَهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغَوْنَ الْكَامِلِي مَا قَرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا هَنَاهُ عَيْشٌ
بِدِمَشْقٍ ، وَجَرَى لَهُ مَا جَرَى ، وَغَزَلَ مِنْهَا ، وَتَوَلَّى حَلْبَ ، وَقَاسَى بِهَا شِدَائِدَ . ثُمَّ إِنَّهُ
غَزَلَ وَنَقَلَ إِلَى مِصْرَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أُمْسِكَ وَاعْتَقَلَ بِالإِسْكَندَرِيَّةِ ، ثُمَّ حَضَرَ إِلَى الْقُدْسِ .

وَلَمْ يَزَلْ يَدْخُلُ فِي مَرَضٍ وَيَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَمَّا طُلِبَ إِلَى
مِصْرَ خَوْفُهُ مِنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : يَرْوَحُ إِلَيْهَا وَمَا يَفْلَحُ ، وَيَمُوتُ وَاللَّهِ وَلَدَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ
تَاجُ الدِّينِ^(٥) حَيْثُ قَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ لَمَّا ذَكَرَهُ فِي (طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ) :

(١) مِنْ قَرْيَةِ غُوْطَةِ دِمَشْقٍ . قَالَ يَاقُوتُ : يُقَالُ لَهَا حَدِيثَةُ جَرَشَ ، (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ) . وَعِبَارَةٌ الدَّرَرُ تَقْلًا
عَنِ الصَّفْدِيِّ : يَا سَيِّدِي دَعَا أَمْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَإِنَّكَ ...

(٢) فِي (أ) : « بَلَّغْتَ » .

(٣) هُوَ مِنْ مَشْهُورِ شَعْرَائِي فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ .

(٤) فِي (فِي) : « اللَّهُ » .

(٥) عَبْدُ الْوَهَّابِ (ت ٧٧١ هـ) ، وَفِيَاتُ ابْنِ رَافِعٍ : ٤٠/٢ .

وما عليّ إذا ما قُلْتُ مُعْتَقِدِي
 هذا الذي تعرف الأملاكُ سِرَّتِهِ
 هذا الذي يُسْرِعُ الرَّحْمَنُ دَعْوَتَهُ
 هذا الذي يسمع الرحمن صَائِحَهُ
 هذا الذي لم يزل من حين نشأته
 هذا الذي تعرف الصحراءُ جَبْهَتَهُ
 هذا الذي لم يغادر سيلُ مدمعه
 والله والله العظيم وَمَنْ
 وحافظاً لنظام الشَّرْعِ ينصُرُهُ
 كلُّ الذي قُلْتُ بعضٌ من مناقبه
 دَعِ الحَسودَ يظُنُّ السَّوْءَ عُدُوَانَا
 إذا اذْلَهَمَ دَجَى لم يَبْقَ سَهْرَانَا
 إذا تقاربَ وقت الفَجْرِ أو حَانَا^(١)
 إذا بكى وأفاضَ الدَّمْعُ أَلْوَانَا
 « يَقْطَعُ » اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقَرَأْنَا
 من السجودِ طوال الليل عرفانَا
 أركانَ شيبته البيضاء أحيَانَا
 أقامَهُ حَجَّةً في العصر بُرْهَانَا
 نصرأ يلقِيهِ مِنْ ذِي العرشِ غفرَانَا
 مَا زِدْتُ إِلَّا لَعْلِي زِدْتُ تَقْصَانَا

وصنف بالديار المصرية ودمشق ما يزيد على المئة والخمسين مصنفاً فمن ذلك :
 (الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم) ، عمل منه مجلدين كبيرين ونصفاً ، و (تكملة
 المجموع في شرح المذهب) ولم يكمل ، و (الابتهاج في شرح المنهاج) في الفقه ، بلغ فيه
 إلى آخر وقت و (التحقيق في مسألة التعليق) ردّاً على الشيخ تقي الدين بن تيمية في
 مسألة الطلاق ، وكان فضلاء الوقت^(٢) قد عملوا ردوداً ووقف عليها ، فإثني على شيء
 منها غير هذا ، وقال ماردة عليّ فقيه^(٣) غير السبكي ، وكتاب (شفاء الأسقام^(٤)) في
 زيارة خير الأنام) ردّاً عليه في إنكاره^(٥) سفر الزيارة ، وقرأته عليه بالقاهرة في سنة
 سبع وثلاثين وسبع مئة من أوله إلى آخره وكتبت عليه طبقة جاء مما فيها نظماً :

(١) في (خ) ، « يَشْعُ » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « العصر » .

(٣) في (خ) : « فتية » .

(٤) في (أ) ، (خ) والوافي : « السقام » .

(٥) في الأصل : « إنكار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

لِقَوْلِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ زُخْرَفٌ أَتَى فِي زِيَارَةِ خَيْرِ الْأَنْامِ
فَجَاءَتْ نُفُوسُ الْوَرَى تَشْتَكِي إِلَى خَيْرِ حَبْرٍ وَأَزْكَى إِمَامِ
فَصَنَّفَ هَذَا وَدَاوَاهُمْ فَكَانَ يَقِيناً شَفَاءَ السَّقَامِ

و (الرَّفْدَةُ فِي مَعْنَى وَحْدِهِ) وَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي ، وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا :

خَلَّ عَنْكَ الرَّقْدَةُ وَانْتَبِهْ لِلرَّفْدَةِ
تَجَنِّ مِنْهَا عِلْماً فَاقْ طَعْمَ الشَّهْدَةِ

و (التَّعْظِيمُ وَالْمِنَّةُ فِي ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ ﴾ ^(١)) وَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي ، وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا :

غَالِبَ مَا صَنَّفَهُ النَّاسُ فِي مَسَبِّاتِ الْمَالِ وَالْجَاهِ ^(٢)
فَلِلرَّبِّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَالْ تَعْظِيمِ وَالْمِنَّةِ لِلَّهِ

و (الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ فِي إِعْرَابِ ﴿ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنْهَاء ﴾ ^(٣)) ، وَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي ، وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ ، وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا :

يَاطَالِبَ النُّحُوِّ فِي زَمَانٍ أَطْوَلَ ظِلًّا مِنَ الْقَنَاقَةِ
وَمَا تَحَلَّى مِنْهَا بِعُقْدٍ عَلَيْكَ بِالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ

و (الْإِغْرِيضُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ وَالْكُنَايَةِ وَالتَّعْرِيزِ) كَتَبْتُهَا بِخَطِّي ، وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ ، وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا :

قُلْ لِمَنْ رَاحَ بَاحِثاً عَنْ كَلَامٍ فِي كُنَايَاتِهِ وَفِي التَّعْرِيزِ :
لَا تَغَالِطْ ، مَا يَشْبَهُ الدَّرْشِيَّ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ سِوَى الْإِغْرِيضِ

(١) آل عمران : ٨٧/٣ .

(٢) فِي (خ) : « الْأَنَامُ لَهُ » .

(٣) الْأَحْزَابُ : ٥٣/٣٣ .

و (ورد العَلَل في فهم العِلَل) ، وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

أَيَا مَنْ شَفَى مَا بَنَا مِنْ عِلَلٍ وَرَدَّ رَدَانَا بِوَرْدِ الْعَلَلِ
جَزَاكَ إِلَهَكَ مِنْ مُحْسِنٍ هَدَانَا الصَّوَابَ وَرَوَى الْغَلَلَ

و (نيل العَلَا في العطف بلا) ، وكتبتها بخطي وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

يَا مَنْ غَدَا فِي الْعِلْمِ ذَا هَمَّةٍ عَظِيمَةٍ فِي الْفَضْلِ تَمَلَا الْمَلَا
لَمْ تَرْقَ فِي النُّحُوِّ إِلَى رُتْبَةٍ سَامِيَةٍ إِلَّا بِنِيلِ الْعَلَا

ومن تصانيفه أيضاً (رافع ^(١) الشقاق في مسألة الطلاق) ، و (الرياض الأنيقة في قِسْمَةِ الحديقة) ، و (منية الْمَبَاحِث ^(٢) في حكم دَيْن الْوَارِث) ، و (لمعة الإشراق في أمثلة الاشتقاق) و (إبراز الْحَكَمِ مِنْ حَدِيث : رَفَعَ الْقَلَم) ، و (إحياء النفوس في حكمة وضع الدروس) و (كشف القناع في إفادة « لو » الامتناع) ، و (ضوء المصاييح في صلاة التراويح) ، و (مسألة « كل » وَمَا عَلَيْهَا تَدَل) ، وكتب عليها الفاضل سراج الدين عبد اللطيف بن الكويك ثلاثة أبيات أوردتها في ترجمته ^(٣) ، و (الرسالة العلانية) ^(٤) و (التعبير الْمَذْهَب في تحرير الْمَذْهَب) ، و (القول الْمَوْعَب في القول ^(٥) بِالْمَوْجَب) و (مناسك أولى ومناسك أخرى) ، و (بيع المرهون في غَيْبَةِ المديون) ، و (يَبَانِ الرُّبُط في اعتراض الشرط على الشرط) ، و (نَوْرُ الرِّبْعِ مِنْ كِتَابِ الرِّبْع) ^(٦) ، و (الرَّقْمُ الْإِبْرِيْزِي في شرح التبريزي) ، و (عقود الْجَمَان في عقود

(١) في الوافي : « رفع » .

(٢) في الوافي : « منية الباحث » .

(٣) صريح كلامه في الوافي أَنَّ هذه الأبيات تعليق على رسالة المصنف « مسألة ضع وتعجل » .

(٤) في الوافي : « العلانية » .

(٥) في الوافي : « في القضاء » .

(٦) في الأصل : « البديع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

الرَّهْن والضَّمان) ، و (طليعة الفتح والنصر في صلاة الخوف والقصر) ، و (السيف المسلول على من سبَّ الرسول) ، و (السَّهم الصَّائب في بيع دين الفائب) ، و (فصل ^(١) المقال في هدايا العُمال) ، و (الدلالة على عموم الرسالة) ، و (التَّهْدِي إلى معنى التعدي) ، و (النقول البديعة في أحكام الوديعة) ، و (كشف الغمّة في ميراث [أهل] الذمّة) ، و (الطوالع المشرقة في الوقوف على طبقة بعد طبقة) ، و (حُسْن الصَّنِيعَة في حكم الوديعة) ، و (أجوبة أهل طرابلس) ، و (تلخيص التلخيص) وتاليه ، و (الإبهاج ^(٢) في شرح المنهاج) في الأصول ، بدأ فيه قدر ^(٤) كرّاسين ، وكلّه ولده قاضي القضاة تاج الدين .

و (رفع الحاجب في شرح ابن الحاجب) في الأصول ، و (القراءة خَلْف الإمام) ، و (الرد على الشيخ زين الدين الكتّاني ^(٥)) ، و (كشف اللبس في المسائل الخمس) و (منتخب طبقات الفقهاء) ، و (قطف النوار ^(٦) في دراية الدُّور) ، و (الغيث المُغْدِق في ميراث المُعْتِق) ، و (تسريح الناظر في انعزال الناظر) و (الملتقط في النظر المُشْتَرَط ^(٧)) ، و (تنزل السكينة على قناديل المدينة) ، و (دفع من تَغْلِبك في مسألة مدرسة بَعْلَبك) ، و (وشي الحُلَى في تأكيد النفي بلا) ، (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ، (ضرورة التقدير في تقويم الخمر والخزير) (تقييد التراجيح) ، (الكلام على حديث : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث ^(٨)) ، (الكلام مع ابن الدارس في المنطق) ، (جواب سؤال علي بن عبد السلام) (رسالة

(١) في (أ) ، (خ) : « قُضِل » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٣) في (أ) ، (خ) : « الابتهاج » .

(٤) في (أ) ، (خ) : « بدأ فيه قطعة قدر ... » .

(٥) في الوافي : « ابن الكتّاني » .

(٦) في الأصل : « الدرن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٧) في الوافي : « المشترك » ، وبه تنتهي قائمة مصنفاته في الوافي .

(٨) الحديث برواياته في جامع الأصول : ١٨٠/١١ .

أهل مكة) ، (أجوبة أهل صفد) ، (فتوى : كلّ مولود يُؤلّد على الفطرة) ^(١) ،
 (مسألة فناء الأرواح) ، (مسألة في التقليد) ، (النوادر الهمدانية) ، (الفرق في
 مطلق الماء والماء المطلق) ، (المسائل الحلبية) (أمثلة المشتق) ، (القول الصحيح في
 تعيين الذبيح) ، (القول الحمود في تنزيه داود) ، (الجواب الحاضر في وقف عبد
 القادر) ، (حديث نحر الإبل) ، (قطف النور من مسائل الدّور) ، (مسألة ما أعظم
 الله) ، (مسائل في تحرير الكتابة) ، (مسألة هل يقال العشر الأواخر) ، (مختصر
 كتاب (الصلاة) لمحمد بن نصر المروزي) ، (الإقناع في قوله تعالى ﴿ ما للظالمين
 من حيم ولا شفيع يطّاع ﴾) ^(٢) ، (جواب سؤال من القدس) ، (منتخب تعليقة
 الأستاذ في الأصول) ، (عقود الجمان في عقود الرهن والضمان) ، (مختصر عقود
 الجمان) (وقف بني عساكر) ، (النصر الناهد في لا كلّمت كل واحد) ، (الكلام في
 الجمع في الحضر لعذر المطر) ، (الصنعة في ضمان الوديعة) ، [النقول البديعة في ضمان
 الوديعة] ^(٣) ، (بيان المُحتمل في تعدية عمل) ، (القول الجدّ في تبعيّة الجد) ،
 (تفسير ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾) ^(٤) ، (المواهب الصمدية في المواريث
 الصفدية) ، (كشف الدسائس في هدم الكنائس) ، (حفظ الصيام عن فوت التام) ،
 (جواب سؤال ورد من بغداد) ، (كتاب الخيل) ، (جواب الأمير سيف الدين
 بيبغاروس ورد من حلب) ، (كم حكمة أرثنا أسئلة أرثنا) ، (جواب أهل مكة) ،
 (جواب المكتبة من حارة المغاربة) ، (معنى قول الإمام المُطَّلبي ^(٥) : إذا صحّ الحديث
 فهو مذهبي) ، (سبب الانكشاف عن إقراء الكشاف) ، (وقف على وقف أولاد

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث : ٢٣١/٣ ، وهو في جامع الأصول : ٥٢٢/٨ .

(٢) غافر : ١٨/٤٠ .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) المؤمنون : ٥١/٢٣ .

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١) ، السير : ٣٢/٧ .

(الحافظ) ، (النظر المَعِينِي فِي مَحَاكِمَةِ أَوْلَادِ الْيُونَنِي) ، (مَوْقِفُ الرُّمَاءِ مِنْ وَقْفِ حِمَاةِ) ، (مَرْكَزُ الرُّمَاءِ) ، (الْقَوْلُ فِي التَّقْوَى فِي الْوَقْفِ التَّقْوِي) ، (الْقَوْلُ الْمُخْتِطَفُ فِي دَلَالَةِ : إِذَا اعْتَكَفَ) ، (كَشَفُ اللَّبْسِ عَنِ الْمَسَائِلِ الْخَمْسِ) ، (غَيْرَةُ الْإِيمَانِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ) ، (زَكَاةُ مَالِ الْيَتِيمِ) ، (الْكَلَامُ عَلَى لِبَاسِ الْفِتْوَةِ) ، وَهُوَ (فَتَوَى الْفِتْوَةَ) ، (بَيْعُ الْمَرْهُونِ فِي غِيَةِ الْمَدْيُونِ) ، (الْأَلْفَاظُ الَّتِي وَضَعَتْ يَأْزَاءُ الْمَعَانِي الذَّهْنِيَّةِ أَوْ الْحَارِجِيَةِ) ، (أَجُوبَةُ مَسَائِلَ سَأَلَهَا وَلَدُهُ قَاضِي الْقَضَاءِ تَاجُ الدِّينِ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ) ، (الْعَارِضَةُ فِي الْبَيِّنَةِ الْمُتَعَارِضَةِ) ، (مَسْأَلَةُ تَعَارُضِ الْبَيِّنَتَيْنِ) ، (كِتَابُ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ) ، (أَجُوبَةُ أَسْئَلَةٍ حَدِيثِيَّةٍ وَرَدَتْ مِنَ الدِّيارِ الْمَصْرِيَّةِ) ، (نَصِيحَةُ الْقَضَاءِ) (الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾)^(١) .

ولمَّا وَقَفَ عَلَى رَدِّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ عَلَى ابْنِ الْمُطَهَّرِ فِي الرِّفْضِ^(٢) قَالَ ، وَأَنْشَدْنِيهَا مِنْ لَفْظِهِ ، وَهِيَ :

إِنَّ الرِّوَافِضَ قَوْمٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ	مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِي عِلْمٍ وَأَكْذَبِهِ ^(٣)
وَالنَّاسُ فِي غُيَّةٍ عَنْ رَدِّ إِفْكِهِمْ	هُجْنَةُ الرِّفْضِ وَاسْتِقْبَاحُ مَذْهَبِهِ ^(٤)
وَإِنَّ الْمُطَهَّرَ لَمْ تَطْهَرْ خِلَافَتُهُ	دَاعٍ إِلَى الرِّفْضِ غَالٍ فِي تَعْصِبِهِ
لَقَدْ تَقَوَّلَ فِي الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ	يَسْتَحْيِ بِمَا افْتَرَاهُ غَيْرَ مُنْجَبِهِ
وَلَا بِنِ تَيْمِيَّةٍ رَدُّ عَلَيْهِ وَفَى	بِمَقْصِدِ الرَّدِّ وَاسْتِيفَاءِ أَضْرِبِهِ
لَكِنَّهُ خَلَطَ الْحَقَّ الْمُبِينَ بِمَا	يُشَوِّبُهُ كَذْرًا فِي صَفْوِ مَشْرَبِهِ

(١) زَادَ فِي (أ) ، (خ) : « (الْإِفْتِقَارُ فِي أَهْلِ الْعَارِ) ، (الْمَخَاوِرَةُ وَالنَّشَاطُ عَلَى الْمَخَاوِرَةِ وَالرِّبَاطِ) ، (مَنَعَ الْإِسْتِطْرَاقَ فِي الْبَابِ الْمُسْتَحَقِّ الْإِغْلَاقَ) ، (تَنْصِيصُ الشُّهُودِ عَلَى تَشْخِصِ الْحُدُودِ) ، (الْمَعْدَلَةُ فِي قَتْلِ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ) ، (غَيْرَةُ الْإِيمَانِ الْجَلِي لِأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانُ وَعَلِي) » .

(٢) عِبَارَةُ الْوَاقِفِ : « فِي تَصْنِيفِهِ فِي الرِّفْضِ » .

(٣) فِي الْوَاقِفِ : « أَجْهَلُ الْخَلْقِ » .

(٤) فِي الْوَاقِفِ : « كَذِبُهُمْ » .

يخالط الحشَوَانِيَّ كَانَ فَهَوَلَهُ
يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَأَ لِأَوَّلِهَا
لَوْ كَانَ حَيًّا يَرَى قَوْلِي وَيَفْهَمُهُ
كَأَنَّ رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي الطَّلَاقِ وَفِي
وَبَعْدَهُ لَا أَرَى لِلرَّدِّ فَائِدَةً
وَالرَّدُّ يَحْسُنُ فِي حَالَيْنِ وَاحِدَةٍ
وَحَالَةٍ لَا تَنْفَعُ النَّاسَ حَيْثُ بِهِ
وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ هُدًى
وَلِي يَدٌ فِيهِ لَوْلَا ضَعْفُ سَامِعِهِ
حَيْثُ سِيرَ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِهِ^(١)
فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ^(٢)
رَدَدْتُ مَا قَالُوا أَقْفُوا إِثْرَ سَبْسَبِهِ
تَرَكَ الزِّيَارَةَ رَدًّا غَيْرَ مُشْتَبِهٍ
هَذَا وَجْوهُهُ مِمَّا أَظُنُّ بِهِ
لِقَطْعِ خَصْمٍ قَوِيٍّ فِي تَغْلِبِهِ
هُدًى وَرَبْحٌ لَدَيْهِمْ فِي تَطْلُبِهِ^(٣)
بَلْ بَدْعَةٌ وَضَلَالٌ فِي تَكْسِبِهِ^(٤)
جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيطِي فِي مَهَذَّبِهِ

وقال : مَا أَنشَدْنِيهِ مِنْ لَفْظِهِ لَمَّا رَدَّ عَلَيَّ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي الطَّلَاقِ ، وَقَدْ أَكْثَرَ مِنْ
الاحتجاج بيمين ليلى :

فِي كُلِّ وَادٍ بَلِيلِي وَالْوَلَّةُ شَغِيفٌ
فَقِي بَنِي عَامِرٍ مِنْ حَبِّهَا ذَنْفٌ
مَا إِنْ يَزَالُ بِهِ مِنْ مَسْهَا وَصَبٌّ^(٥)
وَلَا بِنَ تَيْمِيَّةٍ مِنْ عَهْدِهَا شَغَبٌ

وكتب لابنه الأكبر محمد رحمه الله تعالى في سنة عشر وسبع مئة ، وَأَنشَدْنِيهِ مِنْ
لَفْظِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٦) :

أَبْنِي لَا تُهْمُ لِنَصِيحَتِي الَّتِي
أَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
أُوصِيكَ وَاسْمِعْ مِنْ مَقَالِي تَرْشُدِ
صَحَّتْ وَفَقَهُ الشَّافِعِيَّ مُحَمَّدِ

(١) في الوافي : « يحاول الحشو » .

(٢) في الوافي : « لا مبدأ لها ولها » ، تحريف .

(٣) في الوافي : « تكسبه » .

(٤) في الوافي : « تطلبه » .

(٥) في الوافي : « نصب » . والوصب : الوجع والألم ، أو التعب والفتور .

(٦) منها أبيات في الدرر .

وتعلم النحو الذي يُدني الفتي
واعلم أصول الفقه علماً مُحْكَمًا
واسلك سبيل الشافعي ومالك
وطريقة الشيخ الجنيد وصحبه
واتبع طريق المُصطفى في كل ما
واقصد بعلمك وجه ربك خالصاً
واخش المهيمن وأت ما يدعو إليه
وارفع إلى الرحمن كل ملة
واقطع عن الأسباب قلبك واصطبر
وعليك بالورع الصحيح ولا تحم
وخذ العلوم بهمة وتفطن
واستنبط المكنون من أسرارها
وعليك أرباب العلوم ولا تكن
فيذا أتك مقالة قد خالفت
فاقف الكتاب ولا تمل عنه وقف
فلحوم أهل العلم سمّت للجنا
هذي وصيتي التي أوصيكها

من كل فقه في القرآن مُسَدَّد
يُهديك للبحث الصحيح الأيد
وأبي حنيفة في العلوم وأحمد
والسالكين طريقهم بهم اقتدي
يأتي به من كل أمر تسعد^(١)
تظفر بسبل الصالحين وتهدي
ه وانتِه عما نهى وتزهّد
بضراعة وتمسك وتعبّد
واشكر لمن أولاك خيراً واحمّد
حول الحمى واقنت لربك واسجد
وقريحة سحاء ذات توقد
وابحث عن المعنى الأسد الأرشد
في ضبط ما يلقونه بمفد
نص الكتاب أو الحديث المُسنّد
متأدباً مع كل خير أوحد
ة عليهم فاحفظ لسانك وابعد
أكرم بها من والد متودد^(٢)

وكتب لولده قاضي القضاة تاج الدين وقد رتب موقعا بالذست الشريف بالشام

في سنة خمس وسبع مئة :

أقول لنجلي البر المَفْدَى
وليت كتابه في دُست مُلك

مقالاً وثقت منه عراه
رست أركانهُ وسمت ذراه

(١) في (أ) : « صراط للمصطفى . »

(٢) (أ) : « إليك . »

فَلَا تَكْتَبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ^(١)
وَلَا تَأْخُذْ مِنَ الْمَعْلُومِ إِلَّا حَلَالاً طَيِّباً عَطِيراً شَذَاهُ^(٢)
وَنُصْحُكَ صَاحِبَ الدِّسْتِ اتَّخِذْهُ شِعَارَكَ فَالسَّعَادَةُ مَا تَرَاهُ^(٣)
ثَلَاثُ يَابَنِي بِهَا أُوصِي فَنَ يَأْخُذْ بِهَا يُحَمَّدُ سُرَاهُ
وَتَقْوَى اللَّهِ رَأْسُ الْمَالِ فَالْزَمْ فَمَا لِلْعَبْدِ إِلَّا مِنْ بَرَاهُ

قلتُ : التزم رحمه الله فيها الرأء والثالث تضمين ، وهو بيت مشهور جاء في موضعه
متكناً ، و « تراه » في هذا البيت من الروية ، وفي الخامس من الرأي فلا يُظَنَّ أَنَّهُ
إِيطَاء .

وأجابه رحمه الله تعالى وَلَدَهُ قَاضِي الْقِضَاةِ تَاجُ الدِّينِ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

أَتَتْ وَالْقَلْبُ فِي الْغَفَلَاتِ سَاهٍ تَنْبِيَهُ كُلَّ سَاهٍ مِنْ كَرَاهٍ^(٤)
وَصِيَّةُ وَالِدٍ بِرِّ شَفِيقٍ يَقُومُ مَعَ ابْنِهِ فِيمَا عَرَاهُ
رُؤُوفٍ بِابْنِهِ لَوْ يَبِيعَ مَجْدٌ بِمَقْدُورٍ لِبَادَرٍ وَاشْتَرَاهُ
أَلَا يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُفْدَى وَمِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ يُرَى ثَرَاهُ^(٥)
أَنْتَ فَنِلْتَ فِي الدُّنْيَا مَنَالاً يَسْرُكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

وقال رحمه الله تعالى في معنى قول امرئ القيس : « وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ »^(٦) ...

الْبَيْتُ ، وَأَنْشَدَنِي ذَلِكَ مِنْ لَفْظِهِ :

(١) (أ) ، (خ) : « بَخَطُكَ » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « ثَرَاهُ » .

(٣) (خ) : « شِعَاراً » .

(٤) في الأصل : « أَنْتَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « أَلَا أَيُّهَا » ولا يستقيم بها الوزن ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) .

(٦) من معلقته .

قَلْبِي مَلَكَتْ قَابَ بِهِ مَرْمَى لَوَاشٍ أَوْ رَقِيبٍ
 قَدْ حُزَّتْ مِنْ أَعْشَارِهِ سَهْمَ الْمُعَلَّى وَالرَّقِيبِ
 يُحْيِيهِ قَرْبُكَ إِنْ مَنَنْتَ بِهِ وَلَوْ مَقْدَارَ قَيْبٍ^(١)
 يَأْمُتْلِفِي بِبَعَادِهِ عَنِّي أَمَا خِفْتَ الرَّقِيبِ

قلتُ : ليس لهذه القوافي خامسٌ فيما أُظنّ ، وقد تلطّف في القافية الثالثة حتى تركبت معه من كلمتين وامتزجت ، « وقيب » لغةً في « قاب » ، وفي هذه الأبيات معنى من المعاني الأدبية ، وهو كما يمتحنُ به الأدباء في قول امرئ القيس : « وما ذرفت عيناك » ، البيت ، لأنّ الأصمعي قال فيه ما هو باد لكل أحد ، وهو أنّ عَيْنَيْهَا سَهْمَانِ صَرَبَتْ بِهَا فِي قَلْبِهِ الْمَقْتَلُ الَّذِي هُوَ أَعْشَارُ ، أي مكسّر ، من^(٢) قولك : « بُرْمَةٌ أَعْشَارُ »^(٣) إذا كانت كذلك .

وأما ابن كيّسان فقال ما هو أدقّ من هذا المعنى ، فقال : صَرَبَتْ بِسَهْمِيكَ الَّذِينَ هَمًّا مِنْ سَهَامٍ الْمِيسَرِ لِمَلِكِي أَعْشَارِ الْقَلْبِ ، وهي جميع ما يخصّ الميسر من القداح ، فالعلّى له سبعة أسهم ، والرقيب له ثلاثة أسهم ، فيستغرق السهمان جميع الأعشار ، وهذا وإن كان دقيقاً وفيه غوصٌ ففيه تعسفٌ ، وتأويلٌ فيه بُعد ، وأما هذا الذي نظّمه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فهو صريح في هذا المعنى^(٤) .

وكنّ قد طلبتُ منه ما أستعين به على ترجمته لما وضعتها في تاريخي الكبير (الوافي بالوفيات) فكتب لي مسموعاته وأشياخه ومُصنّفاته ، ولم يكتب شيئاً من نظمه ، فكتبت إليه :

(١) الرقيب : المقدار ، وما بين وتر القوس ومقبضه . (التاج) .

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) البرومة : القدر .

(٤) زاد في (خ) : « مع ما فيه من الجنس البديع » .

مُولاي يَا قَاضِي الْقَضَا الَّذِي أَبْوَابِهِ مِنْ دَهْرِنَا حِرْزُ
أَقْدَتْنِي تَرْجَمَةً لَمْ تَزَلْ بِحُسْنِ أَقَارِ الدَّجَى تَهْزُو
لَبَسْتُ مِنْهَا حُلَّةً وَشَيْهًا أَعْوَزَهُ مِنْ نَظْمِكَ الطُّرُزُ

فكتب الجواب رحمه الله تعالى :

لِلَّهِ مَوْلَى فَضْلِهِ بَاهِرٌ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ عِنْدَهُ كَنْزُ
يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ وَمَنْ قَدْ عَلَا مِنْهُ عَلَى هَامِ الْعُلَا الْغُرُزُ
تَسَالَّنِي النِّظْمَ وَمَنْ لِي بِهِ وَعِنْدِي التَّقْصِيرُ وَالْعَجْزُ

قَبْلَ الدَّاعِي طُرْسًا قَدْ سَمَا نَوْرًا وَتَقْسَا ، جَمَعَ أَفَانِينَ الْعُلُومِ فِي شِبْهِ الْوُشْيِ
الْمَرْقُومِ ، مَا بَيْنَ خَطٍّ إِذَا رَمَقْتَهُ الْعَيْنُ قَالَتْ : هَذَا خَطُّ ابْنِ مُقْلَةٍ ، وَنَظْمٌ لَا يُطِيقُ
حَبِيبٌ أَنْ يَنْكَرَ فَضْلَهُ ، وَنَثْرٌ يَرَى عَبْدُ الرَّحِيمِ ^(١) عَلَيْهِ طَوْلُهُ ، صَدَرَ عَنْ تَوْقَلٍ ^(٢)
ذُرْوَةَ الْبُلَاغَةِ وَسَنَامَهَا ، وَامْتَطَى غَارِبَهَا وَمَلَكَ زِمَامَهَا ، وَكَمَلَهَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِأَكْمَلِ
نَصِيبٍ ، ضَارِبًا فِيهِ بِالسَّهْمِ [الْمَصِيبِ] ^(٣) ، مَشْتَرًا فِيهِ عَنْ سَاقِ الْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ ،
مَتَوَقِّدًا ذِكَاةً مَعَ ارْتِيَاظٍ وَارْتِيَادٍ ، إِلَى مَنْ هُوَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بَعُزْلٌ ، وَمَنْ قَعَدَ بِهِ قُصُورُهُ
إِلَى ^(٤) حَضِيضِ مَنْزِلٍ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا مِمَّا نَظَّمَ ، وَلِعَمْرِي لَقَدْ اسْتَسَمَنَ ذَا وَرَمٍ ، وَمَنْ
أَيْنَ لِي النِّظْمُ وَالرِّسَالُ إِلَّا بِنَغْبِهِ ^(٥) مِنَ الْمَسَائِلِ ، عَلَى تَبْلُدِ خَاطِرٍ وَكِلَالِ قَرِيحِهِ ،
وَتَقَسُّمِ فِكْرِ بَيْنِ أُمُورٍ سَقِيمَةٍ وَصَحِيحِهِ ، فَأَنْتَ لِمَثَلِي شِعْرٌ وَلَا شَعُورٌ ، أَوْ يَكُونُ لَهُ ^(٦)
مَنْظُومٌ وَمَنْشُورٌ ، غَيْرَ أَنِّي مَضْتُ لِي أَوْقَاتٌ اسْتَخَفَّنِي فِيهَا إِمَّا حُبَّةَ التَّشْبِهِ بِأَهْلِ الْأَدَبِ ،
وَإِمَّا ذَهُولًا عَمَّا يَحْذَرُهُ الْعُقَلَاءُ مِنَ الْعَطَبِ ، وَإِمَّا حَالَةَ تَعَرِّضٍ لِلنَّفْسِ فَتَنْضَحَ بِمَا فِيهَا ،

(١) فِي (أ) : « الْقَاضِي الْفَاضِل » .

(٢) تَوْقَلٌ : صَعْدَ فِيهِ .

(٣) زِيَادَةُ مِنْ (أ) ، (خ) وَالْوَافِي .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَنْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) وَالْوَافِي .

(٥) النِّغْبُ : التَّجَرُّعُ .

(٦) فِي (أ) وَالْوَافِي : (لِي) وَفِي (خ) : « فِي » .

وأقول دعها تبُلغ من أمانيتها ، فنظمت ما يُستَحيا مِنْ ذِكْرِه ، ويستحق أن يَبالغ في
سُتْره ، ولكنك أنت الحبيب الذي لا يُستَر عنه مَعِيب ، أَذْكَرُ لَكَ مِنْهُ حَسْبًا أَشْرَتْ^(١)
نُبْدًا ، وأقطع لك مِنْهُ فَلْذَا . وَذَكَرَ آيَاتًا أوردتها في ترجمته في (تاريخي الكبير) ،
وتقلت من خطبه له وأنشدنيه من لفظه :

إِنْ الْوَلَايَةِ لَيْسَ فِيهَا رَاحَةٌ إِلَّا ثَلَاثٌ يَبْتَغِيهَا الْعَاقِلُ
حُكْمٌ بِحَقٍّ أَوْ إِزَالَةُ بَاطِلٍ أَوْ نَفْعٌ مَحْتَاجٍ سِوَاهَا بَاطِلُ
وتقلت منه أيضاً له^(٢) :

مِثَالُ عَمٍّ وَخَالٍ بِقَوْلِ صِدْقٍ وَجِيهِ
بَنَى بِأَخْتِ أَخِيهِ لَأُمِّهِ لَا أَيْمِيهِ
وَذَاكَ لَا بَاسَ فِيهِ فِي قَوْلِ كُلِّ فَقِيهِ
فَنَجَلُهُ هُوَ دَاعٍ بِذَاكَ لَا شَكَّ فِيهِ^(٣)

وكتب إليّ وقد وقع ثلج بدمشق في أول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وسبع
مئة :

نَظَرْتُ إِلَى أَشْجَارٍ جَلَّقَ فَوْقَهَا ثُلُوجٌ أَرَاهَا كَالْبُرُوقِ تَلُوحُ
فَشَبَّهْتُهَا قَضْبَانَ فَضَةٍ اكْتَسَتْ وَقَابَلَهَا مِنْهَا الْغَدَاةُ صَبُوحُ
وَمِنْ تَحْتِهَا الْأَوْرَاقُ خَضِرٌ كَأَنَّهَا زَمْرَدَةٌ تَغْدُو بِنَا وَتَرُوحُ
وَمِنْ بَيْنِهَا النَّارِيجُ كَالذَّهَبِ الَّذِي هَوَاهُ بِهِ كُلُّ النَّفُوسِ تَبُوحُ^(٤)

(١) في الوافي : « أمرت » .

(٢) عبارة الدرر : « وله أيضاً في الإلغاز » .

(٣) في الوافي : « فيحله » ، وفي الدرر : « فيحله وهو » .

(٤) (خ) : « تنوح » .

يعز علي المعتز وهو فصيح
وميتاً بمن فيه الحياة وروح
إذا قال تشبيهاً أقول صحيح

فقلت : لقد أخطأت تشبيهي الذي
تشبهه يساً ذاوياً برطيبه
قول صلاح الدين هذا فإنه

وبعده :

ثلج رواء عليه نور
فقال مة إن ذا قصور
من لـه منظر نضير^(١)

أقول للسرو قد كساه
زمرّد أنت في لجين
تشبيهه ذاو بلا حياة

وبعده أيضاً :

ثلج بدا نوره وأنهج
فقال أبهى سنا وأنهج
أريه طرق الهدى وأنهج^(٢)
فلا تراني لذاك أنهج^(٣)
بغير ردف سواه أنهج^(٤)

أقول للسرو قد كساه
زمرّد أنت في لجين
فهل ذكي يطيق وصفي
تقول لي ذائب المعاني
وأنت يـا واصفي بشعر

فكتبتُ أنا الجواب إليه رحمه الله تعالى « يقبل الأرض » ويقول :

وفيها المعاني كالنجوم تلوح
ويخلو بها عاني الهوى فيبوح
كما لفظها بين الأنام فصيح
كذلك تشبيه الملوك مليح

أتتني سطور كالدياجي مدادها
يغني بها الشادي إذا ما حسا الطلا
فكل معانيها غريب مصنف
ملوكية التشبيه فيها تحيلت

(١) في الأصل : « تشبيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أسرع » .

(٣) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أبهر » .

(٤) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أفعّل التفضيل » .

فقابلت منها نسخة تَقَوَّيْهِ على كُلِّ سَطْرٍ قد حَوَتْه صحیحُ
فأعلمتُ فكري فائتني متقاعساً وَعَهْدِي به عند القريض لحوجُ
وَعَادَ فقيراً في زوايا أضعالي وَمَا عنده في نظم ذاك فَتُوحُ^(١)

ثم إِنَّ أَغْفِلَةَ^(٢) بَارَحَتْهُ ، وصبر إلى اليوم حتى رأى نشاطه لما كان عليه وجَانَحَتْهُ ،
وْغَالَطَهُ في نظم شيء في هذه المادّة ، وقال : مَا ضَرَّكَ أَنْ تُسَيِّرَ جَوَادَكَ في هذه الجَادَّةَ ،
فلا بدّ له من العَرَضِ بين يدي مولانا قاضي القضاة أدام الله تعالى أيامه ، وإِعْضَاؤُهُ
مضمون الدُّرْكِ فما كل السَّوَانِحِ غزلان رامةً ، فانفعل لذلك بعدما استحيَا وخجل ،
وقال وَهُوَ مَا بين الْجَذَلِ وَالْوَجَلِ :

الثلج يَسْقُطُ فوق أَوْرَاقِ حَوْتُ نَارِنْجَ بُسْتَانِ سَبَى بروائه
فكأنما تَلُوكَ الثلاث سَرَقْنَ من قاضي القضاة الحُسْنِ يوم لقائه
فابيضَ ذا كثنائه واخضرَ ذا من جُودِهِ وَأَنَارَ ذَا كَذَائِهِ

فشكرتُ لَهُ هذا التخيلَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لطيفُ التحيّلِ ، وقلتُ : مَا بك مَا يَعُوقُ ،
فأَلْحَقْ بيبضاعتك السُّوقَ ، فإذا به قد نظم واستعملَ القلمَ ، وقال :

نَارِنْجِنَا في الغصون يحكي والثُلُجُ في بعضهن رَقْمُ
خِذَا تَبَدَّى بِهِ عِذَارُ عَاجِلُهُ بِالْمَشِيبِ هَمُّ

فقلتُ له : لا بَدَّ من الزيادة ، فإن الخير عَادَة ، فقال : أزيدك شيئاً من
الاستعارة فإنها لِقَمَرِ التشبيه دَارُهُ . وقال :

قد سَقَطَ الثلج فوق دَوْحِ نَارِنْجِهَا يُفْرِحُ الْحَزِينَا

(١) (أ) ، (خ) : « زوايا ضائري » .

(٢) (خ) : « أغفلة » .

كَوْرِدِ خَدَّ وَأَسِ صَدَغَ لَاحَ بِهِ الشَّيْبُ يَا سَمِينَا^(١)

فقلت له : حَسَنٌ ، ولكن التشبيه الملوَّي فات وهو من أعظم الآفات فقال :

كَأَنَّ سَقِيظَ الثَّلَجِ فِي الْوَرَقِ الَّتِي تَضَمَّتِ النَّارَنَجَ عِنْدَ التَّضَرُّجِ
لَا إِلِيَّ مَشِيْبٍ فِي زَمْرِدٍ عَارِضٍ تَبَدَّى عَلَى يَاقُوتٍ خَدَّ مُضَرَّجٍ

فقلتُ هذا كاف ، فانظم في السَّرو بلا خلاف ، فقال بعدما نَضِجَ ولم يبق فيه عرق
يَخْتَلِجُ :

عَايَنْتَ سَرُوءَ دُوحَةٍ قَدْ أَشْبَهَتْ وَالثَّلَجُ يَسْقُطُ فَوْقَهَا مُتَوَالِي
حَسَنَاءَ زُقَّتْ فِي مُلَاءَةٍ مُخْمَلٍ خَضَاءَ كُلِّهَا سُمُوطُ لَا إِلِيَّ
فكتب هو رحمه الله تعالى الْجَوَابَ إِلَيَّ عن ذلك :

تَرَاقَصْتَ الْأَشْجَارَ عِنْدَ سَمَاعِهَا قَرِيضَكَ وَاخْتَالَتَ كَنْشَوَانَ يَطْرَبُ
وَقَالَتَ : أَلَمْ أَخْبِرْكَ أَنَّكَ قَاصِرٌ؟ فَقُلْتُ لَهَا : بَابٌ صَحِيحٌ مَجْرَبُ

وَرَكِبْتُ أَنَا مَغْلُطَةً مِنْ مَغَالِطِ^(٢) الْمَنْطِقِ ، وَنَظْمَتِهِ وَكُتِبَتْ بِهِ^(٣) إِلَيْهِ وَهُوَ :

أَيَا قَاضِي الْقَضَاةِ بَقِيَتْ دُخْرًا لَتَشْفِي مَا يَعَالِجُهُ الضَّمِيرُ^(٤)
فَأَنْتَ إِمَامُنَا فِي كُلِّ فَنٍّ وَمِثْلُكَ لَا تَجِيءُ بِهِ الدَّهْوَرُ
كَأَنَّكَ لِلْفَوَاضِ قُطْبٌ فَهَمَّ عَلَيْكَ غَدَتُ دَقَائِقِهَا تَدْوَرُ
بَلَغْتَ بِالْاجْتِهَادِ إِلَى مَدَى لَا يَحُونُكَ فِي مَعَارِفِهِ فَتَوَرُ
وَبَابُكَ عَاصِمٌ مِنْ كُلِّ جَوْرِ وَعِلْمُكَ نَافِعٌ وَلَنَا كَثِيرُ
وَقُلْنَا أَنْتَ شَمْسٌ عَلَاءٌ وَعِلْمُ فَكَيْفَ بَنُوكَ كُلَّهُمْ بَدْوَرُ

(١) : (أ) : « باح » .

(٢) في الوافي : « مغالطات » .

(٣) في الوافي : « ونظمها وكتبت بها » .

(٤) في الأصل : « لتصفي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

إِلَيْكَ الْمَشْتَكَى مِنْ سُوءِ فَهْمٍ
بُلِيتُ بِفِكْرَةٍ قَسَدَ أَتَعْبَتَنِي
مَقْدَمَتَانِ سَلَّمَتَا يَقِينًا
تَقُولُ الْبَدْرُ فِي فَلَكَ صَغِيرٍ
فِي لَزِمَ أَنَّ بَدْرَ التَّمْ ثَاوٍ
فَأَوْضَحَ مَا تَقَاعَسَ عَنْهُ فَهْمِي
وَفَهْمُكَ فِي الْوَرَى كُضِيَاءَ شَمْسٍ

يُعْتَرِ إِذْ يَسِيرُ لَـهُ الْيَسِيرُ^(١)
تَحُورُ إِلَيَّ كَسَلَى إِذْ تَخُورُ^(٢)
وَلَكِنْ أَتَجَا مَا لَا يَصِيرُ
وَذَلِكَ فِي كَبِيرٍ يَسْتَدِيرُ
بِجَانِحَةِ الْكَبِيرِ وَذَاكَ زَوْرُ
فَأَنْتَ بِجَلَّهِ طَبٌّ خَيْرُ
وَعَلْمُكَ فِي الْأَنَامِ هَدَى وَنُورُ

فكتب الجواب في ليلته وفرّع عليه ثلاثة أجوبة ، وهو :

سَوَّالِكَ أَتَيْهَا الْحَبْرُ الْكَبِيرُ
وهِمَّتْكَ الْعَلِيَّةُ قَدْ تَعَالَتْ
وَنَظْمُكَ فَوْقَ كُلِّ النَّظْمِ عَالٍ
فَلَوْ سَبَحْتَ بِكَ الْأَيَّامَ قَدَمًا
سَأَلْتَ وَأَنْتَ أَذَى النَّاسِ قَلْبًا
وَقُلْتَ الْمَشْتَكَى مِنْ سُوءِ فَهْمٍ
وَفِكْرَتِكَ الصَّحِيحَةِ لَنْ تُجَارَى
وَلَا كَسَلٌ بِهَا كَلَّا وَأَنْتَ
فَهَاكَ جَوَابٌ مَا قَدْ سَلْتَ عَنْهُ
مَقْدَمَتَانِ شَرْطَهُمَا اتِّحَادُ
وَهَذَا مِنْهُ فَلَا نِتَاجَ عَقْمٍ

سَمَتْ فِي حُسْنِ هَالَتِهِ الْبُدُورُ^(٣)
فَدُونَ طَلَاهَا الْفَلَكَ الْأَثِيرُ
عَلَى هَذَا الزَّمَانِ لَهُ وَفُورُ^(٤)
لَقَدْ مَكَ الْجَحَاجَةُ الصَّدُورُ
وَعَنْدَكَ كُلُّ ذِي عُشْرٍ يَسِيرُ
وَحَاشَى إِنْ فَهْمُكَ مُسْتَطِيرُ
وَلَمْ أَرَهَا تَحُورُ وَلَا تَخُورُ
وَدُونَ نَشَاطٍ أَوْهَا السَّعِيرُ
وَأَنْتَ بِمَا تَضَمَّنْهُ خَيْرُ
بِأَوْسَطِ إِنْ يَفَتْ فَاتِ السُّرُورِ
وَأَعْقَبَهُ عَنِ التَّصَدِيقِ زَوْرُ

(١) في الوافي : « من فهم سوء » .

(٢) في الوافي : « تخور » .

(٣) (خ) : « أيها الطَّبُّ » .

(٤) في الأصل : « ونور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

هو الحمُولُ ليسَ هو الصغيرُ
فإنَّ ذِيكَ للشرطِ الثَّبورُ
مقدِّمةً بها يقعُ العثورُ
فشترَكَ عن المعنى قصيرُ
يُخَالِفُ ما تَضَمَّنَه الكَبِيرُ^(١)
لذلكَ أَنتَجَا ما لا يَصِيرُ
لأجلِكَ قلتَ قولَكَ لي عذِيرُ^(٢)
وذلكَ فيهِمَا معنى شَهِيرُ^(٣)
وليسَ عليهِه إيرادُ يَصِيرُ
غدا في العلمِ ليسَ لَه نظيرُ
وكيفَ وَمِنْكَ تَنَحَّلُ الصُّخُورُ
بأفلاكِ مضاعفةٍ تَسِيرُ
دليلٌ أَنَّ خالِقَه قَدِيرُ
عجائبَ ليسَ يحويها الضميرُ
رحيمٌ قاهرٌ ربُّ غفورُ
هو الهادي به قد تم نور

وذلكَ أَنَّ قولَكَ في صغيرِ
وفي الكَبَرى هو المَوْضوعُ فاعلم
وإنَّ رُؤْمَتَ التَّوَصَّلِ باجتلابِ
على تحقيقِ مَظروفٍ وظرفِ
فمعنى البَدْرِ في فلكِ صغيرِ
فلم يَحْصُلْ لشرطهِمَا وجودُ
وفي التحقيقِ لا إِنْتِاجَ لَكِنْ
وَأَمَّا إنَّ أردتَ عَمُومَ معنى
فَيَنْتَجِ آمناً من كلِّ شكٍّ
فذلكَ جوابُ ما قد سَلَّتْ يَأْمَنُ
وَمَا عَنهُ تَقَاعَسَ مِنْكَ فَهَمُ
فَأنتَ البَدْرُ حُسْنًا وانتقالاً
لحامِلِهِ السَّريعِ وتاليهِه
يَرى ذو الهَيْئَةِ النَّحْرِيرِ فِيهَا
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَنشَأَهُ بَرٌّ
وَصَلَّى اللَّهُ رَبُّ عَلَى نَبِيِّ

وكتبتُ أنا إليه سَؤْلاً مِنْ عِلْمِ الْمَنَاطِرِ :

فوائدُ كالذِّمِّ الهَاطِلَةِ^(٤)
لكلِّ عِلْمٍ في الورى شامِلِهِ

قاضي قضاة الشامِ يَأْمَنُ لَه
ومن لَه معرفة قَدْ غَدَتْ

(١) في الوافي : « الكسير » .

(٢) في الوافي : « قولك يا عزيز » .

(٣) (أ) ، (خ) والوافي : « وعموم كون » .

(٤) قوله : « له » زيادة من (أ) ، (خ) .

وَمَنْ إِذَا حَلَّ بِنَا مُشْكِلٌ يَلْقَاهُ بِالْأَجْوَبَةِ الْفَاصِلِهِ
 وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ فِي فَنِهِمْ وَفِي فَنُونٍ عِنْدَهُ حَاصِلِهِ
 مِنْ كَذَبِ الْحِسِّ فَمَا عِنْدَهُ بَيِّنَةٌ تَعْضُدُهُ عَادِلِهِ
 لَكِنَّ هَذَا الْقَطْرُ فِي جَوْهِ غَدَا خَطُوطاً لِلثَّرَى نَازِلِهِ ^(١)
 كَذَلِكَ النَّقْطَةُ فَوْقَ الرَّحَى تُبْصِرُهَا دَائِرَةً جَائِلِهِ
 فَبَيْنَ الْعَلَّةِ فِي صِدْقِنَا أَوَّلَا فِدَعَوَاكُمُ إِذَا بَاطِلِهِ
 وَابْقَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي نِعْمَةٍ بِدَوْرِهَا مَشْرِقَةٌ كَامِلَةٍ

فَكَتَبَ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْجَوَابُ إِلَيَّ مُخْتَصِراً :

عَلَّتْهَا السَّرْعَةُ مَعَ وَهْمِنَا وَمِنْ خَيَالٍ لَمْ يَزَلْ خَائِلَةً ^(٢)
 يَقْضِي بِهَا الْوَهْمُ وَيَأْبَى الْحَجَى وَهُوَ الَّذِي أَحْكَامُهُ عَادِلَةٌ
 وَالْحِسُّ مَقْصُورٌ عَلَى رُؤْيَا مُبْصِرَةٍ لِلصُّورَةِ الْخَاصِلَةِ ^(٣)

وكتب أيضاً رحمه الله تعالى جواباً مطوَّلاً في ثلاثة وأربعين بيتاً وقد أثبتتها بكالها
 في كتابي (ألحان السَّوَّاجِعِ بَيْنَ الْبَادِي وَالْمَرَّاجِعِ) ، وقال لي يوماً : نظمتُ بيتاً مفرداً
 من ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وزدت الآن عليه بيتاً في هذه السَّنَةِ ، وكانت سَنَةٌ سَبْعَ وَأَرْبَعِينَ
 وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وهما :

لَعَمْرُكَ إِنْ لِي نَفْسًا تَسَامَى إِلَى مَا لَمْ يَنْلُ دَارَا بِنُ دَارَا ^(٤)
 فَمِنْ هَذَا أَرَى الدُّنْيَا هَبَاءً وَلَا أَرْضَى سِوَى الْفِرْدَوْسِ دَارَا

فَأَعْجَبَانِي ، وَقُلْتُ فِي مَادَّتِهَا ^(٥) ، إِلَّا أَنَّ بَيِّنَتِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَحْسَنَ وَأَصْنَعُ مِنْ

(١) (خ) : « هذا اللفظ » .

(٢) (أ) : « خائله » .

(٣) (خ) : « على صورة » .

(٤) في الأصل : « تعس » .

(٥) عبارة الوافي : « في مادتها دون مدتها » .

قولي :

لَعَمْرُكَ إِنَّ لِلْبَاقِي التَّفَاقِي وَمَالِي نَحْوَ مَا يَغْنَى طَرِيقَهُ ^(١)
أرى الدنيا وما فيها مجازاً وما عندي سوى الأخرى حقيقه

وحصل له في وقت ما شرى ، فكتب إليه جمال الدين محمد بن نباتة المصري ^(٢) :

يَفْدِيكَ يَا قَاضِي الْقَضَاةِ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ دَاءٍ تَشْتَكِي كُلُّ الْوَرَى ^(٣)
شهد الشرى لك حين زارك بالتقى والصبر والصدقات لما خيراً ^(٤)
لا تعدم المدح الروائح سيّداً هذي خلائقها بتخير الشرى ^(٥)

فلما حضرت عنده أراني إياها ، فلما وقفت عليها علمت ما أرادته من خطأ التورية مع الناظم فضيت من عنده وعدت إليه وقد كتبت أنا إليه بعد ذلك :

لَمَّا اشْتَكَيْ قَاضِي الْقَضَاةِ فَدَيْتُهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَشْتَكِي مِنْهُ الْوَرَى
عَايِنْتُهُ لِأَذَى الشَّرَى مُتَصَبِّراً فَعَلِمْتُ حَقّاً أَنَّهُ أَسَدُ الشَّرَى
وَرَبِحْتُ تَوْرِيْقِي الَّتِي قَعَدْتُ وَمَا خَسِرْتُ وَلَمْ أَنْطَقْ بِتَخْيِيرِ الشَّرَى

فأعجبه ذلك وجبر على عادته معي ، وفساد التورية مع الناظم الأول هو أن « الشرى » ، بفتح الشين ، مقصور ؛ وهو المرض المعروف عند الأطباء بالماشرى ، وهو الخراج الصغار التي تتولد من مادة دموية لذاعة ، و « الشرى » ، بكسر الشين ، مصدر شريت شرى ، ففسدت توريتيه .

ووصل الخبر مع البريد من مصر بوفاته قدس الله روحه في يوم الجمعة سابع جمادى

(١) في الأصل : « التفاني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) انظر : ديوانه : ٢٣٧ .

(٣) في ديوانه : « كل شيء » .

(٤) عجزه في ديوانه : « والبر مختبر العلى ومخبرا » .

(٥) في ديوانه : « المدح السوائر » هذي خلائقه بتخير .

الآخرة سنة ست وخسين ، فكتبت مريثة إلى ابنه ^(١) قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، وأنشدت في صبيحة الغزاء بالعدلية ، وهي :

أَيُّ طُودٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ مَالاً زَعَزَعَتْ رُكْنَهُ الْمُنُونُ فزَلاً
أَيُّ ظِلٍّ قَدْ قَلَصَتْهُ الْمَنَايَا حِينَ أُعِيَا عَلَى الْمُلُوكِ انْتِقَالَا
أَيُّ بَحْرٍ قَدْ فَاضَ بِالْعِلْمِ حَتَّى كَانَ مِنْهُ بَحْرُ الْبَسِيطَةِ الْآ^(٢)
أَيُّ حَبْرٍ مَضَى وَقَدْ كَانَ بَحْرًا فَاضَ لِلْوَارِدِينَ عَذْبًا زَلَالَا
أَيُّ شَمْسٍ قَدْ كَوَّرَتْ فِي ضَرِيحِ ثُمَّ أَبَقَتْ بِدِرٍّ يُضِي وَهْلَالَا
مَاتَ قَاضِي الْقِضَاةِ مِنْ كَانَ يَرْقَى رَتَّبَ الْجَهَادَ حَالًا فَحَالَا
مَاتَ مَنْ فَضَّلَ عِلْمَهُ طَبَّقَ الْأُرْ ضَ مَسِيرًا وَمَا تَشَكَّى كِلَالَا
كَانَ كَالشَّمْسِ فِي الْعُلُومِ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ أَصْبَحَ الْأَنْامُ ذُبَالَا
كَانَ كُلُّ الْأَنْامِ مِنْ قَبْلِ ذَا الْعَصِ رَعِيلِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ عِيَالَا
كَانَ فَرْدَ الْوُجُودِ فِي الدَّهْرِ يُزْهِى بِمَعَالِي أَهْلِ الْعُلُومِ جِيَالَا
فَضَّوْا قَبْلَهُ وَكَانَ خَتَامًا بَعْدَهُمُ فَاعْتَدَى الزَّمَانُ وَصَالَا
كَلَّمَتْ ذَاتَهُ بِأَوْصَافِ فَضْلِ عِلْمِ الْبَدْرِ فِي الدِّيَاجِي الْكَالَا
وَأَنَامَ الْأَنْامُ فِي مَهْدِ عَدْلٍ شَمَلَ الْخَلْقَ يَمْنَةً وَشَمَالَا
لِمَنْ بَعْدَهُ نُشِيدُ رَحَابًا وَلَنْ بَعْدَهُ نَشْدُ رَحَالَا
وَهُوَ إِنْ رُمَتْ مِثْلُهُ فِي عُلاهِ لَمْ تَجِدْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ سَوَى لَا
أَحْسَنَ اللَّهُ لِلْأَنْامِ عَزَاهُمْ فَهَمْ بِالْمَصَابِ فِيهِ تُكَالَى
وَمُصَابِ السُّبُكِ قَدْ سَبَكَ الْقَلْدُ بَ وَأُودَى مَنَا الْجُلُودِ انْتِحَالَا
خَزَرَجِي الْأُصُولِ لَوْ فَاخِرَ النُّجَى حَمَّ عَلَا مَجْدُهُ عَلَيْهِ وَطَالَا
خُلُوقٌ كَالنَّسِيمِ مَرَّ عَلَى الرُّو ضِ سَحِيرًا وَعَرَفَهُ قَدْ تَوَالَى
وَيَدُ جُودِهَا يَفُوقُ الْغَوَادِي تِلْكَ مَاءُ هَمَّتْ وَذَا صَبٌّ مَالَا

(١) (أ) : « ولده » .

(٢) (أ) ، (خ) : « كم فاض » .

صَارَ مِنْهُ عَزُّ الدَّمُوعِ مَذَالَا
بِنَفْسٍ عَلَى الْفِدَا تَتَغَالَى^(١)
مِنْكَ كَرْبٌ يَكْظُهَا وَاسْتَحَالَا^(٢)
فَاسْتَفَادَتْ غَنًى وَعَزَّتْ مِنْهَا
مِنْ أَذَاهَا فِي الذَّهْنِ ذَاءٌ عُضَالَا^(٣)
حَلَّ مِنْ عَقْلِنَا الْأَسِيرِ عِقَالَا
مِنْهُ جَاءَتْ جَوَابَهَا يَتَلَالَا
تَ هُدَاهَا وَقَدْ مَحَوَتْ أَلْمَحَالَا
« هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَالَا »
تَ أُرْدَى الْغَضَنُفِ الرَّئِبَالَا
طَلَبَ الطَّعْنِ وَحَدَّهِ وَالنِّزَالَا^(٤)
سَبْحَانَ سَبْحَانَ مِنْ يَزِيلُ الْجِبَالَا
وَإِذَا مَا بَدَتْ تَرَاهَا خَجَالَا
مَدَّ فِي النَّاسِ مِنْ بَنِيهِ ظَلَالَا
فَوْقَ قَرُقِ الْعِلْيَاءِ رَاقٍ اعْتَدَالَا
مِنْ عَوَادِي الزَّمَانِ رَبِّي تَعَالَى
فِيهِ يَرَعَى الْأَيْتَامَ وَالْأَطْفَالَا
هُ ثَوَابٌ يَهْمِي سَحَابًا ثِقَالَا^(٥)
فِيْفِيدُ النَّدَى وَيُبْدِي الْجَدَالَا

أَيُّهَا الْذَاهِبُ الَّذِي حِينَ وَلَّى
لَوْ أَفَادَ الْفِدَاءَ شَخْصًا لَجَدْنَا
أَنْفُسَ طَالَمَا تَنْفَسَ عَنْهَا
أَنْتَ بَلَّغْتَهَا الْمُنَى فِي أَمَانٍ
مَنْ لَنَا إِنْ دَجَّتْ شُكُوكُ شُكُونَا
كَتَبْتَ تَجَلُّو ظَلَامَهَا بَيِّنَانٍ
مَنْ يَعِيدُ الْفَتَوَى إِلَى كُلِّ قَطْرِ
قَدْ صَبَّتَ الصَّوَابَ فِيهَا وَأَهْدَيْ
فَيَقُولُ الْوَرَى إِذَا مَارَأَوْهَا
فَلْيَقُلْ مَنْ يَشَاءُ مَا شَاءَ إِنَّ الْمَوَ
« وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ
قَدْ تَقَضَى قَاضِي الْقَضَاةِ تَقَى أَلْ
فَالدَّرَارِي مِنْ بَعْدِهِ كَاسْفَاتٍ
كَانَ طَوْدًا فِي عِلْمِهِ مَشْخَرًا
فَبِهَاءٍ بِهَا وَنِعْمَتْ وَتَاجُ
هُوَ قَاضِي الْقَضَاةِ صَانَ حِمَاهُ
وَهَدَاهُ لِلْحَكْمِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
وَحَبَاهُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَوَقَاهُ
لِيُبِيدَ الْعَدَى جَلَادًا وَيَغْدُو

(١) في الأصل : « أفدنا بنفوس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) الكظة : الشدة ، وفي (أ) ، (خ) : « يلظها » ، وهما بمعنى .

(٣) في الأصل : « في الدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) ضمن بيتاً للمتنبي من قصيدته في مدح سيف الدولة . (ديوانه بشرح العكبري : ١٤٣/٣) .

(٥) (خ) : « وهدهاه الصبر » .

وكتبت بعد ذلك إلى ولده الشيخ الإمام بهاء الدين أحمد بمصر أعزّيه :

وهكذا جَيْشُهُ الْمَعَهُودُ نُصِرَتْهُ
أَهْكَذَا جَبَلَ الْإِسْلَامُ يَنْهَدِمُ
وَهَكَذَا مَجَدَّهُ الرَّاسِي قَوَاعِدُهُ
وَهَكَذَا الْبَدْرُ فِي أَعْلَى مَنَازِلِهِ
وَهَكَذَا الْبَحْرُ يَمْشِي وَهُوَ ذُو يَبَسٍ
وهكذا الدين قد أزرى به خَنَسٌ
وهكذا كل مَيِّتٍ حَلَّ فِي جَدَثٍ
وقد نعى الْعَدْلُ مِنْهُ سِيرَةً كَرَمَتْ
وَالْوُرُقُ تُثْمِلِي لَنَا فِي وَصْفِهِ خُطْبَاءُ
ولو أراد الْأَعَادِي كُتْمَهَا اعْتَرَفَتْ
قُلُوبٌ لِلْعِدَى إِنْ جَهِلْتُمْ قَدْرَ رُتْبَتِهِ
والليل والذكر والمحراب شاهِدُهُ
ومن يقل إنّه يدري مَكَاتِهِ
فَكَمْ كَاذِبَةٍ مِنَ النَّظَارِ قَدْ مَهَرُوا
فَكَفَّرَ فِيهِمْ بِلَا فِكْرٍ وَجَدَّ لَهُمْ
وَقَصَّروا عَنْ مِبَادِي غَايَةِ حَصَلَتِ
وَلَوْ فَرَاراً وَقَدْ أَلْقَوْا سِلَاحَهُمْ
عَلَيْهِ هَزَمْتُهُمْ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ
شَكُّوا فَتَوَرَّأَ رَأَوْهُ فِي بَصَائِرِهِمْ
على أعاديهِ بعد الْيَوْمِ يَنْهَزِمُ
وهكذا سَيِّفُهُ الْمَسْلُوبُ يَنْثَلِمُ
تَنْحَطُّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَتَنْحَطِّمُ
وَسَعْدُهُ قَدْ مَحَتْ أَنْوَارَهُ الظُّلُمُ
من بعد مَا كَانَ بِالْأَمْوَاجِ يَلْتَظِمُ
من بعد مَا كَانَ فِي عَرْنِينِهِ شِمَمُ
بَكَى لَهُ الْفَاقِدَانُ الْعِلْمُ وَالْكَرَمُ
يُخْفِئُهَا الزَّاهِرَانِ الْحِلْمُ وَالنَّعَمُ
يُقْلِعُهَا الْمُنْبِرَانِ الْبَيَانُ وَالسَّلَامُ
بِفَضْلِهَا الشَّاهِدَانِ الْعُربُ وَالْعَجَمُ
« فَاَلْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمُ »^(١)
والشرع والحكم والتصنيف والقلمُ
فَمَا خَفِيَ عَنْهُمْ أَضْعَافُ مَا عُلِّمُوا
فِي الْبَحْثِ جَاؤُوا بِمَا ظَنُّوا وَمَا زَعَمُوا
جِدَالُهُ ثُمَّ لَمَّا سَلِمُوا سَلِمُوا^(٢)
لَهُ وَأَيْنَ عَقَابُ الْجَوِّ وَالرَّخْمِ
وَهُمْ أَنَاسٌ عَلَى التَّحْقِيقِ قَدْ وَهَمُوا^(٣)
وَمَا عَلَيْهِمْ إِنْ عَارَ إِذَا انْهَزَمُوا
وَلَوْ أَلْبَسُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ مَا أَلَمُوا

(١) ضَمَّنَ بَيْتَ الْفَرَزْدَقِ الْمَشْهُورَ فِي مَدْحِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ عَلِيٍّ .

(٢) (أ) : « جِدَالُهُمْ ثُمَّ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَلَوْ أَلْفَوْا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) .

مَا النَّاسُ إِلَّا سِوَاءٌ فِي يَوْمِهِمْ
 كُلُّ يَوْمٍ أَنَّهُ رَاحَ مُنْفَرِدًا
 فَإِنْ تَضَمُّهُمْ وَقْتُ الْجِدَالِ وَغَى
 تَزَايِدَ الْحِلْمِ مِنْ زَاكِي سَجِيَّتِهِ
 مُوْفِقُ الْحُكْمِ وَالْفَتْوَى عَلَى رَشَدٍ
 كَمْ بَاتَ يَنْصُرُ مَظْلُومًا رَأَى وَقَدْ
 كَانَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ بِالْفَضْلِ مُعْتَرِفًا
 يَثْنِي عَلَيْهِ وَقَدْ أَبْدَى بِفِكْرَتِهِ
 وَمَا أَقْرَ لَخُلُوقٍ سِوَاهُ وَفِي
 قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِي الدِّينِ حِينَ قَضَى
 وَكَيْفَ يَهْنَأُ عَيْشَ بَعْدَهُ وَبِهِ
 فَالْيَوْمَ أَقْفَرُ رُبْعَ الْمَكْرَمَاتِ وَقَدْ
 مَاتَ الَّذِي كَانَ إِنْ تَسَأَلُهُ غَامِضَةً
 يَأْسَاءُ فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ وَكَمْ
 خَدَمْتَ عِلْمَكَ وَقَتًا وَالْأَنَامُ إِلَى
 تَرَكْتَ فِينَا تَصَانِيفًا تُخَاطِبُنَا
 مِمَّا مِثْلَ سِيرَتِكَ الْمِثْلَى إِذَا ذُكِرْتَ
 أَقَمْتَ فِي مِصْرَ وَالْأَخْبَارُ نَافِحَةٌ
 مَا كُنْتَ إِلَّا إِمَامَ النَّاسِ قَاطِبَةً

مَا الشَّأْنُ فِي أَمْرِهِمْ إِلَّا إِذَا التَّحْمُوا
 لَيْثٌ وَأَقْلَامُهُ مِنْ حَوْلِهِ أَجْمٌ
 فَعِنْدَهَا تَطَهَّرَ الْأَقْدَارُ وَالْقِيَمُ
 فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِدَاهُ قَطٌّ يَنْتَقِمُ
 مَانِدٌ مِنْهُ عَلَى مَا قَدْ مَضَى نَدَمٌ^(١)
 أَوْدَى وَجَانِبُهُ بِالضَّعْفِ يَهْتَضِمُ
 وَهُوَ الْأَلَدُ الَّذِي فِي بَحْثِهِ خِصْمٌ
 أَوْهَامُهُ فَيَرَاهَا وَهُوَ يَيْتَسِمُ^(٢)
 زَمَانُهُ كُلُّ حَبْرٍ عَلَّمَهُ عِلْمٌ
 غَدَا أَوَّلُو الْعِلْمِ لَمْ يَهْنَأْهُمْ حُلْمٌ^(٣)
 قَدْ كَانَ شَمْلُ الْهُدَى بِالْحَقِّ يَلْتَمُّ
 شَطَطُ الْمَزَارِ وَأَقْوَتُ دُونَهَا الْخِيَمُ
 خَلَكَ مِنْ جِلَّهَا فِي الْعِلْمِ تَحْتِكُمُ
 سَعَتُ لَهُ فِي الْمَعَالِي وَالْهُدَى قَدَمُ
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيمَا قُلْتُهُ خَدَمُ
 فَأَنْتَ حَيٌّ وَلَمَّا تُنْشَرُ الرِّمَمُ
 بِالْحَمْدِ تَبْدُو وَبِالتَّقْرِيطِ تَخْتَمُ
 طَيِّبًا تَسِيرُ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ^(٤)
 فِي النُّقْلِ وَالْعَقْلِ تَقْضِي كَلِمَا اخْتَصَمُوا

(١) (خ) : « في الفتوى » .

(٢) (خ) : « مبتسم » .

(٣) (أ) ، (خ) : « أولو الحلم » .

(٤) الوحد : ضرب من سير الإبل . والوخادة : الإبل . وناقعة رسوم : تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

وكلّ مشكلة في الدين معضلة
تَحِلُّ شُبُهَتَهَا مِنْ حَيْثَا عَرَضَتْ
مَطَهَّرَ الذَّاتَ مِنْ رَيْبٍ تَضِيءُ لَنَا
يَكَادُ مِنْ رَقَةٍ فِيهِ يَهَبُ صَبَأٌ
مِنْ أَجْلِ ذَاكَ غَدَتْ أَيَّامُهُ غُرّاً
كَفَّ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي هَبَةِ الْـ
أَقُولُ لِمَا نَأَى عَنْ جَلْقٍ وَنَأَتْ
« يَأْمَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ
لَكِنْ صَبَرْنَا عَلَى التَّفْرِيقِ وَهُوَ أَذَى
مَهْمَا نَسَيْتُ فَمَا أُنْسِيتُ بَرَكَ بِي
وَفَرَطَ جَبَّرَكَ إِذْ تُثْنِيْنِي عَلَيَّ بِمَا
حَتَّى أَغَالِطَ نَفْسِي فِي حَقِيقَةِ مَا
فِعَالٌ مَنْ طَبَعَ الْبَارِي سَجِيَّتَهُ
وَكَادَ دَهْرِي لِيَالِيَهُ تَسَالَمَنِي
وَاللَّهِ لَا فَقَرْتُ مِنِّْي الشِّفَاءَ عَنِ الدُّ
فَاصْبِرْ أَبَا حَامِدٍ فَالنَّاسُ قَدْ فُجِعُوا
تَشَارَكَ النَّاسُ فِي هَذَا الْعِزَاءِ كَمَا
وَأَنْظِرْ وَقِسْ يَا إِمَامَ النَّاسِ كُلَّهُمْ

يَضِيقُ فِيهَا عَلَى سَلَاحِهَا اللَّقَمُ^(١)
بِالْحَقِّ إِذْ لَسْتُ فِي التَّرْجِيحِ تَتَهُمُ
مِنْكَ الْعَوَارِفُ وَالْأَخْلَاقُ وَالشِّمُّ
هَذَا وَقَدْ بَرَحَتْ أَحْدَاثُهُ الْحَطْمُ
بِيضاً وَلَمْ يَقْضَ فِيهَا أَنْ يَرَّاقَ دَمُ
أَمْوَالٍ مَا سَامَهَا مِنْ بَذْلِهَا سَأَمُ^(٢)
عَنْهَا غَوَادِي الْحَيَا وَانْجَابَتِ الدِّيمُ
وَجُدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ^(٣)
« وَمَا لُجْرُحٌ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ »
عِنْدَ الظُّلَمِ وَنَدَاكَ الْبَارِدُ الشِّمُّ
لَا أَسْتَحِقُّ وَذَاكَ الْحَقْلُ مَزْدَحِمُ
أُذْرِيهِ مِنْهَا وَفِي عِلْمِي بِهَا أَهْمُ
عَلَى مَكَارِمِ مِنْهَا النَّاسُ قَدْ حَرَمُوا
وَكَادَ يُصَرِّفُ عَنِّي الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ^(٤)
عَا وَلَا افْتَرَّ لِي مِنْ بَعْدِ ذَاكَ قُمْ^(٥)
فَيْنَ مَضَى لَمْ تُخَصَّصْ أَنْتَ دُونَهُمْ
نَعْمَى أَيْادِيهِ فِيهَا النَّاسُ تَقْتَسِمُ
فَإِنْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا^(٦)

(١) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « هبة الأنفال » .

(٣) هو للمتنبي ، ديوانه : ٣٧٠/٣ ، وكذا الشطر الثاني من البيت الآتي .

(٤) (خ) : « وكان دهري » .

(٥) في الأصل : « عني الشفاء » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) (أ) ، (خ) : « فإن الناس » .

هذي المصيبة بالإسلام قد نزلت فانظر عَرا الدين منها كيف تنفصم
 مامثل من قد مضى يبكي عليه ولا تُجرى على وجنتيك الأدمع السُجم
 فإنّه في جنان الخلد في دعة لكفه الحور والولدان تستسلم
 فقتس الله ذاك الروح منه ولا أراه يوم اللقا والحشر ما يصم

يَقْبَلُ الأرضَ وَيُنْهِي ما عنده من الألم^(١) الذي أنكى ، والحادث الذي ما يحيك^(٢)
 في خلد ذي جلد ولا يحكى ، والمصاب الذي عقد المناحات له بالمناجاة ، فوقف
 واستوقف له ، وبكى واستبكى :

ولو يُغني البكا أو ردّ ميثا بكيثُ فلم يسـاـجلني الغمّ

فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قَوْلَ من فقد إمامه ، وفُجعَ بن كان يهديه إلى رشده
 ويريه طُرُقَ السّلامة ، وأُعدّمتَه الأيامُ حَبْرًا لم يلتفت معه إلى الدراري إذا سمع كلامه ،
 وغَيَضَتْ منه بحرًا كان يَقْذِفُ به من دَرّه قَذَه وتوأمه ، وأخذت منه فريدَ عصره فما
 يدري ما يبكيه منه ، أعلمه أم بركته أم لطفه أم جوده الذي فضح الغمامة ، وابتزت منه
 شيخ الإسلام الذي ما يَخْلِفُهُ الوجود إلى يوم القيامة .

عَمّت فواضله فعمّ مُصابه فالناس فيه كلّهم مَأْجور

ولا حَوْلَ ولا قُوّة إلا بالله العليّ العظيم ، كلمة تقولها الملوك لهذه المصيبة العُظمى
 والرزية التي ما يجد الناس لها رُحْمى ، ذهب والله من كان جمال الوجود ، وإمام الأئمة
 وكعبة الجود ، ومن كان بقاءه بين ظهراي الناس رحمه ، ومن بينه في العلوم وبين علو
 النجوم زحمه ، ومن كان إذا كتب اهتزت من الطرب له الأقلام ، وخضعت لأوامره

(١) (أ) : « من هذا الألم » .

(٢) (أ) ، (خ) : « يحيل » ، وحاك يحيك : رسخ وأثر .

السيوف ، وسكنت خافقات الأعلام ، وتملّت بعلومه وتصانيفه الشريعة ^(١) ، فلما مات قال الناس أحسن الله عزاء الإسلام :

غدا طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهد أنها قبر ^(٢)
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

ويُقسِمُ المملوكُ أنَّ مولانا وأخاه أدام الله أيامهما ما انفردا بهذه الرزية ، ولا ابتليا دون الناس بهذه البلية ، يا مولانا هذا ركن الإسلام قد أنهدم ، وهذا بحر الإيمان قد ارتدم فمصائبه قد عم وما خص ، وتحيف جناح الصبر وما حص ، فالله يعين على ما أبلى ويمسك رمق القلوب فإنها عريت من جبة ^(٣) الصبر وما تطيق من الأحزان نبلا ، وما بقي غير الأخذ بالسنة في الصبر ، والتمسك بأثار السلف الصالح ممن أودع أحبابه القبر :

أنت يافوق أن تعزى عن الأخشاب فوق الذي يعزىك عقلا
وبألفاظك اهتدى فإذا عز الك قال الذي له قلت قبلا ^(٤)

ويُقسِمُ المملوكُ ثانياً [أن] ^(٥) فيكما خلفاً باقيا ، وكلاهما ، كلاهما الله ، نير أصبح في درجات من درج السعد ^(٦) راقيا ، وما السلوة إلا بهذا ، وإلا كانت قلوب الأولياء [قد] ^(٧) أمست جذاذا ، فالله تعالى يتع مصر والشام منكما بمطالع النيرين ، ويدم

(١) في الأصل : « الشريعة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « ثوت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

والبيتان من مشهور شعر أبي تمام في رثاء محمد بن حيد الطوسي ، ومطلع القصيدة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض مأوها عنذر

(٣) (أ) ، (خ) : « جنة » .

(٤) البيتان للمتنبي ، ديوانه : ١٢٣/٣ .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٦) ليست في (أ) ، (خ) .

(٧) في (أ) ، (خ) : « قد أصبحت » .

للإسلام منكما مَنْ يُخَيِّ له سيرة العَمَرين ، وقد جاء من مولانا قاضي القضاة تاج الدين مانور الظلم ، وبور أرباب السيف والقلم .

وقال الناس لِيَمَن أيامه : « ومن يشابه أباه فما ظلم » ^(١) ، فولانا يمدّه بالخاطر ولا يَنْسَهُ من دعائه ، فإنّه في الأرض مثل الغمام الماطر ، أنهي ذلك ، والله الموفق بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

١١٨٠ - عليّ بن عبد الكريم *

ابن طَرْحَانَ بن تَقِيّ ، الشيخ الإمام العالم علاء الدين أبو الحسن بن مُهَذَّب الدين الحموي الصّفي ، وكيل بيت المال بصفد ، المعروف بعلاء الدين الكحّال .

كان شيخاً مليح الشَّيْبه ، ظاهر الهَيْبَة ، طاهر الحضرة والغيبه ، أحمر الحَيَا ، قد طال رِيا وطاب رِيا ، له مطالعة واشتغال ، وعنده على الطلبة حنو واشتغال ، جمع ^(٢) مجاميع حديثيه ، وألّف مؤلفات أدبيّه .

ولم يزل على حاله إلى أن كحل التراب أجفان الكحّال ، وغَيَّر بَطْنَ ^(٣) الأرض وجهه النير فاستحال .

وتوفي رحمه الله تعالى في حدود العشرين وسبع مئة ، وكان قد تعدّى السبعين .

رأيت بصفد مرّات عديدة ، وكان يَرْكَبُ فرسه ويقف على الخُضري واللّحّام والخبّاز وغيرهم ، ويشترى ذلك بنفسه ويخرج الفلوس من منديله وهو بعمّة كبيرة

(١) هو مثل في جمع الأمثال : ٣٠٠/٢ ، والمستقصى : ٣٥٢/٢ ، قال الزمخشري : هو من قول كعب بن زهير .

أقول شبهات بما قال عالما بهن ومن أشبه أباه فما ظلم

* الوافي : ٢٦٧/٢١ ، والدرر : ٧١/٣ ، ووقع في (أ) ، (ط) : « بقي » .

(٢) في الأصل : « سمع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « وجه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

وعَذْبَة طويَلة ، إلّا [أَنّه ^(١)] كان خَيْراً لا شَرَّ فيه ، ولا أعرف في صفد وكيل بيت مال ^(٢) غيره إلى أن مات .

وصنف كثيراً ، من ذلك كتاب (القانون في أمراض العيون) ، وكتاب (الأحكام النبوية في الصّناعة الطّبيّة) وكتاب (مطالع النجوم في شرف العلماء والعلوم) .

١١٨١ - علي بن عبد الكريم بن أبي العدائر*

العنبري ظهير الدين .

كان من الكتّاب الكبار المعروفين ، وله نظم ، وهو خالّ الشيخ كال الدين بن الزملكاني .

توفي في المحرم سنة اثنتين وسبع مئة بعلبك .

١١٨٢ - علي بن عبد الملك**

الأمير علاء الدين بن الملك القاهر بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل .
توفي رحمه الله تعالى يوم السبت تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة ست وسبع مئة .
وكان يوماً مطيراً ، ودفن بتربة والده ، وعمل عزاءه بكرة الأحد بتربة أم الصّالح .

١١٨٣ - علي بن عبد المؤمن بن عبد العزيز***

المسند نور الدين الشافعي .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « اللال » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

* الدرر : ٧٢/٣ ، وفيه : « ابن أبي العلاء » ، ولعلّه تحريف . وفي (أ) : « العدائر » .

** الدرر : ٧٨/٣ .

*** الدرر : ٧٨/٣ .

سمع من جدّه لأبيه ، ومن جده لأُمّه إسماعيل بن أبي اليسر ، وأجاز لي بالقاهرة بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١١٨٤ - علي بن عبد النصير*

ابن قاضي القضاة نور الدين أبو الحسن المالكي .

كان قبيماً بذهب مالك ، عالماً بما فيه من الغوامض الدقيقة والمَسالك^(١) ، حجّ مرات وحجّ مَنْ ناظره فقطعه كرات ، وكان متقشفاً ، ظاهر التخليّ عن الدنيا كأنّه^(٢) منها على شفا ، يتردّد على أصحابه ويتعهّد أماكن لِدّاته وأترابه ، توجّه إلى مصر آخر مرّه ، وتعرّف بالأمير سيف الدين شيخو فأقسم أنّه ما رأى مثله في عُمره ، وراج عنده لمّا راح ، ونزل محادثته منزلة كَأْسِ الراح ، فولاه قضاء القضاة بالديار المصرية ولبس التشريف لذلك ، وفرّج به أصحابه وقالوا : هذا مالِكٌ مذهبِ مالِك .

فأقام على ذلك قليلاً ، ثم اتّخذَ إلى ربّه سبيلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبع مئة ومولده^(٣)

وكان قد ورد إلى دمشق صحبة قاضي القضاة فخر الدين [أحمد] بن سلامة المالكي^(٤) ، وناب له في دمشق ، ثم إنّه أقام بعده في دمشق ، وكان بيده تصدير في الجامع الأموي ، ولما توجّه إلى مصر آخرّاً لازم الأمير سيف الدين شيخو فولاه القضاء في يوم الاثنين ثاني صفر سنة ست وخمسين وسبع^(٥) مئة ، وتوفي في التاريخ المذكور ،

* وفیات ابن رافع : ٣٣١/١ ، والدرر : ٧٩/٣ ، والذيل التام : ١٤٧ ، وتذكرة النبيه : ١٩٢/٣ .

(١) (أ) ، (خ) : « الدقيقة المسالك » .

(٢) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) كذا بياض في الأصول .

(٤) سلفت ترجمته ، وما بين خاصرتين زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « دست » ، سهو .

فأقام في الحكم اثنين وسبعين يوماً ، مرض منها مدة خمسين يوماً^(١) أو أقل ، وما كان أقرب المآتم من العرس .

١١٨٥ - علي بن عبد الواحد بن الخضر *

الرئيس علاء الدين بن السابق - بالسين المهمة وبعد الألف باء موحدة وقاف - الحلبي ، نزيل دمشق .

كان شيخاً جليلاً متميزاً ، من رؤساء الدولة الناصرية يوسف . خدم في الجهات وولي نظر البيمارستان ، ومات [وهو]^(٢) ناظر العشر .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة . وسيأتي بعده ذكر علاء الدين بن السابق ، بالياء آخر الحروف ولكن ذاك علي بن عثمان بن السابق .

١١٨٦ - علي بن عبد الوهاب **

ابن علي بن خلف بن بدر علاء الدين ابن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي .

كان مقيماً بمصر فنزع عنها هارباً من الشجاعي إلى أن وصل حلب وبلادها ، وأقام في حماة مدة ثم حضر إلى دمشق وسعى أخوه القاضي تقي الدين في ترتيبه ناظراً بديوان الأمير حسام الدين طرُنطاي بدمشق رفيقاً لبدر الدين المسعودي^(٣) .

(١) ليست في (أ) .

* الوافي : ٢٩١/٢١ .

(٢) زيادة من (أ) .

** الوافي : ٢٩٢/٢١ وفيه : « ابن بكر » ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢١ ، والسرر : ٨٠/٣ ، ولم يتم ترجمته .

(٣) عبارة الوافي والتالي : « رفيق بدر الدين » ، وهي أشبه . والمسعودي هذا هو الأمير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي (ت ٦٩٥) . البداية والنهاية : ٣٤٥/١٣ .

وحكى المسعودي قال : لما باشر علاء الدين عندنا في الديوان لم يكن له من الملبوس إلا ما هو عليه ، وقد أُخْلِقَ ولم يكن معه شيء ، فأرسلتُ إليه جملة دراهم وقماشاً غير مفصل من مالي ، وبحث فلم يجدني تعرضت إلى درهم واحد من مالِ مخدومي ، قال وذكرني بكل سوء .

ولما تولّى الشجاعى نيابة دمشق حضر عنده ، وتوصل إليه بما يلائمه ، وولاه نظر ديوانه ، وبعد ذلك توجه إلى مصر ، وتولى الحسبة بها .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

قال ابن الصّقاعي : وكان فيه قلق وثلبٌ للناس ومن شعره :

حَماةُ غزاةِ البلدان أضحت لها من نهرِ عاصيها عيونٌ
وقلعتها لها جيدٌ بديعٌ ومن سود التلّول لها قرونٌ^(١)
قلتُ : أخذه من قول

١١٨٧ - علي بن عتيق*

ابن عبد الرحمن بن عليّ الشيخ الإمام العالم العلامة المفنّن المحقق المدقق أبو الحسن المغربيّ القابسي^(٢) المعروف بابن الصيّاد .

ورد إلى الشام وقَدِمَ علينا إلى صفديّ في سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وقرأت عليه (المقامات الحريريّة) كاملة ، وقطعةً من (ديوان أبي تمام) و (ديوان أبي الطيّب) ، وبعض كتاب (أسرار العريّة) لابن الأنباري ، وبعض (درة الغوّاص) للحريري ، وكتاب (العمدة في الأحكام) ، وبعض (الحاسة لأبي تمام) ،

(١) في الوافي والتالي : « جبل بديع » .

* الدرر : ٨٠/٣ .

(٢) كنا في الأصل و (ط) ، وفي (أ) ، والدرر : « الفاسي » .

وبعض (المقامات اللزوميّة) التي للسرقسطي ، وذكرت إسناده لكل نسخة منها في النسخة المقروءة عليه . ثم إنني اجتمعت به في القاهرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ومن هناك عاد إلى بلاده وكان آخر العهد به . إلاّ أنّه كان أحد الأسيّاخ الذين أخذت عنهم ، واقتطفت دُرّ^(١) الفوائد منهم ، كان عالماً بالعربيّة ، والمواد الأدبيّة ، وكان له يدٌ في الأصول فقهاً وديناً ، وحاصِلُهُ في مذهب الإمام مالك متوفر ، كأنّه ليث وَلَجَ منه عرينا ، وأمّا التفسير فكان فيه علّامه ، ونهجه فيه واضح الاستقامه ، وأمّا أسماء الرجال والسيرة النبويّة فكان في ذلك قد بلغ الغايه ، وأطلّ فيه على النهايه ، وكان مع ذلك فقيراً ، وورد إلى هذه الديار^(٢) فلم يكن فيها أثيراً . وعاد إلى بلاده بحُفَيّ حُثَيْنٍ ، مُثَقِّلَ الجوانح بالأحزان ، فارغ اليدين ، وكان وجهه يتوقد حمرة ، ويُظَنُّ به أن قد شربَ كأسِ خمره . قال لي ما فتَصَدَّتْ^(٣) عمري .

وكان ينظم نظماً عجيباً ، أنشدني من لفظه لنفسه بالقاهرة :

ما جاءك الوغد إلا كنت تكرمه ولا أتيتك إلا كنت منحرفاً^(٤)
كذلك الكلب لا يُعْبَا بمجوهره ومن سجيّته أن يألف الجيفا^(٥)

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إنني من أرض فـاس كنتُ فيهِـا كـالقَمَرُ
فخرَجنا فكسِفنا هـكذا جـرّي القـدَرُ

(١) (أ) : « درر » .

(٢) (أ) : « البلاد » .

(٣) في الأصل : « ما فتصدت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٤) في الدرر : « رُحْتُ تكرمه » .

(٥) في الدرر : « لم يُعْبَا » .

١١٨٨ - علي بن عثمان*

ابن يوسف بن عبد الوهاب الرئيس علاء الدين بن العدل ، شرف الدين
الدمشقي التغلبي الكاتب ، ابن السَّايِق ، بالسَّين المهملة وبعد الألف ياء آخر الحروف
وقاف ، وقد تقدّم ذكر ابن السَّايِق ، بالباء الموحدة ، وكلاهما عليّ ، ووفاتها قريبة .

كان علاء الدين^(١) شيخاً له جلاله ، وله مَرُوءة وأصاله ، يكتب خطّاً بديعاً ،
ويوشّي به الطرس فيخال رَوْضاً مَرِيحاً ، نسخ كثيراً بخطّه ، ووَشَّع بقلمه حاشية
مِرْطِيه ، وله أدبٌ ونظم متوسط الرتبة ، وإذا جَلَّاه عروساً قُوبِل بالخطبة .

ولم يزل على حاله إلى أن حَصَلَ له صَمَم ، ولمن يخاطبُه أَلَم ، وكان يُكْتَبُ له في
الهواء المراد فيفهم ، وما يحوج الذي يخاطبه إلى أن يتكلّم ، أو أن يكتب له في الأرض
ما يراد ، فيعرف ذلك بالاختصار والاقتصاد .

ثم إنَّ الموت ساق ابن السَّايِق ، وقطع من دنياه العلائق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وروى عن الرشيد بن مَسْلَمَة وكان قد تخلّى عن الناس وانقطع .

١١٨٩ - علي بن عثمان بن عبد الواحد**

علاء الدين المعروف بالطُّيُوري ، الحاسب .

كان رجلاً جيداً يَشْهَد في القيمة ، ويَعْلَم الناس الحِسَاب ، وكان له مكتب وحلقة
بالجوامع الأموي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث شَوَّال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

* الوافي : ٢٩٧/٢١ .

(١) (أ) ، (ط) : « علاء الدين هذا » .

** الدرر : ٨٣/٣ .

١١٩٠ - علي بن عثمان*

الشيخ العَدْلُ المقرئ الفاضل نور الدين أبو الحسن بن الشيخ المقرئ فخر الدين أبي عمرو بن الشيخ الصالح نفيس الدين بن عبد الرحمن بن الشيخ الصالح زُهري بن فارس^(١) بن قضاة بن مدلج ، ينتهي إلى مَذْحَج بن [عبد]^(٢) مناف القرشي ، المصري القُرَيسِي - بالفاء مفتوحة وراء ساكنة وسينين مهملتين بينهما ياء آخر الحروف - الشافعي .

سمع من زينب بنت سَلِيَمَانَ الإسْعُرْدِي من (الحِلْعِيَّات)^(٣) ، وكان متصداً بالجامع الحاكمي بالقاهرة ، وفيه خَيْرٌ وصَلَحٌ وانجاء عن الناس . وقرأ القراءات على نور الدين الشطنوفي . ولم يحدث .

توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين ثامن ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١١٩١ - علي بن عثمان بن محاسن**

الفقيه العالم المقرئ المحدث علاء الدين أبو الحسن الدمشقي الشاغوري الشافعي ابن الخَرَّاط ، معيد الباذرائية ، ونائب الخطابة .

سمع من ابن عَلَّان ، والقاسم الإربلي ، والفخر علي . وأكثر ، وقرأ بنفسه ، وسمع المُسْنَدَ كُلَّهُ والكتب المطوّلة ، وتلا بالسبع على برهان الدين الإسكندري ، وشارك في الفضائل ، وظهرت عليه للخير والصلاح دلائل . وكتب بخطه كثيراً واختصر ، وجمع

* الدرر : ٨٠/٣ ، وفيه : « علي بن عثمان بن عبد الرحمن بن فارس المقدسي » .

(١) في الأصل : « فاس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٣) من أجزاء الحديث ، تخريج القاضي علي بن حسن بن حسين الخلمي الموصلبي (ت ٤٩٢) ، جمعها أحمد

بن حسين الشيرازي ، وستأهما الخلمي ، الكشف : ٧٢٢/١ .

** الوافي : ٣٠٦/٢١ ، والدرر : ٨٢/٣ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

في ذلك وحشر^(١) ، اختصر (تفسير ابن جرير) بخطه ، ويشنف أذن قرطاسه بِقُرطِه ، وكان فيه انجباع ، وبعد عن الشرّ وامتناع ، مع ملازمة الجماعة ، والإمامة بالناس على أجل طاعه .

ولم يَزَلْ على حاله إلى أن ركب نَعْشَهُ وَمَحَا الدهرُ من الكون نَقْشَهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

قال شيخنا الذهبي : سَمِعْنَا مِنْهُ وَسَمِعَ مِنِّي .

١١٩٢ - عليّ بن عثمان بن إبراهيم*

ابن مصطفى ، الشيخ الإمام الفاضل للفنّ علاء الدين قاضي القضاة بالديار المصرية ، الحنفي ، [ابن]^(٢) التركاني ، تقدّم ذكر والده الشيخ فخر الدين ، وذكر أخيه الشيخ تاج الدين أحمد .

اشتغل هذا الشيخ علاء الدين وأُفْنِيَ في ذلك عُمُرُه ، واجتمع بمن أخذ عنه زُمُرَةً بعد زُمُرِه ، وكتب ودأب وصنف في غير ما فنّ وأتى فيه بالعَجَب . وجمع المجاميع المفيدة ، ونزل من العلوم بالقصور المشيدة . وكان هو وأخوه في سماء الديار المصرية قرين^(٣) ، وفي جنة رياضها نهرين ، ولكن أقل أخوه تاج الدين قبله ، واقتضى عطف الدهر لهذا بالتراخي والمُهْلَه ، فتولّى قضاء القضاة بالديار المصريّة ، ونال من ذلك سؤله ورضاه .

(١) في الأصل و(ط) : « وحسر » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٣٠٧/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٧/١ ، والدرر : ٨٤/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٩/١ ، وتذكرة النبيه : ١٣٤/٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « كلقمرين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

ولم يزل على حاله إلى أن غَدَت^(١) به أم حَبَوَكَرَى^(٢) ، وتقلته من منصبه العالي إلى تحت الثرى .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده في شهور سنة ثلاث^(٣) وثمانين وست مئة .

وكانت ولايته القضاء بالديار المصرية في شَوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولبس تشريفَةً من قلعة الجبل ، ونزل فلم يشعر به قاضي القضاة زين الدين البسطامي إلاّ ودخل^(٤) عليه في تلك الصورة فَبُهِت .

ومن تصانيف قاضي القضاة علاء الدين ابن التركاني (بهجة الأريب [لما^(٥) في] الكتاب العزيز من الغريب) ، و (المنتخب في علوم الحديث) ، و (كتاب المؤتلف والمختلف) ، و (كتاب في الضعفاء) ، و (المتروكين) ، وكتاب (الرد على الحافظ البيهقي) ، ولم يَكْمَل ، (مختصر « الْمُحَصَّل في عِلْم الكلام ») (مقدمة في أصول الفقه) (الكِفاية في^(٦) مختصر الهداية) (مختصر رسالة الْقَشِيرِي) . وشرع في كتب كثيرة وفي مقدمات في العلوم^(٧) ولم تَكْمَل .

ولمّا توفي رحمه الله تعالى تولّى ولده قاضي القضاة جمال الدين عَبْدَ الله^(٨) مكانه .

(١) (أ) : « غَدَت » .

(٢) أم حبوكري : الداهية .

(٣) (أ) : « ثمان » ، سهو .

(٤) (أ) : « ابن البسطامي » . وفي (أ) ، (ط) : « إلا وقد دخل » .

(٥) زيادة من (أ) .

(٦) ليست في الوافي .

(٧) عبارة الوافي : « في العلوم العقلية والعربية » .

(٨) (ت ٧٦٩) ، الدرر : ٢٧٦/٢ .

وله من قصيدة كتبها إلى الأمير سيف الدين أَلْجَـاي^(١) الدَّوَادَارُ :

إذا شَغَلَ البريَّةُ فيكَ فَاها	فكَلَّ عَنْكَ بِالْحَيَّزَاتِ فَاها
فَانِكَ فِي الشَّيْبَةِ وَالْبَادِي	بَلَّغْتَ مِنَ الْفَضَائِلِ مُنْتَهَاها
وَحَزَّتْ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمَعَالِي	وَفُزَّتْ بِهَا وَجَزَتْ إِلَى مِداها
وصَفَّتْ عَنِ الْحَرَامِ عَلَى اقْتِدَارٍ	وصُنَّتِ النَّفْسَ عَنْهُ فِي صِباها ^(٢)
ومَلَّتْ بِهَا إِلَى عَمَلٍ وَعِلْمٍ	فَأَضْحَى ذَا الْوَرَى حَقًّا وَراها
فَلَا بَرَحَ الْوُجُودَ لَهَا مُطِيعًا	وَلَا زَالَ الْعِدَا أَبَدًا فِداها

١١٩٣ - عَلِيّ بن عثمان بن أحمد*

ابن هبة الله بن أحمد بن عقيل الحكيم ، الفاضل بهاء الدين أبو الحسن القيسي المصري ، المعروف بابن أبي الخوافر .

سمع من النجيب عبد اللطيف ، والشريف العماد ، وإبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب المنقدي^(٣) ، والشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، ومحمد بن إبراهيم بن رسلان الكَلْبِي^(٤) ، وغيرهم . وسمع من قطب الدين القسطلاني ، وابن الأَمنَاطي ، وحدث . كان طبيباً فاضلاً حَسَنَ المعالجة ، وَيُتَنَّهُ معروف ومشهور . وكان يكتب خطاً حسناً .

توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في تاسع عَشْرِي شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع

مئة .

(١) في الوافي « الجاي » ، وفي الدرر : « الجاولي » ، تحريف .

(٢) (أ) ، والوافي : « مع اقتدار » .

* الدرر : ٨١/٣ .

(٣) لم نقف على ترجمة له .

(٤) (ت ٦٧٥) ، والوافي : ٢/٢ ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٧٥٥ .

١١٩٤ - علي بن علي *

ابن أبي الحسن الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري .

كان شيخاً مشهوراً عند الناس مَكْرُماً مُعْظِماً ، له حرمةٌ عند النُّوْلةِ وَوَجَاهَةٌ .

توفي رحمه الله تعالى في عَشْرِي جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة بقرية بُشْر^(١) من عمل زُرْع ، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق غائباً .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وتوفي والده سنة^(٢) خمس وأربعين وهو طفل صغير .

١١٩٥ - علي بن علي **

القاضي بهاء الدين بن أبي سودة ، كاتب سِرِّ حلب ، تقدَّم ذِكْرُهُ في حرف السين^(٣) .

١١٩٦ - علي بن عمر بن أبي بكر ***

الشيخ الصالح الْمُعَمَّرُ الْمُسْنَدُ نور الدين أبو الحسن الوافي بن الصَّلاح للصري الصوفي .

سمع من ابن رواج (أَرْبَعِينَ الثَّقَفِي) ، ومن السَّبْط (أَرْبَعِينَ السَّلْفِي) و (جزء

* الوافي : ٢٤٦/٢١ ، والدرر : ٨٧/٣ .

(١) وهي التي تعرف اليوم (بصر الحريري) على مقربة من قرية (إزرع) جنوب دمشق بنحو سبعين كيلاً .

(٢) (أ) : « في سنة » .

** الدرر : ٨٦/٣ .

(٣) يعني في الكنى والألقاب من حرف السين .

*** الوافي : ٢٦٦/٢١ ، ونكت الهميان : ٢١٥ ، والدرر : ٩٠/٣ ، والشذرات : ٧٨/٦ .

ابن عيينه (والسابع من (أمالي المحامي) ، والعاشر من (الثقييات) . وسمع (صحيح مسلم) من المُرسي والبكري ، وَحَدَّثَ بِهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وسمع من يوسف الساوي .

كان شيخاً من أهل الصَّلاح وأرباب الخير والصلاح ، سَهَّلَ القِيَادَ لِمَنْ يَقْصِدُ^(١) سَمَاعَهُ ، مطيعاً لِمَنْ حَاوَلَ مِنْهُ انْتِفَاعَهُ ، أَكْثَرَ الْمَصْرِیُّونَ عَنْهُ وَأَخَذُوا كَثِيراً مِنْ الرِّوَايَةِ مِنْهُ . تَفَرَّدَ فِي عَصْرِهِ وَتَجَرَّدَ سَيْفُهُ لِلْمَاضِي فِي مِصْرِهِ ، فَأَلْحَقَ الصَّغَارَ بِأَكْبَدِهِمْ ، وَجَمَعَهُمْ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ يَغَابِدُهُمْ . وَكَانَ قَدْ أَضْرَّ بِأَخْرَةٍ ، وَعُولِجَ فَأَبْصَرَ ، وَطَوَّلَ بِهِ عُمُدُهُ فَمَا قَصَرَ . ولم يزل على حاله إلى أن رأى الواني مِنْ سَكَرَاتِ اللُّوتِ أَلْوَانَا ، وَتَرَكَ مُجَاجَ الْحَيَاةِ مَجَانَا .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثامن عشر المحرم سنة سبع وعشرين وسبع مئة . ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وست مئة . وهو آخر مَنْ رَوَى حَدِيثَ السَّلَفِي بِالْإِسْمِ الْمُتَّصِلِ .

١١٩٧ - علي بن عمر بن أحمد بن عمر*

ابن أبي بكر بن عبد الله بن سَعْدٍ ، الصَّدْرُ الْعَدْلُ الْكَبِيرُ الشَّرْوَطِيُّ بِهَاءِ الدِّينِ بْنِ الْعِزِّ الْمَقْدِسِيِّ^(٢) الْأَنْصَارِيِّ .

سمع من ابن عبد الدائم ، وعمر بن محمد الكرمانی ، وغيرهما .

كَانَتْ لَهُ دُرْبَةٌ كَبِيرَةٌ بِالشَّرْوَطِ وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِمَا هُوَ بَادٍ إِلَيْهَا مَنُوطٌ ، يَكْتُبُ خَطًّا أَنْقَ مِنْ الْحَدَائِقِ ، وَأَنْقَى^(٣) مِنْ مَحَاسِنِ الْغَيْدِ الْعَوَاتِقِ . وَعَاشَ عُمَرَاً عَامِرَ الرَّبَّوْعِ ، وَأَقَامَ

(١) (أ) : « يطلب » .

* الدرر : ٨٨/٣ ، وتذكرة النبیه : ١١٤/٣ .

(٢) زاد في (أ) : « الحنبلي » .

(٣) (أ) : « وأبقى » .

يُمَدَّ لَهُ خَبْلُ الدَّهْرِ وَهُوَ يَبُوعُ^(١) ، وَمَتَّعَهُ اللَّهُ بِحَوَاسِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ فِيهَا بَصَرُهُ وَلَا سَمْعُهُ وَلَا تَقْصُ حِرْصُهُ^(٢) وَلَا جَمْعُهُ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ انْتَبَهَ لَهُ الدَّهْرُ مِنْ سَنَّتِهِ ، وَأَمْسَكَهُ فِي سَنَّتِهِ .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشْرِ الْحَرَمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

وَكَانَ يَسْتَحْضِرُ أَسْمَاءَ النَّاسِ وَتَوَارِيخَهُمْ عَجَبًا فِي ذَلِكَ . وَعَاشَ هَذِهِ الْمُدَّةَ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ وَهُوَ يَقْرَأُ الْخُطُوطَ الدَّقِيقَةَ . وَكَانَ قَدْ شَهِدَ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ خَلْكَانَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْقَضَاةِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

قَالَ لِي شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِي الدِّينِ السَّبْكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِذَا أَشْكَلْتُ عَلَى قِرَاءَةِ كِتَابٍ أَمْحَى خَطُّهُ أَذْفَعُهُ إِلَيْهِ فَيَقْرَأُ بِلَا كُلْفَةٍ . وَلَهُ (مَشِيخَةٌ) حَدَّثَ بِهَا ، وَاجْتَمَعْتُ بِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَكَانَ يَحْضُرُ إِلَيَّ عِنْدِي وَأُمْلِي عَلَيْهِ مَا يَكْتُبُهُ مِنَ الْأَصْدَقَةِ ، وَأَجَازَ لِي بِخَطِّهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ أَيْضًا بِخَطِّهِ .

١١٩٨ - عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ*

ابْنُ عَمْرِو بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَمْرِو بْنِ كَامِلِ الْمَقْدِسِيِّ الْأَصْلَ ، الْأَبَارِي ، الشَّيْخُ الصَّالِحُ عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْخَطِيبِ نَجِيبُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ مَحَبَّ^(٣) الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ الزَّاهِدُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ أَبِي حَفْصٍ .

(١) وَهُوَ يَسْطُرُ يَدُهُ مَعَهُ .

(٢) (أ) : « عَرَسَهُ » .

■ الدَّرَجَةُ : ٨٩/٣ .

(٣) (أ) : « عَزَّ » .

سمع من جَدِّه لأبيه الخطيب عماد الدين داود وأخويه ^(١) الضياء يوسف ^(٢) والموفق محمد ، وهم أعمام والده ، ومن النجيب نصر الله بن الصفار ^(٣) المحدث .
حدّث وسمع منه الطلبة .

مرض آخر عمره مُدَّة ، وَضَعَفَ وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ، وَانْقَطَعَ بِالْكُلِّيَّةِ . وَكَانَ يُؤَدِّنُ بَيْتَ الْآبَارِ .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة خامس شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة .
ومولده سنة سبع وأربعين وست ^(٤) مئة .

١١٩٩ - علي بن عيسى *

ابن سليمان بن رمضان بن أبي الكرم ، الشيخ الرئيس الكاتب الفاضل المعمّر بهاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الفقيه ضياء الدين ناظر الأوقاف ، وصهر الوزير بهاء الدين بن حنا ، التغلبي [المصري] ^(٥) الشافعي ، ابن القيم .

سمع من الفخر الفارسي ^(٦) ، وعبد العزيز بن باقا [وسبط] ^(٧) السلفي ، وتفرد مدة عن الفارسي .

(١) (أ) : « وإخوته » .

(٢) يوسف بن عمر بن يوسف (ت ٦٦٥) ، الشنرات : ٣٢١/٥ .

(٣) نصر الله بن مظفر بن عقيل الشيباني (ت ٦٥٦) ، الدارس : ٦٠/١ ، والشنرات : ٢٨٥/٥ .

(٤) في الأصل : « سبع » ، سهو .

* الوافي : ٣٧١/٢١ ، والدرر : ٩١/٣ .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

(٦) محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازي (ت ٦٢٢ هـ) ، السير : ١٧٩/٢٢ .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

وكان فيه قوّه ، وهمة مرجوّه ، يركب الخيل ويتصرف في مصالحه ، ويسعى في مناجحه . وعنده دين واف ، وخير كاف ، ولطّف مع من يلقاه ، وتواضع وهو في أعلى مرقاه .

ولم يزل على حاله إلى أن آن انصرام حبله ، وحان انصراف حبله .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس عشري القعدة سنة عشر وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وسمع منه الدميّاطي ، والحارثي ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، وابن حبيب ،
وشيخنا العلامة قاضي القضاة السبكي ، والوافي ، والنور الهاشمي ، وابن سامّة^(١) ، وابن
المهندس^(٢) ، والشيخ رافع ، وولده الشيخ^(٣) تقي الدين حضورا ، وابن الفخر ، وابن
خلف .

وقرأ عليه شيخنا الذهبي الأول من (عوالي) ابن عُيينه للرئيس الثقفى .
وكان يركب الخيل ، ويقوم لكل من يدخل عليه ، ويمشي في أموره . وكان ناظر
الأحباس . وولي أمر التركة الظاهرية . وصاهر الصاحب بهاء الدين بن حنا .

١٢٠٠ - علي بن عيسى بن المظفر*

ابن إلياس ابن الشيرجي الدمشقي .
حدّث عن ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسّر ، وطائفة .

(١) في الأصل : « ابن مامة » ، تحريف ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن سامّة الطائى (ت ٧٠٨) ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل و (ط) : « والنور المهندس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافى .

(٣) في الأصل و (ط) : « والشيخ » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافى .

* الدرر : ٩٤/٣ .

وأجاز له الكمال الضير ، والرشد بن العطار ، وآخرون .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي القعدة سنة أربعين وسبع مئة . عن ثمان وثمانين سنة .
وكان يدعى بهاء الدين .

١٢٠١ - علي بن عيسى بن داود*

ابن شريكوه الأمير علاء الدين بن [الملك المعظم]^(١) بن الملك الزاهر ، مجير الدين ابن أسد الدين .
كان أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، أقام بها مدة ، ثم إنه تولى نيابة حمص بعد الأمير ناصر الدين محمد بن الألقوش^(٢) . جاء إليها في ...^(٣) سنة ست وخمسين وسبع مئة . فأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في سابع عشر شهر رمضان سنة سبع وخمسين وسبع مئة .
وكانت وفاته بممص في عصر هذا النهار . وفي بكرة هذا النهار توفي ابن عمه الأمير أسد الدين أبو بكر بن الأوحى بدمشق . وكان ذلك عجباً .
وكان بيد الأمير علاء الدين نظر كثير من أوقاف البيت الأيوبي ، ويده أيضاً نظر المدرسة التقوية والغور التقوي بدمشق نيابة عن زوجته ، لأنه انتقل ذلك إليها بشرط الواقف .

* الدرر : ٩١/٣ .

(١) زيادة من تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدارس : ٤٤٥/١ في ترجمة والده عيسى ، خلت منها أصول

الأعيان ، وقد ترك في موضعها بياض .

(٢) (ت ٧٦٢) ، وستأتي ترجمته .

(٣) بياض في الأصول بمقدار كلمتين .

١٢٠٢ - علي بن أبي القاسم*

ابن محمد بن عثمان بن محمد الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن بن الشيخ^(١) صفي الدين البصري الحنفي قاضي دمشق .

سمع من ابن عبد الدائم ، والصفي إسماعيل بن الدرّجي ، والقاضي ابن عطاء ، وغيرهم .

وحجّ غير مرة ، وحدّث .

اشتغل^(٢) على والده ، ولزم القاضي شمس الدين بن عطاء ، وتزوج بابنته^(٣) ، وأذن له في الفتوى في سنة أربع وستين وست مئة .

وكان ذا مال وثروة ، وأموال^(٤) لا ينقص الدهر لها^(٥) عروه .

تقدّم في آخر عمره على جميع أبناء مذهبه ، وحاز الرئاسة عليهم بعلمه ومنصبه . وولي الحكم أكثر من عشرين سنة مُسدّد الأحكام ، ينظف العرض من الآثام ، عنيماً في ولايته ، كفيفاً عن رؤية ما يشينه في ولايته ، معظماً بين أهل دمشق إلى الغاية ، موفوراً الجانب لا يصل أحد إلى ثلمه ولا ثلمه بسعايه .

ولم يزل على حاله إلى أن طحنته رحي المنون الدائرة ، وأصبح بسياقه في أول طلائع الآخرة .

* الوافي : ٣٨٩/٢١ ، والدرر : ٩٦/٣ ، والشذرات : ٧٨/٦ .

(١) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « الشيخ الإمام » .

(٢) في الأصل : « أشغل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الوافي : « بأمة شيخه » .

(٤) (أ) ، (ق) : « وأملاك » .

(٥) (أ) ، (ق) : « لها الدهر » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء بعد العصر ثالث شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . ودفن بسفح قاسيون بالقرب من المدرسة المعظمية^(١) .

ومولده في [ثالث]^(٢) شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وست مئة بقلعة بصرى^(٣) ، أيام الخوارزمية .

ولم يزل يترقى في المدارس الكبار إلى أن ولي قضاء القضاة بدمشق ، وجمع بين تدريس المدرسة النورية وللقدمية^(٤) والخاتونية البرانية^(٥) .

وهو سبط القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحوراني نائب الحكم ، كان بدمشق .

وكان القاضي صدر^(٦) الدين حَفْظَة للحكايات والأشعار ، حسن المحاضرة .

١٢٠٤ - علي بن قراسنقر*

الأمير علاء الدين بن الأمير شمس الدين .

لم يزل مقيماً بالديار المصرية في جملة أمرائها إلى أن تحقق السلطان الملك الناصر موت والده في البلاد الشرقية ، فأخرجه السلطان إلى دمشق أمير طبلخاناه أيضاً في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فيما أظن ، أو في سنة تسع وعشرين في أوائلها .

(١) بالصاحية ، بناها الملك المعظم عيسى بن داود سنة (٦٢١) ، الدارس : ٤٤٥/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الوافي : « بقلعة صرخد » .

(٤) بسفح قاسيون بحارة الركنية ، بناها فخر الدين بن الأمير شمس الدين بن المقدم ، الدارس : ٤٦٠/١ .

(٥) بنتها خاتون بنت الأمير جاويز زوجة تاج الملوك بوري (٥٥٧) تقع على الشرف القبلي عند صنعاء الشام ، الدارس : ٣٨٤/١ .

(٦) في الأصل و (ط) : « شرف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ٩٥/٣ ، والسلوك : ٣٠٥/١/٢ ، ٧١٠ ، ٧٥٤ .

ووصل الأمير علاء الدين من القاهرة إلى دمشق في أول شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يحبه أخيراً ويعظمه . ولما توجه الأمير سيف الدين تر الساقى إلى مصر مع الفخري ، أوّلما أنه مات بمصر ، أخذ الأمير علاء الدين تقدمته [على] ^(١) الألف .

وكان مقدم ألف إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في عشية الأحد ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان هشاً بشاً بالناس ، فيه ودٌ وصُحبة ورعاية للناس ، يحضر العقود والمحافل للمتعممين وغيرهم ، ويمجّل الناس . وكان الأمير سيف الدين يلغا يحبه ويعظمه .

وهو والد الأمير ناصر الدين محمد . ولما توصّل ^(٢) الأمير علاء الدين إلى دمشق أعيدت أملاكهم إليهم ، وكانت أولاً تحت الحوطة . وأعطى بدمشق خبز الأوبكري ، وأفرج عن الأمير علم الدين الجاولي ، وأعطى إقطاع الأمير علاء الدين للذكور بزيادة تليق به .

١٢٠٤ - علي بن قيران*

علاء الدين أبو الحسن الكركي السّكزي ، بالسّين للهملة والكاف والزاي ، الدمشقي الجندي ثم الصوفي ، نزيل القاهرة .

سمع الكثير سنة سبع عشرة ، في الكهولة ، وأخذ عن جماعة من أصحاب ابن الزيّدي . وحدث ، ونسخ قليلاً .

(١) زيادة من (أ) .

(٢) (أ) : « دخل » .

* الوافي : ٣٩٤/٢١ ، والدرر : ٩٦/٣ .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : سمع معي ^(١) .

قلت : وُلد سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

كان يكتب أسماء السامعين في المواعيد ^(٢) ، وكان مُخِلًّا - رحمه الله تعالى - ، رأيتُه غير مرة ، وكتب اسمي ^(٣) في سماعاتي .

١٢٠٥ - علي بن محمد بن إبراهيم*

الشيخ الإمام الزاهد بدر الدين السمرقندي الحنفي ، شيخ خانقاه خاتون والخانقاه الشَّبلية .

كان شيخاً مليح الهيئة ، عليه سَكِينَةٌ [ووقار] . وكان فاضلاً وله كلامٌ حَسَنٌ ، وخطه جيّد ، ونسخ بخطّه كثيراً ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة ^(٤) ، وهَمَّتْهُ عالية في أمور دينه وديناه .

توفي - رحمه الله تعالى - في ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

(١) (أ) : « مني » .

(٢) في الوافي : « في الميعاد » .

(٣) (أ) : « أسمى » .

* الدرر : ٩٨/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

١٢٠٦ - علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله*

الشيخ الإمام المحدث الحافظ الفقيه المُنْفَقِي ، شيخ جماعته ، شرف الدين ، أبو الحسين ، ابن الإمام البارِع الشيخ الفقيه اليوناني البعلبكي الحنبلي .

سمع حضوراً من البهاء عبد الرحمن ، وسمع من ابن صَبَّاح ، وابن اللَّقْطِي ، والإربلي ، وجعفر الهمداني ، ومكَّرم ، وموسى بن محمد صاحب دمشق^(١) . وفي الرحلة من ابن رواج ، وابن الجَمَيزي ، والحافظ المنذري عبد العظيم ، وعدة .

وعُني بالحديث وضَبْطه ، وبالفقه واللغة^(٢) ، وحَصَلَ الكتب النفيسة . وكان في وقته عديم النظير في بابِه . ليس له مُشارك في عشرته لأصحابه . حسن المَلَقَى بلامَلَق ، جارياً في سجيته على المكارم^(٣) كم انطلى لما انطلق . دِينُهُ متين ، وهُدْيُهُ مُبين . كثير الهيبه ، يحفظ أصحابه في الحضور والغَيْبِه .

يحفظ كثيراً من الأحاديث بلفظها ، ويفهم معانيها ، ويعرف كثيراً من اللغة ، كان أصمعيّ بوادِها . وكان فصيح العبارة لطيف الإشارة . له قبول كثير من الناس ، وعليه أنس زائد ولباسٌ عار من الإلباس . ومن جملة مآله من السعادة ، أنه أحرز في شهر رمضان الشهاده^(٤) ، لأن موسى الفقير المصري الناشف ضربه بسكين ففَضَى عليه . وتوجّه وقد توجه علمه وعمله [المبرور]^(٥) بين يديه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ليلة الجمعة من شهر رمضان سنة إحدى وسبع مئة .

* الوافي : ٤٢١/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ٦٦ ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ ، والدرر : ٩٨٣ ، والشدرات : ٣/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٢/١ .

(١) هو الملك الأشرف موسى بن العادل (ت ٦٣٥) ، السير : ١٢٢/٢٢ .

(٢) (أ) ، (ق) : « وباللغة » .

(٣) (أ) ، (ق) : « على سجينه في المكارم » .

(٤) (أ) ، (ق) : « السعادة » .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

ومولده ببعلبك في حادي عشر شهر رجب سنة إحدى [وعشرين] ^(١) وست مئة .

قال شيخنا الذهبي - رحمه الله تعالى - : انتفعت به ، يعني بصحته ، وأكثرت عنه .

وقال شيخنا البرزالي : دخلت بعلبك أربع مرات ، قرأت عليه فيها (مُسند) الشافعي - رضي الله عنه - ، و (الثقفيات) العشرة ، و (مشيخة) تخريج الشيخ شمس الدين بن أبي الفتح ، وهي ثلاثة عشر جزءاً ، و (سنن الشافعي) ، رواية الطحاوي ، وعن المزني ، ونحواً من عشرين جزءاً .

وكان يَقْدُم دمشق ، وفي كل مرة نَسَعَ عليه ونستفيد منه . كان قد قدم دمشق في شعبان ، فحصل الأنس به والسماع عليه . وتوجه إلى بلده في آخر الشهر ، فوصل أول شهر رمضان وأقام أياماً ، ولما كان يوم الجمعة خامس شهر رمضان الرابعة دخل إلى خزانة الكتب التي في مسجد الحنابلة ، فدخل هذا الفقير موسى المصري ، فضربه بعصا على رأسه ضربات ، ثم أخرج سكيناً ^(٢) صغيرة فجرحه في رأسه ، فاتقى يديه . فأمسك وحمل إلى والي ^(٣) البلد ، وضرب ، فأظهر الاختلال في عقله وتجانن ، وحمل الشيخ إلى داره ، وأتم صومه يومه . ثم إنه حصل ^(٤) له حمى ، واشتد مرضه إلى يوم الخميس ، دخل إلى رحمة الله تعالى في الساعة الثامنة ، ودفن بباب سطحا ، وتأسف الناس عليه .

١٢٠٧ - علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن مفرج *

الفقيه شمس الدين الأنصاري الإسكندري الشافعي .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ومصادر ترجمته .

(٢) (أ) : « سكينه » .

(٣) (أ) ، (ق) : « متولي » .

(٤) (أ) ، (ق) : « حصلت » .

* الدرر : ٩٧٣ .

كان جيّد القريحه ، ذكيّ الفطرة الصحيحه . له مشاركات في أصول دين^(١) وفروع ، ودخول في النحو وشروع . واختصر (الروضة)^(٢) ، وملاً من معرفتها حَوْضَه ، وكابد من الفقر أنواعا ، أفضت به إلى أن تجرد وصار عريانا ، ولبس من القطوع والشدائد ألوانا ، إلى أن أحسن إليه قاضي سيوط أبو الحجاج يوسف^(٣) ، وأطلقه من فقر كان [في]^(٤) قيده يرسف . وأقرأ ولده أبا مدين شَعْبِيًّا^(٥) ، وكشف عن ذهنه رَيْنًا^(٦) وريبا . ثم إنه صحب فخر الدين ناظر الجيش ، ففاز بلذّة العيش ، وولاه قضاء بلده فَوَه^(٧) ، وأبرز سعده إلى الفعل بعد القوّة .

ولم يزل إلى أن توجه إلى مكة ، فجاءه الأمر الذي قد حَتِمَ ، وطَبِعَ عليه الوجود وخَتَمَ .

فتوفي - رحمه الله تعالى - هناك ، وقال له سعد البقعة : فُزْتُ بما^(٨) هَنَّاكَ .

وكان قد سمع من الديماطي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ولازمه ، وأملى عليه (شرح الإمام)^(٩) . وقرأ الفقه والأصول والنحو على علم الدين العراقي .

وتوجه إلى قوص ، وتولّى إعادة مدرسة ابن السديد ، ثم أعرض عنه ، وحصل له فقر شديد مدقع مدة ، ثم تعرّف بفخر الدين ناظر الجيش ، فأعطاه شهادة الكارم

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) روضة الطالبين وعمدة المتقين ، في الفروع ، للنووي .

(٣) يوسف بن محمد بن علي المغاور . الطالع السعيد : ٧٢٦ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٥) شعيب بن يوسف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) الرين : الدنس ، والصدأ .

(٧) قوّه ، بالضم والتشديد : بليدة على شاطئ النيل قرب رشيد . (معجم البلدان) .

(٨) (أ) : « بها » .

(٩) الإمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد . الكشف : ١٥٨/١ .

بَعِيدَاب^(١) وحصلَ مالا . وشفع فيه عند قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، فولاه قضاء قوّه ، وأجازه بالفتوى ، ثم نقله إلى قضاء سيوط ، ثم عزله ، فتوجّه إلى مكة ، فتوفي هناك سنة أربعين وسبع مئة . وقد جاوز الستين .

وكتب بخطه كثيراً من الفقه واللغة والتصوف ، ووقف كتبه على طلبة العلم .

ومن شعره^(٢) - رحمه الله تعالى - :

ياسائلي عن شامية في أنف من	فَصَحَّ الغُصُونُ بميسه في عطفه
إن الذي برأ الحواجب صاغها	نونين في وجه الحبيب بلطفه
فتنازع النونان نقطة حُسنه	فأقرها ملك الجمال بأنفه

قلت : وقد نظم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر - رحمه الله تعالى - في هذه المادة عدة مقاطيع ، ومن أحسنها قوله :

ماخاله بأنفه	كطابع الحسن فقط
بل إنه من كحل	من مقلتيه قد تقط

وأنشدني من لفظه شيخنا الإمام العلامة أثير الدين أبو حيّان لنفسه في هذا المعنى :

عجبت لخال حلّ في وَسْط أنفه	وعهدي به وسط الخدود غدا وشيا
ولكننا خداه فيه تفايرا	هوى ، فابتغى من وجهه أوسط الأشياء
وحسن الفتى في الأنف والأنف عاطل	فكيف إذا ما الخال صار له حليا

(١) بليدة على ضفة بحر القزم (الأحمر) ، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . (معجم البلدان) .

(٢) (أ) ، (ق) : « ومن شعر شمس الدين قاضي قوّه » .

١٢٠٨ - علي بن محمد بن جعفر*

ابن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن حَجَّون ، الشريف فتح الدين بن الشيخ تقي الدين بن الشيخ ضياء الدين .

سمع من أبي بكر بن الأنماطي وخاله قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، وغيرها .

وجَمَعَ وألَّف وكتب وصنَّف واختصر (الروضة) ، وخاض لُجَّتْها ألف خوضة .

وكانت له يد طولى في حلّ الألغاز ، ونَظْمٌ كثيرٌ يشهد له أنه في حربها وحزبها أقوى مجاهد وأجلّ غاز ، وشعره يُطرب الثكالى ، ويدع النجوم السائرات السفارات من حسنه خجالى . هذا إلى سكون وعفّه ، واتضاع لا يعادله معه أحد في كِفّه .

ولم يزل على حاله إلى أن انضمّ القبر على الفتح ، وجرى عليه عقيق الدموع من السفح .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة .

ومن شعره :

كم من خليلين دام الـسودُ بينهما دهرأ وما داماً على الإنصاف وأتّفقا
رماهما البدر إما بالمنيّة أو بالبعد أو بانصرام الود فافترقا

ومنه :

مابال ليلى أمسى لانفاد له وكان قبل النوى في غاية القصر
ولم يخصّ النوى دون اللقا سَهَر حتى أُعْلِل طول الليل بالسهر
وإنما عيشي الصـ ____ في بقر بكم تبدل الآن منه الصفو بالكدر^(١)

* الوافي : ٤٢٤/٢١ ، والطالع السعيد : ٣٩٩ ، والدرر : ١٠١/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

ومنه لغز في « كَمُون » :

يَأْيَهَا الْعَطَّارُ أَعْرَبَ لَنَا عَنْ اسْمِ شَيْءٍ قَلَّ فِي سَوْمِكَ
تُبَصِّرُهُ بِالْعَيْنِ فِي يَقْظَةٍ كَمَا يُرَى بِالْقَلْبِ فِي نَوْمِكَ

قلت : هكذا تكون صنعة الألغاز ، لقد تخيل جيداً وتخيّل على إيراده^(١) في هذه الصورة .

١٢٠٩ - علي بن محمد بن محمود*

ابن أبي العز بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ، ظهير الدين الكازروني البغدادي الشافعي .

سمع الحديث من الأمير أبي محمد الحسن بن علي بن المرتضى^(٢) وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد^(٣) ، وأبي عبد الله محمد بن سعيد الواسطي^(٤) .

كان فاضلاً حاسباً فرضياً متأدباً مؤرخاً شاعراً ، مصنفأ ماهراً ، كثير التلاوة والعبادة والإنابة ، غزير الوقار والمهابة .

ولم يزل على حاله إلى أن أضمره الضريح ، وغاب شخصه مع الموت الصريح .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة^(٥) .

(١) (أ) ، (ق) : « إيرازه » .

* الوافي : ١٤٠/٢٢ ، والدرر : ١١٩/٣ .

(٢) (ت ٦٣٠) ، الشذرات : ١٣٥/٥ .

(٣) في الوافي : « محمد بن عبد الرحمن اليوسفي » .

(٤) الديبشي (ت ٦٣٧) ، السير : ٦٧/٢٣ .

(٥) زاد في الأصل : « وصف تصانيف » ، ولا موقع لها ههنا ، وقد خلت منها (أ) ، (ق) .

وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتْ مِئَةٍ . هَكَذَا رَأَيْتُ كَالِ الدِّينِ الْأَدْفَوِّي ذَكَرَ هَذِهِ الْوَفَاةَ وَهَذَا الْمَوْلِدَ ، وَوَاقَفَهُ عَلَى ذَلِكَ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّ مِنْ يُولَدُ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتْ مِئَةٍ ، يُمْكِنُ وَفَاتِهِ سَنَةَ ^(١) سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتْ مِئَةٍ .

وَرَأَيْتُ شَيْخَنَا الْبَرْزَالِي قَدْ ذَكَرَ وَفَاتِهِ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ أَضَرَّ ، وَأَنَّهُ رَتَّبَ صُوفِيًّا فِي خَانَقَاهُ الطَّاحُونُ ^(٢) بِدَمَشَقَ .

وَقَالَ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ : كَتَبَ لِي بِمَرْوِيَّاتِهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتْ مِئَةٍ .

وَمِنْ مَصْنَفَاتِهِ ^(٣) : كِتَابُ (النَّبْرَاسِ الْمَضِيءِ) فِي الْفَقْهِ ، وَكِتَابُ (الْمَنْظُومَةِ الْأَسَدِيَّةِ فِي اللُّغَةِ) ، مَجْلَدٌ ، وَكِتَابُ (كَنْزِ الْحُسَابِ فِي الْحِسَابِ) ، مَجْلَدٌ ، وَكِتَابُ (رَوْضَةِ الْأَرَيْبِ فِي التَّارِيخِ) ، سَبْعَةٌ وَعَشْرُونَ مَجْلَدًا . وَصَنَّفَ فِي السِّيَرَةِ وَفِي التَّصَوُّفِ ، وَلَهُ كِتَابُ (الْمَلَاخَةِ فِي الْفَلَاحَةِ) ^(٤) .

وَلَهُ نَظْمٌ ، مِنْهُ قَوْلُهُ :

زَارَنِي فِي الظُّلَامِ أَهْيَفُ كَالْبَدِّ رَ بَوَجْهِهِ مِنْهُ يَلُوحُ النُّورُ
قُلْتُ : أَهْلًا لَوْ كُنْتُ زَرْتُ نَهَارًا قَالَ : مَهْلًا فِي اللَّيْلِ تَبْدُو الْبَدُورُ

قُلْتُ : هُوَ عَكْسُ قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ^(٥) :

هِيَ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ رَأْسِي وَأَرَادَتْ تَنْكَرًا وَأَزْوَارًا

(١) (أ) ، (ق) : « فِي سَنَةِ » .

(٢) مَنْسُوبَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي ، الْبَارِسِ : ١٢٧٣ .

(٣) (أ) ، (ق) : « وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ مِنْهَا » .

(٤) هَذِهِ الْعِبَارَةُ « وَلَهُ كِتَابٌ .. » ، وَقَعَتْ فِي (أ) ، (ق) ، بَعْدَ قَوْلِهِ : « فِي الْحِسَابِ مَجْلَدٌ » .

(٥) شَرْحُ سَقَطِ الزَّنْدِ : ٦٥٢/٢ .

أنا بَدُرٌ وَقَدْ بَدَا الصَّبَحُ فِي رَأْيِ
لست بدرا وإنما أنت شمس
ومن شعر ظهير الدين الكازروني :

مَقْرَطُوقٌ بِالْجَمَالِ ذَوْ هَيْفٍ
يرمي بسهم من غنَجٍ ناظره
أَسْهَرُ طَرَفِي فَتَوَرَّ نَاظِرُهُ
ظَلُمَ ثَنَائِيَاهُ بَارِدَ شَيْمٍ
بَدُرٌ جَمَالٍ بِقَلْبٍ عَاشِقِهِ
تَاهَ عَلَيْنَا بِحُسْنِ صُورَتِهِ
يُضْرَبُ فِيهِ بِعَشْقِي الْمَثَلُ^(١)
يابأي من نبأها المَقْلُ
والعشق داءٌ دَوَّاهُ الْقَبْلُ
كَأَنَّهُ فِي مِذَاقِهِ عَسَلٌ
عَنْ لَوْمٍ عَذَّالِهِ بِهِ شُغْلٌ
وَعُنْجُ طَرَفٍ يَزِينُهُ الْكَحْلُ

قلت : شعر مقبول ، وقوله : « والعشق داء دواؤه القبل » ، ماله علاقة بنصفه الأول .

قال شيخنا الذهبي : كتب إلي بـرؤياته عام سبع وتسعين .

١٢١٠ - علي بن محمد بن خطاب *

الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الأصولي النظار علاء الدين الباجي الشافعي .

سمع بدمشق من أبي العباس التلمساني (جزء ابن جَوْصَا) .

كان في أهل مصر شامه^(٢) ، ولكل من أمّ في علم إمامه ، قلّ من جاء بعده مثله ورأى^(٣) أمامه . طلق العبارة ، إذا أرسل سَهْمٌ بَحْثٍ لَا يَخْطِئُ الْإِشَارَةَ . ناظر العلامة

(١) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٤٥٣/٢١ ، والتالي : ١٢٧ ، والفوات : ٧٣/٣ ، والدرر : ١٠١/٣ .

(٢) زاد في (أ) ، (ق) : « وفي العلوم علامه » .

(٣) (أ) ، (ق) : « أو رأى » .

تقي الدين بن تيميه ، وفاز دونه بالأولويه . وكان يباحث كل مَنْ قَلَّ وجل .
ويسقي الوبل الغدق لا الطل . ولم يُسمع منه بحث نازل ، ولا خلت من فوائده ربوع
الديار المصرية ولا المنازل .

وكان آية من الآيات ، وغاية نأت عن لحاق شأوها من الغايات :

لا تجسر الفُصحاء تذكّر عنده بحشاً ولو كان الهزبر الباسل

ولم يزل يقرئ الطلبة ويفيد ، ويبيدي الغرائب لهم ويعيد ، إلى أن ناجى الباجي
حِمامه وبكاه حتى على الأراك حمامه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء سادس ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع
مئة بالقاهرة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

صنف وأفتى ، وناب في الحكم بالشارع خارج القاهرة ، واشتغل الناس عليه طائفة
بعد طائفة . واختصر (الْمُحَرَّر) في الفقه ^(١) ، و (المحصول في الأصول) ^(٢) ،
مختصرين : كبيراً وصغيراً ، واختصر (كشف الحقائق في المنطق) ^(٣) ، وصنّف في
الفرائض والحساب ، وردّ على ما يبيد اليهود من التوراة ، ورد على ذلك اليهودي الذي
سأل الفتيا نظماً ، وقد تقدمت في ترجمة الشيخ علاء الدين القنوي ، وعمل ردّه نظماً .

وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول ^(٤) : العلاء يُطْلَقُ عليه عالم . وحضر
درسه في المدرسة الصالحية ، فوقع بحث في كلام الغزالي في (الوسيط) ، فقال

(١) للقزويني عبد الكريم بن محمد الرافي (ت ٦٢٣) ، وأشار صاحب الكشف : ١٦١٢/٢ إلى هذا المختصر .

(٢) يعني أصول الفقه للفخر الرازي ، وأشار صاحب الكشف : ١٦١٥/٢ إلى مختصر الباجي .

(٣) كذا في الأصل ، والصحيح أن كشف المنطق للمصنف نفسه . انظر : كشف الظنون : ١٤٨٩/٢ .

وعبارة الدرر : « وله اختصار الحرر في الفقه ، وكشف الحقائق في المنطق » .

(٤) (أ) ، (ق) : « يقول عنه » .

الباجي : الغزالي عدّل في العبارة المقتضية كذا ، حتى لا يردّ عليه كذا . وهذه العبارة التي قالها يردّ عليها خمسة عشر سؤالاً ، وسردّها . فقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : كم سنك ؟ فقال : كذا ، فقال : وهذا^(١) كله حصلته في هذا السن .

وقال الفاضل كمال الدين الأدفوي : قال^(٢) شيخنا العالم الثقة نجم الدين الأصفهاني : حضرت درس الشيخ تقي الدين ، فقال : يافقهاء جاء شخص يهودي ، ويطلب^(٣) المناظرة . فسكت الناس . وقال الباجي : أحضره ، فنحن بحمد الله مليّون بدفع هذه الشبه . وقال لي - رحمه الله تعالى - لما أحضروا ابن تيمية ، طُلبت في جملة من طُلب ، فجئت لقيته يتكلم ، فلما حضرت قال : هذا شيخ البلاد ، فقلت : لا تطرّني ماهنا إلا الحق ، وحاqqته على أربعة عشر موضعاً ، وغير ما كان كتب به خطّه .

وكان أخيراً قد نسب إليه كلام ، واختفى بسببه مدة ، وكان له ابنان فاضلان تكلمتا عنه ، ثم إنه تقشّف ، وصار بفرجية مفتوحة لطيفة^(٤) ، وعمامة بكرائة لطيفة جداً لا تكاد تظهر .

وتولى تدريس السيفية ، وكان معيداً بالمنصورية والصاحية .

ورأيت أنا شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي يعظّمه كثيراً إلى الغاية ، ويثني على فضائله المنوعة . وكان قد ولي وكالة بيت المال بالكرك في الأيام الظاهرية^(٥) .

(١) (أ) ، (ق) والدرر : « وهذا العلم » .

(٢) (أ) ، (ق) : « قال لي » .

(٣) (أ) ، (ق) : « وطلب » . وفي الدرر : « يطلب » .

(٤) (أ) ، (ق) : « قصيرة » .

(٥) قوله : « وكان قد ولي » حتى هنا وقع في (أ) ، (ق) بعد قوله : « معيداً بالصاحية والمنصورية » .

وقال شيخنا البرزالي : أجاز لنا جميع ماله روايته .

وأنشدني قاضي القضاة تقي الدين السبكي من لفظه أبياتاً رثاه بها ، ومنها :

فلاتعذليه أن يبوح بسرّه على عالم أودى بلحد مقدّس^(١)
تعتّل منه كل درس ومجمع وأقفر منه كل ناد ومجلس
ومات به إذا مات كل فضيلة وبحث وتحقيق وتصفيد مبلّس
وإعلاء دين الله إن يبدّ زائغ فيخزيه أو يهدى بعلم مؤسس

وكان شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان يثني عليه كثيراً . أخبرني قال : قرأت عليه يسيراً من مُختصره^(٢) في أصول الفقه ، وسمعت عليه دروساً ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

رثي لي عُذلي إذ عاينوني وسُحِبْ مدامعي مثل العيون^(٣)
وراموا كَحُل عَيْني، قلت : كَفّوا فأصل بليتّي كَحُل العيون

قلت : كان الشيخ علاء الدين - رحمه الله تعالى - نظر في هذا المعنى إلى قول السراج المحار :^(٤)

شكوت الذي ألقاه من ألم الهوى وقلبي عن وصف الأطباء في شغل
وقالوا اشرب المَغلي تجد فيه راحة فقلت : وذا أصل الذي بي من المَغُل

وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدنا الباجي لنفسه^(٥) :

(١) (أ) ، (ق) : « بوجه » .

(٢) في الأصل : « مختصري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) (أ) ، (ق) : « ملء العيون » .

(٤) عمر بن مسعود الحلبي الكناني (ت ٧١١) ، وستأتي ترجمته .

(٥) عبارة الوافي والدرر : « لنفسه دو بيت » .

بالببل والهمزار والشحورر يُسَبِّى طَرِباً قَلْبُ الشَّجِي الْمَهْجُور^(١)
 فانهب عَجلاً وانهب من اللذة ما جادت كرمأ به يد المقدور
 وأنشدني شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي إجازة ، قال : أنشدنا
 لنفسه :

حياة وعلم قُذرة وإرادة وَسَمِعَ وَإِبْصَارَ كَلَامٍ مَعَ الْبَقَا
 صفات لذات الله ، جلّ ، قديعة كذا الأشعري الحبر ذو العلم والتقوى^(٢)

١٢١١ - علي بن محمد بن عبد الله*

ابن عبد الظاهر بن نشوان ، الصدر الكبير الرئيس النبيل الكاتب علاء الدين بن
 القاضي فتح الدين بن القاضي محيي الدين .

سمع بقراءة الشيخ شمس الدين الذهبي من ابن الخلال^(٣) .

وكان القاضي علاء الدين كثير المكارم ، يبتغى جمع الفضلاء والأدباء ، ومحله محط
 الخاملين والنّبهاء والنبلاء ، لا يزال يراعي مصالح الناس ، ويساعدهم على بلوغ مآربهم
 البعيدة من القياس^(٤) . يُؤثّر الواردين والصادرين بملايسه ومراكيبه ، وينتاشهم من
 ورطاتهم ، ولو كانوا بين ماضغي الدهر ومخاليبه .

وكان في أيام سلار هو المشار إليه ، والمعول فيما يُرسم به عن الدولة عليه . وكان

(١) في القوات : « المغرور » .

(٢) (أ) ، (ق) : « ذي » .

* الوافي : ٥٢/٢٢ ، والدرر : ١٠٩/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٧١/١ ، والشذرات : ٤٦/٦ .

(٣) في الوافي : « شمس الدين بن الخلال » ، وفيه سقط . وابن الخلال هذا هو بدر الدين ، الحسن بن
 علي بن أبي بكر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) كذا في الأصل و (ط) ، وفي (أ) ، (ق) : « البعيدة القياس » .

هو الذي خرّج بهاء الدين أرسلان^(١) وهذّبه ، وفقّهه وكتبه ، لأنه كان يهواه ، ويُغضي طَرَفه ، وَيَطوي على جوانحه جواه .

ولما عاد السلطان من الكرك ، وتولّى أرسلان الدوادارية ماشك هو ولا غيره أن كتابة السرتعمّاه ، ولا أن الملك يضطلع بغيره ويتحدّاه ، فاقدر الله له ذلك ، ولم يجرى حساب الدهر هنالك . ولكنّه كان يوقّع في الدست بين يدي السلطان إلى آخر وقت ، والسلطان يضر له البغض والمقت ، ويقول إذا رآه من بعيد : سبحان الرازق ، هذا يأكل رزقه على رَغْم أنفي وأنف الخلائق^(٢) .

وكان القاضي علاء الدين حسنَ الشكل ظريف العمامة نظيف الملبوس ظاهر الوسامة طيّب الرائحة ، يعمّ مجلسا يكون فيه بهباته الفائحة . يكتب خطأ فائقاً من أين للعقود^(٣) اتساقه ، وللروض اليانع زهراته التي تضمّنها أوراقه . قلّ أن اجتمعت مفرداته في غيره ، أو بلغ مترفع في الجو مطار طيّره ، وإليه كانت الرياسة في زمانه ، وإياه عنى مدّاح عصره وأوانه .

ولم يزل في توقيع الدست إلى أن اجْتَثَّ منه الدهر جرثومة الرئاسة ، وأخلى مِصرَه من السيادة والنفاسه^(٤) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

(١) (أ) ، (ق) : « أرسلان الدوادار » .

(٢) (أ) ، (ق) : « يأكل رزقه رغمي ورغم الخلائق » ، وعبارة الوافي : « سبحان الله ، والله ما أشتهي أراه ، وهو يأكل رزقه » .

(٣) في الأصل « للعقود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) وكذا في (ط) . وعبارة (أ) ، (ق) : « اجتث الموت منه جرثومة السيادة ، وأخلى من رئاسته مصر وبلاد » .

ومولده سنة ست وسبعين^(١) وست مئة .

وكتب الإنشاء في الدولة المنصورية ، وعمره إحدى عشرة سنة ، سنة ست وثمانين وست مئة .

وكان الملك الناصر^(٢) يكرهه لكونه قد^(٣) اختص بالأمير سيف الدين سلار .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : قال لي السلطان للملك الناصر : ما كرهته لأجل شيء ، وإنما خان مخدمه [يعني]^(٤) سلار ، لأنه استكبه شيئاً واستكته إياه ، فجاء إليّ وعرفني به . وأخبرني أيضاً أن السلطان لما جاء من الكرك قال للأمير عز الدين الدوادار^(٥) : الساعة يجيء إليك طعام من عند علاء الدين بن عبد الظاهر ، فاقبله منه ، فلم يكن قليل [حتى]^(٦) جاءه ذلك فقبله . وعرف به السلطان ، فقال له السلطان : الساعة يبعث إليك خرفانا وأرزاً^(٧) وسكراً ، ويقول : يا خوند ، أنا ماعندي من يطبخ ما يصلح لك ، دع ممالكك يشوون لك هذا ، فما كان إلا عن قليل حتى جاء ذلك [فأخذه]^(٨) وعرف السلطان به ، فقال : الساعة يجهز إليك ذهباً ويقول : هذا أريده يكون وديعة في خزانة الأمير ، فإنه أحرز عنده من بيتي ، فما كان إلا أن جرى ذلك ، وقال : يا خوند ، قد بعت^(٩) لي ملكاً ، وأخاف أن

(١) في الأصل و (ط) : « وأربعين » ، وهو سهو ، بدليل ما يأتي ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ومصادر ترجمته الأخرى .

(٢) في الأصل : « المنصور » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٣) في (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي : « لكونه كان قد .. » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الوافي : « أي دمر الدوادار » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٧) (أ) ، والوافي : « وإدراً » .

(٨) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٩) (أ) ، (ق) ، والوافي : « أبت » .

يسرق ثمنه ، وقد أرصدته للحجاز ، وأريد أن يكون في خزائنك ، فأخذ الورقة ، وعرضها على السلطان ، فقال له السلطان : اكتب^(١) في قفاها : يا علاء الدين ، نحن ما نغير شرف السدين بن فضل الله ، وإن غيرناه فما نولي إلا علاء السدين بن الأثير ، فوفر ذهبك عليك ، وخله عندك .

وكان القاضي علاء الدين كثير الرياسة والإحسان إلى من ينتهي إليه .

وللعلامة شيخنا شهاب الدين محمود فيه أمداح كثيرة . ولما مات رثاه بقصيدة طنانة كتب بها إلى ناصر الدين شافع - رحمه الله أجمعين - أنشدنيها إجازة ، وهي :

الله أكبر أي ظلال زالا	عن أمليه وأي طود مالا
أنعي إلى الناس المكارم والندى	والجود والإحسان والإفضالا
ومَهْذَباً مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً	وَالسَّمْعَ وَصْفاً وَالْأَكْفَ نَسْوَلاً
حاز الرئاسة فاغدى فيها به ^(٢)	أَهْلُ الْمَفَاخِرِ تُضْرِبُ الْأَمْثَالَ
وحوى من الأدب ما أضحي به	أَهْلُ الْبَيَانِ عَلَى عُلَاهُ عِيَالاً
طَلَّقَ الْمُحَيَّا لَوْ يُقَابِلُ وَجْهَهُ الدَّ	أَنْوَاءَ ظِلِّ جَهَامِهَا هَطَالاً
مُمْكِنٌ مِنْ عَقْلِهِ فَكَأَنَّهُ	قَدْ شَدَّ فِيهِ عَن ^(٣) الْهَنَاتِ عَقَالاً
رَحِبُ النَّدَى تُنْسِي بِشَاشَةِ وَجْهِهِ	مَا زَادَهُ أَوْطَانُهُ وَالْآلَا
طَرَفَتُهُ أَيْدِي الْحَادِثَاتِ فَرَعَزَعَتْ	مِنْهُ مَالاً لِلْعَفَاةِ وَمَالاً
وَسَطَتْ عَلَى الشَّرَفِ الرَّفِيعِ فَقَلَصَتْ	عَنْ ذَلِكَ الْحَرَمِ الْمَنِيْعِ ظِلَالاً
فَجَعَتْ يَتَامَى مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ	أَمْسَى أَبَا لَهُمْ وَإِنْ يَكُ خَالاً
فَقَدَتْ أَيْمَانَهُمْ بِفَقْدِ عَلَيْهِمُ	وَكَذَا الْيَتَامَى عِصَّةً وَثَالاً ^(٤)

(١) (أ) ، (ق) : (اكتب إليه » ، وفي الوافي : « له » .

(٢) في الوافي : « فيهاثة » !

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

(٤) في الأصل و (أ) و (ق) : « أيامهم » ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .

ونضت مكلاءة كل مكرمة ضَفَتْ
وأعادت المجد المؤثِّل بعده
مَنْ للسماحة والفصاحة بعده
مَنْ للموجاهة والنباهة بعده
من للفتوة والمروة أزمعاً
مَنْ للمكتابة حين أضحي جيدها الـ
قد كان فارسها الذي بيراغهِ
وجوادها إن رام سبقاً حازه
وخطيبها ما أم منبر كفَّه
من للبلاغة رامها مِنْ بعده
يا نجل فتح الدين أغلق رزئكم
لَهْفِي على تلك البشاشة كم بها
لهفي على تلك المكارم كم سَقَتْ
لَهْفِي على تلك المروءة كم قضت
لَهْفِي على الأئـمـه كم أثقلت
لَهْفِي على تلك المآثر لم تَطْع
أبكي عليه وقـلـ مني أنني
أدعو دموعي والعزا فيجيبني

عنها فعاد لبأسها الأسـمـالـا
كانا غدير حياً فعادا آلا^(١)
قُولاً يقال وكان قبلُ فعـالـا
إن قال في نادي الندى أوقـالـا^(٢)
لما ترحل بعـدـه الترحـالـا
حالي بدّر يـانـه معطـالـا^(٣)
كم راع قبلُ أسنّة ونصـالـا
فيها وقـرطـسـ إن أراد نصـالـا
قلم فعاد رللأنام مقـالـا
كل فكانت كالنجوم مـالـا
باب الرجاء وأوثق الأقفالـا
بسـطـت لوافـد رفـدـه^(٤) آمـالـا
ظامي الرجاء البارد السـلـسـالـا
سـؤـلـا لمن لم يـئـدـ منه^(٥) سـؤـالـا
ظـهـراً وكم قد خففت أثقالـا
في فعلها اللوام والعنـالـا
أبكي عليه وأكثر الإعـوالـا
ذا هـامـلا ويصـدُّ ذا إهـالـا

(١) (أ) : « وأفادت ... المؤمل » .

(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « إن جال » .

(٣) وقع عجز البيت في (أ) ، (ق) ، (ط) هكذا : في الحال بدّر يـانـه معطـالـا ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « ربعة » .

(٥) في الوافي : « فيه » .

وإذا اعتبرتُ الحزنُ كان حقيقة
 وإذا غفلتُ أقام لي إحسانه
 وإذا هَجَعْتُ فإنما زار الكرى
 قد كان يُكرم جانبي ويُجلني
 ويُجلني كأبيه في تَبْجِيلِهِ
 فعَلام لأبكي وأستسقي لـه
 ولقد صَحبت أباه قبلُ وَجَدَهُ
 فوجدته قد حازَ مَجْدَهُها معا
 ومضى حميدا طاهرا ما دَنَسَتْ
 عَجَل الحِمام على صباه فلا ترى
 ياناصِر الدين اَدْرِع صَبْرًا فَقَدْ
 وَرُزِيت قبل فراق خالك بابنه
 وختامُ هاتيك الحوادثِ فَقَدْ ذا
 فاسألُكم لتبلغَ بائبته العليا التي
 فالأَجْرُ جِمْ والعِزُّ طَرِيقُهُ
 هي هذه السُنْيا كشمسٍ إن عَلتُ
 كم خَيَّبت أَمَلًا وأتبعَتِ الرَّجَا
 يَسْري بنا الآمالُ فيها غِرَّةٌ
 تَبَّأ لها من غفلةٍ فإلى متى
 أو ما ترى فعل المنون بغيرنا

وإذا اعتبرتُ الصَّبْرَ كان مُحَالَا
 في كل وقتٍ مِنْ سَناءٍ مِثَالَا
 ليروعَ قلبي أن أراه خِيَالَا
 وإذا ذَكَرتُ أَطْبابَهُ وَأَطْلالَا
 حتى أَقولُ قد استوينَا حَالَا^(١)
 سَحَبَ القَبُولِ مِنَ الكَرِيمِ تَعَالَى
 وهماها مَجْدًا سَمَا وَكَمَالَا
 فَرَدًّا وَنَالَ مِنَ العَلَامَانَا
 أيدي الهوى لبروده أذِيَالَا
 إِلَّا دَموعًا تَسْتَفِيضُ عِجَالَا
 فَارَقَتْ ثُمَّ صَبَرَتْ ذَاكَ الحَالَا
 فَحَمَلَتْ أَعبَاءَ الخُطوبِ ثِقَالَا
 فَأَعَادَ حُزْنُنا كان مَرًّا وَزَالَا
 فَسَحَتْ لَهُمُ فِيهَا النُجُومُ مَجَالَا
 فَاصْبِرْ فَلَسْتَ تَرَى لَهَا أَمْثَالَا
 وَافَتْ عَزُوبًا بَعْدَهُ وَزَوَالَا
 يَأْسًا وَغَادَرَتْ لِلصَّوْنِ مُذَالَا^(٢)
 فَيُزِيرُنَا ذَاكَ السُّرَى الْآجَالَا
 نَرْجُو البَقَاءَ وَنَرْجُو الْآمَالَا^(٣)
 نَادَتْهُمْ فَتَتَابَعُوا أَرْسَالَا^(٤)

(١) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « ويجلني » بالخاء .

(٢) (أ) والوافي : « بأسا » .

(٣) في الوافي : « فنرجئ الأعمالا » .

(٤) (أ) : « ناداهم » .

سيما لمن قد جاز معتك الردى وغدا لقطب رحي للنون ثقالا^(١)
عجبا لبالٍ في غدٍ تحت الثرى أنى يرى في اليوم ينعم بالـ
كم تخطئ الأسقام من أضحي لها هتفا وقد بعثت إليه نبالا
سيان من نزل القبور اليوم والسفر الذين غادوا غدا نزالا
مع أنهم قطعوا الطريق وخلفوا للخائف الأوجاع والأوجالا
فأعاننا الرب الرحيم على مدى بلغوا وحسن للجميع مالا^(٢)
وسقته من عفوا لإله سائب يتلوسرى غدواتها الأصالا

ومن إنشاء القاضي علاء الدين - رحمه الله تعالى - رسالة في المفاخرة بين الرمح
والسيف ، وهي :

« بعثت إليك رسالتي وفي ذهني^(٣) أنك الكمي الذي لا يجاريك نذ ، والشجاع الذي
أظهر حسن الائتلاف لؤشك الضد^(٤) ، والبطل المنيع الجار ، والأسد الذي لك^(٥)
الأسل وجار ، والباسل الذي كم لحمر الغمود بتجريدك عن وجوه البيض انحسار . ولك
معرفة في الحرب ولا ماتها^(٦) ، والشجاعة وآلاتها ، وإليك في أمرها التفصيل ، ولديك
علم ما لجلتها من تفصيل . وهاهي احتوت على المفاضلة بين الرمح والسيف ، ولم تدّر
بعد ذلك كيف [فإنّ السيف]^(٧) قد شرع يتقوى بحده ، ولا يقف في معرفة نفسه عند
حده ، والرمح يتكسر^(٨) بأنايبيه ويستطيل بلسان سنانه ، ولم يثن في وصف نفسه

(١) (أ) : « ثقالا » .

(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « وأحسن » .

(٣) في الوافي : « علمي » .

(٤) عبارة الوافي : « حسن لؤشك للضد » .

(٥) لك ، أي : ضرب ، أو فصل اللحم عن العظام .

(٦) أي : دروعها .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

(٨) في الوافي : « يتكسر » .

فضل عنانه . وقد أطرقتُها حماك لتحكم بينهما بالحق السوي وتُتَصف بين الضعيف والقوي :

أما السيف فإنه يقول : أنا الذي لصفحتي الغُرر^(١) ، ولحدي الغرار ، وتحت ظلامي في سبيل الله الجنة ، وفي إطلالي^(٢) على الأعداء النار ، ولي البروق التي هي للأبصار والبصائر خاطفه^(٣) ، وطالما لَمَعَت فسَحَت سحبُ النصر واكفه ، ولي الجفون التي مالها غير نصر الله من بصر ، وكُم أغفت فمر بها طيفُ من الظفر ، وكُم بكت عليّ الأَجْفَانُ لما تعوّضت عنها الأعناق غُمودا ، وكُم جلبت الأمانِيّ بيضا والمنايا سودا ، وكُم ألحقت رأساً بقدَم ، وكُم رَعيت في خصيلٍ نَبْتُهُ اللَّلم ، وكُم جاء النصر الأبيض لما أَسَلْتُ النجيع الأحمر ، وكُم اجْتَنَيْتِ ثَمَرَ التأييد من ورق حديدي الأخضر ، وكُم من آية ظفري تلوتها لما صليت [وأتقد لهيب فكري فأصلّيت]^(٤) فوصفي هو لذاتي المشهور ، وفصلي هو للدأثور^(٥) ، فهل يتناول الرمح إلى مفاخرتي وأنا الجواهر وهو العَرَضُ^(٦) ، وهو الذي يُعْغَاضُ غَنَهُ بالسهام وما عني عَوْض ، وإن كان ذاك ذا أسنّه ، فأنا أَتَقَلَّدُ كَلِمَتَهُ . كَمَ حَمَلْتُهُ يَدَ فكانت حَمَالَةَ الخطب ، وكُم فارس كسبه بمحملاته فما أغنى عنه ما كسب ، حُدّه كَيْسٌ مِنْ جُنْسِهِ ، ونفعه ليس من شأن نفسه ، وأين سمر الرماح من بيض الصّفاح ، وأين ذو الثعالب^(٧) من الذي تُحْمَى به أسود الضرائب^(٨) . وهل أنت إلاّ طويلٌ بلا بركه ، وعامِلٌ كم عزلتك النبال بزائد حركه ؟!

(١) في الأصل : « الغر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إطلالي » .

(٣) عبارة الوافي : « التي هي للبصائر لا الأبصار خاطفة » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) في الأصل : « المشهور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٦) في الأصل : « وهو الجواهر وأنا العرض » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٧) الثعالب : جمع ثعلب ، وهو أسفل السنان الذي تدخل فيه القناة .

(٨) ت الأصل : « المضارب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فَنطَقَ الرَّمْحُ بِلِسَانِ سَنَانِهِ مَفْتَحَرًا ، وَأَقْبَلَ فِي عِلْمِهِ مُعْتَجِرًا^(١) ، وَقَالَ : أَنَا الَّذِي طَلْتُ حَتَّى اتَّخَذْتُ أَسْنَتِي الشَّهْبَ ، وَعَلَّوْتُ حَتَّى كَادَتْ السَّمَاءُ تَعْقُدُ عَلَيَّ لَوَاءً مِنَ السَّحَبِ . كَمْ مِثْلَ نَسِيمِ النَّصْرِ غَضَنِي وَمَيَّدَ ، وَكَمْ وَهَى بِي رُكْنَ الْمُلْحَدِينَ ، وَلِلْمُوحِدِينَ تَشْيِيدَ . وَكَمْ شَمْسٌ ظَفَرُ طَلْعَتِ وَكَانَتْ أَسْنَتِي شَعَاهَا . وَكَمْ دِمَاءٌ أَطْرَتْ شَعَاهَا . طَالَمَا أَثْمَرَ غَضَنِي الرُّؤُوسُ^(٢) فِي رِيَاضِ الْجِهَادِ ، وَعَدَّتْ أَسْنَتِي فَكَأَنَّمَا صِيغَتْ مِنْ سُرُورِ مَا يَخْطُرُنْ إِلَّا فِي فُؤَادِ ، وَكَمْ شَبَّهَتْ أَعْطَافَ الْحَسَانِ بِمَا لِي مِنْ مِيلَ ، وَضَرَبَ بِطُولِ ظِلِّ قَنَايَ لِلثَّلِّ ، وَزَاخَمْتُ فِي الْمَنَاكِبِ^(٣) لِلرِّيَّاحِ بِالْمَنَاكِبِ ، وَحَسْبِيَ الشَّرَفُ الْأَسْنَى أَنْ أَعْلَى الْمَالِكِ مَا عَلَيَّ يَبْنَى ، مَا لَمَعَ سَنَانِي فِي الظُّلُمَاءِ إِلَّا خَالَهُ الْمَارِدُ مِنْ رُجُومِ السَّمَاءِ ، فَهَلِ لِلسَّيْفِ فَخْرٌ يُطَالُ فَخْرِي ، أَوْ قَدَّرَ يُسَامِي قَدْرِي ، وَلَوْ وَقَفَ السَّيْفُ عِنْدَ حَدِّهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ الْقَصِيرُ وَإِنْ كَانَ ذَا الْحُلَى ، وَأَنَا الطَّوِيلُ ذُو الْعَلَا ، وَطَالَمَا صَدَعَ هَامَا ، فَعَادَ كَهَامَا^(٤) ، وَقَصَّرَ عَنِ الْعَدَى ، وَالْمُ بَصَفَحْتَهُ كَلَفَ الصَّدَا ، وَفَلَّ حَدَّهُ ، وَأَذَابَهُ الرَّعْبَ فَلَوْلَا غَدَهُ ..^(٥) فَهَلِ يُطْعَمُ فِيَّ بِعَيْبِ ، وَأَنَا الَّذِي أَطْعَمُ حَقِيقَةَ بِلَارِيبِ ، وَمَنْ هَهُنَا أَنْ أَنْ أَمْسَكَ عَنْكَ لِسَانُ سَنَانِي ، وَنَرَجِعَ إِلَى مَنْ يَحْكُمُ بِرَفْعَةِ شَانِكَ وَشَانِي ، وَنَسْعَى إِلَى بَابِهِ ، وَنَبِثَ مُحَاوَرَتَنَا بِرَحَابِهِ .

وَقَدْ أَوْرَدَهُمَا الْمَمْلُوكُ حِمَاكَ ، فَاحْكَمْ بَيْنَهُمَا بِمَا بَصَّرَكَ اللَّهُ وَأَرَاكَ .

وَمَنْ شَعَرَ عِلَاءَ الدِّينِ ، وَقَدْ رُبَّتْ مَعَالِيهِمْ عَلَى شَطْنُونٍ^(٦) :

(١) اعْتَجَرَ : لَوَّى ثَوْبَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ غَيْرِ إِدَارَةٍ تَحْتَ الْحَنَكِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْوَرِيقُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) وَالْوَافِي .

(٣) فِي الْوَافِي : « الْمَوَاكِبِ » .

(٤) أَيِ : كَلِيلَا .

(٥) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ فِي مَدْحِ سَعِيدِ بْنِ شَرِيفِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَدَوِيِّ :

يُذِيبُ الرَّعْبَ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْغَمْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا

(٦) بَلَدٌ بِبَصْرَةٍ مِنْ نَوَاحِي كُورَةِ الْغُرَيْبَةِ عِنْدَ افْتِرَاقِ النَّيْلِ فَرَقَتَيْنِ .

يَا أَمِيرًا لَهُ مِنَ الْجُودِ بَحْرٌ فَهُوَ يَجْرِي لَنَا بِغَيْرِ وَقُوفٍ ^(١)
 قَدْ غَرَقْنَا فِي بَحْرِهِمْ وَغَمٌّ فطلعنا بذلك من شَطْنُوفٍ

ولما دخلت أنا في سنة سبع وعشرين وسبع مئة وجدت جماعة قد لهجوا بالمقامة التي أنشأها القاضي علاء الدين وسمّاها (مراتع الغزلان) ، فكلفني بعض أصحابي الأعرّة أن أنشئ رسالة في مادتها ، فأنشأت رسالتي (عبرة اللبيب بعبرة الكتيب) ^(٢) .

١٢١٢ - علي بن محمد بن سلّمان بن حمائل *

الشيخ الإمام الصدر الرئيس الكاتب الشاعر ، صَدْرُ الشّام ، القاضي علاء الدين بن غانم .

كان حسنةً من حسنات الزمان ، وبقيةً مما ترك أولو الفضل والإحسان ، ذا مروءة فاتت الواصف ، وجودٍ أخجل هتأنه الغمام الواكف . تأدّى من الدولة مرّات ، ومارجع عمّا له من العصبية والخير من كرات ، يُسدي الجليل إلى من يعرف وإلى من لا يعرف ، ويتكلّ على الله تعالى فيما يتصرف بقله ويتصرف . وكان وجيهاً في الدولة يَعْرِفُ النَّاسُ قُدْرَهُ ، ويعلمون أن المروءة لا تنزل إلّا في قلبه ، ولا تسكن إلّا صدره .

وكان حسام الدين لاجين وقبحق والأقرم ومن بعده إلى تنكز يَرْعَوْنَ قُدْرَهُ ويراعونه ، ويعلمون أنّه ما يبخل أن يُعير ما عونه ، لا يبخل بجاهه وماله على أحدٍ من ^(٣) أبناء جنسه ، ولو أن ما في كفه غير نفسه .

ولم يزل على حاله إلى أن حجّ وعادَ إلى تبوك ، فغم ابن غانم أجله ، وراح إلى الله تعالى ، ولم يقصّر به كرمه ولا اعتراه خجله .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « فهو جار » .

(٢) في الوافي : « عبرة الكتيب بعثرة الكتيب » ، تحريف .

* الوافي : ٣٣/٢٢ ، والقوات : ٧٨/٣ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدرر : ١٠٣/٣ .

(٣) في الأصل : « لا يبخل على أحدٍ بجاهه من .. » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في المحرم سنة سبع وثلاثين وسبع مئة . وله ست وثمانون سنة .

وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل - رحمه الله تعالى - يقول : ما أعرف أحداً في الشام إلا ولعلاء الدين بن غانم في عنقه مائة^(١) قلدها بصنيعه أو ماله أو جاهه .

وكان الشيخ كمال الدين بن الزملاكي - رحمه الله تعالى - يكرهه ويؤذيه ويحط عليه ويقول : كيف أعمل بهذا ابن غانم ، أيّ مَنْ أردت أن أذكره عنده بسوء يقول : ما في الدنيا مثل ابن غانم ، أو كما قال .

وكان وقورا مليح الهيئة منور الشيبة ، ملازم الجماعة ، مطّرح الكلفة .

حدّث عن ابن عبد الدائم ، والزين خالد ، وابن النّسّبي ، وجماعة .

وأجاز لي بخطّه في سنة ثلاثين وسبع مئة^(٢) ، ولما دخلت ديوان الإنشاء اجتمعت به غير مرّة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، ووجدت منه خيراً وبراً - رحمه الله تعالى - .

وهو كان آخر مَنْ بقي من رؤساء دمشق ، لأن بيته كان مقصداً لكل غريب وغياثاً لكل ملهوف .

كتب إليه الشيخ جمال الدين بن نباتة في بعض ما كتبه من أمداحه^(٣) :

عَلَوْتُ اسماً وَمَقْدَاراً وَمَعْنَى فَيُـلـلـلـهِ مِنْ فَضْلِ جَلِيٍّ
كَأَنَّكُمْ الثَّلَاثَةَ ضَرَبَ خَيْطٌ عَلِيٌّ فِي عَلِيٍّ فِي عَلِيٍّ

قلت : أخذ الثاني بزمته من قول علاء الدين الوداعي - رحمه الله تعالى - ، نقلت ذلك من خطه ، وقد اجتمع بأصحابه ، وكلّهم يدعى عليّاً :

(١) في الوافي : « مئة » .

(٢) بدمشق كما في الوافي .

(٣) ديوانه : ٥٨ .

لقد سمح الزمان لنا يوم غدا فيه السمي مع السمي
تجمّعنا فكّنا ضرب خيط علي في علي في علي

وكان ينظم وينثر ، وله أعمال جيدة في شببته . وبين الشيخ علاء الدين وبين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وبين الشهاب محمود وغيره من أهل عصره محاورات ومكاتبات على عادة الأدباء ، مليحة .

وكان قد طُلب هو وأخوه شهاب الدين أحمد بن غانم إلى مصر على البريد في شهر رجب سنة سبع عشرة وسبع مئة ، فرسّم للشيخ علاء الدين بكتابه السر بحلب ، فاستعفى من ذلك . وعُرض عليه الإقامة بمصر ، فاختر العود إلى بلده ، ورسم لهما بزيادتين وخلعتين ، وأعيدا إلى دمشق .

ومن نثره - رحمه الله - يصف قلعة :

« ذات أودية ومحاجر لا تراها العيون لبعد مرماها إلا شُرا ، ولا ينظر ساكنها
العدد الكثير إلا نَزرا ، ولا يظنّ ناظرها إلا أنها طالعة بين النجوم بمالها من الأبراج ،
ولها من الفرات خندق يحفُّها كالبحر إلا أن ﴿ هنا عذب فرات وهذا ملح
أجاج ﴾^(١) ، ولها وادٍ لا يقي لفحة الرمضاء ولا حرّ الهواجر ، وقد توغّرت مسالكه ،
فلا يَداس فيه إلا على المحاجر ، وتفاوت ما بين مرآه العليّ وقراره العميق ، ويقتحم
راكبه الهول في هبوطه ﴿ فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في
مكان سحيق ﴾^(٢) .

ومنه في صدر كتاب :

« وجعله لحقيقة العلّياء نفسا وعيّنا ، ولا أعتم منه الملك ناظراً ولا عيّنا . ولا زال

(١) الفرقان : ٥٣/٢٥ .

(٢) الحج : ٣١/٢٢ .

على الأعداء يرسل من مهابته^(١) رقيبين ، أذنا وعينا [وأغنى بكارمه من أن نشيم من السماء خالاً وعينا ، أو نرد من الأرض منهلاً وعينا]^(٢) ، وأطلع طلعة لوائه في الخافقين حتى تخال الشمس^(٣) عينا ، وسيّر ركائب ذكره في الآفاق لا تشتكي أيننا ولا عينا [وأقام ميزان القسط بين الرعايا لا تجد فيه غبناً ولا عينا]^(٤) ، واستعبد بخمته كل أصيد من الملوك ، لكل جحفل قلباً ولكل محفل عينا ، وأهلك كل عدو له وحاسد تارة فجأة وتارة عينا^(٥) ، ومتّع بما خصّه من استجلاء عرائس الحور العين بمجاهدته إذا شغل سواه عينا من أسماء وعينا ، وسطر آثار مآثره^(٦) محمكة على صفحات الأيام إذا لم يبق لمن سلف من الملوك أثراً ولا عينا .

وأنشدي من لفظه ما كتبه إلى شيخنا العلامة أبي الشاء محمود :

لقد غبت عنا والذي غاب محسود وأنت على ما اخترت من ذاك محمود
حللنا محلاً بعد بُعدك ممحلاً به كل شيء ما خلا الشر مقفود
به الباب مفتوح إلى كل شقوة ولكن به باب السعادة مسدود

قال : فكتب^(٧) الجواب :

أأجابنا بنم وشط مزاركم برغمي وحالت دون وصلكم البيد
وودعتم^(٨) روض الحمى بفراقكم فشابت نواصي بانه وهو مؤلود

(١) (أ) : « هيته » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الوافي : « للشمس » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) زاد في الوافي مانصه : « وأنطق لسانه كرمه للأولياء بنون وعين وميم إذ كتب سواه مياً ونوناً وعينا » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٧) (أ) ، (ق) : « فكتب إلي » .

(٨) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « ورد عتم » ، وهي أشبه .

ومن لم تهجّه الوُرُقُ وَجُداً عليكم توهم أن النوح في الدوح تغريد
وكتب إليه شيخنا نجم الدين الصفدي :

شَنَّفَ الأسماع بالدرّ الذي قد حكى الأنجم في ظلماتها^(١)
وبدا كالشمس إلا أنسه زاد في الحُسْن على لألائها^(٢)
فكتب الجواب إليه :

ليس للملوك إلا مدحة في معاليك وفي آلائها
وبجارّ الفضل تجرّي منك لي فقالي قطرة من مائها
ومن شعره :

سَلَبَ المهجّة منّي بالجفون الفاترات
لو يزور البيت لم ير م الحشا بالجمرات

وأخبرني من لفظه ، قال : عَتَبَنِي شهاب الدين محمود ، وهو صاحب ديوان
الإنشاء ، وقال : بلغني أن جماعة من ديوان الإنشاء يذمونني ، وأنت حاضر ، ماتردّ
عني^(٣) ، فكتبت إليه :

ومَن قال إنّ القوم ذمّوك كاذبٌ وما منك إلا الفضل يوجد والجود
وما أحدٌ إلا لفضلك حامد وهل عيب بين الناس أو ذمّ محمود
قال : فكتب إليّ بأبيات منها :

عَلِمْتُ بـ_____أني لم أذمّ بمجلس وفيه كريم القوم مثلك موجود^(٤)

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « بالنظم الذي » .

(٢) في الأصل : « الشمس على » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الوافي : « ماتردّ غيبي » .

(٤) في الأصل : « والجود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

ولست أزكي النفس إذ ليس نافعي إذا ذمّ مني الفعل والاسم محمود
وما يكره الإنسان من أكل لحمه وقد آن أن ييلى ويأكله الدود^(١)

قال : ولم يكن بعد ذاك إلا أيام حتى توفي - رحمه الله تعالى - وأكله الدود .

وكان القاضي علاء الدين - رحمه الله تعالى - قد طلب مني كتابي (جنان الجناس)

وكتب عليه :

لقد ضمّ أجناسَ الجناس فأطربا وأعجز من باراه فيها وأعجبا^(٢)
صلاحَ لدين الله أبدى بدائعا تروق بألفاظ أرقّ من الصبا
يراه بليغ جاء بالمدح سائلاً مجيباً مجيزاً قوله لا مخيّباً
بإنشاده هذا وإنشائه لقد به فات من قد فاق فضلاً ومنصبا
فقسّ إيراد عند ذي الفضل باقل ولفظ امرئ القيس البديع هنا هباً^(٣)

فكتبت أنا^(٤) أشكره على ذلك :

ألا هكذا من قال شعراً فأطربا ووثنى بروداً باليراع فأعجبا
جبرت انكساري إذا أجزت مصنفي بأبيات شعر قد حكت رقة الصبا
فما كلُّ من وافى بحسنى يجيدها ولا كل من أولى الندى يجزل الحبا
فأقيم لو جاراك في الفضل فارس الـ كتابة أعني الفاضل ابن علي كبا
ومن للعماد الأصفهاني أن يرى بيابك دهرأ واقفاً متأدباً
لأنت الذي أنسى بألفاظ نظمهِ وروّقها غصن الشبيبة والصبا
طريقتك المثلّي التي اجتهد الوري على مثلها واستحسنوا منك مذهباً

(١) في الأصل : « من ذمّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الأصل : « وأعجب من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) (أ) ، (ق) والوافي : « ذا الفضل » . وباقل : يضرب المثل بعيه .

(٤) (أ) ، (ق) : « أنا إليه » .

على دهمية جاري من الطرس أشهباً
يَضُوع لها في كل يومٍ لنانبا^(١)

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أشاهد مرأى حسنهما متلياً
فأقضي هوى من طيبه حَتَفَ أنفياً^(٢)
فَيُبْرِز من أكامه لي أيدياً
فأبدي لعيني حسن مرأى بلارياً
يكرّر على مَنْ زاره متعدياً
نسيم الصبا أضحى به متمشياً
فَيَغْرُق وَجْهَ الأرض من كثرة الحيا

ولم يرَ أحلى من يراعسك أحمرأ
بَقِيَتْ لنا دُخْرًا^(٣) مآثرَ فَضْلِهِ

وكم سَرَحَة لي في الربا زمن الصبا
ويُسْكِرني عَرَفَ الصَّبَا من نسيها
وَأَسْأَل فيها مَبْسَمِ الروضِ قُبلة
فلله روض زرتَه متزها
غدا الغصنُ فيه راقِصاً ونسيه
ترجَلَتِ الأشجار والماء خَرَّ إذْ
يغني لديه الورق والغصن راقص

فأنشدته أنا لنفسي في هذا المعنى :

ولاسيما يوم قطعناه بالحمي^(٣)
وعانق قدّاً للقضيب مقوماً
وثغر الأقاحي في الربا إذ تبسما
سقتَه الغواذي صوبها فتمنما
وكبّت كفاً للغدير ومعصما
ونبّه قري الحمي فترغنا^(٤)
بأزهاره كالدرّ لآ تنظماً
تبرقع منها بالحياء وتلثاً

حَسَدَت نسيم الروض في [كل] حالةٍ
فكم ضَمَّ عِطْفاً للغصون مَرْنَحاً
وقَبِل خَدَ الورد وهو مضرج
وكم بات يستجلي عذار بنفسج
ولما أمال القضب تقش ظلها
وفتَح أجفاناً من الزهر أغضت
ولم أنس وجه الروض يُسفر ضاحكا
فدَفَعَتْ فيه البروق جفونها

(١) في الأصل : « دهرأ مآثر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « عرف الشذى » .

(٣) الزيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

١٢١٣ - علي بن محمد بن علي*

ابن وهب بن مطيع ، الإمام الفاضل محبّ الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

سمع من أبيه ، وحضر عند عبد الوهاب بن عساكر ، وسمع من الزاهد عمر الحريري القوصي .

وحدث بالقاهرة ، وسمع منه أمين الدين محمد بن الواني الدمشقي وغيره .
كان فاضلاً فقيهاً في مذهب الشافعي ، يعترف له بذلك كتاب (الروضة)
والرافعي . قوي النفس عزيزاً ، قلّ أن يرى للذلّ مجيزاً . اتصل بابنة الخليفة الحاكم ،
فأصبح لذلك وهو حاكم . وناب عن والده في الدروس ، وسبغت فيها فوائده ، وكانت
زاكية الغروس .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق أباه ، وأجاب داعية ومأباه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة سبع وخمسين وست مئة .

علّق على (التعجيز) شرحاً جيداً ، ولم يكمله ، وناب في الحكم في أيام والده .

قال الفاضل كمال الدين الأذفوي : ذكر لي بعض أقاربه أن الخليفة هو السني ولأه
النيابة عن والده ، فإنه كان تزوج بنت الخليفة أبي العباس أحمد .

ودرس بالفاضلية والمدرسة الصالحية نيابة عن والده ، ودرس بالكهارية
والسيفية . وكان عزيز النفس مترفعاً .

* الوافي : ١٠٢/٢٢ ، والتالي : ١٠٥ ، والطالع : ٤٠٣ ، والدرر : ١١٣/٣ ، والشذرات : ٣٧/٦ .

قال كمال الدين : حكى لي القاضي سراج الدين يونس بن عبد الحميد^(١) الأرمني قال : كنت حاكماً بإخميم من جهة والده تقي الدين ، فصحب محب الدين شخصاً من أهلها ، فطلب منه كتاباً إليّ في حاجة لذلك الشخص ، فرسم بكتابته إليّ ، فلما كتب ، قال له ذلك الشخص : إن أراد سيدنا أن شغلي ينقضي ، يكتب له « المملوك » ، فلم يوافق ، فحلف عليه بالطلاق ، فكتب : « المملوك لله » .

وكان يقال : إنه كان يأخذ^(٢) الهدية في حال نيابته ، ويأخذ معلوماً على السعي في الحاجات عند والده .

١٢١٤ - علي بن محمد بن علي *

هذا علي هو أحد الأخوين التوأمين الملقّبين بالحنّ والبنّ ، وهما حفيدا الشيخ علي الحريري الكبير المشهور .

وكان هذا وأخوه قد دخلا في أذية الناس أيام قازان ، وغرق هذا عليّ في جامع بعلبك بالسيل الذي جاء في سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٢١٥ - علي بن محمد بن علي **

الشيخ الصالح الزاهد العابد بقية السلف ، أبو الحسن البغدادي ، الملقّن بالجامع في الصالحية .

كان صالحاً خيراً ، مُجْتَمِعاً^(٣) على صلاحه وحسن طريقته .

(١) في الأصل « عبد الحميد » ، سهو . وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « يقبل » .

* الدرر : ١١٤/٣ .

** العبر : ٢٨٨/٥ ، والنجوم : ١٨٩/٨ ، والشنرات : ٤٤٢/٥ .

(٣) في الأصل : « منجمنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

روى الحديث عن ابن الزبيدي ، وابن اللَّقي ، والنَّاصح بن الحنبلي ^(١) ، وابن صَبَّاح ، والقاضي ابن الشيرازي ، ومحمد بن غَسَّان ، والجمال أبي حَمْزَة ^(٢) ، وعلم الدين بن الصابوني ، وكريمة القرشية ، وغيرهم . وَخُرِّجَتْ لَهُ (مَشِيخَةً) وَحَدَّثَ بِهَا .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع شَوَّال سنة ثمان وتسعين وست مئة . ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة ^(٣) .

وخرَجَ جماعة من البلد لحضور جنازته والتبرَّك بها .

١٢١٦ - علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم *

علاء الدين أبو الحسن بن العدل بدر الدين العَدَوِي الصالحي المعروف بابن السكاكري الشروطي .

أجاز له عبد العزيز بن الزَّبيدي ^(٤) ، وابن العَلِّيق ، وعبد الخالق النَّشْتَبَرِي ^(٥) ، وابن خليل . وسَمِعَ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِم ، ومحيي الدين بن الزكي وجماعة .

حَدَّثَ وَتَفَرَّدَ بِبَعْضِ شَيْخِهِ ، وكانت له معرفة بإتقان المكاتب ، وعلم بغوامضها ، وشهد على الحكَّام .

وكان قويَّ النفس ، ثمَّ إِنَّهُ كَبُرَ وَعْجَزٌ ، اعتراه نسيان وغفلة ، وافتقر ، وكان يلزم الجماعة .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

(١) في الأصل : « الحلبي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ابن حمزة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أحمد بن عمر بن أبي عمر المقدسي (ت ٦٣٣ هـ) ، العبر : ١٣٣/٥ .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الوافي : ١٠٥/٢٢ ، والدرر : ١١٢/٣ ، والشذرات : ٧٢/٦ .

(٤) عبد العزيز بن يحيى بن المبارك ، (ت ٦٤٩ هـ) السير : ٢٥١/٢٣ .

(٥) في الأصل و (أ) : « التستري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

١٢١٧ - علي بن محمد بن عمر*

ابن عبد الرحمن بن هلال الصدر الكبير العالم نجم الدين أبو عبد الله الأزدي
الدمشقي .

من أعيان رؤساء الدماشقة الأقدمين في الرئاسة ، وقد ذكرهم ركن الدين
الوهراني^(١) في أول منامة ، فقال :

« على أنه وجد من جوانح الخادم من نار الشوق أجيحا ، لو أن النار التي كُست
الكلاسة واشتملت على الحائط الشمالي ، وعزست في مئذنة العروس ، وأذنت بهلاك
المؤذنين وأهلت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها لَمَّا اقتصرت على المقصورة ،
ولا بردتها البرادة حتى تصحن الصحن ، وتنسر النسر .

وكان قد أجاز له بهاء الدين بن الحميري ، وسمع من ابن البرهان وابن أبي اليسر
والكرماني وطائفة . وطلب بنفسه وحصل أصولاً ودار على للمشايخ . وقرأ عليه شيخنا
الذهبي بكفر بطنا (موافقات الموطأ)^(٢) .

وكان يذاكر بأشياء حسنة ، وقالة سادته لسنه ، وفيه مكارم ، وعنده بالجو
مساجلة للغائم ، تعمل في بيته الحلوى التي تفرّد ياتقانها ، وتعاهدت الناس من هديتها
يأذمانها^(٣) ، ويبتهم في الدماشقة مشهورون بعمل القرن ياروق ، وإذا أهدى منه شيء
يعتقدون أنه ترياق الفاروق .

وإلى هذا نجم الدين - رحمه الله تعالى - كتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ،
وقد طال نجاز وعده بذلك :^(٤)

* الوافي : ١٠٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٤٥/١٤ .

(١) محمد بن محرز (ت ٥٧٥) ، والوافي : ٣٨٦/٤ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ياتقانها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) ديوان ابن نباتة : ٥٣٨ .

أصمّ حديثُ القرنِ ياروق مسمعي بتأخيره يا حاسبين الندى عني
فلا تجعلوني في العفاة نعامةً غدت تبتغي قرناً فعادت بلا أذن

ولم يزل نجم الدين المذكور على حاله إلى أن انكدر نجمه ، وأصبح وقد ضمه تحت الأرض رحمه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

وكان على ذهنه شيء من التواريخ ، وكان يدّعي أنه حفظ المُستَظْهري ^(١) على ما قيل . وحدث بدمشق والقاهرة والقدس . وحج وسمع بمكة من أمين الدين بن عساكر في سنة خمس وثمانين وست مئة . وجمعت شيوخه فبلغوا مئة وخمسين شيخاً ^(٢) . وله إجازة في سنة خمس وخمسين وست مئة ، فيها ابن خطيب القرافة ، وجماعة من أصحاب الثقفى والخشوعي وغيرهم .

وكتب في الإجازات ، وجمع فيها جماعة من أقاربه ، وباشر نظر الأيتام غير مرة . وكان فيه نهضة وكفاية . وأمر أن يكتب على قبره : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ ^(٣) .. الآية . ودفن بترته قبالة تربة ابن قوام ، رحمه الله تعالى .

(١) هو كتاب حلية العلماء في مذاهب الفقهاء لمحمد بن أحمد بن القفال الشاشي (ت ٥٠٧ هـ) ، وهو كتاب كبير ، صنّف للخليفة المستظهر بالله العباسي ، ولنا لقب هذا الكتاب بالمستظري .

الكشف : ٦٩٠/١ .

(٢) (أ) : « رجلا » .

(٣) الزمر : ٥٣/٣٩ .

١٢١٨ - علي بن محمد بن غالب بن مري*

العَدْلُ الفقيه المحدث ، كاتب الحكم ، علاء الدين أبو الحسن ابن الإمام نصير الدين ابن القاضي كمال الدين الأنصاري الشافعي الدمشقي .

روى (الشاطبية) بسماعه بقوله من الكمال^(١) الضريع . وسمع بدمشق من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعِدَّة . وطلب الحديث ، وقرأ النحو على ابن مالك ، وقرأ كُتُباً وأجزاء . وكان يعرف نَحْوَ وحِساباً وشروطاً ، وحَصَلَ من الشروط مالا كثيراً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سابع صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٢١٩ - علي بن محمد بن قرحون**

الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن اليعمري المَدَنِي المالكي .

قدم علينا دمشق ، ورأيتُه بها مرّات في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .
وكان إنساناً شكَّله حَسَن^(٢) ، وعنده رِوَاءٌ وفيه لَسَنٌ ، حسنَ المحاضرة ، لطيف المذاكرة ، يُحِبُّ الأدب ، ويكثر منه الطلب .

وأقام بدمشق يجمع وينتقي ، ويصعد في طلب العاريّة ويرتقي ، إلى أن آن رحيل الراكب ، وجرى على فراقه الدمع الساكب^(٣) ، فقفَل معهم إلى وطنه ، وحنَّ إلى عَطْنِه .

* الوافي : ١١١/٢٢ ، والدرر : ١١٥/٣ ، والشنرات : ٦٨٦ .

(١) في الوافي : « ابن الكمال » .

** الوافي : ١١٣/٢٢ ، والدرر : ١١٥/٣ .

(٢) في الأصل : « حسن الشكل » . وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أنسب للجمعة .

(٣) (أ) ، (ق) : « آن رحيل الركب ... السكب » .

ولم يزل على حاله بالمدينة إلى أن أصبح في البقيع مَزُوراً ، وأودع فيه ثم تولوا عنه
نُفُوراً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة ست وأربعين وسبع مئة .

كتب إلي يطلب مني ^(١) (شرح لامية العجم) :

قَدْ طَالَ هَذَا الْوَعْدُ يَا سَيِّدِي فَاَنْظُرْ لِمَقْصُودِي وَكُنْ مُسْعِدِي
أَنْتَ صَلاَحُ الدِّينِ حَقًّا فَكُنْ صَلاَحُ دُنْيَايَ الَّتِي تَعْتَدِي
وَجُودُ بَغِيْثِ الْأَدَبِ الْمُنْتَقَى وَاسْتَقِ - رِعَاكَ اللَّهُ - قَلْبًا صَدِي
بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ فَاخْتِمْ بِهِ بِإِخَاتِمِ الْخَيْرِ وَيَا مُبْتَدِي
فَكُتِبْتَ أَعْتَذِرُ عَنْ تَجْهِيزِهِ ، لِأَنَّهُ فِي الْعَارِيَةِ :

أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الَّذِي تَبْتَغِي عِنْدِي لَمْ أَمْنَعُهُ مِنْ سَيِّدِي
يَا مَنْ لَهُ نَظْمٌ عَلَا ذُرُوءَ وَهَادَاهَا تَغْلُو عَلَى الْفَرْقَدِ
لَقَدْ تَطَوَّلَتْ وَلَمْ تَقْتَصِر وَمَنْ بَدَأَ فِي فَضْلِهِ يَزْدَدُ ^(٢)
وَأَيْنَ مَنْ نَالَ نَهَايَاتِهِ مِمَّنْ - كَمَا قُلْتَ لَهُ - مُبْتَدِي

وكان قد ركب أعجازاً وصدوراً على قصيدة الطغرائي (لامية العجم) ، فجهرها
إلي لأقف عليها ، وأولها :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخُطُلِ وَشِرْعَةُ الْحَزْمِ ذَادَتْنِي عَنِ اللَّذَلِ
وَحُلَّةُ الْعِلْمِ أَغْنَتْنِي مَلَابِسُهَا وَحُلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيراً وَمَجْدِي أَوَّلَا شَرَعَ وَسُؤْدُودِي ذَاغٌ فِي حَلْيٍ وَمَرْتَحَلِي
وَهَمِّي فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَاحِدَةً وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضَّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ

(١) في (أ) ، (ق) ، والواقي : « تمام شرح » .

(٢) في الأصل : « من فضله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والواقي .

فيم الإقامة بالزّوراء لاسكني دَانٍ ولأنا في عَيْشٍ بها خِضَل
وليس لي أرب فيها ولا خَوَل بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلِي^(١)

وهي كلّها على هذا النمط ، يأتي إلى كل بيت فيجعل لكل صدر عجزاً ، ولكل عجز صدرّاً ، وقد أثبتّها بكاملها في الجزء العشرين من (التذكرة) التي لي ، فأعدتها بعد ما كتبت^(٢) عليها تقرّظاً وهو حسبها قصده مني والتمسه : « وقفت على هذا النمط الغريب والأسلوب الذي ماسلك شِعْبُهُ^(٣) أديب ، والألفاظ التي تُجيد الجيد ، وما تريب أنها حلّي التريب ، والعبارة التي هي أشهى من عصر شبابٍ ماشيب بمشيب ، والنظم الذي شاب منه رأس الوليد ، وتَقَصَّ أبو تمام فليس بحبيب ، والمعاني التي هي أوقع في النفوس من وَصَلِ حبيب ، نزّهته اللذة عن الرقيب القريب ، والسطور التي هي جداولُ الروض والهمزة فيها على ألفتها حامة على قضيب .

وفي تَعَبٍ من يحسد الشّمسَ ضَوْءَهَا ويزعم أن يأتي لها بضريب^(٤)

لقد أمتع ناظرها أمتع الله بفوائده ومحاسنه^(٥) ، وحلّى جيد الزمن يدّرّه الذي يثيره^(٦) مِنْ مَعَادِنِهِ ، فجعل لآفاقها مشارق ومغارب ، وليبوتها في شعاب القلوب مراكز ومضارب ، كيف أفادها أعجازاً وصدورا^(٧) ، وكيف تنوّع في الحُسْن حتّى أفاد الحضور أردافاً ، وركّب على الأردافِ حضورا ، وكيف اقتدر على البلاغة فأطْلَعَ في أفلاكها شمساً وبدو را ، فلو عاينها الطُّغْرَائِي ، رحمه الله تعالى ، جَعَلَهَا لمنشور

(١) (أ) ، (ق) : « ولا خولي » . وقوله : « ناقتي فيها ولا جملي » هو للحارث بن عباد البكري قاله لما وقعت حرب البسوس .

(٢) (أ) ، (ق) : « كتبت له » .

(٣) في الأصل : « سعبه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) للمتنبّي ، ديوانه : ٥٦٨ ، وفيه : « .. نورها ويجهد أن يأتي ... » .

(٥) (أ) ، (ق) والوافي : « أمتع الله بمحاسنه » .

(٦) في الأصل : « ويرزه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٧) في الأصل : « صدارا » ، سهو .

(ديوانه) طغره ، وعلم أن رَوْضَ نظمه إن كان فيه زهرة فهذا أفقٌ أَطْلَعَ في كل منزلة منه شمساً وبَذْراً وزُهرَةً ، فالله يُعَزِّجُ الأَدبَ منه بفارس الجوله ، ويديم لأيامه بفوائده خير دَوْلَه ، ويلمَّ شَعَثَ بنيه الذين لا صَوْنَ لهم ولا صَوْلَه ، ويمتعمهم بحاسنه التي لا يذكر معها أبيات عَزَّة ، ولا أطلال خوله ، بمنته وكرمه إن شاء الله تعالى .

وطلب مني عاريةً (المقامات الجزرية)^(١) ليقف عليها ، فجهزتها إليه ، فأعادها بعد ما كتب عليها بخطه « يقول الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمرى [المدني]^(٢) عفا الله عنه : لما نظرت (مقامات الجزرية)^(٣) رأيت ألفاظها حُوشِيَه ، وحلل أسجاعها^(٤) غَيْرَ مطرزة ولا مَوْشِيَه ، لم يَسْقِ روضها ماءً البلاغة المُستَعْدَبُ ، فما أنبت أرضها زهر اللفظ المَهْدَبُ ، ومع هذا فطالما كَلَّفَ نَفْسَه فيها وَعَذَبُ ، وعندي أن من لم يستحسن^(٥) كذبها لم يكذب :

ظَنَّ الفصاحَةَ في الغريب فَأَثَرَهُ فلكم لَهُ مِن فِقْرَةٍ هي فاقِرُهُ
قَرَحَتْ قريحَتُهُ وفات قبولها ياكِرَةُ مِن بُعْدِ ذلك خاسِرُهُ

وقد أثبت عندي منها المقامة الأولى ، ورأيت أن تترك ما سواها أولى :

إِذِ الأسلوبُ في المجموع واحد وليس على كتابتها مُسَاعَد

١٢٢٠ - علي بن محمد بن قلاوون*

الملك علاء الدين بن السلطان الملك الناصر بن الملك المنصور .

(١) هي المقامات الزينية لمعد بن نصر بن نصر الله بن رجب ، المعروف بابن الصقيل الجزري (ت ٧٠١) ، الكشف : ١٧٨٥/٢ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) كذا في الأصل : وفي (أ) ، (ق) ، والوافي : « الجزري » .

(٤) في الأصل : « ألفاظها » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) في الأصل : « أن من استحسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

* الدرر : ١١٥/٣ .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين بن جندر بك ، قال : جهّزني السلطان الملك الناصر لإحضاره من الكرك ، ولم يكن [له] ^(١) في ذلك الوقت ولد ذكر غيره . قال : وجاءه الخبر بوفاته ونحن معه في الصيد ، وكنت أنا والأمير علاء الدين أيدغددي شقير والأمير سيف الدين بكتر الحاجب ، فانكش وأطرق ولم ينشرح ولم يكلم أحداً . قال : فقلت له : يا خوند الله يطوّل عمرك ، تريد تفرح بموته ، فقال : لأي شيء ؟ قلت : إذا كنت وجدك دام ملكك ، وطالت دولتك ^(٢) ، ففهم مقصودي ، وساق وانشرح ، وأخذ الجارح مني وحمله ، أو كما قال .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة .

١٢٢١ - علي بن محمد بن [بن محمد] نصر الله*

ابن المظفر بن أسعد بن حمزة الصدر الكبير الرئيس القاضي علاء الدين أبو الحسن بن القلانسي التيمي الدمشقي [الشافعي] ^(٣) ، تقدّم ذكر أخيه القاضي جمال الدين أحمد بن محمد .

سمع الحديث من ابن البخاري وزينب بنت مكي وعبد الواسع الأهرلي ^(٤) . وحدث واشتغل وحصل وتفرغ في المباشرات وتأصل ، وبلغ المعالي وتوسّل بعقله إلى أن توصّل . وكتب في ديوان الإنشاء ، وأذن له بالإفتاء ، ودرّس بالمدارس الكبار ، وصار به في الدولة الاعتناء والاعتبار .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) : « متك » .

* الوافي : ١٣٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، والدرر : ١١٨/٣ ، وما بين حاصرتين زيادة من أصوله ومصادر ترجمته .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٤) في الأصل : « عبد الواحد الأهرلي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع (ت ٦٩٠) ، العبر : ٣٦٨/٥ .

وكان مليح الكون ، صحيح اللون ، ذا نفسٍ متّضّعه ، وهمةٍ لأفواويق السكون والاقتصاد مرتضّعه ، علا إلى الثريا ، ثم هبط إلى الثرى ، وحصلت له مصادرة مُشّيت معها سعادته القهقري .

وكان قد أسره التتار ، وخلص منهم عند الفراغ بالفرار .

ولم يزل على حاله إلى أن زاره ^(١) أبو يحيى ^(٢) فجاءه ، وعدم حواسّه فلم يسمع له نبأه .

وتوفي رحمه الله فجاءة بدمشق في بكرة السبت خامس عشري صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

باشر كتابة الإنشاء مدةً زمانية ، وكان قد أخذه التتار في نوبة قازان هو والقاضي بدر الدين محمد بن فضل الله وابن شقير وابن الأثير رهينة إلى بلاد أذربيجان ، وبقي عندهم معتقلاً مدة ، ثم إنه تنكر محتالاً ، وهرب . فنودي عليه ، فاختفى بتبريز شهرين ، وسمّى نفسه يوسف ، وتوصّل ^(٣) إلى البلاد في زيّ فقير ، ووصل إلى حلب ، فأكرمه نائبها ، وبعثه على خيل البريد إلى دمشق ، وسرّبه ^(٤) أهله ، وكان قدومه إلى دمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وسبع مئة .

وتولّى نظر ديوان الأمير سيف الدين تنكز ، ونظر البيارستان النوري مع توقيع الدست بدمشق في يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، فلما

(١) في (أ) ، (ق) : « زاده في الليل » .

(٢) أبو يحيى : الموت ، بضد اسمه ، وقيل هو كنية ملك الموت (للرّصع) .

(٣) (ق) : « وتوقّل » .

(٤) في الأصل : « ومّر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

توفي أخوه القاضي جمال الدين أخذ وظائفه مضافة إلى ما بيده ، وهي : نظر الظاهرية ودرّسها ، وتدرّس العسكرونية ، ووكالة بيت المال ، وقضاء العسكر ، وتدرّس الأمينية ، فأعطى لابن أخيه القاضي أمين الدين نظر الظاهرية وتدرّس العسكرونية ، وانفرد هو بالباقي .

وقلت له يوماً : يا مولانا أنت توقع عن الله تعالى وعن السلطان وعن ملك الأمراء وعن نور الدين الشهيد ، وعن الملك الظاهر ، فضحك وأعجبه ذلك .

وكان هشاً بشاً لم يتغيّر عما يعرفه أصحابه ، ولا زاده هذا العلو إلا ضعة . وكان أخيراً يراعي الإعراب في كلامه المسترسل ، ثم إنّ تنكّر تنكّر عليه ، وصادّره وصادّره رفاقه ، وأخذ منه جملة ، ولم يكن خانه ، وإنما دخل في شيء لم يكن يدريه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وأفرج عنه ، ولم يبق بيده بعد هذه الوظائف كلّها إلا تدرّس الأمينية والظاهرية .

١٢٢٢ - علي بن محمد بن محمد *

الشيخ للسند المقرئ المجود الزاهد العابد أبو الحسن البغدادي الرفا ، سبط الشيخ عبد الرحيم بن الزجاج^(١) ، فسّمه كثيراً .

سمع (جامع المسانيد) من ابن أبي الدنية^(٢) و (جزء الأنصاري) من عبد الله بن ورد صاحب ابن الأخر^(٣) ، ومن « البخاري » على أبي الحسن الوجوهي ، وبعض

* الدرر : ١١٩/٣ .

(١) عبد الرحيم بن محمد بن أحمد (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٢/٥ .

(٢) في الأصل : « المدينة » ، تحريف ، وهو : شهاب الدين محمد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي

(ت ٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

(٣) عبد العزيز بن محمد (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٣١/٢٢ .

(مسند) الإمام أحمد من الشيخ عبد الصمد بن أحمد^(١) ومن جدّه . وأجاز له من واسط الشريف الداعي صاحب ابن الباقلاني ، وحدّث بجامع المسانيد ثلاث مرّات ، وأوّل ما سمع منه في سنة ثلاث وسبع مئة .

فرّ من رؤية المنكرات ببغداد إلى قرية برقطا ، واشترى أرضاً كان يستغل^(٢) منها كفايته ، فلحق هناك خلقاً كثيراً كتاب الله عزّ وجل ، وقد أكثر عنه نجم الدين سعيد الدهلي وأهل بغداد .

وتوفي رحمه الله تعالى ببرقطا في وسط سنة أربعين وسبع مئة ، وحمل إلى مقبرة الإمام أحمد بن حنبل فدفن بها .
وكان يعرف القراءات السبع .

ومولده سنة اثنتين وستين مئة ، أو في سنة ثلاث وستين .

كان^(٣) مقرئاً مجيداً ، وعالماً مفيداً ، عارفاً بالقراءات ، قريباً من المحاسن بعيداً من الإساءات . سمع الحديث ، وروى عن القديم والحديث ، وحظي أهل بغداد ببركته ، وتألّموا بعده لسكون حركته .

ولم يزل على حاله من الخير الصريح إلى أن ضمّه الضريح ، وأصبح بعد التعب وهو مستريح .

١٢٢٣ - علي بن محمد بن ممدود*

ابن جامع بن عيسى الشيخ الصالح المسند المعمر شمس الدين أبو الحسن بن الإمام

(١) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش (ت ٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٢) في الأصل : « يشغل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والدرر .

(٣) الكلام الآتي حتى آخر الترجمة ليس في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ١٤١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٧٤/١٤ ، والدرر : ١١٩/٣ ، والشذرات : ١١٢/٦ .

المحدث العدل ، محب الدين البندنجي^(١) البغدادي الصوفي .

كان بخاتقاه الشيمساطي بدمشق ، كان والده من المحدثين العدول ، سمّعه^(٢) (صحيح) مسلم على أحمد البادسي عن المؤيد الطوسي ، وأسمعه (جامع) الترمذي على العفيف بن الهني ، وحديث بالكتابين غير مرة ، وله إجازة من النشتري ، ومحمد بن علي بن السباك ، وإبراهيم الزعبي ، ومحمد بن الحصري ، وعبد الله بن عمر بن أبي السعادات البندنجي ، وعلي بن عبد اللطيف بن الخيمي ، وهؤلاء الستة من أصحاب ابن شاتيل ، وأجاز له إلياس الحجي من أصحاب خطيب الموصل . وأجاز له جماعة من بغداد والموصل . وكان يذكر أنه سمع كثيراً . وكان له إجازات وأثبتت عدمت في واقعة بغداد ، وذكر أن عمره في الواقعة اثنتا عشرة سنة ، وكان ببغداد بواب الحجر ، والحجر هي دار الوكالة . وقدم الشام ، وأقام بالقدس ودمشق نحو سبع عشرة سنة .

وكان طويلاً له مهابة ، وعلى ذهنه من أخبار بغداد والواقعة شيء كثير ، وكان سمّعه (للجامع) الترمذي سنة تسع وأربعين وست مئة ، وسمّعه (لصحيح) مسلم سنة خمسين وست مئة ، كلاهما بدار الخلافة ببغداد .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الأحد سابع المحرم سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق^(٣) ، وله ثلاث وتسعون سنة .

وكان قد سمع (مسند) ابن راهوية من العز^(٤) أحمد بن يوسف الأكاف بإجازته من ابن الخير بن الطالقاني ، وقيل : سمع من ابن الخير . سمعت عليه (صحيح) مسلم بكاله بدار الحديث الأشرفية بقراءة المحدث ناصر الدين [محمد]^(٥) بن طغريل بحضور

(١) (أ) ، (ق) : « ابن التبننجي » .

(٢) (أ) ، (ق) : « أسمعه » .

(٣) (أ) ، (ق) : « ظاهر دمشق » .

(٤) في الأصل : « المعز » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

جماعة من الأسيّاح ، منهم : شيخنا المزي وغيره . أجاز لي بخطه^(١) ، وكان سماع (صحيح) مسلم في مدة آخرها سادس عشر شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . وكان يجلس للإسماع والقارورة مشدودة على وسطه للبول ، لأنه كان قد ضعفت قوته الماسكة رحمه الله تعالى .

١٢٢٤ - علي بن محمد بن نبهان *

الشيخ ابن الشيخ المشهور ، شيخ البلاد الحلبية ، وسوف يأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في المحمدين .

لما توفي والده رحمه الله تعالى جلس هو مكانه ، وقدم إلى دمشق ، وحجّ ، وزرته واجتمعت به صادراً ووارداً في سنة ثمان وأربعين أو في سنة سبع وأربعين ، وعاد إلى بيت جبرين قريتهم .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب^(٢) .

١٢٢٥ - علي بن محمد بن هارون **

ابن محمد بن هارون بن علي بن أحمد الثعلبي^(٣) الدمشقي ، نزيل القاهرة ، الشيخ المحدث الصالح المعمر المسند نور الدين أبو الحسن .

كان قارئ العامة .

(١) سنة (٧٢٩) كما في الوافي .

* الوافي : ١٤٨/٢٢ ، والدرر : ١٢١/٣ ، وإعلام النبلاء : ٥٤٣/٤ .

(٢) (أ) : « طاعون دمشق مجلب » .

** الوافي : ١٥٢/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ١٢١/٣ ، والشنرات : ٣٠/٦ .

(٣) (أ) والشنرات : « الثعلبي » ، تصحيف .

سمع حضوراً في الرابعة وفي الخامسة من ابن صَبَّاح ، وابن الزبيدي ، والناصح بن الحنبلي . وسمع من الفخر الإريلي والمسلم المازني ومكرم بن أبي الصقر ، وعدة . وروى الكثير ، وتفرد في وقته ، وأكثر الطلبة عنه والرحالة .

وكان خيراً ناسكاً متواضعاً حَسَنَ القراءة محبباً إلى العامة .

خَرَجَ له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى (مشيخة) . وسمع منه شيخنا أبو الفتح ، وشيخنا البرزالي ، وشيخنا الذهبي . وهو آخر من حَدَّثَ وسمع من ابن صَبَّاح .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

١٢٢٦ - علي بن محمد بن علي بن عبد القادر *

الإمام الشيخ نور الدين ابن الإمام كال الدين أبي عبد الله الهمداني .

كتب لي في إجازته ولأخي إبراهيم ولأختي يواش^(١) ، ومن ذكر اسمه في الإجازة ، بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة :

من بعد حمد الله ذي الإحسان ثم الصلاة على الرّضي المّنان
لهم أجزت جميع مالي أن أرو يه على من نصّ أهل الشان
وأنا عليّ بن محمد بن علي ابن الشيخ عبد القادر الهمداني
وإلى تميم نجل مرّ نسبي لأبي وأمي قال ذا الجّدان
ولدت عام اثني ثمانين التي بعد المئين الست في رمضان

* الوافي : ١٧٨/٢٢ ، والدردر : ١١٢/٣ .

(١) في الوافي : « يواش » .

قلت : قوله : المنان في وصف النبي ﷺ لا يجوز ، فإن النبي ﷺ لم يطلب الجزاء على بلاغ الرسالة ، ولم ينّ على أحد بذلك ، كيف وقد قال [له] ^(١) الله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ ^(٢) ﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم ﴾ ^(٣) .

ثم كتّب بعض الفضلاء بخطه في النسخة التي بخط المصنف [المنقول] ^(٤) منها هذه النسخة ماصورته :

« المنان هو ذو المنّ ، سواء امتنّ بها أم لا ، والنبي ﷺ له المنن الجسيمة والأيادي التي لا تحصى ، فإطلاق لفظ « المنان » عليه عندنا لا يمتنع ، فإنها صفة مدح ، ولذلك كانت من جملة الأسماء الحسنى ، وهي قائمة به ﷺ ، فأيّ مانع من إطلاقها عليه ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ فهو في غير ما نحن فيه » ^(٥) .

١٢٢٧ - علي بن محمد *

الشيخ الإمام علاء الدين أبو الحسن الشافعي المعروف بابن الرّسام ، وكيل بيت المال والمدرس بصفد .

كان حسن الودّ ، جميل التحية والردّ ، ليس فيه شرّ ، ولا عنده أذى ، إذا كرّ وإذا قرّ ، يرعى عهود أصحابه ، ويؤوئهم إلى رحابه ، ذا مروءة زائده ، وفتوة لمباني المجد شائده .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) المدثر : ٦٧٤ .

(٣) الحجرات : ١٧/٤٩ .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) قوله : « ثم كتّب بعض العقلاء .. ماصورته » ليس في (أ) ، (ق) ، وما بعده ثابت فيها . وقد وقع هذا الكلام الآتي في (ق) بخط مغاير ، وجاء في خاتمة مانه : « هذا الفصل بخط علامة عصرنا تاج الدين السبكي » ، وهذا يؤكد أن هذه النسخة هي بخط المؤلف كما جاء على غلافها .

* الدرر : ١٠٥/٣ ، وفيه : « ابن محمد بن صالح » .

وكان قد حفظ (التعجيز) ، وطالع عليه (شرح الوجيز) ، يكتب بيده اليسرى خطاً كأنه العقود المنظومة ، أو حلل الوشي المرقومه ، يُعجب كل من يراه ، ويجعل كل أحد إليه سيره وسراه .

لم يزل على حاله إلى أن جعل الموت ربع ابن الرسّام^(١) رَسَمًا ، وعدم الوجود منه جسماً لا اسماً .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون صفد .

وقلت لما بلغتني وفاته بعد وفاة جماعة من الأصحاب في صفد :

لما افترست صحابي يا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعاً بل كنت سبعاً يقيناً

كان والده جندياً ، واشتغل في مبادي أمره على شيخنا نجم الدين بن الكمال خطيب صفد ، ثم إنه نزل إلى دمشق ، واختص بالشيخ صدر الدين بن الوكيل بدمشق وبمصر ، وقرأ عليه وعلى غيره ، وسمع الحديث بدمشق وبمصر ، وصحب الأمير بكتتر^(٢) الحاجب ، وتوكل له . ولما حضر إلى صفد نائباً جاء إليه فأعطاه بها التدريس بالجامع الظاهري ، ثم فيما بعد أخذ وكالة بيت المال .

وكان عنده مشاركة في العريية والأصولين ، وكان يلشغ في الجيم يجعلها كافاً ، يشتمها شيئاً معجمة ، وكان لو أكل فستقة واحدة عرق لها من قرّقه إلى قدمه .

وكنت قد قرأت عليه في صفد كتاب (التعجيز) وهو الذي نقلني إليه بعد ما حفظت ربع (التنبيه) ، ولم يقطع عني مكاتباته في مصر ولا في الشام . رحمه الله تعالى .

(١) في الأصل : « ابن الرسّام » ، تحريف .

(٢) (أ) ، (ق) : « سيف الدين بكتتر » .

١٢٢٨ - علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح*

ابن إبراهيم بن أبي بكر بن القاسم بن سعيد بن محمد بن هشام بن عمرو^(١) ،
الصدر^(٢) الرئيس الفاضل العالم التحرير المدقق المفنن الفريد الخواجة تاج الدين
أبو الحسن بن الصاحب موفق الدين بن عز الدين بن موفق الدين أبي الفتح الثعلبي^(٣)
الشافعي المعروف بابن الدرهم الموصلي ، مصغر درهم ، والدريهم^(٤) لَقَبَ لسعيد أخي
محمد بن هشام ، قال في وقت : « درهما » ، فلزمه ذلك ، وهو ابن أخت الشيخ بهاء
الدين الحسين الموصلي المعروف بابن أبي الخير المقدم ذكره في حرف الخاء .

كان أعجوبة من أعاجيب الزمان في ذكائه ، وغريبة من غرائب الدهر تشرق سماء
الفضل بذكائه ، دقيق الغوص على المعاني شديد التنقيب^(٥) على ما يتصف به من العلوم
ويعاني ، خاض بحار المُنقول ، وقطع مفاوز المعقول ، خصوصاً فنّ الرياضي
وما يتشعب فيه ، والكلام على أسرار الحروف وما يلائم طبعه أو ينافيه . له قدرة على
تأليف المناسبات واستحضار الأشباه والنظائر في المطارحات والمقاييسات ، تام
الشكale ، وافر الجلالة :

أدب لم تصبه ظلمة جهل وهو كالشمس عند وقت الطلوع
ويد لا يزال يصرعها الجو د ورأي في الخطب غير صريع

وله تصانيف كثيرة في غير مافن ، وتوالت قنصت ما شرد فيه وماعن ، وكانت

* الوافي : ٦٧/٢٢ ، والدرر : ١٠٦٧٣ .

(١) في الوافي : « عَمَر » .

(٢) (خ) : « الصدر الكبير » .

(٣) في الوافي : « ابن الصاحب موفق الدين بن نجم الدين بن أبي الفتح الثعلبي » ، كذا وقع في (أ) :
« الثعلبي » .

(٤) في الأصل : « والدرهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « الغوص » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

له نعمة طائلة فذهبت ، وسعادة خدمته أياماً ، فانجلت وما أنجبت ، وسعى فأخفق ، ولم يبارق حدّه ^(١) وما حقق .

وتوجّه إلى مصر غير مرّة فما أُجِدّي ، وكدّ حظّه فأعطى قليلاً وأكدى ، واستشار حتفه بسعيه الذي نبّشه .

وآخر ما أولاه أن توجه رسولاً إلى الحبشة ، فقطع الحينّ عليه الطريق قبل وصوله ، ولم يقبض ابن الدريهم فيه فلساً من وصوله .

وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ومولده ليلة الخميس منتصف شعبان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بالموصل .

سألته عن مولده فأخبرني بما أثبتّه ، وقال لي :

قرأت القرآن بالروايات على الشمس أبي بكر بن العلم سنجر الموصلّي ، وتفقهت على الشيخ زين الدين ابن شيخ العوينة ^(٢) الشافعي .

وحفظت (المهادي) ^(٣) وبحثت (الحاوي الصغير) على الأشياخ ، منهم القاضي شرف الدين عبد الله بن يونس من شرح والده كال الدين الصغير .

وحفظت في العربية (المُلحَة) ^(٤) و (أَلْفِيَة ابن معط) و (أَلْفِيَة ابن مالك) ، وبحثت في (التسهيل) .

وقرأت ^(٥) شيئاً كثيراً من الرياضيّ على الشيخ زين الدين ابن الشيخ العوينة ^(٦) .

(١) (خ) : « جتّه » .

(٢) (أ) : « زين الدين بن العوينة » ، وفي الوافي : « زين الدين علي بن العوينة » .

(٣) لعلّه المهادي في الفروع لمسعود بن محمد النيسابوري (ت ٥٧٨ هـ) ، الكشف ٢٠٢٦/٢ .

(٤) هي ملحّة الإعراب للحريري .

(٥) في الأصل : « وقرأت عليه » ، ولا وجه لها .

(٦) (أ) والوافي : « ابن العوينة » .

وسمعت بالديار المصرية على الشيخ علاء الدين بن التركاني ، وشمس الدين بن الأصفهاني ، ونور الدين الهمداني ^(١) (صحيح البخاري) ، وسمعت بها (صحيح مسلم) و (سنن أبي داود) وبعض (الترمذي) .

وأجازني الشيخ أثير الدين أبو حيان ، وقرأت عليه بعض تصانيفه ، وأجازني جماعة أשיاخ انتهى .

وتوفي والده وهو صغير ، خلف نعمة طائلة ، فاستولى عليها بيت شيخ البلد بالموصل كمال الدين ، ومعين الدين بن الریحاني ولم يُطْلَعوه منها إلا على القليل ، وانتشاً يتياً وهو بنفسه وهمته يجتهد ويشغل في العلم ، ولم يكن له من يحرّضه على ذلك . ثم إنه لما اشتد تسلّم مقداراً يسيراً من ماله من بيت شيخ البلد ، وسافر به إلى الشام ومصر ، وحصل من ذلك ثروة عظيمة ، ثم ذهب .

قلت : أول قدومه إلى مصر في متجر في زي الخواجية ^(٢) سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنّه عاد إلى البلاد ، وتردد بعد ذلك إلى الشام ^(٣) ومصر غير مرة ، ولم أر أحداً أحدَ ذهناً منه في الكلام على الحروف وخواصّها ، وما يتعلق بالأوفاق ^(٤) ، وأوضاعها . ورأيت منه عجباً ، وهو أنّه يقال له ضمير عن شيء يكتبه السائل بخطّه ، فيكتبه هو حروفاً مقطّعة ، ثمّ يكسّر تلك الحروف على الطريقة المعروفة عندهم ، فيخرج الجواب عن ذلك الضمير شعراً ليس فيه حرف واحد خارجاً عن حروف الضمير ، وكونه يخرج ذلك نظماً قدرةً على تأليف الكلام ، وله مشاركة في غير ما علم من فقه وحديث وأصول دين وأصول فقه وقرآيات ومقالات ومعرفة فروع

(١) في الوافي : « ابن الهمداني » .

(٢) (أ) ، (خ) : الخواجية .

(٣) في الأصل : « التتار » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في الأصل : « بالحروف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

من غير مذهب وتفسير ، وغير ذلك ، يتكلم فيه ^(١) جداً كلام من ذهنه حاد ^(٢) وقاد ، وأما الحساب والأوقاف وخواص الحروف وحل المترجم والألغاز والأحاجي فأمر بارع ، وكذلك النجوم وحل التقويم .

واجتمعت به غير مرة ، وكتبت إليه :

نصحتك عن علم فكن لي مسلماً إذا كنت مشغولاً بجل المترجم
تلمذ لتاج الدين تظفر بكل ما أردتَ وردَ بحر الفضائل واغم
فلا بن دنيير تصانيف مالها نظير ولكن فاقها ابن الدريهم

وكانت له خصوصية بالملك الكامل شعبان وبغيره من أمراء الدولة الحاصكية وغيرهم من المتعممين ^(٣) أبواب الدولة ، إلى أن أغري به الملك المظفر حاجي فأخرجه إلى الشام قبل قتله بقليل ، فوصل إلى دمشق بعد شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وذكر لي أن له في ديوان الخاص أثمان مبيعات وغيره ما يزيد على المئتي ألف درهم . وتوجه مرات إلى مصر ليخلص له في ذلك شيء ، فتعذر عليه الحال ، ولما وصل إلى دمشق سنة ثمان وأربعين وسبع مئة أقام بها قليلاً ، فورد كتاب الأمير سيف الدين بهادر دوادار الأمير سيف الدين بيبغاروس نائب مصر إلى الأمير سيف الدين قرابغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام بإخراجه من دمشق ، فكبس بيته ، وأخذت كتبه ، وأخرج من دمشق في إحدى الجماديين سنة تسع وأربعين وسبع مئة ،

(١) (أ) والوافي : « جيداً » .

(٢) (أ) : « حاد » .

(٣) في الوافي : « المتعمين » .

فتوجه إلى حلب . وتوفي بعده دَوَادار بيبغاروس ، فعاد إلى دمشق في سنة خمسين عازماً^(١) على الحج ، فلم يَقْدِرْ له ، ثم عاد إلى حلب^(٢) .

ثم إنه حضر إلى دمشق ، وأقام بها قليلاً ، ثم توجه إلى مصر بطلب من هناك ، ثم عاد إلى دمشق . ثم إنه رُتِبَ مصدرّاً بالجامع الأموي ، ثم بعد قليل رتب في صحابة ديوان الجامع الأموي ، فباشره وعرفه جيداً ، فانحصر المباشرون منه ، وناكدوه ، فبطل المباشرة ، ورتب في استيفاء ديوان الأشرى ، ثم إنه توجه في أواخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة [أو أوائل]^(٣) سنة ستين إلى الديار المصرية . فأقام هناك سنتين أو أكثر ، ثم إن السلطان الملك الناصر بعثه رسولاً إلى ملك الحبشة ، فتوجه غير منشرج ، وجاء الخبر إلى الشام بوفاته رحمه الله تعالى في قوص ذاهباً .

ونظّمه فيه تكلف وتعسف . وكتب إليّ بعدة أحاج ، وأجبتّه عنها ، وكتبت أنا إليه بمثل ذلك ، وأجابني عنها^(٤) . وقد أودعت ذلك^(٥) في كتابي المسمّى (نجم الدياجي في نظم الأحاجي) .

وكان ابن الدريهم ديناره في العلم^(٦) كامل ، وغمام فضائله في فضاء الطروس هام هامل ، فلو عاصره البوني^(٧) لقال : هذا الذي يَبْرُنِي^(٨) وَيَحْبُونِي ، أو ابن الدينير^(٩)

(١) في الأصل : « عاماً » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) هنا تنتهي ترجمته في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (خ) : « ذلك جميعه » ، وفي (أ) : « أودعت الجميع » .

(٦) (أ) ، (خ) : « في العلوم » .

(٧) أحمد بن علي بن يوسف ، صاحب المصنفات في علم الحروف ، له : شمس المعارف الكبرى في علم الحروف والخواص (ت ٦٢٢) ، الأعلام : ١٧٤/١ .

(٨) في الأصل و(خ) : « يَسْرُنِي » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٩) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، له الفصول المترجمة عن علم حلّ الترجمة (ت ٦٢٧) الأعلام : ٦٢/١ .

لقال : ما أنا كابين الدرهم عند لمح الطرف ، وهو في عمله ^(١) يفوق ويفوت وإن تفاوت فيما بيننا الصرف .

وعلى الجملة فكان في هذه العلوم آية وقدره ^(٢) قد تجاوز فيها كل حد ، وانتهى إلى كل غاية ، وعاكسته في مراده الأقدار ، ولم يُرفع له في المناصب مقدار ، خلّة ألفها الأفاضل من الدهر ، وطريقة عوملوا بها في السرّ والجهر .

ومن تصانيفه ما نقلته من خطّه : (النسمات الفاتحة في آيات الفاتحة) ، (إشراق النفس في الحمدلات الخمس) ، (الدراية في ﴿ ما نَسَخْ مِنْ آية ﴾ ^(٣)) ، (السبيل الأوطأ في الصلاة الوسطى) ، (لطائف الأحكام على ﴿ هو الذي يَصَوِّرْكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ ^(٤)) ، (مدة البحور على ﴿ إِنَّ عَذَّةَ الشُّهُورِ ﴾ ^(٥)) ، (إضاءة يُوحى ^(٦) على ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ ^(٧)) ، (مثاني الكتاب المبين على أن قلب القرآن ﴿ يس ﴾) ، (الآثار الرائعة في أسرار الواقعة) ، (منام النصوص في الكلام على سورة نوح) ، (أسرار البدر في ليلة القدر) ، (الافتحاص على سورة الإخلاص) ، (العبارات في اختيار القراءات) ، (مناسبة الحساب في أسماء الأنبياء المذكورين في الكتاب) ، (نظائر الآيات والكلمات المكررات) ، (النخب في التصديق والخطب) ، (كنز الدرر في حروف أوائل السور) ، (سبر الصّرف في سرّ الحرف) ، (الزين في معاني العَيْن) ، (المناسبات العددية في الأسماء الحمّدية) ، (غاية المغنم في الاسم الأعظم) ،

(١) (أ) : « في تصرفه في العلوم » .

(٢) في الأصل : « وقدرها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) البقرة : ١٠٦/٢ .

(٤) آل عمران : ٦/٣ .

(٥) التوبة : ٣٧/٩ .

(٦) من أسماء الشمس .

(٧) الإسراء : ٨٥/١٧ .

(البرهان على ^(١) عدم النسخ للملّتين من القرآن) ، (مداحض الإكراه في تناقض التوراه) ، (تعريف التبديل في تحريف الإنجيل) ، (نظم نفائس عقود الدرر الزاهرة في هدم كنائس اليهود بمصر والقاهرة) ، (الإنصاف بالدليل في أوصاف ماء النيل) ، (مكافأة الأقدار للأخيار والأشرار) ، (بوادر الحلوم في نوادر العلوم) ، (اليقين لمن به ندين في الدليل على خلافة الخلفاء الراشدين) ، (زجر السفهاء بآداب الفقهاء) ، (اختيار الراغب في اختيار المذاهب) ، (أسرار العبادات بتفصيل الإعادات) ، (شرح نظم الحاوي) ولم يكمل ، (فائدة الأبحاث بأحوال الوالدة في الميراث) ، (منسك الحج) ، (الرد على تقي الدين الإخنائي المالكي في مسائل متفرقة) ، (المَعْلَم بمعضدات ^(٢) مُسَلَّم) ، (الخيرة في حسن مسائل ^(٣) الفال وكرهية الطيرة) ، (نفع الجدوى في الجمع بين أحاديث العدوى) ، (وشائع النوار في شرح لوازم الأنوار) ، ولم يكمل ، (تعريف الأفراد للمقتدي لتتمة الذهبي والصفدي) ، (خلاصة الخلاصة) ، نحو خمس مئة بيت ، (تسهيل التسهيل) ، (العروض الجملة من المسوعة والمهملة) ، (الزناد القادح في اختيار الصّاح) ، (ذات القوافي) ، (القصيدة الألفية) ، (المبهم في حل المترجم) ، (مختصر المبهم في حلّ المترجم) ، (مفتاح الكنوز في حل الرموز) ، (غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز) ، (مشاجرة من انتصر في المفاخرة بين السمع والبصر) ، (رسالة التراضي بين الأمين والقاضي) ، (سيادة الحُيُم) ، (والبصارة في أدب الأكل والزياره) ، (نظم السلوك في آداب الملوك) ، (إيقاظ المصيب في الشطرنج والمناصيب) ، (تنويل الرائي في تأويل للرأي ^(٤)) ، (تنائي المناظر في النائي ^(٥) والمناظر) ، (سلم الحراسة في علم الفراسة) ، (الإنافه على

(١) (أ) : « في الرد على .. » .

(٢) في الأصل : « بمقاصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٣) ليست في (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٤) (أ) : « الرائي » .

(٥) (خ) : « تنائي الناظر في المرائي » .

الضيافة) ، (تصارييف الدهر في تعاريف الزجر) ، (افتقاد الخرائد المواهر في انتقاد فرائد الجواهر) ، (تقرير الأبحاث في خواص المولدات الثلاث) ، (اختباء الاختبار) ، (الإساء بأدواء النساء والباه) ، (اقتناع^(١) الحذاق في أنواع الأوفاق) ، (بسط الفوائد في [شرح^(٢) حساب القواعد) ، (شرح الإسعدية في الحساب) ، (المناسخات المصرية) ، (الأجوبة القاهرية) ، (المناسخات الحلبية) ، (الأجوبة الحلبية) ، (المسألة المحوية) ، (الأجوبة المحوية) ، (الأجوبة الموصلية) ، (الترسلات الشامية) ، (الأجوبة الشامية) ، (لم تكل) ، (رسالة النصح العلوي على لسان الجامع الأموي) ، (إخلاص الخواص) . تمت .

وأنشدني رحمه الله تعالى من لفظه لنفسه :

صَدَّ عني فلم تلم ياعذولي لست أسلو هو هـواه حتى المات
لا تقل قد أسأف في الوجه منه حسنات يذهبن بالسيئات^(٣)

١٢٢٩ - علي بن محمد*

الصاحب علاء الدين بن الحرافي .

جاء إلى دمشق عوضاً عن الصاحب أمين الدين ، فما أقبل عليه الأمير سيف الدين تنكز ، ولا توهم فيه أنه لمثل درة الشام يحرز ، ولأن معرفته لإظهار سرائرها تبرز ، فتركه واقفاً وما أجلسه ، واستوحش منه فما أنسه . وكأنَّ نفسه رحمه الله تعالى استشعرت بشؤمه ، وأنَّ هذا يستخرج مخبوء ماله ومكتومه ، فما كان بعد قليل حتى أمسكه السلطان ، وحكم أيدي العيث والفساد فيما عمّره من الأوطان ، وعرضت على الصاحب

(١) (أ) : « إقناع » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « فهلا تقل » .

* الوافي : ١٧٩/٢٢ ، والدرر : ١٢٤/٣ .

علاء الدين حواصله وأمواله ، وآلاتُ ييوته وغلاله ، فلم يدع خبيئاً إلا أظهره ، ولا مكتوماً إلا استخرج مُضمره ، حتى قال ممالكه : أين كان لنا هذا مخبوءاً ، وما نرى هذا الصاحب إلا عدواً .

ثم إنه استمر بدمشق إلى أن جاء الفخري وملكها ، وسلك تلك الطريق التي سلكها ، فتلقى الصاحب علاء الدين ذلك المهم [الأعظم بصدرة ونهض بعبئه الذي يعجز غيره عن دفع شره ، وأراد ذلك المهم أموالاً يفوت الحصر عدوها ونفقات يُخجل البحار تقذها ، ثم إنه استعفى من نظر الشام فأجيب ، وخلص من الأمر العجيب ، ثم إنه تولى أيام الكامل شعبان فعاد إلى دمشق ثانياً ، واتفق خروج يلغا على السلطان وأصبح عن طاعته نائياً ، فكلفه إلى نظير ذلك المهم ^(١) . وعاوده ذلك الخطب الملم :

وإذا خشيت من الأمور مَقْدَرًا . وفرت منه فَنَحْوُهُ تتوجّه

ولما ^(٢) انقضى ذلك الخطب الذي عرا والحادث الذي دهم الوري ، استعفى فأعفي ، وحظّه لا يمكن طرفه أن يغفي . ثم لما أن قُتل يلغا حضر الحوطة على موجوده ، وضبط ما في أغوار حاصله ونجوده ، ففقد هذا المهم وأكمله ، وفصل طلب الإعفاء من أمر دمشق وأجمله . وقال : ما أدري حظي من دمشق ما هو ؟ ، والناس يمثل حسنها لم يضاهاوا :

أظمتني الدنيا فلما جبتها مُسْتَمْطَرًا مطرت عليّ مصائباً ^(٣)

ولكنه في هذه المرات الثلاث ، والكرات الخباث ، يباشر بصلف زائد ، وعفاف غصنه بنسيم النزاهة مائد ، لم يخن في قليل ولا كثير ، ولا تعرّض إلى فتيل ولا تقير . واشتهر بالأمانة عند الملوك ، وصار خبره في ذلك كالشمس عند الدُّلوك .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وما » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « مستقيماً » .

وما زال [بالقدس] ^(١) منقطعاً إلى أن نزل به ضَيْف ^(٢) المنيه ، وطفئت قناديله المضيّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة بالقدس .

وأول ما عرفت من أمره أنه كان يكتب الدرج عن الأمير فخر الدين ^(٣) أقجبا الفارسي مشد الدواوين بصفد ، وكان يُعرف إذ ذاك بعلاء الدين بن المقابل ، لأن أباه كان مقابل الاستيفاء بصفد ، ثم إنه خدم كاتباً للأمير عز الدين أيدير الشجاعي نائب قلعة صفد . وكان فيه إذ ذاك كَيْسٌ ولطف وذوق وانهاك على عشرة المطاييع والفضلاء ، وبيته ^(٤) مَجْمَعُ الأصحاب والعُشراء ، وفيه مكارم وخدمة للناس ، [ثم إن الشجاعي توجه إلى البيرة نائباً فلم يتوجه معه] ^(٥) .

ثم إن الشجاعي جاء إلى القدس ناظر الحرمين ، وكان صاحب علاء الدين عنده ، ثم إنه ترك ذلك جميعه ، وتجرد ولبس زي الفقراء ، ودخل الين بالكجكول والثوب القسلي ، وغاب هناك مدة ، وجرت له أمور شاقة ، حكاها لي من ^(٦) الأمراض والوحدة والفقر .

ثم إنه حضر إلى دمشق ، وتوجه إلى مصر في أواخر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه خدم كاتباً عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب [ولما مات خَدَمَ عند الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي الوزير] ^(٧) . ولما مات خدم عند الأمير سيف الدين طغاي

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « سيف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « سيف الدين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٤) في الأصل : « بيته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٦) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

تمر ، صهر السلطان الملك الناصر ، واشتهر في مصر بالكفاية والأمانة . ولما مات جهزه السلطان إلى الكرك ناظراً فتقلق من ذلك ، وحضر إلى مصر ، فخدم عند الأمير سيف الدين قوصون مدة يسيرة . ثم إنَّ السلطان جهزه إلى دمشق وزيراً عوضاً عن صاحب أمين الدين ، فباشرها مباشرة حسنة بعفة وصلف زائد ، وجاء الفخري ، وجرى ما جرى ، فقام له بكل ما أراد ، ومنعه من أشياء كان يريد يفعلها من مصادرة الناس ، فقال له : مهما أردت عندي . وتوجه معه إلى مصر ، وطلب الإقالة ، فرتب له مرتب^(١) ، وأقام مدة على ذلك .

ثم إنَّ الكامل شعبان طلبه وجهزه إلى دمشق وزيراً ثانياً^(٢) ، فلما وصل^(٣) إليها اتفق خروج يلبغا على الكامل ، وحضر إليه النواب من أطراف الشام ، وأراد لهم نفقات وكلفاً كثيرة فقام لهم بذلك المهم وسدّه ، ولم يمكن يلبغا من التعرض إلى [أموال]^(٤) الناس ، وتوجّه لمصر ، وعمل تقديراً للشام ، وحضر وهو على يده ، فلم يش له حال ، فطلب الإقالة وتوجّه إلى القدس ، وانقطع به .

ثم حضر للحوطة على موجود يلبغا^(٥) ، فضبطه ، وحرره ، وعاد إلى القدس منقطعاً إلى الله تعالى .

وكان به فتق فعظم وتزايد ، وكان في عاتقه ، فلم يزل ينو إلى أن كان يعلقه في فوطة إلى عنقه ، وتفاقم أمره في ذلك الفتق إلى أن قتله ، رحمه الله تعالى .

وفي هذه المرات التي يحضرها إلى دمشق لم يوسع له دائرة ، ولا اتخذ مماليك ولا جوارى ولا خدام^(٦) ولا فعل ما يجب لمثل هذه الوظيفة من البذخ والخدم والحشم ،

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « راتب » .

(٢) في الأصل : « نائباً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « فلما حضر » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « عبد الله » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٦) كذا في الأصول .

بل له غلام يحمل الدواة وغلام للخيل ، وغلام يطبخ له ويفسل لاغير ، وإذا خلا سمع الحديث ، أو طالع [في] ^(١) مجلدات عنده .

ولما أن توفي السلطان الملك الناصر جلس ولده المنصور أبو بكر ، وحلف عسكر دمشق ، وقد كانت العادة ^(٢) أنه في مثل هذا الواقع يخلع على الموقعين وعلى كتاب الجيش كما فعل في كل مرة قبل هذه ، فتحدث الجماعة معه في ^(٣) ذلك ، فوعد بذلك ، واجتمعت أنابه في ذلك ، فقال : أنا ما ألبس تشریفاً حتى يلبس الجماعة تشاريفهم . فكتبت أنا إليه بعد ذلك :

ممالك مولانا الوزير جماعة لهم بتشاريف المليك غرام
ولاغرو أن هاموا بها في حدائق لأنهم بالمدح فيك حمام

١٢٣٠ - علي بن محمد بن يوسف الموصلّي *

الشيخ المعروف بالبالى ، بالباء الموحدة .

كان رجلاً مباركاً ينوب في الإمامة بمشهد عثمان بالجامع الأموي .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) ، وكتب في الإجازات ، وحفظ (التنبيه) واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس عشر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في مقابر باب الفراديس .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في (أ) ، (ق) : « العادة جارية » .

(٣) زيادة في (أ) ، (ق) : « في مثل » .

* الدرر : ١٢٣/٣ .

١٢٣١ - علي بن محمد بن عبد القادر*

العدل الرضي ، علاء الدين ابن قاضي القضاة عز الدين ^(١) بن الصائغ ، أخو القاضي بدر الدين بن أبي اليسر بن الصائغ ^(٢) .

توفي علاء الدين بسكنه بالمدرسة العمادية ^(٣) ، جوار قلعة دمشق سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

كان يشهد على الحكام ، والقضاة يعتمدون عليه في شهاداته ، وأكثر أهل البلد يكتبون عنده .

١٢٣٢ - علي بن محمد**

المعروف بابن الكلّاس ، وبابن الرئيس ، وكان هو يكتب على المجلدات : عليّ الدواداري ، الفاضل الأديب الماهر علاء الدين .

كان يتوقد ذكاؤه ، وتشرق في سماء الأدب ذكاؤه . جمع مجاميع أدبيّه ، وعَلّق نكتاً حديثيّة ، واقتنى من الكتب جملة ، وأثقل بها حمّله .

وسمع من المشايخ وعَلّق ، ووفّى نُبلَ أدبه وعَلّق . وكان خطّه يتحدّر كالسيل ، ويتألق كالبرق في الليل ، يدلّ على قوة يده وتسرعها ، وملاءتها من القدرة وتضلعها .

وكان جندياً في حلقة جَلّق ، وحِرْفَتُهُ من أرباب السيوف التي هو بها متعلّق .

* الدرر : ١٠٩/٣ .

(١) في الأصل : « عماد الدين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) وتوفي عز الدين سنة (٦٨٣) . واسمه

محمد بن عبد القادر . البداية والنهاية : ٢٠٤/١٣ .

(٢) واسمه أيضاً محمد (ت ٧٣٩) ، الشذرات : ١٢٣/٦ .

(٣) داخل بابي الفرج والفراديس ، بناها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين زنكي . الدارس : ٣٠٨/١ .

** فوات الوفيات : ٩٢/٣ ، والدرر : ١٢٣/٣ .

ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ ابن الكلاس ، ولم يضئ له جَلَّاسٌ^(١) بين الجَلَّاس .
وتوفي رحمه الله تعالى بقرية حطّين من بلاد صفد ، قبل الثلاثين وسبع مئة ، أو
ما بعدها .

ورأيته بدمشق غير مرّة . وكان قد وقع بينه وبين صاحبنا زين الدين الصفدي ،
وعبث به ، وصنع فيه مقامةً . ومن شعره :

خَلِيلِي مَا أَحْلَى الْهَوَى وَأَمْرُهُ وَأَعْرَفَنِي بِالْحُلُوفِ مِنْهُ وَبِالْمَرِّ^(٢)
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ هَلْ رَأَيْتَا أَرْقَ مِنْ الشُّكُوفِ وَأَقْسَى مِنَ الْهَجْرِ
ومنه :

سَقَطَتْ نَفُوسُ بَنِي الْكَرَامِ فَأَصْبَحُوا يَتَطَلَّبُونَ مَكَلَسَ الْأَنْذَالِ
وَلَقَلَّمَا طَلَبَ الزَّمَانَ إِسَاءَتِي إِلَّا صَبَرْتُ وَإِنْ أَضَرَّ بِحَالِي
نَفْسِي تَطَالِبُنِي وَتَأْبِي هَمِّي أَنْ اسْتَفِيدَ غَنًى بِذَلِكَ سُؤَالِ^(٤)

قلت : وقد أُولع الشعراء بهذا المعنى ، ومما قلت أنا فيه مضمناً قول المعري :
قَضَتْ لِي أَنْ لَا اشْتَكِيَ الدَّهْرَ هَمِّي وَلَوْ سَاوَرْتَنِي أَسَدُهُ وَالْأَسَاوِدُ^(٥)
وَأَنْ لَا أَنْالَ الرِّزْقَ فِي دَارِ ذِلَّةٍ وَلَوْ أَنْتَنِي فِي هَالَةِ الْبَدْرِ قَاعِدُ
ومن شعر ابن الكلاس :

تَقَدَّمْتُ فَضْلاً مَنْ تَأَخَّرَ مَدَّةً بَوَادِي الْحَيَا طَلَّ وَعُقْبَاهُ وَابِلُ

(١) لم تتبين مراده .

(٢) في الأصل : « بيني وبينه » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) والدرر .

(٣) (أ) ، والقوات : « وأعلمني » .

(٤) (أ) : « تراودني » .

(٥) في الأصل : « للدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) .

وقد جاء وتر في الصلاة مؤخراً
ومنه :

فكرت في الأمر الذي أنا قاصدٌ
وعَلِمْتُ من نصف الطريق بأنَّ مَنْ
ومنه يُلغز في « القلم » :

ما اسم له في السماء فعلٌ
ينطق بين الأنعام حقاً
فاعجب له ناطقاً صموتاً
ومنه يُلغز في « الرغيف » :

ومُسْتدير الوجه كالترس
يَدْخُل فيه البدر حَمَامه
يواصل السلطان في دَسْته
لو غاب عن عنترة ليلةً
ومنه :

مَنْ مبلغ غبريل أن رَحِيلَه
والناس من فرط الشماتة خَلَفَه
ومنه :

وأهيف تحكي البدر طلعةً وجهه
وإن لم يكن في حُسْن طلعتَه البدر^(٤)

(١) في الفوات : « وترا » .

(٢) في الفوات : « يوصل » .

(٣) في الفوات : « غبريل » .

(٤) في الفوات : « حسن صورته » .

خَلَوْتُ بِهِ لَيْلاً يَدِيرُ مَدَامَةَ وَجَنَحُ الدِّجَا دُونَ الرَّقِيبِ لَنَا سِتْرُ
فَلَمَّا سَرَتْ كَأْسُ الْحَمِيَا بِعُطْفِهِ وَمَالَتْ بِهِ تِيهًا وَرَنَحَهُ السُّكْرُ
هَمَمْتُ بِرَشْفِ الثَّغْرِ مِنْهُ فَصَدَّنِي عَذَارَ لَهُ فِي مَنْعِ تَقْبِيلِهِ عُنْزِرُ
حَمَى ثَغْرَهُ الْمَعْسُولَ نَمْلَ عَذَارِهِ وَمِنْ عَجَبِ نَمْلِ يَصَانُ بِهِ ثَغْرُ

وكان المجير الحيات قد كتب إلى علاء الدين بن الكلاس أبياتاً كتب بها إلى غيره
أولاً وأولها :

علاء الدين إن تنسَ الودادا وتمنحنا القطيعةَ والبعادا
فأجابه علاء الدين عنها بأبيات أولها :

مجير الدين فتَ الناسَ نظماً ونثرًا واختياراً وانتقاداً
ثم إن علاء الدين علّم أن المجير كان قد كتب بها إلى غيره ، فكتب المجير إليه ،
ومن خطّه نقلت الأصل والجواب :

يا علاء الدين يا من طاب بالآداب ذِكْرُهُ (١)
ولهُ عَرُفٌ ثَنَاءٍ عَطَّرَ الْأَقْطَارَ نَشْرُهُ
نَظْمُهُ فَاقَ الدَّرَارِي وَنَظَامُ الدَّرَّ نَشْرُهُ
أَيُّهَا الصَّدْرُ الَّذِي حَا زَ عِلْمِ النَّاسِ صَدْرُهُ
وَالْأَدِيبُ الشَّهْمُ قَنَّا صُ الْمَعَانِي الْغَرَّ فِكْرُهُ
وَالْجَوَادُ الْجَائِدُ حَا وَي بَحَارِ الْجُودِ شَبْرُهُ (٢)
عِنْدَنَا مِنْكَ حَيَاءٌ جَلَّ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرُهُ
إِذْ بَعَثْنَا نَحْوَكَ الشَّعْرَ الَّذِي فَصَّلَ شَذْرُهُ

(١) (أ) : « طار » .

(٢) في الأصل : « الجواد » ، وأثبتنا ما في (أ) . وفي (أ) أيضاً « سبره » .

وبه غيرك من قبلك قد قلّد نحره
فاغتفر هفوة هافٍ جاء بالأعداء شره
وليفّز منك بعفوٍ وليقمّ عندك عُذره

فكتب علاء الدين الجواب عن ذلك :

يا مجير الدين يامنُ أعجز الألسن شكره
ولله بحر نوالٍ غمر العافين عمره
والذي يخلو بأفوا ه ذوي الأبواب ذكره ^(١)
والذي بذّ فحول الشعر في المضار شره
والذي فوق السماكين وفوق النسر قذره ^(٢)
كل مفضل أيساديه بها قلّد نحره
أيها الحبر مجير الدين والمحمود خبره
جاءني منك قريضٌ يسكر الأبواب خمره
جامع درّ المعاني عونته فيه وبكره
حلّ في القلب كما حلّ بروض الحزن قطرته
بل كما ضاء لساري الليل في الظلماء بذره ^(٣)
نحو من يطلب من جوٍ دك أن ييسط عُذره
عبد إخلاص تساوى سره فيك وجهه
وإلى رؤيا محيّا ك فني والله عمره ^(٤)

(١) في الأصل : « فكره » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) النسر : كوكب .

(٣) زاد بعد هذا البيت في (أ) :

(٤) (أ) : « صبر » .
سافراً جا ييسط العذ ر من أفقك فجره

١٢٣٣ - علي بن [محمد بن] أحمد*

ابن سعيد بن سالم بن عمر بن يعقوب ، القاضي علاء الدين أبو الحسن^(١) المعروف بابن الفامي ، المحتسب بدمشق

اشتغل بمذهب الشافعي ودرّس ، وأذلج في طلب العلم وعَرّس ، وسهر ودأب ، ومهر لما طلب ، واشتغل بالشام ومصر ، وتوجّه إلى الإسكندرية ، ولم يؤخذ [له]^(٢) على السعي إصر . وتولى تدريس المدرسة الأمينية ، وصفا ظاهره في ذلك والنيّة . ثم باشر الحسبة ، ووفّر الله تعالى منها كسبه ، وأقام فيها مدة وعُزل ، وكان قد طلع بدّره فيها كاملاً ، ثم أفلّ لابل خسف^(٣) وخزل ، وثمر فيها أموالاً ، ولم يُبَلِّ بالدهر أعاداه أم والى . وعمر أملكاً لها صوره ، وذخائر غير محصوره . ثم إنه وليها ثانياً ، وردّ الدهر عنان سعده ثانياً ، إلّا أنه أخفى عليه بعد مدّة يسيره ، وجعل عَيْنَ تَطْلُعِهِ إليها حَسِيرَةً . ولكنه جبر وقته مع الله بالتوبة منها ، وترحّل عن امتطاء صَهْوَتِهَا^(٤) ، ونزل عنها ، وخفّ منها حاذّه^(٥) ، وأقلع غيم وابله وقلّ رذاذه . وكان قد أنهكه المرض ، وزال عن أعاديهِ إليه العَرَضُ .

ثم إن ابن الفامي ألقى ميّ المنية ، وسُدّت إليه سهام الحَيْن من تلك الحَنِيهِ .

وتوفى رحمه الله تعالى في بكرة السبت سادس عشرى صفر سنة ثلاث وستين وسبع

مئة .

* البداية والنهاية : ٢٩١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٧٢/١ ، والدرر : ١٠٣/٣ ، والدارس : ١٥٠/١ ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) والوفيات والدارس ، وما وقع في الأصل يشبهه ما في (خ) .

(١) (أ) ، (خ) : « أبو الحسن الأنصاري » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « كسف » .

(٤) في الأصل : « شهوتها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) الحاذ : الظهر والمنتن .

ومولده في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

كان قد حفظ (التنبيه) في الفقه ، و (العمدة في الأحكام) و (مقدمة ابن الحاجب) ، [و (مختصر) ابن الحاجب]^(١) ، وسمع من زينب بنت الكمال ، وأبي عمرو عثمان بن سالم بن خلف^(٢) ، ومحمد ابن إسماعيل بن الحجاز^(٣) ، والحافظ أبي الحجاج المزني ، وزينب بنت الحجاز ، ومن بهاء الدين بن إمام المشهد^(٤) ، وعليه اشتغل بالعلم وبه تخرّج .

وكان أولاً قد تزوج بابنة القاضي زين الدين بن النجيج الحنبلي نائب قاضي القضاة علاء الدين بن المنجا ، وكان يكتب الحكم عنه بالمدرسة الجوزية ، وكان تولّى الأمانة مدرّساً بها في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة لما كان السلطان الملك الصالح صالح بدمشق في واقعة بيبغاروس بعد وفاة ابن عمّه بهاء الدين بن إمام المشهد ، ثم إنه تولّى حسبة دمشق في أوائل سنة أربع وخمسين وسبع مئة في أيام الأمير علاء الدين [أمير]^(٥) علي المارديني ، ثم تزوج زوجة ابن عمّه أيضاً وهي الحموية ، فورثه في مدرسته وفي الحسبة وفي الزوجة .

وعزل من الحسبة سنة تسع وخمسين بالقاضي عماد الدين الشيرجي ، ثم تولّاها في شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ثم إنه [لما]^(٦) أثقل حاله في المرض نزل عنها من ذاته ، وخلف عدّة من الأولاد الذكور وغيرهم ، واشتملت تركته على ثلاثة مئة ألف درهم ما بين عين وأملك ومجلدات وغير ذلك .

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) (ت ٧٤٥) ، والدرر : ٤٣٩/٢ .

(٣) (ت ٧٥٦) ، الدرر : ٢٨٤/٣ .

(٤) محمد بن علي بن سعيد (ت ٧٥٢) ، الدارس : ١٤٨/١ .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٦) زيادة من (خ) ، وفي (أ) : « ولما أثقل » .

كان لي تنور قد تَعَطَّل في أيام حسبه الأولى ، فكتبت أنا إليه في ثامن شهر ربيع
الآخر سنة سبع وخسين وسبع مئة :

ياسيداً هو بالإحسان محتسب أجراً يوازنه في الحشر شلان^(١)
أشكو إليك من التنور عطلته وأنت في العلم والإفضال طوفان
فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

ياسيداً هو في الإفضال مبتدأ وفي البلاغة والآداب سحبان
عجبت من عطلة التنور لعجب لوجاء أمرك لي وافاه طوفان

١٢٣٤ - علي بن محمود بن إسماعيل بن معيد*

الأمير علاء الدين البعلبي .

كان شكلاً طوالاً ، جسيماً لم ير له مثالا ، بديناً إلى الغايه ، بديلاً من الفيل في
العظم والنهايه ؛ إلا أنه كان من رجالات الناس رياسه ، ودربة وخبرة ومعرفة
وسياسة ، خبيراً بالأمور ومعالجة الجمهور ، دون دهاء وخداع ، ومَلَقَةٌ مَلَقٌ واتضاع ،
خدم الناس وتقدم ، وتقرَّب إليهم فأحمد عقبى ذلك وما تندم ، فانتقل من الجندية إلى
إمرة العشره ، ثم إلى الطبلخانات والولايات المشتهره ، وولي نظراً^(٢) الأوقاف بدمشق
مدّه ، ثم تولّى القبليّة ويده إلى أعلى من ذلك ممتده .

وكان تنكز يحبه لمعرفته ، ويقربه ويؤليه لدرايته ودربته .

ولم يزل في صعود ، ومراقى صعود ، إلى أن مرض بالقبليّة ، وقدم إلى دمشق
فطالت علته ، ولم تستدّ بالعلاج خلّته ، ونُشرت له من الكفن خلّته .

(١) في الأصل و (أ) : « نهلان » ، وأثبتنا ما في (خ) . ونهلان : جبل .

* الدرر : ١٢٥/٣ ، وفيه : « سعد » موضع « معيد » ، تحريف .

(٢) (أ) : « شدّة » .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة [وَتُفَنِّ بِالْمِزَّةِ .

وكان قد لبس للإمرة بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وسبع مئة ^(١) هو وعز الدين خطاب وسيف الدين بكتمر ومملوك الأمير سيف الدين بكتاش .

وَوَلِيَ الْبِرَّ بدمشق عوضاً عن الأمير شرف الدين بن البرطاسي ^(٢) في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة . ثم إنه ولي شدّ الأوقاف في سابع عشري شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة مضافاً إلى ولاية البر ، ثم إنه عزل منها ^(٣) وتولى القبلية بحوران يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر والي الولاية ، وتولى أخوه الأمير بدر الدين بن معبد شدّ الأوقاف ، وتولى ولاية البر علم الدين الطرقي ^(٤) .

وكان أبوه شرف الدين تاجراً يبعلك من عُدولها ، فنشأ ولده هذا وتعلّق بالدول وخدمها إلى أن تولى شدّ الأوقاف بدمشق ، وتولى البرمدة ، ثم جُهِزَ إلى القبلية ، فقلق فيها ، ومرض ، وحضر إلى دمشق إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان قد سمع من المُسْلِمِ بن علّان يبعلك في سنة سبع وسبعين وست مئة قطعة من (مسند الإمام أحمد) .

قال شيخنا البرزالي : وسمع بقراءتي يبعلك سنة إحدى وثمانين وست مئة .

وسيّأتى ذكر أخيه الأمير بدر الدين محمد بن معبد في مكانه إن شاء الله تعالى .

وكان من سمّنه إذا نام يحرسه اثنان ، فإذا غط أنبهاه . فيقال إنهم غفلوا عنه [فنام

(١) زيادة من (أ) .

(٢) عيسى بن عمر ، ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٤) سنجر ، سلفت ترجمته . ووقع في الأصل و (ط) : « الطرقي » .

فَقَطَّ [فَمَات ^(١)] ، والله أعلم . كذا جرى للأمر سيف الدين كشلي الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

١٢٣٤ - علي بن محمود بن حُمَيد*

العلامة البارع علاء الدين أبو الحسن القونوي الحنفي الصوفي ، المدرّس بالقليجية .

سمع من الحَجَّار ، والجزري ، وعدّة . ودار على المشايخ قليلاً وَحَبَّبَ إليه الآثار ، وَخَرَّجَتْ له (مشيخة) ، ولازم الكلاسَة يُقَرِّئ العلوم فيها ، وينفع من كان طالباً نبيا ، مع ديانة لا تجهل ، وصيانة لا يسمع أحد بذكرها إلا وَيَذْهَل ، وتواضع على علوّ قدره ، وسَمَوَ بَذْرَه ، ودنوّ غيْثَه في ^(٢) العلم وَقَطَرَه ، أقام على ذلك برهه ، ولأهل العلم بفوائده في كل وقت نزهه .

ولما توفي شيخ الشيوخ القاضي بدر الدين المالكي تولى هو مكانه ، وقال له المنصب باستحقاقه : كن ، فكانه .

وأقام فيه قليلاً إلى أن حشرج صدره ، وأفل من سماء الحياة بَذْرَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ^(٣) رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وكان يعرّب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية . وكان يقرئ الطلبة في البَزْدَوِي ^(٤) وابن الساعاتي وفي (منهاج) البيضاوي ، وفي

(١) في الأصل : « غفلوا عنه ، فَمَات فَعَطَّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

* الوافي : ١٨٨/٢٢ ، والدرر : ١٢٦/٣ .

(٢) (خ) : « من » .

(٣) (أ) ، والوافي : « في أوائل شهر » .

(٤) له كتاب الأصول . انظر كشف الظنون .

(مختصر) ابن الحاجب ، وفي (الحاجبية) ، وربما أقرأ في (الحاوي الصغير)
للشافعية .

ولما توفي قاضي القضاة شرف الدين المالكي تولّى هو مشيخة الشيوخ مكانه ، وكان
القاضي^(١) شرف الدين يأخذ من كل خاتقاه في الشام في كل شهر عشرة دراهم ، وفي كل
يوم نصيبين . ولما تولّى القونوي ذلك أبطله ولم يتناوله .

وكان فيه سكون زائد إلى الغاية رحمه الله تعالى . ومن قرأ عليه أخي إبراهيم رحمه
الله تعالى في (المنهاج) للبيضاوي .

١٢٣٥ - علي بن محمود بن إبراهيم*

الشيخ الصدر الرئيس علاء الدين بن جوامرؤد الفراء .

كان رجلاً جيداً مشكور السيرة ، يقصده الناس ، ويقضي حوائجهم ، قارب
التسعين^(٢) ، وكان تاجر الخزانة ، وله على ذلك معلوم .

توفي رحمه الله تعالى في سادس عشري المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن
بجبل قاسيون .

١٢٣٦ - علي بن مخلوف**

ابن ناهض بن مسلم النويري ، قاضي القضاة زين الدين أبو الحسن المالكي .
حكم بالديار المصرية تيفاً وثلاثين سنة .

(١) في الأصل : « وكان الشافعي القاضي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
* الدرر : ١٢٥/٣ .

(٢) في الأصل : « السبعين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

** الوافي : ١٨٩/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٩٠/١٤ ، والدرر : ١٢٧/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٥٨/١ ،
والشذرات : ٤٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٩٢/٢ .

سمع المرسى ، وروى عنه . وسمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيرها .

كان كثير المُرَّوَّة ، غزير الفتوة ، وافر الاحتمال ، كثير الإحسان إلى أهل العلم والاشتغال ، يكرم العدول ، ولا يُرى له عن تعظيمهم عدول ، قد درب الأحكام فصار ابن بجدتها [وخبر فصل القضايا ، فما تحفى عليه وهدتها من بجدتها]^(١) ، وكان به لمصر فخار ، وللمنصب به اشتها .

ولم يزل على حاله إلى أن اعترف أجله بما جحد ، وأصبح ابن مخلوف ، ولم يخلفه أحد .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر جمادى^(٢) الآخرة سنة ثمانى عشرة وسبع مئة .

ومولده بالنويرة من أعمال البهنسة أربع وثلاثين وست مئة . وأظن الشيخ صدر الدين بن الوكيل [فيه]^(٣) يقول :

إلى مالك يعزونه ونويرة فلاعجب إن كان يُدعى متبا^(٤)
ولولا أن هذا البيت من المُرْقَص لم أذكره هنا .

وتولّى القاضي زين الدين بن مخلوف رحمه الله تعالى قضاء الديار المصرية في أواخر سنة خمس وثمانين^(٥) وست مئة عقيب وفاة ابن شاش^(٦) . ولما توفي هو رحمه الله تعالى تولى المنصب بعده قاضي القضاة تقي الدين [ابن]^(٧) الأخنائي .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « ربيع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) والبداية .

(٣) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٤) (أ) : « ولا عجباً » .

(٥) في الأصل : « ثلاثين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٦) في البداية والنهاية ٣٠٨/١٣ : « تقي الدين برساس » ، تحريف .

(٧) زيادة من (أ) ، (ط) .

وكان السلطان الملك الناصر في سنة إحدى عشرة وسبع مئة قد عزل ابن مخلوف وأمر القاضي الشافعي أن يتخذ قاضياً مالكيّاً نائباً له من جهته ففعل ذلك ثم أعيد القاضي زين الدين بن مخلوف إلى مكانه .

١٢٣٧ - علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله*

الفقيه المحدث الصالح الزاهد نور الدين أبو الحسن الموصلي الحنبلي [الحلبي]^(١) نزير دمشقي .

سمع من أبي القاسم بن رواحة وغيره بحلب ، ومن إبراهيم بن خليل .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وحدثني أنه سمع من يوسف بن خليل ، ولم يظفر بذلك ، وسمع بمصر من الكمال بن^(٢) الضرير ، والرشيد ، ومن^(٣) أصحاب البوصيري ، وعني بالحديث ودرب قراءته ، وكانت مُفسّرة نافعة ، وحصل الأصول ثم ارتحل إلى دمشق ، فأكثر عن ابن عبد الدائم والكرماني وابن أبي اليسر والموجودين .

وكان يجوع ويشترى الأجزاء ويقنع بكسرة فيسوء خلقه مع التقوى والصلاح ، وقرأ كتباً مراراً .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر صفر سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وست مئة .

ومات رحمه الله تعالى بالبليارستان الصغير .

* الوافي : ١٩٤/٢٢ ، والدرر : ١٢٧/٣ ، والشذرات : ١٠/٦ .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) والوافي .

(٢) ليست في (أ) ، والوافي .

(٣) في الأصل « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

١٢٣٨ - علي بن المظفر*

ابن إبراهيم بن زيد ، الأديب البارع الكاتب الفاضل ، المقرئ ، المحدث ، المنشئ ، الناظم ، علاء الدين الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي المعروف بالوداعي ، كاتب ابن وداعة .

وتلا بالسبع على علم الدين القاسم^(١) ، وشمس الدين بن أبي الفتح^(٢) . وطلب الحديث ، ونسخ الأجزاء . وسمع من عبد الله الحشوعي ، وعبد العزيز الكفرطابي^(٣) ، والصدر البكري ، وعثمان ابن خطيب القرافة ، وإبراهيم بن خليل ، والنقيب بن أبي الجن^(٤) ، وابن عبد الدائم ، ومن بعدهم . ونظر في العربية .

وكان ناظماً غوّاصاً على المعاني ، شاعراً قادراً على إحكام ما للآيات من المباني . جود المقاطيع دون القصائد ، وأتى في كل بدر^(٥) العقود وجواهر القلائد ، يغوص على المعاني^(٦) ويغور ، ويفوح أرج نظمهم ويفور .

وكتب المنسوب [الذي]^(٧) أزرت لآليه يياقوت ، وأذكر الناس بما يروى من

* الوافي : ١٩٩/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٦٢ ، وفوات الوفيات : ٩٨/٣ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدرر : ١٣٠/٣ ، والشذرات : ٣٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٧٧/٢ .

(١) في الأصل و (ط) : « ابن القاسم » ، وأثبتنا ما في (أ) والدرر ، وهو : علم الدين القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسى اللورقي (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٦/٥ .

(٢) محمد بن أبي الفتح البعلبي (ت ٧٠٩ هـ) .

(٣) في الأصل : « عبد اللطيف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي والدرر ، وهو عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بيان الكفرطابي (ت ٥٦٦ هـ) ، السير : ٣٢٤/٢٣ .

(٤) علي بن محمد بن إبراهيم الحسيني تقيب الأشراف (ت ٦٦٠ هـ) ، العبر : ٢٦١/٥ .

(٥) (أ) : « بدرر » .

(٦) (أ) : « للمعنى » .

(٧) زيادة من (أ) .

السكر عن هاروت وماروت ، ما كَانَ طروسه^(١) إلاَّ حدائق ، ولا كَانَ حروفه إلاَّ رياض بين الغدَّيب وبارق ، ولا كَانَ مداده إلاَّ شعرات [في]^(٢) صدغي غلام مَرَاهِق .
 جمع المجاميع الأدبية ، وانتقى الأحاديث النبوية ، وله (التذكرة الكندية)^(٣)
 التي بخاتمه الشيساطي تشهد بفضل ، وتعترف بنباهته ونبله ، و (ديوانه) يدخل في
 مجلدين كبيرين ، وقفت عليهما فأطرباني ، وقلت للدُّفّ والشبابة بعدها^(٤)
 لا تقرباني ، وملكتها فلما قلبي ، ووضعتهما بين كتبي ، وقد سكنا خَلْبي وقد انتقيت
 منها مَراقَ نَظْمه ، وكَمَل بَذَره ثُمَّ ، ومن ذلك قطعة وافرة في الجزء الثالث والثلاثين
 من (التذكرة) التي لي .

إلا أنه كان يتشيع ، ويتوَعَّر بذلك في ألفاظه وما يتورع .

وكتب الدرج موقِعاً بالحصون مدة طويلة ، ثم دخل آخر عمره ديوان الإنشاء
 بدمشق ، على رأي العوام ، بألف حيلة ، وكان هَجَاماً على الأعراض ، هَجَاءً للجواهر
 والأعراض ، وكان الناس ينفرون منه لذلك ، ويرون فضائله المضيئة كأنها الليل
 الحالك ، ومع تَفَنُّن فضائله وتوسُّع رسائله لما دخل الديوان لاراح ولاجا ، ولم يره
 الجماعة في باب الكتابة والأجأ ، كما جرى لبعض الناس ، وقال الجماعة للمتعجب :
 « ما في وقوفك ساعة من باس » ، حتى قلت أنا :

لقد طال عهد الناس بابن فلانة وما جاء في الديوان إلاَّ إلى ورا^(٥)
 فقلت كذا كان الوداعي قبله ولا شك فيه أنه كان أشعرا^(٦)

(١) (أ) : « طروسه » .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) ذكرها صاحب الكشف : ٣٨٩/١ .

(٤) في الأصل : « بعدم » ، وفي (أ) : « وبعدها » ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٥) (أ) : « بابن نباتة » .

(٦) (أ) : « كذا باس » ، وفي الوافي : « قاس » .

ولم يزل على حاله إلى أن تحقق الوداعي من الحياة ودّاعه ، واسترجع الأجل ماله عنده من وداعه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء سابع عشر رجب سنة ست عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة أربعين وست مئة تقريباً .
وتوفي ببستانه عند قبة المُسَجَّف .

قال شيخنا الذهبي : كان يخل بالصلوات فيما بلغني .

وكان شاهداً بديوان الجامع الأموي ، وولي مشيخة الحديث بالنفيسية ، وتولى نظر الصُّبَيْبَةِ وبانياس فيما أظن ، وأشدني من لفظه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ما كتبه على (ديوان) الوداعي رحمه الله تعالى :

بعثتُ بديوان الوداعي مسرعاً . إليك وفي أثنائه المدح والذمُّ
حكي شجر الدفلى رُواءً ومخبراً فظاهره سَمٌ وباطنه سَمٌ

ولما شاع عنه كثرة الهجو تطلّب القاضي نجم الدين بن صصرى (ديوانه) ،
و (تذكّره) من خاتقاه الشيساطي ، وكشط من ذلك أهاجي الناس ، ولم يقدر على
استيعاب ذلك ، فإني وجدت له بعد ذلك بخطه كثيراً .

وكان شيخاً مسناً ، وله ذؤابة بيضاء إلى أن مات ، وتقلت من خطه له :

ياعائباً مني بقاء ذؤابتي تالله قد أفرطت في تعييبها^(١)
قد واصلتني في زمان شيبتي فعلام أقطعها أو أن مشيها

قلت : نقل هذا من الحكاية التي تحكى عن بعض الوعاظ أنه طلع المنبر ووعظ
والسلطان قد حضر ميعاده على كراهية له وهو يتكلم والمقص إلى جانبه والطواقي ،
والناس يصعدون إليه ويتوبون على يده ، فيقص شعورهم ويلبسهم الطواقي ، فما كان

(١) (أ) ، والوافي : « مهلاً فقد » .

[إلا^(١)] أن طلع إليه بعض خواصّ السلطان مِمَّنْ يحبّه ويهواه ، وله ذؤابه سوداء مليحة طويلة ، فتغيّر السلطان ، وقال لمن يعزّ عليه : والله إن قطع شعر هذا المملوك لأقطعن يده ، فلما صعد إلى الواعظ علم^(٢) أنه قد وقع في خطر ، فأخذ شعره في يده ، وأخذ يفكر في خلاصه من تلك الورطة ، وشغل المجلس بأشعار وحكايات ، ثم قال : يا جماعة ! أتدرون ما يقول لسان حال هذه الذؤابة ، فقالوا له : ما يقول ؟ قال : يقول^(٣) : أنا كنت معه في زمن المعصية بالله لا تفرق بيني وبينه في زمن الطاعة ، انزل روح ياسيدي ، فأعجب السلطان ذلك والناس ، ووقع كلامه منهم بموقع جدّ .

وإنما سُمّي علاء الدين الوداعي^(٤) ، لأنه كان يكتب للصاحب علاء الدين^(٥) بن وداعة ، ولذلك قال ، ونقلته من خطّه :

ولقد خدمت الصاحب ابن وداعة دهرأ طويلاً
فلقيت منه ما التقى أنسّ وقد خدم الرسولا

وأنشدني شيخنا شمس الدين الذهبي ، قال : أنشدنا المذكور من لفظه لنفسه ، ونقلته أنا من خطّه :

من زار بابك لم تبرح جوارحه تروي محاسن ما أوليت من منن
فالعين عن قرّة والكف عن صلة والقلب عن جابر والأذن عن حسن

ونقلت منه ما كتبه لبعض أصحابه بمصر :

(١) زيادة من (أ) .

(٢) (أ) : « فعلم » .

(٣) (أ) : « يقول لي » .

(٤) في (أ) : « بالوداعي » .

(٥) قوله : « علاء الدين » ، ليس في (أ) ، والمشهور أن لقب ابن وداعة هو عز الدين ، انظر : الفوات

رَوِّ بِمِصْرَ وَبِسْكَانِهَا^(١)
 وصف لي القرط وشنَّف به
 وَاوْرُونَا يَاسَعِدْ عَنْ نِيلِهَا
 فهو مرادي لا يزيد ولا
 وتقلت منه :

وزائر مبتسم
 فقال أيري منشداً
 يقول لَمَّا جَا : أَنَا
 أَهْلًا بَتَيْنِ جَاءَنَا
 قلت : . يشير إلى قول الشاعر :

أَهْلًا بَتَيْنِ جَاءَنَا
 كسفرة من أدم
 مفتَّح على طبق
 مجموعة بلا حلق
 وتقلت منه له :

لله مَا أَرْشَقَهِ مِنْ كَاتِبٍ
 يَمِيسُ رَقْصاً فِي قَبَاءِ أَسْوَدٍ
 ليس له سَوِي دَمُوعِي مُهْرَقٍ
 فقلت : هَذَا أَلْفٌ مُحَقَّقٌ
 وتقلت منه له :

وَذِي دَلَالٍ أَحْمُورٍ أَجْحَرٍ
 طَافَ عَلَى الْقَوْمِ بِكَاسَاتِهِ
 أصبح في عقد الهوى شُرْطِي
 وقال : سَاقِي، قلت : فِي وَسْطِي
 وتقلت منه له :

وَلَمْ أَرِدِ الْوَادِي وَلَاعَدْتَ صَادِرًا
 مع الركب إلا قلت : يَا حَادِي النُّوقِ

(١) (أ) : « رَوِّ بِمِصْرَ وَبِسْكَانِهَا » .

(٢) يزيد وثورا : من أفرع نهر بردى السبعة .

فديتك عَرَجَ بي وعَرَسَ هنيهةً
لعلي أبلّ الشوق مِنْ أبلّ السوق
ونقلت منه له :

سقياً لكُرمِ مداميةٍ
أنشَت لها النشوات ليلاً
خلعت علينا سكرة
بدوية كَمَا وذيلاً^(١)

ونقلت منه له :

ويوم لنا بالنيريين رقيقةً
وحاشيه خالٍ من رقيب يشينه
وقفنا فسلمنا على الدوح غُدوةً
فردّت علينا بالرؤوس غصونه

ونقلت منه له :

ذَكُرْتُ شوقاً وعندي ما يصدّقه
قلْبٌ تقلّبه الذكرى وتقلقه
هذا على قرب دارينا ولا عجب
فالطرف للطرف جار ليس يرمقه
قلت : . أخذه من قول الأول ، والأول أحسن^(٢) :

لئن تفرّقنا ولم نجتمع
وعاقت الأقدار عن وقتها
فهذه العينان مع قربها
لا تنظر الأخرى إلى أختها
ونقلت من خطّه له :

الغرب خير وعند ساكنه
أمانة أوجبت تقدّمه
فالشرق من تيّريه عندهم
يُودع ديناره ودرّهمه
وقال أيضاً :

حَوَى كُلُّ مِنَ الْأَفْقَيْنِ فَضلاً
يَقْرَبُهُ الْغَيِّ مَعَ النَّبِيِّهِ

(١) في الأصل : « عليها » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٢) (أ) والوافي : « وهو أحسن » .

فهذا مطلع الأنوار منه وهذا منبع الأنوار فيه

قلت : أخذ الوداعي معناه الأول وبعض الثاني من قول [القاضي] ^(١) الفاضل رحمه الله تعالى : « وتلك الجهة وإن كانت غربيّة فإنها مستودع الأنوار وكنز دينار الشمس ومصبّ أنهار النهار » .

ونقلت من خطّه له :

رمتني سود عينيّه
وما في ذاك من بدع
فأصمتني ولم تبطني
سهام الليل ماتخطي

ونقلت منه له وظرف ^(٢) :

لنا صاحب قد هدّب الطبع شعره
إذا خمس الناس القصيد لحسنه
فأصبح عاصيه على فيه طيّعا
فحقّ لشعر قاله أن يسبعا

ونقلت منه له :

قل للذي بالرفض أتهمني أضلّ الله قصده
أننا رافضي ألعنّ الشيخين والعدة وجده

ونقلت منه له :

ولاتسألوني عن ليال سهرتها
حديثي عال في السماء لأنني
أراعي نجوم الأفق فيها إلى الفجر
أخذت الأحاديث الطوال عن الزهري

ونقلت منه له :

امرؤ القيس بن حجر جدنا
كان من أعجب أملاك الزمان

(١) زيادة من (أ) والوافي .

(٢) قوله : « وظرف » ليس في (أ) .

- ضل لما ظل يبغي ملكهم وهدي الناس إلى طُرُق المعاني
ونقلت منه له :
- كَمْ رُمْتُ أَنْ أَدْعِ الصَّبَابَةَ وَالصَّبَا فثني الغرام العامريّ زمامي^(١)
بذوائب ذابت عليها مهجتي ومناطقٍ نطقت بفطر سقامي
ونقلت منه له :
- تَأْمَلْ إِلَى الزَّهْرِ فِي دَوْحِهِ وَمَنْ زَارَهُ مِنْ مَلَّاحِ الْفَتُونِ
تَظُنُّ الْوَجُوهَ الَّتِي تَحْتَهُ تَسَاقُطُنْ مِنْ فَوْقِهِ مِنْ عَيُونِ
ونقلت منه ما قاله في رأس العين بيبعلبك :
- لِلَّهِ دَرَّ الْعَيْنُ لَيْلَةً زَرْهَهَا فَوَجَدْتُهَا رَاقَتْ وَرَقَّتْ مَشْرَعَا
« وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا » فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتِ مَعَا
ونقلت منه له :
- يَا عَاذِلِي فِي وَحْدَتِي بَعْدَهُم وَأَنْ رَبَّعِي مَابَهُ مِنْ جَلِيسِ
وَكَيْفَ يَشْكُو وَحْدَةً مَنْ لَهْ دَمْعٌ حَمِيمٌ وَأَنْيُنْ أَنْيْسِ
ونقلت منه له :
- قَسَمًا بِمَرَاكِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ عَرِيٌّ حَسَنٌ مِنْ بَنِي زَهْرَانِ
لَا حُلَّتْ عَنْكَ وَلَوْ رَأَيْتَكَ مِنْ بَنِي لَحْيَانٍ لَا بَلَّ مَنِي بَنِي شَيْبَانِ
ونقلت منه له :
- قَلْتُ وَقَدْ مَاسَ فِي الْكِسَا رَشَاً يُخْجَلُ بِدَرِّ التَّامِ حِينَ بَدَا

(١) في الأصل : « حامي » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

إن الكسائي لم يُمل^(١) أبداً أحسن من قده إذ أبدا
ونقلت منه له :

أدام الله أيام العذار وأغنى الله روضة كل خد
وبارك في لياليه القصار وإذا استحييت من الديم الغزار^(٢)
ولا زالت مبسم كل ثغر لشائم برقهها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تصفو ثياب العار في خلع العذار
قلت : قد هذا حذو شمس الدين بن العفيف التلمساني حيث قال وهو أطف :

أعز الله أنصار العيون وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتداراً وإن تك أضعت عقلي وديني
وأسبغ ظلّ ذاك الشعر يوماً على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا وإن ثنت الفؤاد إلى الشجون
وخلد دولة الأعطاف فينا وإن جارت على قلبي الطعين
وقول شمس الدين محمد أيضاً :

أدام الله أيام الجمال وأسبغ ظل أغصان التداني
وخلد ملك هاتيك الليالي وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الأنس فيها تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون تغازل مقلتي خشف الغزال
ونقلت من خطّه له :

(١) الكسائي هو علي بن حمزة من القرّاء السبعة ، والشاعر هنا يورّي بالإمالة ، وهي الجنوح بالآلف والفتحة إلى الياء أو الكسرة .

(٢) في الأصل : « القصار » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) (أ) : « وخلد عمر » .

تعجبوا من أدمعي إذ غدت بيضاً وكانت من دم قـان
لا تعجبوا طرفي ربُّ الهوى وكل يوم هو في شأن
ونقلت منه له :

قلت للعاذل المفند فيها حين وافت وسلمت محتاله
قم بنا ندعي النبوة في العشق فقد سلمت علينا الغزاة
ونقلت منه [له] ^(١) أيضاً في شاهد :

قضيت نحي في هوى شاهد أصبح عدل القد بين القدود
وليس لي من أمره مخلص وهكذا القاضي أسير الشهود
قلت : كان ينبغي أن يأتي بالتوطئة ^(٢) بذكر القاضي ليكون المثل كاملاً .
ونقلت منه له :

مضى أرى النفس التي من بعدهم قد نخلت
تفتح أبواب الهنا إن هي إليهم قفلت

١٢٣٩ - علي بن معالي *

الصدر الفاضل علاء الدين الأنصاري الحراني ثم الدمشقي المعروف بابن الزرّيزير
الكتاب الحسوب . كان مشكوراً ، وانتفع به جماعة .

مات عن نحو أربعين سنة فجأة بدمشق في ثالث عشري صفر سنة خمس وسبع
مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

(١) زيادة من (أ) .

(٢) (خ) : « في التوطئة » .

* الدرر : ١٣٢/٣ .

١٢٤٠ - علي بن مقاتل *

علاء الدين التاجر الحموي ، صاحب الأزجال المشهورة .

تفرّد بنظم الأزجال في آخر عمره ، وتحكّم في فنّها نبّهيه وأمره ، وأتى بغرائب الصنعة واللزومات ^(١) التي تضيق فيها على العوالي ^(٢) الرقعة ، بحيث إنه أكثر من أنواعها ، واستعمل أعوانها في مدّ أبواعها ، وله شعر أيضاً إلا إنه في ذاك أمره ، وأزجاله أشهى إلى القلوب وأشهر .

اجتمعت به في حماة وفي دمشق غير مرّة ، وجلا عليّ من بنات فكره كلّ خريفة كأنها للشمس ضرة ، و (ديوانه) يدخل في مجلدين ، ويراها أرباب هذا الفن في جنات الصدور مخلدين .

ولم يزل على حاله إلى أن قتل ابن مقاتل ، ولم يقدر في معرك المنية على أن يُخاتل ^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة إحدى وستين وسبع مئة بحماة المحروسة .

ومولده ^(٤) بها في سنة أربع وستين وست مئة .

أنشدني كثيراً من أزجاله وأشعاره ، ونقلت من خطّه :

ومليح عمّه الحسنُ بخالٍ مثل حظي
وقع البحث عليه بينه وبين لفظي
قال هذا خال خدي قلت بل ابن أختٍ لحظي

* الوافي : ٢١٨/٢٢ ، والدرر ١٣٢/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٣٩/٣ .

(١) في الأصل : « اللزومات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « العوالي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « يخاتل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

[ونقلت منه له ^(١)] :

إِنَّ الْخِرَاسَانِيَّ لَمْ أَحْوِ فَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِهِ
حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ مِنْ خَوْفِهِ
أَمَّا تَرَى قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ^(٢)

ونقلت منه له :

إِنْ كَانُونَ فِي الْكَوَانِينَ أَمْسَى كَصَدِيقٍ لَهُ ثَلَاثَ وَجُوهِ
وَبِهِ حَفْلَةٌ مِنَ النِّيرَانِ ^(٣)
كَلَّ وَجْهَ مِنْهَا بِأَلْفِ لِسَانٍ

ونقلت منه له :

يَا مُرْقَصاً يَا مَطْرِباً غَنَى لَنَا أَنْعِمَ لِإِخْوَانِ الصَّفَا بَتْلَاقِي
فَلَقَدْ رَمَيْتَ (مقاتل الفرسان) يَثْنُ يَدَيْكَ عِنْدَ (مصارع العُشَّاقِ) ^(٤)

ونقلت منه له :

خُدُودٌ وَأَصْدَاغٌ وَقِدَّ وَمُقْلَةٌ وَتَغَرُّ وَأَرْيَاقٌ وَلَحْنٌ وَمُعْرَبٌ
وَرُودٌ وَسَوْسَانٌ وَبَانٌ وَنَرْجِسٌ وَكَلَسٌ وَجَرِيَالٌ وَجَنَكٌ وَمَطْرِبٌ

ونقلت منه [له] [الأول تصحيف الثاني] :

شَفَائِي وَجَنَّاقِي حَبِيبٌ بَسْرِبِهِ لَعُوبٌ بَمَرْجٍ تَفْرَجُ الْبَاسَ شَيْتِهِ
سَقَانِي وَحَيَّانِي حَيَّتْ بَشْرِبَةٍ لَغُوتٌ بِمَرْحٍ تُفْرَحُ النَّاسَ سَيْتِهِ

ونقلت منه له :

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الوافي : « على نده » .

(٣) في الوافي : « ربّ كانون » . وفي الأصل : « وبه حلفة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٤) في البيت تورية باسم كتّابين مشهورين .

أسهرتني مليحة أسهرتني طول ليلى ظلامه الطرف يُعشي^(١)
والسهى خيفة العراق من السقم مسجى على بُنيّات نَعْشي^(٢)
والثرىّا كأنها راحة تلطم خد المريخ والجو مُعْشي
ونقلت منه له :

فُضّوا كتابي واغذروا فأنامي منها اليراع إذا ذُكرتم يسقط
والقلب يخفق لاضطراب مفاصلي والخط يشكّل والمدامع تنقط
قلت : أحسن منه وأجزل وأمتن قول ابن السّاعاتي :

بتنا وعمر الليل في غلوائه وله بنور البدر فرع أشمط
والطل في سلك الغصون كلؤلؤ نظم يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط
ونقلت منه له :

لا تنكروا حمرة خطبي وقُدْ فارقت من أحباب قلبي جموع
فإنني لما كتبت الذي أرسلته رمّلته بالدموع
ونقلت منه دوبيت في كل كلمتين قلب نفسها :

الخلّ خلا من نم عانق بقناع قانع بعناق ألف لا عاد وداع
مادام معانق ناعم عاش شاع ألمى يلا ما أم عاطى وأطاع
ونقلت منه له مواليتا :

على وفاكي وفاكي كم ذهب من عين وفي شفاكي شفاكي للذي بُوعين

(١) في الوافي : « ليل » . وفي (أ) : « يغشي » .

(٢) في الأصل : « خيفة الغرام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

ما أحلى وما كي وما كي نبع أعذب عين
ونقلت منه له موالياً :

قال الذي [مَنْ] يراه الطرف ما يسني
والغصن يا خجلتو إن قام ما يسني
ونقلت منه له أيضاً :

كلمت من لو بقلبي ألف تكليمه
وقلت بعد الوفا تبخل بتسليمه
وسيف لحظو الذي مافيه تثليه
أرخصت دمعِي وماتغلى بتعليه
وكان قد أنشدني^(٤) لنفسه بحاه زجلاً وهو :

ليـس يعشـق إلّا إيّاه	قلبي يحب تـيــــــــــــــــاه
يُرْصـد على عيّاه	فاز مَنْ وَقَفَ وحَيّاه
من راد وصـالو يعطـب	بـدر السما ويطبـع
غـــــــــزال قر بشـحرو	صغير بحير في أمـرو
فـــــــــاعجب لصغر عمـرو	ليث الهـوى ونمـرو
أردى الأســــــــود وازعـب	ريم ابن عـشر واربــــــــع
وروحـي كنت بعــــــــتو ^(٥)	نذكر نهار تبعتــــــــو
وقال كلام ما سمعتو ^(٦)	خيـب ما كان طمعتــــــــو

(١) في الوافي : « أعذب » .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) (أ) ، (ق) : « من خجلتو » .

(٤) في (أ) ، (ق) زيادة : « في وقت » .

(٥) (أ) ، (ق) : « أذكر » .

(٦) (أ) ، (ق) : « وقال ذا ما سمعتو » .

نخشي عليك لا تتعب	ارجع ولي لا تتبع
مشيت مطيع خلفو ^(١)	كم قدامو وخلفو
قال دغ مناك وكفو	وقصدي لثم كفو
من الثريــــا أصعب	فلثم كل إصبع
حتى حصــــل في داري	مازلت لو نــــذاري
أيش لو تكون يا جاري	ناديت ودمعي جاري
قال أيش يكون لك أشعب	تدعني من فيك أشبع
للصــــب من وريــــدو	من في الجمال فريــــدو
وكم ذا شيخ مريــــدو	يذبح وهو يريــــدو
وهو بعقلــــو يلعب	خلاه ودمعو يبلغ
لحظــــو لقتلي حــــدو	من حاز في حسنو خــــدو
ما في الرياض شي نــــدو	وورد خــــدو نــــدو
عليه سيج معقرب	روض بالحيــــا مبرقع
صابو ابن مقاتل	كم خصم في المقاتل
قد أنشا غصن حافل ^(٢)	وكم ذا في الحافــــل
ملحون بــــألف معرب	من كل بيت في مربــــع

[فأعجبني هذا الذي فيه من قلب البعض في أغصانه وبعد حين خطر لي نظم

شيء في هذا فـ]^(٣) قلت أنا وجعلت جميع قوافيه مقلوب البعض :

وبالخصوع لو تقرب	قلي لــــو صــــلــــو ترقب
حين رأى عــــذار وتعقرب	وربــــع صبري تعرقب
وزان لشكــــو وعرب	ترجم جمــــالــــو وعبر

(١) (أ) : « مطيع خلفو » .

(٢) (أ) : « قد أثني » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

في حسن حي غرايب للعشق فيها رغايب
 سَرَتْ إِلَيْهَا النجائب من الصبا والجنائب
 رَأَاهُ عَاذِلِي فِيهِ كَبَرٌ وقام لعذري ورَكَبٌ
 جِيدُو عَلَى الظبي راجح واللحظ من طرفو جارج
 تراه إِلَى الصَدِّ جانح وعاشقو ليس هُوَ ناجح
 من صغر سننـــــو تكبّر وعاشقو قـــــد تكَرَّبْ
 حَكَمَ الْهَوَى مَنُوقَاسُطَ وحظي من وصلو ساقط
 مانا من الرحمة قانط والدمع من فوق خدي ناقط
 لَمَنْ طَفَى أَوْ تَجَبَّرَ يندم وهذا تَجَرَّبُ^(١)
 غدا بَوْصُلُو مُبْخَلْ خلّائي كيف ريت مَحْبَلْ
 وأسرع في قتلي ما أمهل وعم سقمي وما أمهل
 والدمع في الخد بحرّ والصـــــدر للهـمَّ رَحَبْ
 تراه يزيـد في جـــــالو مالو نظير في عـــــجالو
 رأى ابن يعقوب لـــــجالو كُؤْنُو فريـد في جـــــلالو
 في طلعة الشمس غـــــبر وفي الســـــيادات غـــــرب
 وفا وعودو تـــــعوّد وما يفي إِنْ تـــــوعّد
 كم راحه من كـــــفو أوجـــــد لـــــنو من الغيث أجـــــود
 أبطل حـــــوودو وأبـــــطر ومدحو للسمع أطرب
 لفن الإنشـــــاء ضراعـــــه لو من زمان الرـــــضاعـــــه
 وفي كلامه صنـــــاعـــــه فيها بديع ونصـــــاعـــــه
 ترسلو الحلو بـــــوّر غيرو وعن مـــــثلـــــو وـــــرّب
 كم من طويل فصل لـــــحص ومن عقد لـــــفظ خلـــــص

(١) في الأصل : « فن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

والحق قال ماتخص	والخير كم فيـه ترخص
والدهر بوقد تـدرب ^(١)	والمُلك بوقد تدبر
بالناس ومالو تفرق ^(٢)	راح للحجاز وترفق
وأمسى وجفـنـو مـورق	وحـوض سيلـو مـروق
وعـزـمـو أكبر وارغب	يتلو وصار أشعث أغبر
تقول رياض أو خايل	شيخ الشيوخ لو مخايل
كان تبصر السيل حامل	لوجاد في قفر ماحل
بوجهه أبيض مشرب	من أبصر وراح مبشر

ولما نظمت هذا الزجل كان في دمشق في أوائل سنة ست وخمسين وسبع مئة ،
وسمع بي ، فجاء إليّ وطلب الوقوف عليه ، فأوقفته ، فبهت له ، وأنشدني له أشياء من
هذا النوع ، ولكنه لم يلتزم ذلك في جميع القوافي .

ولما وقف عليه الإمام محير الدين محمد بن [الحسن بن]^(٣) الشهرزوري كتب هو
إليّ :

وربع سلواني خرب	دمعي بأسراري خبر
وللأعادي تشرب ^(٤)	في من لهجرو تبشر
ولم يحيني ومـا ادعي	خبر بأسرار دمعي
أعليه وما يهوى رفعي	في حب أصلي وفرعي
ونطقـو في مقـي ذرب	عن مقلتي شخصو بـذر

(١) (أ) ، (ق) : « والدهر متو » .

(٢) (أ) : « راح الحجاز » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) (ق) : « هجري » ، (أ) : « هجري » .

يامن هو لي مني سالب
 يا ولدي خالقك راقب
 سيف هجرك القلب هبّ
 يا أحلى الخلائق وأملح
 ولي تجود وتسمح
 هجرك بترني وتبرّ
 يا أحصف الناس وأفصح
 واغم ثوابي واربح
 مادام خدك معبر
 أزي رأى حيّ أمرد
 الآس ترى أو زمرد
 طرّز خُددودو وحبّر
 أي من تصبّح بخالو
 لو رآه مشبّه لخالو
 لما غدا قدرو أكبر
 أبو الصفا خير منشي
 ترسلو الحلو حوشي
 فيه كيف أقبل وأدبر
 لو عاين ابن المفتح
 وفي الكلام ماتشبع
 لفظو في الآذان أغبر
 صدغيتك عقربها لاسب
 فيا وسادد وقارب
 وعسكر الصبر هرب
 شخصك ترى يوم ألمح
 وأرضك أجفاني تمسح^(١)
 وخدي بالذل ترّب
 عن زلّتي بالله اصفح
 فعن هـواك ليس أبرح
 وشعر صدغك معقرب
 ما ارجع يرى طرفو أرمّد
 عذار هذا المزرّد
 وحيّر الناس وحرّب
 يزول عنو خبالو
 سيدي خليل في خلالو
 قلوب حسّادو أكرب
 إليه على راسي نمشي
 من حشو ولفظ وحشي
 من سائر الناس هو أدرب
 يبانو أضحي مفتح^(٢)
 وكان بروحو تبشّع
 وأقعد فصاحة وأغرب

(١) في الأصل : « وأجفاني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « أصبح » .

شعرو على الشعري باسق
 ما يلحقو قط لاحق
 مية ألف نظام يقبر
 ولو رأى ابن هلالو
 للبحثري أو لخالو
 لنـولـلاوزان أسبر
 بقى إلى ظلـو يهرب
 ومن يجاريه يتعب
 ومن يعاديـه يُغبر
 عبـدو المجيرحين تشرف
 زبـب وما بعد نصـف
 دمعي بـأسراري خبر
 وفحلـو في النظم سابق
 قد اعتلى فوق حالق
 وما يطيق منو يقرب
 خطـو المعجز لهـالـو
 لوجـا مـكانـو خـلالـو^(١)
 وفي قوافيهـا أسـرـب^(٢)
 ودام يُرَجـا ويُرهب
 وما ينـالـو ويعتب
 ومن يـوالـيه يُرغب
 ومن كـلامـو ترشـف
 وجـاز حـدـو وصـف^(٣)
 وربـع سلـوانـي خرـب

وأنشدني علاء الدين بن مقاتل لنفسه :

يـا من قطع أوصـالي
 يوسف بالجمال أوصى لك
 ما أصبرني عليك من عاشق
 حاجيك بقوسو راشق
 ولي نار فراقـو صـالي^(٤)
 وأبـوه بالـحـزن أوصـي لي^(٥)
 وما أقـسـاك عليه معشوق
 وقلبي بنبلـو مرشـوق

(١) (أ) : « أوجا » .

(٢) في الأصل : « للأذان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « رتب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو إشارة إلى قولهم « تزبب حصرماً » . انظر أساس البلاغة (زبب) .

(٤) زاد في (أ) ، (ق) : « قد » قبل « قطع » .

(٥) (أ) ، (ق) : « وأبوه بالبيكى » .

ألف ذا القوام المشقوق
وعلقت بك أمالي
والصبر الجميل رأس مالي
وأوقف حالي الله جارك
بالذي من السوء جارك
ولو فرد يوم في دارك
يا غريز عليه غالي
بحال تاجر البرغالي
فأنا العاشقين من جندي
رقاد ليله تنتين عندي
ومن تحت عنقك زندي
في جندي وفي أهزالي
قلت وجفنتك الغزالي^(١)
قلت من ما أحلى لفظو
قلت ياسعيد في حظو^(٢)
يامن حد صارم لحظو
ولفظو مكرر حالي
عن وصلي فحالي حالي
مجنون في سلاسل حبك
وما ذاق خيرة لبك
لهذا يسمى صبك
قلبو ما هو عنك سالي

فسبحان تبارك ماشق
قد أخلصت فيك أعالي
وذل الجمال رأس مالك
يامن خلّى دمعني جاري
ارعى لي الوداد يا جاري
وقلبي بوصلك ذاري
تستفيد شيء من أشغالي
قال إياك يكون أشغالك
إن كان المعاشق جنـدك
ولي حاجة سهلة عندك
وفوق عنقي تجعل زندك
وأنشدك شيء من أغزالي
قال من حاك رقيق أغزالك
قال فمن ذا حلاً لفظك
فيا ترى إيش حال حظك
فيه شوي سواد من لحظك
فولاد ومجوهر حالي
مادام سعد حالك حالك
ارحم يـامـن الله حبـو
مسكين قد تفتّر لبـو
ودمعو عليك قد صبـو
ولو كنت بالنار سالي

(١) (أ)، (ق) : « قلت جفنتك » .

(٢) في الأصل : « لحظو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

فقل لمن فيه سالك
عندي لك فعال مخصوصه
وروحى معك مغموصه
وأخبارى عليك مقصوصه
ترفع للجناب العالى
عسى بصلاح أفعالك
زرنى يامليح بجيائى
قلت أنا أعشقتك من ذاتى
قلت ما تطيب أوقائى
فاجعل الوصال متوالى
قال ما أقدر أجى لك والك

١٢٤١ - علي بن مقلّد *

علاء الدين حاجب^(٢) العرب في أيام الأمير سيف الدين [تنكز]^(٣) ، كان راجلاً طويلاً ، أسمر اللون كحلياً ، يتحنك بعمامته ، ويتقلد بسيفه طول قامته ، ويلبس الثياب الطويلة المفرّجة ، ويسلك الطريقة التي هي عن العربان فحرّجه ، يتبادى في كلامه ، ويتبادء في معاملة^(٤) تحيته وسلامه .

قَرَّبَهُ تَنَكَّرَ وَأَدْنَاهُ ، وَمَكَّنَهُ فَعْنَاهُ وَأَغْنَاهُ^(٥) ، وَصَارَتْ لَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَجَاهَةٌ زَائِدَةٌ ،

(١) (أ)، (ق) : « لك أفعالك » .

* الوافي : ٢٢٦/٢٢ ، ونكت الهميان : ٢١٩ ، الدرر : ١٣٤/٣ .

(٢) في الأصل : « صاحب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل و(أ) : « معالجة » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٥) (أ)، (ق) : «وعناه فأغناه» .

ومكانة ؛ إلا أنها كانت إلى الهلاك قائده ، وزاد في طغواه ، وأرعى له الدهر أعنة هواه دون تقواه ، فطار في غير مطاره ، ونال نهايات أمانيه ، وأوطاره ، إلى أن تنكّر تنكز له ، فلبس له جلد النمر ، وصبّحه بصوب من سوط عذاب منهمر^(١) ، فقتله بين يديه بالمقارع إلى أن تهّرا ، وتفصلّ جلده وتفرّى ، ثم كحله فأعماه ، وقطع لسانه فأصماه .

فما كان بأسرع من ولوج الحمام حماه ، ونفاذ السهم الذي قصده الحتف به ورماه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل^(٢) شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

حكى لي علاء الدين بن مقلّد من لفظه ، قال : توجهت إلى الرحبة في شغل ، فعدت وقد حصل لي ثمانية عشر ألف درهم ، أوقال : خمسة عشر ألف درهم ، من العُربان ، ولم أذكر أنا هذا القدر إلا أن هذا في أيام الأمير سيف الدين تنكز ، كان فرطاً عظيماً لا يصل إليه أحد في أيامه . وكان [ابن] مقلّد رحمه الله تعالى قد زاد في التعاضم والتهيه والكبرياء ، فلو جاءه علي بن مقلّد صاحب شيزر^(٤) لقال : هذا شيء زري لا شيزري ، ولكنه أقام على هذا القدم مدة طويلة ، وكان الأمير سيف الدين [تنكز]^(٥) رحمه الله تعالى يسأل عنه من دوا داره ناصر الدين ، ويقول له : هذا ابن مقلّد ما يعجبني حاله ، ورّيت أنه يشرب النبيذ . فيقول ناصر الدين الدوا دار : ما أظن ذلك ولا [يقدر]^(٦) يفعل له حاجة فيه مرّات ، فلما كانت واقعة حمزة التركاني [المقدم]^(٧) ذكره ودخوله في أمر ناصر الدين الدوا دار ، وما أوحاه في حقّه^(٨) وحقّ

(١) في الأصل : « وصّبّحه بسوط من عذاب .. » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « أول » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) (ت ٤٧٥) ، الوافي : ٢٢٢/٢٢ .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٨) في الأصل : « حتفه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جماعته ، خرج لوالي المدينة وقال له : أريد منك أن تكبس ابن مقلّد ، فكبسه تلك الليلة ، وعنده جماعة نسوة وحرفاءهن^(١) ، ولما أصبح دخل حمزة إلى تنكرز وعرفه الصورة ، فأحضر الدوادار وأنكر عليه ووبخه وعنفه ، وكان ذلك سبب الإيقاع به ، وأحضر ابن مقلّد وقتله بالمقارع قتلاً عظيماً إلى الغاية ، وكحله ، واعتقله في قلعة دمشق ، فبلغه عنه كلام لا يليق ، فقطع لسانه من أصله ، وأحضر إليه على ورقة ، فأتى فيما أظن من ليلته بعد ما سلب نعمة عظيمه ، ورتبه مكينه ، وجاهاً طويلاً [عريضاً] ، نسأل الله خاتمة خير في عافية^(٢) .

١٢٤٢ - علي بن منجا*

ابن عثمان بن أسعد بن المنجّ التنوخي ، الشيخ الإمام الفقيه البار ، قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ زين الدين أبي البركات ابن القاضي عز الدين أبي عمرو بن وجيه الدين أبي المعالي الحنبلي ، قاضي دمشق .

ذكرت جماعة من أهل بيته في هذا التاريخ ، وحدّث عن ابن البخاري ، وابن شيبان^(٤) ، وطائفة .

هو من بيت سعادة وحشمه ، وسيادة ونعمه ، وفتوى وفتوّه ، ومكارم للناس مرجوّه ، وأيادٍ متلونة الأنواع متلوّه .

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَاقِيَتْ سَيِّدَهُمْ مثل النجوم التي يسري بها الساري

(١) في الأصل : « جماعة حرفا ونسوة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي ،

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « عاقبة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* البداية والنهاية : ٢٣٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩١/١ ، والدرر : ١٣٤/٣ ، والذيل التام : ١١٣ ، والشذرات : ١٦٧/٦ ، والدارس : ٣٢/٢ .

(٤) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥) ، العبر : ٣٥١/٥ .

وكان هذا القاضي علاء الدين كثير الرئاسة ، عزيز السياسة ، لا يكاد أحد يسبقه إلى عزاء ولا هناء ، ولا ينزل من مضارب الرئاسة إلا في خباء مروءة وحياء ، يودُّ من يعرفه ومن لا يعرفه ، وَيُسَعِّفُ^(١) الخصم في الحق ولا يعسفه :

منجَّذٌ من بني المنجِّا نال من الفضل ما ترجى^(٢)
أسرع في نيل كلِّ مجدٍّ وهم في قصده ولجَّيا
فصار مجراً في العلم يصفو ولم ير الوصف منه لجَّيا

ولم يزل على حاله المرضيِّ ، وأوامره المقضيِّ ، إلى أن وقع ابن المنجا في شرك المنية وما نجا ، وكاد النهار يكون لفقهه دجا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس سابع^(٣) شعبان سنة خمسين وسبع مئة .

وتولى القضاء بعده قاضي القضاة جمال الدين المرادوي الحنبلي .

نقلت مولده من خطه ليلة نصف شعبان سنة سبع وسبعين وست مئة .

وكان قد لبس تشريفه بقضاء قضاة الحنابلة بدمشق يوم الأربعاء^(٤) حادي عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى كثير الرئاسة والحشمة ، قلَّ أن يسبقه أحد إلى هناء أو عزاء ، ويشارك أهل العزاء والهناء في شأنهم . ولما توفي فتاي مراد حضر إليّ إلى البيت وعزاني فيه ، وتوجه إلى الجامع ، وصلى عليه في الجامع الأموي ، وتوجّه إلى مقابر الصوفية ، ووقف على قبره حتى دفن . ولما انصرف الناس وقف لهم ، وشيّعهم ، وتشكر لهم حتى أخرجني من كثرة إحسانه وتوجهه وتفجعه ، ولذلك قلت أنا فيه :

(١) في الأصل : « ويستعف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) المنجذ : المُجَرَّب .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) ، (ق) : « تاسع » ، وفي البداية والوفيات والدرر : « ثامن » .

(٤) في الأصل : « الأحد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والبداية والنهاية : ١٥٧/١٤ .

لَمْ لَا أَسْحَ دُمُوعِي فِي رَزِيَّةٍ مِنْ قَدْ كَانَ يُزْهِى عَلَى بَدْرِ السَّمَاءِ تِيهَا
وَقَدْ رَمَانِي الْقَضَا فِيهِ بِنَائِبَةٌ قَاضِي الْقَضَا أَرَاهُ نَائِبِي فِيهَا

١٢٤٣ - علي بن منصور بن محمد بن المبارك*

شمس الدين بن الإسنائي المعروف بابن شَوَّاق الطبيب ، بالشين المعجمة والواو المشددة ، وبعدها ألف وقاف .

اشتغل بالطب^(١) ، وناب في الحكم بأصفون وغيرها ، وأخذ الطب عن ابن بيان ، ومهر فيه واشتهر^(٢) بالمعرفة ، وكان يتبارك بطبّ « الْمَكْرَم » دون شمس الدين هذا ، فقليل له في ذلك ، فقال : المكرم يُطَلَّبُ في ابتداء الأمراض ، وفي الأمور السهلة ، وأنا ما أطلب إلا إذا أيس من المريض ، وإذا كان المرض مخوفاً .

وكان حسن الخلق .

توفي رحمه الله تعالى بعد التسعين وست مئة .

١٢٤٤ - علي بن نصر الله**

ابن عمر بن عبد الواحد القرشي المصري الشافعي ، الشيخ الإمام الفاضل الخطيب المعمر المسند نور الدين أبو الحسن .

كان خطيب قرية بظاهر القاهرة ، روى أكثر (صحيح) النسائي عن عبد العزيز بن باقا ، وسمع أيضاً من جعفر الهمداني ، والعلم بن الصابوني ، وأجاز له أبو الوفا بن مندة ، وأبو سعيد المديني ، وعدة .

* الوافي : ٤٢/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤١٨ .

(١) (أ) : « بالفقه » .

(٢) (أ) : « واشتغل بالمعرفة » ، وعبارة الوافي : « واشتهر فيه بالمعرفة والحدق » .

** الوافي : ٢٧٣/٢٢ ، والدرر : ١٣٦/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ .

وتفرّد ، ورحل الناس إليه ، وكان خاتمة من سمع شيئاً من ابن باقا .

وسمع منه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - والواني ، وابن خلف ، وابن المهندس^(١) ، وابن حرمي ، وعدّة . وظهر للناس بعد رحلة شيخنا الذهبي من مصر ، وأثنى الناس عليه .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشرين شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة عن نيّف وتسعين سنة .

١٢٤٥ - علي بن هبة الله *

ابن أحمد بن إبراهيم بن حمزة نور الدين بن الشهاب الإسناي .

كان فقيهاً مفتياً ، سمع الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ عبد المؤمن ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة . وحفظ (مختصر مسلم) للحافظ المنذري ، وأخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيّد الكل القفطي^(٢) ، والشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي^(٣) .

وبرع في الفقه وأفتى وسلك في العلم طريقاً ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾^(٤) وكتب (الروضة) في مكة بخطّه ، واجتهد في ذلك فحصل له المرات على شرطه ، وكان يستحضر أكثرها وغالبها ، ويَرَعِبُ بمعرفته فيها طالبها .

وهو أول من أدخل (الروضة) إلى قوص ، وجعل قدرها بذلك صحيحاً غير

(١) في الأصل : « وابن الخلف وابن مهندس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٢٨٥/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٢٠ ، والدرر : ١٣٦/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢١/١ .

(٢) (ت ٦٩٧) ، والشذرات : ٤٣٩/٥ .

(٣) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٦٧٧) ، الوافي : ٥٥/٧ .

(٤) طه : ١٠٧/٢٠ .

منقوص ، ودارت عليه الفتوى ، وكان فيها مسدداً ، ودُرَّ علومه مجموعاً في ذهنه لا مبدداً .

وكان أماراً^(١) بالمعروف ونّهاء عن المنكر ، كم وعظ غافلاً عن نفسه وكم ذكّر .

وكان مهيباً مع اتضاعه ، سامياً في قدره ، يُرى النجم في أفقه أنه دون ارتفاعه ، يتهجّد في دياحيه ، ويخاطب من يعلم سرّه ونجواه فيناديه ويناجيه .

ولم يزل على حاله إلى أن تسجّى ، وانقطع ما أمّل وترجّى .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة سبع وسبع مئة .

ودرس بالعزّة بقوص والمدرسة المجدية ورباط ابن الفقيه نصر . ودرس بدار الحديث بقوص ، وتزوج بأخت صاحب نجم الدين الأصفوني^(٢) .

ولما توفي صاحب طُلب أصحابه فهرب الشيخ وتغيّب سبعين^(٣) يوماً ، فحفظ فيها (المنتخب في الأصول) .

وكان بعض النصارى قد أسلم وله ولد نصراني وأولاد ولد أطفال ، فقام في إلحاقهم بجدهم ، وأفقى بذلك متبعاً ما حكاه الرافعي عن بعضهم ، وقال إنه الأقرب ، وجرى في ذلك صراع كثير ، وألحق بعضهم بجده ، فقل إن النصارى تحيلوا وسقوه سماً ، فحصل له ضعف وإسهال ، فمات رحمه الله تعالى .

(١) في الأصل : « أماره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في (أ) ، (ق) والوافي : « نجم الدين حمزة بن الأصفوني » .

(٣) في الأصل : « أربعين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

١٢٤٦ - علي بن يحيى *

ابن علي بن محمد بن أبي بكر ، الشيخ الفقيه المقرئ العالم المُسند علاء الدين ، أبو الحسن التُّجيبى الشاطبي الدمشقي الشافعي الشاهد .

سمع من الرشيد بن مسلمة ، والمجد الإسفرائيني ، والرشيد العراقي ، والنور البلخي ، واليلداني ، والجمال الصوري ^(١) ، وعدّة ، وأجاز له ابن الجُمَيزي وغيره ، وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلائي ، وطال عمره ، وتفرّد ، وروى الكثير ، وكان له مسجد وحلقة ومدارس ، وعجز آخرأ وانقطع ، وكان يُسمع في القباقيب .

وتوفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

١٢٤٧ - علي بن يحيى بن عثمان **

ابن أحمد بن أبي المنى محمد بن نخلة ، الشيخ علاء الدين بن نخلة .

كان مدرّس الدولة بدمشق والمدرسة الركنية . وياشر نظر ديوان بيت المال إلى أن مات رحمه الله تعالى في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وكان صدراً عاقلاً رئيساً ، حفظ (المحرر) في الفقه للشافعية ، ولازم الشيخ زين [الدين] ^(٢) الفارقي مدّة ، وكان مواظباً على لزوم الجماعة والتردد إلى الفقراء

* الوافي : ٢٢٠/٢٢ ، والدرر : ١٣٧/٣ ، والشذرات : ٥٥/٦ .

(١) علي بن يوسف (ت ٦٥٤) ، العبر : ٢١٨/٥ .

** الوافي : ٢٢١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٠٧/١٤ ، وفيه : « علي بن محمد » ، والدرر : ١٣٧/٣ ، وعنه في

الدارس : ١٨٤/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

والصالحين ، وله ورد من التلاوة . وروى (جزء ابن الفرات) عن ابن عبد الدائم ، وسمع من غيره . وعمر داراً مليحة إلى جانب الركنية ، ومات بعد فراغها بمدة يسيرة .

١٢٤٩ - علي بن يحيى بن إسماعيل بن القيسراني*

القاضي علاء الدين ابن القاضي شهاب الدين ابن القاضي الصدر^(١) الكبير عماد الدين .

نشأ في حياة والده ، ودخل ديوان الإنشاء في دمشق في أواخر أيام سيف^(٢) الدين تنكز ، وقُطع بعده ، ثم إنه استخدمه الفخري .

وكان شاباً عاقلاً ، ساكناً متثاقلاً ، كثير الصمت ، بهيِّ السميت ، كتب جيداً في قلم الرقاع ، وروّض به الطروس ، فكانت كالزهر النبات في أخصب البقاع ، واشتغل وحصل ، واجتهد في طلب الأدب وأصل .

وكان والده يجتهد^(٤) عليه ، ويودّ لو ساق الفضائل بأزمّتها إليه . وكان في ذهنه وقفة تقصّر به عن اللحاق ، وتجعل بذّر فضله مخصوصاً بالحقاق ؛ إلا أنه حفظ (الحاجبية) و (المعلقات) بعد القرآن العظيم ، وأحرز غير ذلك في عقده النظيم .

ولم يزل على حاله إلى أن أذوى الموت زهرته الغصّه ، وجعل الدموع من الحزن عليه مرفضة .

وتوفي رحمه الله تعالى^(٣) من شعبان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

* في (أ) ، (ق) : « ابن القاضي الرئيس الصدر الكبير ابن القاضي الصدر » . وشهاب الدين هذا ستأتي ترجمته في حرف الياء .

(١) في (أ) ، (ق) : « الأمير سيف الدين » .

(٢) (ق) : « يجهد » .

(٣) كذا بياض في الأصول .

كان قد مرض مرضة طَوَّلَ فيها ، وأقام قريباً من سنة ، ثم إنه حصل له استسقاء ، ولوالده رحمه الله تعالى ، ومات والده قبله بشهر ، وأفاق هو ، ثم إنه نقض الاستسقاء عليه ومات .

وكان بعد إمساك تنكز ، قد منع من مباشرة كتابة الإنشاء بدمشق ، ولما جلس الفخري في القصر الأبلق استخدمه ، فكتبتُ له توقيعاً ارتجالاً ، ونسخته :

« رسم بالأمر العالي لازال وليّه عليّا ، وحفيّه بكل خيرٍ مليّا ، وصفيه تقرّ به السيادة من الدول نجيا ، أن يعاد المجلس السامي القضائي العلائي إلى كتابة الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة ، لأنه من قوم كلّ منهم كريم . وكاتب ورئيس ، إذا ابتدع في المعالي طريقة لم يكن له فيها تابع ولا عاتب ، ومدير لم يترتب الزمان أن ذكر مجدهم المؤثّل فيه راتب ، نشأت أصولهم في رياض بلاغة ووزاره ، وسارت محامدهم في الآفاق فأخجلت الكواكب السيّارة ، وجرت بسعودهم التي ورثوها من جدودهم الأفلاك المُدَارَة . وسكن الزمان بجبال حلومهم الراسخة بعد الطيش ، واستغنى الملوك بكتبهم عن تجهيز الكتاب إلى كل جيش ، وطابت أنفاس السّحر بريّاهم ؛ لأن بني مخزوم ريحانة قریش ، وضربت أعراقهم حتى اتصلت بخالد بن الوليد ، ونظر الناس منهم كلّ كُفُو غِناء كالذهب عتيّد ، وباسه كالحديد شديد ، وتجمّل الدهر منهم بمديرٍ كان موقفاً في خدمة نور الدين الشهيد ، طالما جالسوا الملوك على أسرتهم ، وجاؤوا الغيوث فعمّوا الأنعام بمبرّتهم ، وناموا النجوم فعاطوهم ^(١) كؤوس مسرّتهم ، كم أغاث قلمهم ملهوفاً ، وكان بمعرفته جارما ، وممّ حَلَبَ في حَلَبَ [وغيرها] ^(٢) رزقاً ، وفي غيرها ، وما كان حارما .

فليباشر ذلك [مُقْتَدِيا] بما لأبيه أدام الله تعالى نعمته في هذه الوظيفة من الآثار الحميدة ، والمناقب التي أخذت أياديها على المحامد عهداً أكيده ، والآثار التي لا يطاول

(١) (ق) : « فعاطوها » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

الزمانَ قصورها المشيدة ، والفضائل التي هي في الديوان بيت القصيدة ، حتى تَجَمَّلَتْ به الدنيا ، وأقسم الفضلاء أنَّ القاضي الفاضل لم يقضِ نجبا ، وأنه يحيا ، مهتدياً بسمت عمه خلد الله سعوده ، فإنه لهذه الدنيا^(١) شرف ، وهذه الأيام من أقلامه غابٌ لا يدخلها ليثٌ خطب إلا أنهزم وانصرف ، وهذه الأيام^(٢) من تواقيعه جنات فيها حور الأرزاق ، تأوي إلى غرف ، وليدبج بأقلامه المهارق التي تظورها البلاغة ، وتعلّم الناس بمعانيها كيف يكون السحر وبألفاظها صناعة الصياغة . والوصايا عنهم يؤخذ بيانها ، ومنهم يشير إلى الهدى بنانها فما^(٣) ينبّه عليها ، ولا يدل على الطريق الآخذة إليها ، وتقوى الله هي العمدة ، والذخر العتيد عند الشدة ، فلا ينس فيها نصيبه ، ولا يقدم غيرها في المهمات كتيبته ، والخط الكريم أعلاه حجة في العمل بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

وكتبت إليه رحمه الله تعالى وقد عرض عليّ من حفظه (المعلقات السبع)
و (ملحة الإعراب) للحريري :

« أما بعد حمد الله تعالى حقّ حمده ، وصلاته على سيدنا محمد نبيّه وعبدّه وسلامه ،
فقد عرض عليّ الجناب الكريم العلاني ابن المقرّ الشريف الشهابي بن القيسراني :

مولى إذا عمل أقلامه	لم يبق في الجود لغيث حصص ^(٤)
فالبرق من حرقة يلتظي	والرعد في السحب كثير الغصص
لذا أولو الحاجات في بابه	تطرب إن وقع فوق القصص

(١) (أ) ، (ق) : « الدولة » .

(٢) (أ) ، (ق) : « البرية » .

(٣) (أ) : « فلا » .

(٤) في الأصل : « قصص » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جميع (المعلقات السبع) من أولها إلى آخرها ، و (ملحّة الإعراب) للشيخ أبي [محمد]^(١) القاسم بن الحريري رحمه الله تعالى في مجلس واحد عرضاً عن ظهر قلب ، وهذا يتعدّى إلى اللبّ بهمزة السّلب ، كالسيل إذا تحدّر على الحقيقة من علي ، والجود إذا أتى من كريم ملي ، والحقّ إذا توضّح من جليل جليّ :

فما رآه ناظري عارضاً لكنّه صاحب ديوان
وماتفألت له كاتباً بل حاكماً في صدر إيوان

وقد شهدت له فراستي أنّه ينزل من العلم الشريف في أعلى ريع ، ويعرف اللغة ، فلا يغيب شيء من غايبها عنه ، لأنّه قد حفظ السبع ، ويترقى في نماء الفضائل بداراً لا يغيب عنها ، ولا يغرب ، ويخرس^(٢) الفصحاء [ببيانها]^(٣) حتى لا يعرب كلامه يغرب ، والله يسعده سعادة يزين الدياجي بسرحها ، وتصدده رتباً ، رقي أهل بيته [في]^(٤) درجها ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٢٥٠ - علي بن يحيى *

ابن محمد بن عبد الرحمن السلمي ، الحنفي ، الرئيس ، القاضي ، علاء الدين أبو الحسن بن جمال الدين بن الفويرة .

كتب هذا علاء الدين الخطّ المنسوب الباهر ، وجوّد النسخ الذي يفضّح الروض

(١) زيادة من (ق) ، وفي (أ) : « أبي القاسم بن محمد » ، ولا وجه لها ، والحريري هو : أبو محمد القاسم بن علي بن محمد (ت ٥١٦) .

(٢) في الأصل : « ويحرس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٢٩/٣ ، والذيل التام : ١٣٥ .

إذا كان يازاء الأزاهر ، وأتى بخطّه في قوائم^(١) الحساب ، كأنه عقود الجواهر ، ونبغ بعد والده ورأس ، واحترز من مطاعن السيادة^(٢) . واحترس .

وكان بيده شهادة الخزانة ونظر الأسرى ، ووجد من ألم هذا النظر ما رجعت به عَيْنُهُ حَسْرَى ، وخرج عنه مرات ، وعاد إليه ، ولكن بعد ما أتى على مالهديه ، ثم خرج عنه آخرًا ، وعدم منه على ما قيل بجرأ زاخرا .

ثم إنّه رَسَمَ له بتوقيع الدست في الشام ، فباشره دون نصف العام ، وجاءه حَيْنُهُ ، وملئت بالتراب عَيْنُهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء ثالث عشرين شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

كان في نظر الأسرى فسْطَط^(٣) عليه القاضي علاء الدين بن الأطروش محتسب دمشق ، فأخذها منه في أيام الأمير سيف الدين يلغا ، فاحتاج إلى كلفة حتى بطلت القضية . ثم إنه أخذها مرة أخرى فيما أظن أو غيره ، فاحتاج إلى كلفة ، ثم أخرجت عنه ، فاحتاج إلى كلفة ، ثم إنها خرجت عنه للأمير ناصر الدين بن الْمُحْسِنِي^(٤) ، وبقي منها بطلاً إلى أن حضر القاضي علاء الدين بن فضل الله إلى دمشق صحبة السلطان الملك الصالح ، فسأله أن يكون في الدست موقَّعاً ، فوعده بذلك إذا وصلوا إلى مصر . ولما وصلوا جاءه التوقيع ، وباشر ، وجرى عليه ما لم يجرِ على غيره لكونه دخل في هذه الوظيفة ، وليس من أهلها ، ونظم الشاميون والمصريون في ذلك ، فمن ذلك قول القاضي شمس الدين محمد بن قاضي شُهْبة ، وأنشد فيه من لفظه :

(١) في الأصل : « قوام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « السيرة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) (أ) : « تسَلَطَ » .

(٤) محمد بن بدليك ، ترجم له صاحب الدرر : ٤١١/٣ ، وقطع أخباره سنة (٧٥٤) ، ولم يذكر سنة وفاته .

توقيع مملكة الدست الشريف غدا يقول من حنق الأنفاس مغبون^(١)
صبرت للقط [لما] لم يكن نجساً صبر المؤمل من حين إلى حين^(٢)
وبالفويرة قد أصبحت ذا نجس بالله يا أولياء الأمر كُبوئي
وأنشدني لنفسه أيضاً :

توقيع دست المسلمين يقول لم أذنب ولم أجرم فقيم قصاصي
في الشام تُقرض بالفويرة خلتي والقط في مصر فكيف خلاصي
وأنشدني من لفظه لنفسه نجم الدين أحمد بن غانم :

أدست الملك أنت عظيم قدر وأنت كبد رافق وسط دأره^(٣)
فما لك بالقنارة يامفتى أهنت وخط فيك اليوم فاره^(٤)
وأنشدني آخر :

توقيع ديوانتنا ينادي يارب مال الأنعام غيره
اضربي القط والزغاري وقد تنجست بالفويرة

وكان الأمير علاء الدين الطنغا وهو نائب دمشق قد رسم له بصحابة ديوان
الجامع الأموي في سابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .
وكتبت له توقيعاً بذلك ونسخته :

« رَسِمَ بالأمر العالي لازال علياً وليه ، نجياً صفيه ، ملياً إحسانه إلى من يرى به
المنصب وفيه وفيه ، أن يرتب المجلس السامي القضائي العلائي في كذا ، لأن الكاتب

(١) كذا ، وعليه ففيه إقواء .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) (أ) ، (ق) : « عزيز قدر » .

(٤) في الأصل : « وحط اليوم فيك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

الذي راحت براحته الطروس مدبجّه ، والسطور شفاها ^(١) ، وحروفها لاختلاف وضعها
ثغور مفلّجه ، والمداد مسكاً لأنّ المعاني به [نافجة] ^(٢) نافحه ، ولا يقال نفجة ،
والحاسب الذي لو شاء لقطّ النيل [على] ^(٣) أصابعه ، وحرّ حركات البرق بعقود أنامله
التي هي أسرع من لوامعه ، وضبط حاصل الجامع حتى أصبح مأسوراً في جوامعه ،
والأصيل الذي تتردّد الرئاسة خلال خلاله ، وتتعدّد السيادة من معاطفه إذا خطر في
حلّة كاله ، وتشهد له المحاسن فإنّ الناس طالما شاهدوا إحسان جماله .

فليباشر ذلك مباشرة تليق برئاسته ، وتضمن له الفضل الذي يديم الله [له] ^(٤)
ملابس نفاسته ، حتى يقول الناس : إنّ الليث قد فاز بمدح شبّله ، والقيث حاز المنح
بويله ، ويقسم المحد بهذا البلد ووالد وما ولد ^(٥) إنّ الفضل به اتّحد ، واشتمل عليه وبه
انفرد ، وهذا الجامع - عمره ^(٦) الله تعالى بذكره - يتحقّق أنّه ذو حسن ورونق يطرب
من يلقاه ومن ذا الذي لم ^(٧) يطرب لمعبد أمواله جمّه ، وأحواله مهمّه ، ولياليه بوقودها
متوضّحة إذا كانت أيام غيره منلهمّه ، عليه جملة من الرواتب ، وعنة من الجوامك
تدرها سحائب النفقات من يد كل كاتب ، يَسْتَرْفِدهُ حتى بيت المال ، وناهيك بذلك
وتستجديه بقية المساجد ، فينير لياليها الحوالك .

فليعمل جهده في حراسة ماله ، وصيانة ما يساق لزيّنته وجماله ، وليجتهد فيما هو
لازمه من وظيفة جمّلت الأوان ، ويعتمد على السداد ، فما له رفيق إلاّ وله بيت وهو

(١) في الأصل : « شفاها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في كلامه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ إلى قوله : ﴿ ووالد وما ولد ﴾ [البلد : ١٩٠ ، ٣] .

(٦) في الأصل : « عمر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٧) (أ) ، (ق) : « لا » .

صاحب الديوان . والوصايا كثيرة ، وتقوى الله عزّ وجلّ أفضل ما شرّحه لسان قلم ، وخفّق له في العمل الصالح عذبات علم ، فليجعلها له حرّماً ، ويستدرّ بها من الله عزّ وجلّ نِعْماً .

والحظ الكريم أعلاه ، حجة العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٢٥١ - علي بن يعقوب بن أحمد*

ابن يعقوب علاء الدين ابن الشيخ شرف الدين بن الصابوني .

كان شاباً ابن ثلاثين سنة ، وسمع الكثير بدمشق ، والقاهرة .

وتوفي بكرة الجمعة تاسع عَشْرِي^(١) جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بمقابر باب النصر بالقاهرة .

١٢٥٢ - علي بن يعقوب بن جبريل**

الشيخ الإمام العالم نور الدين أبو الحسن البكري المصري الشافعي .

كان يذكر له نسباً يتصل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، منه إليه عشرون اسماً .

قرأ بنفسه (مسند) الشافعي على وزيرة بنت المنجا .

وكان يطّرح الكلف ، ويمشي على طريق مَنْ سَلَفَ ، ينهى عن المنكر ، ويأمر بالمعروف ، ويبالغ في ذلك وهو به موصوف . ووثب مرة على العلامة ابن تيمّيه ، وأنكر عليه أموراً والله أعلم بالنيه ، وأنكر على الدولة أمراً لم يجد مَنْ يساعده ، وتولّى

* الدرر : ١٣٩/٣ .

(١) في الأصل : « عشر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (أ) : « عشرين » .

** الوافي : ٣٣١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١١٤/١٤ ، والدرر : ١٣٩/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٣/١ ، والشذرات : ٦٤/٦ .

ذلك أجنبه وأباعده ، فرسم السلطان بقطع لسانه ، وكاد الأمر ينفصل في شأنه ، ولولا صدر الدين بن الوكيل صدر^(١) هذا الأمر إلى الخارج ، وألقي النور من النار في مارج ، فتلطّف له مع السلطان ، فرسم بنفيه من القاهرة ، وعُدّت هذه المنقبة لابن الوكيل في الأمثال السائرة .

ولم يزل البكري على حاله إلى أن بكرّت عليه مغيرة المنايا ، وأصاب حبة قلبه منها بنات^(٢) الحنايا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وكان له تواليف ، ولما استعيرت البسط والقناديل من جامع عمرو بن العاص بمصر لبعض كنائس النصارى في يوم من أعيادهم ، ونسب هذا الأمر إلى القاضي كريم الدين الكبير ، وفعل ما فعل ، طلع البكري إلى السلطان وكلمه في ذلك ، وأغلظ له القول ، وكاد^(٣) ذلك يحوز على السلطان لو لم يحلّ بعض القضاة الحاضرين عليه ، وقال : ما قصر الشيخ ، كالمستهزئ به ، فحينئذٍ أغلظ السلطان في القول للبكري ، فخارت قواه ، وضعف ووهن ، فازداد تأنيب بعض الحاضرين عليه ، فأمر السلطان بقطع لسانه ، فجاء الخبر إلى الشيخ صدر الدين ، وهو في زاوية السعودي ، فركب حماراً وصعد إلى القلعة ، فرأى البكري وقد أخذ ليَمْضِي فيه ما أمر به ، فلم يملك دموعه أن تساقطت ، وفاضت على خدّه ، وبلّت لحيته ، فاستهل الشرطة عليه ، ثم إنه صعد الإيوان والسلطان جالس فيه ، فتقدم إليه بغير إذن وهو باك ، فقال له السلطان :

(١) (أ) ، (ق) : « برز » .

(٢) في الأصل : « قلبه سهامات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

خير يا صدر الدين ! فزاد بكأؤه ونحيبه ، فلم يزل السلطان يرفق به ، ويقول : خير يا صدر الدين ! إلى أن قدر على الكلام ، فقال له : هذا البكري من العلماء الصلحاء ، يرفق به ، وما أنكر إلا في موضع الإنكار ، ولكنه لم يحسن التلطّف ^(١) . فقال السلطان : إي والله ، أنا أعرف هذا إلا خطبة ^(٢) ، ثم انفتح [الكلام] ^(٣) ، ولم يزل صدر الدين يلاطف السلطان ويرققه حتى قال له : خذه وروح ، إلا أنه يخرج من القاهرة .

وكان البكري بعد ذلك يقيم بدهروط وبغيرها ، وجرى هذا كله والقضاة حضور وأمرء الدولة ملء الإيوان ، وما فيهم من ساعد الشيخ صدر الدين غير أمير واحد . وكان نور الدين هذا فيه كرم مع الفاقة ، وكانت له جنازة حافلة إلى الغاية .

قال الفاضل كال الدين الأدفوي : وصّى له ابن الرفعة أن يكمل (شرحه) على (الوسيط) ، وصنّف كتاباً في البيان ، وكتب على الفاتحة مجلدة .

١٢٥٣ - علي بن يوسف بن حرّيز*

بالحاء المهملة والراء والياء آخر الحروف الساكنة والزاي .

الشيخ نور الدين أبو الحسن الشَّطْنُوفِي ، شيخ القراء . قرأ القراءات على تقي الدين الجرائدي ^(٤) ، وعلى ابن القلال ^(٥) ، وقرأ النحو على صالح ^(٦) إمام جامع الحاكم .

(١) في الأصل : « اللطف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إلا هذا خطبه » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

* الوافي : ٣٥٤/٢٢ ، والدرر : ١٤١/٣ ، وغاية النهاية : ٥٨٥/١ ، وحسن المحاضرة : ٥٠٦/١ ، وبغية الوعاة : ٢١٣/٢ .

(٤) يعقوب بن بدران بن منصور (ت ٦٨٨) ، العبر : ٣٦٠/٥ ، وغاية النهاية : ٣٨٩/٢ .

(٥) علي بن عبد الله بن أبي بكر ، ترجم له في غاية النهاية : ٥٥٢/١ ، ولم يذكر سنة وفاته ، وكان حياً سنة (٦٦٨) ، ووقع في الأصول : « العلال » ، وأثبتنا ما في غاية النهاية .

(٦) هو صالح بن إبراهيم بن أحمد الإسعدي ، كما في الدرر ، وغاية النهاية ، وانظر : بغية الوعاة : ٨٠/٢ ، وفاته (٦٦٥) .

وسمع من النجيب الحراني ، وتولّى التفسير بجامع ابن طولون ، وتصدّر للإقراء بجامع الحاكم ، وكان القضاة يكرمونه ، والعلماء يعظّمونه ، ويعتقد الناس صلاحه ، ويرون أنه من جعل الدعاء سلاحه ، وقرأ عليه جماعة وخلائق ، وصفت منه له [^(١) البواطن والخلائق .

ولم يزل على حاله إلى أن شطّ المزار ^(٢) من الشطنوفي ، وبطل ما كان يسنده منه إلى البصري والكوفي .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .
وصنف كرامات الشيخ عبد القادر الجيلي ^(٣) ، وذكر فيها عجائب وغرائب ، وطعن الناس عليه في أسانيدها وفيما حكاها .

١٢٥٤ - علي بن يوسف بن الحسن *

الإمام المحدث الأديب نور الدين أبو الحسن الزّرّندي ، بفتح الزاي والراء وسكون النون ، وبعدها دال مهملة ، ثم المدني الحنفي .

تفقّه وشارك في الفضائل ، وكان عليه للعلم مخايل ودلائل ، وله فهم ورزانه ، ولكلامه رونق ورصانه ، ونظم ونثر ، وقرأ بنفسه الحديث والأثر .

ولم يزل على حاله إلى أن [دثر ، ودخل في خبر كان وعَبْر] ^(٤) وتوفي رحمه الله تعالى ... ^(٥)

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « مزار الحياة » .

(٣) في كتاب سماء « البهجة » ، كما في الدرر .

* الوافي : ٣٥٦/٢٢ ، ووفيات ابن رافع : ٥٠/٢ ، والدرر : ١٤٢/٣ ، والنجوم : ١١٦/١١ ، والذيل التام : ٢٤٨ .

(٤) زيادة من (ق) ، كتبت بخط مغاير ، وترك مكانها بياض في النسخ الأخرى .

(٥) كذا بياض في الأصول ، وقد توفي صاحب الترجمة في سابع ذي الحجة سنة ٧٧٢ هـ ، كما في وفيات ابن رافع ، ومصادر ترجمته الأخرى .

ومولده بطيبة قبل السبع مئة .

قال شيخنا الذهبي : رحل إلى العراق مع أخيه ، وسمع ببغداد ، ودخل إلى خوارزم ودمشق ، ومصر ، وعُني بالحديث والرواية^(١) ، وسمع مني وأعجبني فضائله ، وله نظم ونثر .

١٢٥٥ - علي بن يوسف *

الشيخ علاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الإمام المحدث الكاتب مجد الدين أبي الفضل^(٢) بن المهتار محمد بن عبد الله المصري الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي .

سمع كثيراً بإفادة والده علي [ابن]^(٣) أبي السر والضياء يوسف بن خطيب بيت الآبار ، والبدر عمر بن محمد الكرمانى ، والمجد بن عساكر ، والقاضين شمس الدين [بن]^(٤) أبي عمر الحنبلي ، وشمس الدين بن عطا الحنفي وجماعة غيرهم .

ومن مسموعاته على ابن أبي السر (صحيح البخاري) و (سنن النسائي) و (الجبانيات)^(٥) وأكثر من عشرين جزءاً .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : جمعت من شيوخه ستين شيخاً ، سمع منهم ، وكان إماماً بمسجد الرأس ، ويشهد تحت الساعات^(٦) وله حلقة يُقرئ فيها القرآن بالجامع .

(١) (أ) ، (ق) : « وعني بالرواية » .

* الدرر : ١٤٣/٣ .

(٢) في الأصل : « أبي الفضائل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الحسايات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والجبانيات نسبة إلى محمد بن حبان (ت ٣٥٤) ، صاحب المسند الصحيح وغيره .

(٦) في الأصل : « الساعات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ثم إنه ضعف بصره ، وانقطع ، وحدث هو وأبوه وأخوه .
وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر المحرم سنة ست وثلاثين وسبع مئة .
ومولده في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وست مئة .

١٢٥٦ - علي بن يوسف أمير علي بن أمير*

صلاح الدين بن الملك الأوحّد شادي بن الزاهر ، ابن صاحب حمص .

كان هذا أمير علي صورة أبدعها الخلاق ، وأفرغ عليها من الجمال مالا ، كأن الشمس قد طلعت من قدّه على رمح ، والبدر قد طلع من أطواقه وبدا من جبينه الصبح ، كأنما صبّ النديم على وجناته رحيقه ، أو الورد لما ورد روضها شقّ من الغيظ شقيقه ، أو الحبّ لما لمحها أودعها حريقه ، بقوام كأنه غصن بانه ، أو قضيب ريحانه ، وثغر تحكيه الأقحوانه ، وشفاه هي على در مبسمة أصداف مرجانه :

يفتر عن لؤلؤ رطبٍ وعن بردٍ وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعن حبّ^(١)
وعيون تنفث السحر في عقد الحشا ، وتفعل في القلوب ما يريد الغرام وما^(٢)
يشا ، جفونها سيوف في جفون ، وأهدابها سهام يرميها حاجب قوسه كنون ، وبشرة رقت فما مثلها في البشر ، وشفت كأنها الجواهر إذا صفا ، وانقشر ، يرى الناظر وجهه غريقاً في مائه ، ويقابله الهلال فينطلع في لألائه^(٣) :

فانقش لما شئت على خاتمٍ وحاذه تقرأه من خدّه

* الدرر : ١٤١/٣ .

(١) في الأصل : « وعن أحاج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « آلانه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

هذا إلى حياء كأنه مُريب ، وإطراق لا يلاً معه عينه^(١) من أحد ، كأنه رقيب قريب ، وصيانة كأن الجنيد من جندها ، وتقوى كأن السري سرى إلى عندها .
وعلى الجملة فقل أن رأيت العيون نظيره ، أو دخل معه كفؤ في حظيره .
توجه إلى الحجاز ، واحتفل بأثقاله ، وبالع في حول جماله ، فلم يزل إلى أن قارب المدينة النبوية ، فتغير مزاجه ، وتَصَعَّبَ عليه^(٢) علاجه ، واصطفاه ربّه ، وضمّ ذاك الجمال البارع تَرْبُهُ :

مأنت يا قبر لا روض ولا فلك من أين جمع فيك الغصن والقمر
وتأسف الناس على شبابه كيف اختطف ، وعلى زهر حسنه كيف اقتطف ،
ودفنته أمّه في البقيع ، وأودعته كنف الشفيع .
وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبع مئة فرحم الله شبابه ، وكرم ماله ومآبه .

وكان أحد الأمراء العشرات بدمشق ، ولم يكن في زمانه [في]^(٣) موكب دمشق أحسن منه ، ومات رحمه الله تعالى ، ولم يبقل وجهه ، وكان تقدير عمره ثمان عشرة سنة فما دونها .

الألقاب والأنساب

☆ ابن العماد المقدسي : أحمد بن عبد الحميد .

☆ وعماد الدين بن عماد الدين : [أحمد]^(٤) بن محمد .

(١) في الأصل : « لا يلاً معه عينه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ط) .

☆ ابن العماد الكاتب : عز الدين حسن بن علي .

١٢٥٧ - عمر بن إبراهيم *

ابن حسين بن سلامة بن الحسيني ، الإمام الأديب المُسْنَدُ المعمر جمال الدين أبو حفص الأنصاري العقيلي الرُّسْعَنِي :

ذكر أن الكندي أجاز له ، وأن الاستدعاء كان بخط الموفق ، وإنما ذهب [منه] ^(١) أيام هولاكو .

سمع عليه شيخنا الذهبي والجماعة .

وسمع من المجد القزويني وابن روزبة وأبي القاسم بن رواحة ، وقدم دمشق في شببته ، وسمع من ابن الزبيدي ، وعبد السلام بن أبي عصرون ^(٢) ، ومحمود بن قرقين ^(٣) ، والضياء الحافظ .

وقرأ العربية ، ونظم جيداً ، وكان يُذَكَّرُ في الأيام الناصرية الصلاحية يوسف ، ويُعَدَّ في الشعراء ، وكتب عنه صاحب كمال الدين بن العديم ، وتنقل في الخدم ، وكان يوصف بالديانة والعفة ^(٤) والأمانة . وانتهت إليه رئاسة الشعر ، وغلبه من القريض الشعر ، وحصلت له رئاسه ، واشتهر في خدَمِه بالنفاسه .

ولم يزل على حاله إلى أن درج إلى باريه ، وراح وكل من بعده ^(٥) مباريه .

* الوافي : ٤١٣/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٢ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) هو عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد (ت ٦٣٢ هـ) ، الشذرات : ١٤٩/٥ .

(٣) محمود بن علي بن محمود (ت ٦٣٢ هـ) ، العبر : ١٣٢/٥ ، ووقع في الأصل : « فرقين » ، وفي (أ) : « فوقين » ، تصحيف .

(٤) (أ) ، (ق) : « ويعرف بالعفة » .

(٥) في الأصل : « وراح كل بعده » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده برأس العين سنة ست وست مئة .

وروى عنه الدمياطي في (معجمه) وابن الصيرفي والمقاتلي وطائفة .

وعقبة : قرية من سنجار .

وكان قد اتفق حضور شخص من مصر يعرف بشهاب الدين بلاخصى ، وولي نظر العائز والسكر ، وكان مُطِيلَساً ، وكان يحمل دواته شاب مليح ، وكان يسكن جوار الملك الزاهر ، فأفسد الزاهر الشاب المذكور ، ووعد به بخبز ، فترك شهاب الدين بلاخصى ، وخدم الزاهر ، فلقي عنده كل سوء ولم يشبع الخبز ، فقال جمال الدين العقبى فيه :

يا شادناً ضلَّ السبيل لرُشدِه
قد كنت عندَ بلاخصى في نعمةٍ
ومن شعره :

وعصى العذول سفاهة فيمن عَصَى
فتركها سفهاً وجئت إلى خصى^(١)

عيونُ المها مني إليك رسولُ
إذا ما انبرى يروي عن الروض نثره
وإن هبَّ معتلاً لبثَّ صبايقي
وإن بان بانُ السفح عن أيمن الحمى
حديثاً رواه البان عن نُسمة الصبا
نسيم سرى بالواديين عليلُ
تقبَّل بُردَيْه صباً وقبول
تفهم حديث الوجد فهو يطول
فما مال إلا أنه ليقول
ومن حُزني أن النسيم رسول^(٢)

قلت : عكس هذا الشاعر المعنى ، لأن الصبا تروي^(٣) عن البان ، وعن غيره مما تمر

عليه .

(١) (ق) : « فتركته » .

(٢) في الأصل : « بسة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « الصبا هي تروي » .

١٢٥٨ - عمر بن إبراهيم بن عمران*

نجم الدين البهنسي .

اشتغل بمصر ، وحضر مع أخيه من أمّه عماد الدين المُهَلَّبِي إلى قوص ، وتولى الحكم بهوً ويأسنا وأذفو ، وكان فقيهاً له أدب وخط^(١) حسنٌ ، ودرّس بالمدرسة العزّية^(٢) يأسنا ، وأقام بها حاكماً ، وبأدفو أكثر من سبع سنين .

قال الفاضل كمال الدين^(٣) الأدفوي : على طريقة مرضيّة ، ووقعت بأسنا تركّة عبد الملك بن الجبّان الكارمي ، فطلب بسببها إلى القاهرة ، فحصل له خوف شديد^(٤) ، ومرض بالبلّثينا^(٥) ، فرجع إلى قوص ، وتوفي بها سنة عشر وسبع مئة عن ثمانية وأربعين سنة .

١٢٥٩ - عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر**

سراج الدين الأنصاري الخزرجي المصري الشافعي .

سمع من الرشيد العطّار ، وتفقه أولاً على ابن [عبد]^(٦) السلام ، ثم على النصير بن الطباع^(٧) ، وأجاز له المرسي والمنذري .

* الوافي : ٤١٥/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٢٨ ، والدرر : ١٤٧/٣ .

(١) في الأصل : « له » في (أ) ، (ق) والوافي : « وله أدب » ، وفي (أ) ، (ق) : « وخطّه » .

(٢) في الأصل : « المعزّية » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في (أ) ، (ق) والوافي : « كمال الدين جعفر » .

(٤) قوله : « فحصل له خوف شديد » ليس في الطالع السعيد .

(٥) مدينة على شاطئ النيل من غربيّه بصعيد مصر (معجم البلدان) .

** الوافي : ٤١٨/٢٢ ، والدرر : ١٤٩/٣ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، وذيول العبر : ١٤٥ .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٧) في الدرر والشذرات وذيول العبر : « الطّباخ » .

وسمع منه شيخنا البرزالي وابن المطري^(١) ، وخطب بالمدينة أربعين عاماً^(٢) ،
 وولي القضاء بعد ذلك ومرض ، فسار إلى القاهرة ، ليتداوى ، فأدركه الموت بالسويس
 في العشر الأواخر من المحرم سنة ست وعشرين وسبع مئة .
 ومولده سنة ست أو سبع وثلاثين وست مئة .

١٢٦٠ - عمر بن أحمد بن أحمد بن مهدي*

عز الدين المدلجي النسائي الشافعي .
 سمع من شرف^(٣) الدين الديماطي وغيره .
 برع في الفقه ودقق ، ونظر في الأدلة وحقّق ، وقاس ورجّح وفرّع وفرّق ،
 مع معرفة بالأصول وتوفير مَوَادِّ ومَحْصُول ، وله على (الوسيط)^(٤) إشكالات
 جَوْدَهَا ، وبيض بها وجه المذهب لما سَوَّدَهَا .
 وكان زاهداً قانعاً برزقه عابداً ، يحضر الساعات ويطيب ، ويحصل له حالٌ
 يأخذ [مَنْ الوجد]^(٥) بنصيب .
 ولم يزل على حاله إلى أن حجّ ، فادهمّ له لَيْلُ الحِياة ودَجّ .
 وتوفي بمكة رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة عشر وسبع مئة .
 وإشكالاته على (الوسيط) في مجلدين^(٦) . وكان يدرّس بالفاضلية
 والكهّارية ، ويعيد بالمدرسة الظاهرية .

(١) عبد الله بن محمد بن أحمد (ت ٧٦٥) ، وفيات ابن رافع : ٣٩٤/١ .

(٢) في الأصل : « يوماً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والدرر .

* الدرر : ١٤٩/٣ ، والشذرات : ٤٤/٦ .

(٣) في الأصل : « شمس » ، سهو .

(٤) في الأصل : « التحصيل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، و « الوسيط » للفرزالي .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٦) انظر : الكشف ٢٠٠٨/٢ .

١٢٦١ - عمر بن أحمد بن عبد الدائم *

ابن نعمة المقدسي ، الشيخ الصالح أبو حفص .

عذّبه التتار بالصالحية عذاباً شديداً ، ثم حُمِلَ إلى داخل البلد ، فأقام أياماً يسيرة ، ومات في درب القلي^(١) رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة . [وحَصَرَ على الحافظ أبي موسى بن عبد الغني في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وست مئة^(٢)] .

وسمع من ابن الزبيدي والهمداني والإربلي ، وابن صَبَّاح ، والناصر بن الحنبلي ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وآخر ما قرأت عليه الثالث والرابع والخامس من (الخُلَعِيَّاتِ) لسماعه من ابن صَبَّاح .

١٢٦٢ - عمر بن أحمد **

زين الدين بن الصدر شهاب الدين بن قُطَيْبَةِ الزرعي التاجر .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثامن عشر صفر سنة خمس وسبع مئة .

١٢٦٣ - عمر بن أحمد ***

القاضي زين الدين ، رئيس ديوان الإنشاء بطرابلس ، الصفدي ، المعروف بابن حلالات .

* لم تقف على ترجمة له ، وخلصت من ترجمته (أ) ، (ق) .

(١) أشار إليه صاحب الدارس : ٢٥٣/٢ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٥٣/٣ .

*** الوافي : ٤٢٦/٢٢ ، والدرر : ١٥١/٣ .

كتب الإنشاء أولاً بصفد ، وفاز من الدهر بالخطِّ والصفد ، ثم نُقل إلى طرابلس ، فنال فيها الخط والوجاهة ^(١) والسيادة ، وباهى ^(٢) فيها الكواكب بمعاليه وبياته .

وكان من رجال الزمان إقداماً ، ومَن يُثَعِّب أعاديهِ إرغاماً ، لا يهاب الأسود إذا فغرت فاهها ، ولا الأيام إذا أدبرت وأولته جفاهها ، خبيراً بمداخله النواب ، ومشاكله الأنواع والأضراب ، ما كتب قدام نائب إلا وخبه ، ونهب عقله وسلبه ، وأصبح طوع مرامه ، وقوساً في يده يرمي بها إلى غرضه بسهامه ، ولا يرجع في ^(٣) المملكة لغيره في ^(٤) كلمة ، ولا لصاحب وظيفة حركة في النفاذ مُطلحة ، ولا تجد في بلده أحداً يذكره إلا وهو يقول :

ذاك خليلي وذو يُــــوْاصِلُنِي يرمي ورائي بأسهم وامسأله ^(٥)

أطاعته المقادير وساعدته ، وتأخرت عنه الخطوب وباعدته ، ولو أخره الأجل تقدّم ، ولم يغادر للرؤساء غيره من متردّم ، فإن القاضي علاء الدين بن الأثير كان يطوي حشاه على محبته ، ويرى أنه يستحق التقدم لرتبته ، ولكن تقدّم بين يديه قرطاً ، وسطع له بارق السعد ثم سطا .

وكان فيه خدمة للناس في قضاء أشغالهم ، ومبادرة إلى تلقّي حوائجهم ، وتمشية أحوالهم ، لا يتوقف في أمر يُقصد فيه ، ولا يبالي إن كان تلافه فيه أم تلافيه . وكان يدّعي معرفة علوم شتى ، وربما تجاوز في بعض الأوقات وأفق . وينظم وينثر ، ويجري في حلبة الشعراء ، وما يرى أنه يعثر ، ولكنه كان بالنجامة مغزى ، ويرى أنه هو بغيره منها أكبر من أبي معشر قدراً ، وهي أجود ما يعرفه ، وخيار دينار يخرجها

(١) (أ) ، (ق) : « فنال فيها الوجاهة » .

(٢) في الأصل : « وبأدى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « في تلك المملكة » .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

(٥) قائله بجير بن غنة الطائي ، انظر : شرح شواهد المغني للبغدادي : ٢٨٩/١ .

من كيس معرفته ويصرفه ، والحُظوظ ما تُعَلَّل ، والدنيا ما تحتاج إلى تاج بالفضائل مُكَلَّل .

ولم يزل في إسعاف وإسعاد وإطاف وإضعاد ، إلى أن وصل إلى ^(١) غاية ما قَدَّر له من عمره وأُغْرِبَ بعد رَفْعِهِ ونَصْبِهِ بحجَّه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس بكرة ^(٢) السبت رابع شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

كان هو أولاً بصفد ، وله أخوان تاجران ، أحدهما برهان الدين إبراهيم ، وهو أوجه تاجر كان في صفد ، والآخر يُدعى يونس تاجر سَفَّار ، وتعلَّق هذا زين الدين بهذه الصناعة ، وتردد إلى شيخنا نجم ^(٣) الدين بن الكمال الصفدي ، وقرأ عليه بعض شيء في العربية وتدرَّب به ، وكان ذِهُنُهُ جيِّداً ، وصار يكتب الدَّرَج عنده ، فلما ورد الأمير بتخاص إلى صفد نائباً كان معه الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم ، فانضم زين الدين إليه في الباطن ، واستبد شهاب الدين بالوظيفة ، وانفرد الشيخ نجم الدين بالخطابة ، ثم اتفقوا عليه وأخرجوه مِنْ صَفَد ، فتوجَّه إلى دمشق ، وما كان إلا قليلاً حتى اتفق القاضي شرف الدين محمد بن النهاوندي ^(٤) الحاكم بصفد هو وزين الدين على شهاب الدين بن غانم ، وأوقعوا بينه وبين النائب ، وكتب النائب إلى مصر ، وأحضر لزين الدين توقيعاً بكتابة سرِّ صفد ، وانفرد بالوظيفة .

وكان فيه مروءة وعصبية ، وسعة صدر في قضاء أشغال الناس والمبادرة إلى نجاز مرادهم ومساعدتهم على ما يجادلونه ، وأنشأ جماعة في صفد من أجنادها ، وغيرهم ، وكان

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « في بكرة » .

(٣) في الأصل : « تاج » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) محمد بن عثمان بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

ذا خبرة ، وسياسة ومداخلة في النواب واتحاد بهم حتى لم يكن ^(١) لأحد معه حديث . وكان هو للتصرف في المملكة ، وتقدّم ، ورزق الوجاهة ، وحظي ونال الدنيا ، وجمع بين خطابة القلعة والتوقيع بصفد .

وانتهى ^(٢) إلى القاضي علاء الدين بن الأثير فقال إليه ، ولما جاءه خبره من طرابلس بكى عليه ، ولو أن زين الدين كان حياً لما انفلج ابن الأثير ما كان كاتب السر في باب السلطان غيره . ولما قال له السلطان من يصلح لهذا المنصب ؟ قال : أما في مصر فما أعرف أحداً ، وأما في الشام فما كنت أعرف أحداً غير ابن حلاوات وقد مات .

وكان ابن حلاوات قد داخل نواب صفد كثيراً ، ويقع بين النواب وبين تنكز ، وعزل جماعة منهم ، ثم لما جاء إليها الأمير سيف الدين أرقطاي نائباً وقع بينهما ، واتصلت القضية بالسلطان وهي واقعة طويلة ، فردّ فيها الأمر إلى تنكز ، فطلب ابن حلاوات إلى دمشق وقد امتلاً غيظاً عليه ، ولما دخل عليه رماء بسكين كان في يديه لو أصابته جرحته أوقضت عليه ، ورسم عليه وصادره ، فوزن ثمانية آلاف درهم . فسعى له الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب والقاضي علاء الدين بن الأثير مع السلطان ، واتفق أن مات موقع طرابلس في تلك الأيام فما كان بعد ثمانية أيام تقريباً حتى جاء البريد بالإفراج عنه ، وإعادة ما أخذ منه ، وهذا أمر ما اتفق لغيره في تلك الأيام ، وتجهيزه إلى طرابلس [موقعاً ، وكان المرسوم مؤكداً ، فما أمكن تذكر إلا اعتماد مارسم به في حقّه ، وتوجّه إلى طرابلس] ^(٣) رئيس ديوان الإنشاء ، ودخلها في مستهل

(١) في الأصل : « حتى لا يكن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « وانتهى » .

(٣) ما بين حاصرتين وقع في الأصل بعد قوله الآتي : « في التاريخ المذكور » ، وأثبتنا ما يتفق مع (أ) ، (ق) والوافي .

ثم إن ناسخ الأصل اختصره وأورده بلفظ « وكان المرسوم الذي ورد بسببه مؤكداً فما أمكن تذكر إلا اعتماد مارسم به في حقّه » .

جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وأقام بها في وجاهة ورياسة وحرمة وافرة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان يعرف النجامة وعلم الرمل جيداً ، ويدعي أنه من جماعة الشيخ محي الدين بن عربي ، وينتمي إلى مقالاته ، ويرى رأيه في الوحدة ، ولم يتفق لي به اجتماع خاص ، بل رأيته غير مرة ، وسمعت خطبه كثيراً .

وأخبرني من رآه أنه كان يتعذر عليه كتابة اسمه عمر ، فيكتب صورة عمر ، ثم بعد ذلك يركب عليها حرف العين ، لتتكلّم^(١) له صورة عمر .

ولما ورد في تلك المدة إلى دمشق دخل الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم إلى الأمير سيف الدين تنكز ، وشكى منه شكوى بالغة ، وقال : ياخوند ! هذا فعل بي ، هذا اعتمد معي ، هذا حبس أولادي في قلعة صفد ، وقيدهم ، وزاد في ذلك ، ثم إنه بعد ذلك اجتمع بقاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ، فقال له : ياشيخ شهاب الدين ! أنت من بيت فقراء وصالحين ، وهذا الذي فعلته بهذا المسكين ابن حلوات بين يدي هذا الملك الجبار ، ما كان يناسب طريقك ، فقال له : يامولانا قاضي القضاة لا تكن حليماً عند غضب غيرك ، هذا حطّ رجلي في المعصار وعصرني ، ولو كان [ذلك]^(٢) على حوافر بغلتك ضرطت ناراً .

وكان قد كتب إليه شيخنا نجم الدين كتاباً يحرضه عليه فيه ويغريه به ، ومنه :

ألا طعان ألا فرسان عادية إلا تجشّوكم بين التنانير^(٣)

فكتب الجواب إليه عن ذلك ، ومنه أبيات وهي :...^(٤)

(١) في الوافي : « لتكتلم » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٢١٣ .

(٤) كذا في الأصل ، بياض .

ودخل زين الدين بن حلوات في تلك النازلة وهو^(١) بدمشق إلى صاحب
شمس الدين ، وقال : يا مولانا صاحب أنا ما بقيت أعمل صنعة التوقيع ، اعملوا إليّ
معلوماً ودعوني في هذا الجامع [الأموي]^(٢) أشغل الناس في ستة عشر عاماً ، وكان
شهاب الدين بن غانم حاضراً . فقام وقال : يا مولانا صاحب هذا غلط منه ، وإنما
يعرف ثمانية عشر عاماً لأنها اثنا عشر بردها وست أواذات في علم النغم ، وهذا إلا والده
مُشَبَّبٌ وهو مُطَنِّكٌ ، وأنشده أبياتاً منها :

وإذا رأى المزمار هزت عطفه نَسَبَ إلى الأجداد والآباء
ومن شعر زين الدين بن حلوات :

ولابسة البلور ثوباً وجسّمها عقيق وقد حُقَّتْ سُمُوط لآلي^(٣)
إذا جَلَّيتْ عاينتُ شمساً منيرة وبدراً حُلاه من نجوم ليال

قلت : هذا القول فاسد ؛ لأن البلور جسمها وهو الزجاج ، ولباسها العقيق ، وهو
الحرّة ، وأحسن من قول زين الدين رحمه الله تعالى قول الأول :

وكأنها وكأنّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها بدر السما بكواكب الجوزاء
ووجدت منسوباً إلى زين الدين رحمه الله تعالى :

خصّت يداك بستّةٍ محمودة مدوحة بالبأس والإحسان
قلم ولثم واصطناع مكارم ومثقف ومهند وسنان^(٤)

(١) في الأصل : « وهي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الوافي : « سبط » .

(٤) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وعنان » .

وأنشد له [يوماً] بيتا القاضي محي الدين بن عبد الظاهر لما فتح الأشرف قلعة الروم ، وهما :

ألا أيها الحصن المنيع جنائبه تطهرت من بعد النجاسة والشرك^(١)
وأمسيت تجلّى بالخليلين دائماً خليل إله العرش والبطل التركي
فقال زين الدين رحمه الله تعالى :

قلعة المسلمين خُزّت كالاً وجالاً ورفعة وبهاء
بالخليلين صرت تجلّي مساءً كعروس زادت سنا وسناء^(٢)
قلت : ما كفاه أنه ما قال شيئاً يسمع حتى لحن وحذف النون من (تجلّين) .

١٢٦٤ - عمر بن أقوش *

الشاعر زين الدين أبو حفص الشبلي الدمشقي الذهبي الشافعي المعروف بابن الحسام الافتخاري .

رأيته في صفد ، واجتمعت به في دمشق غير مرّة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، وسمع الحديث على الحجار وغيره . وكان فيه تودّد وتقرب ، وحسنُ صحبة وطهارة لسان . وكان بعضهم يلقبه براطيش ، وبعضهم يسمّيه شراشط^(٣) .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في ثاني شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وسألته عن مولده ، فقال لي : في سنة أربع وثمانين وست مئة .

(١) في الوافي : « بالشرك » .

(٢) في الوافي : « لعروس » .

* الوافي : ٤٣٧/٢٢ ، وفوات الوفيات : ١٣١/٣ ، والدرر : ١٥٦/٣ .

(٣) قوله : « وبعضهم يسمّيه شراشط » ، ليس في (أ) ، (ق) .

أنشدني من لفظه لنفسه يودّعني عند توجهي إلى الرحبة سنة تسع وعشرين وسبع
مئة :

ولما اعتنقنا للوداع عشيّة وفي القلب نيران لفَرط غليله
بكيت وهل يُغني البكا عند هائم وقد غاب عن عينيه وجّه خليله
وكتبت أنا إليه من الرحبة :

كتبتُ والدمع قد غَطّى على بصري وبتَ فيك نجيّ الهَمِّ والفكر^(١)
وأشتهي من جوى قلبي وحرقتَه لو أشتري ساعة بالعمر من عَمَر
وأنشدني له :

قد أثقلتني الخطايا فكيف أخلص منها
ياربّ فاغفر ذنوبي واصفح بجلدك عنها^(٢)
وأنشدني له :

يامنّ عليه اتكالي ومنّ إليه مآبي
جُدْ لي بعفوك عني إذا أخذتُ كتابي
وأنشدني له :

ياسائلي كيف حالي في مراقبتي وما العقيدة في سِرِّي وإعلاني
أخاف ذنبي وأرجو العفو عن زلي فانظر فبين الرجا والخوف تلقائي
أنشدني له :

ياسيّد الوزراء دعوة قائل من بعد إفلاس وبيع أثاث

(١) في الأصل « فيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « بفضلك » .

أبطتْ حِوالتكم عليّ كأنها تأتي إذا ما صرت في الأجداث
فإذا أتت من بعد موتي فاحسنوا بوصولها للأهل في ميراثي

وأنشدني ما كتبه للصاحب شرف الدين يعقوب^(١) يشتكي من أيوب :

بليت بالصبر من أيوب حين غدا ينكد العيش في أكلي ومشروي^(٢)
وزاد يعقوب في حزني لغيبته فصرأيوب لي مع حزن يعقوب^(٣)
وأنشدني له :

إذا ما جئتم لغناء فقري تقول ابشر إذا قدم الأمير
وقد طال المطال وخفت يأتي أميركم وقد مات الفقير
وأنشدني من لفظه [له]^(٤) في الحمى :

زارتني الحمى فقلت لها ابعدي فعدت تخادعني بلثم شفاهي
قالت أروح فقلت هذا بُعيتي قالت أعود فقلت لا بالله
وأنشدني من لفظه له :

امرّ على المنازل وهي تشكو من الأحباب ما أشكو إليها
كلانا يشتكي لهم فراقاً فاعطفوا عليّ ولا عليها
وأنشدني من لفظه له :

لي حبيب ما زال يتعب قلبي فرأيت السلو عَيْن الصَّواب
تبت لله عنه توبة صدق واستراحت عواذلي من عتابي

(١) ناظر طرابلس ، كما في الوافي ، وهو يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي ، ستأتي ترجمته .

(٢) في الوافي : « بالضر » .

(٣) في الوافي : « فضر » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إذا أضمر المحبوب هجري وجفوتي وعاد ولم يحز المحبة بالبغض
أقول له أحسنت فيما فعلته «حنائيك بعض الشر أهون من بعض»^(١)

١٢٦٥ - عمر بن أبي الحرم*

ابن عبد الرحمن بن يونس ، الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية زين الدين أبو حفص الدمشقي المعروف بابن الكتاني^(٢) ..

حدث عن ابن عبد الدائم بالإجازة .

وسمع إسماعيل بن [أبي] اليسر ، وإسماعيل بن المظفر ، و^(٣) عمر بن حامد القوسي^(٤) ، وإسرائيل بن أحمد^(٥) ، ومظفر بن أبي الدلّ الصالحى ، والقاضى حسين بن علي القرشي وغيرهم .

تفقه وناظر ، وبرع في الأصول والفروع ، وذاكر وحاضر ، وتحول من دمشق إلى مصر بعلم جمّ ، وورد القاهرة ، فأجل اليمّ الذي ثم ، وحل بأفقهها فاستحيا من كاله البدر الذي تم .

(١) قن عز بيت لطرفة ، وصدره :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

وهو جار مجرى الأمثال ، مجمع الأمثال : ٩٤/١ .

* الوافي : ٤٤٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والدرر : ١٦١/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٥/١ ، والشذرات : ١١٧/٦ ، وذبول العبر : ٢٠٣ ، وفيه : « ابن أبي الحرم » بالزاي .

(٢) في الأصل : « الكتاني » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « ابن عمر » سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) (ت ٦٦٩) ، والوافي : ٤٤٦/٢٢ .

(٥) لم تقف على ترجمته ، ولم يذكره المؤلف في الوافي ولا غيره عند تعداد شيوخه .

وكان جيد الذهن كثير النقل لمذهبه ، بارعاً في التفقه ، لا يثبت له أحد إن ناظره أو تمسك بسببه ، مائلاً إلى الدليل والحجة ، قائلاً بالبحث لا يرى التقليد من عظيم^(١) المحجة ، يوهي بعض المسائل لضعف دليلها ، وخفاء صحتها ، وظهور عليها ، يلقي دروساً مفيدة ، ويأتي بأشياء فوائدها عتيده ، لا يحتمل أن أحداً يعارضه أو يرأسه أو يقارضه^(٢) ، فينفر فيه ويزبره ، ويكسره بالقول ولا يجبره .

وكان في خلقه زعارة وشراسة ، وحدة لا ينكس^(٣) الكبر لها راسه ، لا يخضع لأمر ولا لاقاض ، ولا ينفعل لإبرام ولا لانتقاض ، وله في ذلك حكايات مشهورة ، ووقائع بين أهل مصر مأثورة ، إلا أنه فرط في علم الحديث من حيث الرواية ، وأهل أمره ، ولم يكن له فيه عنايه ، فكان صغار الطلبة يحضرون دروسه ، ويعيبون عليه كثرة تصحيفه ، وما يقع له من الخلل في أسماء الرجال ، ولا يجسرون على تعنيفه ، وكان به وسواس في تكبيره الإحرام ، وتطويل حتى يفوته بالركوع الإمام .

لم يزل على حاله إلى أن دخل في العدم ، وكثر عليه التأسف والندم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس^(٤) عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلثين وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان قد اشتغل بالفقه والأصولين على ابن أبي الثنا محمود بن عبّيد الله^(٥) المراغي ، والعلامة الشيخ تاج الدين الفزاري ، وغيرها .

(١) (أ) ، (ق) : « قويم » .

(٢) في الأصل : « يفاوضه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « لا يكنس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (ق) : « سابع » .

(٥) (ت ٦٨١) ، وقع في الأصول : « عبد الله » . انظر : العبر ٣٣٦/٥ ، الشذرات ٣٧٤/٥ .

ودخل إلى مصر ، فولاه قاضي القضاة ابن بنت الأعز قضاء الحكر^(١) مدة ، ثم استنابة العلامة ابن دقيق العيد في مصر ، وولاه دمياط الشرقية^(٢) ، ثم استنابة في القاهرة ، ثم إن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ولّاه الغربية ، ثم إنه وقعت له [بالحلّة]^(٣) واقعة ، فعزل نفسه ، وأقام بالقاهرة ، وترك الاجتماع بقاضي القضاة ابن جماعة ، وصار يتكلم فيه ويأسي^(٤) إليه ، وصارت الإساءة له عادة ، فاستعملها مطلقاً ، وتعدى إلى الأموات ، ونفر الناس منه .

وتصدّر بالجامع الأموي الحاكمي مدّة ، وأعاد بالقراسنقرية ، ثم ولي تدريس المنكوترية .

ولما مات أبو الحسن بن جابر ولّاه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك دُرَسَ الحديث بالقبة المنصورية ، وذلك في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، فتكلم الناس في ذلك . وكان الطلبة الصغار يضحكون منه ، ويحيؤون إلى العلامة شيخنا أبي الفتح ، ويقولون : صحّف اليوم في^(٥) كذا . وَهَمَ في كذا ، وقال في ذلك الفاضل كمال الدين الأدفوي :

بالجاه تبلغ ماتريد فإن تُرد رُتب المعالي فليكن لك جاء
أو ماترى الزين الدمشقي قدّ ولي دُرَسَ الحديث وليس يدري ماهو

وولي مشيخة خاقاه طبريس التي على البحر ، وشكا منه بعض أولاد الواقف إلى الحاجب ، فعزل منها ، وكان هو قد فهم من الناس هذا الحال ، فيقول^(٦) : ولّونا ما يضحك فيه الصبيان علينا ، ومنعونا مانضحك فيه على الأشياخ .

(١) في الأصل : « الحكم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في (أ) ، (ق) : « والشرقية » بواو .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) كذا في الأصول ، ولعله : « يسيء » .

(٥) ليست في (أ) ، (ق) .

(٦) (أ) ، (ق) : « فكان يقول » .

وكان شيخنا فتح الدين إذا ذكروا أمر وسوسته يقول : هذا تصنع^(١) . ولما ولي خطابة جامع الصالح ببرا باب زويلة ترك الوسوسة ضرورة .

وكان في القضاء محمود السيرة ، ظاهر العفة ، طاهر الكف ، وكان كثير الاشتغال ، دائم المطالعة ، وأولع^(٢) في آخر عمره بمناقشة^(٣) الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ، وكتب على (الروضة) حواشي ، ولما وقف عليها^(٤) شيخنا العلامة قاضي القضاء تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى أجاب عما وقف عليه من ذلك قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في (الروضة) : وإذا وَقَعَتْ في الماء القليل نجاسة وشك هل هو قَلْتَان أو لا ، الذي جَزَمَ به صاحب (الحاوي) وآخرون أنه نجس ، لتحقيق^(٥) النجاسة ، وإمام الحرمين فيه احتمالان والمختار ، بل الصواب الجزم بطهارته ، لأن الأصل طهارته وشككنا في نجاسة مُنَجَّسِهِ ، ولا يَلْزَمُ مِنَ النجاسة التنجيس .

قال الشيخ زين الدين الكتّاني رحمه الله تعالى : وإذا وقع في الماء القليل نجاسة وشك هل هو قَلْتَان أو لا لفظٌ متناقض ، وحكّه بالطهارة باطل إذ فرض الماء قليلاً ، والقليل دون القلتين ، وإلاّ فإن كان قلتين فهو كثير ، وإن كان الماء دون القلتين وحصل فيه نجاسة غير مَعْفُو عنها فهو نجس ، لاخلاف فيه ، فعلم من هذا أن قوله : « الصواب الجزم بطهارته » باطل ، وكان صوابه أن يقول : ما شك في كثرته ووقعت النجاسة فيه ، ولو قَرَضَهُ لذلك ، وهو مراده بحكمه بأنّ الصواب الجزم بطهارته غير صواب ، بل الصواب : الحكم بالنجاسة ، لأن النجاسة محققة ، وبلوغ الماء قلتين الأصل عدمه ، ولا يجوز للآخذ بالاستصحاب مع نفس ما يعارضه ، وهو نفس وقوع

(١) في الوافي : « هذا تصنع منه » .

(٢) في الأصل : « وولع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (ق) : « بمناقشة » .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « لتحقيق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

النجاسة ، إذ لا خلاف في أن شرط^(١) الاستصحاب عند القائلين به أن لا يقطع بوجود المنافي له .

وقوله : « لا يلزم من النجاسة التنجيس » ، إنما هو في نجاسة معفو عنها لاقت ماء كثيراً ، ولم يتغير ، وليس الكلام في ذلك إذ كثرة هذا الماء مشكوك فيها ، بل ملاقة النجاسة سبب للتنجيس ، وقضية السبب إعماله إلا لمانع والأصل عدم المانع ، وهو الكثرة ، فصار في جانب التنجيس أصلان : عدم بلوغ الماء قلتين ، وإعمال السبب الثاني الذي هو النجاسة ، ومن جانب الطهارة أصل مستصحب مع يقين ما يعارضه ، واستصحاب مثل هذا ممنوع ، فصار الظاهر الحكم بالنجاسة [وملاقة النجاسة]^(٢) محسوسة ، فتصير هذه الصورة كالغدير مع الطيبة التي بآلت فيه ، ووجد الماء متغيراً ، واحتمل التغير بول الطيبة ، وطول المكث ، وقد نص الشافعي على نجاسته ، وقطع به جمهور الأصحاب ، ومع هذا البحث الراجح الواضح كيف يقول : « الصواب الجزم بالطهارة » ، فلا الصواب الجزم بالطهارة ، ولا الظاهر ، فضلاً عن الجزم ، وقد قال الغزالي في (الوسيط) : « الأصل بقاء النجاسة إلى أن يتبين الكثرة الدافعة ، أو يقال : الأصل طهارة الماء إلى أن يُستيقن الصنّان^(٣) .

والاحتمال الأول أظهر ، فلو أصاب النووي لم يعتقد الجزم بالطهارة ؛ بل لو تردد معذوراً مع أن الصواب الجزم بالنجاسة ؛ لكنه وقف به^(٤) نظره أو وقَّفه ، وإنما بسطت وأسهمت لئلا يغلو فيه غرّ .

قال شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، رحمه الله

(١) في الأصل : « الشرط » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصول كلمة تشبه هذه التي أثبتناها ، وكتب فوقها في الأصل و (ط) : « كذا » ، والصنّان لغة تغير الماء .

(٤) في الأصل و (ط) : « فوته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، ولعلها الصحيحة .

تعالى : أمّا المناقشة في لفظ قليل فصحيحة ، وكان الأولى حذفها ، لكنه تجوّز فيها ، واستصحب اسم القليل مع الشك ، أو لأنه يعد في العرف قليلاً وإن لم يكن في الشرع كذلك ، والإمعان في الحكم بنجاسته إذا كان قليلاً لا معنى له ، إذ لا نزاع فيه ، وليس بمراد ، وأمّا كون الصواب الحكم بنجاسته ما شكّ في كثرته فيردّ عليه أنه حكم بالنجاسة مع الشك إذ الأصلان متعارضان ، وهما طهارة الماء وقلّته المقتضية للتنجيس ، وهنا إذا تعارض أمران متضادان وجب التوقف ، فكيف والقلّة ليست مضادة للطهارة ؛ بل مقتضية لصدّها في هذه الصورة ، وهذا معنى يصلح لترجّح الطهارة ، لأنّ المعارض لها أضعف منها ، لكونه مقتضياً للصدّ لانفس الضد ، وإنما كان أضعف لكون المقتضي قد يتخلف المقتضى .

وقوله : إن أصل الطهارة تيقّنا ما يعارضه مع يقين ما يعارضه ^(١) ممنوع إذ الفرض الشك ، ومع الشك كيف [يدّعي] ^(٢) اليقين .

وقوله : « في جانب الطهارة أصل مستصحب مع يقين ما يعارضه » ، إن أراد ما يرفعه ممنوع ، وإن أراد ما يعارضه ويقاومه فيحصل الشك ويمتنع الحكم بالنجاسة ، على خلاف غرضه ، فإنه متى تقاومت المعارضة لا يجوز الحكم بالنجاسة ، ويبقى الحال على ما كان عليه من الطهارة .

وقوله : « في جانب التنجيس أصلان ، عدم بلوغ الماء قلّتين ، وإعمال السبب الذي هو النجاسة » . اعلم أنّ عدم بلوغ قلّتين وحده ليس بأصل معارض للطهارة [بل] ^(٣) بما ضمّ إليه من السبب ، والسبب وحده لا يستلّ أصلاً ، وإنما يستلّ ظاهراً ، فإمّا أن يجعله مع عدم بلوغ الماء قلّتين سبباً واحداً في التنجيس ، وحينئذٍ يعارضه أصل الطهارة ، وإمّا أن يجعله سبباً ، والقلّة شرط أو الكثرة مانعة وحينئذٍ يقال : إن الشرط

(١) قوله : « مع يقين ما يعارضه » ليس في (أ) ، (ق) ، والأشبه إسقاطها .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

أو انتقاء المانع إنما يُكتفى فيه بالأصل إذا لم يعارضه أصل آخر [وهنا عارضه أصل آخر]^(١) ، والسبب وحده بدون شرطه أو انتفاء مانعه لا يعمل ، وإما أن يجعل وقوع النجاسة محل الحكم ويقاوم ، عليها أمران : أحدهما يقتضي التنجيس ، والآخر ضده ، فيقف الحكم . وعلى كل تقدير فيجب أن لا يحكم بالنجاسة ، فخرج من هذا أن دعواه « في جانب التنجيس أصلاً » ليس بصحيح ، ولو قال : أصل وظاهر لكان أصح في العبارة ، ويتوجه عليه المنع بأن ذلك إنما يكون في أصل مستقل بظاهر مستقل ، وليس هنا كذلك ؛ لأن القلة ليست بأصل ، بل بها ضم إليها ، على ما تبين^(٢) .

وأما مسألة الطيبة فإنما حكمنا بالنجاسة لأن بول الطيبة محقق ، واستناد التغيير إليه ظاهر مستقل ، لأن الأصل المعارض له معارض بالأصل النافي لطول المكث ، ولا لما يقاوم الأصل إن علمنا بالسبب الظاهر المجرد الذي لا معارض [له]^(٣) ، فأين هذه المسألة من تلك ، وقد جزم الصيري بالتنجيس متمسكاً بأن الأصل القلة ، وسبق الغزالي دعوى ظهور التنجيس [لتمسك بالقلة للتنجيس]^(٤) إمام الحرمين ، فاقصر الكتاني على كلام الغزالي دليل على أنه لم يقف على غيره .

قال كمال الدين جعفر الأذفوي : كان عنده منازعة في النقل ، قلت له يوماً : قال الرافعي إن أكثر الأصحاب على جواز النظر إلى الأجنبية في الوجه والكفين إذا أمن الفتنة ، فأكرر ذلك ، ثم اجتمعت به ثاني يوم بالمدرسة القراستيرية ، فقال : الرافعي قال كما قلت ، ولكن من أين للرافعي هذا ، وشرع يُغالب^(٥) ويتغلب . قال : وقلت له يوماً : قال النووي : الأصح العفو عن الكثير من دم البراغيث ، ونحوها مطلقاً فنازع ، وحضر (منهاج) النووي فرآه ، فشرع يؤول .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ما تبين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « يغلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكان بعض الطلبة يقرأ عليه يوماً في أن المعير إذا رجع والذرع قائم ، ولم يكن يُحصَد قصيلاً فإنه يبقى إلى الحصاد ، فقال هو : واختلف ههنا : هل عليه الأجرة ، وما قالوا بمثل ذلك فيما إذا باع مالك الأرض وفيها زرع فإنه يبقى ولا أجرة ، وطلب الفرق . فقلت : الفرق أن البائع لما زرع تصرّف في ملكه ، والمشتري دخل على الإبقاء ، والتصرف كان في الملك ، فلا يناسب أجره ، والمستعير تصرّف في ملك غيره ، والمالك بصد الرجوع في كل وقت ، لكن التصرف كان بالإذن ، فلا يناسب قلع الزرع وضياعه ، ولا إشغال أرض المالك مجاناً ، فجمعنا بين المصلحتين ، فأبقيناه حتى لا يفسد ، وألزمناه الأجرة حتى لا يُشغل أرضه مجاناً ، فنازع نزاعاً طويلاً ، لا بالرد النظري ، إلا بالإساءة . قال : فتركت الاجتماع به . ومع ذلك فكان محققاً مدققاً كثير النقل ، يستحضر النظائر والأشباه ، لم يكن في الفقه في زمنه مثله ، انتهى .

قلت : ما صنّف شيئاً ولا انتفع به أحد من الطلبة ، وكان قلّ أن يفتي أحداً ، ويقول لمن يأتيه بالفتوى : أنا ما أكتب لك عليها ، روح إلى القضاة وإلى الذين لهم في الشهر من المعلوم كذا وكذا ، وربّما تحيل عليه بعض الناس فيما يرومه منه بأن يستصحب معه شاباً حسن الصورة فإنه كان يميل إلى ذلك [لكن ^(١)] مع دين وعفاف وتصوّن كثير .

ولما دخلت إلى الديار المصرية قلت للأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي رحمه الله تعالى : أريد أن أرى الشيخ زين الدين ، وأجتمع به ، فقال لي : ما تنتفع به ولا تنال منه مقصودك ، ولكن اصبر ، أنا [أروح معك ^(٢)] إليه ، فتوجهنا إليه إلى داخل باب السعادة إلى دار الفارقاني ، فصعد بي في سلّم حجر أعلاه طبقة ، فطرق الباب ، فقال من ؟ قال : محمد بن حنكلي فقال : ومليحك معك ؟ قال : نعم ، فقام ، وفتح الباب ، وبشّ بنا وأجلسنا ، وانشرح ، وأحضر شراب ليون ، وفيه قلب فستق ،

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

وشراب حمّاض ، وفيه قلب بندق ، وأطعمنا من ذلك ، وأحضر طعاماً شهيئاً طيباً ،
وانشرح لنا مدة إقامتنا عنده لما كان معنا بعض مماليك الأمير ، وهو وضيء الوجه ،
وفارقنا رحمه الله تعالى .

وكان الشيخ كال الدين بن الزملاكاني رحمه الله تعالى يثني عليه .

وقلت أنا فيه :

يامن يروم الفقه بُرْدُ أصوله رُقت حواشيه بكلّ بيان
عرج بزين الدين تلقى دروسه خلّأ محرّرة من الكتاني

١٢٦٦ - عمر بن حسن بن عمر بن حبيب*

العالم المحدث الفاضل زين الدين أبو حفص الدمشقي ، محتسب حلب .

سمع من ابن البخاري ، وابن شيبان ، وعلي بن بلبان ، وطائفة . وعني
بالحديث ، ورحل وسمع من ابن حَمْدان^(١) ، والأبرقوهي ، وسيدة بنت درباس ،
وخلق ، ونسخ وحصل الأجزاء ، وخرّج له شيخنا الذهبي (معجماً) عن أزيد من خمس
مئة شيخ بالسماع .

وكان كثير الأسفار ، فدخل في آخر عمره إلى الروم ، ثم إلى مراغة ، فتوفي هناك
رحمه الله تعالى في ... سنة ست وعشرين وسبع مئة^(٢) .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة تقريباً .

* الوافي : ٤٥٥/٢٢ ، والدرر : ١٥٨/٣ .

(١) أحمد بن حمدان بن شبيب (ت ٦٩٥) ، الشذرات : ٤٢٨/٥ .

(٢) كذا يياض في الأصول .

١٢٦٧ - عمر بن داود بن هارون بن يوسف*

القاضي زين الدين أبو حفص الصفدي ، كاتب الإنشاء بالشام ومصر أصله من ثين قرية من مرج^(١) بني عامر من صفد ، بنونين ، بينها ياء آخر الحروف على وزن يئن ودئين .

كان كاتباً ذكياً ، فاضلاً سرياً ، يقع على المقاصد ، ويرقب المجرات ويراصد ، إذا أخذ كتاباً تأمل فضولة ، وتصوّر محصولة ، وأجاب عنه بأجوبة بليغة سادته^(٢) ، دالة على غزارة المادّة ، وكان قلمه بليغاً إذا كتب مسترسلاً من غير سجع ، واتكل على ما عنده في ذلك من الطبع ، لأنه يأتي بما يكتبه ، بليغ المعاني ، مستوفي المقاصد ، تامّ المراد ، غير مخلّ ببيان ولا فاسد .

أمّا نظمه فكان قليلاً مردولاً ، بطيئاً مهزولاً ، ونثره كان أجود منه ؛ إلا أنه كان وعراً^(٣) الجاده ، نابٍ عن الطبع غير سارٍ في الماده . وخطه أيضاً قوي منسوب ، لكن ما عليه حلاوه ، ولاله ما لخط غيره من اللطف والطلاوه ؛ إلا أنه كان صبوراً على الكتابة ، لا يسأم تواترها ، ولا يمل تكرارها ، يقوم بتنفيذ ما في الديوان ، ويسدّ مهمّاته على أحسن ما يكون وأسدّه ، ولو بلغت إلى كيوان .

تنقل من صفد إلى دمشق إلى غزة إلى الرحبة ، ثم إلى دمشق ، ثم إلى مصر إلى دمشق إلى مصر [كرّتين]^(٤) هبة بعد هبة ، مع عطلة تخللت ذاك ، وكاد الأمر يكون حتماً بغير^(٥) انفكّاك ، ولكنه لطفت به المقادير ، وأعادت اسمه إلى الدساتير .

* الوافي : ٤٦٥/٢٢ ، والدرر : ١٦٥/٣ .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « مرج » .

(٢) في الأصل : « شاذّه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « إلا أنه مستوعر » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ولم يزل على حاله إلى أن بتر الله عُمَرَ^(١) ، وانقبض ابنسأطه في الحياة وأنقبر .
وتوفي رحمه الله وسأعه بالقاهرة في ثامن عشري صفر سنة تسع وأربعين وسبع
مئة ، بعد مرض طويل قاسى منه شدة .
ومولده في سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

قدم من قريته إلى صفد ، وقد عذّر في عام ستّة عشر^(٢) وسبع مئة فيما أظن أو قبل
ذلك بقليل ، ولأزم شيخنا نجم الدين الصفدي ، وأقام في^(٣) بيته يئيت ويصبح ،
واشتغل عليه وكتبه وهذبه^(٤) ودربه ، فكان شيخنا في تلك المدة كاتب سرّ صفد ،
فاستكتبه عنده ، وتخرّج . وكان ذكياً فذاق هذه الصناعة ، ومهر فيها . ولما بطل
الشيخ نجم الدين من التوقيع كتب زين الدين الدرج للأمير علم الدين سنجر الساقى
مشدّ الدواوين^(٥) بصفد ووالي الولاة ، ولما هرب الأمير علم الدين سنجر الساقى من
صفد فارّاً من نائبها الأمير سيف الدين أرقطاي توجهّ زين الدين^(٦) معه ، فأقام
بدمشق مدة يتردّد إلى شيخنا شهاب الدين أبي الشاء محمود وإلى القاضي
شهاب الدين بن فضل الله ، وعُرف بين أهل دمشق ، وعامل أهلها معاملةً جيدة إلى
أن أجمعوا على الشكر منه والتوجه له في بطالته ، فأقام بها مدة ، وحضر شمس الدين
ابن منصور إلى دمشق ، وطلب من يساعده على كتابة الدرج في غزة ، فوصفه القاضي
شهاب الدين وأثنى عليه ، وتوجهّ إلى غزة صحبة ابن منصور ، وكان الأمير علم الدين
الجاولى إذ ذاك نائب غزة ، فرأى خط زين الدين وعبارته فأعجبه ذلك . وكان

(١) في الأصل : « من عمر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصول : « ست عشرة » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) (أ) ، (ق) : « عنده في » .

(٤) في (أ) ، (ق) : « وهذبه وثقفه » .

(٥) (أ) ، (ق) : « الديوان » .

(٦) (أ) ، (ق) : « زين الدين المذكور » .

زين الدين شديد المداخلة للناس ، لطيف المؤانسة جَرِيًّا في الإدلال [والكلام]^(١) والمشاركة مع صاحب المجلس والاعتراف في سلوكه ، فخاف ابن منصور من تقدّمه ، فعَمَلَ عليه وأعادَه إلى دِمَشق . ثم إنَّ الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، جهّزه إلى الرحبة مَوْعاً بإشارة القاضي شمس الدين محمد بن شيخنا شهاب الدين محمود رحمه تعالى بعد ما أقام بدمشق بطالاً^(٢) تسع سنين فأقام بها قريباً من سنتين .

ولمّا توجّه القاضي محي الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى مصر قال الأمير سيف الدين تنكز لها : ما بقي في الديوان أحد ، فذكره له ، وقال : يا خوند ، كاتبُ الرحبة زين الدين الصفدي يصلح أن يكون في باب مولانا ملك الأمراء . وكان [قد]^(٣) خلا مكان القاضي جمال الدين بن رزق الله من ديوان الإنشاء بدمشق لتوجّهه إلى توقيع غزة ، فرسم بإحضار زين الدين إلى دمشق ، فجاء إليها ، وأقام بها دون السنة ، ثم إنَّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله طلبه إلى الديار المصرية ، فأقام يكتب بين يديه قريباً من ثماني سنين إلى أن رسم السلطان الملك الناصر محمد للقاضي شهاب الدين بن فضل الله بأن يلزم بيته ، فعَمَلَ عليه هو الآخر ، وأخرجه السلطان من الديوان ، وأقام في القاهرة مُدَّةً مَلَزَمَ بيته ، ثم إنَّ طاجار الدوادار أخرجه من القاهرة إلى صفد بطالاً ، فأقام فيها إلى أن حضر القاضي شهاب الدين بن فضل الله إلى دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فتحدث له القاضي شهاب الدين [وأحضره من صفد إلى دمشق ، فبقي فيها بطالاً إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد فتحدث له القاضي شهاب الدين]^(٤) بن فضل الله مع الأمير علاء الدين الأطنبغا

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في (أ) ، (ق) : « مدة تسع » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، ووقع مضمونها في الوافي .

نائب الشام ، فأمر له بالدخول إلى ديوان الإنشاء ، فأقام به إلى أن رسم السلطان للملك الصالح بإبطال مَنْ أُحْدِثَ بَعْدَ أَبِيهِ السلطان الملك الناصر ، فبطل ، ولازم بيته مدة ، ثم إنه دخل مع من دخل فيما بعد .

ولم يزل يكتب في ديوان الإنشاء بدمشق إلى أن حضر القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله ، فسلم إليه الأمر ، ورأى من السعادة ما لا رآه في عمره مدة ثلاث سنين . ثم إن القاضي علاء الدين بن فضل الله طلبه إلى الديار المصرية ، فتوجّه هو ووالده القاضي شهاب الدين أحمد في البريد يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها موقعا في الدست ، وولده في جملة كتّاب الإنشاء ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكنت قد كتبت إليه إلى دمشق من صفد :

إن عيني مذ غاب شخْصُكَ عَنْهَا يَأْمُرُ السُّهُدُ فِي كَرَاهَا وَيَنْهَى
بدموع كَأَنَّهُنَّ الْغَوَادِي لَا تَسْلُ مَا جَرَى عَلَى الْحَدِّ مِنْهَا
وكتبتُ إليه مع غلام حسن الوجه وهو بغزة :

يَا نَاذِحاً صَوْرَتَهُ فِي خَاطِرِي فَرَمَيْتُ لِلتَّصْوِيرِ بِالنَّيِّرَانِ
إِنْ لَمْ يَبْلُغْكَ النِّسِيمُ تَحِيَّتِي فَلَقَدْ أَتَاكَ بِهَا قَضِيبُ الْبَانِ

وكتب هو إليّ من دمشق وأنا بصفد سنة ست عشرة وسبع مئة :

أَشْتَاقُ مِنْ دُونِ الْأَنْامِ خَلِيلَا فَلِذَاكَ أَصْبُو بُكْرَةً وَأَصِيلَا
مَوْلَى رَحَلْتُ وَسِرْتُ عَنْ مَعْرُوفِهِ فَعَدِمْتُ مِنْ إِحْسَانِهِ تَنْوِيلَا
لَوْ كَانَ فِي عَصْرِ مَضَى لَمْ يَعْتَدِ إِلَّا عَلَى أَلْفَاظِهِ التَّرْسِيلَا
هُوَ فَارِسٌ فِي فَنِّهِ كَمْ جَدَّلَ الْأَقْرَانِ فِي مِيدَانِهِمْ تَجْدِيدَا
لَيْسَ الْيَرَاعُ بِكَفِّهِ فِي طَرَسِهِ إِلَّا حَسَاماً هَزَّهُ مَقْصُولَا^(١)

(١) في الأصل : « لبس اليراع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فإذا ترسل خلته من لطفه
 نبت الكتابة عن سواه فلم تجد
 فلذاك وجه الدهر راح بفضل
 أرجو اجتماع الشمل منه لأنه
 والله ملاحته بروق في الدجا
 ولربما سمح الزمان بعوثي
 لا زال جودك بالمرام كفيلا
 أنس قريضك مذ تطلع نيراً
 قط اليراع لسانه عن وصفه
 فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

ياسيداً أضحى عظيم فخاره
 وكسا برود النظم من ترصيعه
 لاحت تبشير الصباح بطرسه
 راقته محاسنه ورق شائلا
 أما التشوق والحنين فلا تسل
 مذ غبت عني فالدموع على الولا
 وتلهب الزفرات في طي الحشا
 فاسعف بقربك إنه جل المنى
 فالجسم في صفد أقام وقلبه

أضحى يدير على الأنام شمولا
 إلا بضافي الظل عنه بديلا^(١)
 لمن اجتلاه أو رآه جيلا
 قد لا يكون به الزمان نجلا^(٢)
 إلا تجدد لي بكي وعويلا
 فأبل من شوقي إليه غيلا
 ولطيف صنعك بالأنام جيلا^(٣)
 بما البديع كثيراً وجيلا
 مذ مد باعاً في البديع طويلا

أبدأ على هام العلاء إكليلا
 غرر البيان وزادها تحجيلا
 من أسطر أفنيتهما تقبيلاً
 فغدا يمج من البيان شمولا
 فالخطب منه لا يزال جليلا
 لو كن سيلاً ما وجدن مسيلا
 خلّى محل الصبر عنك محيلا
 لتكيد ضداً أو تسر خيلا^(٤)
 بل قد تشحط في دمشق قتيلا

(١) في الوافي : « منه بديلا » .

(٢) (أ) ، (ق) : « فإنه » .

(٣) في الأصل : « جودك بالأنام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « فاسعد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكتبت أنا إليه من صفد :

يا بارقاً سال في عطف الدجى ذهباً
لئن حكيت فؤادي في تلهمه
ويانسياً سرى والليل معتكراً
أراك تنفح عطراً في صباك فهل
أم قد تحملت من صبحي تحيتهم
قوم عهدت الوفاء المحض شيمتهم
صرفت إلا عناني عن محبتهم
لا الدار تدنو ولا السلوان ينجدي
أحبابنا إن وت عني رسائلكم
وحياتكم ما للنفس عنكم بدل
أعيذ وذك من أن يغيره
لعل دهرأ قضى بالبعد يجمعنا
أرضى بحكم زماني وهو يظلمني
ولن يظفرني إلا بـودكم
نسيتموني ولم أعتد سوى كرم
حاشاكم أن تروا هجري بلا سبب
عاقبتموني ولا ذنب أتيت به
عودوا إلى جبر كسري لافجعت بكم

أذكرتني زمناً في جلق ذهباً
فلست تحكيه لا وجداً ولا حرباً
وهباً وهناً إلى أن هزني طرباً
تركت ذَيْلاً على جيرون مُنْسجِباً
فكان ذلك في طيب الصبا سبباً
وإن شككت سل العلياء والأدباً
وبت نضواً حيلف الشوق مكتئباً^(١)
وعز ذلك مطلوباً إذا طلباً
فلست أسأل إلا الفضل والحسباً
كلاً ولا اتخذت في غيركم أرباً^(٢)
نأي ولو جردت من دون ذاك ظباً
وقلما جاد دهر بالذي سلباً^(٣)
فيكم وأجني ببعدي عنكم التعباً^(٤)
يا حيرتي فيكم إن رد ما وهباً
منكم يبوؤني من فضلكم رتباً
أو تجعلوا البين فيما بيننا حباً
فقل عن الصخر إذ يقسوا ولا عجباً
فقد لقيت ببعدي عنكم نصباً^(٥)

(١) في الأصل : « من محبتهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « كيلاً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الأصل : « قضى بالوجد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٤) في الأصل : « فيكم وأرضى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) (أ) : « لا فقدت » .

فكتب هو الجواب [إليّ] ^(١) عن ذلك :

يا خَيْرَ مَنْ خَطَّ في الأوراقِ أو كَتَبَا
ومن علا فَعَلْتُ فيه مَوَدَّتِنَا
أنتَ قَصِيدَتِكَ الغراءُ بِاسِمَةٍ
فرَنَحْتَ أنفَساً بالبُعدِ قد تَلَفْتُ
فهل بَعُثْتَ بَعُثْ جاء عن قلق
حاشي المودة أن يعتادها مَلَكُ
وإنما الدهر بالإنزراء حارِبي
وما ترقَّ على ذليَّ عواطفه
وكَلِمًا قلتَ قد لَيِّنْتَ شِرَّتَهُ
فأعْذِرْ فإنك أُولَى الناسِ كلهم
فأنتَ تَعْلَمُ أني قد جعلتك مِن
فلاتؤاخِذ إذا ما هفوةً عَرَضَتْ

وخَيْرَ من حاول العلياء والأدبا
وفاق فضلاً وفات العُجَمَ والعَرَبَا
عَنْ نَقْطِ أَحرفها لَمَّا حَكى الحَبِبا
وحَرَّكَتْ كُلَّ عطفٍ قد قسا طربا
أو لطفُ نَظْمِكَ قد أهدى نسيم صبا
أو أن يكون النوى في مثله سببا
وجار في الحكم لَمَّا بَت مغتربا
ولا تَمُدَّ إلى العلياء لي طنبا
يزيد ناري على تأجيجها حطباً
ببسط عذري إن لم أبعث الكتبَا
دُون البرية في الدنيا أخاً وأبا
من يكون إلى عليك منتسباً

وكتبت أنا إليه من الرحبة أهنته بمولود ذكر :

هنا به وَجْهَ الزَّمان تَهَلَّلَا
فهْنُتْ مَوْلوداً أتى فتشَوَّفَتْ
وأكرم بنجم لاح فينا ومن يقل
إذا ضوءاً الأفاق نور هلاله
سيرضيك في أفعاله ومقاله

ويُشْرِى بها الإقبالُ وافي وأقبلا
إليه عيون الفضل والمجد والعلی ^(٢)
بنجلٍ فَحَرَفَ الميم باللام بُدْلاً
فكيف إذا ما صار بذراً مَكْلاً
إذا طال في أوج العُلا أو تطوَّلا

(١) زيادة من (أ)، (ق) .

(٢) (أ)، (ق) : « أتى إذ تشوّفت » ، وهي أشبه .

وَتُرْعِفُ أَقْلَامَ السِّيَادَةِ كُفَّهُ وَيُرْعِفُ أَعْدَاءَ وَيُرْعِدُ ذَبِيلًا^(١)
وَيَسْتَحْدِمُ الْبَيْضَ الرِّقَاقَ يِرَاعُهُ إِلَى أَنْ يَرِدَ الصَّعْبَ سَهْلًا مَذْلًا
وَيَسْعَى إِلَى أَبْوَابِهِ السَّعْدُ صَاغِرًا وَيَأْتِي إِلَيْهِ وَهُوَ طِفْلٌ تَطْفُلًا

يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهِي أَنَّهُ جَلَسَ بِهَذِهِ الْبَشْرَى عَلَى سُرُرِ السَّرُورِ ، وَالتَّحَفَ مِنْهَا
بِحَبْرِ الْحُبُورِ ، وَمَلَأَ كَفَّهُ بِالذَّرَرِ مِنْ هَذِهِ الْأَفْرَاحِ ، وَمَلَأَ طَرْفُهُ بِالْبَدُورِ ، وَنَطَقَتْهُ هَذِهِ
الْمَسَرَّاتُ^(٢) بِالْمَحَامِدِ فَارْتَجَلَ وَارْتَجَزَ ، وَأَمَكْنَتْهُ الْفُرْصَةُ مِنَ التَّهَانِي ، فَانْتَهَبَ وَانْتَهَزَ ،
وَقَرَنَ الْهِنَاءَ بِالْدَعَاءِ فَابْتَهَجَ وَابْتَهَلَ^(٣) ، وَتَخَيَّرَ سَاعَاتِ الْإِجَابَةِ فَانْتَقَدَ وَانْتَقَلَ ، وَكَيْفَ
لَا يَبْتَهَجُ الْمَمْلُوكُ بِمَخْدُومٍ تَجَدَّدَ ، وَيَتَمَسَّكَ بِفَضْلِ تَعَدَّدَ ، وَيَسْرُّ بِدُوحٍ^(٤) تَفَرَّعَ ، وَإِنْ
كَانَ أَصْلُهُ بِالْمَزَايَا تَفَرَّدَ ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا بَيْتٌ تَمَدَّى فِي الْعِلْيَاءِ أَطْنَابُهُ ، وَتَرَفَّعَ فِي السِّيَادَةِ
أَعْلَامُهُ وَقِيَابَهُ ، وَتَتَسَّعُ لِبْنِي الْأَمَالِ سَاحَاتُهُ وَرَحَابُهُ :

وَهَذَا هَدْيِيَّةُ رَبِّ الْعُلَا فَتَقُ هِدَايَا هِدَايَاتِهِ

وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّ مَوْلَانَا لَيْثٌ وَقَدْ أَشْبَلَ ، وَبَجَرَ زَخْرَجُهُ حَتَّى مُدًّا بِمَجْثُولٍ ، وَمِنْ
حَرَمَانِ الْمَمْلُوكِ أَنَّهُ مَا شَافَةَ السَّمْعَ الْكَرِيمَ بِالتَّهَانِي ، وَلَا فَازَ بِرُصْدِ هَذَا الْهَلَالِ كَيْفَ
يَتَرَقَّى إِلَى الْإِبْدَارِ عَلَى الدَّقَائِقِ وَالثَّوَانِي ، وَلَا عَايِنَ لِسُلُوكِ الْمُحِبِّينَ إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ،
وَلَا حَضَرَ لِهَذِهِ الْجَوْهَرَةِ النَّفِيسَةِ يَوْمَ عَقِيقَتِهِ ، وَمَاضِرَ الْأَيَّامِ لَوْ كُنْتُ^(٥) لَجَوْهَرُهُ عَرْضًا
أَدْنَى ، أَوْ لَوْ سَاعَفْتُ بِالْقَرَبِ فَأَكُونُ حَاضِرًا بِالصُّورَةِ إِذْ قَدْ خَضُرْتُ بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَمْتَنِعُ عَيْنَهُ الْكَرِيمَةَ بِهَذِهِ الْقُرَّةِ ، وَيَهْبِهِ أَمْثَالَهَا حَتَّى يَرَى فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ ذَرَّةً ، بِمَنْهَ
وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) جَمَلَ النَّاسِخَ هَذَا الْعَجْزَ لِلْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَعَكْسَ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) ، وَهُوَ الصَّحِيحُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمَسِيرَاتِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَابْتَهَلَ وَابْتَهَجَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) ، وَهُوَ أَنْسَبُ لِلْجُمْلَةِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « بِدَرْجٍ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « كَانَتْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

فكتب هو الجواب عن ذلك :

أتاني كتاب منك كالبدْر يُجْتَلَى
 حكي الروض أَمْسى بالأزهار ناضراً
 يُدير على سمع الأنعام سُلَافَةً
 لو أن أبا تمام أبصر حُسْنَهُ
 تخال به بُرداً عليك مُجَبَّراً
 تهنّ به عبداً لعبدك قد أتى
 لقد زاد عبداً في عبيدك إذ أتى
 وإني لأرجو أن يفوء بخدمة
 تربيته مملوكاً وتُشِيه خادماً

فأصبحتُ أجْلوه على سائر الملا
 أو العقد أضحى بالجمان مفصلاً
 من القول فانت منك مسكرة الطّلا
 لما قال في عصر تقدّم أو خلا^(١)
 وتحسبه عقداً عليك مفصلاً^(٢)
 فناهيك من مولى به قد تطوّلا^(٣)
 فتمّ عَداً حين جاء تَكْلاً^(٤)
 يفوق بها فوق السماكين منزلاً
 ويكفيه هذا للعالي توسّلاً

وكتب هو إليّ من صفد وأنا مقيم بالديار المصرية بعد ما خرج إليها في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وقد ظنّ أن لي في خروجه مدخلاً ، وعِلْمُ الله تعالى كافٍ :

إنْ كَانَ ظَنُّكَ أَنِّي لَكَ ظَالِمٌ
 حُسْبُ الْمَسِيءِ مِنَ الْقِصَاصِ بَأَنَّهُ
 كم قد حرصتُ على التَّنَصُّلِ عِنْدَمَا
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي عَـــــــاذِرٌ
 هَاقِذٌ جَرَى لِي مَا جَرَى لَكَ قَبْلَهَا
 إنْ صَحَّ لِي فِيهَا عَلَيْكَ جَنَایَةٌ

فأرحم لأنّ تُسمى لأنك راحم
 جَرَحٌ يُجْرَحُ وَالسَّعِيدُ مُسَالِمٌ
 وقع العتابُ فأقال الحاكم
 واللّهُ عَنِي بِالْبَرَاءَةِ عَالِمٌ^(٥)
 ووقعتُ في صَفْدٍ وَأَنْفِي رَاغِمٌ
 فجزأوها هذا العقاب اللازم

(١) (أ) ، (ق) : « عاين حسنه » .

(٢) في الأصل : « عقداً إليك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « بذاك تطوّلا » .

(٤) البيت من (أ) ، (ق) .

(٥) في الوافي : « واللّهُ مِنِّي » .

فالقنع به واذكر قديم مودتي
 أو لم يكن ذنبٌ وحالي ماترى
 فلقد تأتّى ماتريد فوالني
 جار الزمان على وليك واعتدى
 من كان ليس بنادمٍ مستدرك
 كانت هناة وانقضت ومن الذي
 إنّ الذي قَسَمَ الحظوظ كما يشا
 قلّ وكثر ليس تبقى حالة
 يامن له أخلصتُ كنّ لي مخلصاً
 أعلنتُ بالشكوى لضرّ مسني
 ولك السيادة خلة ومكارم الـ
 فاقبل أخوتي الجديدة إنني
 وإلى الرضى عُدّ بي وللحسن أعدّ
 والبس رياستك السنية حلّة
 واجعل لها شكراً إقالة عثرة
 أنت الخليل بل الخلي من الهوى
 فأعِنْ أخاك بحسن سَعْيِكَ مرّة

فالعهد فيما بيننا متقادم
 فأمُدّد إليّ يداً وجاهك قائم
 منك الجميل فإنّه لك دائم
 وإليك للزمن الألدّ يخاصم
 فأنا عليك إلى مماتي نادم
 منا وليس له تُعَدُّ جرائم
 للرزق ما بين البرايا قاسم
 والدهر بين الناس بان هادم
 فعلى مجازينا كلانا قادم
 لكنّ وُدّي في الحقيقة سالم
 أخلاق منها في يديك خواتم^(١)
 فيها لمجدك أو لودك خادم
 حتى تقوم على الصفاء علائم
 أبداً لها من نسج سعدك راقم
 من صاحب قد صدّ عنه العالم
 وأخوتي قد جرّها لك آدم
 إنّ المغارم في الإخاء مغانم

قلت : الأجوبة التي تقدمت أصلحتُ أنا فيها أماكن حتى رقت ولطفت ، وأمّا هذه الأبيات المميّة فهي شعره على صرافته لم^(٢) أغَيّر منها شيئاً ، وهي بخط يده في (التاريخ الكبير) في ترجمته .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « حلية ومكارم » ، وهي أشبه .

(٢) في الأصل : « لو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يَا مَنْ تَعَرَّضَنِي وَقَلْبِي سَالِمٌ
أَتُظَنُّ أَنِّي فَهْتُ فِيكَ بِلَفْظَةٍ
مَا الْأَمْرُ فِيكَ كَمَا زَعَمْتَ وَإِنَّمَا
أَنْسَيْتَ أَنَّ اللَّهَ فِي أَحْكَامِهِ
فَاقْتَصَّ لِي مِنْكَ الْغَدَاةَ بِمِثْلِ مَا
كَمْ قَدْ قَطَعْتَ اللَّيْلَ مِنْكَ مَسْهُدًا
أَسْتَصْرِخُ الْأَنْصَارَ فِيكَ وَكُلَّهُمْ
وَإِذَا طَلَبْتُ الرُّوحَ مِنْ نَفْسِ الصَّبَا
فَأَقَمْتُ فِي صَفْدٍ وَدَمْعِي مُطْلَقٌ
حَتَّى إِذَا عَلِمَ الْإِلَهُ ضُرُورِي
فَأَنْبَأَ وَتَبَّ لِلَّهِ وَارِضٌ بِحُكْمِهِ
لِعَسَاكَ تَوَجَّرَ أَوْ تَرَى لَكَ مُخْلَصًا
وَاللَّهُ مَالِي فِي خُرُوجِكَ مَدْخَلٌ
فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
مَادَامَ لِي بِخِلَافٍ قَصْدُكَ شِدَّةً
أَعَزَّزْتُ عَلَيَّ بِأَنْ يَسُوءَكَ حَدِيثٌ
مَا احْتَجْتُ لِلتَّذْكَارِ مِنْكَ لِأَنِّي
فَلَا بَذَلْنَ عَلَيْكَ مَجْهُودِي إِلَى
فَتْوَحٍّ فِي الْأَشْحَارِ أَوْقَاتِ الدُّعَا
فَكَانَتْ بِي قَدْ خَلَصْتَ خُلُوصَ بَد

مِنْ إِثْمِهِ وَاللَّهُ إِنَّكَ أَثَمٌ
لَا وَالَّذِي هُوَ بِالسَّرَائِرِ عَالِمٌ
أَنْتَ أَمْرُوفِيَا أَمُّسُوكَ وَاهِمٌ
عَدْلٌ وَأَنْكَ فِي الْحَقِيقَةِ ظَالِمٌ
عَامَلْتَنِي وَاللَّهُ عَدْلٌ حَامٍ
وَالْقَلْبُ مَلْتَهَبٌ وَطَرْفِي سَاجِمٌ
فِي غَفْلَةٍ عَمَّا دَهَانِي نَائِمٌ
جَاءَتْنِي النَّسَمَاتُ وَهِيَ سَائِمٌ^(١)
حَزْنًا وَمَالِي فِي الْبَرِيَّةِ رَاحِمٌ
نَجَّى وَطَرْفَكَ بِالْغَوَايَةِ حَالِمٌ
وَاصْبِرْ فَحُكْمُ اللَّهِ أَمْرٌ لَازِمٌ
مَنْ ضَيَّقَ حَالَهُ ضَرَّهُ مُتَفَاقِمٌ
كَلَّا وَلَا طَبْعِي لَذَاكَ مَلَائِمٌ^(٢)
لِجِرَاحِ نَابِ النَّائِبَاتِ مَرَاهِمٌ
وَكَذَاكَ مَا تَخْشَاهُ مَا هُوَ دَائِمٌ
أَوْ أَنَّ أَنْفَكَ فِي الرُّزْيَةِ رَاغِمٌ
لَكَ فِي الرِّخَاءِ وَفِي الشَّقَاءِ أَقَاسِمٌ
أَنْ تَنْقُضِيَ الْبَلَوَى وَبِأَلْكَ نَاعِمٌ
إِنَّ الدُّعَاءَ لِيَدْفَعِ ذَاكَ دَعَائِمٌ
رِثْمٌ حَيْثُ سَحَابُهُ مُتَرَائِمٌ

(١) (أ) ، (ق) : « مَرَّتْ بِي النَّسَمَاتُ » .

(٢) (أ) ، (ق) : « يَلَائِمٌ » .

وصفوت كالإبريز يخرج من لظى
وأراك مسروراً ووجهك مسفر
والصبح قد أخفاه ليل عاتم
بشراً وثغرك بالأمانى باسم
وكأنما قد كان من عبث الردى
بك لم يكن ولك الزمان مالم

وكان هو قد كتب بدمشق قبل دخول الديوان كتاباً بيشارة النيل على وجه
امتحان الخاطر ، وجّهز إليّ نسخه ، وهو :

« أعز الله أنصار المقرّ ولا أخلاه من أثر رحمة يشاركه فيها الخلائق ، وينبّه
ذوي الفضائل ^(١) على التفكر في لطيف صنع الخالق ، ويدخل في شمول عمومها وعموم
شمولها الصامت والناطق ، ويدل على إقبال الرخاء دلالة البرق المستطير على النوء
الصادق :

حتى يكون مباركاً في نفسه
متقسم المعروف أحلى موقفاً
وعلى الورى في سائر الأقطار
عند النفوس من الخيال الساري
يحكيه مشبه كفه النيل الذي
أغنى الثرى عن منة الأمطار
أربى عليها لونه لما جرى
ماشانه الإرعاد بالأكدار

وهي نعمة تحدث عن عجائب بحرها على الحقيقة ولا حرج ، ويتساوى في
الانتفاع بها كل نام فضلاً عما دبّ ودّرج . لقد أبرزت كنانة أرض الله في أثوابها
القشب ، وسرى ذكرها إلى الشام المرتقب ، موسم الوسمي طليعة ^(٢) السحب تفضن ذلك
المثال الشريف الوارد بخبر وفائه القائل من سمعه : هذا عنوبة ألفاظ البستها من
حلاوة مائه ^(٣) . وإن المقياس أتى بتمام قياسه الثابت على عادة عدّانه ، ونادى وقد سقى
الأرض ^(٤) غير مفسدها بالأمان من طوفانه . وإن أراقم عذّرانه انسابت في ذلك الإقليم

(١) (أ) ، (ق) : « البصائر » .

(٢) في الأصل : « طلعة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « هذه عنوبة اكتسبتها الألفاظ من حلاوة مائه » .

(٤) (أ) ، (ق) : « البلاد » .

فابتلعت غدران أراقه ، ومحا سيَّله المتدفق معالمة المجهولة ، فاستعمل الأقلام في إثبات معالمة . وإنه أحاط بالقرى كالحاصر فَصَرَبَ بينها وبين ضائقة المَحْلِ بِسُور ، وأخذ الطُّرُقَ على السَّالِكِينَ فلا مراكب في البرِّ ولا عاصم إلاَّ الجسور^(١) . ولم تنتقض قاعدة غنائه سوى في أنه لم يترك^(٢) فارة تطوف بجدار ، إلا وهي طافية على الماء كأنها شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . على أن الله الْحَفِيَّ في هذا لطفاً [خفياً]^(٣) وما هو بالحفي ، فنَقَضَها جاء ﴿ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾^(٤) ، ونَجاةً بدنها الهالك للنبات آية المأمن . وكأني بهذا المُخْبِر عنه ، وقد بلغ الرُّبَا^(٥) من الرُّبَا : فطار النسر مبلول الجناح ، ودنا حين أطلق فركضه مَنْ مشى بالأرجل^(٦) ، لأن رَفَعَهُ مَنْ قام بالراح .

ومولانا يأخذ من هذه الأنباء^(٧) بأحسنها وكلُّها حَسَنه ، ومن هذه البشائر المنتظر قدومها بأبينها يُفَنِّئاً وكلُّها يَبِّئُه مَتَّيْمَه ، وقد علم حقَّ [نَعَمْ]^(٨) الله الشكر فيوفيها منه حقها . ويتوقع رزق بلاده من السماء [كما]^(٩) وعد ، فقد أخرج لتلك من خزائن غيِّبه رزقها ، ويوفِّر الرِّعايا من الجباية ليتوفروا على الدعاء ، ويعرفوا نزاهة هذه الدولة القاهرة عن القوة على الضعفاء .

فإن للرسوم الشريف نصٌّ على هذه الخاتمة الجليَّة ، وطهر هذه الموارد من قذى

(١) في الأصل : « في الجسور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ينزل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) سورة الأنعام : ١٥٤/٦ .

(٥) في الأصل : « الترب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والمثل المشهور : « بلغ السيل الزُّبَا » .

(٦) (أ) ، (ق) : « بالرجل » .

(٧) في الأصل : « الأشياء » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٨) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٩) زيادة من (أ) ، (ق) .

الأذى لتَنَقَّى القلوب من السَّخَط كما كانت في نفسها نَقِيَّة ، وَمَنْ وعى ^(١) فواضل هذا الكرم الطاهر فليقل : يامقيلات الجود العواثر .

والله - تعالى - يجعل مولانا من المتوكلين عليه ليزيده ^(٢) إيماناً ، ويرزقه كما رزق تلك الديار التي غدت من الظمَّ خِصاصاً ، وراحت من الرِّيِّ ^(٣) بَطاناً ، بَمَنِّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

ولَمَّا كنت أنا بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبع مئة ألزمني القاضي شهاب الدين بن ^(٤) فضل الله - رحمه الله تعالى - أن أنشئ كتاباً في المعنى ، فكتبتُ ، وبالله التوفيق :

« ضاعف الله تعالى نعمة الجَناب وَسَّرَ نَفْسَهُ بِأَنْفَسِ بُشْرَى ، وأسمعه من الهناء كُلَّ آية هي أَكْبَرُ من الأخرى ، وأقدَم عليه من المسارِّ ما يتحرَّزُ ناقله ويتحرَّى ، وساق إليه كُلَّ طليعة إذا تنفَّسَ صباحها تفرَّقَ ليلُ الهَمِّ وتفرَّى ، وأورد لديه من أنباء الخصب ما يتبرَّم به مَحَلُّ المَحَلِّ ويتبرَّأ .

هذه المكتبة إلى المجلس ^(٥) العالي تخصُّه بسلام يرقُّ كالماء انسجاماً ، ويروقُّ كالزَّهر ابتساماً ، وتتحفه ببناء جعل المسك له خِتاماً ، وضرب له على الرياض النافحة خياماً ، وتقصُّ ^(٦) عليه من نبأ النيل الذي خصَّ الله الديار المصرية بوفادة وفائه ، وأغنى قطرها عن القطر فلم تحتج إلى مدِّ كافِه وفائه ، ونزَّهه عن منَّة الغمام الذي إن

(١) (أ) ، (ق) : « دعا » .

(٢) في الأصل : « ليزيد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « بالرِّيِّ » .

(٤) (أ) ، (ق) : « أحمد بن ... » .

(٥) (أ) ، (ق) : « الجَناب » .

(٦) (ق) : « تنصَّ » .

جاد فلا بدَّ له من شهقةٍ رُعِدِه ودمعة بكائه ، فهي البلاد التي لا يذمُّ للأمطار^(١) في جَوْها
مطار ، ولا يُزَمُّ للقطار في بقعتها قطار ، ولا تُرْمَدُ الأنواء فيها عيون النّوّار ،
ولا تشيب بالثلوج فيها مفارقُ الطُّرُق ورؤوس الجبال ، ولا تبيتُ البروقُ ساهرة لمنع
العيون من تعهُّد الخيال ، ولا تُفقدُ فيها حُلَى النجوم لاندرج الليلة تحت السحب بين
اليوم وأمس ، ولا يتمسّك المساكين في شتائها^(٢) كما قيل بحبال الشمس . وأين أرض
يخمد عجاجها بالبحر العجّاج ، وتزدحم في ساحاتها أفواج الأمّواج من أرض لاتنال
السّقياء إلا بحرب لأن القطر سهام والضباب عجاج قد انعقد ، ولا يعمُّ الغيث بقاعها ،
لأن السّحب لاتراها إلا بسراج من البرق إذا اتّقد ، فلو خاصم النيل مياه الأرض
لقال : « عندي قبالة كل عين إصبع » ، ولو فاخرها لقال : أنتِ بالجبال أثقل وأنا
بالمَلَق أطبع .

والنيل له الآيات الكُبْرُ ، وفيه العجائب والعَبَر ، منها وجود الوفاء عند عدم
الصفاء ، وبلوغُ الهرم إذا احتدَّ واضطرم ، وأمنُ كل فريق إذا قُطِع الطريق ، وفرحُ
قُطّان الأوطان إذا كُسِرَ والماء - كما يقال - سلطان ، وهو أكرم منتهى ، وأشرف
منتدى ، وأعذب مُجْتَنَى ، وأعظم مجتدى . إلى غير ذلك من خصائصه وبراءته مع
الزيادة من نقائصه ، وهو أنه في ذا العالم المبارك جذب البلاد من الجذب ، وخلّصها
بذراعه ، وعصمها بخناده التي لا تُراع من تراعه ، وحصّنها بسواري الصواري تحت
قلوعه وما هي إلا عُمَد قلاعه .

وراعى الأدب بين أيدينا الشريفة في مطالعتنا^(٣) الشريفة في كل يوم بخير قاعه
في رقاعه ، حتى إذا أكمل الستة عشر ذراعا ، وأقبلت سوابق الخيرات سراعا ، وفتح

(١) في الأصل : « الأمطار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) : « ثنائها » .

(٣) (أ) ، (ق) : « بمطالعتنا » .

أبواب الرحمة بتخليقه ، وجدَّ في طلب تخليقه ، وتضرَّع بمدِّ ذراعيه إلينا ، وسَلَّم عند الوفا بأصابعه علينا ، ونشر علم ستره ، وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره .

فرسمنا بأن يخلِّق ، ويعلم تاريخ هنائه ويعلق ، فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فَرَح^(١) موجه ، ويهيل كثيب سُدَّه هول هيجه ، ودخل يدوس زرايئ الدَّور المبتوثة ، ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه ، ومرق كالسهم من قسي قناطره المنكوسة ، وعلا زيد حركته ولولاه ظهرت في باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسة ، وبشَّر « بركة الفيل » ببركة الفال ، وجعل « المجنونة » من تياره المتحدِّر في السلاسل والأغلال ، وملاً أكفَّ الرجاء بأموال الأمواه ، وازدحت في عبارة شكره أفواج^(٢) الأنفواه ، وأعلم الأقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد ، وهنأت طلائعه بالطوال التي نزلت بركاتها من الله - عز وجل - على العباد . وهذه عوائد الألطاف الإلهية بنا التي [لم نزل]^(٣) نجلس على موائدها ، ونأخذ منها ما نهبه لرعايانا من فوائدها . ويخصُّ بالشكر قوادمها فهي تدبُّ حولنا وتدرج ، وتخصُّ قوادمها^(٤) بالثناء والمدح [والحمد]^(٥) فهي تدخل إلينا وتخرج .

فليأخذ الجنب العالي حظَّه من البُشرى التي جادت بالمنِّ والمنح وانهلَّت أياديها الغدقة بالسَّح والسَّفح ، وليتلقاها^(٦) بشكر يضيء به في الدُّجا أديم الأفق ، ويتخذها عقداً يحيط به من العنق [إلى]^(٧) النطق ، وليتقدَّم الجنب العالي بأن لا يحرك الميزان

(١) في الأصل : « فوج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (ق) : « أفرأح » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « قوامها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٦) كذا في الأصول ، وللعنى على الطلب .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، وعبارتها هنا : « يحيط منه بالعنق إلى ... » .

في هذه البشرى بالجباية لسانه ، وليعط كل عامل في بلادنا المحروسة بذلك أمانه ،
وليعمل بمقتضى هذا المرسوم الشريف حتى لا يُرى في إسقاط الجباية خيانه .

والله - تعالى - يديم الجنب العالى لقصّ الأنباء الحسنة عليه ، ويمتعه بجلاء
عرائس التهاني والأفراح لديه ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكتبت أنا إلى زين الدين المذكور ، وقد أعارني نسخة (الفلك الدائر) :

فَدَيْتُ مَوْلَى خَالِنِي مُقْتَرَاً فَعَمَّنِي بِالنَّائِلِ الْغَامِرِ
لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ عَلَى قَدْرِهِ فَجَادَ لِي بِالْفَلَكَ الدَّائِرِ
فَرَاخَ وَصْفِي فِي عُلَا مَجْدِهِ مُشْتَهَرَاً كَالْمَثَلِ السَّائِرِ

وأنشدني من لفظه لنفسه في ضوء البدر بين الغصون :

نَظَرْتُ لِلشَّهْبِ وَقَدْ أَحْدَقْتُ بِالْبَدْرِ مِنْهَا فِي الدِّيَاجِي عَيُونُ^(١)
وَالرَّوْضُ يَسْتَجْلِي سَنَا نَوْرِهِ فَتَحَسَّدُ الْأَرْضُ عَلَيْهَا الْغُصُونُ
وَكَلَّمَا صَانَتْهُ أَوْرَاقُهُ نَازَعَهَا الرِّيحُ فَلَاحَ الْمَصُونُ
فَقُلْتُ حَتَّى الْبَدْرُ لَمْ تُخْلَعْ رَيْبُ اللَّيَالِي فِي السَّمَاءِ مِنْ عَيُونِ^(٢)

فقلت له : والله^(٣) حسن ، ولكن أطلت فيه النفس في أربعة أبيات ، ولو كان
ذلك في بيتين لكان أحسن . وأنشدته لنفسه في ما بعد ذلك :

كَأَنَّا الْأَغْصَانُ لَمَّا انْثَنَتْ أَمَامَ بَدْرِ التَّمِّ فِي غَيْهِهِ
بُنْتُ مَلِيكَ خَلْفَ شَبَاكِهَا تَفَرَّجَتْ مِنْهُ عَلَى مَوْكِبِهِ

(١) ، (أ) ، (ق) : « بالشهب » .

(٢) في الأصل : « تخله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) ليست في (أ) ، (ق)

وسياًتي - إن شاء الله تعالى - في ترجمة جمال الدين يوسف النابلسي الصوفي شيء من هذا المعنى ^(١) .

وأنشدته يوماً ^(٢) الأبيات التي أوردتها في ترجمة شيخنا نجم الدين حسن بن محمد خطيب صفد ، وأولها :

وَلَقَدْ ذَكَّرْتُكُمْ بِحَرْبٍ يَنْتَثِي عَنْ بَاسِهَا الْهَزَبُ الْأَغْلَبُ
فَأُنْشِدُنِي هُوَ لِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَلَقَدْ ذَكَّرْتُكَ عِنْدَمَا بَلَغَ الزُّبَا عَرَقُ الْجِيَادِ وَفَاضَ مَاءُ النَّيْلِ
وَالْبَحْرُ يَرِّ بِالْوَحُولِ وَقَدْ طَمَى بِالْبَرِّ بِحَرْفِ فَرْسَخٍ فِي مِيلِ
وَالنَّاسُ قَدْ خَاضُوا فَأَغْرَقَ بَعْضُهُمْ وَنَجَا الْقَلِيلُ بِضَجَّةٍ وَعَوِيلٍ
وَقُلُوبُهُمْ مِنْ رَوْعِهَا فِي عَمْرَةٍ وَيَطِيبُ ذَكَرُكَ بَيْنَهُمْ تَعْوِيلِي

وَلَمَّا رَسِمَ بَعُودَهُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِدَمَشَقٍ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ الْأَطْنَبِغَا
نَائِبِ دَمَشَقٍ ، كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ تَوْقِيعاً ، وَنَسَخْتُهُ :

« رَسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي لَا زَالَ يَزِيدُ الْأَوْلِيَاءَ زَيْنَا ، وَيَزِينُ الْأَكْفَاءَ بِنِ إِذَا حُلَّ
صَدْرًا كَانَ عَيْنًا ، وَيَرْتَجِعُ لِكُلِّ مُسْتَحِقٍّ مَا كَانَ لَهُ فِي ذِمَّةِ الزَّمَانِ دَيْنًا ، أَنْ يَسْتَقِرَّ
الْمَجْلِسُ الْعَالِي الزَّيْنِي فِي كَذَا ، لِأَنَّهُ الْكَاتِبُ الَّذِي دَبَّجَ الْمَهَارِقَ ، وَرَقَّمَ طُرُوسَهَا فَكَانَ لَهَا
نَظَرَاتُ الْحَدَقِ وَنَضَارَةُ الْحَدَائِقِ ، وَخَطَّ سَطُورَهَا الَّتِي إِذَا رَمَلَهَا غَدَتِ مِنَ الْحُسْنِ
كَالْزَيْجَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ ، وَصَرَّعَ بِهَا أَطْيَارَ الْمَعَانِي لِأَنَّ دَالَاتِ السُّطُورِ قَسِيَّ ، وَالنَّقْطُ
بِنَادِقٍ ، وَزَانَ أَفَاقَهَا بِنَجُومِ أَسْجَاعِهِ فَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَى دَرَجَاتِ فَصَاحَتِهَا ^(٣) لَمَّا فِيهَا مِنْ

(١) في (أ) ، (ق) .

(٢) في (أ) ، (ق) : « يوماً لنفسِي » .

(٣) في الأصل : « درجاتها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

الدقائق ، وأصدرها في الرُّوح والرُّوع « يُرَجَّى الحيا منها وتُخشى الصواعق » ^(١) ، وأودعها نفائس إنشائه فأثنى عليها أئمة البلاغة ، « ولو سكتوا أثنت حقائب الحقائق » . طالما كتب بالأبواب الشريفة تقليدا ، وجَهَّز في المهمَّات كتباً ملأت البحر حرباً والبرَّ بريداً ، ووشَّى أمثلة صدرت عنها فطارت في الآفاق ، ولكن أوثقها ^(٢) الأفهام تقييداً ، وعادَ الآن إلى الشام فنفس عنه خنَّاق الوحشة بقربه ، وتلقَّاه ^(٣) بالرحب علماً بأنه يُغني عن الكتاب بكتبه ، وأحلَّه في رتبة يشرفها ^(٤) الوليَّ بسلمه ويسوء العدوَّ بحربه ، شوقاً إلى أنس ألفه من لطفه ، وعرفه من عرفه في نفع عرفه ، فطاب به الواديان كلاهما ، وتنافسوا في أخذ حظيها من قرب ، فما تساهلا تساهماً ، فهو من القوم الذين تُسقى ^(٥) البلاد بهم وتسعد ، وإذا قُربوا من مكان تخطَّاهم السوء للأبعد ، وإذا قاموا بهم كانوا فيه أقعد ، وإذا باشروا المعالي كانوا أسعد الناس وأصعد ، وإذا كتبوا كتبوا العدا ، لأنَّ كلامهم لَمَعَ فأبرقَ وطرسهم قَعَقَ فأرعد .

فليباشر ذلك على ما عهد من أدواته الكاملة ، وكلماته التي تركت محاسن البرايا بائرة وأزاهر الخوائل خامله . والوصايا [التي تُمَلَأ] ^(٦) كثيرة ، وكَمَ شَرَع [لها] ^(٧) قرطاسه وشرعها بأقلامه ، ونضد عقودها بإحكام أحكامه ، وملا ^(٨) بجيوشها صدور مهامه . فما يُلقَى إلى بحره منها دُرّه ، ولا يذكر لطود فضله منها دُرّه ، ولا يُطلع

(١) عجز بيت للمتنبي ، صدره :

فنى كالسحاب الجون يَخشى ويُرجى

(٢) (أ) : « فأوثقها » .

(٣) في الوافي : « وتلقته » ، وكذا أثنت الضائير في الأفعال التي تلت .

(٤) في الوافي : « يَسْرِفها » .

(٥) في الوافي : « تشقى » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٨) في الأصل : « ولا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

القلم^(١) في أفق فضلٍ كله شمس من ذلك بَدْرُه ، ولا يَدُلُّ مثله على صواب ، فقبیح بالعوان أن تعلّم الحِمْره^(٢) ، ولكن لا بدَّ للقلم من لفتةٍ جيد ، وفتةٍ نفث تكون كالحال في الوجنة^(٣) ذات التوريد .

وهي الذكري بتقوى الله تعالى التي من عدمها فقد باء بخسران متين^(٤) ، ومن لزمها فقد جاء بسلطان مبين .

والله يتولّى رفعة مجده وسعة رِفده . والخط الكريم أعلاه حجة بالعمل بمقتضاه . والله الموقّق بمنّه وكرمه . إن شاء الله تعالى .

وقد أوردت كثيراً من كلامه في ترجمته في التاريخ الكبير الذي أسمّيته (الوافي بالوفيات) .

١٢٦٨ - عمر بن سعد الله*

الإمام زين الدين الحزّاني الحنبلي ، المعروف بابن بُخَيْخ ، بباء موحدّة^(٥) وخاء معجمة مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وخاء ثانية .

سمع الكثير ، وحضر على الفخر^(٦) ، وكان بالفقه بصيراً ، وبالنحو خبيراً ، تخرّج بالعلامة الشيخ تقي الدين بن تيمّة وبغيره ممّن ساد بعلمه في البريّة . وناب في الحكم

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) مثل سلفت الإشارة إليه .

(٣) في الأصول : « الوجه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل : « المين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

* الوافي : ٤٨٠/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٧/١ ، والدُرر : ١٦٦/٣ ،

والشذرات : ١٦٢/٦ ، والدارس : ٧٥/٢ ، ووقع في بعض هذه المصادر : « نجيح » موضع « نجيح » .

(٥) مضمومة ، كما في الوافي .

(٦) عبارة الدارس : « حضر على أبي الحسن بن البخاري » .

لابن المنجأ ، وخلّص الحقوق ونجّى ، وكان يقول برأي الشيخ تقي الدين في المسائل التي انفرد بها ووقع له ما وقع بسببها ، ويحكم بها وتسطّر ، ويذيب بها قلوب المخالفين فتفطّر^(١) .

وكان شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - يتألم ويتأذى منه وما يتحلّم ، ولا ينفذ ما يحكم به ولا ما يراه ، ولا يصل به أسبابه ولا عراه^(٢) ، ونازعه في ذلك مرّات ولم يرجع ، وأصرّ عليها إلى أن ركب على الشّرّج .

ولم يزل على حاله إلى أن نجح الموت لابن نجيح ، وأتاه ما يأتي على الطّفيل والشيخ^(٣) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أول شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وثمانين وست مئة .

وتألم الناس له^(٤) .

وكان قد ولي مشيخة الضيائية ، وألقى فيها دروساً محرّرة ، وكان قد ناب في الحكم لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا الحنبلي بعد القاضي برهان الدين الزرعي - رحمهم الله تعالى - .

وقال يوماً قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا : إن كنت تقول^(٥) إنّ هذه الأحكام التي يحكم بها نائبك مذهب

(١) (أ) ، (ق) : « وتَفَطَّر » .

(٢) في الأصل : « ولا ما يراه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « الشيخ » ، وفي (أ) : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) في (أ) ، (ق) والوافي : « وتألم له أصحابه » .

(٥) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « تقول لي » .

الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - فأنا أنفذها ، قال : لا إلا إذا حكم بها [هذا] ^(١) حَكَمْتُ بصحتها ، وطال التنازع في ذلك ، ولم يرجع هذا ، ولا نفذ [هذا] ^(٢) له هذا حكماً .

وأظنه مات معزولاً ، والله أعلم .

وكان قد دخل في زمرة مَنْ توجَّهَ إلى غزاة ^(٣) بسبب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وحُبس وأفرج عنه ، وجاء إلى دمشق ، هذا ، على ما في ظني أو والده أو واحد من بيتهم .

أخبرني من لفظه الشيخ الإمام عز الدين حمزة بن [شيخ] ^(٤) السلامية قال : رأيته ليلة مات قبل دفنه ، فقلت له : مامت ؟ قال : بلى ، قلت : فما رأيته الله تعالى ؟ قال : بلى ، يغمى ^(٥) على الميت في النزع ، ذلك الوقت يرى الميت الله تعالى . قلت : فما قال لك ؟ قال : قال لي : أهلاً بعبدي وحببي ، أو كما قال .

١٢٦٩ - عمر بن طيدير كُكْز *

الأمير ركن الدين .

كان أحد الأمراء العشرات بدمشق ، وكان هو وأخوه علي المقدم ذكره في الحُسْنِ فَرَقَسَي سماء ونَبَرَي أفق تبراً من الظلماء ، كم زانا المواكب ، وسيراً في سوق الخيل فأشبهها الكواكب ، إلى أن اجتحف سيل المنية أخاه ، وبورك في عُمرِ عَمَر هذا وما توخاه ، فأقام بعد أخيه يطلع في أفق الملاحه ، ويسفر عن صباح الصباحه .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) كذا في الأصل و(ط) ، وفي (أ) ، (ق) : « القاهرة » ، ولعلها أشبه .

(٤) زيادة من (أ) والوافي .

(٥) في الوافي : « لَمَّا يَغْمَى » .

* الدرر : ١٦٧٣ ، ووقع في الأصل و(ط) : « ذكر » موضع « ككز » ، تحريف .

فودّع الحياة واختطفها وتناول زهرة العيش واقتطفها ، إلى أن انكدر نجمه الزاهر وتقل إلى باطن القبر حُسْنُه الظاهر^(١) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثاني شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

١٢٧٠ - عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض*

قاضي القضاة عز الدين أبو حفص المقدسي الحنبلي .

سمع من جعفر الهمداني ، والضياء محمد ، وحضر ابن اللّتي . وانتقل إلى القاهرة ، وسمع من ابن رواج ، وسبط السلفي ، وتفقه بها على شمس الدين بن العماد . وبرع وأفقي ودرّس ، وكان متأنياً^(٢) في الأحكام . وكان أبيض الرأس واللحية ، سميناً ، تام الشكل ، كامل العقل .

توفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة في شهر صفر سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

وقرأ عليه شيخنا علم الدين البرزالي (جزء الفضائري)^(٣) .

١٢٧١ - عمر بن عبد الله بن عبد الأحد**

تقي الدين أبو حفص الحرّاني الحنبلي المعروف بابن شُقَيْر ، تصغير أشقر .

(١) في الأصل : « الزاهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥٠٣/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٣٥٠/١٣ ، والشذرات : ٤٣٦/٥ .

(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « متثبتاً » .

(٣) الفضائري : هو علي بن عبد الحميد بن عبد الله . ت (٣١٣ هـ) . سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٤ .

** الدرر الكامنة ١٧٢/٣ .

سمع الكثير بنفسه ، ودار على المشايخ ، وسمع من القاسم الإربلي ، والفخر علي ، وابن شيبان ، وزينب ، وخلّق . ونسخ بعض الأجزاء ، وروى (الصحيحين) .

قال شيخنا الذهبي : سمعت منه .

وتوفي - رحمه الله تعالى ...^(١) - سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

قلت : كان شيخاً فاضلاً ديناً صيناً مشهوراً .

١٢٧٢ - عمر بن عبد الرحمن بن أحمد**

قاضي القضاة إمام الدين أبو المعالي القزويني الشافعي ، قاضي القضاة بدمشق ، ابن القاضي سعد الدين ، ابن القاضي إمام الدين . وهو أخو قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسيأتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في الحمددين .

كان المذكور تام الشكل سمينا ، جميل الوجه وسياً مبيناً . أخلاقه لطيفه ، وحركاته ظريفه . يتواضع لمن يلقاه ، ويتنازل وهو في أعلى مرقاه ، عقله جيّد إلى الغاية ، ونبله متصل بالنهاية . بارع الفضيله ، فارع الهضبة التي سمت عن كل رذيله .

ساس الناس سياسةً ملكَ بها قلوبهم ، وسترَ عيوبهم ، وتعمّد بحلمه خطاهم وذنوبهم . أحسن مداراتهم ، وأمنهم في أماكنهم وداراتهم ، ولَمَّا بلغه خبر التّتار في نوبة غازان ، انجفل مع الناس إلى القاهرة ، ورأى الناس منه عياناً ما كانت تأتيهم به أنباءه السائرة . فما أقام بها غير أسبوع واحد ، حتى لَحَدَه اللاحد .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة . وولد بتبريز سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

(١) فراغ في الأصول ، وفي الدرر « في جمادى الآخرة » .

* العبر ٤٠٢/٥ - الإعدام ٢٩٢ - النجوم الزاهرة ١٨٥/٨ - شذرات الذهب ٤٥٤/٥ .

واشتغل في العجم والروم ، وقدم دمشق في الدولة الأشرفية ، هو وأخوه جلال الدين ، فأكرم مؤرّده لرئاسته وفضله وعلمه وعقله . ودّرّس بعدّة مدارس ، وولي القضاء بدمشق في أول دولة لاجين سنة ست وتسعين وست مئة ، وصّرف قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، فأحسن إلى الناس وداراهم ، وكان خروجه من دمشق في الجفل في مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ، وتوفي بالقاهرة [رحمه الله تعالى ، وخرج بجنائزه خلق كثير من الأعيان . وكان ينتسب إلى أبي ذؤف العجلي ، وفيه يقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، رحمه الله تعالى :

انتسب القاضي إلى قاسم فصلّقوا كلوتة الرّجل
العجل من ثور يرى دائماً وما رأينا الشور من عجل

وكان القاضي إمام الدين - رحمه الله تعالى - فاضلاً في الأصول والخلاف والمنطق ، وشرح (مختصر) ابن الحاجب ^(١) .

١٢٧٣ - عمر بن عبد الرحيم بن يحيى *

ابن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد ^(٢) الله بن الحسن القرشي الزّهري النابلسي ، القاضي عماد الدين أبو حفص قاضي القدس وخطيبه .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل بدمشق مدة ، وأقام بها ، ثم انتقل إلى نابلس ، وأذن له هناك بالإفتاء ، ورُتّب له هناك ^(٣) على ذلك معلوم مدّة سنين ، ثم إنه تولى خطابة القدس [وأقام هناك مدّة ، وفي أواخر عمره ولي قضاء نابلس مع استمرار الخطابة بالقدس عليه وعلى ولده ، ثم إنّه نُقِلَ إلى قضاء القدس] ^(٤) ، وبقي على ذلك أشهراً .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥٠٦/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٦٧/١٤ ، والدُرر : ١٦٩/٣ ، والشذرات : ١٠٨/٦ .

(٢) (أ) ، (ق) : « عبيد » .

(٣) ليست في (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

ثم مات - رحمه الله تعالى - في ليلة الثلاثاء عاشر المحرم سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وسمع من عمه - رحمه الله تعالى - الخطيب قطب الدين عبد المنعم خطيب القدس^(١) ، وروى عنه .

وكان سريع الحفظ ، سريع الكتابة ، ولم أرنا في الأئمة من يقرأ في الحراب أردأ من قراءته . ولما زار الشيخ كال الدين محمد بن الزملاكاني - رحمه الله تعالى - القدس صلى خلفه ، ولما فرغ قال له : اقعد اقرأ الفاتحة ، فقرأها [عليه]^(٢) وصحها ، ولما صلى به الصلاة الأخرى قرأها أردأ من الأولى^(٣) ، فقال الشيخ : ما في يدي حيلة .

وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيوش كثير الاعتناء به ، فلذلك جمع له بين الخطابة والقضاء ، وكان قد زوج ابنه الخطيب شمس الدين بابنة قاضي القضاة شرف الدين النهاوندي قاضي صفد .

وتوفي الخطيب عماد الدين - رحمه الله تعالى - وله من العمر أربع وستون سنة . وله (شرح) جمعه له - (صحيح مسلم) .

١٢٧٤ - عمر بن عبد العزيز بن الحسن *

الصاحب فخر الدين بن الخليلي الداري .

كان من الفضلاء الوزراء النبلاء ، أحسن إلى الناس في وزارته ، وكل خير نجده إلى اليوم مكتوب على توقيع يشارته . قرّر في مباشرته للفقراء جملة رواتب ، ولم

(١) (ت ٦٨٧) ، الإعلام : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٧٧/٧ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « أرذل من الأول » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥١٤/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٦ ، والدُّرر : ١٧٠/٣ ، والشُّدرات : ٢٨/٦ .

يُخَشَّ في ذلك العواقب^(١) ولا العواتب ، وفاز إلى يوم القيامة بذكرها ، وحاز محاسن حمدتها وشكرها . غُزِلَ منها مرات ، وقد حَصَلَ^(٢) له فيها مبرات ، وعاد إليها عَوْدَ البدر إلى منازل صعوده ، والهلل إلى مراقي صعوده . وشكر الناس أيامه ، وأطلق بالجلود أعلامه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء الأجل وزار الوزير ، وصار من رحمة ربّه إلى خير مصير .

وتوفي - رحمه الله تعالى - معزولاً يوم عيد الفطر سنة إحدى عشرة وسبع مئة عن اثنتين وسبعين سنة .

وكان يُكْتَبَ عنه في التواقيع : « بالإشارة العالية المولوية الساجدية الوزيّية [الفخريّة]^(٣) ، سيّد العلماء والوزراء » . وهذا لم يكتب لغيره .

وروى الحديث عن المرسى .

وسمع منه ابنُ المهندس وابنُ البعلبكي وجماعة .

وكان والده مجد الدين من الصلحاء . أقام بمصر مدة ، وحضر إلى دمشق ، وكان يلوذ ببني صصرى . وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ثمانين^(٤) وست مئة .

ثم إن ولده الساجد فخر الدين لاذ ببني حنّا ، وصارت له بذلك صورة في الدول ، وتولّى نظر الصلحة ، ووزر للملك الصالح علاء الدين علي بن المنصور ، ثم إنه ولي الوزارة أيام كتبغا في يوم الثلاثاء خامس عشرين جمادى الأولى سنة أربعة وتسعين وست مئة .

(١) (أ) ، (ق) : « العواذل » .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « ثمانين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

وحضر معه إلى الشام سنة ست وتسعين وست مئة ، وصرف بعد ذلك بالأعسر في أوائل دولة لاجين في شعبان سنة ست وتسعين وست مئة . ثم أعيد للوزارة في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وست مئة ، ثم صُرف عنها في الدولة الناصرية ، ثم أعيد إلى الوزارة في ثاني عشري شوال سنة تسع وسبع مئة ، ثم صُرف .

وأول ما لبس للوزارة استحيا من صاحب تاج الدين بن حنا ، لأنه وليها عوضاً عنه ، فنزل من القلعة إلى دار الصّاحب^(١) بتشريفه ، وقبّل يده ، وقال : أنا غلامكم ومملوكم ، وخضع له خضوعاً كبيراً ، وجلس بين يديه ، فأراد صاحب جبره في ذلك الوقت ، فأخذ توقيعاً من بعض غلمانه يحتاج إلى خط الوزير ، فقدمه له ، وقال : مولانا يكتب على هذا ، فقبّله ووضعه على رأسه ، وعلم عليه . وكان هذا من الصّاحب^(٢) تاج الدين إجازة بالوزارة لابن الخليلي .

وكان السلطان الملك الناصر إذا قُدّم له توقيع^(٣) برزقة أو براتب ، وهو بإشارة الصّاحب فخر الدين ، يقول : هذا بإشارة ابن الخليلي ، والله كل هذا ما أدري^(٤) به .

وكتب إليه سراج الدين الوراق ، ومن خطه نقلت :

عَسَى خَيْرٌ مِنَ الْإِنْجَازِ شَافٍ لِمُتَبَدِّأٍ مِنَ الْوَعْدِ الْجَمِيلِ
فَعِلْمُ النَّحْوِ دَانَ لِسَيَّوِيهِ وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ مِنَ الْخَلِيلِ

وكتب إليه شمس الدين الحكيم^(٥) بن دانيال :

فَصْلُ الرَّيِّعِ بَوَجْهِهِ قَدْ أَقْبَلَا مُتَبَسِّمًا . يَبْدَأُ عِزَّ الْأَزْهَارِ

(١) في (أ) ، (ق) : « الصّاحب تاج الدين » .

(٢) (أ) ، (ق) : « فكأن هذا كان من الصّاحب » .

(٣) (أ) : « توقيعاً » .

(٤) (أ) ، (ق) : « ما كنت أدري » .

(٥) (أ) ، (ق) : « الحكيم شمس الدين » .

وَعَدَا بِهِ نَبْتَ الْخَمَائِلِ مُخْضَلَا
فَكَأَنَّهُ حَلَّى الرُّبَا أَوْ كُلَّلَا
وَالطَّيْرُ بَيْنَ رِيَاضِهِ قَدْ رَتَّلَا
شُكْرًا لِمُبْدِعِهِ تَعَالَى ذِي الْعَلَا
وَتَخَالُ هَاتِيكَ السَّحَابُ هُطَّلَا
جُودَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ الْهَامِي عَلَا
مَلِكٌ إِذَا مَا حَلَّ قَطْرًا أَمْحَلَا
وَوَزِيرُهُ الْفَخْرُ الَّذِي قَدْ خُوَّلَا
وَالدَّارُ تَمَمَّهَا لِعَزْمَعَقْلَا
فَلْيُهِنِ عَيْدُ أَتَاءِ مُقْبِلَا
لَا زَالَ مَا تَأْتِي أَخِيرًا أَوْلَا

يُحْكِي السَّمَاءَ . بِالنُّورِ وَالنُّوَارِ
إِذَا أَنْجَا . بِجَوَاهِرٍ وَنُضَارِ
مُتَرَنِّبًا . يُلْهِي عَنْ الْمَزْمَارِ
مَا أَعْظَمَا . مِنْ وَاحِدٍ قَهَّارِ
لَمَّا هَمَى . سَخَّاهَا بِقَطَارِ
مَنْ أَعْدَمَا . بِنَوَالِهِ الزَّخَّارِ
مُتَكَرِّمًا . كَالْقَطْرِ لِلْأَقْطَارِ^(١)
بِالْمُنْتَمَى . فَخَرًّا عَلَى النُّظَّارِ
أَسْنَى حِمَى . فَغَدَا تَمِيمَ الدَّارِ
جَذَلًا يَا . أَوْلَاهُ فِي الْأَمْصَارِ
مُتَنَعِمًا . مَا لَاحَ ضَوْؤُهُ نَهَارِ

وكان قد توجه يوماً شرف الدين البوصيري إلى زيارة قبر الشافعي - رضي الله عنه - فوجد صاحب فخر الدين هناك ، فقال :

زُرْتُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ وَلَمْ أَكُنْ
فَوَجَدْتُ مَوْلَانَا الْوَزِيرَ يَزُورُهُ

لَزِيَارَتِي أَبْدَأُ لَهُ بِالتَّارِكِ
فَظَفَرْتُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّ بِمَالِكِ

١٢٧٥ - عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن عتيق *

الفقيه المعمر ، قطب الدين الربيعي المالكي المعدل .

روى عن ابن المقير ، ومحيي الدين بن الجوزي .

(١) في الأصل و (ق) : « للأوطار » ، وفي (أ) : « للأوتار » ، وأثبتنا ما في (ط) .

وتوفي - رحمه الله تعالى ...^(١) سنة ثمانى عشرة وسبع مئة . وله سبع وتسعون سنة .

١٢٧٦ - عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن *

ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن هلال .

سمع من إسماعيل بن أبي اليسر ، والمؤمل بن محمد الباسي^(٢) ، ومحمد بن عبد المنعم بن القوأس ، وغيرهم .

وأجاز لي بخطه في سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادى عشر شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

١٢٧٧ - عمر بن عبد المنعم بن عمر **

ابن عبد الله بن عَدير ، الشيخ المعمر المسند ، مسند الشام ، ناصر الدين أبو حفص بن القوأس الطائي الدمشقي .

سمع حضوراً من ابن الحَرَسْتَانِي ، ومن ابن أبي لقمة ، ومن ابن^(٣) أبي نصر الشيرازي ، وكريمة . وأجاز له أبو اليَمن الكندي ، وابن الحَرَسْتَانِي ، وابن مندويه^(٤) ، وابن ملاعب ، وابن البناء ، والجَلالِي^(٥) ، وخلق كثير .

(١) ثمة فراغ بمقدار كلمتين في الأصول .

* الدرر : ١٧١/٣ .

(٢) في الأصل : « النابلسي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٥٢٠/٢٢ ، والعبر : ٢٨٨/٥ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) عبد الجليل بن مندويه الأصبهاني (ت ٦١٠ هـ) ، السير : ٢١/٢٢ .

(٥) محمد بن علي بن المبارك البغدادي (ت ٦١٢ هـ) ، الشذرات .

وحجّ ، وكان ديناً خيراً مَحِبّاً لِلْحَدِيثِ وأهله ، مليح الإصغاء ، كثير التودّد .

روى الكثير في آخر عمره . وقرأ عليه شيخنا الذهبي (المبهج في القراءات)^(١) وكتاب (السبعة) لابن مجاهد و (الكفاية في القراءات الست)^(٢) عن الكندي . وخرّج له (مشيخة) صغيرة ، وخرّج له أبو عمرو المُقاتلي (مشيخةً) بالسماع وبالإجازة ، وأكثرها عنه .

وسمع شيخنا المزني منه ، وولده ، وسمع منه شيخنا البرزالي ، وابن سامة ، والشيخ علي الموصلي ، والناقلي سبط الزين خالد ، وأبو بكر الرحي ، وأبو الفرج عبد الرحمن الحارثي ، والشمس السّراج سبط ابن الحلوانيّة ، ومحمد بن البدر بن القوّاس .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدرب محرز بدمشق يوم السبت ثاني القعدة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وست مئة .

ودفن بسفح قاسيون .

١٢٧٨ - عمر بن عبد النصير بن محمد*

ابن هاشم بن عزّ العرب القرشي السّهمي القوسي الإسكندري الأصل ، المعروف بالزاهد الحريري .

(١) اسمه بتمامه : المبهج في القراءات الثمان لسبط الحياض أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي (ت ٥٤١) ، الكشف : ١٥٨٢/٢ .

(٢) لسبط الحياض أيضاً ، الكشف : ١٤٩٩/٢ .

* الوافي : ٥٢١/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٤٣ ، والدرر : ١٧٤/٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٨/١ ، والشذرات : ٢٨/٦ .

كان من أصحاب الشيخ مجد الدين القشيري [وطلّبه] ^(١) . باشر مشاركة المدرسة النجيبية ، وكان مؤدناً ^(٢) بالمدرسة السابقية .

وسمع من ابن المقيّر ، والشيخ بهاء الدين بن الجيزي ^(٣) ، وغيرها .

وحدّث بقوص ومصر والقاهرة والإسكندرية ، وسمع منه زين الدين عمر بن الحسن بن حبيب ^(٤) ، والفقيه تاج الدين عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي ^(٥) ، وشيخنا الحافظ فتح الدّين ^(٦) ، وشهاب الدّين أحمد الهكّاري ، وشيخنا البرزالي ، ومحب الدين بن دقيق العيد ، وغيرهم . وكتب عنه شيخنا العلامة أبو حيان وغيره .

وكان شاعراً ظريفاً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالإسكندرية في منتصف المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة خمس عشرة وست مئة .

وخمس القصائد الفازازية .

أنشدني إجازة الحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

عُذِّ لِلْحَمَى وَدَعَّ الرَّسَائِلُ وَعَنِ الْأَجْبَةِ قِفْ وَسَائِلُ
وَاجْعَلْ خُضُوعَكَ وَالتَّذَلُّ لَلْفِي طِلَابِهِمْ وَسَائِلُ

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي ، والطالع .

(٢) في الوافي : « مؤدباً » . وفي الطالع : « وكان مؤدباً بها » أي بالنجيبية . والمدرسة النجيبية بناها بقوص النجيب بن هبة الله المتوفى سنة (٦٢٢ هـ) .

(٣) في الوافي والطالع : « ابن بنت الجيزي » ، وهذا هو المشهور .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) هو فتح الدين محمد بن سيد الناس . (الطالع) .

والدَّمَعَ مِنْ قَرْطِ الْبُكَ ءَ عَلَيْهِمْ جَارٍ وَسَائِلُ
وَأَسْأَلُ مَرَايِمَهُمْ فَهَنْ نَ لِكُلِّ مَخْرُومٍ وَسَائِلُ^(١)
ومن شعره :

مَالِ الْجُفَانِي جَفْتُ طَيْبَ كَرَاهَا وَاسْتَقَلْتُ بِسُهَاذٍ قَدْ بَرَاهَا
وَأَتَاخَ الْبَيْنُ لِي مِنْ بَيْنِهَا عَبْرَاتٍ عَبَّرْتُ عَمَّا وَرَاهَا^(٢)
ومنه :

لَسْتُ مِمَّنْ يَزُورُ مَنْ يَزْدَرِيهِ فَيُلَاقِي مَذْلَّةً وَاحْتِقَارَا
وَهُوَ عِنْدِي أَرَاهُ بَيْنَ الْبَرَايَا كَهَبَاءٍ فِي عَاصِفِ الرِّيحِ طَارَا

١٢٧٩ - عمر بن عبد الله بن أبي عمر*

المقدسي .

أجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

وكان قد حضر على ابن عبد الدائم ، وسمع من الشيخ شمس الدين عبد الرحمن^(٣) بن أبي عمر ، وفاطمة بنت الملك المحسن أحمد بن أيوب^(٤) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بن قدامة .

(١) الأبيات في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « وأباح السري ... » .

* الدرر : ١٧٤/٣ ، وفيه : « ابن عبيد الله » .

(٣) في الأصل : « عبد الرحيم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) توفيت سنة (٦٧٨) ، العبر : ٢٢١/٥ .

١٢٨٠ - عمر بن عبد الوهاب بن ذؤيب*

القاضي الفقيه العالم نجم الدين بن شرف الدين الأسدي الشُّهبي .

كان قاضياً بشُهبة والسويدا نحواً من أربعين سنة . [وحجّ]^(١) . وكان حسن الهيئة .

سمع مع أخيه من الشيخ شمس الدين [بن]^(٢) أبي عُمر ، وعرض (التنبيه) على الشيخ تاج الدين الفزاري .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

عمر بن علي**

الإمام أبو علي قاضي الجماعة بتونس ، الهواري التونسي المالكي .

كان في مذهب مالك - رضي الله عنه - رأساً ، لا يرى أحدًا من الأفاضل به بأساً ، عديم النظر في فنّه ، ماله مشابة في استحضاره وحِدّة ذهنه . له تصانيف وتلامذة كبار ، ومريدون يودّون من محبته أن لا يطير عليه غبار .

ومَن أخذ عنه الإمام برهان الدين السفاقسي ، كان في تعظيمه مبالغاً ، وفي دم من ذمّه أو ادّعى باطلاً وإلغاً .

ولم يزل على حاله إلى أن انهار جُرف الهواري ، وعدمه المُجاري والمُباري .

* الدرر : ١٧٤/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) : زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٧٩/٣ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم عرفة سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، بعد أن نزل من عند السلطان .

وكان ذا عبادة وتقشف ، وكان قد تفقه بأبي محمد^(١) الزواوي ، وعاش بضعاً وثمانين سنة .

١٢٨٢ - عمر بن علي بن سالم بن صدقة*

تاج الدين أبو حفص اللّخمي الإسكندري المالكي ، المعروف بابن الفاكحاني .

كان شيخاً فقيهاً مالكيّاً [نحوياً]^(٢) ، له ديانةٌ وتصوّنٌ ومصنّفات . قدم دمشق في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، بعد زيارته القدس ، وتوجّه منها إلى الحجاز ، وحجّ ثلاث مرات .

وسمع (الترمذي) و (الشّفا) على ابن طرخان ، وقرأ القرآن على المكين الأسمر ، وحضر دروس ابن المنير ، وأقام بمصر سنين ، ثم عاد إلى بلده .

وتوفي في العشر الأول من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وشرح (العمدة في الأحكام) ، وله (مقدّمة) في النحو^(٣) ، وله نظم ونثر .

١٢٨٣ - عمر بن عوض**

ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب ، قطب الدين الشارعي ، المعروف بابن قليلة ، تصغير قلّة .

(١) في الأصل والدرر : « أحمد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عبد السلام بن علي بن عمر المالكي (ت ٦٨١) .

* الدرر : ١٧٨/٣ ، والبغية : ٢٢١/٢ ، والشذرات : ٩٦/٦ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) سمّاه أصحاب ترجمته : « الإشارة في النحو » ، وانظر الكشف : ٩٨/١ .

** فوات الوفيات : ١٣٧/٣ ، والدرر : ١٨١/٣ .

أخبرني الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه ، قال : حَدَّثَ المذكور عن حاتم بن العفيف وغيره ^(١) .

ومن شعره ^(٢) :

أَلَا يَسَارِيَاءُ فِي بَطْنِ قَفْرِ لَيَقْطَعَ فِي الْفَلَا وَغَرًّا وَسَهْلًا
بَلَغْتَ تَقَا الْمَشِيبِ وَبُنْتَ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ النَّقَا إِلَّا الْمُصَلَّى

ومنه :

عَزَمْتُ عَلَى تَزْوِيجِ بَكْرِ مُدَامَةٍ بَاءِ قَرَّاحٍ وَاللَّيَالِي تُسَاعِدُ
فَأْمَهْرُتُهَا دُرُّ الْحَبَابِ وَإِنَّهُ إِذَا جَلَيْتُ لَيْلًا عَلَيْهَا قَلَائِدُ
وَجَاءَتْ رِيَّاحِينَ الْبَسَاتِينَ عَرَفْتُ فَطَابَتْ بِذَاكَ النَّفْسُ وَاللَّوْزُ عَاقِدُ
وَكَانَ حُضُورُ النَّبِقِ فَلَا مَهْنًا لَنَا بِالْبَقَا فِي الْعَقْدِ وَالْوَرْدُ شَاهِدُ

١٢٨٤ - عمر بن عيسى بن نصر*

ابن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن حسن بن حسين ^(٣) التيمي ، بحير الدين بن اللمطي ، بلام وميم ساكنة وطاء مهملة .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين أبو حيان - رحمه الله تعالى - قال : رأيته بقوص ، وكتبت عنه شيئاً من شعره ، ثم إنه قدم علينا القاهرة ، وسكنها أيام كان أبو الفتح بن المطيع ^(٤) قاضياً ، واشتغل عنده في أوقاف ^(٥) .

(١) لم تذكر سنة وفاته في مصادر ترجمته .

(٢) الأبيات في الفوات بألفاظ مختلفة ، وذكرتم أنها تنسب أيضاً إلى ابن خلكان ، وكذا هي في الدرر .

* فوات الوفيات : ١٣٨٣ ، والطالع السعيد : ٤٤٨ .

(٣) كررها الناسخ سهواً .

(٤) هو تقي الدين بن دقيق العيد .

(٥) في الفوات : « أوقاف » .

وكان قد نظر في العربية على أبي الطيب السبتي^(١) ، قدم عليهم قوص ، وكان من تلاميذ شيخنا أبي الحسين بن أبي الربيع .

وأنشدني لنفسه بمدرسة الأفرم سنة ثمانين وست مئة^(٢) :

أبى الدَّمْعُ إِلَّا أَنْ يَفِيزَ وَأَنْ يَجْرِيَ
وَمَالِي إِنْ كَفَكْتُ مَاءَ مَحَاجِرِي
أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَا اشْتِيَاقٌ لِذِكْرِهِمْ
لَمَّا شَاقَّنِي نَظْمُ الْقَرِيضِ وَلَا صَبَا
وَكَانَ لِمِثْلِي عَنْ أَفْئَانِينَ مَنْطِقِي
قَالَ : وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

جَفَنُ قَرِيحٍ بِالْبُكَاءِ مُوَكَّلُ
وَجَوَانِحُ مَنِي عَلَى شَحْطِ النَّوَى
عَجَبًا لِحُكْمِ الْحَبِّ فِيَّ فَلَيْتَنِي
إِنِّي وَإِنْ أَمْسَى يُحْمَلْنِي الْمَوَى
فَلَقَدْ حَلَّتْ مِنْهُ مَرَارَاتُ الْجَوَى
لَا يَطْمَعُ اللَّوَامُ فِي تَرْكِ الْمَوَى
لَهْفِي عَلَى زَمَنِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
مَا كَانَ أَهْنَا الْعِيشَ مِنْهُ فَلَيْتَنِي

فَعَلْتُ بِهِ الْعِبْرَاتُ مَا لَا يُفْعَلُ
أَضَحَتْ تَمَزَّقُ فِي الْمَوَى وَتَوَصَّلُ
يَوْمًا يَجُورُ بِهِ وَيَوْمًا يَعْدِلُ
مِنْ ثِقَلِهِ فِي الْحَبِّ مَا لَا يُحْمَلُ
عِنْدِي وَخَفَّ لَدَيَّ مَا يَسْتَشْقِلُ^(٣)
إِنْ كَثُرُوا فِي لَوْمِهِمْ أَوْ قَلَّلُوا
وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَوَجْدِي مُقْبِلُ^(٤)
لُودَامَ مِنْهُ رَيْثًا أَتَأْمَلُ

(١) هو محمد بن إبراهيم بن محمد ، ت (٦٩٥ هـ) . (الطالع السعيد : ٤٧٧) .

(٢) الأبيات بتمامها في الطالع السعيد .

(٣) اضطراب الناسخ في هذا البيت والأبيات الآتية ، فحذف بعض الأشرطة ، وجعل صدور بعضها لأعجاز غيرها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .

(٤) في الفوات : « وجدي » .

ومنه :

وَزَهَّدَنِي فِي الْخِلِّ أَنْ وِدَادَهُ لِرَهْبَةٍ جَاءِ أَوْ لِرَغْبَةٍ مَالٍ
فَأَصْبَحْتُ لَا أُرْتَاحُ مِنْهُ لِرُؤْيَا وَلَا أُرْتَجِي نَفْعاً لِدِيهِ بِحَالٍ

قلت^(١) : ولما توفي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد - رحمه الله تعالى - ترك مالاؤه من نظر ربيع الأيتام ، وتوجّه إلى قوص ، وأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . وله من العمر ثلاث وثمانون سنة . ويحكى عنه أنه كان صحيح الودّ ، حافظاً للعهد ، حسن الصحبة .

١٢٨٥ - عمر بن عيسى بن مسعود*

الفقيه العالم المالكي ، سراج الدين أبو عمر بن القاضي العلامة شرف الدين الزواوي .

ازنحل وأخذ عن زينب الكمالية وعدّة ، وقرأ (سنن أبي داود) وغير ذلك . وكان شاباً فاضلاً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة عن إحدى وعشرين سنة .

١٢٨٦ - عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم**

ابن أبي الطيّب العجلي ، نجم الدين الشافعي ، وكيل بيت المال بدمشق .

(١) (أ) ، (ق) : « قلت أنا » ، والكلام الآتي ساقه صاحب الفوات بتمامه بلا عزو . وهو بمعناه في الطالع السعيد .

* لم نقف على ترجمة له . ووقع في الأصل ، و (أ) ، و (ق) : « عمر بن موسى » ، وهو سهو ؛ لأنّ اسم أبيه شرف الدين الزواوي ، كما سيأتي هو : عيسى بن مسعود ، وستأتي ترجمته في موضعه .

** تالي وفيات الأعيان : ١٢٣ ، والدرر : ١٨٢/٣ .

كان نجم الدين ذا مروءة وافرّه ، وأخلاق على المكارم متضافره . اختصّ بنادمة الأمير عز الدين أيبك الحموي ، نائب قلعة^(١) دمشق ، ومجالسته ، وتألّف ذاك بمحادثته ومؤانسته .

وكان يجري بينه وبين شمس الدين بن غانم أنواع من المهاتره ، وعجائب من المشاحنة والمشاجره . وتبدو منها^(٢) أفانين الهزل والجون ، والتناديب التي هي أشهى من معاطاة ابنة الزرجون .

وجمع بين الوكالة ونظر الخزانة والبيارستان ، ومضت أوقاته بخير في أيام الأفرم ، فما انتقل من الروضة إلا إلى البستان .

ولم يزل على حاله إلى أن تحبّث الوقت على ابن أبي الطيّب ، وأصابه من وابل الوبال صيّب .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامش عشر جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة .

قال لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله : بيت أبي الطيّب بيت قديم بدمشق ، من بيوت التشيع ، وكان منهم جلال الدولة بن أبي الطيّب نائباً عن الدولة الفاطمية . ويقال إن أبا الطيب كان رجلاً فارسياً ، قدم دمشق في خلافة يزيد بن معاوية ، ولَمّا طيف برأس الحسين بن علي - رضي الله عنها - وتغيّر ريحه ، اشترى له طبيباً بمئة دينار ، وطيبّه به . ثم كان من ولده من يكتب إلى الشيعة بخراسان بأخبار بني أمية ، ويكتني عن نفسه بابن أبي الطيّب ، إشارة إلى تطيب أبيه رأس الحسين ، فلما ظهرت الشيعة الخراسانية ، أظهروا كنايتهم هذه ، فعرفوا بها . ولهم وقف قديم بدمشق ، لا يَسمَن ولا يغني من جوع .

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وتبدو منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ولَمَّا وقعت الكائنة للقاضي محي الدين بن الزكي^(١) ، كان نجم الدين هذا من أصدقائه فتعلّق بالمنصور صاحب حماة ، وتسيّج بخدمته . وكان ناظر ديوانه بدمشق في أيام الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري . وصارت له وجاهة ، [ثم^(٢)] إنه اختص بالحموي وبعده بالأفرم .

ولَمَّا مات خلّف مالا ، أنفقته زوجته على عوالم النساء وزواكرة^(٣) الفقراء ، وسيأتي ذكر ولده القاضي نجم الدين بن أبي الطيب في الحمّدين .

١٢٨٧ - عمر بن كثير بن ضوء بن كثير*

الشيخ الخطيب بالقرية من عمل بُصْرَى .

قال شيخنا البرزالي : كان فاضلاً لغوياً شاعراً ، كتبنا عنه هناك من شعره بحضرة الشيخ تاج الدين^(٤) .

توفي - رحمه الله تعالى - في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبع مئة .

١٢٨٨ - عمر بن محمد بن عمر**

ابن خواجا إمام ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، الشيخ الجليل الفاضل شرف الدين الفارسي الأصل ، الدمشقي ، الشاهد ، أظنه المعروف بالياغرت ، يباء آخر الحروف وألف وغين معجمة وراء ساكنة وتاء ثالثة الحروف .

(١) في الأصل : « التركي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والدرر .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) كذا ، ولم نتبيّن مراده .

* الدرر : ١٨٥/٣ ، والشذرات : ٩/٦ .

(٤) الفزاري ، كما في الدرر .

** البداية والنهاية : ٢١/١٤ ، والدرر : ١٨٩/٣ ، والدارس : ٢٧٠/١ .

سمع في شببته فخر الدين بن الشُّرْجِي ، وسراج الدين بن الزبيدي ، وابن اللَّتِي .

وكان يكتب المصاحف والعمر وَيُذَهِّبُهَا^(١) ، ورأيت أنا بخطه ختمات .

سمع شيخنا الذهبي منه (مشيخته) .

ومُتَّع شرف الدين بجواسه إلى أن مات - رحمه الله تعالى - سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة ، ومُتَّع بجواسه وكتابته .

وتوفي والده ضياء الدين سنة خمس وستين وست مئة .

١٢٨٩ - عمر بن محمد بن يحيى بن عثمان*

القرشي العُتْبِي الإسكندراني ، ركن الدين أبو حفص ، الشيخ الفقيه المسند المعروف بابن جابي الأحباس .

سمع من سبط السلفي (جزء الدعاء) للحاملي ، و (جزء ابن عَيْنَة) ، وكتاب (التَّوَكُّل) لابن أبي الدنيا ، و (مشيخة) السبط ، وتفرد في وقته ، وكان من الشهود .

وكتب عنه أشياخنا : العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والحافظان فتح الدين والذهبي ، وألْحَلِي ، وعدة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالثغر...^(٢) سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

(١) في الأصل : « ويدهنها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩١/٣ ، والشذرات : ٦٤/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .

(٢) ثمة بياض في الأصول ، وفي الدرر وذيول العبر أنه توفي في صفر .

١٢٩٠ - عمر بن محمد بن سليمان*

الدمايني ، نجم الدين .

سمع وحدّث بالإسكندرية ، وسمع منه أبو الفتح محمد الدشناوي^(١) ، ويوسف بن أحمد بن محمد السكندري^(٢) .

عُرف بابن غنّوم ، وكان من تجّار الكارم ، وكان رئيساً وله مكارم .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - بالإسكندرية سنة سبع وسبع مئة .

نزل عنده بعض الأفاضل فأكرمه ، فكتب على بابه لما ارتحل :

نَزَلْتُ بِدَارِ نَجْمٍ فَاقَ بَدْرًا أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ وَجَاهَهُ
فَأَعَذَبَ مَوْرِدِي وَأَطَابَ نُزْلِي وَأَهْدَتْ لِي رِيَاسَتَهُ وَجَاهَهُ

١٢٩١ - عمر بن محمد بن عثمان**

ابن أبي الرجا بن أبي الزهر ، القاضي الصدر تقي الدين بن صاحب شمس الدين بن السلوس .

كان صاحب الديوان بدمشق ، فطلبه السلطان إلى مصر ، وولّاه نظر الدولة ، شريكاً للقاضي علم الدين إبراهيم بن تاج الدين إسحاق . وكان يعظّمه ويكرمه .

وكان قد سمع في صغره من الفاروئي ، وحج سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وكان قد باشر شغله بقلعة الجبل يوم الخميس قبل موته بيوم ، ودخل إلى السلطان

* الدرر : ١٨٦/٣ ، وبدائع الزهور : ٤٤٥/١/١ .

(١) (أ) ، (ق) : « ابن الدشناوي » ، وهو محمد بن أحد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

** الدرر : ١٨٨/٣ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ .

وخرج ، فاضطرب وتغيّرت حاله ، وعجز عن الركوب إلى بيته إلا في محفّة ، وانقطع يوماً^(١) ، ولم يسمع منه إلا : أنا ميّت لا غير .

وتوفي يوم السبت بكرة حادي عشري القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ، وولي مكانه القاضي شهاب الدين بن الأفهسي .

وكان قد باشر بدمشق عدة ولايات . وكان تنكز يمزح معه ويُقرّبهُ .

١٢٩٢ - عمر بن محمد بن عمر بن محمد*

القاضي كمال الدين بن الخطيب شرف الدين بن الشيخ الخطيب كمال الدين المعري^(٢) الأصل ، العجلوني ، قاضي غزة .

اشتغل بدمشق على الشيخ برهان الدين^(٣) ، وولي القضاء في عدّة أماكن ، وكان قبل موته بقليل عيّن لقضاء الكرك ، فأدركه أجله .

سمع كمال الدين من^(٤) الأبرقوهي ، وحدث عنه بدمشق ، وسمع بدمشق من ابن القوّاس .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سابع عشر المحرم بغزة^(٥) سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

(١) في (أ) ، (ق) : « يوماً واحداً » .

* الدرر : ١٩٠/٣ .

(٢) كذا في الأصل و (ط) والدرر . وفي (أ) ، (ق) : « المغربي » .

(٣) ابن الفركاح ، كما في الدرر .

(٤) في الأصل : « سمع من كمال الدين بن » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وأبو المعالي

أحمد بن إسحاق الأبرقوهي ، توفي سنة (٧٠١ هـ) . (ذيول العبر : ١٨) .

(٥) في الدرر : « بمعرّة » .

١٢٩٣ - عمر بن محمد بن عمر*

ابن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي الحلبي الحنفي ، قاضي القضاة ، نجم الدين أبو القاسم الحاكم بحماة ، ابن الصاحب جمال الدين^(١) أبي غانم ابن الصاحب الكبير كمال الدين أبي القاسم .

سمع من الأبرقوهي^(٢) ، وحدث عنه^(٣) ، وحجّ سنة سبع عشرة وسبع مئة .

كان حسن الشكّال ، كأن وجهه تحت عَمَتِه بدرّ في هاله ، دائم البشر ، عَطِر النَّشْر ، كَرِيمُ الْمَلَقَى لمن يحضر إليه ، لَيِّن الجانب للخصم إذا وقف بين يديه ، لم يشتم أحداً مُدَّة ولايته ، ولا خاطب أحداً بما لا يليق لكرم^(٤) أصالته ، مجموع الفضائل ، مطبوع الكرم والشّمال ، يعرف من العقليات جَمَله ، وعنده من الأدب علماً وعملاً ما هو على الشرعيّات فضله ، قد فضَّ له فَضُّله ختام كل فنّ ، وبَلَّ له وبَلُّه رياض ما شرد من النكت وعَنّ ، وخطَّه عقود العقول وفصوص الفصول ، يحكي البَرْد إذا حُبك ، والذهب إذا سُبَّك . ونظمه أرق من شكوى الحب إلى الحبيب ، وألذّ عند المتيم من غَفْلَة^(٥) الرقيب القريب .

وكان الملك المؤيّد يعظّمه ويثني على فضائله ويتعجب لذهنه إذا تصرّف في مسائله .

* تاريخ أبي الفداء : ١١٠/٤ ، والدرر : ١٨٩/٣ .

(١) في تاريخ أبي الفداء : « كمال الدين » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « بالقاهرة » زيادة هنا .

(٣) ليست في (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (ق) : « من كرم » .

(٥) في الأصل : « عقله » .

اجتمعت به فخلبتني عبارته ، وسلبتني حركته وإشارته . ورأيت منه سيادة
تعرب عن كمال ذاته ، ورئاسة تَفْضي^(١) بغريب صفاته :

ويفتر منه عَنْ خِصَالٍ كَانَهَا ثَنَايَا حَبِيبٍ لَا يَمَلُّ لَهَا رَشْفُ
وفارقتهُ والتلفتُ إليه يُثْنِي دائماً عنقي ، والشوقُ تُضرمه لواعج قلقي .

ولم يزل بحمة والناس به مغتبطون ، وعلى إحسانه وبرّه مرتبطون ، إلى أن بقرته
أجله في أشده ، وحلَّ أنسه من الوجود بعد شدّه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الجمعة الخامس والعشرين من صفر سنة
أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بعد صلاة الجمعة بمقبرة أقاربه قبلي البلد .

ومولده يوم الثلاثاء سابع عشري شهر رمضان سنة تسع وثمانين وست مئة .

وتولَّى الحكم بحمة من سنة إحدى وعشرين^(٢) وسبع مئة إلى أن مات - رحمه الله
تعالى - .

وكان ليّن الجانب ، كثير المروءة ، ما قصده أحد في شيء وخيَّبه . ولم يحفظ أهل
حماة عنه أنه سبَّ أحداً بحمة مدّة ولايته . وهو قاضي القضاة الحنفية ، ومدرّس بها ،
وكان صاحب حماة يثني عليه وعلى فضائله ، وحَصَلَ لأهل حماة على فراقه ألم شديد
وحزن عظيم ، وجنازته^(٣) حافلة إلى الغاية .

وعند مروري بحمة عائداً مِنْ حلب^(٤) سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، دخلت إليه
في تحمّل شهادة عليه ، فرأيت منه رئاسة وحشية وسيادة ولطفاً زائداً .

(١) في (أ) ، (ق) : « تَفْضي » بالقاف .

(٢) (أ) : « وثلاثين » .

(٣) (أ) ، (ق) : « وكانت جنازته » .

(٤) في الأصل : « وعند مروري من حماة عائداً إلى حلب » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

كَأَنَّ وَجْهَ النَّهْرِ إِذْ حَفَّتْ بِهِ مِرَاةٌ غَيْدٍ قَدْ وَقَفْنَ حَوْلَهَا
أَشْجَارُهُ فَصَافَحَتْهُ الْأَغْصَنُ يَنْظُرْنَ فِيهَا أَيُّهَا أَحْسَنُ
ومن نظمه :

مَا لِلْيَالِي بِسَهْمِ الْبُعْدِ قَدْ رَشَقَتْ وَخَالَتْ فِي الَّذِي يَهْوَى وَمَا وَنِيتْ
وَأُضْرِمَتْ نَارَ حَرْبٍ مِنْ عَدَاوَتِهَا وَفَرَّقَتْ جَمْعَ شَمْلٍ كَانَ مُلْتَبِئاً
هِيَ اللَّيَالِي فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ لَهَا مِنْهَا :

أَشْكُو إِلَيْكَ غَرَاماً فِيكَ أَقْلَقْنِي وَفَرَطُ شَوْقٍ وَوَجْدٍ نَارُهُ اتَّقَدَتْ
وَلَوْعَةٌ مِنْكَ لَوْلَا النَّفْسُ وَاثِقَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا غَبَتْ يَأْمَنُ كَانَ يُؤْنِسُنِي
سِوَاكَ مَا مَرَّ فِي بَالِي وَلَا شَفَقِي فَدَتُّكَ نَفْسِي عَلَى طَوْلِ الْمَدَى وَوَقَّتْ
بَيْنَ الْأَضَالِعِ وَالْأَحْشَاءِ فَاحْتَرَقَتْ^(١) بِأَنْ تَعُودَ لَكَأَنْتَ لِلنَّوَى زَهَقَتْ
مَا أَبْصَرْتُ حُسْناً عَيْنِي وَلَا رَمَقْتُ بَغَيْرِ ذِكْرِكَ يَا أَقْصَى الْمُنَى نَطَقْتُ

١٢٩٤ - عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مَأُو

شهاب الدين الحميدي .

أنشدني شيخنا العلامة أثير الدين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أَفْدِيهِ عَطَاراً شَهِيٍّ اللَّمَى أَحْوَرَ فَتَاناً كَحُورِ الْجَنَانِ

(١) (أ) ، (ق) : « ناره وقدت » .

* الدرر : ١٩٠/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

بي عَمْرَةَ مِنْهُ فَيَا لَيْتَهُ لَوْ جَادَ لِي يَوْمًا بِمَاءِ اللِّسَانِ
قلت : ذكرت ^(١) هنا ما قلته في عطار :

كَلِفْتُ بَعْطَارَ حَكِي الْبَدَرِ فِي السَّنَا وَظَبِي الْفَلَا فِي جِيدِهِ وَنِفَارِهِ
دَوَا أَلْمَى الْوَرْدَ الْمَرْبَى بِخُدِّهِ يُذَرِّ عَلَيْهِ أَنْسُونِ عِذَارِهِ
وقلت أيضاً فيه :

فَدَيْتُ عَطَّارًا غَدَا حُسْنُهُ يَقُولُ : سُبْحَانَ بَدِيعِ الصَّفَاتِ
نَهْدِي فِي صَدْرِي أَبْلُوجَةَ وَالرَّيْقُ قَطْرٌ وَعِذَارِي نَبَاتٌ
وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدني المذكور لنفسه أيضاً :

فَدَيْتُ نَشَّارًا غَدَا نَشْرُهُ أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ إِذَا فَاحَا
قَد رَاحَ مِنْ سَكْرَةِ خَمْرِ الصَّبَا كَأَنَّا قَدْ شَرِبَ الرَّاحَا
بَسِيفِ جَفْنِيهِهِ وَمِنْشَارِهِ كَمْ شَقَّ أَرْوَاحًا وَأَلْوَاحَا
قلت : ذكرت أنا ما قلته في نَجَّار :

قَدْ عَشِقْتُ النَّجَّارَ لَمَّا بَدَا لِي بِمَحْيَا قَدْ فَاقَ فِي الْحُسْنِ بَدْرًا
أَصْلُهُ طَيِّبٌ وَنَكْهَةٌ فِيهِ فَلِهَذَا [قَدْ] فَاقَ نَجْرًا وَنَشْرًا ^(٢)
وقلت أيضاً في مليح نجار :

أَحْبَبْتُ نَجَّارًا بَدِيعُ جَمَالِهِ مِنْهُ الشُّمُوسُ تَفَارُ وَالْأَقْمَارُ
فَخُرِّي بِهِ بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوا غَدَا وَحَبِيبُهُ النَّجَّارُ

(١) (أ) ، (ق) : « أنا هنا » .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) .

١٢٩٥ - عمر بن محمد بن عبد الحام*

ابن عبد الرزاق ، الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة زين الدين أبو حفص البُلْفَيَّاني ، بالباء الموحدة وبعدها لام وفاء وياء آخر الحروف وألف ممدودة ، وبُلْفَيَّا بلدة من أعمال البهنساوية .

تفقه بالقاهرة على الشيخ علم الدين العراقي ، وسمع يسيراً من الحديث على الأبرقوهي ، وعلى ابن سليمان بن القيم^(١) ، والإمام علاء الدين الباجي . وخرَّج له قاضي القضاة تاج الدين السبكي أحاديث حدَّث بها أيام تفقه عليه .

كان في الفقه إماماً ، وعلماً لا يسام رفعة ولا يُسامى ، قد تزلَّع من الفروع ، وكاد يتقدَّم على غيره من الشروع . قلَّ نظيره ، وعلا على الأطلس أثره . اعترف له بذلك فقهاء مصره ، وفضلاء عصره ، لو أنصفه ابن الرفعة لانتصَب له قائماً ، أو ابن عبد السلام لكان له مسالماً ، إلا أنه لم يكن عقُّله المعيشي طائلاً ، ولا سيَّلُ علمه في سياسة الناس سائلاً . لا جرَّم أنه عَزَلَ واختَرَم^(٢) من منصبه واختزل .

وما زال يتقلَّب^(٣) في حالِّيه مع الأيام ، ويتصرَّف بنفسِيَّه مع النقض والإبرام ، إلى أن درَج بعدما مَشَتْ حاله ، وراح إلى الله وقْدَامه عِلْمُه وأَعْمَاله .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بصفد في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة إحدى وثمانين وست مئة .

* الدرر : ١٨٦/٣ .

(١) في الأصل : « العلم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « وَقَطِيع » .

(٣) ليست في (أ) .

كان شيخنا الإمام العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي يُثني عليه ويعظمه في الفقه ، ويقول : ما رأيت أفقه نَفْساً منه . وكان المصريون يقولون : لو حلف الحالف أنه يَسْتَفِي أعلم من في القاهرة ، واستفتاه ، لم يحث .

وكان قد تولّى قضاء القضاة بحلب ، فحضر إليها في أيام الأمير سيف الدين طرغاي ، فلم تَطُل مدّته ، ولم تحسن سياسته الناس ^(١) ، فتعصّب عليه جماعة مع كاتب سرّها القاضي شهاب الدين بن القطب ، فعزّل منها بعد شهرين ثلاثة ، إلّا أنه باشرها بصلف وأمانة وعفة حتى قال فيه القاضي زين الدين ^(٢) بن الوردي - رحمه الله تعالى - :

كَانَ وَاللَّهِ غَفِيلاً نَزِيهاً وَلَهُ عِرْضٌ عَرِيضٌ مَا اتَّهَمُ
وَهُوَ لَا يَدْرِي مُدَاراةَ الْوَرَى وَمُدَاراةَ الْوَرَى أَمْرٌ مِهِم

فحضر إلى دمشق في أواخر أيام الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - ففاوضه قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى [فيه] ^(٣) - وعرفه مقداره ، فقال له : لا تقطع به ، فولّاه تدريس المدرسة النورية بمحصر ، فأقام بها مدة إلى أن ورد الأمير سيف الدين آقبا عبد الواحد ، فتعصّب عليه عنده ^(٤) حاكمها القاضي شهاب الدين البارزي ، فتركها وتوجّه إلى القاهرة ، فولّاه قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة قضاء المنوفية ، فأقام بها مدة ، وأتى إلى القاهرة ، فولّاه قاضي القضاة ^(٥) نيابة الحكم في باب الفتوح ، ثم إن السلطان ولّاه قضاء القضاة بحلب ^(٦) في أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة . ثم أبطل ذلك وولّاه قضاء صفد في أواخر صفر فيما أظن ، فأقام بها تقدير خمسين يوماً ، وتوفي في طاعون صفد - رحمه الله تعالى - .

(١) (أ) ، (ق) : « ولم يحسن سياسة الناس » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « زين الدين عمر .. » ،

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « عند » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) قوله : « قاضي القضاة » ليس في (أ) ، (ق) .

(٦) (أ) ، (ق) : « قضاء قضاة حلب » .

وكان قاضي القضاة عز الدين قد ولّاه قبل قضاء حلب الأول قضاء البهنساوية ،
وذلك في أوائل ولاية ابن جماعة .

١٢٩٦ - عمر بن محمد بن عثمان بن عبد الله*

الإمام البارع المفتنّ كال الدين أبو حفص بن شهاب الدين بن العجمي
[الحلبي]^(١) الشافعي .

سمع بحلب ومصر ودمشق ، وقرأ على شيخنا الذهبي أجزاء .
كان فاضلاً قد تفنّن ، وعالماً قد تميّز وتعيّن . شارك في العلوم ، ورقى إلى أن
استفّلت عنه النجوم . بذهنه الوقاد ، وخاطره المنقاد^(٢) :

تَعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقَهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاةِ مُكْتَحِلٌ

إلا أنه كان فيه رَهَجٌ^(٣) وطَيْشٌ ، وعدم قرارٍ على حالةٍ من العيش . يسعى ليلته
ونهاره ، ويخلب بحسن^(٤) توصله الحجاره .

وما زال إلى أن اعترضت المنايا أمانيه^(٥) ، وخانت آماله أيامه ولياليه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

* الدرر : ١٨٧/٣ ، ووقع في الأصل : « عثمان بن عبد الرحمن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وفي
الدرر : « .. عثمان بن عبيد الله بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن » . وذيول العبر : ٢٤٢ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (ق) : « النقاد » .

(٣) الرَهَج : الشغب .

(٤) في الأصل : « الحسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) (أ) ، (ق) : « على أمانيه » .

تخرَّج بالشيخ فخر^(١) الدين بن خطيب جبرين . وكنت أنا وهو تقرأ عليه بحلب سنة^(٢) أربع وعشرين وسبع مئة في المعقول والمنقول . وتخرَّج أيضاً بالشيخ كمال الدين بن الزملاكي لما كان بحلب .

وتصدَّر بحلب للإفادة وتميَّز سنة ثيِّف وسبع مئة .

أخبرني القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء بالشام قال : كان القاضي زين الدين عمر بن الوردي يقول له : والله عمرك ما تفلح ، وإن أفلحت تموت . فكان الأمر كما قال ، لأنه مات والده وورثه وتبلبل حاله ومات^(٣) .

١٢٩٧ - عمر بن محمد بن سلمان *

ابن حمائل ، جمال الدين بن غانم ، أحد الإخوة .

قال شيخنا البرزالي : سمع معنا (مسند) الإمام أحمد [على]^(٤) بن علان وغير ذلك . وكان رجلاً جيداً قليل الاختلاط بالناس متقنعاً .

توفي - رحمه الله تعالى - حادي عشر جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

تقدم ذكر إخوته أحمد وعلي وأبي بكر .

١٢٩٨ - عمر بن محمد بن عثمان **

الشيخ الإمام المجوِّد المحرِّر المتقن شيخ الكتابة في عصره ، جمال الدين الدمشقي .

(١) في الأصل : « فتح » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عثمان بن علي بن عثمان ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) : « في سنة » .

(٣) عبارة (أ) ، (ق) : « لأنه لما مات ... وتبلبل حاله مات » .

* الدرر : ١٨٦/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٨٨/٣ .

شيخ التجويد ، وفريد الكتابة لا ابن البصيص ولا [ابن] ^(١) الوحيد . كتب الناس عليه بمصر والشام ، وتخرّج به جماعة من أولاد الأعيان والأعلام . ورزق في مصر الخطوة ، ولم يتقدم لأحد معه خطوة . وعاد إلى دمشق وأقام بها إلى أن مات ، وكتب عليه الجماعة وقد عمّر دهرًا صالحاً ولم يفرح بخزيه الشّمات .

وحصل من التجويد آلاف من الذهب المصري ، ولو شاء كانت دنائره على حروفها تجري . وكتب مجلدات بخطه الفائق ، ووقف الأحداق على مافيهما من الحدايق .

ولم يزل يكتب إلى أن قطّ عمره ، ومحا من صحيفة الوجود ^(٢) دهره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق في العشر الأول من صفر سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

رأيته يكتب بالديار المصرية في المدرسة الظاهرية بين القصرين . وكان يكتب أحمد بن بكتر الساقى كل شهر بمئتي درهم ، وكل مسودة يأخذ عليها جملة .

وقال في وقت : أخذت من الكتابة خمسة آلاف دينار مصرية .

وقلت : أنا فيه لما سمعت هذا الكلام عنه :

أحرصُ على الخَطِّ فَلَا بُدَّ مِنْ حَظٍّ يَفُوقُ الْمُكْثَرَ الْمُثْرَى
هَذَا الدَّمَشْقِيُّ بِأَقْلَامِهِ أَصَابَ كُنْزَ الذَّهَبِ الْمِصْرِيِّ

١٢٩٩ - عُمَرُ بْنُ مَحْمُودٍ *

شرف الدين بن الطفال .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « الدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩٢/٣ ، والطالع السعيد : ٤٥٦ .

سمع من الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ودخل في خدمته إلى دمشق . وسمع معه من أشيائها .

وله نظمٌ قريضٍ وبلاليق^(١) .

توفي - رحمه الله تعالى - بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومن بلاليقه المطبوعة :

فِي ذِي الْمَدْرَسَا	جَاءَةً نَسَا
إِذَا أُمْتُ الْمَسَا	تَرَى فَرْقَعَهُ
نَسَا ذَا الزَّمَانِ	عَجَبٌ يَأْفَلَانِ
يَكُونُوا ثَنَانِ	يَصِيرُوا أَرْبَعَهُ ^(٢)

١٣٠٠ - عمر بن مسعود بن عمر*

الأديب سراج الدين بن سعد الدين الحار ، المعروف بالكتّاني الحلبي .

استوطن حماة وأقام بها منتبياً إلى بيت ملوكها : الملك المنصور [وولده الملك المظفر^(٣)] وولده الملك الأفضل نور الدين علي ، فأحسنوا إليه ، وأسّنوا له الجوائز .

كان شعره في حَمَاةٍ قد غَلَا سِعْرُهُ ، وخبَل قلوبَ ملوكها سِحْرُهُ . وكان سراجُه فيها مُنِيرَا ، وكتّانِيهِ^(٤) فيها حَرِيرَا ، وراح أدبه فيها كالزّاح وراح ، وأذكى فيها لَهَب السّراج . وله موشّحات شعريّة موشّعات ، وقطعه فيها كأنها من بقايا النيل

(١) البلاليق : نوع من النظم العامي .

(٢) الطالع السعيد .

* فوات الوفيات : ١٤٦/٣ ، والدرر : ١٩٣/٣ .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (ط) : « وكتّانِيته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

مقطعات . لهج الناس بها في زمانه ، ومالوا إلى ترجيح أوزانه . وغنى المغنون بها فأطربوا الأسماع ، وجوّدوا فيها الضروب والإيقاع .

ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ السّراج ، وبطل ما على حياته من الخراج .
وتوفي - رحمه الله تعالى - بحجة في سنة إحدى عشرة أو سنة اثني عشرة وسبع مئة ظناً .

أخبرني يحيى^(١) العامري الحباز الأديب^(٢) ، وكانت له به خصوصية ، قال : كان كثيراً ما ينشد :

رَبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضاحِكٍ مِنْ تَزَاخُرِ الْأَضْدَادِ^(٣)
قال : ولَمَّا أن توفي - رحمه الله تعالى - حَفَرْنَا له قبراً ، ظهر فيه [من]^(٤) عظام
الأموات فوق اثني عشر جمجمة . قال : فتعجبت من ذلك .

وقد روى لي شعره وموشحاته إجازةً عنه القاضي صاحب جمال الدين سليمان بن أبي الحسن بن ريان ، المقدم ذكره .

و (ديوان) شعره لطيف ، يكون في دون الثلاثة عشر كراساً ، خارجاً عن موشحاته . وهو شعر متوسط ، ومنه :

رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ مُعْتَنِّي رَأَيْتَ مَا فِي الْمَنَامِ لَوْ كَانَا
ثُمَّ أَتَى مُعْرِضاً فَوَاعَجَبِي يَهْجُرُنِي نَائِماً وَيَقْطُرَانَا

(١) (أ) ، (ق) ، (ط) : « الشيخ يحيى » .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) من مشهور شعر أبي العلاء ، من قصيدته :

غَيْرَ مُجْدٍ فِي مِلْئِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتَمُ شَادِي

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

ومنه في مליح أحذب :

وَأُحْدَبَ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَقَدْ
مَالَقَبُوهُ الْحُسَامَ عَنْ سَفِهِ
سَمِّيَ حُسَاماً وَغَيْرَ مَنْكُورٍ
لَوْ لَمْ يَرَوْا قَدَّهُ الْقَلَا جُورِي^(١)

ومنه :

بَعَثَتْ نَحْوِي الْمِشْطَ يَامَالِكِي
وَكَيْفَ لَا تَسْلُبُ رُوحِي وَقَدْ
فَكِدْتُ أَنْ تَسْلُبَنِي رُوحِي
بَعَثْتَ مَنْشُوراً بِتَشْرِيحِي^(٢)

ومنه :

أَرَى لَابِنَ سَعْدٍ لَحِيَةً قَدْ تَكَامَلَتْ
وَدَارَتْ عَلَى أَنْفٍ عَظِيمٍ كَأَنَّه
عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَقْبَلَتْ غَيْرَ مُقْبِلٍ
« كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ »^(٣)

ومنه :

يَا حَبَّذا وَادِي حِمَاةٍ وَطِيبُهُ
فَاتَتْ مَنَازِهِ جَلَّقَ فَلْأَجَلِ ذَا الـ
وَطَلَاوَةُ الْعَاصِي بِهِ وَالْجَوْسَقُ
شَقَرَاءُ تَكْبُو خَلْفَهُ وَالْأَبْلَقُ^(٤)

ومنه :

أَنْظُرْ إِلَى النَّهْرِ فِي تَطَرُّدِهِ
تَوْهَمَ الرِّيحُ صَيْدَهَا فَفَدَا
وَصَفْوَهُ قَدْ وَشَى عَلَى السَّمَكِ
يَنْسَجُ مَتْنُ الْغَدِيرِ كَالشَّبَكِ

(١) فارسية ، تعني : السيف اللامع .

(٢) في الفوات : « التشرحي » .

(٣) ضمن عجز بيت لامرئ القيس من معلقته ، صدره :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عِرَانِينَ وَبِلَه

(٤) في الأصل : « منارة جلق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وعبارة الفوات : « فافت منارة » . وفيه :

« فلحسنها الشقراء » . وفي (أ) ، (ق) ، والفوات : « خلفه » .

ومنه :

لَنَا مُغْنٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ
يُرْقِصُ مَنْ يَسْمَعُهُ طَيِّبَةً
يُطْرِبُ مِنْهُ لَحْنُهُ الْمُطْرِبُ
وهكذا المُرْقِصُ والمُطْرِبُ^(١)

ومنه :

قالوا: هَوَى بَابِنِ الْأَمِيرِ جَوَادُهُ
فَأَجَبْتُهُمْ لَا تَعْجَبُوا لِقَوِّهِ
فقلوبنا كادت عليه تَقَطَّرُ
إِنَّ السَّحَابَ إِذَا سَرَى يَتَقَطَّرُ
ومنه في إبريق فخار :

يَا حَبَّذَا شَكْلُ إِبْرِيقٍ تَمِيلُ لَهُ
يَرُوقُ لِي حِينَ أَجْلُوهُ وَيُعْجِبُنِي
مِنَّا الْقُلُوبُ وَتَصُبُّو نَحْوَهُ الْحَدَقُ
كَمْ قَدْ شَرِبْتُ بِهِ مَاءَ الْحَيَاةِ وَلَنْ
مِنْهُ طَلَاوَةٌ ذَاكَ الْجِسْمِ وَالْعُنُقِ
حَتَّى غَدَا خَجَلًا مِمَّا أَقْبَلَهُ
يَنَالُنِي مِنْهُ لَا غَصَّ وَلَا شَرْقُ
وَوَظَلُّ يَرْشَحُ مِنْ أَعْطَافِهِ الْعَرَقُ
ومنه في قنديل :

يَا حُسْنَ بَهْجَةٍ قَنَدِيلٍ خَلُوتُ بِهِ
أَضَاءَ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ مُتَقِدًّا
وَاللَّيْلُ قَدْ أُسْبِلَتْ مِنْهُ سَتَائِرُهُ
تَزِيدُهُ ظُلْمَةً اللَّيْلِ الْبَهِيمِ سَنًا
فَرَاقَ بَاطِنُهُ نُورًا وَظَاهِرُهُ
وَمِنْهُ فِي مَعَالِجِ مَقْيَرِهِ :

بروحي أفدي في الأنام معالجا
يُكَلِّفُ عِطْفِيهِ الْعِلَاجَ فَيَسْطُرُ الـ
مَعَاظِفُهُ أَزْهَى مِنَ الْغُصْنِ الْغَضِّ
إِذَا مَا امْتَنَى لُطْفًا مَقْيَرَةً لَهُ
قُلُوبٌ إِلَى حَبِيهِ فِي سَاعَةِ الْقَبْضِ
وَأَقْعَدَهَا وَاحْمَرَّ سَالِفُهُ الْفِضِّي

(١) في الأصل : « المرقص المطرب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) ، والفوات : « باصرة » .

رَأَيْتُ مُحْيَاةً وَمَا فِي يَمِينِهِ كَشَشِ تَجَلَّتْ دُونَهَا كُرَّةُ الْأَرْضِ^(١)

ومنه في امرأة حدباء وخلفها جارية عرجاء :

فَنَدِيتُ مَنْ فِي ظَهْرِهَا حَدْبَةٌ وَهِيَ بِأُخْرَى مِثْلَهَا نَاهِدَةٌ^(٢)
يَحْسُبُهَا الْإِنْسَانُ مَعَ أَنَّهَا قَائِمَةٌ فِي مَشْيِهَا قَاعِدَةٌ
وَخَلْفُهَا جَارِيَةٌ رِجْلُهَا تَوَقَّفَ فِي خِدْمَتِهَا وَقَفَّةً الـ
ومنه في زامرة سوداء ، وأجاد :

وَلَرُبَّ زَامِرَةٍ يَهْجُ بِزَمْرِهَا رِيحُ الْبُطُونِ فَلَيْتَهُمَا لَمْ تَزْمُرْ
شَبَّهْتُ أَنْفُلَهَا عَى صِرَّ نَائِيهَا وَقَبِيحِ مِسْمِهَا الشَّنِيعِ الْأُبْحَرِ
بِخَنَافِسٍ قَصَدَتْ كَنِيفًا وَاعْتَدَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى خِيَارِ الشَّنْبَرِ

ومنه في تشبيه لوح رخام [شحم ولحم]^(٣) :

وَيَوْمَ قَالَ لِي مَلِكُ الْبَرَايَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْحٌ مِنْ رُخَامٍ
أَهْلُ لَكَ أَنْ تُشَبِّهَهُ بِشَيْءٍ يَرُوقُ بَنِي التَّرْسُلِ وَالنُّظَامِ
فَقُلْتُ رَقِيقٌ تَلْجُ فِي مُدَامٍ فَقَالَ وَمِثْلُ بَرْقٍ فِي غَمَامٍ
وَذَاكَ أَتَمُّ فِي التَّشْبِيهِ مَعْنَى فَقُلْتُ صَدَقْتَ يَا بَذْرَ التَّمَامِ

وكتب إليه شهاب الدين أحمد العزازي من القاهرة :

مَنْ ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا فَلْيَهْتَدِ أَنَّى سَرَى بِسَرَايِهَا^(٤)

(١) في الأصل : « تَحَلَّتْ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .

(٢) (أ) ، (ق) : « ظهرها قبة » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) كذا في الأصول : « فليتهدي » . يائيات الباء ضرورة .

عُمَرَ الَّذِي بَلَغَ الْبَلَاغَةَ وَارْتَقَى
أَمَّا الْفَضَائِلُ فَهُوَ بَيْتُ قَصِيدِهَا
فَكُتِبَ الْحَارِ الْجَوَابُ :

سَارَتْ فَعَطَّرَتْ الْبِلَادَ بِنَشْرِهَا
عَذْرَاءُ قَلْبِهَا الشَّهَابُ جَوَاهِرُهَا
رَأَتْ مَعَانِيهَا بَرَقَةَ لَفْظِهَا
وَقَالَ فِي جَفَانَةِ أَبْنُسَ :

وَذَاتَ لَحْنٍ شَجِيٍّ
كَأَنَّهَا جُنْحُ لَيْلٍ
تَشُدُّو بِشَعْرِ قَصِيحٍ
وَمِنْ مَوْشِحَاتِهِ :

جِسْمِي ذَوَى بِالْكَمَدِ وَالسَّهْرِ
ذِي شَنْبٍ كَالْبَرْدِ كَالدُّرِّ كَالْحَبِّ جَبَانٍ
بِي غَضْنٍ بَلَّانٍ نَضْرٍ
يَرْتَمِعُ فِيهِ النَّظَرُ
الْخَدُّ مِنْهُ خَفِرُ
قَدْ جَاءَنَا يَعْتَذِرُ
ثُمَّ التَّوَى كَالزُّرْدِ مُعْبَقِرِي
فِي مَذْهَبٍ مُوَرَّدٍ مُدْنَرٍ مُكْتَبٍ رِيحَانِي
ظَبْيٍ لِسُهُ مُرْتَشَفٍ كَالسُّسْبِيلِ الْبَارِدِ

بَدْرٌ عُلَاهُ سَدَقُ مِنْ لَيْسَ لِي شَعْرٍ وَارِدِ
 مَقْرَطٌ مَشْنَقٌ مُشْنَفٌ يَخْتَالُ فِي الْقَلَائِدِ
 غَضُنٌ تَقَا يَنْعِطِفُ مِنْ لَيْنٍ قَدْ مَائِدِ
 بَيْنَ اللَّوَى وَتَهْمَدُ كَجُوْدِرٍ فِي رَبْرَبٍ غَزْلَانِ
 مِنْ كَثَبٍ ذِي جَيْدٍ ذِي حَوْرٍ ذِي هَدَبٍ وَشَنَانِ
 أَمَّا وَحَلِي جِيْدِهِ وَرَنَّةُ الْخَلَاخِلِ
 وَالضَّمُّ مِنْ بُرُودِهِ قَدْ قَضِبَ مَائِلِ^(١)
 وَالْوَرْدُ مِنْ خُدُودِهِ إِذْ نَمَّ فِي الْغَلَائِلِ
 لَا كُنْتُ مِنْ صُدُودِهِ مَتَّصِلًا بِعِزَالِ^(٢)
 نَارَ الْجَوَى لَا تَخْمَدِي وَاسْتَعِرِي^(٣) وَكَذَّبِي سَلَوَانِي
 وَأَسْكِي وَأَطْرِدِي وَأَنْهَمِرِي كَالسُّحْبِ أَجْفَانِي
 مَوْلَايَ جَفْنِي سَاهِرٌ مَوْرَقٌ كَمَا تَرَى
 فَلَا خَيَْالَ زَائِرٌ يَطْرُقُنِي وَلَا كَرَى
 إِنِّي عَلَيْكَ صَابِرٌ فَاجَاوَزَا مِنْ صَبْرَا
 إِنْ سَحَّ دَمْعِي الْمَامِرُ فَلَا تَلْمُؤُهُ إِنْ جَرَى
 جَالَ الْهَوَى فِي خَلْدِي وَمُضْمَرِي أَضَرَّ بِي كِتْمَانِي
 مَوْئِبِي فَاتِّدُ لَا تَفْتَرِ وَجَنَّبِ عَنْ عَانِ^(٤)
 إِنْ زَادَ فِي الْهَجْرِ وَصْدُ رُحْتُ بِصَبْرِي مُرْتَدِي
 عَنْهُ وَإِنْ طَالَ الْأَمْدُ إِلَى دُرَى مُحْتَمِدِ
 وَكَيْفَ يَخْشَى مَنْ قَصَّصْدُ مَلِكًا عَظِيمَ الْمُحْتَمِدِ

(١) (أ) ، (ق) : « قضيب قد » .

(٢) في الفوات : « مستعاً » .

(٣) في الأصل : « وأسعري » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .

(٤) (أ) ، (ق) : « جان » .

فَالْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَدْ سَمَاءَ الْفَرْقَدِ^(١) ثُمَّ اسْتَوَى بِأَجْرِدٍ مُضْمَرٍ
 ذِي شَطْبٍ مُهَنَّدٍ وَسَمْهَرِيٍّ وَمِقْضَبٍ يَمَانِيٍّ
 مَلِكٌ عَلَتْ هِمَاتُهُ مِنْ فَوْقِ هَامِ الْمُشْتَرِي
 وَبَخَلَتْ رَاحَاتُهُ سَحَّ السَّحَابِ الْمُمَطَّرِ^(٢)
 وَعَوِذَتْ رَايَاتُهُ بِمُحْكَمَاتِ السُّوَرِ
 بَدْرٌ بَدَتْ هَالَاتُهُ مِثْلَ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 تَحْتَ لَوَى مُنْعَقِدِ الظَّفَرِ فِي مَوَكِبِ فَرَسَانِ كَالشُّهْبِ فِي الْأَسْعَدِ وَالْأَقْرِ
 يَامَلِكًا دُونَ الْوَرَى فِي عَذْبِ^(٣) تَيْجَانِ
 وَمَمْلَكًا إِذَا سَرَى تَخْبِطُهُ الْمَالِكُ
 بَعْضُ عَطَاكَ هَلْ تَرَى تَحْبِيْهُ الْمَلَائِكُ
 فَاسْتَجْلِهَا مِنْ عَمْرَا جَادَتْ بِهِ الْبَرَامِكُ
 لَا تَحْتَوِي كَالشُّهْدِ كَالسُّكْرِ ثَغْرُ ثَنَاهَا ضَاكِكُ
 كَالسُّحْبِ كَالْعَسَجِدِ كَالْجَوْهَرِ مِنْ حَلِي كِتَانِي كَالضَّرْبِ مَعَانِي

قلت : وقد عارضه الشيخ صدر الدين بن الوكيل - رحمه الله تعالى - في كثير من موشحاته ، وبما عارضه هذا^(٤) الموشح ، وقد سقته في ترجمة الأمير شمس الدين سنقر الأعر مشد الدواوين . إلا أنه غير بعض قوافيه .

ومن موشحات السراج ، وألطفها^(٥) وأحسنها قوله :

- (١) (أ) ، (ق) : « السُّودد » .
- (٢) في الأصل : « وَخَلَتْ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
- (٣) في الأصل : « عذب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
- (٤) في الأصل : « في هنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
- (٥) (أ) ، (ق) : « وموشحات السراج كثيرة ومن ألطفها ... » .

مَانَاخَتِ الْوُرُقُ فِي الْغُصُونِ ^(١) إِلَّا هَاجَتِ عَلَى تَغْرِيدِهَا لَوْعَةُ الْحَزِينِ
 هَلْ مَاضَى لِي مَعَ الْحَبَايِبِ آيِبِ بَعْدَ الصُّدُودِ
 أَمْ هَلْ لِأَيَامِنَا الذَّوَاهِبِ وَاهِبِ بَأْنُ تَعُودِ
 مَعَ كُلِّ مَصْقُولَةِ التَّرَائِبِ كَاعِبِ هَيْفَاءَ رُودِ
 تَقَتَّرَ عَنْ جَاوَهَرِ ثَمِينٍ جَلًّا أَنْ يُجْتَلَى يُحْمَى بِقُضْبٍ مِنَ الْجَفُونِ
 أَحَبَّتَهُ نَاعِمُ الشَّمَائِلِ مَائِلٍ فِي بَرْدِهِ ^(٢)
 فِي أَنْفُسِ الْعَاشِقِينَ عَامِلٍ عَامِلٍ مِنْ قَدِّهِ
 يَرْنُو بِطَرْفٍ إِلَى الْمُقَاتِلِ قَاتِلٍ فِي غَمِّهِ
 أَطْطَى مِنَ الْأَسَدِ فِي الْعَرِينِ فِعْلًا وَأَقْتَلَا لِعَاشِقِيهِ مِنَ الْمُنُونِ
 عَظَّمَتْهُ كَامِلُ الْمَعَانِي عَانِي قَلْبِي بِهِ
 مُبْلَبِلُ الْحَالِ ^(٣) مَذُجَفَانِي فَانِي فِي حُبِّهِ
 كَمْ بَتُّ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي رَانِي لِقُرْبِهِ
 وَبَاتَ مِنْ صَدْغِهِ يُرِينِي نِمْلًا يَسْعَى إِلَى رِضَابِهِ الْعَاطِرِ الْمَصُونِ
 قَاسُوهُ بِالْبَدْرِ وَهُوَ أَحْلَى شَكْلًا مِنَ الْقَمَرِ
 قَرَّاشَ هُدْبِ الْجَفُونِ بُبْلًا أَبْلَى بِهَا الْبَشْرِ
 وَقَالَ لِي وَهُوَ قَدْ تَجَلَّى جَلًّا بَارِي الصُّورِ
 يَتَنَصَّفُ الْبَدْرُ مِنْ جَبِينِي أَصْلًا فَقُلْتُ لَا قَالَ وَلَا السَّخَرُ مِنْ عَيُونِي
 بَنَّا وَمَا نَالَ مَا تَمْنَى مَنَا طَيْبُ الْوَسَنِ
 نَفَضَ مِنْ فَرْحَةٍ لَدْنَا دَنَا تَنْفَى الْحَزَنِ

(١) فِي الْأَصْلَ : « الْأَغْصَانُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

(٢) فِي الْأَصْلَ : « بَرُودِهِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « الْبَالُ » .

وَكَلَّمَا مَالاً^(١) أَوْ تَتَنَّى غَنَى صَوْتاً حَسَنٌ
 لَا تَسْتَمِعُ^(٢) فِي هَوَى الْجَوْنِ عَذْلًا وَاشْعَ إِلَى رَاحِ تَقِي سَوْرَةَ الشُّجُونِ
 قُلْتُ : قَدْ رَأَيْتَ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذَا - وَقَفَّكَ اللَّهُ - مَا فَاتَهُ مِنَ الْإِلْتِزَامِ فِي بَعْضِ
 الْحَشَوَاتِ ، وَمَا بَعْضُ الْحَشَوَاتِ خَالَ مِنْهُ ، وَمَا أَعْتَقَدُ أَنَّهُ أَتَى بِهِ وَفَاتَهُ ، وَلَا يَخْفَى ذَلِكَ
 عَلَى مَنْ يَعْرِفُ عِلْمَ الْبَدِيعِ وَشُرُوطَ الْجِنَاسِ الْمَزْدُوجِ .
 وَكَلَّفَنِي بَعْضُ الْأَصْحَابِ الْأَعْزَةَ أَنْ أَنْظِمَ شَيْئاً فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ ، فَنَظَّمْتُ مَعَ عِلْمِي
 مَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يِعَارِضَ مَا رَزَقَ السَّعْدَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ ، وَهُوَ :

مَا تَنْقُضِي لَوْعَةَ الْحَزِينِ	أَصْلًا	وَلَوْ سَلَا	إِلَّا لَضَرْبٍ مِنَ الْجُنُونِ ^(٣)
قُمْتُ وَلَمْ تَحْطَ بِالْوَصَالِ	صَالِي	نَارَ الْجَوَى	
مُعَذِّبُ الْبَالِ فِي خَبَالِ	بَالِي	مَنْ الْهَوَى	
وَلَا تَوَافِقُ عَلَى اتِّقَالِ	قَالِي	يَوْمَ النَّوَى	
وَكُنْ عَلَى مَذْهَبِي وَدِينِي	ذَلَالًا	إِذْ تَبَتَّلَى	وَاصْبِرْ عَلَى ذَلَّةٍ وَهُونِ
مُعَذِّبِي نَارِجُ الْمَزَارِ	زَارِي	عَلَى الْقَمَرِ	
خَلَى فُؤَادِي مِنَ الْإِسَارِ	سَارِي	عَلَى خَطَرِ	
يَقُولُ وَالْقَلْبُ فِي اسْتِعَارِ	عَارِي	مِنْ مُصْطَبِرِ	
مَنْ أَرْسَلَ السَّحَرَ مِنْ جَفَوْنِي	نَبَلَا	تَقْضِي عَلَى	حَسَا الْمُحِبِّينَ بِالْمَنُونِ
فِي رَيْقِهِ لَذَّةُ السَّلَافِ	لَا فِي	كَأْسِ الْمَدَامِ	
رَأَيْتُ لِي مِنْهُ فِي ارْتِشَافِ	شَافِي	مِنْ السَّقَامِ	
أَقُولُ وَالصَّمْتُ فِي اغْتِكَافِ	كَافِي	عِنْدَ الْمَلَامِ	
يَأْتِي تَسْلِيَهُ عَنْ يَقِينِ	قُلْ لَا	تَغْرِي الْبَلَا	عَلَيَّ فَالْوَجْدُ فِي الْكَمِينِ

(١) (أ) ، (ق) : « ماس » .

(٢) (أ) ، (ق) : « لاتسمع » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْجَفُونِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) ، (ط) .

لشعره	لاج	جَبِينُهُ الصُّبْحُ فِي أَنْبِلَاجٍ ^(١)
لهجره	هاج	وَقَلْبٌ مُضْنَاءٌ فِي ابْتِهَاجٍ
لصبره	راج	يَرْقُبُ مِنْهُ يَوْمَ انْفِرَاجٍ
لـواجتلى	ولّى	ظَبْيٍ بِهِ اللَّيْثُ فِي الْعَرِينِ
وصالها	داني	وَعَادَةٌ فِي الْهَوَى عِدَانِي
جألها	قاني	لِوَانٍ دَهْرِي لَهَا انْتِقَانِي
دلألها	جاني	مَا كَانَ فِي الْوَجْدِ قَدْ شَجَانِي
قد أخجلا	وبلا	وَلَا جَرَتْ بِالْدِّمَا عَيُونِي
بذكرها	شادي	مَقْلَتَهَا صَيَّرَتْ رَشَادِي
بنصرها	بادي	وَسِخْرَهَا صَارَ فِي الْعِبَادِ
لأشهرها	هادي	وَصَارَ فِي الْغَوْرِ وَالْوَهَادِ
لها بنار السحر المبين ^(٢)	كحلا	فَانْظُرْ تَجِدْهَا دُونَ الْعَيُونِ
فيه الهلال	راي	تَبْدُو بِوَجْهِهِ مِثْلَ الْمَرَايَا
إذا استحال	رايا	أَلَا ابْنَ يَحْيَى خَيْرَ الْبَرَايَا
صرف الليال	عاي	طَبَعَ اللَّيَالِي وَلِلرَّعَايَا
قد أنجلى	سهلا	يَرُدُّ خُطْبَ الرَّدَى الْحُرُونِ
عنه العنا	جلا	يَاسَعِدُ مَلِكٌ قَدْ اسْتَجَلَا ^(٣)
عنه ^(٤) الخنا	ولّى	لَأَنَّهُ عِنْدَمَا تَوَلَّى
فيه الثنا	حلى	فَمَيَّ ^(٥) بِذِكْرَاهُ مُذْ تَحَلَّى

(١) في الأصل : « ابتلاج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « لا يصل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) (ق) : « به استجلا » ، (أ) : « أسجلا » .

(٤) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « ومنه » .

(٥) في الأصل : « لا يصل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

وَجَاءَ بِالْجَوْهَرِ الثَّمِينِ	جَزَلًا	حَتَّى اعْتَلَى ^(١) عَلَى عَقُودِ الْمَدْحِ الرَّصِينِ
فَطِيرُسُهُ جَامِعُ الْفَرَائِدِ	رَائِدِ	إِلَى الصَّوَابِ
وَلَفْظُهُ زِينَةُ الْقَصَائِدِ ^(٢)	صَائِدِ	فَصَلَ الْخِطَابِ
وَكَلَّهَ نُخْبَةَ الْعَقَائِدِ	قَائِدِ	إِلَى الْعُجَابِ
وَذِكْرُهُ صَارَ فِي الْقُرُونِ	يُتْلَى	حَتَّى عَلاَ مِنْابِرَ الْأَيْكِ وَالْفُصُونِ
أَقُولُ لِلْغَيْثِ فِي سَحَابِهِ	حَابِهِ	فِي وَبُلْهِ
فَجُودُهُ لِلْوَرَى وَشَى بِهِ	شَابِهِ	فِي طَلْبِهِ ^(٣)
وَلَمْ يَقُمْ قَطُّ فِي مَنْابِهِ	نَابِهِ	مِنْ شَكْلِهِ
أَفَاضَ مِنْ فَضْلِهِ الْمَعِينِ	سَجَلًا	مَلَأَ الْمَلَا وَسَارَ فِي بَحْرِهِ سَفِينِي
نَظَّمِي عَلَى رُبَّةِ الْأَفَاضِلِ	فَاضِلِ	دِيْبَاجِهِ
كَأَنَّهُ ^(٤) فِيكَ بِالْأَصَائِلِ	صَائِلِ	نَوَاجِهُ
فَانْظُرْ لِمَنْ صَارَ فِي الْحَافِلِ	أَفِلِ	سِرَاجِهِ
وَمَنْ عَلَى ذُرْوَةِ الْفُنُونِ	حَلَا	وَاسْتَقْلَا سِوَاهُ فِي حَمَاهُ وَطِينِ
مَوْشَحِي رَائِقِ الطَّرَائِقِ	رَائِقِ	فِي فَنِّهِ
مَامِثْلُهُ قَطُّ فِي الْخَلَائِقِ	لَائِقِ	فِي وَزْنِهِ
إِنْ عُدَّ يَوْمًا مِنَ النَّوَافِقِ ^(٥)	وَافِقِ	لَوْزْنِهِ
فَأَنْتَ فَرْدٌ بِلَا قَرِينِ	أُمْلَى	سَرَحَ ^(٦) الْعُلَا حَتَّى أَنْجَلَتْ ظِلْمَةَ الظُّنُونِ

ومن موشحات السراج المحار - رحمه الله تعالى - :

- (١) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « اعتلى » .
- (٢) في الأصل : « للقاصد » ، وفي (ط) : « المقاصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
- (٣) في الأصل : « في طلبه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
- (٤) (أ) ، (ق) : « لأنه » .
- (٥) (أ) : « التوافق » .
- (٦) في الأصل : « سَرَج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

أَرِقْتُ لِبَرَقِ لَاحٍ مِنْ أَرْضِ حَاجِرِي فَأَجَزَى دُمُوعِي مِنْ شُؤُونِ مَحَاجِرِي
وَهَيَّجَ لِي التَّنْذَكَارُ فَأَضْرَمْتُ الْأَفْكَارُ
فِي قَلْبِ الْكَئِيبِ أَوْ كَادَتْ تَسْذِيبُ
نِيرَانُ الْوُجِيبِ حَشَاشَةُ الْأَشْوَاقِ ^(١)
كَتَمْتُ الْمَهْوَى جَهْدِي وَهَلْ أَنَا كَاتِمٌ
وَقَدْ جَدَّ بِي وَجْدِي وَشَوْقِي لَا زِمَ
وَنَمْتُ بِمَا عِنْدِي دُمُوعَ سَوَاجِمِ
فَمَا حِيلَتِي وَالِدَمْعُ يُبْذِرُ سِرَائِرِي وَيُظْهِرُ مَا جَنَّتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرِي
وَلَمْ يَثْبِقْ لِي أَنْصَارُ سِوَى جَلْدِي إِنْ صَارَ
لِقَلْبِي جَلْدٌ ، وَإِلَّا فَقَدْ بَرَأَ الْكُودُ وَضَاقَتْ بِهِ الْآفَاقُ
أَعَرْتُ حَمَامَ الْبَنَانِ بَعْضَ تَسْوِجِي
فَنَاحَتْ عَلَى أَفْنَانِ وَجُودِي وَلَمْ تَعِي
وَلَوْ سَقَّتِ الْأَغْصَانُ فَسَائِلُ ^(٢) أَدْمُعِي
لَأَوْرَقَ مِنْهَا كُلُّ ذَاوٍ وَنَاضِرٍ بِمَا رُوِيَ مِنْ مَاءِ جَفْنِي وَنَاطِرِي
وَلَوْ كَانَتْ الْأَطْيَارُ إِذَا نَحَتْ فِي الْأَسْحَارِ
قُبَيْلَ الصَّبَاحِ مِثْلِي فِي النَّوَاحِ مَارَاشَتْ جَنَاحَ وَلَا لَبَسَتْ أَطْوَاقَ
فَوَادِي الْبُذْيِ أَصْمَاءُ سَهْمٍ مِنَ النَّتَوَى
فَكَابَدَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى
وَبِي رَشَا لَوْلَاهُ لَمْ أَذِرْ مَا الْمَوَى

(١) قوله : « نيران الوجيب » حتى هنا وقع في الأصل بعد قوله الآتي : « وضائق به الآفاق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) (أ) ، (ق) : « ولو تشرب ... سائل » .

ولا حلّ في قلبي سِوَاهُ^(١) وناظري
ولا ترهبي الأخطار
فكم من هوى في نار الجوى
دعاني إلى حبيبه
عليه لمن يجنيه
ومن جفنه يحميه
فويلاه من تلك الجفون الفواتر
نضتها يد الأقدار
فيما من نظر سيوف الحور
أسلت من البلوى
تنم يا تطوى
ولي كبد تكوى
فكن ناصري إن قلّ يادمع ناصري^(٢)
ومن يعشق الأقار
يقاسي الولوع وفيض الدموع
فكلّفت أنا^(٣) معارضته ، فقلت ، وبالله التوفيق :

تغييت يا بدري فطالت دياجري
وما تنفع الأنصار
ولم أرج أنصاري وأنت مهاجري
إذا زاعت الأبطار

(١) (أ) ، (ق) : « هواه » .

(٢) (أ) ، (ق) : « الأقطار » .

(٣) في الأصل : « مطالعي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) (أ) ، (ق) : « فكن ناصري يادمع إن قلّ ناصري » .

(٥) (أ) ، (ق) : « إلى » .

وَبَاتَ الْغَمَامُ ، يَبْكِي الْمُسْتَهَامُ
خَلَاءَكَ الْحُسْنَى
وَمُقَلَّتْكَ السَّوْسَى
وَمُبْسَمُكَ الْأُسْنَى
وَجَفُنْكَ يَحْمِي الرِّيقَ مِنْكَ بِيَاتِرِ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَزْهَارُ
تَرَوِي عَنْ شَذَاكَ وَتَحْكِي سَنَاكَ
حَبِيبِي قَدْ أَضْحَى
وَلِي كَبِدٌ قَرْحَى
وَجَاءَ الَّذِي يَلْحَى
فَإِنْ قُلْتَ إِنِّي فِي الْهَوَى غَيْرَ جَائِرِ ^(٢)
وَالَا فَكَمْ مِنْ جَارِ
وَلَا ^(٣) يُخْتَصِرُ وَلَا يَقْتَصِرُ حَتَّى يَنْتَصِرَ
يَقَرَّرُ فِي هَجْرِي
وَيَمْنَعُ مَعَ فَقْرِي
وَيُنْكَرُ مَعَ ضُرِّي
وَيُقَدِّمُ فِي سَفْكِ الدِّمَا غَيْرَ قَاصِرِ
وَقَدْ أَصْبَحَ الْخَطَارُ
يَشْكُو مَا دَهَى إِلَى مُلْدِهِ

وَانْجَرَّ الْحَمَامُ إِلَى النُّوحِ بِالْأَطْوَاقِ
فَنَنْتَ بِهَا الْوَرَى
سَبَتْ مِينِي الْكَرَى
تَنْضَدَ جَوْهَرًا
فِيَا بَارِدًا قَدْ رَاحَ يُخْمِي بِفَاتِرٍ
وَقَدْ رَأَتِ^(١) الْأَسْحَارَ
لَكَانَتْ هُنَاكَ ، حَدَائِقُهَا الْأَحْدَاقُ
هـــــــــــــــــواكَ مَنِيتِي
لِعِظَمِ بَلِيَّتِي
تَمَامَ مُصِيبَتِي
فَمَا ضَرَّ لَوْ أَصْبَحْتَ بِالْوَصْلِ جَابِرِي
عَلَى ذِي غَرَامٍ جَارِ
عَلَى الصَّبِّ بِالْأَشْوَاقِ
دَلِيلَ ذِلَالِهِ
جَمِيلَ جِبَالِهِ
وَصُولَ وَصَالِهِ
بِقِسْوَةِ فَتَاكِ اللَّوَا حِظِّ قَائِرِ
إِذَا مَا سَ فِي أَخْطَارِ
وَمِنْ قَدِّهِ يَشْكُو الْعُضْنَ فِي الْأَوْرَاقِ^(٢)

(١) (أ)، (ق)، (ط) : « رَقَّتْ » .

(٢) في الأصل: « حائر »، وأثبتنا ما في (أ)، (ق)، (ط).

(٣) (أ)، (ق) : « وما » .

(٤) (أ) ، (ق) : « بالأوراق » .

لِللَّهِ مَسْمٌ أَلْمَى	حَلَا وَهُوَ بَارِدٌ
بِهِ أَتَسَقَّتْ نَظْمًا	لَا لِي فَرَائِدٌ
إِلَى رَشْفِهِ نَظْمًا	وَمَا نَمَّ وَارِدٌ
وَقَدْ دَارَ فِي خَدٍّ مِنَ الْوَرْدِ نَاضِرٌ	لَهُ عَارِضٌ قَدْ رَاقَ فِي كُلِّ نَاطِرٍ
لَهُ خَيْرٌ قَدْ طَارَ	وَقَدْ مَلَا الْأَقْطَارَ
فَمَا يُنَكِّرُ لَهَا يَشْكُرُ	وَلَا يَذْكُرُ إِلَّا فِاقَ فِي الْآفَاقِ
تَجَنَّى وَمَا أَبْقَى	وَسَرَّ مُعَانِدِي
وَرَقٌ لَهَا أَلْقَى	مِنَ السَّقَمِ عَائِدِي
وَجَفَنَاءُ قَدْ شَقَا	حِبَالَةَ صَائِدِ
وَهَلْ يَكْتَفِي ^(١) صَبَّ نَوَافِثِ سَامِرِ	بِقَلْبِ سَلِيبٍ فَاقِدِ الصَّبْرِ حَاسِرِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدْ ثَارَ	وَحَاوَلَ أَخْذَ الثَّارِ
مَنْ سَهْمٍ مَرَّقٍ بِطَرْفٍ رَمَقَ	وَسَحَرَ الْحَدَقَ لِوَا نَصْرِهِ خَفَاقَ

١٣٠١ - عُمَرُ بْنُ مَظْفَرٍ *

ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، الشيخ الإمام الفقيه النحوي الأديب الشاعر
النَّاثِرُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو حَفْصِ بْنِ الْوَرْدِيِّ الْمُعَرِّي الشَّافِعِيُّ .

أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه . تفنن في علومه ، وأجاد في منشوره
ومنظومه . شعره أسحر من عيون الغيد ، وأبهى من الوجنات ذات التوريد . قام بفن
التورية فجاءت معه قاعده ، وخطها في الطروس وهي فوق النجوم صاعده ، يطرب
في الأضل : « يلتقي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* فوات الوفيات : ١٥٧/٣ ، والدُّرر : ١٩٥/٣ ، وبدائع الزهور : ٥٢٤/١/١ ، والبغية : ٢٢٦/٢ ،
والشُّذرات : ١٦١/٦ .

الليِّبُ لسماعها ولا طَرَبَ الصُّوفيِّ للشَّبابه ، وَيَعْجَبُ الأديبُ لانطباعها ولا عَجَبُ الغواني بن التحفِ شَبابه ، وَيَزْعَبُ الأريبُ لارتجاعها ولا رغبةَ الروض الذي صَوَّح في صوب السحابة . ويدأب النجيب في اقتطاعها ولا دأب الحب في التمسُّك بأذيال محبوبه السَّحَابَه :

لَفْظٌ كَانَ مَعَانِي السُّكْرِ تَسْكُنُهُ فَمَنْ تَحَفَّظَ يَتَّأَمِنُهُ لَمْ يَفِيقِ
كَأَنَّهُ الرُّوضُ يُبْدِي مَنْظَرًا عَجَبًا وَإِنْ عَدَا وَهُوَ مُبْذُولٌ عَلَى الطَّرِيقِ ^(١)

وَفَقَّهَهُ لِلطَّالِبِ ^(٢) رَوْضَهُ ، ولأصحاب الفتاوى قد شرَّعَ حَوْضَهُ . نَظَمَ (الحَاوِي)
وَزَادَهُ مَسَائِلَ ، وَجَعَلَهُ بَعْدَ وَحْشَةِ الْأَذْهَانِ مِنْهُ خَمَائِلَ ، وَعَرَبِيَّتَهُ تَلَا فِيهَا مَا أَنَسَ
غَرِيبَهَا بِتَلَا فِيهَا ^(٣) وَقَرَّبَهَا إِلَى التَّعْقِلِ بَعْدَ تَجَانُفِهَا وَتَجَافِيهَا ، وَسَهَّلَ عَوِيصَهَا فَلَوْ سَبَّغَتْهُ
الْأَعْرَابِيَّةُ مَا قَالَتْ : « يَا أَبَتِ أَذْرَكَ فَاهَا غَلْبَنِي فَوْهَا لَا طَاقَةَ لِي بِفِيهَا » ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ
هَذِهِ الْقُدْرَةِ وَهَذَا التَّمَكُّنِ مِنْ فَنِّ الْأَدَبِ ، وَكَوْنِهِ إِذَا تَصَدَّى لِلنَّظْمِ تَنْسِلُ إِلَيْهِ الْمَعَانِي مِنْ
كُلِّ حَذْبٍ ، لَا يَسْلَمُ مِنَ الْإِغَارَةِ ^(٤) عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَاجْتِنَابَ مَا سَبَقَتْهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ
وَمَا حَوَاهُ ، وَلَا يَعْفُ عَمَّا هُوَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ أَوْ عَاصَرَهُ أَوْ اسْتَسْلَمَ لَهُ أَوْ حَاصَرَهُ . وَهَذِهِ
الْخُلَّةُ نَقْصٌ ، وَلَوْلَاهَا صَفَّقَ لَهُ الزَّمَانُ وَرَقَّصَ .

وَلَمْ يَزَلْ فِي حَلَبٍ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي ، وَتَبْكِي الْغُمَامِ لِفِرَاقِهِ وَتَبْتَسِمُ
لِقُدُومِهِ ثَغُورَ الْأَفَاحِي ، إِلَى أَنْ تَرَكَ الْوَلَايَاتَ وَرَفَضَهَا ، وَعَادَ عَلَى ^(٥) أَحْكَامِهَا
وَنَقَضَهَا ، وَأَرْصَدَ نَفْسَهُ لِلْإِفَادَةِ ، وَتَلَفَّعَ بِرَدَاءِ الزَّهَادَةِ ، وَاخْتَصَّ بِسِيَادَةِ الْعِلْمِ وَهِيَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَهُوَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « لِلطَّلِبَةِ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَا أَنَسَ مِنْ تَلَا فِيهَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) : « الْإِعَادَةُ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « إِلَى » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) .

السيادة . وتخرَّج به جماعة وتنبَّهوا ، وحاكوا طريقه وتشبَّهوا ، إلى أن افترس الوردِي ورُدَّ المنية ، وأصبح في حُفْرَةِ القبر من وراء الثَّنيَّة .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في سابع عَشْرِي ذي الحِجَّة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

وتوفي أخوه القاضي جمال الدين [يوسف]^(١) قبله بقليل .

وكان الشيخ زين الدين - رحمه الله تعالى - قد رأى عجائب الطاعون في حلب ، فعمل فيه رسالة أنشأها وأبدعها وسمَّها : (النَّبَا في الوَبَا) ، ولكنه خَتِمَ به الوَبَا ، وفَجَّع الناس فيه .

وقلت أنا فيه لَمَّا بلغتني وفاته :

لئن دَوَى الوردِي في هذه الـ	دينا لَقَدْ أَيْنَعَ في الخُلْدِ
وإنَّا أَوْحَشَ رَبُّنَا النُّهَى	والفَضْلُ في تَقْصِي وفي رَدِّ
والعلم رَوْضٌ مَالَهُ رَوْقٌ	لأنَّه خَالٍ مِنَ الوردِي

وكنت قد كتبت^(٢) إليه من دمشق في جمادى الآخرة سنة أربعين وسبع مئة :

سَلامٌ على الحَضْرَةِ العَالِيَةِ	سَلامٌ امرئٍ نَفْسُهُ عَانِيَةٍ
لأنَّ لَهَا رُتْبَةً في العَلا	ذَوَائِبُهَا في السَّمَاءِ سَامِيَةٍ
ويُؤْنِسُ مَنْ غَدَا يَجْتَنِي	قُطُوفَ مَسَرَّاتِهَا دَانِيَةٍ
أَيَا عُمَرَ الوَقْتِ أَنْتَ الَّذِي	كَرَامَاتُهُ في الوردِي سَارِيَةٍ
ويا بَحْرَ عِلْمٍ طَمَى لُجُؤُهُ	فَكَمْ جَاءَنَا عَنْهُ مِنْ رَاوِيَةٍ
ويا فاضِلاً أَصْبَحْتَ رَوْضَةً الـ	عُلُومِ بِتَحْقِيقِهِ زَاهِيَةٍ

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) : « كتبت أنا » .

لَكَ الْخَطَّ كَمْ فِيهِ مِنْ نَقْطَةٍ
تَقَدَّمَتْ فِي النَّظْمِ مَنْ قَدْ مَضَى
وَرَخَّصَتْ أَسْعَارَ أَشْعَارِهِمْ
وَكَمْ مِنْ قَصِيدٍ إِذَا حُكَّتْهَا
وَنَظَّمَتْ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ
وَزِدْتُ مَسَائِلَهُ جُمْلَةً
فَمَا لَكَ مِنْ مُشَبِّهِ فِي الْوَرَى
لَئِنْ كُنْتُ أُرْسَلْتُ هَذَا الْقَرِيضَ
وَالْأَفْأَهْدَيْتُ نَحْوَ الرِّيَا
وَسِتْرِكَ إِنْ لَمْ أَكُنْ حَاضِرًا
فَلَا زِلْتُ فِي نِعْمَةٍ وَفُرْهَا

لَهَا الْحَظُّ بِالْقَلْبِ فِي زَاوِيَةٍ
لَأَنَّكَ فِي الدُّرُورَةِ الْعَالِيَةِ
كَأَنَّ مِدَادَكَ مِنْ غَالِيَةٍ^(١)
تَكُونُ الْقُلُوبُ لَهَا قَافِيَةٍ
كِتَابًا غَدَا حَاوِيًا حَاوِيَةٍ
بِتَحْقِيقِ مَذْهَبِهِ وَافِيَةٍ
وَيَا حَسَنَ (مَا) هَهْنَا نَافِيَةٍ
فَلِلْبَحْرِ قَدْ سَقَّتُهُ سَاقِيَةٍ
ضٍ وَقَدْ أَيْنَعْتُ زَهْرَةَ ذَاوِيَةٍ^(٢)
يُعْطِي مَسَاوِيَهُ الْبَادِيَةِ
تُسَاقُ لَهُ جُمْلَةً بَاقِيَةٍ

يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِجَمْعِ شَمْلِهِ ، وَيَقْرَبُ^(٣) اللَّقَاءَ ، فَإِنَّ التَّمَنِّيَ
قَدْ أَطَالَ الْمَدَّةَ فِي وَضْعِ حَمْلِهِ ، وَأَنْ يُرِيَهُ ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي يَرُوقُ الْبَدْوَرَ السَّيَّارَ ،
وَيُرُوعُ الْأَسْوَدَ الزَّارَّةَ ، وَأَنْ يَرْزُقَهُ اجْتِلَاءَ ذَلِكَ الرُّوحِ الَّذِي نَجْنِي بِسَمْعِهِ أَزْهَارَهُ الَّتِي
تَسْلُبُ النَّظَارَةَ بِالنُّصَارَةِ ، وَأَنْ يُوْرِدَهُ عَلَى ظَمْنِهِ الْبَرْحَ تِلْكَ الْفَضَائِلَ الَّتِي أَبْجَرُهَا
زَخَّارَهُ ، وَأُمَوَّاجَهَا هَدَّارَهُ ، وَأَنْ يُنْزِلَهُ الْهَلْ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْهُ^(٤) وَمَعَهُ بَكَارَةُ الْمَعَانِي الَّتِي
تَبْرُزُ مِنْهَا بَكَارَةٌ بَعْدَ كَارِهِ ، وَأَنْ يَمْتَعَ طَرْفَهُ بِذَلِكَ الْبَدْرِ الَّذِي^(٥) يَأْخُذُ النَّاسُ مِنْ فَوَائِدِهِ
الْكُوَاكِبَ السَّيَّارَ ، وَأَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ شَمْسَ فَوَائِدِهِ الَّتِي تَشْرِقُ مِنَ الطُّلُبَةِ فِي الْهَالَةِ
وَالدَّارَةِ :

(١) (أ) ، (ق) : « وَأَرْخَصَتْ » .

(٢) (أ) : « فَأَهْدِي » .

(٣) (أ) ، (ق) : « وَأَنْ يَقْرَبَ » .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الَّتِي » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي (أ) ، (ق) .

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلَهُ اجْتِمَاعاً يُعِينُ عَلَى الإِقَامَةِ فِي ذُرَاكَ

وَيُنْهِئُهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ حَضَرَ مِنْ حَلَبِ الْحُرُوسَةِ الْمَوْلَى شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِيكَ السَّرُوجِيِّ^(١) ، وَأَنْشَدَ الْمَمْلُوكُ تَضْمِينَ أَعْجَازَ (مِلْحَةِ الإِعْرَابِ) لِمَوْلَانَا - أَدَامَ اللَّهُ فَوَائِدَهُ - فَأَخَذَ مِنَ الْمَمْلُوكِ بِجَامِعِ قَلْبِهِ ، وَدَخَلَ عَلَى لَبِّهِ بِهَمْزَةٍ سَلْبَةٍ ، وَعَلِمَ بِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الْكَلَامِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ نَظْمَ غَيْرِهِ إِذَا سَمِعَ قَوْلَيْهِ بِالْمَلَالِ وَالْمَلَامِ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عِنْدَمَا حَصَلَ لَهُ فِي كَلَامِ مَوْلَانَا الْمَقَّةِ^(٢) وَفِي كَلَامِ غَيْرِهِ الْمَقْتُ :

يَا سَائِلًا عَمَّنْ غَدَا فَضْلُهُ مُشْتَهَرًا فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
النَّاسُ زَهَرٌ فِي الثَّرَى نَابِتٌ وَمَا تَرَى أَذْكَى مِنَ الْوَرْدِيِّ^(٣)

وَكَانَ الْمَمْلُوكُ قَدْ عَلَّقَهَا ، وَأَدْخَلَهَا أَبْوَابَ حَاصِلِهِ وَأَغْلَقَهَا ، فَاجْتَالَتْهَا أَيْدِي الضَّيَّاعِ ، وَعَدِمَ أَشْسُ حَسَنَتِهَا الْحَقِّقَ مِنْ بَيْنِ الرِّقَاعِ .

ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُهُ أَنْ يَجِيزَنِي رِوَايَةَ مَا يَجُوزُ لَهُ تَسْمِيْعُهُ ، فَكَتَبَ الْجَوَابَ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ :

كَتَبَ إِلَيَّ فُلَانٌ - أَمَدٌ^(٤) اللَّهُ تَعَالَى - فِي جَاهِهِ ، وَجَمَّلَ النُّوعَ الْإِنْسَانِي بِحَيَاةِ أَشْبَاهِهِ ، يَسْتَجِيزُ مِنِّي رِوَايَةَ مُصَنَّفَاتِي وَمَرْوِيَاتِي وَمَوْئِلَاتِي ، فَفَدَيْتُهُ سَائِلًا ، وَأَجَبْتُهُ قَائِلًا :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ جَابِرِ الْكَسِيرِ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ أَعْرَيْتُ أَفْعَالَهُمْ فَسَكَنَ حُبُّ أَسْمَائِهِمْ فِي مَسْتَكْنٍ الضَّمِيرِ .

(١) سَتَاتِي تَرْجَمَتُهُ فِي مَوْضِعِهَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بُقَّة » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) . وَالْمَقَّةُ : الْمَوْدَةُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فِي الْوَرْدِيِّ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) (أ) : « قَدَّ » .

فإني أُلقي إليّ كتاب كريم ، يشتمل بعد بسم الله الرحمن الرحيم ^(١) ، على نظم فائق بهي ، ونثر رائع شهي ، عرس لي أصوله بفضل خليل جليل ، فامتد عليّ من فروع ظل ظليل ، فرأيت فانتصبت له قائماً على الحال ، وتميّزت به على غيري ، فطبت نفساً بعد الاعتلال ، وابتهلت بالدعاء لمهديه مخلصاً ، ولكن أسأت الأدب إذ وازنت جوهر ^(٢) نظمه بالحصى حيث قلت :

سلام على نفسك الزاكِية	وشكراً لهمتك العالِية
أزهر أم الزهر أهديتها	لعبد مدامعه جارِية
كتاب يفوح شذى نشره	فلي منه رائحة جائية
وسعد معاديه عن مركز الـ	سعادة يلجأ إلى زاوية
إذا حمل الجدي في نطجه	فماس إلى رأسه دانية
وقابلني حين قبلتبه	من الطيب ما أرخص الغالية
وفكهنى في جنى غرسه	ولا سيما بيت (ما) النافية
تردد عيني به لاسدى	ولكنها تطلب العاقية
فمهديه أفديه من سيد	أيساديسه رائقة راقية
لعل الخليل بداني به	ليجعلها كلمة باقية
فيا جابراً دم معاذاً ^(٣) فكم	بعثت لمخلي من ساريه
لأقلامك الرفع تبنى بها	على الفتح أفعالها الماضية
ولولم يكن قد سبأ نورها	لما حمل الخادم الغاشية
فإن أهلك الناس جهل بهم	فأنت من الفرقة الناجية
فكم باب نصر تبواته	فأذهاننا منه كالجاية

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة النمل ٢٩/٢٧ ، ٣٠ : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

(٢) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « جواهر » .

(٣) في الأصل : « معادا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

رَضِيَ بِكَ عَنْ دَهْرِهِ سَاخِطٌ فَلَا زِلْتَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ
وَأِنِّي لَفِي خَجَلٍ مِنْكَ إِذْ أَجَبْتُكَ فِي الْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ
فَعَفَوُا وَصَفَحُوا وَلَا تَنْتَقِدْ وَيَا بَحْرَ مَالِكَ وَالسَّاقِيَةِ
لِيَهْنِكَ أَنَّكَ عَيْنُ الزَّمَا نِ فَلَيْتَ عَلَى عَيْنِهِ الْوَاقِيَةِ

ولَمَّا انتهت إلى استجازته^(١) التي انْتَضَمَتْ في سلوك الحسن بحسن السلوك ،
وَأُسْتُعْظِمَتْ ، فلولا حُسْنُ الظَّنِّ لأوهمت تَهْكُمْ المالك بالملوك ، أجمتُ عن إجازة من
شَمَّر في العقل والنقل لتحقيق القديم والحديث ، وتبحَّر في إغراب الإغراب حتى كَانَ
النحاة إياه عنوا بمسألة « سَيْرُكَ السَّيَرُ الحِيث » ، وقلت : ماذا أصف ، وبأيِّ عبارة
أَتَصِف . في إجازة مَنْ إِذَا كَتَبَ طَرَزَ بالليل رداء نهاره ، وَإِذَا نَثَرَ فالأنجم الزهر بعضُ
نِثَارِهِ ، وَإِذَا نَظَّمَ لم يقنع من الدُرِّ إِلَّا بِكِبَارِهِ ، ولم يرضَ من المعاني إِلَّا بِدَقِيقٍ من بين
حَجَرِيهِ الثَّمِينِينَ^(٢) بل أحجاره ، إنْ أَعْرَبَ فـ « وَئِيهِ » على سبيليه ، وإنْ نَحَا فهو
الخليل غير مكذوب عليه ، يَأْتِي بما يَفْتَرُّ عنه^(٣) المَبْرَدُ ، ويشقُّ له الكسائي كسائه
وَيُجَرِّدُ ، ويقول الزَّجَاجِي : أَيُّهَا الشَّابُّ لَقَدْ أَخْجَلْتَ^(٤) جواهركَ صرحي المُمَرَّدُ ،
وينادي ابن أبي الحديد : سَطَا عَلَيَّ^(٥) لسانكَ المَبْرَدُ ، ويستخدم ملك النحاة^(٦) في
جنده ، ويرفرف ابن عصفور عليه بجناحيه^(٧) ويحلف أنه الخليفة من بعده ، بتعمُّق
يرهف حروف الحروف ، وينصف حتى لَا يَعْدُوْ ثعلب وَلَا أَكْبَرُ منه على ابن خروف ،

(١) في الأصل و (ط) : « إجازته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « الثمين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) (أ) : « عن » .

(٤) (أ) ، (ق) : « أخجلت » .

(٥) (أ) ، (ق) : « عليك » .

(٦) هو أبو نزار ، الحسن بن صافي (٥٦٨) ، البغية : ٥٠٤/١ .

(٧) في الأصل : « بجناحه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

وَيَصْدُقُ حَتَّى لَا يُقَالَ ضَرْبُ زَيْدٍ عَمْرًا ، وَيَعْدِلُ حَتَّى لَا يَشْتَمَ خَالِدٌ بَكْرًا ، مَعَ بَسَاتِينَ
فَنُونَ أَخَرَتْهُزْ بِسَمَاتِ السَّحَرِ عَذَبَاتُ أَفْنَانِهَا ، وَيَقُولُ حَاسِدُهَا : آه ، فَتُشَبِّهُ أَلْفَهُ فِي
الْعِظَمِ قُدُودَ نَخْلِهَا ، وَهَآؤُهُ ثَمَرُ رَمَانِهَا .

ثُمَّ فَكَّرْتُ أَنَّ^(١) كِتَابَهُ الشَّرِيفَ آمَنِي النُّوبَ ، وَخَصَّنِي بِالنُّوبَةِ الْخَلِيلِيَّةِ^(٢) مِنْ بَيْنِ
النُّوبِ ، وَكَفَانِي مَوَاقِبَ الْعَكْسِ وَالطَّرْدِ ، وَأُولَانِي مَنَاسِبَةَ الْفَرَسِ لِلوَرْدِ ، فَتَرَدَّدَتْ هَلْ
أَفْعَلُ أَوْ لَا ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَنَّ امْتِثَالَ الْمَرْسُومِ أَوَّلَى ، وَجَسَّرَنِي عَلَى ذَلِكَ مَرْسُومُ شَيْخِ الْأَدَبِ
وَرَحْلَتِهِ ، وَرَكْنِهِ الْأَعْظَمِ وَقَبْلَتِهِ ، شَيْخُنَا الْفَذَّ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ نَبَاتِهِ ، فَسَحَّ اللَّهُ فِي
مَدَنَتِهِ وَأَبْقَى حَيَاتِهِ ، الَّذِي إِنْ نَثَرَ جَعَلَ لِلْجَبِينِ إِبْرِيضًا بِحَسَنِ^(٣) السَّبَّكِ ، وَإِنْ نَظَّمَ قَالَ
نَظْمُهُ : لِقَرِينَتَيْهِ الْحَسَنِ وَالْقَبُولِ : قَفَا نَضْحَكَ مِنْ « قَفَا نَبِكَ » . لَا جَرَمَ أَنَا مِنْ بَحْرِهِ
الْحَلُولِ نَعْتَرَفُ ، وَبِالْتَّقَاطِ جَوَاهِرِهِ الَّتِي زَانَ بِهَا مَفَارِقَ [طَرَقَ]^(٤) الْبَلَاغَةِ نَعْتَرَفُ ،
فَاطْمَعْتُ إِذْنَهُ أَمْرَهُ طَالِبًا صَفْحَهُ وَسْتَرَهُ ، وَقُلْتُ : لَقَدْ بَدَأْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ بِمَا كُنْتُ أَنَا بِهِ
أُحْرَى ، وَكَلَّفْتَنِي شَطَطًا فَتَلَوْتُ : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ
أَمْرًا ﴾^(٥) ، وَهَآ قَدْ أَجَزْتَ لَكَ مَتَظْفَلًا عَلَيْكَ ، وَأَذَنْتَ لَكَ مَتَوَسَّلًا إِلَيْكَ ، أَنْ تَرَوِي
عَنِّي مَا يَجُوزُ لِي رَوَايَتِهِ وَإِسْمَاعِهِ ، لِيَتَّصَلَ بِكَ فِيمَا اتَّصَلَ بِكَ مَا أَمِنَ انْقِطَاعَهُ ، مِنْ
مَنْقُولٍ وَمَقُولٍ ، وَفُرُوعٍ وَأَصُولٍ ، وَنَثَرٍ وَنَظْمٍ وَأَدَبٍ وَعِلْمٍ وَشَرْحٍ وَتَأْلِيفٍ وَبَسْطٍ^(٦)
وَتَصْنِيفٍ بِشَرْطِهِ الْمَضْبُوطِ ، وَضَبْطِهِ الْمَشْرُوطِ .

أَمَّا مَصْنَفَاتِي الشَّاهِدَةُ عَلَيَّ بِقُصُورِ الْبَاعِ ، وَمُؤَلَّفَاتِي الْمَشِيرَةُ إِلَيَّ بِقَلَّةِ الْإِطْلَاعِ ،
فَمِنْهَا فِي الْفَقْهِ : (الْبَهْجَةُ الْوَرْدِيَّةُ) فِي نَظْمِ (الْحَاوِي) ، وَ (فَوَائِدُ فَهْمِيَّةٍ) مَنْظُومَةٌ .

(١) (أ) ، (ق) : « فِي أَنْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْجَلِيلَةُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « حَسَن » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (أ) ، (ق) .

(٥) سُورَةُ الْكَهْفِ : ٦٩/١٨ .

(٦) (أ) ، (ق) : « وَبَسِيط » .

ومنها في النحو : (شرح ألفية ابن مالك) ، و (ضوء الدرّة على ألفية ابن مَعط) ، و (قصيدة اللباب في علم الإعراب) ، و (شرحها) ، و (اختصار ملحة الإعراب) نظماً ، و (تذكرة ^(١) الغريب) نظماً وشرحها .

ومنها في الفرائض : (الرسائل ^(٢) المهدّبة في المسائل الملقّبة) .

ومنها في الشعر والأدبيات : (أبحار الأفكار) .

ومنها في غير ذلك : ([تَمّة] ^(٣) المختصر في أخبار البشر) ، اختصار تاريخ حماة ^(٤) ، و (الذّيل) عليه ^(٥) ، والتّمتّات في أثنائه .

و (أرجوزة في تعبير المنامات) ^(٦) ، خمس مئة بيت .

و (أرجوزة في خواصّ الأحجار والجواهر) ، و (منطق الطير) ، نظماً ونثراً ، فيه نوع أدب تصوّف ، وما لا يحضرني الآن ذكره ، وكان الأولى ^(٧) ستره .

أجزت لك - أيّدك الله - رواية الجميع عني بأفضالك ، ورواية ما أدوّنه وأجمعه من ذلك حسبما اقترحه خاطرك العزيز واستوجبّت به مدّحي ، فأنا المادّح وأنا المُعْجِز .

(١) في الفوات : « ومذكّرة » .

(٢) في الأصل و (أ) و (ق) : « الوسائل » ، وأثبتنا ما في (ط) والدرر ، والكشف : ٩٠٢/١ ، وفي الفوات : « المسائل المذهبة » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) في (أ) ، (ق) : « صاحب حماة » .

(٥) عبارة (أ) ، (ق) : « مع التذييل عليه » .

(٦) في (أ) ، (ق) ، (ط) ، زيادة : « نظماً » .

(٧) في (أ) ، (ق) ، زيادة : « بي » .

قاله وكتبه عمر بن مظفر في العشر الأول من شعبان^(١) سنة أربعين وسبع مئة .

وكتب بخطه تضمن أنصاف أبيات (ملحّة الإعراب) ، وهي في غاية الحُسْن ، وهي ستة وستون بيتاً ، وقد أثبتّها بكاملها في ترجمته في (تاريخي الكبير) .
وكتب بخطه [تـمـنـيـن]^(٢) :

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر^(٣)

لأبي العلاء المعري في مديح سيدنا رسول الله ﷺ ، وهي في إجازته في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) التي لي .

وكتب أيضاً بخطه مفاخرة له نثراً بين السيف والقلم وجودها ، وكتب بخطه أيضاً مقاطيع كثيرة وهي^(٥) في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) لي^(٦) ، وأثبت له شيئاً كثيراً من نظمهِ في (التذكرة) التي لي ، وهو مفرّق في أجزاءها .

ومن مصنفاته (الكلام على مئة غلام) كتبه جميعه بخطي ، وهو في الجزء الثاني والثلاثين من (التذكرة) ، و (الكواكب السارية في مئة جارية) ، كتبه جميعه بخطي أيضاً ، وهو في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) ، وله أحاجي^(٧) نحوية على حروف المعجم وهي قال :

(١) (أ) ، (ق) : « شعبان المبارك » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) صدر بيت لأبي العلاء ، عجزه : لعل بالجزع أعوانا على السهر . سقط الزند ١١٣/١ .

(٤) ظاهر كلامه يوم أن قصيدة المعري في مدح الرسول عليه السلام ، وليس كذلك ؛ إلا أن ابن الوردي شطرها وحرف معناها إلى المدح النبوي .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) ليست في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٧) كذا في الأصول .

- أ • يَـأْمَنُ حَاجِي • في الأسماء
• اطْرَحْ حَرْفَـاً • بعد التاء
القثَا

- وقال :

- ب • يَـأْمَنُ أَحَاجِيهِ تُغْنِي • عَنْ فِطْنَةِ الْمُتَنَبِّي
• إِنْ كَانَ عَنْـدَكَ فَهْمٌ • مَثَلُ لَنَا طُولُ جُبٍّ
مَدَابِير

- وقال :

- ت • يَافَاضَلاً قَدْ صَلَحَتْ • لِلْعَالَمِينَ نَيْتُهُ
• اطْرَحْ رِتَاجاً مَا تُرَى • يَاسِيَّـدِي أَحْجِيَّتُهُ
القباب

- وقال :

- ث • يَـأْمَنُ يَفُوقُ الْبَرَـيَا • فِي بَحْثِهِ حِينَ يَبْحَثُ
• مَثَلٌ وَلَا تَتَوَقَّفُ • قَوْلِي تَلَا مُتَلَبِّثُ
قِرَاقِفُ

- وقال :

- ج • قَوْلُوا لِرَبِّ الْحَجَى • وَالْوَاضِحِ الْمُنْهَجِ
• مَثَلُ لَنَا مُشْرَعَاً • فِي الْقَوْلِ رِزْقِي نَجِي
قَسِيَّات

- وقال :

- ح • أَنْتَ يَا كَامِلَ الْحَجَى • وَالْكَلامِ الْمَصَحَّحِ

• قولي: الطَّرْفُ مُلْكُهُ • هَاتِ لِي مِثْلَهُ اشْرَحِ

الإنالة

- وقال :

خ • يافاضلاً في الأحاجي • ما إن له من مؤاخي •
• نُورٌ لآيَةٍ حَرُثَ • مَثَلٌ بغير تراخِ •

سنانير

- وقال :

د • يا إِمَاماً تَوْقَى • وليَّ كلِّ مِعَادِ •
• ما نظيرٌ لقولي • بَاعَ أَرْضَ سَوَادِ •

شراريف

- وقال :

ذ • يامن حاجي • وَقَّيْتُ أَدَى •
• مَثَلٌ قولي • تَعَبٌ جُبْدًا •

عناقيد

- وقال :

ر • يامن أحاجيه أَعَيْتُ • ذَهَنَ الصُّدُورَ الْكِبَارَ •
• ما مِثْلُ قولي لشخص • حَاجِيَّتُهُ «رِطْلُ قَارِ» •

مناقير

- وقال :

ز • يا سَيِّداً أَلْفَاظُهُ • لكلِّ معنى حائِزُهُ •

- مَثَلُ لَنَا وَلَا تَقِفْ ● أَلْفٌ وَأَلْفٌ جَاءَتْهُ
- الفاصلة

- وقال :

- يَأْمَنُ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى رُبَّةٌ ● مَعْرُوفَةٌ تُؤْمِنُ تَلْبِيسَهُ
- مَثَلُ لَنَا أَمْرٌ أَمْرِي حَاضِرٌ ● بَأَنَّهُ يُشْغِلُ تَقْرِيسَهُ
- الهداية

- وقال :

- يَأْتَا جَرًّا فِي الْعِلْمِ لَا ● فِي الْمَلْهِيَّاتِ وَلَا الْقِمَاشِ
- مَثَلُ لَنَا بُخْلًا بَمَّا ● إِنْ شِئْتَ أَوْ أَقْصَى عَطَاشِ
- دراهم

- وقال :

- يَافَاضِلًا يُرْجَى لَهُ ● مِنْ رَبِّهِ حُسْنُ الْخَلَاصِ
- مَثَلُ لَنَا فِي سُرْعَةِ ● تَعَبِ الْمَسْنِ مِنَ الْقِلَاصِ
- عنانيب

- وقال :

- يَأْمَنُ أَبْنَانُ الْ ● مَعْنَى وَفَضُّهُ
- مَثَلُ لَنَا سَرِيعًا ● أَهْمَلُ فِضُّهُ
- أُبارقه

- وقال :

- يَأْمَنُ لَشَرِّ الْعَلَا ● وَالْعِلْمُ أَضْحَى يَحْـُوطُ
- ط

● إِنَّ كُنْتَ ذَا فُطْنَةٍ ● مَامِثِلَ أَحِبِّ قَنُوطِ
مقياس

- وقال :

ظ ● يَا إِمَاماً فِي الْأَحَاجِي ● زَانِهَ فَهَمٍّ وَحِفْظُ
● مِثْلَ الْآنَ سَرِيعاً ● آلَةُ التَّعْرِيفِ لَفْظُ
الكلمة

- وقال :

ع ● يَا سَيِّداً فِيهِ بُشْرٌ^(١) ● لِلْبِئْسِ التَّوَجُّعِ
● إِنْ كُنْتَ تَدْرِي الْأَحَاجِي ● فَمَا مِثَالُ أَرْجَعِ أَرْجَعِ
هدهد

- وقال :

غ ● يَا سَيِّداً ذِكَاؤُهُ ● قَدْ أَعْجَزَ الْمُبَالِغَا
● مِثْلَ لَنَا وَلَا تَقِفْ ● أَطْلُبُ شَرَاباً سَائِغَا
سَلْمَى

- وقال :

ف ● يَا سَيِّداً ذِكَاؤُهُ ● وَالْفَهْمُ أَعْيَا مِنْ يَصِفُ
● كُنْ نَاهِباً وَوَاهِباً ● مِثْلَ لَنَا وَلَا تَقِفْ
سَلْهَبُ

- وقال :

(١) (أ) ، (ق) : « بَر » .

- ق • يَأْمَنُ لَهُ فَضْلٌ يَمْتُّ بِهِ • وَبِهِ يَرْجَى الْجَمْعُ لِلْفَرْقِ
 • مِثْلُ لَنَا إِنْ كُنْتَ ذَا فَطْنِ • مَا مِثْلُ أَهْمِلُ مَا عَلَى الْعَنْقِ
 الغراس

- وقال :

- ك • يَافَا ضَلًّا فِي اللَّهِ • أَضْحَى أَخْذُهُ وَتَرْكُهُ
 • مِثْلُ لَنَا بِسُرْعَةٍ • مَرْتَفَعَاتٌ ^(١) مَلَكُهُ
 الرِّبَا لَهُ

- وقال :

- ل • يَاسِيدُ أَلْفَاظُهُ • تَجَلَّ عَنْ مَمَائِلِ
 • مِثْلُ لَنَا بِسُرْعَةٍ • عَشْرُ مُمَاتٍ فَاضِلِ
 الفراسخ

- وقال :

- م • يَأْمَنُ لَهُ فِي الْعَالِي • وَالْفَضْلُ أَيَّ كَرَامِهِ
 • مِثْلُ لَنَا وَلَا تَتَوَقَّفِ • نَظِيرُ عِلْمٍ عِلَامَتُهُ
 سَمِئَهُ

- وقال :

- ن • يَاشَهْمًا ذَكِيًّا • بِالْآدَابِ مَلَانِ
 • مِثْلُ لِي سَرِيعًا • أَحْبَبَ غَيْرَ غَضْبَانِ
 مقراض

(١) (أ) ، (ق) : « مِثْلُ لَنَا الْأَمَاكِنَ وَالْمَرْتَفَعَاتِ » .

- وقال :

- هـ • يا شَارِحَ المَعْمَيَا • ت وجهه ووجهها
• ذولحية كبيرة • ملك له [ما] ^(١) شَبَّهَهَا
الحالة

- وقال :

- و • يامنُ حوى مِنْ قَهْمِه • وعَلِمِه ماقْدُ حَوَى
• مَثَل لَنَا إِذْ كُنْتَ مَا • ذَكَرْتَه ظَهْر هَوَى
مَطَارِيح

- وقال :

- لا • يَاسِيْدًا بَفْضِلِه • أَصْبَحَ حَبْرًا كَامِلًا
• مَثَل لَنَا فِي الْوَقْتِ مَا • رَادَفَ أَطْعِمَ عَامِلًا
منوال

- وقال :

- ي • يَاسِيْدًا فِي الْأَحَاجِي • لَهُ كَالِ رَوِيٍّ هـ
• مَثَل ^(٢) فِدَاكَ المَعَادِي • وَالضَّدَّ رَبُّ عَطِيَّه
ذَاهِبِه

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « مثل لنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

ولما وقفت له على كتابه (الكلام على مئة غلام) عند القاضي الرئيس بهاء^(١) الدين حسن بن ريان ، وَجَدَتْ غالبه مِنْ نَظْمِي فِي (الحسن الصريح في مئة مَليح) وكان ذلك عقيب قدومي من القاهرة فقلت له : يا مولانا اكتب إليه ، وقل له : قد وقع صاحب العَمَلَة بها وَعَرَفَهَا . فكتب إليه وَعَرَفَهُ المقصود ، فغَيَّرَ فيها أشياء [فلهذا تَرَى نسختين ثُمَّ وقفت له على أشياء]^(٢) في غير مانوع قد اغتصبها واختلسها^(٣) ، فكتبت إليه رحمه الله تعالى :

- أَغَرَّتْ عَلَى أَبْكَارِ فِكْرِي وَلَمْ أَغَرَّ
وَلَوْ غَيْرُ مَوْلَايَ اسْتَبَاحَ حِجَابَهَا
قَوَاطِعَ لَا تَحْمِيهِ دَرْعُ اعْتَذَارِهَا
وَلَكِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

فكتب هو الجواب إليّ وأجاد :

وَأَسْرَقَ مَا أَرَدْتُ مِنَ الْمَعَانِي
وَإِنْ سَاوَيْتُهُ نَظْمًا فَحَسْبِي
وَإِنْ كَانَ الْقَدِيمُ أَمَّ مَعْنَى
فَإِنَّ الدَّرْهَمَ الْمَضْرُوبَ بِاسْمِي

كان - رحمه الله تعالى وسامحه - لَمَّا سَمِعَ^(٤) قولي :

اترك هَوَى الْأَتْرَاكِ إِنْ شِئْتُ أَنْ لَا تُبْتَلَى فِيهِمْ بِهِمْ وَضِيرٌ

(١) في الأصل : « شهاب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) قال صاحب الدرر : « وذكر الصفيدي في أعيان العصر أنه اختلس معاني شعره ، وأنشد في ذلك شيئاً كثيراً ، ولم يأت بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس ؛ بل المتبادر إلى الذهن عكس ذلك » .

(٤) (أ) ، (ق) : « لما وقع على » .

ولا ترجي الجـودَ مِنْ وصلهم
ما ضاقت الأعين منهم لخير
قال هو - رحمه الله - مختصراً :

سَلِ اللهَ رَبَّكَ مِنْ فَضْلِهِ
إذا عرِضَتْ حَاجَةٌ مُقْلَقَةٌ
ولا تقصد التُّركَ في حَاجَةٍ
فأعينهم أُعِينَ ضيقه
ولما سمع قولي :

ركبتُ في البحر يوماً مع أخي أدبٍ
فقال دَغِي مِنْ قَالٍ وَمِنْ قِيلٍ
شرحتَ يا بحرُ صدري اليوم قلت لهُ
لا تنكر، الشرحُ يا نحوِي للنيلي^(١)
فقال هو - رحمه الله تعالى - وزاد :

ديارُ مصر هي الدنيا وساكنها
هم الأنعام فقابلهم يتقبل
يامنُ يباهي ببغداد ودجلتها
مصرَ مَقْدَمَةٌ والشرح للنيلي
ولما سمع قولي :

كؤوس المدام تَحِبُّ الصِّفَا
فكن لتصاويرها مُبْطِلا
ودَعَّهَا سِوَادَجٌ مِنْ نَقْشِهَا
فأَحْسَنُ مَا ذَهَبَتْ بِالطَّلَا
قال هو - رحمه الله تعالى - ونقص :

أَحْسَنُ مَا كَانَتْ كؤُوسُ الطَّلَا
ساذجةً يبدو بها الخافي
فالنقش نقصٌ ومن الرأي أن
ترتشف الصافي من الصافي
وقال رحمه الله تعالى [أيضاً مختصراً] :

دع الكأس مِنْ نَقْشِهَا
فصافي بصافي أحبُّ

(١) إبراهيم بن الحسين بن عبد الله ، من شراح الكافية . مفتاح السعادة : ١٨٦/١ .

إذا ذهبت بالطيلا فقد طليت بالذهب
ولما سمع قولي :

انهض إلى الربوة مُسْتَمِعاً تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنك والدف
- قال رحمه الله تعالى :

دمشق قبل ما شئت في حُسْنِها واحك عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده وزفها بالدف والجنك

قلت : كذا وَجَدْتُهُ قال ، وفيه فساد ، وهو أنه أضاف الدف إلى الربوة وللمشهور بين الناس إضافة الجنك إلى الربوة ، فما يُقال إلا جنك الربوة ، وما يُقال : دف الربوة . وإن كان هناك دفوف كثيرة فإن للمشهور ما قلته ، وقد أخذ للعنى بكـماله ، ونصف البيت الأول من الثاني بلفظه ، وهذه مُصَالَتَةٌ ^(١) ، عفا الله عنه .

ولما سمع قولي :

تزوج الشيخ بتركيّة تضم في العرّبة أطرافه ^(٢)
كأنها من حُسْنِها شَمْعَةٌ وهي على العشاق طوافه
وقولي في مُخِيلَةٍ :

نقط ختي اللمع عشقاً وقد قامت إلى الرقص خيالِيَّة
فما رأيت عيني لها مُشْبِهاً مِصْرِيَّة في ضوء شاميّه

جمع هو المقصدين في مقطوع واحد فقال :

(١) أي : سرقة .

(٢) في الأصل : « الغربة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

خيال طيف هَزَّ أعطافَهُ
يا حَيِّنْ ذِي الشَّعَةِ طَوَّافَهُ^(١)

جاءتكَ في طيف خيال حكت
مصريَّة في ضوء شاميَّة
ولما سمع قولي :

مَثَلَ خَطِّ العِذارِ في حُسْنِ رَقْمٍ
زت ظباء الفلا سوى طرز كمي^(٢)

ومليح طراز كَمَيِّه أضحى
قال قلت الظباء مثلي وماعا
وقولي أيضاً - وفيه تضمين :

ورَقْمٌ عذارُهُ قد راق عيني^(٣)
« ليالي وصلينا بالرقمتين »

ضَمَمْتُ مَعْنِي لَمَّا أَتَانِي
فيا طرزِيه هل يُدْني زماني
جمعها وقال :

كخِـدِّهِ ورقمهِ
إلا طراز كَمَهِ

طرز قبـاء مخـتلي
ما أعوزت منه الظبا

ولما سمع قولي :

أوراق إذ تُجلى على نَظِّـارِهِ
يبيضُّ من قَبْلِ اخضرار عذارِهِ

عجباً لزهـر اللوز حين يُلَوِّحُ وال
عكسَ القضية في الوري فشيبه
قال^(٤) رحمه الله تعالى :

أمرني على الخلفِ جـاري
يخضّر مني عـذارِي

أشجار لوز تنادي
بعد اشتعالي مشيباً

(١) (أ) ، (ق) : « في نور » .

(٢) في الأصل و (ط) : « عاز » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « ورقم طرازه » ، وهي أشبه .

(٤) (أ) ، (ق) : « قال هو » .

قلت : قوله ^(١) أخصر ، لكنه أبتّر ، وقولي أنا أكمل وأجمل ، وقولي « عكس القضية » أكثر في الاستعمال من قوله « أمري على الخلق جار » .

ولما سمع قولي :

أسائلُ عن أرضٍ ألفتُ ربوعها وفيها حبيبٌ نلتُ منه مرادي
فقالوا متى تُظلم جلاها بوجهه فقلت أنا أدري بشمسٍ بلادي
قال هو مختصراً :

ما الشمس عندي على ما زعمت يا أعادي
دعوه عنكم فإني أدري بشمسٍ بلادي
ولما سمع قولي في مليح أمير ^(٢) :

هذا المليحُ المفدى قلبُ المعنى أسيرهُ
يقول من بات ضيفي عشقاً فإني أميرهُ
قال هو رحمه الله تعالى :

أقولُ لبدرٍ سائر بين أنجم أنت أمير المصر قـالَ أميرهُ
فقلت إذا مات الكرامُ بأسرهم أنت تـمير الوفـد قـالَ أميرهُ
ولما سمع قولي في [مليح] ^(٣) فقير :

فقير غنيْتُ به في الهوى إذا ما بدا عن محيَا البـدور
وأصبح وجدي كثيراً به على أنه قد غدا بالفقيري

(١) (أ) ، (ق) : « قوله هو » .

(٢) (أ) ، (ق) ، (ط) : « الأمير » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

قال هو مختصراً :

بي فقير كغني بسنا^(١) وجه منير
لا تلمي في اقتضاحي فغرامي بالفقيري

ولما سمع قولي في مليح ناسخ :

بليت بناسخ كالبدر حسناً له خصر طفا والردف راسخ
برى جسمي ضنا إذ قَطَّ قلبي وأصبح للجفا بالوصل ناسخ^(٢)

قال هو مختصراً :

ناسخ راسخ الروا دف والخصر قد طفا
قد برى الجسم عندما نسخ الوصل بالجفا

قلت : أخذ المعنى واللفظ بعينهما واختصره لكنه محقه ، فإنه ما ذكر القط وهذا ظاهر .

ولما سمع قولي :

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم وسكن منّا أنفساً وخواطرا
جعلنا ابتذال النفس شكران وصلكم وقلنا لدمع العين تعمل ما جرى

تقله فقال في مليح فقير :

وبي فقير أذمعي إن قلت قسّد سلبتني
تعمل فيه ما جرى يقول شغل الفقرا

(١) (أ) ، (ق) : « بسنا » .

(٢) (أ) ، (ق) : « بالجفا » .

ولما سمع قولي :

أسكرتني لما ترشفتُ فأك
أستغفر الله ذكرتُ السَّـوَاك

يقولُ لما قلتُ هذا اللَّـمى
سواك ما ذاق لى مبسمي

نقله هو فقال :

سادَ بفيها على الأراك
قلتُ بلى ذاقَه سواكي

قالت وناولتُها سِـوَاكَا
سواي ما ذاق طعم ريقِي

ولما سمع قولي :

فقال لي في بعض أقواله
مذ تمسكت بأذياله

مرَّ على جبي نسيم الصِّبَا
مالي في زهر الربا عبْرَة

نقله هو فقال :

منعشة للكلف الهالك
هذا الشذا قلت بأذيالك

صَمَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّقَا ضَمَّةً
قالت تمسكت وإلا فلا

ولما سمع قولي في قيم حمام :

يحار في حسن وصفه الفكر
له مسن وقلبه حَجَر

بَلَّانَ حَامِنَا [له] ^(١) نَظَرَ
عيناه موسى ونبت عارضه

قال هو - رحمه الله تعالى - مواليا :

غسلني بالدمع ثم أنشد كذا صبي
قال ذا عذارى وذا طرقي وذا قلبي

حَمَّامِكُمْ فِيهِ قِيمٌ مَنْظَرٌ وَيَسِي
جعل مسنَّو وموسو والحجر نصبي

(١) زيادة من (أ)، (ق)، (ط) .

ولما سمع قولي :

المقلّة السوداء أجفأنها
وتقطع الطرق على سلّوتي
قال هو ولكنه حوّل معناه :

من قال بالمرء فإني امرؤ
ما في سويدا القلب إلا النسا
ولما سمع قولي مضماً :

مليح يخاف على حسنه
فقلت له خلّ هذا الخيال
قال وتقل المعنى إلى صياد :

لوجنة صيادكم نسخة
تقول لنبت العذار اجتهد
ولما سمع قولي :

بُتْنَا وما تُقلّنا سوى قُبَلِ
نمنا وماتت الوُشاة بنا
قال هو :

زارت على ياسي لطيف خيالها
فركبت أخطار الهوى في وصلها
يادهر ما بقيت عليك ذنوب
والطيب واشي والحلي رقيب

(١) (أ) ، (ق) : « ما في سويدائي إلا النسا » .

ولما وقفت أنا على قوله :

أَخَذْتُ عَنِّي بَدِيلًا وَذَا دَلِيلَ بَأْنِكَ
تَمَرُّ بِي لَسْتُ تَأْلُوِي عَلَيَّ حَتَّى كَأَنَّكَ
فَلَسْتُ تَحْسَنَ هَجْرِي وَلَسْتُ أَهْجَرُ حُسْنَكَ
وَلَيْسَ ^(١) يُؤْزَنُ وَجْدِي وَلَيْسَ يَوْجَدُ وَزْنُكَ

قلت : الذي يسلك هذه الطريق السهلة العذبة المنسجمة التي ليس فيها غريب لغة ولا غريب إعراب ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا حذف ولا تقدير ، ما يأتي بهذا الإعراب الذي نحتاج أن تقدّر له نيابة المصدر المحذوف ، وهو يتشبه بطريق البهاء زهير - رحمه الله تعالى - وذلك ليس في شعره تكلف ، بل قول مطبوع غير متطبع ، ولا عنده تكلف في إعراب ولا حوشي لغة . وقد قلت أنا في ذلك :

لَقَدْ أضعفني حزني وضاعفَ خالقي حُسْنُكَ
فَهَا أَنَا لَمْ أَزِنْ وَجْدِي لَأَنِّي لَمْ أَجِدْ وَزْنُكَ

وصاحب الذوق السليم يحكم بيني وبينه في هذا رحمه الله تعالى .

وأنشدني لنفسه إجازة ، وجودة مضمناً :

مَلِيحٌ خَصَرُهُ وَالرَدْفُ مِنْهُ ^(٢) كَبْنِيَّانِ الْقُصُورِ عَلَى الثَّلُوجِ
خَذُوا مِنْ خَدِّهِ الْقَانِي نَصِيبًا « فَقَدْ عَزَمَ الْغَرِيبُ عَلَى الْخُرُوجِ »
[وأنشدني له أيضاً :

جَنَّبْتَنِي وَأَخِي تَكَالِيفَ الشَّقَا ^(٣) وَشَفَيْتَنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ خَطَرَيْنِ

(١) في الأصل : « وليست » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) في الفوات : « مليح زفه والساق منه » .

(٣) في الفوات : « القضا » .

يا حيّ عالمِ دهرنا أحييتنا
وأنشدني له أيضاً :

قُلْتُ وقد عانقته
قال وهل يحسدنا
عندي من الصبح قلَق^(٢)
قلتُ نعم قال انقلَقْ

وأنشدني له وجَوَدَه :

جَبَرْتُ يا عائدتي بالصَّلّه
وهذه قد حَسِبْتُ زُورَةً
فتمّي الإحسان تنفي الولّه
لم أنت يا لعبَةً مستعجلَه^(٣)
وأنشدني له أيضاً :

بالله يا معشر أصحابي
فالشيب قد حلّ برأسي وقد
أقسم ما يرحل إلّا بي
وأنشدني له أيضاً :

لا تقصد القساضي إذا أدبرتُ
كيف ترجى الجود^(٦) مِنْ عند من
دنياك واطلب^(٥) مِنْ جَوادِ كريم
يُفقي بأنّ الفلس مالٌ عظيم
وأنشدني له أيضاً :

رامت وصالي فقلت لي شُغْلٌ
قالت كأنّ الحدودَ كاسِدةٌ
عن كلّ خَوْد تُريد تلقاني
قلت كثيراً لقلّةِ القاني

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « قلَق » .

(٣) في الفوات : « مالك بالفيأة مستعجلة » .

(٤) في الفوات : « علمي » .

(٥) (أ) ، (ق) والفوات : « واقصد » .

(٦) (أ) ، (ق) والفوات : « الرزق » .

وأنشدني له أيضاً :

وكنْتُ إذا رأيتُ ولو عَجَوزاً يبادر بالقيام على الحراره
فأضحى لا يقوم لبدرٍ تمَّ كأن النّحسَ قد عَطِيَ الوزاره^(١)
وأنشدني له أيضاً :

قلت لنحوي إذا عَرِضَا له بأوقات الرضا عَرِضَا
يا حيث لو أصبح باب الرضى كيف لما كنت كأمسٍ مضى
قلت : يريد يا^(٢) مضموماً عني لو أصبح باب الرضى مفتوحاً لما كنت مكسوراً .
وأنشدني له أيضاً :

لما رأى الزهر الشقيق اثني منهزماً لم يستطع لمحّة
وقال : من جاء ؟ فقلنا له : « جاء شقيق عارضاً رُمَحَه »^(٣)
وأنشدني له أيضاً :

دهرنا أَمْسى ضنيناً باللقا حتّى ضنيناً
ياليلي الوصل عودي واجمعيناً أجمعيناً
وأنشدني له أيضاً :

إنّي عدمت صديقاً قد كان يَعْرِفُ قَدري
دعني لقلبي ودعني عليه أحرقت وأذري

(١) في الفوات : « فأصبح » . وفيه وفي (أ) ، (ق) : « ولي الوزارة » .

(٢) (أ) ، (ق) : « ما » .

(٣) في عجزه صدر بيت حجل بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد قيس ، وهو :

جاء شقيق عارضاً رُمَحَه إن بني عمك فيهم رُمَاح

معاهد التنصيص : ٧٢/١ .

وأنشدني إجازة له :

رأيت في الفقه سؤالاً حسناً فرعاً على أصلين قد تفرعاً
قابض شيء برضا مالكة ويضمن القيمة والمثل معاً

قلت : يتصور في صور منها المحرم يستعير صيداً من غيره فيتلف في يده فتلزمة القيمة للمالكة والمثل جزاءً لله تعالى .

أنشدني إجازة ، ونقلته من خطه يمدح الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة كال الدين محمد بن الزملكاني رحمها الله تعالى :

هَئِيتَ عاماً مُقْبِلاً مُقْبِلاً عليك بالسعد وعيش حلاً
مولاي يامن قلبه راحم وهو أحق الناس أن يُعْدَلَا
محبي مُوجِبَةَ للشوى وحاجتي تَقْضِي بأن أرحلَا^(١)
حسبت في أيامكم رفعةً وما خشيت الدهر أن أنزلا
وقلت من يرضى خمولي إذن فكنت أنت المحسن المُمَجِّلا
فليتكم أبقيتــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوني كما قد كنت من قبلكم الأولَا
أتقنت باب البيع والصرف في الـ شهباً وما دافع باب الولَا
ثم متى أغفلتني بعــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــد ذا شرعت في التفليس مستبدلا
ما أنس لا أنس رسولاً أتى بنقلتي لأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدم المرسلا
قلت رسولي رُمْتُ جَرِي إلى منبج ماذا أنت « من » أو « إلى »
قال أنا « من » قلت لا إنَّ « من » للابتدا أنت كذا ؟ قال : لا
أنا « إلى » قلت « إلى » نعمةً واحدة الألاء عند الملا
أين هي النعمة في قاطع بقربه ما حُقَّ أن يوصلا
فقال ما سميتني هات قل واحذر عن التعليل أن تذهلا

(١) (أ) ، (ق) : « وحالتي » .

قلت له جئت بنفي عن الـ جنس فحق أن نسيمك « لا »
 قلت أنصرف قال انصرافي على مذهب أهل النحولن يجملا
 فالعدل والتعريف عندي ولي منزلة في النحولن تجهلا
 قال أضفناك إلى منبج فحق أن تصرف مسترسلا
 قلت بلادي ربعها عامر ومنبج ربعها قد خلا
 قال اسمك المعدول عن عامر قضي عن العامر أن تعدلا

وأنشدني [له] ^(١) إجازة ومن خطّه ، نقلت موشحة فائقة :

مذهبي • حبّ رشاً ذي جسد مذهب • قدحبي • حسناً به يستعذب القدح بي
 • عاذلا • ماأنت فيما قلته • عادلا •
 • سائلا • يُخبرك دمع قد هي • سائلا •
 • آه لا • تعذلّ فاقلي لدا • أهلا •
 منصبي • والعقل أذهبتها من صبي • ماري • إلا وقد ربي به ماري
 • مانسي • زمان طيب الوصل في مانسي •
 • والمسي • رقيب الكف لم المس •
 • جانسي • حزني فالفي كلما جانسي •
 وارق بي • ياطرف سهداً والنجوم ارقب • واشن بي • من لم هم في ثغر أشنب
 • رق ما • في خده الوردى ^(٢) قد رقما •
 • عندما • رأيت دمعي للجفا عندما •
 • ضر ما • في مهجتي من هجره ضرما •
 من أبي • يأتى الرضانلت الجفا من أبي • فارع بي • رضاه يا قلبي وته وارعب
 • من صلا • لي فحة بل من نضالي منصلا •

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) ليست في (أ) .

• بَلَبَلَا • فَوَاد مَضَاه هَوَى بَل بَلَا

• أَوْ وَلَا • مَلَزَمَ آخِرَهُ الْأَوَّلَا

فَأَنَّهُ بِي • غَيْرِي وَلِذَاتِ الْغَرَامِ أَنْهَبَ • وَالْهَ بِي • عَنْ^(١) عَذْلِ بَلٍ يَا حِشَايَ الْهَبِ
وفي هذه الموشحة كَرَّرَ في القافية لفظة (بِي) في مواضع ، وهو إيطاء ، لكن
يفتقر للحلا^(٢) .

١٣٠٢ - عُمَرُ بْنُ نَاصِرِ بْنِ نَصَّارِ الْعُرْضِيِّ *

جمال الدين ، الكاتب الشاعر ، توفي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست
مئة .

ومن شعره :^(٣)

١٣٠٣ - عُمَرُ بْنُ يَوْسُفَ **

الصدر الرئيس الماجد القاضي زين الدين أبو حفص بن أبي السَّفَّاحِ الحلبي .

كان ركنَ رئاسه ، وطَوْودَ سَيَادَةٍ وَسِيَّاسَه ، تَرَدَّى بِالْمَكَارِمِ وَالْإِحْسَانِ ، وَكَانَ حَرِيّاً
وَحَقِيقاً بِلَفْظِ الْإِنْسَانِ ، يَخْدُمُ النَّاسَ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ ، وَيَقِفُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي مَعْرِضِ الدَّهْرِ
وَتَجَاهِهِ ، مَعَ دُرْبَةٍ بِمَدَاخِلَةِ النَّاسِ ، وَالتَّنَوُّعِ لِكُلِّ الْأَجْنَاسِ ، وَالسَّعْيِ الَّذِي إِذَا أَضْجَرَهُ
الْحَرَمَانُ قَالَ الْعَزْمُ : « مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ » ، لَمْ يَعْتَبِ لِيَالِيهِ ، وَلَا أَنْشَدَ يَوْمًا
أَمَانِيهِ :

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) قوله : « وفي هذه » حتى ههنا ليس في (أ) ، (ق) .

* لم تقف على ترجمة له .

(٣) كذا بياض في الأصول .

** الدرر : ١٩٧/٣ ، والذيل التام : ١٣٧ .

فيا دارها بالخيف^(١) إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
بل يصبر ويذأب ، ويشعب صدع السعي ويرأب .

ولم يزل يعاند من يطيق^(٢) عناده ، ويغالب الحوادث إلى أن أصلح له الدهر
فسادة فساده ، وبلغ ما أم له وأمله ، ورأس في الزمان وجمله ، وعاذ به البدر من
النقص فكله ، وتخرق في العطايا والهبات ، وعلم أن الدهر هبات ، وتعين في إظهار
الرئاسة وتجل ، وتحلم على من عاداه أو عانده وتحمل ، إلا أن الأعادي كادوه ، وعلوا
صرح الكيد له وشادوه ، فخانه من إليه ينتهي ، و « خرّ صريعاً لليدين وللقر »^(٣) :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام^(٤)

ولم يزل يقوم ويبرك ، ويمجد ويحرك ، إلى أن بطلت حركة نبضه ، وتعين
لكل وارث مقداراً فرضه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر شعبان سنة أربع وخمسين وسبع مئة بحلب .

كان من جملة كتاب الإنشاء بحلب ، فسعى واجتهد إلى أن تولى وكالة بيت المال
ونظر الخاص ، ولما مات جركس نائب قلعة المسلمين وحضر الأمير سيف الدين منجك
من الديار المصرية إلى حلب لضبط موجوده ، خدمه القاضي زين الدين هناك
وصحبه ، وتوجه معه إلى قلعة المسلمين ، وتأكدت الصحبة بينهما .

ولما عاد الأمير سيف الدين منجك إلى مصر وترقى ، وصار وزيراً بالديار

(١) (أ) ، (ق) : « بالحزن » .

(٢) (أ) ، (ق) : « أطاق » .

(٣) لجابر بن حني التغلبي ، وصدده :

تناوله بالرمح ثم اتنى له

المفضليات : ٢٠٩ .

(٤) للمتنبى ، ديوانه ٣/٢٤٥ .

المصرية ، طَلَب ابن السفاح وأخاه وولاه كِتَابَةَ السِّرِّ بحلب عوضاً عن القاضي جمال الدين بن الشهاب^(١) محمود ، وأقام في حلب تِلْكَ الْمُدَّة على القالب الجائر ، وحَسَدَهُ أصحابه وغيرهم ، وأحْسَنَ إلى الناس كُلِّهم ، ولكنَّ الحسود لا يَرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُ النعمة . وكان الأمير أرقطاي^(٢) نائب حلب ، فَمَشَى الأحوال وَصَبَرَ ولم يَسْمَعْ فِيهِ كَلَامَ وَاش . ولَمَّا مات وحضر سيف^(٣) الدين أرغون الكاملي زاد أعداؤه في السعي عليه وتمكَّنوا منه فَرَمَوْا بينه وبين النائب ، وتأكدت الوحشة ، وتظاهر بالانحراف عليه ، وكتب فيه إلى مصر حتى عَزَلَ^(٤) بالسيد الشريف شهاب الدين الحسين الحسيني^(٥) ، وصور ، وأخذ منه مئة ألف درهم ، ولم يَجْرِ على كاتبٍ سِراً ما جرى عليه ، ثم إنَّه أُفْرِجَ عنه وطُلِبَ إلى مِصْرَ ، فَمَّا وصل إليها حتى أُمْسِكَ الأمير سيف الدين منجك وقام عليه الأمير سيف الدين طشبقا الداودار ، فأعْيَدَ هو وأخوه القاضي شمس الدين تحت الترسيم إلى حلب ، وأخذَ منها شيء آخر بعد المئة ألف .

ثم أُفْرِجَ عنه وتوجَّهَ إلى مصر ، وعاد مع السلطان الملك الصالح صالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس ، وجاء على وظائفه الأول [بحلب]^(٦) ، فتوجَّهَ إليها وأقام بها إلى أن تَوَفَّى رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان رحمه الله تعالى جواداً كريماً ذا مروءة زائدة وتَعَصَّبَ لِمَن يَنْتَبِي إليه وخدمة للناس ومدارة ، وقلَّ أن رأيتُ مثله ، وكان يَغْتَرِيهِ مرضُ الماشري كلَّ أربعين يوماً أو أقلَّ أو أكثر ، ويقاسي منه شدةً ثم يبرأ منه .

(١) (أ) ، (ق) : « شهاب الدين » .

(٢) (أ) ، (ق) : « سيف الدين أرقطاي » .

(٣) (أ) ، (ق) : « الأمير سيف » .

(٤) (أ) ، (ق) : « بمصر ، ولم يزل إلى أن عزل » .

(٥) هو الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

وجاء في بعض سفراته إلى دمشق فتوجهت إلى زيارته فوجدته يأكل سَلْفُنْدَاناً
فعزم عليّ ، فلم أكل منه لأنني كنت صائماً ، ثم إني صنعت له في اليوم الثاني طبقاً من
حلوى السَلْفُنْدَان ، وجهّزته وكتبت إليه معه :

ما حَرِمَ المملوكَ لَمَّا غَدَا عِنْدَكَ أَكَلَ السَّلْفُنْدَانُ
إِلَّا لِأَن يَأْتِيَ بِهِ هَكَذَا فَصَارَ هَذَا سَلْفُ دَانِي

وكانت إلى جانبي دَوَيْرَةٌ في دمشق لشخصٍ نصراني قسيس في حلب ، وكنت
مضروباً لإضافة تلك الدويرة إلى داري ، فكتبت إليه ليتحدث مع ذلك النصراني
ويشتريها لي منه ويَرْغَبَ في الثمن ، وكتبتُ من جملة ذلك :

أَقُولُ لِلْحَائِرِ اللَّهْفَانِ حِينَ غَدَا وَلَمْ يَنْلِ مِنْ أَمَانِي نَفْسِهِ وَطَرَا
إِنْ أَهْمَلَ الدَّهْرُ مَا تَبَغَّيْتُهُ مِنْ أَمَلٍ وَنَامَ عَنْ نَيْلِهِ نَبَّهَ لَهُ عَمْرًا^(١)

فعادَ جوابه بأنَّ الشغلَ يتقضي ولكن النصراني ضنين بهذا المكان وأبطأ على انقضاء
الشغل في ذلك ، فكتبت إليه أيضاً :

مَوْلَايَ زَيْنَ الدِّينِ حَالِي غَدَتِ أَنْتَ هَاهُنَا دُونَ الْوَرَى دَارِي
فَدَارِكِ الْقَسِيسَ أَوْ^(٢) دَارِهِ فَإِنِّي قَدْ ضَقْتُ فِي دَارِي

١٣٠٤ - عُمَرُ بْنُ *

الشيخ الفاضل سراج الدين الصوفي الصفدي .

توجّه من صفد قديماً إلى القاهرة ، أظن أنه^(٣) قبل عشر وسبع مئة ، وبلغني أنه

(١) يشير إلى قول بشار :

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبَ الْعَبْدَا فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَّ

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩٨/٣ .

(٣) ليست في (أ) .

حفظ (الوجيز) ، ثم إنه صار صوفيّاً بخاتقاه سعيد السعداء . ورأيتُه بالقاهرة غير مرّة ، وهو من جملة الصوفية بسرياقوس .

ثم إنه ولي مشيخة الشيوخ بسعيد السعداء فأقام على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان شكلاً حسناً وقوّته الحافظة متوفرة .

اللقب والنسب^(١)

☆ ابن عمرون : علاء الدين علي بن الحسن .

☆ العنبري : ظهير الدين علي بن عبد الكريم .

١٣٠٥ - عوض بن نصر بن عبد الرحمن بن شيركوه *

الفقيه المصريّ الحنفي الصوفي شرف الدين أبو خلف .

سمع معي على أشياخي الحفاظ أثير الدين ، وفتح الدين ، والمُسْنِدِ يونس الدبائيسي ، وغيرهم .

كان جميل الودّ حسن الصحبة .

كان الشيخ أثير الدين يقول : استدرك على بعض المصنفين سبعة عشر موضعاً من الغلط في أسماء القراء ، وكان يَنْقُلُ القراءات ، وينقل فروع مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وله إمامٌ بالحديث ، لأنه سمع منه كثيراً ، وسمع بقراءتي كثيراً ، إلا أنه لحقته يوماً غفلة ، فسأل بعض الجماعة عن قول الزمخشري في أول (المِفْصَل) لأي شيء قال : « الله أَحْمَد » وما قال : الله يوسف ولا الله عيسى أو موسى أو غير ذلك من

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الدرر : ١٩٩/٣ .

الأسماء ، فحفظوها عنه^(١) ، ووضع واحدٌ منهم سؤالاتٍ عليه^(٢) من أول (المِفْصَل) إلى آخره على لسانه مثل : لأي شيء قال « باب الترخيم » وما قال « باب التبليط » ، ولأي شيء قال « الموصول » وما قال « الشَّابَّة » ، ولأي شيء قال « العَلَم » وما قال « السنجق » ، وقال « زَيْدُ قَفَّة » وما قال « السرقانية »^(٣) ، ثم إنه شرع في تعليل ذلك جميعه مثل قوله : « الموصول » ، لأنَّه اسميٌّ وحرُفيٌّ ، فهو ينقسم إلى قسمين ، والموصول قطعتان موصولتان وليست « الشَّابَّة » كذلك ، ومن هذه النسبة .

وقال له الطلبة الذين يعبثون به أنتَ مَا في القرآن الكريم لفظ يوازن اسمك ، فانحرف من ذلك ، وتأذَى وجاء إليَّ شاكياً ، فقلت له : بلى في القرآن ما يوازن اسمك فقال : ما هو ؟ ، قلت : « عَنَبُ » فسَرَّ بذلك ، وتوجَّه إليهم .

وَحكى لي الحافظ فتح الدين قال : جاء إليَّ عوض مرَّات ، قال أريد أقرأ أنا بنفسي جزءاً ، فاستحييت يوماً منه ، فأخذ جزءاً وقعد على الكرسي وحضر الناس وجَلَسْتُ^(٤) أنا في المحراب أمامه وأخذ هو في القراءة فأول حديث قرأه : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يَشُوصُ فاه بالسَّوَاك »^(٥) ، فصَحَّفه وقال : يَشُوصُ بالشين المعجمة المفتوحة والواو المشددة والضاد المعجمة ، ووقع في الضاد بلسانه ، قال : فأخذت الجزء من يده منه ، وقلت له : اترك ، وقُمْنَا . ومع ذلك فقد جمع جزءا في

(١) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « على المِفْصَل » .

(٣) هي القَفَّة أو السطل .

(٤) في الأصل : « وصَلَّيت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) روايته في صحيح البخاري ٨٢/١ (باب السواك) : « كان إذا قام من الليل يَشُوصُ فاه بالسَّوَاك » ، وكذا روي في ٢٦٦/١ ، (باب السواك يوم الجمعة) ، وكذا روي في الجامع الصغير : ١٠٩/٢ . وفي صحيح البخاري ٣٤٥/١ (باب طول القيام في صلاة الليل) روي : « كان إذا قام للتهجد من الليل ... » . والشوص : الدلك ومضغ السواك ، والاستنان به .

(الحَنَاء : هل هُوَ طِيبٌ أَوْ لَا) وَتَتَّبِعِ الْمَعَاجِمَ ، وَجَمْعُ جِزْءٍ وَسَمَاءُ (شِفَاءُ الْمَرَضِ فِي مَنْ يُسَمَّى بِعَوَضٍ) .

حضر إلى دمشق في سنة أربع وبعض خمس وأربعين وسبع مئة لزيارة شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - فوصله وبرّه ، ثم إنه عاد إلى القاهرة .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، وقيل : توفي في ذي الحجة .

وكان تتماماً رحمه الله تعالى .

☆ ابن العَوَيْنَةِ : الشيخ زين الدين عليّ بن الحسين .

١٣٠٦ - عيسى بن أحمد بن مسعود بن خلف *

الشيخ ضياء الدين أبو الهدى المحدث الصوفي .

خُرِّجَ لَهُ وَحَدَّثَ . وَمِنْ شُيُوخِهِ ابْنُ الصَّفْرَاوِيِّ ^(١) ، تَفَرَّدَ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ ، وَابْنُ الطُّفَيْلِ ^(٢) وَ [ابْنُ] الْخَيْلِيِّ ^(٣) ، وَابْنُ دِينَارٍ ^(٤) ، وَابْنُ الْجُمَيْزِيِّ ، وَسِبْطُ السَّلْفِيِّ ، وَابْنُ الْمُقَيَّرِ ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْغَزَالِ ^(٥) ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ^(٦) ، وَيُونُسُ بْنُ السَّائِي ^(٧) ، وَعَلِمَ الدِّينَ [بَن] ^(٨) الصَّابُونِي .

* لَمْ نَقِفْ عَلَى تَرْجُمَةٍ لَهُ . وَفِي (أ) ، (ق) : « .. بَنِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْعُودٍ .. » .

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْجَبْرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (ت ٦٣٦) ، السَّيَرُ : ٤١/٢٣ .

(٢) عَبْدُ الرَّحِيمِ يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الطُّفَيْلِ (ت ٦٣٧) ، السَّيَرُ : ٤٢/٢٣ .

(٣) يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ (ت ٦٤٢) ، السَّيَرُ : ١١٦/٢٣ .

(٤) الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ (ت ٦٣٩) ، الشُّذَرَاتُ : ٢٠٤/٥ .

(٥) حَمْزَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَتِيقَ بْنِ أَوْسَ الْغَزَالِ (ت ٦٤١) ، الشُّذَرَاتُ : ٢١١/٥ .

(٦) قَوْلُهُ : « وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ » ، لَيْسَ فِي (أ) ، (ق) .

(٧) يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ (ت ٦٤٧) ، السَّيَرُ : ١٣٣/٢٣ .

(٨) زِيَادَةُ مِنْ (أ) ، (ق) ، وَقَدْ سَلَفَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن هؤلاء العشرة وعن غيرهم . قال :
وقرأت عليه (الأربعين أبدال التسايعات) تخريج تقي الدين عبيد له ، ومجلسي
ابن البخاري ^(١) وأحاديث سلسلة .

وتوفي في تاسع عشر شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بسبته سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وكان موته فجأة رحمه الله تعالى .

١٣٠٧ - عيسى بن إسماعيل بن عيسى *

ابن محمد بن حماد بن صالح ، الشيخ الفقيه الفاضل عماد الدين أبو محمد الجهني
الهيثي ^(٢) الصالحي .

كان من أصحاب الشيخ تاج الدين ^(٣) ، مواظباً على قراءة القرآن ، ويكرّر على
كتاب (التعجيز) في الفقه ، وحفظ أولاً كتاب (التنبيه) ، ثم سافر إلى الموصل وإلى
الروم ، وخالط الفقهاء وسمع من ابن أبي اليسر في (صحيح البخاري) ، وسمع كتاب
(الترمذي) على ابن علان ، وسمع (ثلاثيات المسند) على ابن شيبان ، وله إجازة من
نقيب الأشراف بهاء الدين ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي ، ومكي بن عبد الرزاق
القدس ^(٤) ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف .

(١) في الأصول : « البخاري » ، تصنيف ، وهو : محمد بن عمرو بن البخاري الرزاز (ت ٣٣٩) ، السير :
٣٨٥/١٥ .

* الدرر : ٢٠٢/٣ .

(٢) في الدرر : « الهيثي » .

(٣) في الدرر : « تاج الدين بن الفركاح » .

(٤) (أ) : « المقدسي » .

وتوفي في تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٣٠٨ - عيسى بن ثروان بن محمد*

ابن ثروان بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الباقي بن أبي الحسن التدمري ، الشيخ الزاهد العابد العارف حفيد الشيخ الكبير ثروان .

كان شيخ البيانة وشيخ بلدِه ، وله الصِّيت والسمعة والقبول والكلمة المسموعة .

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده في نصف شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان جدّ والده من أصحاب الشيخ أبي البيان^(١) . ودفن الشيخ عيسى عند قبر والده برّا الباب الصغير .

١٣٠٩ - عيسى بن داود**

الشيخ الإمام العلامة سيف الدين أبو الروح البغدادي الحنفي المنطقي .

أخذ الجدل عن البدر الطويل^(٢) ، والفخر بن البديع ، وشارك وبرع في المنطق .

تخرّج به جماعة من الأعيان كشيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله

تعالى وغيره .

* الدرر : ٢٠٢/٣ .

(١) هو نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني ، شيخ البيانة (ت ٥٥١ هـ) ، السير : ٢٢٦/٢٠ .

** الدرر : ٢٠٢/٣ .

(٢) هو بدر الدين المراغي ، من شراح كتاب الإرشاد الآتي ذكره . انظر : الكشف : ٦٩/١ .

وشرح (الموجز) للخونجي^(١) إملاءً من حفظه ، و (الإرشاد)^(٢) كذلك ، وسكن القاهرة ، وأقام بمدرسة الظاهر بين القصرين .

قال : كان لي وقت بناء المدرسة المستنصرية سبع سنين أو ثمان سنين ، وولدت بخوارزم .

وقال قاضي القضاة تقي الدين رحمه الله تعالى : قال لي سنة^(٣) خمس وسبع مئة : لي تسعون سنة . وهذا تناقضٌ منه .

وتوفي رحمه الله سنة خمس وسبع مئة .

وكان كثير التواضع مقتصداً سمحاً لطيف الشكل حسن المجالسة . وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني حكايات عجيبة مضحكة ، تدل على أنه كان ظريفاً مطرحاً ، سليم الباطن رحمه الله تعالى .

١٣١٠- عيسى بن داود*

الملك المعظم شرف الدين أبو البركات بن الملك الزاهر مجير الدين أبي سليمان بن الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث شيركوه بن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير الملك أسد الدين شيركوه بن شادي .

(١) هو الموجز في المنطق لمحمد بن ناماور الخونجي المصري (ت ٦٤٦ هـ) ، الكشف : ١٩٠١/٢ ، وأشار ثمة إلى شرح عيسى بن داود .

(٢) هو الإرشاد في علم الخلاف والجدل ، ألفه محمد بن محمد العميدي السمرقندي (ت ٥١٥) ، الكشف : ٦٩/١ .

(٣) في (أ) ، (ق) : « في سنة .. » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدرر : ٢٠٢/٣ .

كان قد توجه من دمشق إلى القاهرة يطلب^(١) الزيادة على إقطاعه ، ومعه هديّة جليّة ، فأقبل عليه^(٢) السلطان وقضى شغله ، فأدركه أجله هناك .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

سمع من ابن عبد الدائم وغيره ، وروى .

ومولده في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٣١١ - عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن حمد*

الشيخ المُسْنِد المعمر الرحلة شرف^(٣) الدين أبو محمد المقدسي الصالح الحنبلي الصحراوي المطعم^(٥) ثم السمسار في الأملاك .

سمع من ابن الزبيدي ، والفخر الإربلي حضوراً ، ومن ابن اللّتي ، وجعفر الهمداني ، وكريمة القرشيّة ، والضياء الحافظ ، وجماعة .

وروى الكثير وتفرّد ، وخُرّجت له (العوالي) و (المشيخة) .

وحدّث عنه ابن الحُبّاز في حياة ابن عبد الدائم . وله إجازة من ابن صَبّاح ومكرّم وابن روزبة والقطيعي ، وعدّة .

وسار إلى بغداد وطعم^(٥) في بستان المعتصم وكان أمياً^(٦) .

(١) (أ) ، (ق) : « لطلب » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « عليها » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدرر : ٢٠٤/٣ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٣) في الأصل : « شمس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والشذرات .

(٤) في الأصل : « المعظم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « وطعن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٦) في الأصل : « أسن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

قال شيخنا الذهبي : بعيد [من] الفهم^(١) ، وربما أخلّ بالصلاة على عادة العوام^(٢) ، وأقعد بأخرة^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

١٣١٢ - عيسى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم*

المقرئ الشيخ مجد الدين أبو محمد البعلبكي .

كان من بيت معروف بالعدالة والديانة . سمع من أبي سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ببعلبك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه مجلس (البطاقة)^(٤) بسماعه من أبي سليمان المذكور ، وكان قرأه الشيخ علم الدين ببعلبك في سنة سبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني^(٥) عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٣١٣ - عيسى بن علي**

الشيخ الإمام المحدث الفاضل شرف الدين أبو الفضل الأندلسي الدمشقي المؤذن ، قارئ الحديث للناس .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « قاعدة الأعوام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « آخر عمره » .

* الدرر : ٢٠٤/٣ .

(٤) سلفت الإشارة إلى حديث البطاقة ، وعليه .

(٥) (أ) : « ثامن » .

** كنا فراغ في الأصول ، وترجمته في الدرر : ٢٠٦/٣ ، وفيه : « عيسى بن علي بن عيسى بن إبراهيم بن

عيسى البسطي » .

عمل صنعة الحرير^(١) مدة ، ثم إنه صحب الشيخ إبراهيم الرقي وتخرج به . وكان يقرأ الحديث على العامة بفصاحة ونغم طيب ، واشتهر بذلك .

وأجاد علم الوقت . كان من مؤذني الجامع الأموي ، وأظنه جاء إلى صفد قبل العشرين ، وقرأ علينا جزءاً من مروياته ، ولم أتحقق الآن ما هو ، وقد كتبت اسمي واسم غيري فيه .

قال شيخنا الذهبي : سمعنا بقراءته (صحيح) البخاري على شيخنا المزني أيًا قراءة ، وقد سمع من [ابن]^(٢) ، الواسطي وأنشدنا من شعره ، وكان لا تَمَلَّ مُجَالَسَتَهُ ، قال : وهو على هَنَاتِهِ صويحي ، والله تعالى يساعده .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وستين وست مئة .

١٣١٤ - عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن *

مجد الدين أبو الروح المعروف بابن الحشّاب ، الفقيه الشافعي ، وكيل بيت المال بالديار المصرية .

قرأ القراءات^(٣) على ابن الذّهان والكمال الضير ، وسمع من أصحاب البوصيري ، والحافظ المنذري وأبي الحسين القرشي وعبد الله بن علاق^(٤) وغيرهم .

(١) في الدرر : « وكان يصنع الحرير » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٠٦/٣ .

(٣) في الأصل والدرر : « القرآن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) في الأصل و (ق) و (ط) : « علّان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والدرر ، وهو عبد الله بن الواحد بن

محمد (ت ٦٧٢) ، العبر : ٢٩٩/٥ .

وسمع منه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين^(١) رحمه الله تعالى . وحدث بالقاهرة وسمع منه الجماعة ، وتفقه بآبن عبد السلام ، وصحب الأمير بدر الدين بيلبك الخزندار الظاهري ، وانتفع به .

وتولّى الوكالة ونظر الأعباس [والحسبة]^(٢) ودرّس بزاوية الشافعي بالجامع العتيق بمصر وبالمدرسة الناصرية وبالقرا سنقرية ، وأفق .

وكان فيه مروءة وله همة ، وكان الشجاعى ينبسط معه كثيراً .

قال شيخنا العلامة أثير الدين : دخلت مرّة معه أنا والشجاعى إلى البيارستان المنصوري وإذا بمجنون يتطلع إلى ابن الخشاب وينشد :

محتسبٌ قَصِيرٌ يُـوَسِّسُ وَيَسْكُرُ
تـَـارَةً من مَحْضٍ^(٣) وتـَـارَةً من مَعْنَبُرٍ

فقال له الشجاعى : أنا قلت لهذا المجنون^(٤) يقول لك هذا .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وولي الوكالة بعده ولده صدر الدين أحمد .

١٣١٥ - عيسى بن عمر بن عيسى *

الأمير شرف الدين بن البرطاسي الكردي ، مشد الدواوين بطرابلس .

كان مشكوراً في مباشرته ، مذكوراً بالخير في معاشرته ، فيه كياسة ، وعنده

(١) : « تقي الدين السبكي » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) : (أ) : « محض » .

(٤) : (أ) ، (ق) : « أنا قلت للمجنون » .

* الدرر : ٢٠٨/٣ .

حشمة ورياسة ، وله سيادة وسياسة ، ما خلا من خير قدمه ، وشر هدمه . وعمر بطرابلس مدرسة للشافعية مليحة ، وجعل ساحتها للطلبة فسيحة .

ولم يزل على حاله إلى أن أذرب وولّى ، وترك أعراض هذه الدار وخلقى .

توفي رحمه الله تعالى بطرابلس خامس شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين ، وتولى مكانه الأمير بدر الدين بكتوت القرماني^(١) .

وكان ابن البرطاسي قد باشر ولاية البرّ بدمشق في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الطرقي^(٢) ، ولم يزل في ولاية البرّ إلى أن عزل بابن معيد^(٣) في سادس ذي الحجة سنة أربع عشرة ، ثم أعيد بعد العيد إلى طرابلس فأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور .

١٣١٦ - عيسى بن فضل بن عيسى *

الأمير شرف الدين .

توفي رحمه الله تعالى في إحدى الجمادئين سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

١٣١٧ - عيسى بن المحب **

شرف الدين النابلسي المعروف بالناسخ في القاهرة .

(١) سلفت ترجمته في موضعها ، ووقع في الأصل : « الفرياني » ، تحريف .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) (أ) ، (ق) : « بالأمير علاء الدين بن معيد » ، وهو علي بن محمود ، سلفت ترجمته في موضعها .

* كذا يباض في الأصول . وقام نسبه كما في الدرر ، ٢٠٨/٣ : « ابن مهنا » . وفي ذيول العبر : ٢٤١ ، « ... ابن أخي الملك مهنا » .

** الدرر : ٢٠٨/٣ .

كتب الخط المنسوب ، وأتى به وهو في عداد الرياض مَحْسُوب ، وجوّد النسخ وأتقنه ، ونمّقه وحسّنه ، فعُرف بالناسخ لذلك ، واشتهر به اشتهار النجم^(١) في الليل الحالِك .

وكان ينظم الشعر ، ويتعاطى فيه مغالاة^(٢) السعر .

لبث في السجن بضع سنين ، وكان اللطف بأذاه ضنين ، ثم إنه خرج من غيابة جَبّه ، ولكنه حصّد بذر^(٣) جَبّه ، فشعشت له النار رَحيقا ، ومات فيها حريقا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة .

وكان قد جوّد واجتهد إلى أن حاكى خطّ القاضي علاء الدين بن الأثير وكان يوقع على هوامش القصص بما يريد ويتوجه صاحب القصة بها إلى بعض الموقعين ، فيكتب^(٤) بما سألَه وهو لا يشكّ أن ذلك خط ابن الأثير ، ويأخذ صاحب القصة الكتاب ويتوجّه به إلى الدوادار فيرى خطاً معروفاً فيدخل به في فوطة العلامّة ويعلم له السلطان ويخرج الكتاب ، والكلّ صحيح ، وما يرى أحد خطّ السلطان إلا ويكتب عليه علامته والاعتماد ، ومشت بذلك أحوال ، وحارّ الناس في ذلك ولا يعلم أحد من أتى عليه أصل الفساد من أين ، إلى أن أمسك شرف الدين هذا فأخذه القاضي علاء الدين ودخل به إلى السلطان الملك الناصر محمد وحكى له الصورة ، فقال له : أنا هذا مازور عليّ ، فإنما زورّ عليك فأمره إليك ، فأودعه في سجن القلعة ، فلبث قريباً من سبع^(٥) سنين . ولما جرى للقاضي علاء الدين ما جرى من الفالج حَدَث في أمره فأفرج عنه ،

(١) ، (أ) ، (ق) : « النجم النير » .

(٢) في الأصل : « معاطاة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الأصل و (ط) : « بدر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (ط) : « كتب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) (أ) : « بضع » .

وكان القاضي^(١) بعد اطلاعه على أمره لا يَكُنْ أحداً من الموقعين يكتب على قصّة حق يكتب هو اسم مَنْ يوقع عليها ، ومن ذلك التاريخ صار ذلك رسماً لكاتب السر يكتب على القصص اسم الموقع .

وبلغني عن هذا^(٢) شرف الدين أنه كان في السجن يُزَوِّرُ أشياء في الوصولات^(٣) وغيرها ومكث بعد خلاصه من السجن مُدَّةً قريباً من أربع سنين . ثم إنه نام ليلة ونسي^(٤) روحه والطوّافة في يده تقيد ، فاحترق اللحاف الذي عليه وتعدّر خلاصه فأصبح في بيته ميتاً محترقاً .

وكان قد كتب إلي من السجن وأنا بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة :

يعزّ على عيسى وجود خليله	بصر وعيسى بات في قبضة السجن
فيا ناراً أشواقى تلظّت بها الحشا	ولم يطفها من مقلتي واكف المُرْنِ ^(٥)
ويا حسرتنا لو فزت يوماً برؤية الـ	محياً الذي أزرى على البدر في الدجن
أمولاي إني قد سمعت فضائلاً	ظهرت بها في مصر في غاية الحسن
فسارت بها الركبان في ساحة الفلا	وغنى بها الملاح إذ صار في السفن
لقد فقت فرسان البلاغة كلّهم	وما أحداً عن ذاك في مصر أستثني
عسى نفثه من دُرّ شعرٍ نظمته	أحلي بها جيدي إذا شئت أذني

فكتبت أنا إليه :

خليل أتى مضراً وعيسى مُحجَّب	من الدهر في سجن فلا كان من كن
لئن كان في سجن فكل مهتد	إذا ادخروه للردى بات في جفن

(١) (أ) ، (ق) : « القاضي علاء الدين » .

(٢) في الأصل : « عن القاضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « الموصولات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (ق) : « وقد نسي » .

(٥) (أ) ، (ق) : « أشواق » .

فيا زهرَ روضِ حَبَّتِه كَأَمَّةٍ عسى تَتَفَرَّى عنه في ذُرْوَةِ الغصنِ
 حنانيك إني فيك من شِدَّةِ الأَسَى تَقِمْتُ الرضَى حتَّى على ضاحِكِ المزنِ
 فصبراً على ما قد مُنيتَ كأَنَّا الزمان على الأحرارِ مِثْلَكَ ذَوْضِغْنِ^(١)
 فقد يخرج الإصباح من ظِلْمَةِ الدجى وقد تُطْلُقُ الصهباء من حَرَجِ الدنِ
 كأني بذاك الوجه يُبدي نِضَارَهُ وقد بَرَّقَعَتُهُ بالحيا راحةَ الحُسْنِ^(٢)
 وقالت له الأيام وهي جديرة بكل قبيح أن تخون وأن تحجني
 أعيسى لقد شاركت في الحسن يوسفاً فشاركه أيضاً في الدخول إلى السجنِ

وأنشدته يوماً لنفسِي بعدما خرج من السجن :

يا قلبُ إن رَقَّ خَدَّال حبيب أو لَانِ عِطْفُوه
 فشَعْرُهُ كَمَ تَجِـبَاقِي وَكَمْ تَثَاقُلَ رِذْفُوه

فأنشدني هو لنفسه :

شكوت الذي ألقى سهاداً وعَبْرَةً فَوَكَّلَ جَفْنِي أَنَّهُ قَطُّ لَا يَغْفُو
 فلانَتْ لي الأعطافُ والخَصْرُ رَقَّ لي ولكن تجافى الشَّعْرُ وأثاقل الرَّدْفُ

قلتُ : في البيت الأول نظر ، وهو أنه لا يقال إلا أغفى يغفي ، ولم يُسَمَّع في فصيح الكلام « يغفو » ، وفي البيت الثاني نظر .

ثم إنني بعد ذلك قُلْتُ في هذه المادة :

في القلب من هاجري لوعَةٍ بغير تلافيه ماتنْدَمِلُ
 فيا شَعْرُهُ بعضَ هذا الجفا ويارِذْفُوه أنت ماتنْحَمِلُ^(٣)

(١) (أ) ، (ق) : « فلاناً » .

(٢) (أ) ، (ق) : « يننى » ، وهي أشبه .

(٣) في الأصل و (أ) : « تحتل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

والأصل في ذلك كله قول شمس الدين محمد بن التلمساني :

يَا خَصْرَه كَمْ جَفَاً تَبْدِي وَأَنْتِ غِيْلُ
يَا رِدْقَه نَحَّ عَنْهُ مَا أَنْتِ إِلَّا ثَقِيلُ

وقوله أيضاً :

يَا رِدْقَه جُرْتُ عَلَى خَصْرِهِ كَمْ تَعْتَدِي مَا أَنْتِ إِلَّا ثَقِيلُ^(١)

وقوله أيضاً :

كَأَنَّ الشَّعْرَ يَطْلُبُنِي بـدَيْنِ فَكَمْ يَجْفُو عَلَيَّ وَيَسْتَطِيلُ
وَكُنْتُ قَدْ قُلْتُ أَنَا قَدِيماً :

يَا ظَالِماً حَلَّ فِي ضَمِيرِي وَأَلْزَمَ الْقَلْبَ أَنْ تَحَوَّلَ
تَعْلَمُ الشَّعْرُ مِنْكَ لَمَّا رَأَى غَرَامِي جَفَاً وَطَوَّلَ^(٢)

وقلت أيضاً :

وَبِي رِشَاءً مِعَاطِفُهُ رِشَاقٌ وَكَمْ رَشَقْتُ لَوَاحِظَهُ^(٣) نَبَالاً
لَهُ شَعْرٌ حَكَاهُ فِي التَّجْنِي عَلَى ضَعْفِي تَجَافَى وَاسْتَطَالَ

١٣١٨ - عيسى بن محمد بن أحمد بن إبراهيم *

الصدفي المعروف بابن الصابوني ، مجد الدين الإشبيلي .

(١) (أ) ، (ق) : « رفقا به ما أنت » .

(٢) في الأصل و (ط) : « حقاً وطول » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « معاطفه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمة له .

قال شيخنا أثير الدين : لقيته بثمر دمياط وكان يتجر في البز ، ثم انتقل إلى الإسكندرية . أنشدنا لنفسه في شاب اسمه بدر بن نجم :

رَأَيْتُ نَجُوماً فِي السَّمَاءِ كَثِيراً تَقْصَرُ عَنْ إِدْرَاكِهِمْ أُولُو الْفَهْمِ
فَلَوْ جُمِعَتْ لَمْ تَأْتِ بَدِراً مَكْمَلاً فَيَا مَنْ رَأَى بَدِراً تَوَلَّدَ مِنْ نَجْمٍ
قُلْتُ :^(١)

١٣١٩ - عيسى بن محمد بن محمد*

ابن قراجا بن سليمان بن ياروق السهروردي الواعظ ، شرف الدين أبو الرضا . أخبرني الشيخ أثير الدين من لفظه قال : كان المذكور سهروردي الخرقة ، له أدب كثير وشعر كثير وتوشيح ، أنشدنا^(٢) بالقاهرة :

مَا زَالَ يَهْوَى الْمَقْلَا قَلْبِي إِلَى أَنْ قُتِلَا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَاتَ وَمَا^(٣) قُيْلَ سَلَا
لَوْ قِيلَ لِي وَاللَّحْدُ قَدْ صَارَ لَجْسِي مَنْزِلَا
مَآأَنْتَ صَبَّ بِهِمْ مَتَيْمٌ قُلْتُ : بَلَى

وأنشدني له أيضاً :

يَاسِيدَ الْعُلَمَاءِ إِنَّ مَوْشَحِي حَرَّمَ لِكَعْبَتِهِ الْبِدَائَةَ تَسْجُدُ
قَلْدَتِهِ مِنْ بَحْرِ جُودِكَ جَوْهَرَا فَآتَاكَ وَهُوَ مَوْشَحٌ وَمَقْلَدُ

وقال :

(١) كنا بياض في الأصول .

* الدرر : ٢٠٩/٣ .

(٢) (أ) ، (ق) : « أنشدنا لنفسه » .

(٣) في الدرر : « ولا » .

أَنَا فِي السَّرِّ وَالْعَلَنُ عَبْدُ رَقٍّ بَلَا ثَمَنُ
يَا مَلِيحاً بِحَسَنِهِ سَائِرَ النَّاسِ قَدْ فَتَنُ
إِنْ تَزُرْنِي فَلِإِنَّهَا لَكَ عِنْدِي مِنَ الْمَنُ
لَسْتُ أَسْلُوهُ هَوَاكَ أَوْ يُسَدِّجُ الْجِسْمُ فِي الْكَفْنُ
وَيَنَادِي بِأَنَّهُ مَاتَ فِي الْعَشَقِ وَالشَّجْنُ

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في تاسع عَشْرِي شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرين وسبع مئة .

١٣٢٠ - عيسى الشيخ الكبير نجم الدين أبو المحامد*

ابن الشيخ أبي محمد شاه أرمن بن الشيخ صلاح الدين صالح بن عبد الله الأبلستاني الرومي المعروف بالسيوفي .

كان شيخاً كبيراً مقصوداً بالزيارة ، وأطلق له السلطان قرية الفيحة ، وكانت له حرمة عند الدولة .

توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون في زاويته المعروفة به^(١) .

١٣٢١ - عيسى بن أبي محمد بن عبد الرزاق**

الصّالحي العطار ، الشيخ المسند الصالح ضياء الدين أبو محمد المعروف بابن المغازي^(٢) ، كان أبوه شيخ مغارة الدم .

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٠/٣ ، ووقع في الأصل و (ط) : « عيسى بن الشيخ المكين نجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وما يوافق من الدرر .

(١) هي الزاوية السيوفية ، انظر : الدارس : ١٥٧/٢ .

** الدرر : ٢١٠/٣ ، والشذرات : ١١/٦ .

(٢) (أ) ، (ق) ، (ط) : « المعروف بالمغازي » .

حدّث (بالصحيح) عن ابن الزبيدي ، وسمع ابن صَبَّاح حضوراً ، وسمع من الإربلي وابن اللَّيْثي ، وجعفر الهمداني ، وأخذ عنه الواني ، والمحَبّ ، والطلبة .
وتوفي رحمه الله تعالى^(١) سنة أربع وسبع مئة .

١٣٢٢ - عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى *

شرف الدين الزواوي الفقيه المالكي .

انتهت إليه معرفة مذهب مالك رضي الله عنه بالديار المصرية .
تفقّه بزواوه على أبي محمد عبد الصمد ، ورحل إلى بجاية ، وقرأ على أبي يوسف يعقوب الزواوي ، وقرأ عليه^(٢) في (المَهْذَب) و (الموطأ) و (البرهان في الأصول) ، ثم قدم القاهرة سنة سبع مئة وسمع (الموطأ) من الدميّاطي .
وحضر إلى دمشق في أوائل شهر ربيع الآخر سنة سبع^(٣) وسبع مئة ، وحكم نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين عوضاً عن نائبه محي الدين ، وذكر درساً بالجامع ، وأقام بدمشق سنين ، ثم عاد إلى القاهرة ، وسمع من قاضي القضاة جمال الدين الزواوي ، واستنابته في الحكم بها مدّة ، وعاد إلى القاهرة^(٤) وانتصب للإقراء وانتفع الناس به .
وصنّف تصانيف : منها (شرح مسلم) في مجلدات ، و (كتاب ابن الحاجب) في الفقه ولم يكمل^(٥) ، و (تاريخاً) في مجلدات ، واختصر (كتاب) ابن يونس^(٦) في الفقه .

(١) كذا بياض في الأصول ، وفي الدرر أنه توفي في شهر ربيع الآخر .

* وفيات ابن رافع : ١٩٣/١ ، والرر : ٢١٠/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٥٩/١ .

(٢) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « التهذيب في المذهب » .

(٣) (أ) ، « تسع » ، تحريف .

(٤) كذا في الأصول ، وهذه العبارة لم ترد في الدرر .

(٥) (أ) ، (ق) : « ولم يكمله » .

(٦) عبارة الدرر : « وشرح مختصر ابن يونس » ، وابن يونس هو : أحمد بن موسى الموصلي (ت ٦٢٢) ،

اختصر كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، الكشف : ٢٤/١ .

وكانت له معرفة بالفرائض والحساب ومعرفة البلاد والأقاليم ، ويحفظ جملة من أشعار العرب ، وكان لا يقيم الوزن ، ويصحف .

وكان فيه ودٌ لأصحابه ، ودارت عليه الفتيا . وولي تدريس المنكوقمريه بالقاهرة ، والإعادة بالناصرية والمدرسة الصالحية ، وتولى تدريس المدرسة المالكية بمصر .

وحصل له بلغم ففنه من الحركة ، وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس مستهل شهر رجب سنة أربع وأربعين^(١) وسبع مئة .

ومولده بزواوة سنة أربع وستين وست مئة .

عيسى بن موسى *

- ١٣٢٣ -

المعروف بابن الزبيط ، بكسر الزاي والباء^(٢) الموحدة وسكون الطاء المهملة وبعدها راء .

كان نصرانياً مُستوفياً بحمص ، وقع منه تعرض بكلام قبيح لا يليق^(٣) ذكره في حق سيدنا رسول الله ﷺ ، فقام الناس عليه فسعى في الباطن ، وسكنت القضية . ثم إن أهل حمص قاموا عليه وأثبتوا شهادةً استرعاها اثنان لآخرين عليه ، فثبت ذلك على قاضي حمص ، فادّعى أن معه نصيحة ، فحمل إلى دمشق ، فكتب قاضي حمص إلى قاضي قارا بأمره ، فلما وصل إلى قارا أسلم وأراد من قاضي قارا أن يحكم بإسلامه فامتنع ، فحضر إلى دمشق وتظاهر بالإسلام فما قبل منه ، وفوض شيخنا قاضي القضاة

(١) في الدرر أنه توفي سنة (٧٤٣) .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) (أ) : وكسر الباء .

(٣) (أ) « لا يمكن » .

تقي الدين السبكي الحكم فيه إلى قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي ، فحكم بِسَفْكِ دَمِهِ .

وضربت رقبتَه في سوق الخيل بعد عصر الاثنين خامس شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة بحضور القضاة الأربعة .

عيسى بن يحيى *

- ١٣٢٤ -

ابن أحمد بن محمد بن مسعود ، الشيخ الإمام المحدث الصوفي ضياء الدين أبو الهدى الأنصاري السبتي .

قدم القاهرة واستوطنها في الصُّبَا ، وسكن دمشق مدة في الدولة الناصرية الصلاحية^(١) يوسف .

وحدّث عن أبي القاسم الصفراوي ، ويوسف بن الخيلي ، وابن المقير ، وابن الطفيل ، وابن دينار ، وابن الصابوني ، وجماعة ، وخرّج له التقي عبيد (أربعين تساعيات أبدالاً) .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : سمعها منه ، وكان مليح القراءة للحديث حسن المعرفة ، كثير الحرمة ، ألبسني^(٢) الخِرْقَةَ وذكر أنه ليسها بمكة من الشيخ شهاب الدين الشهرزوري^(٣) .

* الشذرات : ٤٣٦/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١١١/٨ .

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ألبسنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « الشهرزوي » ، تحريف ، فأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والشذرات . وهو

شهاب الدين يحيى بن حبش (ت ٥٨٧) ، السير ٢٠٧/٢١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...^(١) سنة ست وتسعين وست مئة .
ومولده بسبته سنة ثلاث عشرة وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ ابن أبي العيش : بدر الدين عبد الله بن الحسين .
☆ عين بصل : إبراهيم بن علي^(٢) .

(١) كذا يياض في الأصول .

(٢) ههنا ينتهي الجزء السابع من (ق) .